

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_191108

UNIVERSAL
LIBRARY



مجلة تبحث في التربية والتعليم والاجتماع والاقتصاد والادب والتاريخ والآثار واللغة
وتدبير المنزل والصحة والكتب وحضارة العرب وحضارة الغرب

AL-MOKTABAS

Revue mensuelle paraissant à Damas (Syrie)

Pédagogie, sociologie, économie politique, littérature, histoire, archéologie, philologie, ménage, hygiène, bibliographie, civilisation arabe et occidentale.

صدر في كل شهر عربي بدمشق

لنشرها

محمد كرد علي

المجلد السادس

١٩١١ - ١٣٢٩

قيمة الاشتراك في دمشق ريالان مجيديان ونصف

وفي سائر الجهات ثلاثة عشر فرنكاً

ABONNEMENT 13 FRCS

طبع بمطبعة المقتبس بدمشق

٢٠٤٨
بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة السنة السادسة

يفتح المقتبس سنته السادسة بحمده تعالى ان يسر له قطع شوط يصح عده شيئاً في عمر المجالات . و يقتبط اليوم ان يرى له زمناً من نفوس العلماء والادباء ومكاته من مجامعهم وانديتهم وسبيل الى الانتشار بين الخاصة في كل بلد يتكلم اهلها باللغة العربية او يرغبون في تلقفها . ويمود فيها مدققاً على ان يتعاهد كل من ركع عودهم بنشر الابحاث النضيجه مشبهاً اياها برساً ونمحيصاً ما ساعدته ينته ومادته فينقل للترقيين ما تبرزه عقول الغربيين ويمثل للغربيين ما نتجته قرائح الشرقيين من الاقدمين والمحدثين ويعنى من المباحث عنايه خاصة بعلوم التربيـة والعـلـم والاجتماع والاقتصاد واللغة والادب والتاريخ والآثار وتدبير المنزل والصحة والكتب . حشارة العرب وحضارة الغرب ولا يهمل من العلوم الاخرى الا بقدر ماله عارفة بأوضاعه ويتجافى عن مس العواطف الدينية والمنازع السياسية عملاً باحطة التي رسمها في اول بزم صدر منه لكي ضباب الزيل

ولقد هب الزمان لهذه المجلة طائفة من العلماء الباحثين والكاتبين المفكرين احذوا الى انفسهم كما فعلوا في السنين القارة ان هو افوها اثابهم الله الشهر بعد الشهر بخلاصة ابحاثهم وعلموا الناس مما عملوا وزكوا وهذا مما يزيد الثقة بهذا العمل العلمي وعمل الجماعة امتع وانفع وعمل الفرد لا ينجو من ضعف وضوؤه . وهالك اسماءهم اقراراً بانضمام على العلوم والآداب :

احمد بك أنيمور (القاهرة) احمد بك زكي (القاهرة) امين افندي ريجاني (نيو يورك)
الشيخ جمال الدين القاسمي « دمشق » جرجي افندي الحداد « دمشق » حليل افندي رفعت « دمشق » حليل بك سعد « بيروت » رشيد افندي بقدونس « سلايك » رفيق بك المعلم « القاهرة » زكي افندي الخطيب « سنجار » صلاح الدين افندي القاسمي « دمشق » صائبنا « بغداد » سليم افندي البخاري « دمشق » شكري افندي العملي « دمشق » الشيخ طاهر الجزائري « القاهرة » الدكتور عبدالرحمن تهنيدر « دمشق » عبدالقادر افندي المغربي « طرابلس الشام » عبد الله افندي مخلص « حيفا » عبد الوهاب افندي الانكليزي « الباب » عيسى افندي اسكندر معلوف « زحلة » فارس افندي الخوري « دمشق » فارس افندي فياض « دمشق » محمود : شكري افندي الأتومي « بغداد » يوسف افندي جرجس زعيم « نبراسكا »

كتاب البئر

من مصنفات امام ائمة اللغة والادب ابي عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي

توفي سنة ثلاثين ومائتين رحمة الله عليه

ترجمته في ص ٢٠١ من كتاب نزهة الادباء

عني بنشره وتعليق حواشيه السيد محمود شكرى الانصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبونا الشيخ الامام ابو محمد عبد الله بن احمد بن محمد بن الخشاب انه في قراءة عليه
وانا مع بجامع القصر من مدينة السلام يوم الجمعة ثالث شري شهر الله الاصب من
سنة خمس وخمسين وخمسائة . فل اخبونا ابا ابي ابو اخ . محمد بن محمد بن الحسن
الفرآ قال انبأنا الشيخ ابو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهرى . قال اخبونا ابو عمر محمد
ابن العباس بن حيويه الخزاز قراءة عليه في شهر رمضان سنة احدى وثمانين وثلاثمائة .
قال قرأ هذا الكتاب ابراهيم بن الرزاز عني بن محمد بن احمد بن محمد بن احمد الحكيم
سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وانا حاضر اسمع قال - حدثنا ابراهيم بن العباس احمد ^(١) يحيى ثعلب
عن ابن الاعرابي قال وقرأ الرزاز ايضا عني ابي عمر محمد بن عبد الواحد غ ^(٢)م ثعلب
على معنى التصحيح قال : صفة البئر عن ابن الاعرابي .

قال واخذني ايضا الشيخ الامام المذهب ابو الحسن علي بن عبد الرحيم بن الحسن
ابن عبد الملك بن ابراهيم بن عبد الملك اسلمي الرقي مرة عليه - ليلة السلام في منزله
في سبعين من سنة خمس وخمسين وخمسائة وسعته ايضا من قراءة قال : اخبونا الشيخ
الحافظ ابو الفضل محمد بن الناصر بن محمد بن علي بن عمر السلمي والفقيه ابو الحسن
سعد الخير بن محمد بن سهل الانصارى قراءة عليه سيفه صفر سنة اثنين وثلاثين
 وخمسائة فافترقه قال : اخبونا الشيخ ابو الحسين ابي بكر بن عبد الجبار الصيرفي قراءة

(١) كذا الاصل وفي كتاب نزهة الادباء ابو العباس احمد بن

يحيى بن زيد بن سراج البهبهاني النخوي المعروف بـ ثعلب كلن امام الكوفيين سيف النخو
واللغة في زمانه الى آخر ما قال

عليه في يوم الجمعة خامس عشر طفر من سنة احدى وتسعين واربعمائة فاقربه قال : اخبرنا ابو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهرى قراءة عليه وانا اسمع في المحرم سنة احدى وخسين واربعمائة قال اخبرنا ابو عمر محمد بن العباس بن زكريا ابن حيوبه الحزاز قراءة عليه في يوم الاربعاء النصف من شهر رمضان سنة احدى وثمانين وثلاثمائة قال قرأ ابو الحسن الرزاز رحمه الله تعالى على ابي عبيد الله محمد ابن احمد الحكيمى سنة اربع وثلاثين وانا حاضر اسمع . قال : اخبرنا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب عن ابن الاعرابي وقرأه الرزاز وانا حاضر اسمع على ابي عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب على معنى التصحيح قال :

صفة البئر

عن ابن الاعرابي قراءة على ابي العباس احمد بن يحيى النخعي عن ابي عبد الله محمد بن زياد الاعرابي قال : يقال للارض اذا لم يكن فيها حفر فحفر فيها « ارض مظلومة » قال الشماخ :

وأُس رماد كالحمامة مائل ونوْيان في مظلومتين كلاهما

ويقال اذا حفر قاعدة الرجل او معدنين قيل « حفراوة »^(١) او اوقتين قال الشاعر
وانفَس الرامي لها بين الاوق^(٢)

قال ابو عمر هو اوقفة بالفتح وجمعها اوق، كذا سمعي من ثعلب قال ابو العباس الاوقه بئر الصائد التي يستتر فيها من الوحش فاذا ابتداء حفر البئر فهي بد، فاذا حفر الى اسفل قيل قد اعتمق وامتنع وحفر مبعق وعميق واذا اخذ جانبها قيل قد لجف^(٣) قال الشاعر
اذا اتقى معتمقا او لجفا

ويقال لجانب البئر الجلب والجول وانه بغير ذي جول اي انه قليل العقل وانه لغير

(١) وفي القاموس الاوقفة الجماعة وبالفم الركبة مثل البالوعة في الارض

(٢) الرجز لرؤبة وآخره « في خيل قصباء وخيس مختلق »

(٣) المجف الذي يحفر في ناحية من البئر والتلجف التحفر في نواحي البئر ولجفت البئر تلجيفا جفرت في جوانبها وفي حديث الحجاج انه حفر حفرة للنجف قال المعجاج
يصف ثورا :

بسليبين فوق انب ادلقا اذا اتعى معتمقا اولجفا

قوله بسليبين اعم بقرنين طويين

متماسك الجول يقال ذلك للرجل اذا كان يحمق فاذا حفرها حتى يبلغ الماء قيل قد انبطها والماء هو النبط وفطرها اذا كان هو ابتدأها

واختصم الى ابن عباس رضي الله عنهما رجلان في بئر فقال احدهما بئري انا فطرتها اي ابتدأتها واستخرجتها .

فاذا انفذتها في الجبل قيل بئر خسين وهي التي خسف جبلها قال الشاعر :

من الكلى في خسف رويا

ويقال حفر حتى اعان واعين الى حتى استخرج الماء وحفر حتى اصلد اذا وقع على موضع صلب او على حجر وكذلك اكدى قال ابو زيد :

يا عثم ادركني فان ركيبي صلدت فاعيت ان تبض بمائها

وحفر فاجبل وقع على جبل واسهب وقع على رمل او تراب يغلبه

ويقال اتراب البئر البقشة والبيشة والثيلة والثلة والسفاة قال الهذلي :

وقد ارضلوا فراطهم فتأثلوا قليبا سفاها كالاماء القواعد

ويقال ماء غير اذا كان يوافق الشاربة ويجمع في جلودها واجسامها عذبا كان او غير ذلك قال حاتم :

وشربت بالماء النخير ولم اترك الا لطم حماة الجفر

وقال آخر :

قد جمعت والحمد لله نقر من ماء عد في جلودها نقر

قال ابو عمر : نقر تسكن من قولك ونقر يقر اذا سكن ويقال ماء شرب عذب

وشرب ايضا ثقبيل وآء مأج وقد مؤج مؤج مؤجة ومياه مأججة

واسماء البئر

الركبة والجمع ركبا . والتليب والجمع قلب . والفقر وهي التي فقر جباها فاتخذت

حديثا . والطوي والجمع اطواء . والبدي وهي الجديدة الحفر وهي الواسعة الرأس

لانها ربما نقضت وانسع رأسها وربما كانت غير بييدة القمر . والبدي حين تبدأ وهي

(١) قال ابو زيد نبث نبثا مثل نبش نبش وهو الحفر باليد والبيشة تراب البئر

والنهر قال الشاعر

وان نبثوا بئري نبث بئارهم وسوف ترى ماذا ترد الثبائث

وخيث نبث اتباع

الفرج وقال بعض الاعراب البدي يحفر للغرس يريد الفيل والماتح^(١) يضع رجلا على هذا الجانب ورجلا على هذا الجانب الآخر .

والبدي مربعة وهو يمتح منها يده بغير قلمة فاذا دور رأسها فهي القلب ويقال لهم البئر شعوتها وجرايبها جوفها من اعلاها الى سفها ويقال بئر سدبدة الجراب اذا لم تحتاج ان تطوى والبئر والركبة اثنيان والقلب والطوي ذكران قال ابو عمر : القلب والطوي بذكران ويوثقان والشطون من الكايا التي في جوانبها عوج لا يخرج دلوها الا بجملين . فاذا طويت بجثب فهي معروشة وقد عرشت تعرس عرقا والمزبرة المطوية بالحجارة وغير الحجارة يقال زيرتها زرا وضرستها^(٢) امرها خرسا نحويتها بالحجارة واذا استقي بالفلو من البئر باليد قيل بئر متوح واذا كانت على بكرة ينزع باليد نزعا قيل نزوع ونشوط التي انما جعلها نشطة واحدة وبئر انشاط اذا اخرج دلوها بمجذبة واحدة قال ابو عمر : انما هو انشاط بالفتح جمع نشوط قال ابو محمد يوسف بن الحسن : روى الطوسي وغيره ان ابا بلال بالكسر ويجوز انشاط بالفتح جميعا ويقال ماء رفيق وهو القريب اليها القصير الرشا وماء عضوض بعيد القعر وانتدنا

ايث على الماء العضوض كأنني رفوب وما ذو سبعة يرتوب

وماء مدرع^(٣) قريب من المرعى قال ابو عمر : انما هو مدرع بفتح الراء وباسط بعيد وماء مطلب اذا ابي ان يطلب وبئر مضوض وبروض ورتشوح والاصل رشوح بالجيم قال ابو عمر انما رشوخ بجاء معجمة ومكول هي التي يجتمع ماؤها قليلا يقال قد اجتمعت فيها مكولة واذا كانت لا يؤخذ ماؤها الا غرقا فهي قدوح ويقال قدحتها اقدحها ندحا واذا كانت بأقي ماؤها مرة ويذهب أخرى فهي الطنون واذا كانت اذا استقي ماؤها

(١) وفي كتاب المقعد المقيم لابن الجوزي الماتح بالتاء المثناة من فوق الذي يستقي من فوق والماتح بالمثناة من تحت الذي يستقي من داخل البئر قال وهذا من اسرار اللغة بسبب موافقة اللفظ للمعنى وقد اطاب في بيان ذلك .

(٢) والفرس بضم الصاد الحجارة التي طويت بها البئر قال الراجز :

اما يزان قائل ابن ابن . الوك عن حد الضروس والابن

وبئر مضروبة ومضروس اي مطوية بالحجارة .

(٣) ماء مدرع كحسن ومنظم اكل ما حوله من المرعى فتبعد قليلا وما انما ساط بعيد

جئت بماء آخر قيل بثر هجوم واذا كانت اذا قلت الامطار قل مأوها قيل بثر قطع
واصاب الناس قطعة اذا غار مأوهم واقطع الماء وهو مقطوع وقاطع وقد قطع
واذا كانت البثر حبلها عن لعوج في جراها قيل بثر يبون وبثر زوراء ودحول لذا
كان في خلها عوج واذا كانت البثر الى جنبها بثر اخرى تضر بها قيل بثر ضييط وبثر
مأورة مثلها وبثر سك اذا كانت ضيقة وانشدنا .

صبحن من وشجي قليلا سكا

قال ابو عمر: وشجي محرّكة وبقل بثر ذمة قليلة الماء وبثر فراط وهي التي من سبق
اليها ليس لاحد ان يمنعه وبثر هجوم سريرة رجوع الماء ويقال لماء اذا خرج من عيونه
فارتفع في البثر جم يحجم بها والماء نفه الجهم ويقال استقى من جم بترك وقال الفزوي
وسئل ما مالك فقال ساحات فيج وعين هز من قرية مرتكض الجهم اي يحجم مأوها سريرا
وهز من يهز بالماء الصواب هز هن قال ابو عمر: سألت ابا العباس عن هذا الحرف
مراراً فقال هز هن الى لفظ هذب قل واذا كان ينرف بها باليد قيل بثر غروف واذا
دام مأوها في المطر والنيط قيل بثر واثنة وقد وثنت تن وتونا واذا كانت كثيرة
الماء قيل بثر قليدوم وانشد

ان لنا قليدما هموما يؤيدما مخنن الدلا جوما

واذا لم ينزع مأوها قيل بحرها لا ينكف ولا ينكش ولا يوبى ولا ينضفض ولا
يفرض ولا يفتح وبثر سمير واخضرم والعلم النزيرة وبثر ماعة وبثر مئة كثيرة الماء
وبثر نبط التي يخرج مأوها من عرضها ويقال للبثر اذا قل مأوها غار يفور غورا وغورا
وقد نكرت ايضا قال

فظلت باعراف كان عيونها الى الشمس بل تدنوركي نواكر

أنكرت تنكر نكوراً وهي فاكر واذا اندفت ثم اخرج ترايا وابست بمجده قيل
بثر تنول والجمع تنل واذا اندفت قيل بثر دفن ودنان واذا عطلت حتى تخرب قيل
بثر سده والجمع اسدام فاذا كانت ثادية فالتقطت والتقاطهم اياعا وقوعهم عليها قيل
بثر لقيط وبثر خفية مثلها وكانت قديمة لامة من الام فالتقطت وعد ما كان نبذه من
الارض يحجم عشر قيم الى ثلاثين قامة واذا كان في بطن البثر حجر نادر فبالعقاب يقال اصلح
عقاب بثره فيخرج حجراً في الطي فيتمده ليقوم عليه قال والتعلية ان يجذب الحبل عن
حجر ناتي في جانب البثر قال :

لوان "سلي شهدت" (١) مطلي تمتع او تدلج او تلي
إذا راحت غير ذات دل

وقال آخر :

أكل يوم قاتل أين أبى دلوك عن حد الصفيح والابن
والثمت ان تكون كالبئر الا انه لا تكون من عبون اذا انقطع حفر ذراعان او قامة
فيخرج فيشرب اياماً ثم ينقطع والحسي دائم لا ينقطع والجمع (٢) احساء وحساء . والخمس
يسمى النكر واذا تغير الماء في القلب ثلث قدم مرض وسبحس الماء في القلب وهو العري
والعري مقصوران يقال ماؤها عري فاستقى من غيرها ويقال أجن وأسن بأجن
وأسن اسنا واجونا وأسن أسنا واذا غلبته جليدة من طول الترك قيل ذوى يدوي تدوية
وماء داو كما ترى فاذا غلبته خضرة قيل قد طحلب وعرض وغلفق ويقال بئر ذات
طاق اذا كن فيها دور وهي حروف نادرة وعرش البئر خبائها التي يستظل بها عليها
يطرح التمام قال الراجز :

أكل يوم عرشها مقبلي حتى ترى المئزر ذا الفضول
مثل جناح السيد الفسيل

ويقال محشوشة وحشوا بركم اي اكسوها وبئر مجبودة اذا نقيت حتى حماتها ويظهر
حريطينها فقد جهرت تجهراً والاذاء حجر يجمل في مصب الدلو لثلا يخرق الماء الحوض
وهو في بئر الماشية والابل وفي بئر الدرع والقف والدعامة مقام الساق في اعلى البئر
وانما سميت دعامة لانه يدعم بها طي البئر فيضفطه وها شجرتان يدعمان طي البئر
قال الشاعر :

لما رأيت انها " لاقامه واني ساق على سامة
جذبت جذبا " (٣) زعزع الدعامة

والخاية مقام الساقى انشد ابو الجراح .

يا عين بكى عامراً يوم النهل قام على مثابة زلج فزل

والشجار خشبتان على جانبي البئر عليهما عارضة ودون العارضة بقدر ذراع او ذراعين

(١) ابصرت نسخة (٢) ومنه سميت الاحساء البلدة الشهيرة قرب البحرين لكون

مياهها كذلك (٣) إنه نسخة (٤) نزلت نزلًا نسخة

عارضة اخرى. والنامتان خشبتان فيما بين العارضتين في كل حنب واحدة فتانك
النامتان وفيها المحير والمور مشدود بجبل الى العارضة وانتد

لولا الزمام اقنم الاجاردا بالغرب او دق النعام الساجدا
واذا كانت نارضا البكرة وعصدا من حديد كان او خشب الواج فيها والبكرة
اذا كانت على ركية جرود فهي محالة الابل واذا قلوا تعوب فهو خيبة مدورة عظيمة
لما استبان فيها كامن الرحى قال الشاعر .

كان صوت نايه الاذب صريف خطاف بقعوق .

ويقال للذي يجري عليه الحبل من البكرة المخرث واذا كان الشحاران من بناء طين
او حجارة فمما الزنوبان والقرنان قال الشاعر

أمل القرنين فانظروا لها . احجرا ام مدرا تراها

فاذا وقع الحبل من البكرة وعقد بها قبل مرس الحبل وامرسته انا فيقال امرسه
اي اخرجه فلما امر .

بش منام الشيخ امرس مرس اما آلى قعو واما اقنسن
والمرس اسم الحبل قال ابو العباس امرسه انقاه بن الحد والبكرة وامرسه اخرجه
وقد مرس الحبل نفسه قال الشاعر .

ولا تلسوا لي الارض نيا دني اسف عليكم تاني حين تمرس

في نوادر ابن الاثيري وليس من الكتاب

ولا تلسوا لي الارض فيما فاني اخاب عليكم يني حين تلس



هذا آخر كتاب معة البئر عن ابن الاعرابي

في ارض الجليل

من دمشق ركبنا قطار السكة الحجازية قاصدين الى بلاد الجليل فاجتاز بنا سهول حوران وجزءاً من وادي الأردن والغور، معظم البلاد التي مررنا بها تبعنا النفس على النظر والعين على التحدث والتفكير على التأمل لما جرى فيها من اروع الحوادث في سائر الاعصار. وان ارضاً اخرجت رسولاً كالسيد المسيح عليه الصلاة والسلام فكانت مهوى افئدة اهل الاسرانية في العالم على اختلاف الاعصار والاقطار الحرية بان زارهما شطت بتناصدها الديار فما بالك وهي الآن مناس بضع ساعات في قطار انجاز. وان بلاداً معى على ابناء اسرائيل الوف من السنين وهم لم يياسوا من استرجاعها الجديرة ان يخفف اليها كل من يروم البحث في اجتماع الأمم واقترافها

يحد بلاد الجليل شرقاً الأردن^(١) وجنوباً الكرمل وجبال افرايم وغرباً بجرالروم وشمالاً فينيقية ولبنان وتسمى هذه البلاد جليل الام لكثرة الام فيها وفي الجليل تربى يسوع وفيها صرف اكثر مدة خدمته جهرأ فدعي جليلاً وكان تلاميذه جليليين ماتدا يهوذا الاسخريوطي واشتهر الجليليون بشدة البأس فقال يوسيفوس المؤرخ اليهودي الذي كان هو نفسه جليلاً انهم كانوا يمتنون على استعمال كل انواع الاسلحة منذ الصغر. وقد اشتهروا بشدة مقاومتهم للرومانيين وآل خراب اورشليم الى نجاح الجليل فاصبحت دار العلوم اليهودية ونقل اليها السندريم «مجمع الامة العظيم» فجعل اولاً في اوشته وهي الآن خربة هوشته قرب شفاعمرو ثم نقل الى شفرام وهي الآن شفاعمرو ثم الى بيت شعرايم وصفوري وطبرية وكانت الجليل مقسومة الى قسمين الجليل السفلى واولها من طبرية الى زبولون قرب عكا وعرضها من قرية كسالوت قرب تاور الى بير سبع (غير بير سبع في الجنوب) وكان فيها على رواية يوسيفوس ٢٤٠ قرية وفي اصغرها ١٥٠٠ من السكان والجليل العليا طولها من ميلون غرباً الى طلة قرب الأردن شرقاً وعرضها من بير سبع جنوباً الى بقعة على حدود ارض صور شمالاً

ومعنى الجليل بالعبانية الدائرة او المقاطعة^(٢) وكانت تطلق خاصة على القطر الشمالي

(١) مرشد الطلاب الى جغرافية الكتاب للقس اسعد منصور

(٢) دليل الارض المقدسة الجدد دلاستمان - P. Barnabé Meister

mann. Nouveau Guide de Terre-Sainte ١٩٠٦

من ارض الموعد وفيها عشرون مدينة اعطاها سليمان الى ملك صور لقاء خدمه في عمارة
المعبد في القدس وكان يسكن هذه البلاد جمهور من الوثنيين ومن هنا اشتق اسمها
جليل الامم وكانت بلاد الجليل تمتد على عهد عيسى الى ذخاف بحيرة طبرية ثم دخل
فيها سهل يزرعيل «مرج ابن نامر» وفي عهد السيد المسيح كانت عبارة عن ارض عازر
ونفتالي وزبولون وازياخار وظلت منسمة الى جليل الى وليل اسفل الاول يمتد الى
شالي الحط المعبد من عكا الى كفر ناحوم والثاني يمدل فيه القسم الجنوبي

ويمكن على الجملة ان يقال ان ارض الجليل واحدة اليوم في الجهة الشمالية من بلاد
فلسطين بين لواءي عكا واباس وفيها الجهة الغربية من نهر الأردن ويدخل فيها قضاء
صفد وقضاء طبرية وقضاء الناصرة وبعض قضاء جنين ومن اعمالها مرج ابن عامر وكانت
اهم مدن الجليل بطولومايس التي اصبحت فيما بعد عكا وصفورية والناصرة وكفر كنا
وبتولي وكفر ناحوم وسكانها كما هم الآن مزيج من امم مختلفة واهم عناصرتهم اليهود
والاشوريون وكان هذا الاقليم على عهد شعور النصرية عامراً جداً بالسكن غنياً مزهراً
وله حياة سياسية كما له حياة دينية وجميع أنواع العبادات والمذاهب تجري فيه حرة
مطلقة لاشي يخص عليهم امرها وتكثر فيه النباتات والزهود من كل نوع وفيه غابات
كثيرة كان يستخرج منها خشب الفين

وعرف العرب ارض الجليل بجبل البليل فقال ياتوت ان جبل الجليل في ساحل
الشام يمتد الى قرب حمس «كنعا» كان معاوية يجلس في موضع منه من ينظر به ممن
يزيل قتل عثمان وقال ابن الفقيه وكان منزل نوح عليه السلام في جبل الجليل باقرب
من حمص في قرية تدعى سحر ويقال ان بها فار النور قال وجبل الجليل باقرب من
دمشق ايضاً وهو جبل يتل من الحجاز فما كان بفلسطين منه فهو جبل الحمل وما كان
بالأردن فهو جبل الجليل ومو بدمشق لبنان ومحص سنير وهذا التعريف اقرب
الى الجلاء من غيره . وقال ان عما كران جبل الجليل من اعمال صيدا وببروت من
ساحل دمشق وهو تعريف حسن في الجملة قال ابو قيس بن ابيات

فأولاً ربنا كننا يهوداً وما دين اليهود بندي شكول

ولولاً ربنا كننا نصارى مع الرومان في جبل الجليل

ولكننا خلفنا اذ خلفنا حنيف دننا عن كل جبل

فلما ان ارض الجليل كانت معترك الامم والاديان من قديم الزمان وولد جاء عليها عهد ايام الرومان كانت فيه ملاذيار والبيع والمعايد مبثوثة في كل بقعة من بقاعه وقرية من قرىه ولما فتحها المسلمون ظلموا اهلها بالرفق واغروهم كل عبادتهم شأنهم في فتوحاتهم ولكن دالت الدول وكرت الاعصار وبشت ملوك اوربا على الشرق سيوشها في القرون الوسطى وكانت الحرب الصليبية سجلا بين الملمين والصليبيين في هذه الارض مدة قرنين فلا عجب اذا شهدنا اسوار المدن مهتمة وآثار البيع والملاذيار معنفاة دائرة وانحجار ذاك الصقع ونمايته مدمرة وكثيراً من مدنه قرى صغيرة او مزارع باثرة

خربت هذه الدار بادوار انت عليها كان القول انفصل في سياسة حكومات الارض لرجال الدين وكان اهل الصليب من امم اوربا كلما ارادوا ان يرجعوا ادراجهم ويخلوا عن هذه الارض يحجز زواجرهم حائل من الفسادة والشهامة ومن انب لهم من حملة الدين فيلقون نائفهم في مآثر صعدة ويركون الى نيل اوطارهم كل ذلول وصعبة فتردم جيوش المسلمين عن استباحة حرم الاسلام لان فلسطين اوسورة اذا ملكها الافرنج يضيع الاسلام المجد الاقصى ويوشك ان يكون الخطر محدقاً بالحرمين الشريفين مبعث الوحي والرسالة ومحج اهل الاسلام من العالمين ولذلك حلم الصليبيون هذه الديار بسائق الدين ودافع عنها المسلمون بسائق الدنيا والدين فكسبت الغلبة لاهل هذه البلاد وقتل ظفر مهاجم ورجع المدخل عنها مدحورين ولكن بعد ان خرب العامر والعامر واصبحت تقراء جرداء لا تجد فيها خضراء ولا غصراء .

ولقد كانت طبرية عاصمة الجليل ولما شأن مذكور بن مدن تلك الاربابض اُستست عام ١٧ للمسيح لم يد هيرود انتيباس حاكم الجليل الذي جعلها عاصمته وصماها بالاسم الذي عرفت به الى اليوم اكراما لحلميه الامبراطور طيباريوس الروماني وكانت المدينة جنوبي موقع اندية الحالية او لا اي حوالى الحمامات المعدنية ويسمى اليوم ذاك المكان بحفرة الحمام وذلك لانه اكتفت مدافن وقبور في مكان المدينة القديمة فايز اليهود ان يكتنوها لان خرق حرمة المدائن بعد عندهم من الكبائر ولم يستطع هيرود ان سكن طبرية لاول انشائها الاباناس من طبقة واثمة انعم عليهم بانواع الاحسان واغدق عليهم الاعطيات ترغيباً لهم ولما توفي عالمها عهد الامبرطور تيرون الى اغربا الفنى بالولاية عليها سنة ٤١٤ لم يكن منه الا انما استوطنت طبرية عن مكانتها باختار صفورية لتكون عاصمة الجليل ولما انتقم اليهود على الرومانيين عهد الى المؤرخ يوصيفوس ان يكون والياً على

الجليل الاسفل والاعلى فخصن طبرية وكان ينتابها ليؤيد نفوذ الدولة على الشاغرين من اهلها . واستسلم اهل طبرية لفاسباسيان وفخوا له ابوابها لما دام الجليل يمينه فكان ذلك سبب انعام الرومانيين عليهم بنسب الرب الاحسان بعد خراب بيت المقدس ولئن سحق الامبراطور ادرينانوس الامة الاسرائيلية واسأله معبداً في طبرية ابادة الاوثان فقد ظل تنوذ اليهود مستحكما بعده . وان عد اليهود طبرية بموجب شريعة اسرائيل من المدن الفخورة فان لرومانيين منهم اختاروها واتخذوها بلدهم المقدسة وجعلوها محجهم الجديد وفي اواخر القرن الثاني انتقل من صغيرة الى طبرية كبار رجال التهود عندهم ونشأ منهم ربانة عظماء يقدرونهم ويمجدونهم ومنهم الذين جمعوا المبعثر من شريعة اسرائيل ودحات النعمة راية في القرن الرابع الى طبرية .

فتحت طبرية^(١) على يد ترحيل بن حنة في سنة ٥٩٣ هـ صلحا على آلاف منازلهم وكناشهم وقيل انه حاصرهما اياماً ثم صالح اهلها على انفسهم واموالهم وكانوا هم الا مابلوا عنه وخلوه واعتنى لمجد المسلمين موضحاً ثم تقضوا في خلافة عمر رضي الله عنه واجتمع اليهم قوم من سواد الروم في يد ابراهيم بن عيسى بن عمار في اربعة آلاف وفتحها على مثل صلح شرحبيل وفتح جميع الأردن على مثل هذا الصلح بغير قتال قال ياقوت وهي بلدة مملوكة على البحيرة المعروفة ببخيرة طبرية وهي في طرف جبل وجبل الطور مطل عليها وهي من اهمال الأردن في طور النور يا و بين دمشق ثلاثة ايام وكذلك بينها وبين بيت المقدس وبينها وبين عكا يوم هي مسبعة ليلى الى البحيرة وعمرتها قليل حتى تاهي الى جبل صخري ثم هذه آخر العبرة

ولما فتح الصليبيون بيت المقدس اقطع ملكها غودفري دي بوليون ولاية الجليل الى نكر يد فجعل عاصمتها طبرية فأنتهت مدينة حديثة تتالي القديمة وهي الموجودة اليوم وفي سنة ١١٨٢ قبل وقعة حطين^(٢) كان تلك طبرية ريمون الثالث كونت طرابلس فسطط المدينة بد صلاح الدين الاقملة وكان فيها امرأته اولاده فبالبت الامان من صلاح الدين فأمتها وانصرفت عنها تلحق بزوجها وغدت طبرية في سنة ١٢٣٩ ملكاً لارودي موبيلارد بموجب معاهدة تتقدم بين الملك الصالح ايوب سلطان دمشق ضد ملك مصر فاستعادها هذا بسد خمس سنين وفتح الحامية والحصارى فيما يقول

(١) مع البلدان

(٢) دليل الارض المقدسة

الافرنج واخذت هذه المدينة بالانحطاط حتى ان الرحالة كارسميوس لما زارها سنة ١٦٢٠ لم يرف فيها احداً من اليهود ووجد سكانها كلهم من المسلمين.

وحكم طبرية ظاهر العمر حاكم عكا وهو نندي بنى سورها المتهدم الحالي سنة ١٧٣٨ وجدده ابراهيم باتا المصري سنة ١٨٣٣ ولكن اصبحت بعد اربع سنين من هذا التاريخ بزال لم يبق منها ولم يذرها في سبعمائة شخص وقوضت اركان انبساطها كانه وقيل سكانها المسلمون ونزلها يهود من اطراف الارض وهم اليوم اكثر من ثلاثة ارباع سكانها لا يقفون عن سبعة آلاف فيهم انساوي والبولوني والرومي وغيرهم.

واما في طبرية حماماتها وبحيرتها على ندي بكر المروي : اما حمامات طبرية التي يقال انها من عجائب الدنيا فانيست هذه التي على باب طبرية على جانب البحيرة (المعروفة اليوم) فان مثل هذه كثيراً ما رأينا في الدنيا واما التي من عجائب الدنيا فهو موضع من اعمال طبرية شرقي قرية يقال لها الحسينية في وادي وهي عمارة قديمة يقال انها من عمارة سليمان بن داود وهو هيكلي يخرج الماء من صدره وقد كان يخرج من انفي عشرة عينا كل عين مخصوصة بمرض اذا اعتل فيها صاحب ذلك المرض ربي باذن الله تعالى والماء شديد الحرارة جداً صاف مذهب رايب الرائحة ويقصده المرضى يتدفقون به ويحبون نصب في موضع كبير حريص على الناس فيه ومنعته شاهرة وما رأينا ما يشابه الا الشرميا قلنا وان ما يشير اليه من الحمامات بانه في وادي بعيد عن طبرية وهو من عجائب الدنيا يشير فيما نحسب الى «الامة» الواقعة في وادي البرموك على طريق الخط الحديدي عند الكيلومتر ٩٣ و ١١٩٥) قال ابو التمام في وصف حمة طبرية وفيها عيون ملحة حارة وقد بنيت عليها حمامات فهي لا تحتاج الى الرقود تجري ليلاً ونهاراً حارة وبهرها حمة يغمس فيها الجرب وبها مما يلي الغور بينها وبين بيسان حمة سليمان بن داود عليه السلام ويزعمون انها نافعة من كل داء اهـ

ومع هذه الحمة الاخيرة اي حمة سليمان لانزال الى اليوم معروفة بحمام سيدي سليمان وهي احدى الحمامات السكاينة في جنوب طبرية على نحو كيلومترين منها ويجري الماء الى الحمامات من اربع عيون حارة واعلمها ما بناه ابراهيم باتا وهو في النبل ويعرف باسمه وهو عبارة عن حوض كبير تحيط به عمد قديمة من الرخام وتليه قبة عظام وهي مقفولة بقبوب اسطوانية يخرج منها البخار ودرجة حرارة الماء ٦٢ بالميزان المئوي وهو صاف

براق في الجملة ملح الطعام مرهوت وتبعث منه رائحة شديدة من حامض الكبريت او رائحة بيض فاسد. وهذه الحماط ملك الحكومة تؤجرها من تريد لقاء الف ليلة في السنة وفيها مغاطس في مكان آخر قد يغير صاحب الحمام مياهها في الاحايين ولكنها كسائر اقسام الحمامات الاربعة غير صحيحة لان اناسا كثيرين من ارباب الامراض المختلفة ينزلونها في وقت واحد ويخشى ان تسري جزائيم بعض الامراض الى جسم من كان منها سليما فيغضربا نفاسه في هذا الماء من حيث يريد الزيج ولورثت هذه الحمامات ترتيبا صحيا كما هو الحال في حمامات مارينباد في النمسا وبيرصة في الاناضول وحلوان في مصر وأنتشت هناك كما هو رأي بعض المفكرين في عمران هذه الديار للارتفاع بمصائبها الطبيعية فنادق وحدائق واماكن تتوفر فيها شروط الراحة ومرافق الحياة لجلب المستحقين في هذه الحمة من اقطار الارض كما تجلب حمامات بورصة وحلوان ومارينباد وباد

وموسم الاستحمام بهذه الحمامات من اول كانون الثاني الى آخر حزيران^(١) وتختلف الحرارة في الصيف في طرية من ٢٥ الى ٤٢ ولكن الهواء حسن في الجملة فلا يؤثر في سكانها الاصليين كثيرا بقدر تأثره في الغرباء لانك صدق ما قاله فيها ابو عبد الله ابن البناء : طرية قصبة الأردن له وادي كنعان موضوعة بين الجبل والبحيرة فهي خضيرة كربة في الديف وخمة وبية وطولها نحو م فرسخ بلا عرض وسوقها من الغرب الى الشرق والمنازل الى الجبل بها ثمان حمامات بلا وقيد حارة الماء والناع في السوق كبير حسن فتره مرفوع بالحصى على اساطين حجارة موصولة ويقال ان اصل طرية شهرين يرقصون من كثرة الرعايث وثمانين بلوكو : يعني البقي فانه كثير عديم وشهرين يثاقفون يعني بايديهم العصي يتردون الزاير عن طعنهم وحلاوتهم وشهرين عراة يعني من شدة الحر وشهرين يزمرون حتى يمحون قصب السكر وشهرين ينجحون من كثرة الوحل في ارضهم قال واسفل طرية جسر عظيم عليه طريق دقاق وشربهم من البحيرة وحول البحيرة كله قرى متصلة وتخيّل فيها سفن كثيرة وثي كثيرة الاسمان لا تطيب لغير اهلها والجبيل مثل كل البلد وادوها عذب ليس بجوارها .

ويرى اطباء العصر ان مياه طرية الحارة ترفع النساء في وظائفهن التناسلية وتذا في كل الشفاء من الاوجاع العصبية الحادة والمزمنة ومن امراض الرثية « الروماتيزم » ومن ضعف المجموع العصبي ومن داء القرس ومن البول السكري ومن المرة السوداء .

«لابيخنديا» ومن امراض اعضاء التناسل ومن الاورام التهابية التي هي في حال الوقوف كما قد تنفع في التهاب قصبة الزنقة «برونثيت» انزمن وبخس امراض الارب والخنزيرة المزمنة والامراض الجلدية وعدم انتظام حركة سلسلة لشمار واستحق الرحم والبول الزلالي والتلبدن الرئوي وغيرها

اما بحيرة طبرية فقد قال فيها واصفوها من الامراف انها اخيض الثاني الذي يلاؤه نهر الأردن في طريقه عند انحداره من قبة ارية الى بحيرة لوط وسطح مائها على ٢٠٨ امتار تحت سطح البحر المتوسط وعمق البحيرة ٤٥ متراً في وسطها وذلك ما يبلغ ٢٥٠ متراً في الخليج المجاورة للشامي الجنوبي من البحيرة اي قرب سمخ التي يرك منها الى طبرية في قارب في البحيرة ساعة او يركب في مركبة الى اليا. ساعة ونصفاً.

وطول البحيرة ٢١ كيلومتراً من الشمال الى الجنوب وعرضها تسعة كيلومترات ونصف اي ان مساحتها السطحية ٧٠ كيلومتراً مربعاً ومياهها قابلة للشرب في الفصول الاربعة وفيها كثير من السمك الجيد والجلال التي تربيط بالبحيرة في الجنوب الغربي تنفج عنها في الشمال الغربي فيتألف منها نصف دائرة وتسعة وفيها يكون سهل الورد *Jenésath* الحبيب وليلة ستة متر من البحيرة الى الانابي عدة قرى وبينها مدينة صفد القديمة وفي الشمال من البحيرة سهل مومس *Alluvial* يشرب بمصب الأردن وفوق السهل المتوج الذي يفصل بحيرة طبرية عن بحيرة الحولة او مياه ميريم *Mes eaux de Mérom* نظراً لما بين حارمون الشيخ المسكلة ما لتلوج ويعد البحيرة من الشرق والجنوب الشرقي متخورة عالية هائلة يبلغ علوها نحو ثمانية متر وهي تحمل سطح الجوزان *Jaufanilide* وفي الجنوب يفرج المور ثاية فيبازره الأردن وبلون فيوثلث اضواحه *Méandre* عديدة

وكان اسم هذه البحيرة في القديم كنزيت اشارة الى شكها البيضي الذي يشبه عود الطرب واسمها باعبرانية كنزور على ان هذا الشكل هو عام في جميع البحيرات التي تحيط بها الجبال ومينها زهانبر وكانت كنزيت معروفة قبل العبرانيين من مدن الكنعانيين وبعد سبي بابل دعت البحيرة بحيرة النذر اخذاً من اسم السهل الحبيب الذي يصل الى شواطئها من الشمال الغربي وسميت في العهد الجديد بحيرة الجليل وبحيرة طبرية وهذا الاسم هو الذي اطلقه عليها العرب

ولم يخل هذا البلد على حراره من رجال في الاسلام ولدوا ونشأوا وكانت لهم

بد في خدمة المسلمين مثل الامام الحافظ ساليان بن احمد بن ايوب بن مطير ابي القاسم الطبراني « احدا لائمة المروفين واخفاظ المكثرين والطلاب الرحالين الجوالين ولما بلغ المعمر بن المصنفين المحدث والتينات الاتبات المعدلين » وغيرهم ممن يقف الدهر والخلف يتناقل عن السلف اعمالهم

وكان الأردن على عهد الفتح الاسلامي احد اجزاء الشام الخمسة^١ وهي كورة واسعة منها الغور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك قل احمد بن الطيب السرخسي الفيلسوف هما أردنان أردن الكبير وأردن الصغير فلما الكبير فهو نهر يصب الى بحيرة طبرية بينه وبين طبرية لمن عر البحيرة في زورق اثنا عشر ميلا تجتمع فيه المياه من حبال وعيون فيجري في هذا النهر قسقي اكثر ضياع - في الاردن مما يلي ساحل الشام وطريق صور ثم تنصب تلك المياه الى البحيرة التي عند طبرية وطبرية على طرف جباع يشرف على هذه البحيرة فهذا النهر في الاردن الكبير بينه وبين طبرية البحيرة واما الاردن الصغير فهو نهر يأخذ من بحيرة طبرية ويمر بنحو الجنوب في وسط الغور فيسقي ضياع الغور واكثر مستغلمهم السكر ثم يجمع الى سائر بلاد الشرق وعليه قرى كثيرة منها بيسان وقرى واريج والعوجاه وغير ذلك وعلى هذا النهر قرب طبرية قنطرة عظيمة ذات طائفت كثيرة تزيد على العشرين ويجمع هذا النهر ونهر اليرموك فيصيران نهر واحد فيسقي ضياع الغور وضياع البثينة ثم يمر حتى يصب في البحيرة البثينة في طرف الغور الغربي وللاردن عدة كور منها كورة طبرية وكورة بيسان وكورة بيت رأس وكورة جدر وكورة صفورية وكورة صور وكورة عكا وغير ذلك . وقد فتح طبرية لما انتقضت عمرو بن العاص كما قلنا فتحها الى مثل صاحب شرجيل وكذلك جميع مدن الاردن وحصونها ففتح بيسان وانيق وجرش وبيت رأس وقدس والجولان وعكا وصور و صفورية و غلب على سواد الاردن وجميع ارضها .

في وادي الاردن بين قرية لوية وطبرية في سهل قرية حطين وقعت الواقعة الماثلة بين جيوش الصليبيين وجيوش المسلمين ورأسهم صلاح الدين التي قال فيها مؤرخو الصليبيين انها كانت في الرابع من تموز سنة ١١٨٧ م وكان جيش الافرنج مؤتفقا من التي فارس وخمسين الف راجل اشتد بهم انهطاش لقلة الماء هناك وبرحت بهم تباريحه قبل الواقعة بيومين وهبت عليهم موج شرقية وهي المعروفة بالخمسين فن لم يسلم الروح

ظلاً اسلمها لل سيف وانهمز الكنت ريموند صاحب طراباس فاستولى صلاح الدين على
الاكمة وقتل من ملوكهم صاحب الكرك رنودي شاتايون الذي كان غزا الحجاز واحب
فتح الحرمين فنذر صلاح الدين ان هو ظفر به ان يقتله بيده وكذلك كان واستسلمت
سائر المواقع لارادة الجيش الصلاحي

وكان صلاح الدين قد نازل طبرية ونقب بعض اراجبا ونهب المدينة واحرقها فلما
سمع الفرنج بذلك اجتمعوا المشورة فاجمعوا الى التقدم فركبوا واشتد القتال وصبروا فبقا
ورمي جنائسية المسلمين من النشاب ما كان كالجراد المنتشر والافرنج يقاتلون سائرين
نحو طبرية اعلمهم يردون الماء فلما علم صلاح الدين مقصدهم حدم عنه وكان بعض
المنطوعة قد التى في تلك الارض نارا وكانت الحشيش كثيرا فاحترق وكانت الريح
تخمدت حر النار والدخان اليهم فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان وحر النار والدخان
وحر القتال فلما انهزم القمص (الكنت) سقط في ايديهم وكادوا يستسلمون ثم علموا
انهم لا ينجيهم من الموت الا الاقدام عليه فحملوا حملات متداركة كادوا يزيلون المسلمين
على كثرتهم عن مواقعهم الا ان الفرنج لا يحملون حملة فيرجعون الا وقد قتل منهم
فوهوا لذلك وهنا فارتفع من بقي منهم الى تل بناحية حطين وارادوا ان ينصبوا خيامهم
هناك فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات واخذ المسلمون صليبهم الاعظم الذي يسمونه
صليب الصلبوت ويذكرون ان فيه قطعة من الخشب التي صلب عليها المسيح عليه السلام
فيما يقال فكان اخذه من اعظم المصائب الى ان امر المسلمون من نجا من حشد السيف
وفيهم الملك واخوه والبرنس ارنلط (ارنولد) صاحب الكرك ولم يكن في الفرنج اشد
منه عداوة للمسلمين واسروا ايضا صاحب جبيل وابن هنفري ومقدم الداوية وكان من
اعظم الفرنج شأنا واسروا ايضا جماعة من الداوية وجماعة من الاسبتارية (الاسبتالية)
وكثير القتل والاسر فيهم فكان من يرى القتلى لا يظن انهم اسروا واحداً ومن يرى
الاسرى لا يظن انهم قتلوا واحداً وما أصيب الفرنج منذ خرجوا الى الساحل وهو سنة
احدى وتسعين واربعائة الى الآن (٥٨٣) بمثل هذه الوقعة قال ابن الاثير: ولقد
اجتزت بموضع الوقعة بعدها بنحو سنة فرأيت الارض ملاءى من عظامهم تبين على البعد
منها المجمع بعضه على بعض ومنها المقترق بهذا سوى ما جففته السيول واخذته
السباع في تلك الآكام والوهاد

واختلفت الروايات في مقدار عسكر صلاح الدين والصحيح على انه كان نحو جيش الصليبيين اي يزيد عن خمسين الف مقاتل^(١) الا انه كان يزداد كل يوم حتى صار معه في طبرية ثمانون الف مقاتل واجتمع عسكر الصليبيين في الجليل في صحراء صفورية اولاً الى ان كانت هذه الواقعة التي لم تتم لم بعدها قائمة وسقطت مدن الجليل بيد الجيش الصلاحي واحدة بعد اخرى مثل عكا والناصرية وقيسارية وحيفا وصفورية ومعليا والثقيف والفولة وغيرها من البلاد الجاورة لمكافاة البلاد الاصفهاني^(٢) وكانت الفولة احسن قلعة واجصنها واملاها بالرجال والعدد واشحنها وهي للداوية^(٣) حصن حصين ومكان مكنى دركنى ركنين ولم يها منيع منيع ومربع مربع ومسند مشيد ومهاد مبيد وفيها مشتام ومصيفهم ومقرام ومضيفهم ومرابط - بيولم وعجروبيولم وبحري سبيولم وجمع اخوانهم ومشرع شيطلاسم وموضع حاليانهم ومورد حيتهم ومقد حمرتهم فلما اتفق يوم المصاف خرجوا باجمعهم الى مصرعهم وابتهن بان الكدر لا يمكن من صفو مشرعهم فلما كسروا وأسرأوا وخسروا وتحسروا ظلوا لملول الفولة يحدود اعلمها الفولة ودماة داويتها المظالوة ولم يجتمع شمل عمودها السيوف المسبولة ولم يبق بها الا رعايا رعا وعلمان واتباع واشياع شعاع فقدموا امكان حماية المكاتب ووجدوا امنهم في الاستئمان فسلوا الحصن بما فيه الى السكان وكانت فيه اخير الذخائر وتنافس الاعلاق فوثقوا بما احكوه من الميثاق وخرجوا ناجين ودخلوا في الزمام لاجين والسلامة راجين ونسلم جميع ما كان في تلك الناحية من البلاد مثل دبورية وجنين وزرعين والطور والتيون ويسان والقيمون وجميع الطبرية وعكا من الولايات والزيب ومعليا والبهنة واسكة ودرة زهنوات

هذه هي عاصمة الجليل وهذا طرف من تاريخها وعمرانها في التقديم اما اليوم فخالها حال قرية حنفية لانكاد تجد فيها شجرة مع اشتهارها قديماً بكثرة الاشجار بل ان النخيل الذي كان بكثرتها لا تجد له الا اثرأ خيلاً جداً كما ساء يفقد من ارض الجليل اللهم الا بعض سواحل البحر ولذلك تجد طبرية باحة مكدة ولوحفت اراف البحيرة بالاشجار لذاب مناخها واعتدل هواؤها وراق للنواظر منظرها واصبحت مصيفاً ومثقى على حد سواء واكرم الاهالي كمالى والحكومة لايهمها الا اخذ ما تيسر من الضرائب والعشور

(١) تاريخ سوريّة للطراى يوسف الببس (٢) القمى القمى في الفتح القمى

(٣) لهم فرسان الهيكليين

قال انا احد اصدقائنا من علماء دشق في الامة اصادوا العمرا نزلت لمجربة منذ اثنتين وخمسين سنة وزرتهما منذ سنتين فلم اشهد فرقاً في عمرها بل رأيتها جامدة لم تحرك قولاً فندق لالماني ومستشفى الانكايز لرسمت المجربة نفس تلك الصورة التي علفت في ذهني منذ نصف قرن ومع ما تنكوه من بطء بلادنا في نهوضها وعمرانها نجد القرب في هذه الحقبة من الزمن قد تغيرت صورتها وانبسطت رقعتها وحسنت ولو بعض الشيء بقعتها اما طيرة فهي الجرد بيمينه لم يزلها الا جالية من يهود الغرب نزوها مهاجرين فكان المسكن الذي ينزله خمسة انفس يؤوي الآن عشرين فضايق السكان وفسد الهواء واستوبل الماء وافقر اهل البلاد الاصليين لان لسان حال الاسرائيليين والصهيونيين خاصة مع جميع الشعوب كما قال ذلك السامري «لامساس»

كان من حق الناصرة ان يسبق الكلام عليها لانها اليوم اعمر بلاد الجليل ومهبط ائمة ام النصرانية ولكنها بلد حديث المدة لبلاد الجليل بدأ مجدداً بانها كانت موطن مرسم العذراء عليها السلام وفيها عاش المسيح الى الثلاثين من عمره ولم يزلها ذكر في كلام تدماء المؤرخين بمعنى الناصرة القرع او الزهرة وثي على ثلاثة عشر ميلاً من طيرة ممتدة على شكل نصف دائرة في سفح دائرة من الآكام العالية ويوتها بيضاء نظيفة تحيط بها اشجار الزيتون والبن والصابار وبذلك تأب منها صورة مليحة لانتعاب العين من النظر اليها قال ربنا (١) : «تتأب الناصرة بلدة صغيرة قائمة في طيرة ارض منسطة على متن بعض الجبال اما سكانها فانهم يلبسون اليوم اربعة آلاف نسمة (٢) فكانها الناصرة القديمة لان المؤرخ يوسيفس يقول ان اصغر قرى الجليل كان عدد نفوسها خمسة آلاف نسمة وان كان هذا القول لا يخلو من مبالغة والبرد في الناصرة شديد في زمن لتمام ولكن الهواء جيد جداً وكانت الناصرة في ذلك الزمن شبيهة بكل قرى اليهود يومئذ اي انها كانت مؤلفة من منازل مبنية من غير هندسة ولا نظام ومنارها شبيهة بمنظر القرى الاربوية وربما لم تكن منازل الناصرة تختلف عن المنازل المجرية المربعة القائمة في جهات لبنان العاصمة والتي اذا اخيفت اليها اشجار الكرم والبن المغروسة بجوارها كان لها منها منظر رائع .

(١) تاريخ المسيح تعريب مرح اندي الطون

(٢) هذا في زمن ربنا وقد ساح في سورية وفلسطين وبنات بين سنتي ١٨٦٠ و

١٨٦١ وكان الناصرة اليوم عشرة آلاف

اما المكان الذي بقيت فيه الناصرة فانه مكان شائع وليس في الدنيا كلها مكان افضل منه للأمل في العودة وازاحة . ولا تزال هذه المدينة ان اليوم مناما جيلا . اما سكانهم انهم قوم الفوا الطلف والبشاشة وحدثهم ما باردة خضراء . وقد وصف « انطونين مارتير » الناصرة في اواخر القرن السادس عشر فثبه ارضها مارض الجنة من فوط خصيبها . ولا يزال في غربي المدينة اودية خضيرة ينطبق عليها وصفه

اما العين التي كانت مركز الحركة في هذه المدينة وكنت حولها السرور شاملا فقد هدمت ولا يجري الآن من نهاسرى ما يذكر واما جبال النساء اذنا صريات اللواتي يجتمعن حولها في المساء من ذلك الجمال الذي كان مشهورا به في القرن السادس عشر انه للناسريات من صريح العذراء فانه لا يزال يترقرق بفي وجوههن فهناك الشكل السوري الجليل في ام خلقت . .

ولا شبهة في ان العذراء كانت تفت في صباها بين اولئك النساء حول العين ومنهم انما الماء الذي فيها . وقد قال انطونين مارتير ان ذاء اليهود بكر من المسيحيين في هذا المكان مع انهم بكرهتهم كرها شديدا في غيره . فكأن هواة وطن السيد لطب احلافهم . واذ نشرت في البغض الديني وجدته في هذا المكان اخف منه في سائر الامكنة .

واما منظر الانق من المدينة فانه قصير ضيق واكثك اذا صعدت الى الاكام المشرفة عليها ابسط ايمانك منسرجيل يسر الالباب فانه من الجهة الغربية يظهر لك جبل اكروم ممنداً الى البحر وداخله فيه وياه غيره من الجبال بينها وادي الأردن وسهول بديا المرتفعة . اما في جهة الشمال فتلك ترى جبال صفد متجبهة نحو البحر وهي تستر عنك عكا وتظهر لك خليج حيفا .

هذه كان افق يدوع . هذا كان في صباه انظر الدائم امام عينيه . هذا هو مهد ملكوت الله وسرير الديانة المسيحية . فلذا بقي العالم يحيا في مستقبل الزمان وصار اكثر احتراماً لاصول الدين واشد رغبة في استبدال الاماكن المقدسة المتكوك فيها بما كان حقيقة فما عليه الا ان يني كيسة على هذه الاكام التي كان يسوع يجلس عليها ويشاهد العالم . هناك يجب ان تقام الكيسة الكبرى التي يجب ان يجمع اليها المسيحيين من جمع اقلام العالم . هناك حيث يرقد يوسف النجار والوف من انما المناصرة المسيحية بحق للفيلسوف ان يقف ويأمل في مجرى حوادث العالم ليعزي نفسه

عما يصادفه الانسان في هذه الحياة من الفشل والخيبة في اعز ما يكون لديه ولكي يتحقق ان العالم سائر الى غرض الهي لا يصرف شي عنه مهما قام في سبيله من المصاعب والعثرات اهـ .

هذا ما وصف به فيلسوف الفرنسي الناصرة بلد يسوع الناصري كما كان يقال له والتي منها اشتق اسم النصارى ^(١) وهو وصف ينطبق كل الانطباق على حالتها اللهم الا ما جاء عفو الخاطر فكان اشبه بذيبيه شاعر مثل قوله في مكان الناصرة انه « ليس في الدنيا كلها مكان افضل منه للتأمل في العادة والراحة » ونظن مثل هذا القول يصح اطلاقه على جبال سورية عامة بل جبال الارض كانه في كلها تبعث الروح على التأمل فراغ الذهن فيها من كدورات المدن وازدحام الانفاس والانعقاد عليه الميول من المناظر الشائنة في هذا الوجود الغريب وكيف كانت الحال فيلسوف يعذر على ما قال انشأته وتربته التي قلما تجرد منها انسان مهما تزعم ربة النيرد والتنايد ولكن هذا القل لا يقدح في جمال هذا البلد الطيب واي بلاد لا تعيب لاهلها .

اما تاريخ الناصرة فله ارتباط كلي بتاريخ الجليل وبسبب عدم تداوم جيوش كسرى وعولا كوتبور هذا الالم لم يدم من غاراتهم وتخريبهم ولقد قال بعض مؤرخي الافرنج ان التسامح الذي اسداه المسلمون للمسيحيين لم يدم زمته طويلاً حتى ان وبالبالد لما وصل الى الناصرة سنة ٧٢٥ م لم يجد فيها كنيسة قائمة ومع هذا ذكروا بانها كان فيها سنة ٨٠٨ ثمانية عشر راهباً .

وقتل الامبراطور يوحنا سيميس على العرب واستولى على سورية وفلسطين واحتل طبرية عام ٩٢٥ وجبل تابور والناصرة ولكن ادخل عليه خصيانه السم فعادت الولايات التي افتتحتها فسقطت في ايدي العرب . وقد قال ساولف ان تذكرد لما فوضت اليه بفتح القدس بلاد الجليل سنة ١١٠٠ كانت معاهد الناصرة قد خربها العرب ولم يبق الا بعضها فاعاد الصليبيون بناءها واتخذوها كنيسة جامعة لهم . ولما سقطت ارض الجليل بد صلاح الدين بعد وقعة حطين آضت الناصرة ايضاً اليه فعطف على اهلها وفي خلال هذه العشر سنين العقودة بين الصليبيين وصاحب مصر في ٢٠ شباط ١٢٢٩ اصبح فريدريك الثاني امبراطور المانيا الحاكم المتحكما بالطريق من عكا الى الناصرة فرم هذه المدينة على انها ما كانت قط حصناً مهيماً

(١) باتقوت في المعجم والمقريزي في الخطوط

وفي شهر آذار ١٢٦٣ قدم من مصر في جيش هائل صاحبها الظاهر يبرس البندقداري وعسكر في منحدر جبل تابور وبث كما قال القس مسترمان برجاله يخربون البيع والاديار واطلق الحرية للمسيحيين على ان يدينوا بالاسلام ولكنهم ابوا ووقعت فيها وقعة هائلة قتلوا عن آخرهم . ولورخي الاديار اخبار يلونها واحاديث يقصونها عما لقيه القسيسون والرهبن من المظالم الى القرن الماضي ايام تنفس خناقهم بتولي الظاهر عمر امر الجليل فاصبحوا احراراً في كنائسهم وعبادتهم آمنين من عيث البدو الذي وقع مرتين على الناصرة ففروا اهلها في عقر دارهم .

وتاريخ الناصرة هو في الحقيقة تاريخ الاديار والمعابد فيها وقد قوي سلطانهم منذ جاء بونابرت وحاصر عكاسة سنة ١٧٩٩ وبث باحد قواده يعسكر في الناصرة وانهايت الاحسانات على الاديار من ام النصرانية في الغرب على اختلاف لغاتهم ومذاهبهم وما منهم الا من انتأ ببعة حتى بلغت اربع عشرة بعة وكنيسة ومعظمها من ضخامة البناء وحسن البناء ما يذكر بقصور الملوك ومنازل المترفين والفرنيسكان اقدم الرهبنة وارسخهم قدماً في الناصرة وكنيستهم مما يزار بعض الآثار التاريخية فيها وبكني انها اثر من آثار الكنائس في القرون الوسطى

وفي الناصرة يشد التنافس بين اهل المذاهب المختلفة من المسيحيين يعلون المذكور والاناث وبنسبتهم ما ياتون ويطلبون المرنى ويعطونهم العقاقير بلا مقابل من اي نخلة كانوا على شرط ان يستمعوا لوعظ الواعظين ونصائح دعاة الدين ولذلك قل سبب هذه البلدة الامير والجاهلون والقارئون الكاتبون من اهلها من الجفنين اكثر من كل بلد سواها في سورية يعيشون بصدقات المحسنين ويتمتعون بما تجوده ايديهم النقياء الغربيين

ولو اتصلت الناصرة اليوم بانسكة الحديدية مع خط حيفا على الاقل او لو مد منها خط الى القدس لما حج حاج من النصارى الا وتزل الناصرة يزور ويترك ولكن من ذلك للحكومة والامة فائدة مادية مهمة فمن مدن سوريا ما يعيش طول سنته مما ينفقه الزوار في مصابفها افلا يحذر بيلد السيد المسيح ان يعيش اهلها من ريع يأتيهم به عشرات الالوف من جمهور المؤمنين من المسيحيين . . . « للبحث صلة »

غابات سورية

تشجير أراضي السلطنة من أهم المسائل الاقتصادية المهمة التي يجب ان تصرف لها عناية العثمانيين وحكومتهم فقد جهل الناس منافع الغابات ولم تكن الحكومة بالهينة عليها حتى اتى السكان او كادوا في اكثر الاقاليم على ما لى لم الاجداد من الغابات الغيباء فكان الخطر يهدد بحياة البلاد الاقتصادية ويرى ان يستفحل الخطر لهذا الاممال قال العارفون ان في المحافظة على الغابات ببحر الزراءء والتجارة والمعامل والصناعات والملاحة البحرية والنهرية والمناجم وجميع اسباب الراحة في الحياة بل وحياتنا ايضاً . ودعا المحدثون من الاقتصاديين والمفكرين في الغرب الى حفظ الغابات قائمين بحفظها من اول مصالح المجتمعات وحفظها اول الواجبات على الحكومات واثبتوا انه كلما قطعت من بلد اشجاره يسي فقيراً لان في قطع الشجر انني تنشى مخدرات الجبال وقتها ثلاث مصائب لابناء الاجيال المقبلة : قلة الوند وقلة المياه وانعدام اللاد انفيضانات المخرة فحياة البشر منطاة بالاشجار . والام التي تحب الغابات هي من الامم العاملة التي تحسب للمستقبل حابه وتندر عرافة الافراد في الاخلاق والتقاليد يجعلون لهم منها رؤوس اموال فيفلحون بها ويرثشون

ابادة الاشجار بائحة من جوائح الازل ونذير اضمحلال الامم فلاحتفاظ بالامال والآجام هو تامين لبداء الدين الاجتماعي وقانون التكال الذي يربط الاجيال بعضها ببعض قال الوزير كولبر افرندوي ذات يوم وقد رأى قنة عمارة أمته بغاباتها : ان فرنسا ستهلك من قلة الحراخ

وليس معنى ابادة الغابات حرمان بلادنا من اجمل - ليها بل انضاب يتابع الانهار واخلال نظامها اخلا لا فيء الهلاك وانغريب والاضرار بالسمعة العامة وتغيير وضع الارض التي تحمها بافتتاً كل التربة الصالحة منها على الزمن بهيجوم المياه عليها دنعة واحدة وهو من اعظم الاخطار على التربة المخدرة . وفي عري الجبل من اشجاره يهلك الزرع والضرع معاً فنجري البول الى التربة الجرداء تحمل معها اولاً التربة الصالحة للزراعة ثم تفرج ما بين الصنهر وتحمل الاشجار وكلما مشرقاً على الاودية ويصبح النهر مسيلاً تكثر مياهه تنفيض ايام الامطار وتنال بدون نظام مودية بكل مافي طريقها وتتزايد زياده هائلة ففيض في السهل وهناك الفيضان والظوفان وتقطع الامواج بتيلها

الاشجار والصخور وتخرب السدود وتودي بالندور والقصور وتذك المدن من أسسها . تجري مياه الامطار على الصخر القاحل كأنها تمشي على سطح ديار وتخرب المراعي وتفيض الانهار حاملة تربة الجبال وحصاها واجبارها فتقطع بها مجاري المياه وتسد مصابيها وبعد ان تفيض المسائل كثيراً تصبح ولا ماء فيها ويختل نظام الاهوية ويكون من ذلك خراب رعاة الجبل وزراع السهل وتجار الثنور والمدن وصناعاتها . من اجل هذا صاغ لنا ان نقول انهم كلهم متضامنون في منع جرد الاشجار وتعمية الجبال .

واقعد نشأت في كل عصر مزار كثيرة من جرد الجبال من اشجارها وغاباتها قال احدكم^(١) كانت صقلية وافر بقية الثالاية والمغرب الاقصى انبار رومية في القديم فاصبحت قاحلة ماحلة بما تواتر عليها من غارات الدجال والعرب التي انتهت بتعظيم الغابات وكل ما يشاهد من الخرائب العظيمة في تونس والجزائر وبعض اعمال قسنطينة وفي غيرها ساعدة ناطفة بان هذه الاقاليم القاحلة اليوم كانت زاهرة اسس وفيها المدن العامرة عراها السقوط كما عرا اسبانيا من ابادة اشجارها وكم من خرائب حفر فيها وهي رمال او انقاض فشهدت تحنها مدن كانت عامرة بمياهها المطردة وحداثتها الغيابة وغاباتها الغناء فلم ثوت الا من قطع غاباتها ونسفت الرياح الرمال كي تلك المدن فاصبحت كأن لم تكن بالامس

ولقد ثبت ان فقر البلاد ولا سيما الجبلية منها ناشيء من قطعها الاشجار خاصة . وكلما توغل المرء في دراسة التاريخ يجد التواهد الكثيرة على تأثير الغابات في تكثير السكان فقد كان لبلاد اليونان وهي اليوم فقيرة قليلة السكان غابات وانهار^(٢) وان اجذاب الحقول الرومانية وخرابها ناشئان من تجرد جبال الالبين من اشجارها . وجبال الالبين تقطع ايطاليا الى شطرين . وقد ناب اسبانيا انحطاط سريع من هذا الشأن فبعد ان كانت في القرن السادس عشر على عهد شارل كان وفيليب الثاني عامرة غنية محترمة انحط عمرانها في القرن السابع عشر من دون ان يضر بها عدو او تسبيح حماتها أمة غازية فلم يمحض عليها قرن الا وقد رأت جميع علامات الانحطاط وقل سكانها على صورة مدهشة فنزل سكان مدريد من اربعمائة الف الى مائتي الف في اوائل القرن الثامن عشر والسبب في تزوح السكان تلك المجاعة التي حدثت من الجفاف الذي دعا اليه ترمية البلاد من غاباتها ترمية اخلت بنظام الري . حتى ان نهر المانزاريس كان في القرن السادس عشر

(١) مجلة مطالعاتنا في بيوتنا (٢) جغرافية اليزة ركلوس بالفرنسوية .

قابلاً لسير السفن في على مقربة من مدريد فاصبح اليوم جافاً . وانهم ليزجون في اقليم اراغون الرمل بالخرب بدل الماء عندما يريدون ان يجلبوا الطين . فنفوس البلاد وعظمتها على نسبة غناها بغاباتها . وبلاد روسيا أكثر اوروبا غابات فان اربعين في المئة من اراضيها مغطى بالاشجار و١٦ في المئة من ارض فرنسا وارض ايطاليا مغطاة بالاشجار و٢٤ في المئة من ارض المانيا و٦ في المئة من ارض البرتغال و٥ في المئة من ارض فارس و٣ في المئة من ارض اسبانيا وبلاد اليابان أكثر بلاد الدنيا غابات . وتبلغ مساحة الغابات في الولايات المتحدة خمسة اضعاف مساحة فرنسا ويحرق منها في السنة نحو ثلثمائة هكتار وكثيراً ما يلتهب قسم من غابة تفتحي الايام مشتعلة وربما حرق فيها قرى بسكانها كما حدث في حريق البحيرة العالية وحدث هذه السنة قدام الحريق اياماً ذهب فيها مئات الالوف من الليرات .

ليس من جميع النباتات التي تنبت في الارض ماعدا الخنطة التي هي اول المواد اللازمة لغذاء النبات ضروري لنا كالعابيات نافع يحمده اثره : فلشجرة منافع كثيرة وتأثير عظيم في الانواء والحدوث الجوية في كل قطر فهي تصفي مياه الامطار وتعيد لها بيطاء الى النباتات والهواء وتحول بورقها وجذوعها دون جريتها سريعاً فالاشجار لاتمسك الماء فتطبل تجذبه ثم تنظم هطول الامطار وتقلل من الفيضان وتبقى التربة في ظل الاشجار ندية خلال ايام القيط . ونظام الغابات نظام للاهوية . فالشجرة تنمي التربة من صدمات قطرات المطر والبرد فيكثر في الشتاء الثلج على قمم الجبال وتحول جذوع الاشجار واعصانها دزين سقوطها وتطبل مدتها وتذوب ببطء وتفصل القشرة الرقيقة تحت سطح الارض وتغذي النباتات وتعطي مزروعات الاودية الرطوبة اللازمة لها . وان جذوع الاشجار في العقاب والثلعات لتمسك التربة عن الانهيار وتقبض الصخور المتفككة وتحول دون انهيار التراب

وكم من اشجار هي مأوى الماشية منذ قرون وحامية حياة الانسان كما هي حامية الهوام والحيتوان وكثيراً ماتتبت الرياحين والورد في اطرافها كما ان الاشجار تملك الحمايات وتمتد رطوبة المسقطات وتطهر هواء الاقليم بفضل حفيفها المنبعث من اكتظاظ الصحور اجزاء . ونقد صدق من قال من عشاق الاشجار « تأتينا الشجرة بالماء ومن الماء صرح والمرج يغذي الماشية ومن الماشية ينشأ الساد ومن الساد الخنطة »

لاجزم ان كل من جال حولته في اوروبا واميركا يعرف مقدار حرص الفريضة على

الانتفاع بالغابات . فقد قامت الجرائد والجمعيات في فرنسا منذ مدة تدعو الى تشجير الاراضي الوعرة او الغير الصالحة للزراعي والى تخضير الاراضي المخدرة انحداراً قليلاً ولسان حالها يادي انا ترمي الى انتاذ ارض الوطن والمحافظة على ارض ثروتنا وبدائنا في التلبيح ونريد تربية فكر الطفل منذ صغره على قدر حسنة الغابة . قدرها فيهاها يحسن الجو وتطرد مجاري الانهار ويحفظ الشعب ويكثر غذاؤه للماشية والسائمة والحبال اجمل منظرأ والسهول اكثر ابتسامة . واقبلت الجمعيات وغيرها تنشر مندورات في فوائد التشجير وتوزعها على الفلاحين واشتغل مجلس النواب ومجلس الشيوخ بذلك مدة طويلة

وقامت انكلترا^(١) تريد تشجير كل ما يمكنها تشجيره من ارضها ولا سيما في السواحل البحرية التي تسطو عليها مياه البحر تريد بذلك ان تجد عملاً للبطالين وتقدرت اللجنة التي عهد اليها النظر في سطح الارض التي تعطي اذا شجرت اكثر مما تعطي الآن من الدخل فكانت ٠٠ ٠٠ ٣٦٠ هكتار^(٢) من ثمانية ملايين بدون ان يمس الداح المغروس من الجزائر البريطانية وايرلاندا وتبين لم ان غابات انكلترا اقل من غيرها من غابات البلاد الاوربية وان الحكومة لا تموت بثباتا ولذلك يتيسر لها ان تكمل ما بدأت به من الاعمال الى الغاية المطلوبة على خلاف الافراد فان الفرد يصعب عليه ان يصرف شيئاً ربما لا يأتيه في حياته فن ثم كانت الحكومة اقدر على تشجير الغابات واستثمارها بعد سنين طويلة خصوصاً وان بيع الاحشاب والاحطاب لا يصعب على حكومة وقد رأوا ان ماتصرفه للحكومة من المال وتنتظر الحصول عليه يأتيها من الواردات بفادته مضاعفة وانه ليس من المدل ان يصرف ابناء هذا الجيل ما يتسطف ثمرته ابناء الجيل القادم اي بعد ثمان سنة وهي المدة التي لا يتأني الانتفاع بالغابات في اقل منها فاذا شجرت الحكومة كل سنة ثلاثا وثلاثين هكتار تدفع في السنة الاولى ١٦١٣٥٦٠٠٠ فرنك وتكثر النفقة سنة عن سنة حتى السنة الاربعين فيكون قد بلغ ما صرفته ٣٩ مليون فرنك وتعادل النفقات الدخل بعد هذه السنة الى السنة السبعين وبعدها يزيد الدخل على الخرج فبلغ الدخل الصافي نحو اربعة في المئة فتكون اذ ذاك ٢٤٨ مليون فرنك وتساهي املاك الحكومة من الغابات ثمانية مليارات فرنك اي انها تبلغ ملياراً ونصفاً زيادة عما كلفتها . وكل هذه النفقات والمداخيل محسوبة باسماءها المانحة ولم ينظر فيها الى غلاء اجور

(١) مجلة الافكار الحديثة الفرنسية (٢) الهكتار مئة آراو عشرة آلاف متر مربع

العملة وارتفاع اسعار المحاصيل ورأوا ان ما يعرض للغابات من التخريب الناشئ عن الحريق والحشرات والتلج والدوامف وغير ذلك يعادل ما ترسبه الحكومة من ارتفاع الاسعار لان ما ينفق من الغابات يزيد على ما يخرج منها الآن في البلاد المتقدمة . وهذا التشجير يشغل تسعين الف رجل طرل السنة عدا من يدخدمهم من ارباب الحقول موقفاً

نعم ان تأثير الغابات في المناخ وازطاماء وتخصيب الارض وتطهيرها وجمالها وفائدتها الاقتصادية والوطنية لا ينكرها الا اعنى البصر البصيرة . وما ذكره من منافع الغابات للوطن ان غابة هوسين وهي غابة صيرة تمتد بين نهرى الرين والف . تولد قد صدر كتاب الرومانيين عن التقدم . وكذلك حلت انكسار مسألة الغابات وهي موطن الاستقلال الشخصي واحكام الاملاك الخاصة وتنظيم الادارة المركزية لعلها بان الافراد في هذه المسائل لاصرهم بقدر الحكومة ولا عجب فهي الحكومة التي تفرس الغرسة اليوم وتنتظر جني ثمرها بعد قرن او قرنين هذا في البلاد القاصية فما بالك بها في عقر دارها

اليك اقل ما يجب ان يقال في وصف منافع الغابات والتشجير وبدل تكى مبلغ عناية الافرنج بها وهم اعرف الخلق بالاشاع من هذا الوجود . وان من يطوف العالم والمجاهل من بلاد سورية ليستنتج ان عناية اجدادنا بالغابات لم تكن دون عناية الغربيين بها اليوم وان كانت البقية الباقية منها لاند خاة ولا تغني اهلها . واذا كانت الحكومة في القرون الاخيرة لانهتم الا لتكثير الجباية والعشر ولو باستنزاف دماء الفلاحين وكان الامن اذا ارتفعت اعلامه في بعض الاقاليم فانما يرتفع بالقرب من الحواضر والنصب والهدساكر كانت الغابات في الغالب بين الناهيين وغرباً لاسنان القطعان وفؤوس الخطابين ولم تؤسس في الدولة نزالة للغابات الا منذ سنين قليلة وكأنها لم تكن الا لتأتي ايضاً على ما ابتته طوارق المحدثان من غابانا الجميلة لان عمالها يساعدون على نقلها وكان الواجب عليهم ان يساعدوا على تكثيرها .

وكم من جبل في سورية اجرد امرد لأشجرة فيه يجبل قلمون^(١) الذي تمشي فيه ساعات ولا تجد أثراً للزرع ولا للشجر حتى قال احد الحناب ممن زاروه مؤخراً :

(١) المنتبش م ٤ ص ٣٦٧ .

كنت اتمنى في حياتي ان اشاهد جبلاً أجرد من الكلاء والنجس فيها قد قرئت عيني في قلوبكم بمشاهدة ما كنت اريده من الجبال الجرداء .

واكثر جبال سورية غابات فيما احسب جبل لبنان ^(١) ففيه من الاشجار الغبر المثمرة الزان والسديان والسرو والارز والارز اهمها ومنه غابة بالقرب من قرية بشري قديمة وانالب هي التي كان يحمل من خشبها ايام الفراعنة الى مصر لبناء السفن والمعابد وغيرها فيؤتى به الى جبيل او الى طرابلس ومنهما يحمل في سفن شرعية . ولعل غابات دير القمر والباروك وعين زحلنا كانت تحمل الى صيدا ومنها نقل في المراكب . قالوا ان الحكومة في لبنان كانت تحتكر اربعة اشكال من الشجر تستثمرها لحزبنتها وهي السرو والعرعر والارز والسنوبر وتسمح بقطع غيرها واحتطابها . وقامت الغابات في لبنان منذ نحو خمسة قرون لاحتياج السكان الى الاحتطاب واخذ القوم يتلغون الغابات ويفرسون بدلاً منها اشجار التوت والكرم . وشجرا الارز . لا تفرد به جبل لبنان مزدون سائر جبال سورية ولا وجود له الا في اعالي سيرايلاد الضنية في وادي النجاص ففيه كثير من شجر الارز وبين سيرايلاد السكر وفي الغابة الواقعة خلف وادي جهنم ويسمى توب .

ويكثر شجر الشوح في جرود الهرمل وعكار وهي في الغالب من الاملاك الاميرية ينتفع بها الاهلون . غنية او يدفعون ثمنًا قليلاً للاحتطاب منها كما هو الحال في جبال عجلون . وفي جرود الهرمل وعكار صنوبر وسنديان وانك لتمر في جبال طويلة عريضة لا ترى الا السديان وكذلك جرود الضنية وعكار من اعمال طرابلس كلها حراج تفضلها الحكومة

وبلى مسيرة يوم من شرقي حماة غابات من شجر البطم وهي الفستق البري بعينه نسي النورية والباعس وهي منازل للعربان يقطعون منها ماشاءوا ويرعون فيها ماشيتهم وقد اضيفت الى الاراضي المدونة اي الاراضي السبية فازدت الاخرابا على خلاف بعض الاراضي التي ضمت الى الاراضي المدونة في العهد الحيدري فكان من حظها انها عمرت وارتفع فيها علم الامن .

واخبرنا احد اصحابنا ان في قرية حرمل من جبال الاميرية وسكانها تركان غابة زرعها اهل تلك القرية منذ زهاء عشرين سنة فطالت كالرماح وحسن طلوعها به .

ثلاث سنين من غرسها بما دل على ان جبال النصيرية كانت الا قليلاً مغطاة بالغابات التي لم يبق منها اليوم الا اثر ضئيل ورسم محيل . ولو توفرت عناية الاهلين في الجرود والجبال لغرسوا من الغابات ما يكون منه لانتائم واحفادهم خير ثروة يخلفونها كما فعل اهالي الزبداني فغرسوا شجر البلوط في مكان يدعى قلعة السنديان في الجهة الغربية من الزبداني واذا امتدت هذه الغابات في سلسلة ذاك الجبل حتى تصل الى نبع بردى تأتي منها فوائد كثيرة لوادي الزبداني ووادي بردى ثم لهدنى وغوطم . اذ تكثر بذلك الاملاط وتخزن المياه لتبع بردى المجاور لتلك الجبال ومن ورائها وادي القرن والحريير وفيها بعض الاشجار القليلة وهي ملك اصحابها لا الحكومة

وفي الجبل الشرقي اي في بلاد حاصيا وراشيا غابات قليلة كما انه نقل الغابات في جبال فلسطين وفي بلاد الصلح نبات غير قليلة ما برحت الى الانقراض ومنها غابة قرب القصبه اقتلعها الاهلون وغرسوا منها كرمًا يأتينهم بالعنب الجيد بلا زرع كنب ازميز الا انه بقي اثر منها دلالة على عظيمة تلك الغابة العظيمة . ونقل الغابات في بلاد حوران واحسبها ما كان في جبل المدروز ولذلك كثرت مياهها اكثر من غيره من الاقاليم ومثل ذلك يقال عن غابة عجول التي تبلغ مساحة المستعمل منها خمس ساعات طولاً وثلاث ساعات عرضاً ولا يأتي عليها عشرين الا وانقرض عن آخرها

وبعد كتابة ما تقدم رأيت ان تأتي على ذكر الغابات من المصادر الرسمية فعملنا ان غابات ولاية سورية كثيرة واهمها ^(١) في قضاء بعلبك وتبلغ مساحتها عشرين الف جريب . والجريب يقرب من عشرة دونمات . وشجره من السنديان والدرعر ويقل فيه الصنوبر وشجاره غير صالحة للاخشاب وهي معرضة للاحتطاب منها على الدوام فلم تنبسر لادارة الغابات حراسته على ما تنفهي به المادة الخامسة من نظام الحراج لخدمة الموظفين وصارت الى حالة مؤلمة وبعض هذه الغابات تدعى الاهالي ملكيته وادارة الغابات تدافعهم في دعواهم . واهم هذه الغابات غابة حلبنا ووادي نيرة وما عداها فتتسلسل منهما وليس في قضاء البقاع غابات مهمة بل ان الاهلين يجنبطون من غابات الهرمل التابعة لمصرفية جبل لبنان وهناك بعض غابات في سفوح لبنان يضمها مشترك بين البقاعيين واللبنانيين .

وحراج وادي العجم متفرقة وتبلغ مساحتها نحو ثلاثة آلاف هكتار وحراج

(١) تشكر حسن حسني بك مفتش زراعة سورية لاعطائه ايانا هذه الايضاحات

اقتضية حاصبيا وراشيا. والقنيطرة مثل حراج بعلبك تسمى باسماء القرى المجاورة لها وتقدر مساحتها بثلاثة آلاف جريب تكاد لا تكفي لاحتطاب المكان الاعلى صورة ضئيلة . وليس في قضاء الزبداني حرج جدير بالذكر سوى حرج صغير أصيب بما أصيبت به سائر الحراج ولا سيما في وادي القرن ووادي الحرير فاصبح اكثره غير صالح للاحتطاب . وليس في قضاء دوما والنبك ما يصح ان يسمى غابات سوى بعض اشجار من السنديان والبوط متفرقة في الاودية والقمم من جبال قلمون هي ملك الاهالي يحطبون منها فتقل سنة عن سنة

هذا في الاقتضية التسمية التي هي من عمل الولاية اولواها وفي لواء حوران اهم غابات في ولاية سورية وهي من عمل قضاء عجلون طولها ٢٦ ساعة وعرضها ٢٣ ساعة وفيها ٢٣ قرية ١٣٧٥ بيتا ومزرعتان ومساحتها من ٣٠ الى ٤٠ الف جريب ونصفها اليوم غير صالح للقطع يحتاج للحراسة كل الاحتياج والنصف الآخر يصلح للاحتطاب منه وعمل الفحم الا انه بعيد في بنجاد وعرة ولقلة العملة الذين ينوفرون على عمل الفحم منه اصبح كأنه لم يس . ومدينتنا دمشق يأتيها الفحم اللازم لدفعها ووقودها من غابات عجلون واذا لم تبذل العناية بوقاية الغابات مما يلحقها من المضار توشك ان تخترم بعد سنتين من الفحم فيباع قطاره الذي يباع الآن بمئة وخمسين في الشتاء بثلاثة اضعاف ثمة . فبسوء ادارة الحكومة لزمنا قطعة من هذه الغابات لا يقل المستخرج منها عن خمسين الف قنطار يبعث بالوسائل على انه ليس فيها سوى ستة آلاف قنطار . واشجار هذه الغابة لا تصلح للغشب والدفع وان كان الفلاحون هناك يعتمدون عليه في ستوف بيوتهم فنما الصنوبر والسنديان القطلب وفي غابات عجلون نوع من شجر الزيتون البري . هذا في غرب انليم حوران وفي شرقي اي في جبل الدروز غابات قليلة الاهالي ينتفعون بها في وقودهم

وفي لواء الكرك بعض الغابات واحمها ما كان في الصلت ومساحتها نحو ستة آلاف جريب تحتاج للترك الآن والحفاظة عليها لكثرة ما عبت فيها فأس الخطاب والانتعاش وفي قضاء الطفيلة غابات ولبعدها عن العمران لا يرغب في الاحتطاب منها فلا يسفيد منها القرييون ولا البعيدون وجنسها من العرعر وفي بني حميدة من اعمال قضاء الكرك غابات جباد هي ملك بني حميدة

البك مافي لواء حوران والكرك على الجملة اما لواء حماة فليس في مكره ولا في

حصص حراج والاھالي یجلبون احطابھم وھجومھم من حراج الھرمل فی لبنان ومن غابات بعلبك ومن حراج البعلاس التي كانت من املاك السلطان السابق فاستجبت لامة . وفي قضاء الممرانیة حراج متفرقة تسمى باسم القرى المجاورة لها وكذلك الحال فی غابات سلیة

وقد بلغت واردات الغابات الامیریة سنة ١٣٢٢ شرقیة ٤٨٤١٤٨١ غرتاً صحیحاً وسنة ١٣٢٣ — ٧٠٠١٨٩ وسنة ١٣٢٤ — ٦٥٠٤٦٠ وسنة ١٣٢٥ — ٦٦٦٩٨٩ وبلغت سنة ١٣٢٦ الى آخر شهر تشرين الثاني ٦٤٨١٨٨١ غرتاً .

ھذا فی ولایة سورية اما ولایة بیروت فالحراج موفرة فی اکثر الویتھا واقضیتھا علی ضیق مساحتھا ففیھا بعض الغابات الصغیرة راكثرتها فائدتھ فی الانتفاع^(١) والاحتطاب ماكان منها داخل لواءي اللاذقیة وطرابلس الشام فی الجهة الجنوبية من مدینة بیروت فی الرمل غابة من الصنوبر تقدر بأثنی دونم وطول اشجارھا نحو خمسة اوسنة امتار ومحیطھا من ٤٠ الى ٥٠ سنیماً وبعنی كل السانیة یحفظھا وقد ذكر التاریخ ان ھذه الغابة غرست قبل سنة ١٢٦٧ھ وقد خیف من انهیال الرمال علی الارابی الزراعیة . وفي قضاء صیدا ومرجیمون عدة غابات مبعثرة ینتفع بها السكان فقط

وعلی ثانیی ساعات من صور غابات فی وادی المصارى وساحل علما ووادی الخنازیر وھی واسعة فی الجبل و شجرھا من السندیان ومحیط اكبرھا متر واحد وطولھا خمسة امتار لاكنی للبناء بل ینفع فی الحطب والفحم وقد جرى اھلھا فی اقتطاعھا علی الاصول فلم تقل انواعھا وكذلك تجد فی الجهة الجنوبية من القضا غابات فی وادی كركر ووادی البالون ووادی التھور .

وفي لواء عكا عدة غابات منها واحدة فی الجهة الشمالیة من ناحية شفا عمرو وھی علی نحو خمس ساعات من المواني المجاورة . ھی معروفة باسم الغربی ومرج وعاد والھوفی والزیت وتقدر مساحتھا بنحو اربعین الف دونم وجميع اشجارھا من السندیان ومعدل طولھا من ٤ الى ٦ امتار ومعدل محیطھا من خمسن سنیمتراً الى متر واذ كانت ھذه الاشجار لا تكنی الصناعات والبناء جھلھا اھلھا للاحتطاب واخذوا یبعثون ببعضھا الى الخارج . وفي قضاء حیفا علی اوبعانة او خمسمائة متر عن سطح البحر غابات فی جبل انكرمل ووادی العسل والعصامة والحاری والباخور تبلغ مساحة ارضھا نحو ٤٢ الف

(١) تقویم (سالتامة) ولایة بیروت سنة ١٣٢٦ھ .

دوم وهي قصيرة الطول والجسامة وهي كغابات صيدا وصور لاتنفع لتيز الاحتطاب

وام الغابات الموجودة في لواء طرابلس في عكار والضيعة تقدر مساحتها بزهاء مئة وخمسين الف دوم تمتد من قريتي غابات وتحفت الى آخر حدود ناحية الضنية وهي منبثة على سطوح مائلة ويقدر معدل ارتفاعها بسبعة آلاف متر وامها القبايات وعفت وارمون . عرض والحريق وروبر وجورديرين ووادي جهنم وفاطروفرم والضيعة وهذه الاشجار تنمو في سفوح الجبل والساحل وهي لاتطول وتنزع خشب البناء وهي من نوع السنديان والصنوبر وشراة الرعي والعرعر وعدا هذا تجد اشجار الصنوبر والذوح منبثة على خط مستقيم بين مسيل المياه والروابي تعلو من خمسة الى عشرة امتار ومحيطها من متر الى متر ونصف وبتنفع باخشابها في جميع انواع الصناعات وفي كل هكتار اي على حساب عشرة امتار مكعبة تجد اشجاراً صالحة للبناء تعادل ١٣٦ الف متر مكعب كما يوجد في كل هكتار من الارض باعتبار عشرين متراً مكعباً وهي تعادل ٦٦٠ الف متر مكعب من سائر الاشجار والخشب الذي يقطع من هذه الغابات يحمل الى حماة وحمص وطرابلس واعمالها من القرى والديسبار .

والغابات الموجودة في لواء اللاذقية هي في اقضية جبلة والمرقب وصهيون وناحيي باير وبوجاق وهي من الساحل على ساعة الى احدى عشرة ساعة وامها في باير وبوجاق وبوغدول نية وجبل حسن ايت وجبل الملك وقزل خاقي وجورتلسم وبثالي ودر بوي تبلغ مساحتها ١١٠ الف دوم والاشجار القريبة من الساحل يبلغ محيطها من ثلاثين سنتمتراً الى متر وطولها من ثلاثة امتار الى اربعة وها مستخرج خشب البناء ولصنع القوارب الصغيرة والصنوبر الاحمر والايض يستخدم في بعض الحال في الابنية وامم ما تقدم من الغابات غابات ناحيتي باير وبوجاق تقرب مساحتها من ٣٢ كيلومتراً مربعاً والقسم الاعظم من اشجارها اي ٩٠ في المئة منها يختلف محيطه بين ٣٠ الى ٦٠ سنتمتراً وطولها اربعة او خمسة امتار . وتدرت الادواح العظيمة وفي الاطراف والبلاد المجاورة تجد بعض الغابات يمكن تقديرها بثلاثة آلاف شجرة صنوبر اسود اكثرها يختطب منه اهالي القرى ويحمل بعضه الى بيروت وفي وسط هذه الغابات على تخوم اسكندرونه غابة اسمها فوز تحيط بها اشجار الصنوبر وتقدر مساحتها بالف هكتار من السنديان

وقد بلغت مداخيل غابات ولاية بيروت ١٥٠٦٠٠ غرض بيع منها ١١٩٠٠٠٠٠

اوقه من الفحم و ٩٠٠٠ اوقه من الخشب واكثر ما يبيع منها في بيروت وجوارها
وسواحل مصر .

هذا ما لقناه من مصادر متنوعة ونختم هذا الفصل بشرب ما كتبه شاكر بك مفتش
غابات ولاية سورية السابق وقد سأله ان ينشئ لنا شيئاً في حالتنا مع غاباتنا فكتب الينا
ما نشره بما يأتي وهو يصدق على غابات سورية باجمعها اي ولايات حلب وبيروت
وسورية والوية القدس وابنان والزور قال : الغابات احدى منابع الثروة الطبيعية للدولة
والامة وربما كانت الاولى في بابها وما من ينكر استغناء احد عما ترأى به من الحطب
والفحم والخشب وغيره ولا سيما في ولاية سورية حيث تكثر حاجات الاهالي الى الغابات
اكثر من غيرها ومع هذا فلا نرى من يلتفت الى هذا الشأن ويبحث في اسباب دفع
هذه الحاجة مما يوجب الاسف الشديد .

ليس من ينكر ان الغابات تنقي الهواء وتجلب الامطار وتمنع الزهقة الواقعة في الحقول
المسطحة من الانهيار وفيها من المنافع العامة ما ينفع في رعيه الاغنام والمواشي وغيرها وكنا
نسلم باننا نطبخ كل حين طعاماً ونفسل ثيابنا وندفئ غرفنا بالفحم والحطب

ولئن رأينا اليوم مواقد تحمي بالتبرول ويستفاد منها بعض الشيء الا ان هذا الطباخ
لا يقوم في وقت من الاوقات بدل المنقل وكونين المطبخ على الطرز القديم وذلك لان
الطعام اذا طبخ والفصيل متى غسل تطفأ تلك الموقدة واذا فرضنا اننا اوقدناه مدة طويلة
فمن البديهي انه لا ينشر حرارة تنبه حرارة المنقل ولا الكانون بحال من الاحوال .
ثم ان من وسائل التدفئة والتسخين ان نرى بعض المواقد التي يستعمل فيها زيت التبرول
وهذه لا تزيد الحرارة الطبيعية في الغرفة الى اكثر من درجة الى درجتين في الاكثر .

اما اخشاب البناء فانه يؤتى بها الى هنا من غابات اطنه وقونه وآيدين فتباع بثلاث
ليرات واحياناً باكثر من ذلك في حين انه من الممكن زرع شجر الصنوبر والسنديان في
هذه الغيار من اجود الاجناس وكل من يشغل بالزراعة يوافق على هذا الرأي

ومع ان قطار حطب الزيتون والشمس يباع من خمسة واربعين الى خمسين قرشاً
فقد كانت ترتفع اسعار قطاراه الى نحو ليرة ونصف لو كان المعول في احماء الحمامات
والاقران عليه

وهنا لا ارى حاجة لبيان فوائد الغابات بل اقول على سبيل المثال ان ما حرق من
الفحم من جزء صغير من غابات عجلون قد بلغ سنة ١٣٢٤ (عشرية) ٤٠١٣٢٠٠٠

كيلو أخذ من رسم ١٤٥٢٠٤ غروش صحيحة أو ٦٧٢٠٣٢١ غرشاً بمعاملة دمشق
الرائجة المتداولة

ولو عني الفلاحون وفقيرهم قد يملك من ثلاثين الى اربعين دونماً من الارض وهو
يتكاثر معظم السنين في استنساخها كلها بحجة ان ليس لديه بقر او صكة او بذار ويترك
قصباً منها بوراً لو عني بزرع شطر من ارضه او على حدودها ومجاري المياه اليها اشجاراً
وحراجاً لا ظلكه ومواشيه وابناء الـ بيل بظلمها واستخرج من اغصانها ومن اليابس منها
حطباً لدفنه ولو اكثر منها زيادة لاستطاع ان تخرج له خشباً ونخلاً فيغني بها بعض
الشيء . وبالجملة فان كل امرئ اذا ربي غابة فكأن اسس لنفسه مصرفاً (بنكاً)
دائماً لان الغابات رأس مال لا ينفد في الحقيقة .

يبد ان اهل القرى لا يفكرون في هذا الامر ولا يلتفتون الى ما يصح لهم به من
قطع الاشجار بل يقطعونها من اصولها وهناك الضرر الذي لا ينكره العتلاء
ولقد جرت المداولة بشأن الحراج والغابات في المجلس العمومي هذه السنة والتي
قبلها وتمهدت الحكومة ان تأتي الفلاحين ببذور الغابات لمساعدتهم ولكن لم يراجعها
احد في هذا الشأن والحكومة متكفلة بالقيام بكل انواع المعونات . ورجائي ان يعمد
الاهلون بدلاً من تخريب الغابات واستئصالها الى احياؤها وتمييدها وبذلك يحفظون
منافعهم ويحافظون على حقوق الخزينة والله الموفق

النفس الانكليزية

لم تبلغ امة من الدماء ما بلغه الانكليز فيه وكأنه خلق استحكم فيهم مع الزمن وتوارثه الاخلاق عن الاسلاف وتسلسل فيهم حتى اتى بالعجائب ومن درس تاريخ هذه الامة يراها تصبر وتصابر لاول وهلة وقلمها طاش لها سهم فاذا رأت الفرصة وثبتت ومضى انفسح لها المجال جالت .

ثبتت هذه المقدمة من مسألتين تجلّ فيهما دماء الانكليز في التاريخ وهو ان الحروب الصليبية التي دامت في سورية نحو قرنين وأهدرت فيها الدماء سيولاً لم تنته وتزيج دول النصرانية عن حرب دولة الاسلام الا بتدخل ريشاردس قلب الاسد صاحب انكلترا اذ ذاك في الامر فرض سراً ان يزوج اخته من ابي بكر بن ايوب شقيق الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب ولورضي القسوس لما تأخر صاحب انكلترا عن اجراء هذا العقد فانظر الى دماء هذا الرجل وهو في القرون الوسطى وفي صدد حرب دينية كيف يتساحل بزواج اخته من غير ابن نخلته حرصاً على مصالحه . قال ابو الفدا في حوادث سنة سبع وثمانين وخمسمائة : ترأس الفرنج والسلطان في الصلح على ان يتزوج الملك العادل اخو السلطان باخت ملك الانكشار ويكون للملك العادل القدس ولامرأته عكا فحضر القيسون وانكروا عليها ذلك الا ان يتنصر الملك العادل فلم يتفق بينهم حال .

هذا هو الباب الاول الذي طرقة ملك الانكليز فلم يفلح لتعصب قومه وكان قد رأى ان ملك الالمان جاء عن طريق الاستانة براً الى فلسطين في مئة الف من رجاله فهلك معظمهم في بلاد الارمن ولم يصل منهم على ما قال المؤرخون سوى الف نسمة حتى ان ملكهم هلك غرقاً في نهر في الاناضول كان انغمس فيه ليستحم فابقن ريشاردس ان امر هذه الفتن يطول وان الغنيمة التي دعا اليها بطرس الراهب اسيه استخلاص بيت المقدس من ايدي المسلمين لا تنوازي هذا القدر من العناء فطرق باباً ثانياً فجاء بعد ان شاهد حبل الصليبيين قد اضطرب وطلب الصلح بعد ان بنست الرسل في عنده وعجل بمخاطبة صلاح الدين في معنى الصلح فبعث في احدى تلك السفارات يقول لصلاح الدين لا يجوز لك ان تهلك المسلمين كلهم ولا يجوز لي ان اهلك الفرنج كلهم قال القاضي ابن شداد بعد ان ذكر ماعرضه ملكهم من شروط الصلح العجيبة : فانظر الى هذه الصنعة في استخلاص الغرض باللين تارة وباللاؤفة اخرى وكان مضطراً

الى الرواح وهذا عمله مع اضطراره والله المسؤول في ان يكفي المسلمين مكروه فما بلوا باعظم حيلة ولا اشد اقداما منه ٥٠٠ ولقد كانت ملك انكلترا صادق جماعة من ممالك صلاح الدين ودخل معهم دخولا عظيما بحيث كانوا يجتهدون به في اوقات متعددة وكان في كل هذا يحفظ الجذب بالزل حتى يتوصل الى مأربه الا وهو استرجاع بيت المقدس الذي استقله صلاح الدين منهم

ثم تذرع ذلك الداهية الى انفاذ اهل نخلته من نمر الفتنة وكان المسلمون قد ضاقوا ذرعا بمداومتهم وزحزحتهم عن تلك الديار فبادر صاحب انكلترا الى عقد الصلح سنة ٥٨٨ هـ وسبب ذلك كما قال ابو الفدا ان ملك الانكليز مرض وطال عليه البيكار (٩) فكانت الملك العادل يسأله الدخول على السلطان في الصلح فلم يجبه السلطان الى ذلك ثم اتفق رأي الامراء على ذلك الموطأ البيكار وسجى العسكر ونفذت نفقاتهم فاجاب السلطان الى ذلك واستقر امر الهدنة ولم يخلف ملك الانكثار بل اخذوا يده وعاهدوه واعتذر بان الملوك لا يخلفون وتنع السلطان بذلك وحلف الكنديري ابن اخيه وخليفته في الساحل وكذلك حلف غيره من عطاء الفرنج ووصل ابن المنفري وباليان الى خدمة السلطان ومعهما جماعة من المقدمين واخذوا يد السلطان على الصلح واستخلفوا الملك العادل اخا السلطان والملك الافضل والظاهر ابني السلطان والملك المنصور صاحب حماة محمد بن نبي الدين عمر والملك المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص والملك الاجيد بهرام شاه ابن فرخشاه صاحب بعلبك والامير بدر الدين بلدرم الباروقي صاحب تل باشر والامير سابق الدين عثمان بن الناية صاحب شير والامير سيف الدين علي بن احمد المشطوب وغيرهم من المقدمين الكبار

هذه هي المسألة الاولى التي تجل في الداه الانكليزي في اجلى مظاهره والمسألة الثانية وهي احدث من الاولى عهدا ولكن نخلها مئات من المسائل كلها سلسلة داه هي مسألة الاستعمار فان الانكليز لم تفتح امامهم مصارف جديدة للتجارة الا لما اكتشف كريستوف كولمبس اميركا ولقد تقدمت البرتغال غيرها من الدول لاستعمار الارض وتلتها اسبانيا ثم هولاندة وقد بلغت هذه الدولات الثلاث اوج مجدهن الاستعماري في النصف الثاني من القرن السادس عشر ايام كانت انكلترا لم تظهر بعد فلي لمع الاستعمار ثم جاءت فرنسا فانكلترا ولكن هذه الدولة بزت بالدول

الاربع الاول واثبتت انها دولة بحرية عظمى سيفي صاح او ترخت سنة ١٧١٣^(١) ونطمح الى الاستيلاء على البحار ولكن هذا الدهاء في تأخر الانكليز عن دخول معمران الاستعمار قد هيا لانكلترا الاستئثار بالاتجار مع اميركا . وانكلترا اقرب الدول الى العالم الجديد وشطوطها وهي تمتد على مسافة ٧٩٠٠ كيلومتر اي ضعف شطوط فرنسا واكثر الدول البحرية الاربع قرناً الى شطوط بحر الظلمات من جهة الآخر فقبل سنة ١٦٠٠ ميلادية لم يكن لانكلترا مستعمرات خارج اوربا وبالدهاء السياسي افتتحت إنكلترا الجديدة وفيرجينيا والند شارلس الثاني سنة ١٦٦١ مملكة الهند وكانت سبب غنى انكلترا وعظمتها هيا اخذها اناس من تجار الانكليز دخلوا مع الهندود دخول السل في جسم العليل وكان من امرهم ما كان .

وهكذا لو نقصنا التاريخ لشاهدنا امثلة كثيرة في الدهاء الانكليزي الذي لا يشبه دهاء في الامم وايضا ان الثبات والصبر والثاني والسكون الذي خص به هذا العنصر هو الذي كان سبب نجاحه في اعماله فاشتهرت بجودتها على قلبها وندرته وسياسته اشتهرت بجذورها على جفائها والتاريخ اعظم ترجم عن الامراء والامم وبه تكلف حقائق البشر وخيائص الشعوب

ولهذا الدهاء والثبات والصبر اسباب طبيعية وصنعية في انكلترا بحث فيها علماء الاجتماع والنفس فيما قاله اميل بوتي من كبار علماء فرنسا " ان القوى الطبيعية هي من جملة الاسباب التي تؤثر في تربية الشعب . وهذه القوى هي صورة الارض الظاهرة وجبالها وانهارها وبرها وبحرها وقسوة مناخها اولطافته ووفرة ثمارها الارضية اوندرتها . فان تأثيرها قديم كالانسان ولا سبيل الى ان نحد في التاريخ دوراً لم تؤثر هذه الحالات في البشر واذا كان عرض للانسان قلب وابدال فذلك ناشيء من مجموع اسباب وهذه الاسباب هي التي سماها تين العالم الفرنسي « المحيط » والبيئة والعادات والقوانين المزبورة على

(١) او ترخت مدينة في هولاندة وولاية تسمى باسمها وسكان المدينة نحو مئة وعشرة آلاف وفيها مدرسة جامعة كلية ومعامل المخمل (القטיפي) مشهورة منذ القديم وفيها عقدت انكلترا وفرنسا واسبانيا وهولاندة الصلح سنة ١٧١٣ انتهت بهما حرب ارث التاج الاسباني

(٢) كتاب علم الروح الانكليزية في السياسة خلال القرن التاسع عشر لامييل بوتي

• *Emile Boutmy. Essai d'une psychologie politique du peuple anglais au XIX^e siècle*

الحجر والمذاهب الدينية والاشعار القصصية وغيرها كانت لاول الامر نتيجة المحيط الطبيعي فاصبحت مع الزمن ذات تماسك وحياة خاصة وصارت تولد بذاتها شعوراً وتسرّب الى الاسباب الطبيعية العقلية ولكن هذه الاسباب الرئيسة ما برحت تفسى هذه الجمعية البشرية التي كانت هي الباعثة اليها ولها اليوم تأثير كبير حتى انها لتأتي بكل الاخلاق الراسخة والمواهب الارثية فتغيرها وتعمل فيها بما فعلته في اهل الاجيال الاولى

انكثرا من بلاد الشمال ولما بين بلاد الشمال مركز امتازت به فليس لاقليمها بما يماذله بين الاقاليم لانها تتمتع بمناخ يكاد لا يختلف طوره فلا ترى في الشتاء تبديلاً في الهواء من شمالي انكثرا الى جنوبيها على مسافة تسعمائة كيلو متر فيستمتع سكان بريطانيا ان يتنقلوا من ناحية الى اخرى بدون ان تتأثر اجسامهم من هذا التنقل وتختلف انكثرا عن سائر بلاد الشمال بتعرج شطوطها وخصب تربتها في حين يضعف الهواء المرء في اواسط بلاد روسيا او في شمالي بروسيا فيكتفي الرومي بما حضر لديه من حاجاته ولذلك يقل فيه فكر الاقدام الى الاعمال اما الطبيعة في بلاد الانكليز فتتادي ساكنها بقولها انك باهذا تهلك اذا تراخيت وتستمتع اذا جددت . فالهواء في بلاد الانكليز رطب ولكنه صحي وثقيل بحيث يكاد يصعب استنشاقه احياناً والجسم يهزل فيه اذا لم يتغلب عليه بحركات كثيرة . وان انكثرا لتطفح بطوال القامات ضخام الاجسام اشداء البنية وفيها من المعمرين الشيوخ أكثر من كل بلد من بلاد اوروبا والارض الانكليزية بما تترطب به من الضباب او يغموها من طول الامطار تحتاج على الدوام الى التجفيف بالقساطر حتى لا تغدو بطائح او غابات وهي بفضل تعهداتها خصبة مزرعة . ومناخ انكثرا يحتاج الى الغذاء الكثير ولا سيما اللحوم وارضها مستعدة كل الاستعداد لتربية الماشية والحجر بما ضم بطنه من الاسماك بدخل في مضائق الى ارض بريطانيا العظمى فيصبح الصيد على طرف النيام .

وبالنظر لرطوبة الهواء على الدوام واصفرار الشمس بما يدهماها من الضباب الذي يغل اشعة الشمس بخلا لا تنزال الظلمة سائدة شطراً من النهار يضطر معه ابن تلك البلاد ان يحسن لباسه ويهتبه ودنئه ويبحث عن الاعمال التي تحتاج الى كدح وكمد فهو في حاجة الى جوخ لثيابه والى جدران غليظة لمسكنه فتراه يصرف جزءاً مهماً من وقته في النسيج والتقطير واستخراج الفحم او تراب النفط لوفيد Gourbeux خلافاً لابن جنوبي اوروبا فانه لا يحتاج الى مثل تلك المدة ليعيش والانكليزي اذا لم يجد عامة حاجاته

في ارضه يجلبها من الخارج بواسطة المقايضة مع ما صنعته احشائه بلاده من المعادن والمنتجات وبسهل عليه تناول ذلك بما له من وسائل النقل السريعة الرخيصة الاجور ولذا كانت الطبيعة الخارجية للامة الانكليزية مدرسة ابداع ونشاط وحذر وتدبر فنشأت هذه الفضائل من اسباب جلب المصالح ودرء المضار وكانت من كليات الاخلاق في هذا الجنس ودعا الجهاد للحياة وهو هنا اصعب منه في كل بقعة الى ان ينسلخ عنه بالانتخاب الطبيعي كل من لم يرزقوا هذه الصفات اللازمة كالمرضى والجامدين والجهلاء والمهملين ولم يبق من هذا العنصر غير الاقوياء اهل الدراية العاملين وتأصل ذوق العمل بنشاط دائم فعال في النفوس حتى صار كأنه ارثي فيها.

قالوا ان الشعب الانكليزي شعب انتفاعي وهذا يصدق على كثير من الشعوب ولكن العامل الاكبر اليوم في هذه الامة الهوى في العمل للعمل والميل اليه حباً به . وما الحياة السياسية في انكلترا الا ناشئة من الميل الى تمرين القوة والبذل منها بطائل وبدون طائل ومن يجتاز البلاد الانكليزية يشعر بحاجة الامة الى هذا التمرين والى هذا الصرف من القوة بما يراه من الحركة على السيارات واشتغال قومها بالالعاب الشاقة فيوقن بان الرياضات البدنية الشديدة ليست في انكلترا مدعاة للتسلية بل هي ضرورة لدفع حاجة طبيعية لا تقبل في مسيس الحاجة اليها عن الجوع والمطش

وكل من زار لندرا يشهد الرجال من الانكليز يركضون في الشوارع عدواً كأنهم في سبيل مهم جداً يوشك ان يذهب اذا ابطؤوا عليه فيركضون نحوه بدون ان ينظروا ذات اليمين وذات الشمال للتخيلة والتسلية فهم لا يضعون نصب اعينهم غير الغاية العملية التي هي هدفهم ومنتجهم حتى اذا وصل العامل الى مكتبه او عمله ينصرف اليه بجماعته ولا يدخل فيه غيره ولا يلتفت الى ما يصده او يخطر بباله في غير ما هو بسبيله فتراه لا يقطع دقيقة عما هو مأخوذ به ولا يني في مهمته ولذلك كانت اجرة العامل الانكليزي ارقى من اجور عملة الامم الاخرى لانه لا يلهيه شيء اثناء العمل ويعمل نحو ضعف ما يعمله الايرلاندي او الالماني مثلاً . وهذا المزاج الخاص يولد في جميع الفروع عملاً مدتهماً وانك لتري نساء الانكليز لا يستكفون من عمل بمعاطيته لتكوث لحياتهن غاية فيصرفن الى تأسيس جمعيات الاحسان ويخدمن في المستشفيات ويعملن اعمالاً قد مدها بعض الامم المتقدمة من الاعمال الوضيعة ولكنها تكون لخدمة الانسانية ولقد ادخل خمسون الف امرأة في الحزب الحر في انكلترا وشاركن الرجال ومنهن المطالبات بحقوق الانتخاب

والمؤمنون من الانكليز بالدين لا يؤمنون به ويتصرفون عن كل شيء بل يعملون باسمين ويجهدون في الحياة لا يصدح ما اخذوا انفسهم به من الغاية عن النظر في دنياهم

وبعد فان الذوق واعتياد العمل يجب ان ينظر اليهما كأنهما خاصة جوهرية وصفة لازمة اختيارية لهذا الجنس فهما يصحبان الانكليزي حيث يذهب تشفعهما الاسباب المكثومة من نيته وهما مفتاح اسبابه وان الدواعي التي ادخلت ضرورة العمل في هذا الجنس قد اضعفت اليوم من شأنها وذلك لان كثرة الفنى العقلي والمادي قد زاد عدد الاغنياء واضعف تلى التدريج في جزء من سواد الامة الانكليزية الغريزة الارثية التي بها يعترف الانسان بقانون العمل وقبلي به . فاصبح الكسالى والضعاف في هذا المحيط الجديد أكثر حنفاً في البقاء فتألف منهم عنصر خاص تحرص حكومته على جلب المنافع اليه واهل السمة من الانكليز يبذلون الفضل من اموالهم له وكل هذا على الجملة لا يضر الصفات التي ورثها الانكليز وتأصلت فيهم مدة قرون .

للاقليم في انكلترا تأثير مهم في الشعور والمدارك فهي البلاد التي يحيف هواؤها وأكثر كهر بانيتها التي تقوي الالياف وتمتن الانسجة ويكون الاحساس في اهلها امرع . ومثل الحس يكون التصور الطبيعي اي حاسة تمثل المحسوسات فانها في الانكليزي متأخر ولذلك نرى الاعمال الجراحية تكون اقرب الى النجاح في الانكليزي منها في الايطالي مثلاً لان الاول قلما يضطرب كالثاني . وقد شاهد خصوم الانكليز من عسكرهم في حروب اسبانيا وازتراو وانكرمان عجيباً اذ لم يكونوا يتأثرون للاعضاء تنثر والقذائف تنفجر والعظم يكسر وحشجة الارواح تنصاعد

ان ارض انكلترا تلي ماخصت به من العبوسة والامطار الغزيرة والضباب المتواصل والطبيعة الساكنة قد اثرت في نفوس بنيتها حتى لم يجدوا في الوجود ما يشغلهم ولذا شغلوا بخاصة انفسهم وقل كلامهم كما قل شعورهم بما يأتيه من خارج والكلام كالشعور والفكر يرتقي ويصفو بالرفاهية وخضال العيش وهو اثر من آثار الثروة العامة والفراغ . ولقد وصف الفيلسوف تين الشعب البريطاني بقوله من السرور الذي يشغله السكوت وهو من اعظم ما تطمح اليه نفس كل انكليزي ان يجاهد في امر ويحمل المشاق ولا يتنازل عما نوى . وقد اعرب شاعرهم تنسون عن مثل هذا الفكر شعراً جاء معناه : ما اعظم على النفوس ان تقف دون غاية وتجعل لقواها حداً واهب تصداً كالسيف يطلق على

الحائط بدلاً من ان يلج في يد حمله ويصفو بالاستعمال . ليس استنشاق الهواء هو الحياة بل اننا اذا فقدنا كثيراً فقد بقي علينا كثير فما كنا عليه ما ربحنا فيه : قلوب ابطال شأنها التساوي بانفسها أصبحت على الزمن ويد القدر نهب الضعف ولكنها مسلحة ارادة تدبده في مضائها وبحشما وإيجادها وان لا تلين قناتها ابداً .

نقل في العصر الانكليزي على الجملة الكفاة لتصور الافكار العامة ويكره النظريات المجردة كما يكره المذاهب المقررة فليس للانكليزي شيء من المجردات يشغله بل تراه على الدوام مأخوذاً بضرورة العمل اليس معنى هذا ان حاسة المهوريات ضعيف تركيبها في انكلترا بل ان العقل عملي لا يقبل الا ما يلزمه وينفعه يعرف كيف يضبط نفسه ويحدد حدوده حتى اذا صار بنفسه سار سيراً نافعاً لا سيراً تكرراً فعقله لا يشبه قائداً في جيش يفكر في وضع خطط الهجوم والقتال بل عقله يشبه ضابطاً يقود بميداً عن معمان الحرب قسماً من الجند الاحتياطي المساعد فلا ترى في هذا الضابط قابلية لان يكون في الطليعة ولكنه يجيد في اتخاذ مركز له في النقط التي تجاوزها الجيش المهاجم وينظم فيها المقاومة

لاشيء يقع على عقل الانكليزي من الغرابة أكثر من انصكاوه القوة الطبيعية *Naturalisme* والنظريات في الالهيات والمقولات بل يرى ان اجنحة الفكر لم تبرح في غو ولذلك لم تستعد للطيران مسافات طويلة بل هي تساعده فقط على السير فاذا ارتفع هنيئة وحلق في الجو فذلك ليعود الى الارض بعد مدة قليلة وهذا مادعا يفكر في الامور القريية التي أكثر ما تكون مساساً به مباشرة وله من مشاغله في تحصيل ثروته وتحسين زراعته ما يصد عنه الحق ولا يفرغ ذهنه الى النظر الى الاشباح الفارغة فهي بعيدة من الارض جداً غريبة عن الحياة الدنيا غير ملتبسة مع شروطها وضرورياتها ولذا ترى الانكليزي في مسائل الدين لا يتعدى افق العالم المدقق باحوال الانفس والاخلاقي الذي يبحث في المرتبات وليس هو صوفياً او منكراً ولا موحداً وهو لا ينظر الى القواعد الموضوعية والالفاظ بل ينظر الى الغاية من الدين أكثر من الواسطة وهكذا هو في السياسة فلا تقوم حربه فقط على الدستور الذي يمنع الحرية على التقاليد الموروثة التي تحمي الحرية القديمة المتأصلة فيه

من غريب حال الانكليزيان كثيرين من حملة العلم فيهم لم يتعلموا العلوم اللازمة للالام بالثريية العامة فهم اخصائيون لا تشوبهم شائبة وان من يحاول في انكلترا ان يحدث

احد علمائهم في العلم المجرد لا يجد من يستمع لكلامه فالعالم الطبيعي عندهم هو الذي يعرف كيف يصنع نموذجاً ميكانيكياً يطبق فيه العلم على العمل فقط حتى لنك لا ترى في كتبهم في الكهرباء الا حبالاً مرسومة تعلق وتشد ومواشير يقطر منها ماء وغيرها ينتفخ وآخر بنبض وهكذا انكثرا في صناعاتها فلا يصدر منها الا ما يقع تحت حشها ولا تقص في قصصها الا ما يماثل حالتها الطبيعية وكذلك تاريخها ورواياتها الشخصية وفلسفتها فان فلسفة اوغست كانت الحية ومخترعها فرنوي وجدت لها اعواناً في انكثرا اكثر مما وجدت في فرنسا لانها صاغت هوى في افئدة القوم

فهذا هو الشعب الذي قدر له ان ينشر البروتستانتية بثباته ويخرج من الكنيسة والكشركة اذ كانت دين سلطة قادرة روحية تقنن وتحظر وتعاقب والناس معها مكرهون على التيام بتعاليمها اما المذهب البروتستنتي فهو دين الحكومة الذاتية الوجداني فالاول مرجع النظام والقاعدة والآخر محافظ النشاط ومبدعه وهذا هو الدين الذي يناسب امة خلقت لتعمل .

ان تأخر سن البلوغ في شبان الانكليز وعفة النساء الانكليزيات وتعدد الأمر والبيوت كل ذلك من اخلاق الانكليزي الحديث كما كان قديماً من خصائص اخلاق الجرمانيين سكان انكلترا الاصليين . وامتازت الامة الانكليزية من بين الامم بانها طلت متجانسة ولم تمتاز بغيرها فالانكليز وهم اعم عنصرياً تألف منه انكلترا هم جرمانيون من بلاد الشمال ومن اجداد الجرمانيين انكليز وجوت وسكسونيون وكلهم من عنصري الماني واندن جاؤا بعد لاستيطان انكلترا مثل الدائيركيين والنورمانديين هم فروع تشعبت من نفس تلك الدوحة

وان ما يرى من شدة بأس الانكليز وقوة عضلاتهم يذكرنا بما قاله امبرسون فيلسوف اميركا « قالت الطبيعة : قد اتنى الزمان الرومانيون ومحا اسمهم من سجل الوجود واني اريد ان اؤسس مملكة جديدة وصاخر عنصرياً شديد الشكينة كلهم ذكور ولكنهم باجمعهم ذوو قوة وحشية فن ثم لا عارض فيما ارى من المنافسة بين الذكور القساء المتبرزين الا فليدخل الجاموس قرن في رأس الجاموس الآخر فيبقى المرعى لاكثرها قوة فانالي عمل اريد لتمامه يحتاج الى ارادة وعضلات . » وهو لاهم الانكليز الذين لا يمتزجون خارج بلادهم بغيرهم من الامم ولكنهم في ارضهم اكثر الامم حرية واكثرها اكراماً وابسرهم لقبول الغرباء ليست انكلترا جزيرة بل هي عارمة فما من امة اشتبهت في افكار

ومنازع نأتيا من اوربا نفسها سري انكثروا عظماء اقتدت بالبلاد الاخرى ولكن كان اقتداء موقفاً كأنه للتسلية او هو سطحي كأن زي من الازيا. اما سراد الشعب فلم يمس بشيء في منازعه بل ظل مخلصاً لاخلاقه الاوية وبالجملة فقد كانت دواعي الاختلاط قليلة جداً بين الانكليز وغيرهم ولا سيما عامة الامة فالانكليزي اتبه بساكن الولايات في اوربا وفكره كالشراب بقي زمناً في مأمن من الاهتزاز فخر وكشف ولم تعد له تلك الميوعة التي توهمه الى الاختلاط بشراب آخر

وكان لهذه الصبغة الخاصة وقلة الرقة في الاخلاق الانكليزية نتيجة مهمة شوهدت في كيفية الاستعمار البريطاني ونتيجته . فاقط تمازج - العنصر الانكليزي بغيره من العناصر في البلاد التي اخضعها لسلطانه فهو كالمعدن البعيد جداً عن نقطة التدويب فلا يتأني ان يجعل من ادنى مزيج وما قطعاً ساووا بانفسهم تلك الشعوب التي افتتحو بلادها وماتلظفوا في استماله قلوبهم فلم يعرفوا الا ان يظلمهم ويستنزفوا ماديهم ويدوسهم او يفتنهم .

ابان الانكليز ابداً عن عدم كفاءة في فهم مناحي العناصر المختلفة وان يتقربوا اليها ليأخذوا بأيديها ويقوموا ناهضين واياها بما عاملوا به ايرلاندا من المعاملة السوأى ومثل ذلك يقبل في ادارتهم الهند ومصر . فالانكليز يأتون تلك الشعوب بثروة مادية ونظام وامن وغنى قدرى سلطتهم في بلاد الهند مثلاً على احسن اريقة ونظام مدقق قوامه الحشمة والادب وهم فيها بعد قرن من الزمن لم يخرجوا عن كونهم انساناً جفاة لا يألون ولا يؤلفون وكما طال العهد عليهم تراهم في ارضها غرباء والاصوات اول الخلاص من ربقتهم . وان يوماً يفادرون فيه البلاد المستعبدة لعزيمى نفوس اهليها ولو ذهبت بذهاهم الرفاهية والسلام .

فحكم الانكليزي منكم لقوى العناصر المختلفة وهو استبدادي وكثيراً ما يكون قتالاً في البلاد التي يكون فيها الاهلين مجال معهم ولا يدانهم بنشاطهم واراداتهم لان هؤلاء الفاتحين لم يبرزوا حظاً من تليين وصايتهم وتناجها على الصغار والضعاف بل لا يتخلون ولا يعنون بغير اغرائهم والمساوين لهم .

نم الانكليزي اكثر الام اغراقاً في الاتباع عن الناس والعزوف عن مجتمعاتهم فهو يشعر بانه اقل من غيره علاقة بالمجتمع البشري وقلما يقتبس من صلانه مع غيره شيئاً يستفيد به في تركيب اخلاقه وقلما يبحث عما يفكرون فيه واذا بحث فبحث مجرد

لا يدخل نتيجة في عواطفه واعماله فهو ناسك بعيد عن العالم وعن غيره من الامم بل هو بعيد عن جاره الذي يسكنه في حي واحد والمحيط الذي يعيش فيه وما يشعر فيه نفسه قلما يكون نسخة بسيطة مما يراه في الخارج مخافة هو مثل ثرة كبرت تمت القشرة في نوع من الصدأ فهو لا يثمر كتمشيرة الخوخة وما يمر عليها من مجرى الشمس لا يزيدها اصفراراً ولا احمراراً

الانكليزي لا يهرباقل فخر من العيش وحده ولا يجد حاجة ان يقص ما عمله على غيره ولا يسوقه سائق نفسي ان يقف على ما عمله غيره فهو فيما خلا الشؤون التي تمسه مباشرة لا يهتم الا بما له علاقة بالمسائل الوطنية العامة التي تمسه ولكن لا مباشرة بل من طريق وطنيته . يقول اميسون : « انك تحب الانكليزي اذا اجتمع مع الاجانب اخرس فهو لا يصالحك ولا يتركك تنلر ما في ميني في الفندق ويلفظ اسمه بحيث لا يسمع فكل واحد من هؤلاء الجزائريين جزيرة بعينها » ويقول موتسكيو : « يصعب على الفرنسي ان يكون » لم احبب في انكلترا وكيف يحب الانكليز الغرباء عنهم وهم لا يحبون انفسهم واني يعطوننا ما نأكل وهم لا يشاءوا كلون . يجب ان نجرس على خطتهم فلا نهتم باحد ولا نحب احداً ولا نعتمد على احد .

ومن الغريب ان هذه الامة العازقة عن العشرة البعيدة عن الاختلاط تراها في امورها الداخلية من أكثر الامم ميلاً الى الاشتراك وما حديث انديتها ومجامعها وشركاتها المالية بخاف عن احد . وقد ترحق فوناني العالم الفرنسي من نجاح الانكليز في الزراعة والتجارة والصناعة بقوله : « انهم بالسكوت يجهزون افكارهم ويتفرغون الى التدبير والتقدير على ما ينبغي ويحسبون دخلهم وخرجهم وبصقو فكرهم أكثر وينبث كلامهم جلياً ومن هنا كان التدقيق والرواء رائد جميع اعمالهم العامة والخاصة » وقال كارلايل الفيلسوف الانكليزي : الانكليز شعب اخرس . تم شرح هذه العبارة بقوله : ان السكوت يزيد في علاقتهم ونظامهم مع ما بين عنه اللسان . الانكليزي يميل الى الاختفاء ولا يهجم الظهور يهجم تجويد العمل من حيث هو عمل نافع ولذلك ترى جرائد انكلترا لا يوقع كتابها على مقالاتها وهي مع هذا ارق من جرائد فرنسا التي يوقع كتابها على مقالاتهم ايغال عنهم انهم كتبوا ومن أثر الاختفاء من هؤلاء لا يلبث ان يظهر اسمه بصنوه

ان كان من خان الانكليزي الاقدام على العظائم فان حب الجهد والذوق يفي

المجبول ليس فيه الا على ضعف ايضا فالانكليزي يبقى انكليزيا ويعيش عيشا انكليزيا حيثما ينزل . والانكليزي اقل من الفرنسي والاطالي في اليأس من النجاح واكثر منهما هزواً بالمتاعب والمخاطر لعله بان لها حداً تقف عنده ولا بد من حل مشكلاتها فلما تراه يحسب حساباً لتكد الطامع قترى الشاب يتزوج من فتاة وهو في مقتبل العمر ولا يطالبها ببائة (دولة) بل يتزين بها بلا مهر ويقدم على تأسيس أسرة فيزيد نفقاته ثلاثة اضعاف ما كانت عليه والصانع يقدم على احوال اصلاح في عمله بجرأة ويتخذ وسائل النجح وهو يعلم انه لا يلبث ان يتم اصلاح مصاعبه حتى يقوم صانع آخر بنفسه ولكنه يكون استفاد من الفترة بين اصلاحه واصلاح منافسه وترى المهاجر منهم لا سب له ولا لبد ومع هذا ينزع ويرزح تحت اثقال المتاعب وهالك سبب آخر واعني به الهوى في العمل او التجهن فيه وفي الحركة والدوق في العمل من اجل انه عمل وكل ذلك مما تقتضيه حاله الطبيعية . وانا ارى المسلمين منهم يفرغون في الارض ولا يخافون بل يتمزون بما يتم على ايديهم في الاقاصي وبنامون ملّا جفونهم شاكرين ويمولون اعمالاً في السر ابتغاء وجه الله

ومن خلق الانكليزي انه متشدد في الاحتفاظ بالحالة الحاضرة فارباب العتول الغريبة في تصورهما كثيرون وكذلك لا ترى فيهم اهداً يميل الى الثورة وقد اشتهرت انكلترا بانها بلد التقليد الشعبية حتى على التبدل اللازم وثلاثة ارباع سكانها لا يشعرون بالحاجة الى احوال تمديد في القوانين والاخلاق والربع الآخر يقبل بالتبديل في بعض احوال مخصوصة ويتعلق بها ويلاحقها بنشاط ولذا رأينا الشعب الانكليزي قد جالده لاول وهلة رينما أدخلت عليه اساليب الارتقاء حتى المادي منه فلما دخله صار في لمة وعظمه وهكذا شأن الامة العنيفة تشدد في تقاليدها وتستكبر في الغالب عن قبول كل جديد الا اذا ثبت لها ما ينقضه ثبوت الشمس والقمر .

مهما بلغ من انحطاط مكانة الرجل الانكليزي في المجتمع ومهما بلغت حرفته من الامتحان لا يحسد من كان الى منه منزلة وله من عمله الذي يستمتع بمناخه اعظم سلوى ولذلك قل ان مالت الطبقة العاملة في انكلترا الى تغيير نظام الاشراف في المجتمع وذلك لا اعتقادها بان الاعمال مقسمة لأن الحظوظ متباينة . وينتري فرنسا نقول للوزير كن فكان مهما كان وضعياً والنائب كن نائباً فكان مهما كان منقطعاً في اصله والشرىف كن شريفاً فيكون تجدد انكلترا لا تسمح لوضع ان يعد في جملة المظالم الا بعد ثلاثة

اجيال وذلك على نظام وترتيب تدريجي لعلم القوم بان الطبيعة في انكثرتا تتأخر في كل شيء ولذلك اقتضى ان يكون ارتقاء الناس كذلك

من خصائص الانكليزي انه يشبه ميكانيكياً تعلم علم الحيل (الميكانيك) بالتجربة لا بالنظر فتراهم دائماً ان ينتج بما له من آلة ما يمكن من النتائج ولا يحوص على تعديل محركها او ادواتها لعله بانه اذا فعل ذلك اقتضى عليه ان يوقف العمل وان يذل بلا نتيجة وقتاً واهتماماً من رأس ماله المحدود وهو يدرك بانه اذا حدث للآلة ما يضر سيرها تقف حينئذ وتقطع فائده وفائدتها ولذلك يجد من نفسه داعياً الى التبول بتعديل آلة على ان يغير ادواتها القديمة بادوات جديدة ولكن بدون ان يوقف الآلة ويقلل من مغلا

يعتقد الانكليز بالضعف البشري ويتعرون بضرورة اخذ الامور بالتدريج والبدء بها من الصغير للوصول الى الكبير حتى لا تقف القاطرة في هذا الجهاد وتنهو في مخدر لا تقوم منه فهم في شرائهم يكتفون بتعديلها واصلاحها مع الزمن وما قاط حدثهم انفسهم ان يضر بوا بما لديهم عرض الحائط ويضعوا غيرها من عند انفسهم ولكن الانكليزي مع هذا اذا رأى الخير في تعديل قانونه يصر عليه فقد رأينا اصحاب الصحف على عهد الاصلاح البرلماني الكبير قد صعب عليهم ان يصدروا منشوراتهم النقة لانه قضى عليهم ان يدفعوا عن كل نشرة طابعاً فاجموا امرهم لي ان يصدروها بدون طوابع فغرمتهم الحكومة وجبستهم ولكن جرائدهم ومنشوراتهم ظلت تصدر على عادتها بدون طوابع واصروا الا برفعها فمضت اربع سنين على هذه المسألة وقد حبس لاجلها زهاء خمسمائة رجل ثم اضطرت دار التدويع ان تجيب الطلب وان كانت الحكومة تضرت من هذا القسم المهم في الميزانية

يعمل الانكليزي حياً بالعمل نفسه على حين يعمل غيره من الامم لاجراز الثمرة التي تعقب الشرف او الراحة والرفاهية والدليل على ذلك ما نراه في اهل الطبقة العالية منهم ممن لم من ثروتهم ما يعفيهم من تعاطي اي عمل كان - نراه يصرفون نصف اياهم في الالعاب الرياضية التديدة ولا يبالون فكان الرياضات لهم كالفطرة المستحكة كما كانت الالعاب الاولمبية في يونان ايام عزم ثم انك لا تجد غنياً لا يصرف شطراً من وقته في النظر في شئون مقاطعته وابر شتته وكثيراً ما يهلك قواه في هذا السبيل على حين تجد ابنه في اوستراليا او مايتوبيا يعيش مع رعاة الغنم في تلك البلاد القاصية المنفردة وابنه الآخر من المسلمين في جنوبي افريقية يعمل شاق الاعمال

ويتنازى الانكليزي اكثر الامم تحاشياً مما فيه عبودية واحرص الناس على التناهي بالحرية الشخصية والحرية المدنية كحرية الاجتماع وحرية التكلم وحرية القول نراه في نظام أسرته قد احتفظ حتى الآن بنظام الحكم المطلق فترى الابنة تأتي زوجها بدون ان يعطيها والدها بائنة لان العادة جرت بين الاغنياء وارباب اليسار ان يحفظوا بكر الاولاد العقارات ويقسموا الاشياء المنقولة بينه وبين اخيه الاصغر منه سناً وتنال الابنة حصة من ذلك ويكون في الاغلب دخلاً قليلاً تناله من واردات ابيها . حرمت من ذلك حتى لا تنجي دار زوجها بما يرفع رأسها عليه لان الرجال يريدون ان تكون لهم السلطة التامة في بيوتهم حتى انه اذا اتفق ان ازواجهم جاؤن بشيء من المال يضيفونه الى ثروتهم ويحرمونهم حتى من الوصاية على اولادهم ومن التصرف باموالهم . عادات قديمة ورثوها فحافظوا عليها واذ كان ابطال القرون الوسطى في اوربا قد لطفوا من شأن المرأة لان من عاداتهم الاخذ بايدي الضمفاء والمثاليين فان انكثروا لم يدخل عليها هذا التلطف والزوجة مع زوجها وما يختار لا ما تختار هي . وترى الوالد والوالدة يريان ابنهما بعيداً عنهما ولا تأخذهما شفقة في ذلك والولد اذا غاب عن والديه يسلمهن واذا مثل بين ابديهما يحترهما .

هذه بعض صفات الانكليز ومنها انبعث ارتقاؤهم المادي والمعنوي فسبحان المعز المذل القابض الباسط رافع الامم وخافضها ومشقيها ومسعدها



الامة تحبو

نريد بالامة هنا الامة العربية او الشعوب العربية وان كان لكل قطر بل لكل كورة من اقطار بلادها وكورها حالة خاصة بها وفلسفة روحية تختلف عن جارتها وتستدعي بحثاً على حدتها ولكن ما يعتذر على التفصيل يجدر ان يذكر على الاجمال . ننظر نظرة عامة في حال العرب ليتحلى لنا ان كانوا ناعمضين نحو الرقي ام هم يسرون سيرة مثاقف لا يعرفون الغاية ولا يبتدون الى وجه الحق سبيلاً

اذا بدأنا بمراكش وهي اقصى حدود البلاد العربية نجد انها لم تخرج على ما يلفتنا من امرها امة أمية كما كانت في اواخر القرون الوسطى وهي على استقلالها وقربها من اوربا لم تتأثر بالمدينة الغربية وما في اهلها يعيشون في حال التنبت بأكل كبيرهم صغيرهم ويبحث خاصتهم بعامتهم يرون العمادة كل العمادة مأم فيه ولا يتحدثهم انفسهم ان يغيروا منه بان يخطوا عن سرفاتهم ونقاتلهم وجاهليتهم .

فاهل مراكش في تقاليد مدينتهم كالذين يتحلون الفقهية اي عبادة الاصنام في افريقية بالنسبة لاهل الاديان السماوية الراقية ما زالوا على الفطرة الاصلية وليس عندهم من دواعي البقاء الا ما لا غنى عنه لكل ديل مما انحطت درجة مجتمعه وهيئات ان تتوحد كلمة المراكشيين على تبان اقطارهم وامصارهم مادامت القبائل زمامى والحكومة كل يوم في شأن وليس بين قبائل البربر في القاصية وبين اهل فاس وطنجة صلة كأنهم من عالم آخر . اما من يسوغ ان يقال عنهم بان لم شيئاً مما يطلق عليه اسم مدينة من باب التجوز وهم سكان الامصار فانخاصة منهم لا يعرفون الا بعض المسائل الدينية والتاريخية وثقف معارفهم عند هذا الحد ومن المتعذر جداً ان ترى مراكشياً قلد الفريين في ملابسه وعيشه ومناحيه وتصور معنى المدينة الفاضلة

وهكذا اذا جئت تبحث في حال بوادي المغرب الاوسط اي الجزائر ولولا مبادي من الافرنسية يلقنها بعض الجزائريين طوعاً او كرهاً لما رأيتهم الاكبادية مراكش حذو القذة بالقذة . اما مراكش الجزائر فسائرة نحو التطبع بطابع المدينة الغربية على تشدد السكان الاصليين واستنكافهم من الاخذ بها والتحاكي من الانبال في تلقف ما يضر بكيانهم من قبول تلك المدينة التي تفتني اذا فتحت لها السبل كلها بصيرورتهم فرنسيات كما هي ارادة الحكومة والقوم مهما ابدوا من المثانة مسيئة بمجاناة الاوضاع الافرنسية

نظروهم بقوة ولو بعد نصف قرن ان يتولوا بكل ما تعرضه حكومتهم عليهم من الاوضاع والمنازع التي ترى لها ولم سعادة بدوا . والجزائريون لا يستطيعون على تلك الحال ان يدرسوا . حكومتهم استماري ستي ولا مبادي لغتهم لما يحول دون امانتهم من العوائق على ما يقال . ركائنا بالجزائر اذا دام امر المسلمين فيها في تراجع وقد اصيبت فرنسوية في كل حال من احوالها وانك ترى بعض اهلها يهاجرون منذ سنين ويتحولون بطبيعة الهجرة عن مروجهم وعقارهم وينزل مكانهم اناس من الفرنسيين والاطليان والاسبان وغيرهم يستعمرون الارض ويتكاثرون الدبر والعمار ويقبضون بازمة التجارة . وقسم من الاهلين يقلد الافرنج فيشلم على طريقتهم ويحسن لغتهم ؛ ينسى لغته وتضعف وطنيته وجنسيته وعقيدته فهذا واولاده من بعده ؛ يحون افرنجيا صرفا ان لم يكن في الجيل الثاني في الثالث والقسم الآخر من السكان وهو اهلهم الآن وفيه كثير من ارباب الفنى والفكر يجمعون الاقلية بين الاخذ بمذاهب المدنية الحديثة مع المحافظة على تاليدهم واوضاعهم وهو لاء خير طبقة يرجى منها النفع الآجل والعاجل وهناك قسم آخر يحرفهم سبل المدنية الحديثة فيقبلونها رضوا ام لم يرضوا

وانا اذا حسبنا ان تعلموا الافرنسية اليوم من الجزائريين ولم يتعلموا لغتهم مائتي الف نسمة من اهل نحو خمسة ملايين بعد ان حكمت فرنسا هذا القار زهاء سبعين سنة فسرى عددهم يربو على ذلك اضماقا بعد نصف هذه الحقبة من الزمن . اذ ان الدورات الدينية والمدنية تكون ضئيلة في الغالب لاول امرها ثم تقوى كالنار اصلا بامر شرارة ثم يمتد لحياتها وتلهم البعيد والقريب منها . ويخشى ان يكون حال الجزائر مع من يهاجرونها من ابنائها حال الجور في انكسارها مع سكانها فقصى قاعدة الانتخاب الطبيعي وقانون الوراثة على العاجزين والخاملين وبقي الشعب الى الجلمة من الاقوياء الاشداء العاملين الناهضين . نعم نحاذر ان نقذف الجزائر بالخاملين القدين سدت في وجوههم مذاهب المعاش وان تستمض عنهم بالاعمالين من الغربيين او من الجزائريين انفسهم الآخذين بمذاهب الحياة اخذ الاوربيين .

من اجل هذا سألنا ان تقول ان مستقبل الجزائر ان دام على هذا المتوال مظلما محزون ومثلا تونس وان كان الامل ينهوض هذا القطر اثر ب من بعض الوجوه لان طرز حكومة الحماية يختلف بعض الشيء عن طرز حكومة المستعمرة لوجود حاكم من ابناء البلاد في العمرة ولان بعض الثورين من اهلها لم يسهم بعد طول الروية الا

الكتب الى الرقي بسببها المتخلفين بعد زمن طويل وعني بذلك العلم بكل الناحيا لادوية
وعدم اغفال التعاليم النومية والمذهبية . وهذه الزرة التي صفرها لالبد ن يأتي يوم
عليها تكبر فيه دوحها رتقر في ارض قرناجنة .

اما اقليم رقة او الاية عا ابا اس الغرب فتأنها نى اتساع رقعتها وكثرة سكانها
مبان البلاد المتأخرة دأ وجردها في الاحذ بذاء - اخضارة جهود المغاربة الراكشين
وبلادهم حتى الحوانس . بها ادية اكثر منها متحضرة وقلا تجد نهضا الى العلم الحقيقي
فيهم واليهاء منهم رون الاكتفاء بان يملكو امبا دي الملو في مدارس الحكومة للتوئف
في خدمتها اما سائر مذاهب الانية فتبا لثقله ولذلك صعب ان تتوالى معهم اجمعهم لانهم
يقوم ويتعد او يجو ويدب

جئا الى مصر وهى مقدر الآمال في مستقبل هذه الامة لان توسطها ان الشرق
العربية ومركزها البارتيان انما نى الى اختلاطها بالامم الاخرى كثر انهم يتبعها
وغاما وكثرة سكانها كثره قلما يأتى لود كوادى النيل ان يسوي . فقه يبرف لم
مرائن النيش ونه نام . كوتها بعد الاسانم ان اختلاف الدول الي حكمتها يومديتها
القديمة وانماها الذي عم اريافها كحكم امهارها وتسلسل الميل في اربائها لالاخذ بمذاهب
اخضارة الغربية وتأسس اوصاءها والكتابة بما يبق عليها جنسيتها ولذا اكل هذا
يرجى منه ان يكون حضارة عربية عربية تأخذ ان شاء الله من الحضارة من اطرافها
تلى نحو ما فعلت يابان بو . عنى من ان تشأ نة اية تضاهي به سادول المنعة والمدنية
سديبه فلم تقل عن شعائرها وان تناول كل ما دمعت ابصارها اليه من اسباب الحضارة
الغربية فجات نية لاشرقية ولاغربية بة نة سناضوتها بأخذ بالابصار

وان ط زمان لمصر طلة منظمة في الارض وفيها الذين قلده الراوق من الغربيين
يعيشون ومناحيهم وادنائهم يونيتهم . وأرومتهم وعندنا ما يلزم لامة من ادوات الرقي
على اتمه الا قليلا . واذا نثات ابع نى اربائها رغب في تلقف العلوم الطبيعية والصناعية
كما ازلعوا بالعلوم الادبية والسياسية تصبح بعد بضع وعشرين نة كمة اورية رانية
ور بما فالت الآن ومع العلم اربائها في قلة مفر فيه بنزلة الاما ارفا . في قلة اوريا
كثيرا من الازوب المخططة في جنوبي اوريا

اسوية فند نأ . ان نيا خا . ان صح ان نسميها كذلك . وكما تلوبة بتلون
مصادرها مخططة اخلاف اويتها وعنا سر سكانها فالتراك يلفونها لغتهم منهم ستياء

الدولة العلية عليها ولكنهم لم يفتوا الا بتعليم افراد في بعض البلاد قضت عليهم مصلحتهم التجارية كأهل حلب ومناحورها مثلاً بتعليمها او غرامهم بالوظائف العملية والعسكرية والملكية كأهل دمشق وطرابلس وبيروت ان تلتفها اما الذين تأتروا من ابنائها بالمدينة الغربية المنبثقة من المدارس الغربية والاميركانية والانكليزية والروسية وغيرها فاقروا عدداً وان لم تكن تلك المدارس اقدم زمناً وارسخ قدماً في كل الاقطار فهي في فلسطين اي في جنوبي سورية اقوى . با في شمالها وفي غربها اكثر مما هي في شرقها فجد الناشئة الجديدة على المناحي الغربية في القدس وبافا وحيفا وعكا والناصره وصور وصيدا وبيروت ولبنان وطرابلس والاسكندرونة اكثر مما تجد منهم في نابلس وصفد ودمشق وحمص وحملة وحلب واللاذقية . وكلما كثر في بلد سواد المسلمين كان البعد عن الاخذ بدينه القرب اكثر من غيره من المدن المجنسة باديانها وتباين اغراض المعلمين فيها

وعندنا ان الحكومة تحسن صنفاً اذا نشطت في هذا القطر الالفة العربية اكثر من اللغة التركية او على الاقل جعلتها لها ليكون لها من ابنائها اكفأ في صد تيار المدارس الاجنبية التي تعد الناس للبحر اكثر من تحييب بلادهم في اعينهم اما السعي في تزيك العرب في سورية وفي غيرها من الاقاليم العربية كاليمن والحجاز والعراق والجزيرة فسعي باطل ليس فيه خير للبلاد ولا للدولة لان تعليمهم بغير لسانهم يطول معه زمان فهو ضخم الحقيقي والانراك ليسوا بمدينهم على مستوى الفرنسيين والانكلز في الرقي ومعرفة المدخل والمخرج مثلاً حتى يفيضوا من علمهم على العناصر الاخرى ولذلك كان عمل الحكومة عتياً في نشر التركية فقط في البلاد العربية والدليل على ذلك ان الولايات التركية احط بكثير من بعض الولايات العربية فولاياتا سورية وبيروت ارقى ولا شك من ادرنة وبورصة كما يؤكد ذلك من طافوا هذه الولايات الاربع وخذروا قراها كما خبروا مدنها اما درجة التهذيب والتعليم في سورية فارقي من بلاد الاكراد وارمينية وولايات آسيا الصغرى اي الاناضول ولذلك جاز اننا ان ندعي ان السوريين كالطفل بدأ يحبو نحو المدنية الا انه لم يعين له خطة معينة حتى الآن وحالته متاهة بفناء نوابه بل نواب العرب وكفاءتهم في مجلس النواب واذا احسنوا النيابة نالت هذه البلاد حقوقها الادارية والعملية والعمرانية والا فتبقى في حالة التذبذب

اما تأثير الاقطار العربية فلا يدوغ لنا ان نقول انها اخذت تحبو مادامت الفتن

تهلك قواها وذلك مثل. بعض انحاء العراق ونجد واليمن فان الامن لم يكبد يتقرر في نصابه في قطر من اقلها مدة طويلة ومنذ نحو اربعين سنة لا تقبل سنة الا وتنتشر الفتن في بقعة من بقاع اليمن وكذلك جنوبي سورية ونجد والعراق ولولا بقايا مدينة نغذها الهند على خليج فارس فينال منها البصرة وبغداد شي لا قليل او تلك الآثار الضئيلة التي يلقبها الراحلون الى الشرق من اهل الغرب على بعض موافي البحر من جهة الجزيرة العربية لقلنا ان هذه لم تختلف حالتها عن بقعة قرون الا ما كان من خلال الامن فيها

وبعد فان حال هؤلاء الملايين في اليمن والحجاز والبصرة وبغداد والجزيرة والشام وطرابلس الغرب يدل على ان الانتفاع من قليل منظم خير من كثير متشتت وأن اهل سويسرا وم ليسوا سوى جزء من عشرين جزءاً من العرب المنتشرين من شواطئ وبحر الظلمات الى شواطئ المحيط الهندي اكثر اثراً في المدينة من العرب اليوم وهم لا يقعون عن ستين مليوناً وما ذلك الا لبعدهم وافتقارهم واختلاف الاغراض في حكوماتهم فبقدها اما الى اليقظة القريبة او الى الاهمال المدهش . افراط او تفريط وكلا هذين ان زاد قتل .

اما سائر البلاد العربية كرنجبار والسودان واواسط افريقية فحالها تبع للاقدار وهي اقرب الى الانصباغ بصيغة الحاكمين عليها لان اهلها على الغلب ليست لهم في الاصل مدينة راقية زالت ثم بدأت تعود ولأن اقاليم الحارة تفعل في عقولهم فخلعها كما تفعل الاقاليم الباردة في عقول الساكنين فيها فتشطها وتبعث منهم قوة الارادة والنيات وتطلب منهم مطالب كثيرة تضطرم الى تنويع اساليب العمل

وبعد فليس كحصر بين البلاد في رقيها فهي ام الاقطار العربية وسوف نعلم غيرها كما نعلم فترسل اشعة انوارها على الاقطار ولا سيما اذا نالت استقلالها الاداري واصبحت ذات دستور يحل شؤونها ونهوض البلاد بحسب طبائع الحكومات التي تشولها

والمدينة كتيار قوي لا تقف في وجه سدود الحكومات بها ضغطت . ورابطة اللغة والدين اقوى الروابط لا تنزهها القوانين اليوم مما جارت والامة الآن تجر وتوسك ان تمشي مشية الشاب القوي العضلات التام الادوات والصفات . خصوصاً اذا تعاطفت وتعارفت اكثر مما تعاطف الآن وتعارف وعندنا ان الصلات الاقتصادية اي التجارة اذا قويت بين هذه البلاد اكثر مما هي الآن ورحل التاجر الرامي من العراق الى تونس وجاء المراكشي الى الشام ونمغس الياباني نحو مصر وكثرت المواصلات واشتركت المنافع واتحدت يتأق ان نقول ولو بعد قرن او قرنين . والقرن والقرنان لا يمان

شيئا في حياة الامم — ان هناك امة عربية ذات كيان يذكر لا ينسى عن كيان الفيلانيان واللاتان او اليابان والاميركان والعصر عبر تكوين الوطنيات باللاتان واحياء ما ندرش من القوات بنسب شملها بعد الستات ولا سبيل الى ان يوشن الاباحياء ائمة والآداب وتذكير الابهاء بما فعل الآباء والافئذ هذه الامة الكشيبة الصا لواردة البتاع والاصقاع امام المدنية الغربية اقرب الى الانساق من ان يبال منها ان البناء حتى ازيد من ان يبال بتعذر يروها . سبحان من يحيي المظالم ويهي رميم

العفة.

وتمدح العرب بها

العفة خلق بعهم صاحب . عن اهل مالاييل : نالذا عرض له المذمذ محرم . اوسخت له شهوة محظورة حل هذا الحلال الكرم . وبين التلوث بها . فمدح ان . استعمل كلمة « العفة » اني تجب فاذورة الزنا . ومن اكرم نفسه عن مذمة الاذورة كان في منجاة من حزمي الدنيا . وعذاب الآخرة . ويكتفي الزاني غزيا في دنياه ان يكون محترما في ذوبه معدما للمعاهات والامراض الحينة . وان يصيب مدرة سيئة . فاعلمه وولده في سلوك هذا الطريق المستور . وفي اعرف . لا ابل بهذه الرذيلة . فان له في ذل يوم حيلة يختلف اليها . وينفق من رزقه شيئا عليها . وتكون له زينة وولاد . فلم يكن امره ليخفى عليهم مهما بالغ في التكنم . ونا بال اكبر او ذده من الزنا . الى هذا الذكر وغمايته . حب الفاحشة . فجعل يسافر من بلد الى بلد في تطالب انتديات . وتمهيهين . وان تغاش طلين . وكيف يكون موقن الاب ابناء على اب . هذا ؟ أتراهم يندرك كبح جماحه وادراعه عن غيه . واتباعه بان ما هو فيه يدعي الى بيع الاحدوت . وضياح التمران . وحوار الصعة . وعذاب الآخرة . فاذ سمع له او يمشي هذا القول ماذا يكون جواب ابنه له ياترى ؟ وفي مثل هذه القصة نال الشاعر في المثل الدائر .

اذا كان رب البيت بالطل صارما . فلي تلم الحبيبة فيه ن الرقص
وقدما ما تمدح العرب بالتحل بالانفة . والابتعاد عن الموث بتذورة النهر . بل تجنب كل ما يلحق بهم . لمة . او يدعوا . لمة . فاذن الم لا يزد اسرابة جاره في غيبة زوجا تأثما وتكرما .

واذا كان جواباً مثل : « يا طائي » . وكان له جار بادي الخصاصة . احتال في إرفاد زوجته أثناء غيبته من دون أن يلم بها . أو يدخل بيتها وقد دل حاتم كى خلاته هذا في قوله :

رما تستكيني جارتني غير أنني اذا غاب عنها جليها لأزورها
سيلمها خيرى ويرجع بها . إليها ولم تسبل علي ستورها

قوله وما (تستكيني) أي لا يكتنهما أن تستكوني إلى نساء الحي فنقول : إن حاتمًا بخل علي . ومنعني معروف . في غياب زوجي . لأنول ذلك لما في كنت لا أقصر في فعل كل ما ينعم عيشهما . ربكي حاجتها . إلا الزيارة في كنت ادعها مدة غياب زوجها . وقوله (سيدلها خيرى) أي يصل إليها مردي ورفدي ولا أزال كذلك حتى يرجع زوجها من دون أن ادخل خدرها . وتسبل علي ستورها . وقال حاتم أيضاً في هذا المعنى :

ناري ونار الجار واحدة واليه قبلي تنزل القدر

يقول أن جاري لا يضره ناراً لنفسه وإنما تكون ناري له ناراً فيأكل هو وعائلته مما يطبخ . أيها بل إن القدر تنزل عن النار وتقدم إليه ليتناول منها حاجته قبلي ما ضرتني ناراً جاوره . إن لا يكون لبابه ستر

لأنبالي أن لا تكون ستارة لي باب بيت ساري . وذلك لأنني عفيف العن فلا أخشى أن نفسي السامع أن ادخل البيت . والنظر إلى النساء الرثي فيه .

اعلم إذا ما جارتني برزت حتى يوارى جارتني الخدر

هذا البيت كأنه جواب لسؤال يوجه إلى حاتم : فيقال له أحسنت إذ لم ترسل نظرك الخائنة من خلال السور إلى نساء نارك وكيف تصنع إذا برزت الجارة من خدرها وتمشت بين المنارب والبيوت . فقال في إذ ذاك (اء و) أي اغض عيني أو أنمضهما فلا أبعد أبصارهما حتى تدخل خدرها . وتتوارى فيه . واصل (العشى) متصور من دون همز - أن يضعف بصره فلا يهود بصره في الليل . وإن كان يقدر على الأبصار في النهار . والوصف منه اعشى . وبه سمي الشاعر المشهور « والناقة العشواء » التي لا تبصر أمامها شيء فتخط بيديها كل شيء يعترضها . وتسف الطرق على غير هدى . ومنه المثل فلان يخط خط عشواء

وقد تجوز حاتم فاستعمل « العشى » هنا بمعنى غض العين : او تغزير الجفن بحيث لا يمود يبصر الا كما يبصر الاعشى الضعيف البصر .

وقد اعطانا هذا العربي الكريم في شعره درساً جليلاً في الاخلاق وفي آداب معاملة النساء . يجدر بنا ان نحفظه . ونحذري مثاله . فلا تعرض الى النساء الاجنبيات . ولا سارقهن النظرات الخائفات

وقد افتخر حميد بن ثور الهلالي بما افتخر به حاتم فقال :

واني لعف عن زيارة جارتني واني لم تنو الي اغيابها

(مثنو) مبغض مكروه . يقول انه يكره ان يزورها لثلاثا يساء به الظن فيها . كما يكره ان يغتابها لثلاثا يقال انه تنزل لمافسة النسوان .

اذا غاب عنها لم يكن لها زواراً ولم تنبج علي كلابها

« زوار » على وزن غراب بمعنى كثير الزيارة ومن مادة الزيارة سمي الرجل الذي يكثر من زيارة النساء وغشيانهم ومجاستهم « زير » وبه سمي المهمل اخو كليب « الزير » ويقال فلان « زير نساء » اذا كان مولهاً بمجالستهم وتصبينهم

وما انا بالداري احاديث بيتها ولا عالم من أي حوك ثيابها

« حوك » مصدر حاك الثوب حياكة وزير النساء حمل على تعرف احوالهن وتسقط اخبارهن فيدري . اذا جرى بينهما وبين جاريتها او خادمتها . وماذا رأت او سمعت في العرس او المأتم الذي ذهبت اليه . وقد يستخبر منها عن نسج ثوبها . وسم اي صنف او جنس هو . ومن اين اشترته . وعند أية خياطة خاطته — كل هذه الاسئلة لأجل ان يكون له مادة للحديث يشغلها به حينما يزورها او يصادفها . فشاعرنا العربي لم يقصر في درس طباع هؤلاء الازيار « جمع زير » ومعرفة غريب حيلم . فهو يتنى عن نفسه ان يكون فاسقاً مثلهم او يشغل بالنساء اشتغالهم .

ومثله في ذلك عقيل بن علفه المري الذي يقول من ايات :

ولست بسائل جارات يتي اغياب رجالك ام حضور

(غياب) جمع غائب . وقوله (رجالك) اصله (رجالكن) بانثون لان الخطاب

للجارات ومن جمع . قالوا ان هذا الحنف او الخطاب بالمفرد جائز في الشعر فقط :

يقول : انه لا يسألن هذا السؤال ليتوصل به الى محادثتهن . او انه لا يسألن اياه

ارادة الدخول عليهن . وقضاء لبانة منهن

ولست بصادر عن بيت جاري صدور العير غمره الورود
(العير) حمار الوحش . ووروده بجوئه الماء يريد الشرب وصدوره رجوعه عنه
بعد شربه منه . و (غمره) بتشديد الميم من التغمير . وهو ان يرد حمار الوحش الماء
فيشرب اول الشرب ثم يحس بالصائد الكامن له على الماء فيرجع نافرأ غير مثلب وبه الى
الماء حاجة ونفسه تدعوه الى العودة .

فالشاعر يقول اني لا ادخل بيت جاري ابتغاء الزينة . وارده كما يرد عبر الوحش
منهل الماء . حتى اذا ثلمت بان الجار في البيت صدرت ورجعت مسرعة كما يفعل عبر
الوحش متى احس بالصائد القانص اذ ينقلب عن المنهل مفرأ تغميراً . وهو شديد
الظلم اليه .

ولا ملق لذي الودعات سوطي الإءبه حوربه اريد .
(ذو الودعات) هو الصبي الصغير الذي يلعنون عليه الودع خشية العين وميس
الجن . وقوله (ربّه) تأنيث (رب) وضميره يرجع لذي الودعات . ويعني بربته امه :
لأنها تربى وتملك امره وتصلح من شأنه . حتى يبلغ كاله . والتربية مأخوذة من
هذه المادة .

وقد زاد الشاعر هنا معنى لم يقله زميله الشاعر السابق : فهو يقول انه ليس بالوقح الذي
يتوصل الى مغازلة النساء ومحدثهن بمتاعاة اطفالهن وملاعبتهم . فاذا رأى طفلاً مع
امرأة حسناء او خادمة وسيمة التي الى طفلها سوطه او سمجته او لم سيكارتنه يظهر من
نفسه الرحمة بالاطفال وشدة العطف عليهم . والامر ليس كذلك وانما هو فاسق يريد
صاحبة الطفل . ويعني بها سوء .

واسلوب هذه الايات يعطي ان قائلها يريد التعريض بعدو منافس له : كأنه يقول
اني لا انزل لامثال هذه التناجات وانما ذاك خصمي فلان هو الذي اعتاد فعل ذلك .
ومثل قوله الاخير قول الآخر

لا آخذ الصبيان التهم والامر قد يفزى به الامر
(يفزى) من غزا قصد . ومنه غزوا العدو . لان الغازي يتقدم في موضعهم .
ومنه ايضاً (مغزى) الكلام . و (مغزى) القصة اي المعنى المقصود منهما . فلثم
الصبيان هنا ليس مقصوداً لذاته وانما هو امر قصد به امر آخر . وهو تحميش المرأة
والثمة بحسنها وجمالها . وشكلها ودلالها .

ولا اريد به «الزكل» هنا الميتة والصورة وانما هو بمعنى الفنج والدلال وشينها
تفتح وتكسر . شكات المرأة كفرحت فهي شكلة .
اما «التجميش» فلا ايج لنفسى التصريح باصل اشتقاقه . وانما اكنني بتفسيره
بالمغازلة .

وخطر لي الآن ان المغازلة — ويراد بها محادثة النساء بكلام الحب — مشتقة من
غزل القطن والصوف . وانما سميت هذه المحادثة بهذا الاسم . لان الزير يجلس الى
المرأة وهي تغزل فقد يساعدنها بالغزل او يحل الخيوط المعقدة او يسألها عن غزلها وما تريد
ان تنسج به مثلاً ويكون الزير بصنيعه هذا كأنه شاركها في الغزل . ولذلك جاء فعله
(مغازلة) عَلَى بناء المشاركة . ثم يتوصل الزير بهذه المشاركة الى احداث اخرى يعلمها
الازيار . ومن لطائف المتأخرين قول بعضهم .

وزان بحب الزنا مفرم اماط راءه الحيسا واطرح
يقبل اولادهن الصفا رومن عشق الدن باس القدح
المغربي

اخبار وافكار

الجمعية الخلدونية

في الشام ومصر وتونس جمعيات اسلامية كثيرة غايتها تعليم ناسئة الامة وبث روح
العلم والفضيلة في النفوس واهمها فيما نرى جمعية مآثر التربية والمقاصد الخيرية في بيروت
والجمعية الخيرية في القاهرة وجمعية العروة الوثقى في الاسكندرية والجمعية الخلدونية
في تونس . وامامنا الآن الخطاطب السنوي لرئيس الخلدونية القاه في الاجتماع السنوي
لانتخاب رئيس واحد عشر عضواً كما يقضي بذلك نظامها قال فيه انه لا تسمو كلمة الامة
ولا يتقدم لها شأن الا باشتراكها في السعي والعمل والقول والفكر وانه من اجل هذا
تألفت في العالم التمدن الشركات والجمعيات الادبية والعلمية واتحدت افراداً اعلى شعوراً
واحساساً . فرغبة في الحصول عَلَى هذه الغاية الشريفة سعى نخبة من فضلاء الامة التونسية
فوقفوا لتأسيس الجمعية الخلدونية العلمية التي مضى عليها الآن مدة تهاز اربعة عشر
عاماً لم تزل في غصونها دائبة عَلَى القيام بوظيفتها من توسيع نطاق المعارف ونشر العلوم

العصرية بين الشبيبة التونسية عامة وتلامذة الجامع الاعظم خاصة لاعتبار هذا المعهد العلمي كفرع للكلية الزيتونية .

ومع قيامها بتلك الوظيفة السامية لم تزل ايضا تبحث عن الوسائل الموصلة لاستكمال ذلك وترتب الدروس في الفنون غير المزاولة بالجامع الاعظم زيادة على التاريخ والجغرافيا والحساب والهندسة من بقية العلوم الرياضية والطبيعية التي لا يحسن الجهل بها في الاوقات الحالية .

وقال : ان مادة بقاء الجمعية هي اعانة المشتركين من ذوي النيرة والمروءة الذين قدروا المشروع حتى قدره واستمروا على مساعدته بما لم وعلم . وعناية اعضاء لجنة ادارتها ورؤسائها الفضلاء السابقين الذين يحق للجمعية ان تفخر بحزمهم وسعيهم في ترقية الجمعية وتسييرها من ارقى الجماعات العلية في شمالي افرقية وخص من بينهم بالذكر سيدي محمد الاصرم الذي بذل جهده في هذا السبيل واتفق وقتا ثميناً من حياته لتحسين تراتيبها واساليب تعليمها . ثم اهتمام السادة المدرسين الذين قاموا بما نيط بهم احسن قيام وساعدوا الجمعية على نشر العلوم التي كانت مفقودة في تونس وترجمتها من اللغات الاجنبية الى لغتنا العربية ونذكر في مقدمتهم سيدي البشير صفر والسيد حسن عبد الوهاب والسيد صادق الثلاثلي والسيد عبد الرزاق القطاس وغيرهم .

وقال : ان اهم نتيجة لعمل اللجنة في السنة السابعة مضاعفة الاعانة المالية المخصصة للجمعية من ادارة الاوقاف وماقررت بموافقة الجلسة العامة من تخيير مدة التعليم وتسييرها عاين بعد ان كانت عاماً واحداً حرصاً على ان يكون المتخرجون من مدرسة الجمعية اكثر علماً واوفر استعداداً لتلقي الدروس العالية او مباشرة الخدم المعاشية ومن تنظيم نظام التعليم بما يشمل بعض فنون عصرية كاللحكة والكيمياء وحياة الحيوان والانشاء العربي ومبادئ اللغة الفرنسية الخ .

هذا ام ماورد في خطاب الرئيس ولعل بعض قرائنا يودون الاطلاع على الغرض الحقيقي من تأسيس هذه الجمعية الراقية فنقول لم نقلاً عن تقريرها سنة ١٩٠٦ وهو يصدر باللغة الافرنسية ان اول من اقترح تأسيسها الميوريليه المحقق العسكري بالمقيم العام في تونس وكان من المتجربين في المسائل الاسلامية والواقفين على حركة النهضة المصرية فوقع في نفسه ان في مكنة شبان تونس المتعلمين في المدارس الفرنسية ان ينشروا في القطر التونسي الاساليب الحديثة المتبعة في بعض بلاد الشرق ويصلحوا جامع

الزينة على ما يناسب حال النهضة العلمية الحديثة فاذا صلحت حال هذا الجامع الاعظم يصبح كما كان مبعثاً للنور في العالم الاسلامي ولاسيما في شمالي افريقية . وهكذا سعى الى تأسيس هذه الجمعية فانشأها زمرة من الفضلاء والمتفكرين ودعواها بالخلدونية نسبة الى ابن خلدون المؤرخ الفيلسوف الذي وضع في مقدمته اصول التعليم والاصلاح العلمي .

ومن نظامها فتح دروس والناس بما خسر في التاريخ والجغرافيا واللغة الافرنسية والاقتصاد السياسي وحفظ الصحة والطبيعة والكيمياء خاصة وان تسهل على من فيهم استعداد لسلك سبل الارتقاء في العلوم ونظم على احداث خزائن كتب وان تنشي مجلة بالاربية والافرنسية تعرف العرب بالمدنية الفرنسية والفرنيس بالحضارة العربية

وبعد تأسيسها بمدة اعطيت مدرسة من المدارس القديمة جهاتها محلاً لصفوفها ومساهماتها ومكتبتها التي كانت تحتوي سنة ١٩٠٦ على ٦٩٠ مصنف بالاربية والافرنسية وقعت في ١١٥٣ مجلد وفيها الامهات المهمة ولاسيما ما يتعلق بتاريخ تونس وعمرانها ومدينة الاسلام

وقد لقي هذا المشروع ما كسبته قوة باديء بدءه وكثرت فيه الظنون والتخربات على نحو ما يلقي في العادة كل مشروع في الشرق ولكن عرف القوم بمدحهم بملاحة قصد القائمين وسكنت الاسن عن تناول الملدونيين بسوء خصوصاً لما يرون من حماية سمو الباي والدولة المستعمرة لجمعيتهم ولان المتخرجين في مدرستها اذا كانت بايديهم شهادة يفضلون على غيرهم في الوظائف

والدروس والمحاضرات التي تلقى في تلك المدرسة هي الحساب والهندسة والتاريخ والجغرافيا والطبيعة والكيمياء وقد اقاموا معملات كيمياوية في مكتبة المدرسة ليطبقوا العلم على العمل ثم اضافوا الى هذه الدروس علم المساحة ورسم الاراضي (الطوبوغرافيا) والرسم والجبر . وامم مائدور عليه المحاضرات تدبير الصحة العلمية والنظام القضائي سيف تونس وقانون العقارات وعلم الحقوق الاسلامي والفرنسوي والاقتصاد السياسي والاقتصاد الزراعي يلقونها في الغالب اعضاء الجمعية وفيهم العلماء والكاتبون والباحثون باللغة العربية وكان المستمعون قلائل جداً باديء الرأي فلما ثبتت الجمعية ارتقوا من الهشرات الى المثة والمثتين وكانت واردات الجمعية سنة ١٩٠٦ - ٦٨٨٩ فرنكا وتنفقاتها كذلك ولا شك انها زادت الآن بحسب حاجة العصر وارتقاء مدارك اهله . وقد انتخب لرئاسة الملدونيين هذه السنة السيد عبد الجليل الزاوش من علماء تونس وارباب الافكار فيها .

الجمعية الخيرية الإسلامية بمصر

بلغ مجموع إيراد هذه الجمعية الخيرية في سنة ١٩١٠ — ٢٢٣٤٠ جنيهًا و ٧٦ ملياً منها ٩٩٧ ج و ٢٠٠ م انتراكات و ٧١٧٢ ج — ٢٢٥ م إيجار اطيان و ٢٩١٧ ج و ٨٩١ م للاحتفال السنوي منه مبلغ ٢٢٣٧ ج و ٣٧٦ م لسنة ١٩٠٩ و ٥٢٤ ج و ٦٧٢ م تبرعات و ٢٠٣ م إيجار مباني الجمعية ببني مزار و طنطا و ٧٥ ج مرتبات خيرية و جنيده و مائة ملياً إيرادات متنوعة عمومية و ٦٧٢٣ ج و ٥٠٠ م أجور تعليم و ١٣٧٨ ج و ٥٦١ م ثمن كتب و أدوات مبيعة و ١٤٥٠ ج مرتبات خيرية و ٨٢ ج و ٣٧٥ م إيراد وقف المرحوم أحمد القدي شاكرو ٦٦٣ ج و ٧٨٠ م تبرعات و ٤٥ ج جازنات المرحوم علي باشا مبارك و حضرة عبد الرحمن بك رضا ٥٥ ج و ٧٦٥ ملياً و بلغ اجمالي المصروفات ١٨٥٥٢ ج — ٦٤٨ م و بلغ الباقي بعد نفقات سنة ١٩١٠ وهي نفقات التعليم الاعانة الصدقة الخيرية و النفقات العامة ١١٠٣٤ جنيهًا و ٢٢٨ ملياً

العلم الديني

نشر الميسو كومباري من علماء الفرنسيين مقالة في مجلة المجلات الباريزية بشأن التعليم الديني (العلماني) في فرنسا و حاسره و مستقبه جاء فيها ان حكومة الجمهورية تصرف كل سنة ١٢٠ مليون فرنك على المعلمين و المعلمات عدا ما تنفقه على بناء البيوت لمعلمي المدارس و معاملتها و ان عددهم يبلغ ٥٣٢٧٦ معلماً و ٥٩٣١٥ معلمة بحسب احصاء سنة ١٩٠٥ يتخرجون و يتخرجن من ٧٥ داراً للمعلمين يتقنون فيها ما يلزمهم تخرج الصبيان و البنات و كان عدد المعلمين سنة ١٩٠٧ في مدارس الحكومة الدينية ٤٦٥٤٣٠٦٣١ ففي وفاة ما عدا ٥٢٢٩٤٧ و ولد في مدارس الامهات العامة ٨١١٢٣١ تليداً في المدارس الخاصة و ٢٢٨٢١٣ في مدارس الرهبانيات وهكذا زادت فرنسا مدارسها في الثلاثين سنة الاخيرة فكثرت فيها كما كثرت كنائسها في القرون الوسطى و انتشرت المدارس حتى في القرى البعيدة فكان عدد مدارس القرى و مدارس الشوارع سنة ١٨٤٣ — ٣٨٠٠ مدرسة فاصبحت سنة ١٩٠٧ — ٦٨١٢٨ مدرسة

ومع ما بذل من العناية لم توفق فرنسا الى اخراج الامة كلها من ظلمات الامية فكان عدد الاميين من الجنود الذين كانوا تحت السلاح سنة ١٩٠٨ — ٩٨٥٣ لا يقرأون ولا يكتبون و ٤١٧٥ يقرأون فقط على حين كان في الجند العامل سنة ١٨٧٢ — ٥٦٠٠٠ أي و فرنسا مع كل ذلك لم تبلغ مبلغ جاراتها في قلة عدد الاميين في ابدتها فانه في

الجيش السويسري العامل وقدره ٢٨ ألفاً عشرين ألفاً فقط وفي الجيش الألماني واحد في الألف يعد في الآمين والسبب في كثرة الآمين في فرنسا بالنسبة لغيرها جهل بعض الآباء وأعمال الأولاد على كثرة تشديد المعارف والبلديات على أولياء الأولاد الذين يحملون إرسال أولادهم إلى المدارس الابتدائية يتعلمون ثلاث سنين ما يخرجهم عن حد الأمية والسبب الاجتماعي الذي يدعو في الغالب إلى تخلف الأولاد عن دخول المدارس قلة ذات أيدي آبائهم فلا يستطيعون أن يظهروا في بزة تناسب حالهم بين أترابهم ولكن الحكومة تداركت الأمر وأنشأت منذ مدة مدارس يضع فيها المحنون صدقاتهم ومنها يتفق على الأولاد المحاويج ما يلزمهم من كسوة وطعام مغذ في الشتاء ولكن لم تم هذه الطريقة اقطار فرنسا كلها وبلغ عدد الصناديق المدرسية ١٧ ألف صندوق ٣٧١ ألف مديرية أو مقاطعة

وبعد أن قال أن الفقر هو من الدواعي الكبرى التي تعول بين أولاد الفلاحين والاختلاف إلى المدارس ذكر أن بعض الذكور يحتاجون أن يعملوا ليطعموا بعض أسرهم ومن الإناث من يقمن على تربية أخواتهن وأخوتهن مدة تغيب والداهن في الحقول وأن أولاد الفلاحين ينقطعون عن المدرسة لأنك تراهم معظم السنة يشتغلون بحش الحشيش أو الزرع أو الحصاد أو قطف الكروم

ومن أعظم ما يحول دون تعمير المدارس الدينية ضخمة رجال الدين فانهم حرموا في فرنسا من يختلف إلى مدارس الحكومة لأنها لا تعلم الدين وطرودوا أولاداً لم يرقهم أمرهم ومنعوا تلاوة كتب لم تؤولف على هوامم والتعليم الديني لم ينجح على ما يجب به لضعف الوازع الأخلاقي ولأنه من الصعب أن تعلم أمة بأسرها تعاليم العقل وتطبق نفسها على نظمه وأشراب التعليم الأخلاقي الآن لفتيان صغار في عقولهم لا يتأتى لهم أن يقدروا نتائجها حق قدرها

ومن الطرق التي ارتأها بعض الاساتذة في إصلاح هذا الحال أن يعلم الكبار الذين لم يسعدهم الحظ بدخول المدرسة في صغرهم كما تفعل ألمانيا في تعليم جندها الأمي حتى يكون القرن العشرون قرن العناية بالشبان كما كان القرن التاسع عشر عصر العطف على الأطفال .

ويرون أن خطط الدروس الابتدائية كثيرة المواد يختلط بها ذهن التلميذ فالأولى الأقلال منها ما أمكن وطبع صورة اجمالية في ذهن التلميذ تعدد فقط لمبادئ ما يفهمه

لا يتعب بها ذهنه وتكون برزخاً له الى الانتقال الى تعلم الصناعات المفيدة او التعليم الثانوي فالعالمى .

وقد نصح الكاتب للاساتذة ان لا يدخلوا غمار السياسة ولا يسمعوا لكلام من ساءهم فصل الحكومة عن الكنيسة ويطمحون الى ان ترفع الحكومة يدها من التعليم وتمنح المعارف استقلالاً حتى تكون الامة مباشرة يريدون بذلك ان يجعلوا حكومة سيف حكومة فقال لهم ما قاله جول فردي مؤسس التعليم الدينيوي لبعض الاساتذة « اياكم ان تأملوا ان يكون منكم رجال سياسة فخير لكم ان تنشئوا عشرين وطنياً صالحاً من ان تساعدوا على انتخاب نائب في مجلس الامة » .

وليس معنى المدارس الدينيوية انها ضد الاديان بل معناه انها على الحيدة لا يجب القائمون باسم الامة ان يلقي العلم في المدرسة رأياً خاصاً له او رأياً من الآراء التي تروج في التوارع والازقة بل تريده على ان يترك من هوكل اليه تعليمهم ان يفكروا كما يشاؤون فاذا خالف ذلك واورد لم يبدأ دينياً يخون وطنه وامته فالمدارس الدينيوية ليست مدارس الحاد فاذا كانت لا يذكر فيها اسم الله فليس الغرض منها انها تخالف الله .

البعثة العلمانية

اصدرت البعثة العلمانية او الدينيوية في بيروت مجلة يكون لسان حالها بالغات الثلاث العربية والتركية والفرنسية سميتها « الرابطة » وكل قسم من اقسامها منفصل عن الآخر فقرأنا فيها مطالب هذه البعثة في الشرق وقد أسست لتنفيذها مدارس في القاهرة والاسكندرية وسلاطيك وبيروت وغيرها من البلاد والحوادث . وهي ترجوان « نعتقد في هذه البلاد التي فرقها التعصب دهرأ طويلاً المدارس العلمانية مدارس التساهل والاتحاد والسلام التي يجتمع على مقاعدها الموصوي والعيسوي والمحمدي جميعاً الى جنب فيتملون كيف يجب بعضهم بعضاً وكيف يحترم بعضهم دين بعض وشريعة بعض فلا يكونون من بعد اعداء يياغض بعضهم بعضاً ويخادع بعضهم بعضاً ويتضارسون ؟ !

وقد جاء في هذه النشرة ان البعثة العلمانية الافرنسية أنشئت لنشر التعليم اللاديني في غير فرنسا سنة ١٩٠٢ وعدد اعضائها من الفرنسيين اليوم نحو عشرة آلاف يقسمون الى عدة فروع منهم من يدفع فرنكين في السنة ومنهم من يدفع خمسة ومنهم من يدفع عشرة ومنهم عشرين والغرض من ذلك بث التساهل لا الطعن بالاديان وتعلم الحضارة الافرنسية والحضارة الشرقية بحسب حالة البلاد وان عملها انساني تقصد به تحسين حالة

النشأة في الماديات والمعنويات وتكيل الانسانية في العقول والاجتماعيات. وذكرت كلاماً للفيلسوف ادغار كينه (١٨٠٣ - ١٨٧٤) احد المبشرين الأول بالتعليم العلماني قال في الجمعية العلمانية: انها تمشي بمبدأ حب الوطنيين بعضهم بعضاً بتطوع النظر عن معتقداتهم فمسي ان تكون كما قال واكدته مئات بعده من انصار الجمهورية واحباب الاستعمار وبث الافكار

فلسفة اديسون

خالف، هذه المرة اديسون الاميركاني مخترع الكهرباء بائية جميع الفلاسفة الالهيين في الاعتقاد بخلود النفس فصرح ولم يجزم باعتقاده المادي وانكر الخلود محولاً ان يورد حجة علي دعواه في حوار له مع احدهم فقال: ليس الانسان انساناً بذاته بل هو باخلايا التي فيه، فالدماغ الانساني هو كآلة فلا سبيل لنا من ثم الى الاعتقاد بخلود الروح كما لا سبيل الى الاعتقاد بخلود اسطوانة من اسطوانات آتني الفونوغرافية علي اننا لم نجد حتى الآن احداً قال بخلود الاسطوانة فلماذا نبال به للادعة او للقوة التي فيها. لا جرم ان ذلك ناشي من كوننا لانعرف هذه القوة التي نعتقد بخلودها اذا فلنحكم بان الكهرباء خالدة ايضاً لانها قوة نجمها.

هذا ما قاله الفيلسوف بالحرف وقد احدثت نصريحاته اضطراباً شديداً في الولايات المتحدة وانطلقت الاسن في شرح اقواله في الاندية وقد صرح اديسون في خلال مقالته ان خصومه يعثرون على حجج تويده مدعاه في كتاب من تأليف الدكتور طومسون اسمه «الدماغ والشخصية» الا ان مصنف هذا الكتاب نفهه عن رأيه في هذا الشأن فأجاب جواباً لم يكن ينتظر منه. فقال ان آراء اديسون مخالفة للعالم فالامة التي لاتعتقد بخلود النفس يخل امرها وقد رد بعض القسيسين علي اديسون في معنى الخلود بقولهم اذا كان الانسان كما يدعي اديسون مجموع مواد مختلفة متلاحمة من خلايا فلا يكون اديسون مخترع الفونوغراف بل مجموع خلايا فقط.

الفقراء في المانيا

نشأ عن كثرة الولادات وقلة الوفيات في المانيا ان كانت هذه الامبراطورية سنة ١٨٧٠ اربعين مليوناً فصبحت الآن اربعة وستين مليوناً وتزيد الولادات عن الوفيات نهائة الف في السنة ولذلك نرى الفقراء كثيراً فيها وكذلك الاثرا يكون لان معامل البلاد وصناعاتها وزراعتها لانعول سوى اربعين مليوناً فقط ولذا يتوسل الالمان بجميع

ما لم من الاسباب ان يقللوا من الشقاء في المدن والقرى فما تقوم به المانيا في برلين مثلاً لتخفيف شقاء الفقراء انها افتتحت اربعة اسواق لاتباع فيها اللحوم الا من الفقراء ويحظر رجال الشرطة والصحة دخولها على غيرهم من اهل السعة . والسبب في هذا الحظر هو ان اللحوم كلها سواء كانت لحم بقر او عجل او خروف او خنزير لا تخلو من شبهة ولذلك لا يسمح ببيعها من الفقراء الا اذا جعلت في معمل كيمياوي يعقمها التعميم العلمي فيقتل منها الجراثيم الضارة . وهذه الرخصة بالسماح ببيع اللحوم الملوثة قد لا يسمح بها في البلاد الراقية ولكن الالمان بالملم اقساموا ان يفتنعوا حتى مما يفسر ولا يطرحون شيئاً مهما بلغ من قفاهته وبذلك ينتفع جماهير المحاويج بشاول اللحوم اللازمة لم في جهاد الحياة هناك

تعليم اللغات

اقرب طريقة لدرس لغة من اللغات ان يتلقفها الطالب من افواه ابنائها او ممن يحسنها كاحدم ولما كان هذا متعذراً على بعض الاشخاص ممن لم يسعفهم الحظ بوجود معلم ليدرهم اللغة التي يطلبونها في بلدهم اخترع احد الاميركيين آلة على نسق الحاكي يستطيع ان يدرس ابن اميركا اللغة الافرنسية والالمانية والاسبانية والاطالية بواسطتها مع قليل من الكتب دون ان يتكبده نفقات الاستاذ او عناء السفر الى تلك البلاد ليدرس لغاتها

اصل التصوير الشمسي

اخترع روجر باكون سنة ١٢٩٧ م الغرفة السوداء المستعملة للتصوير الشمسي وسيف سنة ١٥٥٦ لاحظ بعض الكيماويين تأثير النور في الفضة وقام بروغام بعد حين وادعى امكان حصول التأثير في العاج الحساس وذلك بمحلول الفضة .

والذي اخترع اكتشاف التصوير الشمسي في الحقيقة هما رجلان فرنسيان اسمهما نيس وداكر ونالا جائزة من حكومة فرنسا جزاء نشرهما طريقتهما واقدم الصور الفوتوغرافية محفوظة في متحف شالون ستورسون في فرنسا مسقط رأس نيس وكان دوروتي دراير اول شخص رسم بالتصوير الشمسي وكذلك شقيقه رسم سنة ١٨٢٩ . وظل التصوير الشمسي يرتقي الى ايامنا هذه حتى اعلنوا مؤخراً اختراع طريقتين جديدتين للتصوير البارز الناقص وانهما نجحتا واعلوا خبر اختراع التصوير الملون وهكذا لا ينتهي الاكتشاف والاخترع مادام العقل البشري يعمل ويفكر

اسباب الهجرة النبوية^(١)

ايها السادة

كلني اليكم اليوم في اسباب الهجرة النبوية ونتائجها الادبية
تعلمون ان كل مصلح قام في العالم سواء كان من الانبياء الكرام او العلماء الاعلام
ناله من قومه اضطهاد ولاقت دعوته في بادئ الامر صدىً واعراضاً والكذب الالهية
والتواريخ الاجتماعية شاهد حتى على ما نقول

ان امام المصلحين وخاتم النبيين الذي نحتفل بعيد هجرته الشريفة اليوم لافى كذلك
فوق ما يلاقيه كل مصلح الهيئة الاجتماعية وعانى من اهل الحسد والبغضاء من بني عمه
وغيرهم مالم يمازني من قبل ومع هذا فقد كان منذ بعث الى ان هاجر صابراً على الاذى
لا يفتأ يدعو قومه الى الاسلام ويعرض نفسه على قبائل العرب في مواسم الحج ويدعوم
الى دينه وحمائمه من حسد قومه ليتمكن بعد المنعة من بث الدعوة ونشر دين الهدى
والحق ووضع قواعد التبرقي الاجتماعي على اساس ممكن

لكن الذين يريدون الحقيقة لنفسها وبقبول الحق لانه حق قليلون في البشر لاسيما
في ذلك العصر وفي قوم حالم من الجهالة معروف لنا لم تصادف دعوته قبولاً الا من
جماعة قليلين من قريش وغيرهم الا انه كان فيمن اتبعه من قريش نفر من وجوههم
واهل المكانة والعقل فيهم مثل ابي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن
ابي طالب واشباهم من السابقين الاولين وصناديد قريش الذين ايدوا الدعوة المحمدية
ورفعوا بعد ذلك شأن الامة العربية بل شأن الشرق كله على وجه بهر انظار العالم وقلب
نظام الاجتماع في كثير من انحاء الارض على ما تعلمون

كان في اسلام هؤلاء ما يكفي ان يثير غيظ قريش وغضبهم وخوفهم على اوثانهم
فاشتدوا في اضطهاد النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فأجأوه في نهاية الامر للهجرة الى
المدينة مع ذلك نفر من المؤمنين .

وذلك بعد ان دعا جماعة من الاوس والخزرج من سكان المدينة الى الاسلام في
احد المواسم سنة عشر للبعثة وجاءه في السنة القابلة والتي بعدها جماعة منهم ببيعة قومه
فبايعوه بيعة العقبة الثالثة وقيل هي الثانية واسترثق له منهم عمه العباس بن عبد المطلب

(١) خلبة لرفيق بك العظم القاها في حفلة الاحتفال برأس السنة الهجرية

في القاهرة

فأقسموا على نصرته وعاهدوه على تأييد دعوته ثم نصروه بالقول والفعل وسموا بعد ذلك انصارا ونعم هذا الاسم وحذا الفخر بنصرة الحق والحقيقة والعدل امر بعد ذلك اسماؤه بالمجرة الى المدينة فأخذوا يهاجرون ارسالا الى جماعات مستخفين الا بطل قريش واشجع شجعانهم المجاهر بدعوة الحق رغبا عن انوف المكابرين فخر الامة الاسلامية بل فخر التاريخ عامة عمر بن الخطاب فانه اعلن هجرته وخرج مهاجراً على ملاء جبابرة قريش فلم يسعهم منه او الوصول اليه بسوء

اتصل بعد ذلك بالنبى خبر تأمر قريش على قتله فالتقى مع صاحبه ابي بكر بنى الخروج في نرس تلك الليلة التي عينوها لقتله وترك على فراشه علياً ابن عمه وخر والنوم برصدونه فزاغت ابصارهم عنه وانقذه الله منهم رحمة بالاذنية واتناداً لكثير من الامم من ظلمات الشرور

وكان خروجه عليه السلام في مثل هذا اليوم المبارك ومن جميل الاصدات ان كان يوم الاثنين كيومنا هذا الذي نحتفل فيه وذلك سنة ثلاث عشرة لبيعة مسلمة الله وصاحبه من كيدهم وبلغ مأمنه بسلام في قصة طويلة معروفة في التاريخ هذه اسباب المجرة فما هي نتائجها الادبية ؟

عجيب ايها السادة امر هذا الانسان القوي الضعيف يننا يتطال احبانا الى ان يتناول بمداركه كل ما تحت السماء ينحط حيناً آخر الى حضيض الغبراء . فحمد صلى الله عليه وسلم انما كان يريد حياة هؤلاء القوم ولكنهم كانوا يريدون قتله فما هذا التباين العظيم وكيف بلغت بهم قوة التمييز من الضعف هذا الحد ؟

اريد حياته ويريد قتلي ولو علم الحقيقة ما اراد

نعم جهلوا حقيقة النبي لا لنقص في ذكائهم الفطري واستعدادهم لقبول الفضيلة لان مظهر منهم بعد بضع سنين من ذلك التاريخ يؤيد انهم كانوا اذكي الشعوب واعظمها قابلية للخير والفضيلة لكن الانصراف الى عبادة الاوثان يدعو من طبعه الى الانصراف عن التفكير في خالق الوجود ويوجد الكمال في الطبيعة فيقف بالفكر عند حد محدود من التصور ويصده عن درك كثير من الحقائق عند عرضها عليه او مفاجاته بما لم يألفه منها وهكذا كان شأن قريش والعرب عامة مع النبي صلى الله عليه وسلم في هادي الامر

ولقد تحققت بعد لقريش وللعرب والناس كافة ان سلامة النبي من غائلهم قريش

في ذلك اليوم واستقرار الدعوة في مدينة يثرب هو مبدأ سعادة قريش وانفسها وسعادة مئات الملايين من البشر ونهاية النضاء في قسم عظيم من الارض على عبادة الاوثان وعلى سلطة افراد من سدة الهياكل وكنيتها، سلطة لا احد لها لا على النفوس فقط بل على الضمائر والعقول ايضا . اقول على الضمائر والعقول لان احتكار العلم الذي يراد به احتكار السيادة الدينية ما عرف الا بين جدران الهياكل حيث كانت نفيم طائفة من الناس تزعم انها وارثة ايزيس واوزيريس وبعل وجوبيتر واللات والعزى وما لا يعد من الالهة تسحر هذه الطائفة بما احتكرته من العلم عقول الشعب فتقوده حيث تشاء ولا تعطيه منه الا بمقدار ما يستطيع مئات الالوف من البشر ان يبنوا هيكلًا للشمس او قبرا لابن الشمس مكرهين مسخرين

ان الخلال تلك الهياكل الفخمة وبقايا تلك القبور المائلة المائلة الى اليوم تدل على ان ذلك النور الضئيل الذي كان ينبعث من وراء جدران الهياكل انما كان من اجل الهياكل لا من اجل الشعب ولا بالغ ان قلت ان بعض المدينيات القديمة للام البائدة احر بها ان تسمى مدينيات الهياكل بفضل اولئك السدة الذين كانوا يحجبون عن العقول نور العلم الصحيح ونور الحقيقة الالهية استعباداً للنفوس والارواح وقد اخبرتنا الكتب المقدسة واخبرنا التاريخ من احاديث اولئك الطائفة من الناس بما يغني عن طول الشرح هذا هو السر في أن قريشاً وهي سدة البيت العتيق اهترت اعصابها واستشمرت الخطر على سيادتها الدينية لاول دعاء دعا به النبي وهو التوحيد اي قول لا اله الا الله ولا عبودية لاحد سواه . فآظفروا له العداوة والبغضاء وما زالوا به حتى الجأوه واتباعه الى العجزة عنهم ولو علموا ان هذه الدعوة محبوبة لم تحتما فوق ما يزعمون من السيادة الوهمية وهي سيادة العلم والمدينة والسلطان العظيم في الارض بما سيكون اليعم من ميراث الامم لما فعلوا معه ما فعلوه ولكن اكثر الناس اعداء ما هم له

ومها كان الحال فقد كانت هجرته الشريفة خيراً لقريش والعرب والانسانية جمعاء اذ تمكن بعد امتناعه بالانصار من جمع كلمة العرب ووضع قواعد شريعته الفراء التي قيدت قية، د عبودية البشر للبشر وفسحت للعقل مجال النفاذ في الكائنات فحملت العلم متاعا بين بني الانسان من كل الطبقات فندبت عامة الناس الى تعلم الم وتعلم اللغات والاستفادة من نواميس الكون وأسرار الطبيعة وجعلت قاعده التفاضل بين المسلمين التتوى والعلم فلا يفضل عالم جاهلا الا بعلمه . ولا يفضل نبي شقيا الا بعمله

فكان من هذا نذير عظيم بالتبدل العتيد لشكل المدنية القديمة والعلم الناقص انتفض له جسم الانسانية الهامد تحت ضغط الخرافات الوثنية التي شبت بها علوم الأقدمين وانشطت النفوس الى تناول حقها الطبيعي من هذا الوجود بما قرره الاسلام من: بادي الاشتراكية العامة الصحيحة التي مبناعا ان العقل رأس مال كل فرد فن حق كل فرد ان يتناول من العلم ما استطاع ليتساوى مع اخيه في الاشتراك بمرافق الحياة

وهذا هو السر في ان المدنية العربية كانت ارقى مدنية سبقتها وان العرب فعلوا في قرنين مالم يفعله غيرهم في قرون وكانوا اسرع الامم سيرا في سبيل المدنية وتبسطا في الحضارة فما لبثوا بفصل الاسلام جيلا وبعض جيل آخر حتى نشروا نبيادتهم ودينهم ولقنهم في احسن اجزاء المعمور ولما توطدت لم دعائم الملك على عهد الدولتين دولة الخلفاء الراشدين ودولة الامويين وقبضوا على زمام السيادة السياسية في معظم الممالك القديمة صرفوا عنايتهم للاخذ بأزمة السيادة العلمية فلم يكفهم ما كتبوه واشتغلوا به من علوم الشريعة والادب واللغة والتاريخ وسائر فنون العربية بل اهتموا بترجمة كتب اليونان في الفلسفة والفلك والهندسة والكيمياء والطبيعة وغيرها فكان اهتمام عامتهم ينقل هذه العلوم الى اللغة العربية كاهتمام خاصتهم وخلفائهم ووزرائهم فكما كان الخليفة المأمون يعطي حنين بن اسحق المترجم عن كل كتاب ينقله الى العربية زنته ذهباً مثلاً بمثل ما كان بنو موسى بن شاكر الهندسون وهم من عامة الشعب يعطونه كل شهر خمسمائة دينار من اجل الترجمة هذا فضلا عما كانوا يتفقون من الاموال على المكثب التي كانوا يتفقون في طلبها من بلاد الروم والاصقاع البعيدة بالثمن الباهظ

وكما كان كذلك محمد بن عبد الملك الزيات الوزير يتفق على المترجمين من ماله الخاص نحو التي دينار في الشهر وكثيرون غير هؤلاء من الخلفاء والوزراء والعلماء من كانوا يتفقون على استحضار كتب العلم وترجمتها

لم يقف بهم الامر عند هذا الحد من تعلم العلم وتعليمه ونشره عملا باوامر صاحب العجوة وواضع اساس المدنية الصحيحة عليه الصلاة والسلام بل عمدوا الى تأسيس المدارس فأنشأ العباسيون اهل كلية جامعة في بغداد على عهد الرشيد والمأمون سمي بدار الحكمة وكانت تدرس فيها سائر العلوم الحكيمة كاللغة والطب والكيمياء والهندسة والفلك وغيره ثم المدرسة النظامية ثم المستنصرية في بغداد ايضا وحذا حذوهم في ذلك الامويون في الاندلس والناطليون في مصر حتى وصلوا سلسلة المدينة المنورة من عهد هخموط

دولة الرومان بملقة من المدينة العربية كان لها الفضل العظيم على العالم المتحدين لهذا العهد لانها كانت الصلة المتممة لترقي الانسان وترقي المدينة بما مهدته لعلماء اوربا من سبل المدينة الحديثة عجيب امر هذه الامة ايها السادة ولقد يكاد يظن القاري لآخبارها ان رقيها السريع من الحوارق وما هو كذلك بل هو نتيجة الافراج عن العلم واخراجه من بين اسوار الهياكل وجعله مشاعاً مشتركاً بين الناس يتناول عقل كل فرد نصيبه منه وحقه ان يتناول ذلك مادام العلم ثمرة من ثمرات العقل

عرف المسلمون في ابان مجدهم ومدينتهم هذه القاعدة وحرصوا على مهدي الاستراكية العامة فلما لا يكون العلم محتكراً لطائفة او قاصراً الى فريق دون فريق تغالوا في انشاء المدارس المتنوعة بتنوع المتارب والعلوم تغالوا لم تجارهم فيه امة من قبل فجعلوا مدارس لثلاثي علم الحديث سموها دور الحديث ومدارس لفروع الشريعة على عدد المذاهب فدارس الشافعية غير مدارس الحنفية ومدارس المالكية غير مدارس الحنابلة ثم مدارس الطائفة التي يدرس فيها الطب والفلسفة والرياضيات والفلك وغيره من العلوم الحكيمية وكانت اكثر هذه المدارس داخلية ذات غرف يأوي اليها الطلبة ولم يكن التعليم فيها مجاناً فقط بل كلف للطلبة فوق ذلك جرايات ومرتبات تمنحهم عن العمل لغير العلم

ومن ادلة تغالي هذه الامة في انشاء امثال هذه المدارس كتاب خطي موجود في مكتبي اليوم في نحو الب صفحة وهو خاص بمدارس دمشق وحدها من القرن الخامس الى التاسع وفيه تاريخ مائتي مدرسة او تزيد على ذلك منها ثلاث مدارس طبية أنشئت في عصر واحد في مدينة واحدة من المدن الكبرى الاسلامية فما بالك ايها السادة بمنيرها من المدائن الشهيرة التي كانت مراكز الحضارة الاسلامية كحلب والموصل وبغداد وسمرقند والقاهرة ونونس ومراكش وخليطة واسبيلية وغرناطة وغيرها من المدن الشهيرة التي كانت تفيض انوار العلم والمدينة الى الشرق والغرب

اما تأثير هذه المدارس وعلوم العرب وآدابهم التي كانت تدرس فيها في اهل الغرب وعلوم المدينة الحديثة فما لا يتسع لذكره هذا المقام وبكفي فيه شهادة علماء الافرنج انفسهم فاذا سمحتم لي انلو عليكم شيئاً من شهادة عالم محقق كبير من علماء اوربا فيما العرب من الفضل على المدينة وهو العلامة مديو صاحب تاريخ العرب

قال هذا النصف المحقق في مقدمة كتابه المذكور بعد ان اثني على اخلاق ديننا وعمله الجليل في جمع كلمة الرب :

« واما تواريخ الخلفاء الراشدين وكذا الاموية في دمشق وقرطبة والعباسية في بغداد والفاطمية في مصر ووصف تمزيق الممالك الاسلامية التي طار عليها المغول فدونها الافرنج ندوبنا حسناً واضناً اليها ما تركوه من اصولها وهو وصف المدينة العربية التي تمكنت اصولها في آفاق الدنيا القديمة اقوى تمكن ولا تزال الى الآن نرى آثاره حين نبحث عن مستمد مبادئ ما نحن عليه من المعارف الاوربية فان العرب في غاية القرن الثامن من الميلاد تركوا صفاتهم الحربية وشغفوا بنيل المعارف حتى اخذت عما قليل مدائن قرطبة وطليطلة والقاهرة وفاس ومراكش والرقّة واصفهان وسمرقند تباخر بغداد في حيازة العلوم والمعارف وقرئ ما ترجم الى العربية من كتب اليونان في المدارس الاسلامية وبذل العرب همهم في الاشتغال بجميع ما ابتكرته الافهام البشرية من العلوم والفنون . وشهروا في غالب البلاد خصوصاً البلاد العربية من اوربا ابتكارات تدل على انهم آمنوا في المعارف

ولنا شاهداً صدق على علو شأنهم الذي يحمله الافرنج من ازمان مديدة الاول ما أثر عنهم من تواريخ القرون المتوسطة واخبار الرحل والاسفار وقواميس ما اشتهر من الامكنة والرحال والمجاميع التامة لكثير من الفنون الفاخرة . والثاني ما كان لديهم من الصناعات الفاتنة والمباني الفاخرة والاستكتشافات المهمة في الفنون وما اوسعوا دائرته من علوم الطب والتاريخ الطبيعي والكيمياء . المحيطة واللاحة والعلوم الصحية التي مارسوها بناية النشاط من القرن التاسع الى القرن الخامس عشر من الميلاد اي من القرن الثالث الى القرن العاشر الهجري »

الى ان قال بعد تخطئة بعض علماء الافرنج الذين قاوا ان الهنود والصينيين اقدم من العرب :

« واما المدرسة البغدادية المدونة للعلوم التقنية في الفترة التي بين عصر برناب الاسكندرية والاعصر الاخيرة فكانت مساعدة على استيقاظ اهل اوربا من رقدة الجهالة ونشر انوار المعارف في جميع ممالك آسيا »

وبعد ان ذكر كيفية انتقال العلوم من العرب او بواسطتهم الى ممالك آسيا . الصين . الهند . والتركتان وغيرها قال :

« ثم اطلع اهل الغرب من اوربا على اسرار تلك العلوم فأخذوا يشتغلون بها حتى جددوا في البلاد الافرنجية المدنية واللغة العربية وفنونها الادبية التي اخذت كل يوم

في زيادة الانتشار بين الافرنج وما زلنا الى الآن نستكشف اموراً مهمة (يريد من القضايا العلمية) من الكتب العربية القديمة وان عزي ابتكارها زوراً الى بعض المتأخرين من الافرنج

هذه شهادة عالم اجنبي عن اوطاننا ولغتنا وديننا تشعر ان المدنية العربية وآدابها عمت منافعها الشرق والغرب وان العرب كانوا اساتذة العالم بلا نزاع وبالتالي كان لهم الفضل على العالم اجمع وقد شهد كثير من علماء اوربا ومحققها مثل هذه الشهادة كالعالم دسامي والعالم دربي والعالم كوستاف لبون وغيرهم ولمن كان الفضل في هذا كله؟ كان لصاحب الشريعة الاسلامية الذي نحتفل بميد هجرته اليوم ولائته النجيبة التي خدمت العلم والمدنية والانسانية جمعا خدمة لا ينكرها الا العوام الجاهلون الذين ينفق قلوبهم مرض وعلى ابصارهم غشاوة فهم لا يسمعون
فسلام على يثرب و سلام على ساكنها العظيم و سلام على امته النجيبة و عليكم اجمعين

رأس السنة الهجرية

هلّ الهلال فحيوا طالع العيد
يا حرف شك ستلقانا على ثقة
وقد عقدنا المني في نون نو كيد
كأن حسنك هذا وهو رائنا
لله في الخلق آيات وعجيبها
تجدد روعتها في كل تجدد

فتيان مصر وما ادعوا بدعوتكم
سوى الالهة من علم ومن ادب
سوى مجيئين احرار مناجيد
مؤمنين لفضل غير مجحود
المتسر شعار المتندين به
وفي النهي رمز جد غير محدود
سفي العين رمز ليقات يحده به
ما زال من مبداء الدنيا يثبتا
فان تسيروا الى الغايات سيرته
الى الكمال فقد فزتم بمشود

(١) تحليل افندي مطران من كبار شعراء سورية نزلاء مصر قالها في رأس هذه السنة الهجرية والاحتفال بها

اليوم عيد به معنى السرور لكم
رسالة الله لانهى بلا نصب
رسالة الله لو حلت على جبل
ولو تحملها بحر لثب لظي
فليس بدعاً اذا ناء الصفي بها
ينوي الترحل عن اهل وعن وطن
يكاد يمكث لولا ان تداركه
ولم يكن بدوه يوماً لتعيد
يشق الامين وتغريب وتكيد
لاندك منها واضمحى بطن اخدود
وجف وانها ل فيه كل جلود
وبات في الم منها وتسيد
جاراً عليه بقلب منه مكدود
امر الاله ل امر منه موعود

فاذ غلا القوم في ابدائه خطلا
دعا الموالين ازماناً لهجرته
مضى هو البدو والصديق يحبه
مولياً وجهه شطر المدينة في
حتى اذا اتخذ الغار الامين حنى
حنا عليه فما مثواه منه سوى
يا للعقيدة والصديق في سهر
ان العقيدة ان صحت وزلزلها
اما الذين بقوا من صحبه فتلوا
ما جندة يصرا وكسرى اذا افتخروا
كانهم في الدجى والنجم شاهد
في حيطه الله ما شمت اسنتهم
وشردوا تابعيه كل تشريد
فلم يحبه سوى الرهط الصناديد
يقامر الحزن في قفراء صنجود
ليل اغر على الادهار مشهود
ونام بين صفاء نوم محبود
مشوى الجنين من البركة الرود
تؤذيه انى ويكي غير منجود
مفني القرى فعي حصن غير مهدود
سارين في كل مسرى غير مرصود
كهولاء الاعزاء المطاريد
فرسان رؤيا لشأن غير معبود
فوق الظلال على المهرية القود

عاني محمد ما عاني بهجرته
وكم غزاة وكم حزب تجشمها
كنا الحياة جهاد والجهاد على
ادنى الكفاح كفاح المرء عن سفه
وضل زاعم سوء لا اضطلاع له
لينهم العيش طلقاً كل مقتم
لأرب في سبيل الله محبود
حتى يعود بتكسين وتأيد
قدر الحياة ومن فادى بها فودي
للاحفاظ بعمر رهن تحديد
فالجد اذ قال من يخلق فقد عودي
وليبغ في الارض شقا كل رعيد
الجزء ١ (١٠) المجلد ١

ومن عدا الاجل المحتوم مطلبه عدا الفناء بذكر غير المحمود

لند علمت وما مثلي ينبغيكم
ما انتجت هجرة الهادي لامتة
وسودتها على الدنيا باجمها
بدا وللشرك اشيع توطده
والجاهليون لا يرضون خالقهم
مؤلمون عليهم من صنائعهم
مستكبرون أباه الضم غر حتى
لا ينزل الرأي منهم في تمزقهم
ولا يضم دعاء من اوابدم
ولا يطيقون حكماً غير ماعدا
باي حلم ميبد الجبل مرهقه
اعاد ذاك الفقى الأمي امته
لثلك تالية الفرقان في عجب
صعبان راضهما توحيد مشرم
وزاد في الارض تمهيداً لدعوته
وبدئه الحكم بالشورى يتم به
هذا هو الحق والاجماع ابده
اي مسلمي مصر دين الجد دينكم
طال التقاعس والاعوام عاجلة
هبوا الى عمل يجدي البلاد فما
سعيًا وحزماً فرد العدل ودمكم
لا تنعبوا لانملوا ان ظلمكم
تعلموا كل علم وانبغوا وخفوا
فكرو العقول من التصفيد تنطلتوا
مصر الفؤاد فان تبغوا سلامها

لكن صوتي فيكم صوت ترديد
من صالحات اعدتها لتخليد
طوال ما خلقت فيهم ابتسويد
في كل مسرح باد كل توطيد
الا كعبد لم في شكل معبود
بعض المهادن او بعض الجلاميد
ثقال بطش لدان كالاً ماليد
الا منازل تشيت وتبديد
الا كما صيح في غفر ابائيد
لذي لواء على الاهواء معبود
واي عزم مذل القادة الصيد
شمالاً جميعاً من الغر الاماجيد
بل آية الحق اذ يعني بتأكيد
واخدم بعد اشراك بتوحيد
بعده للمسيحين والمهود
ماشاء الله عن عدل وعن جود
فن يفنده اولي بتفتيد
وبش ما قبل شعب غير مجدود
والعام ليس اذا ولي مجردود
يفيدها قائل بالأمي سودي
وان رأى العدل قوم غير مودود
الى غدير من الاقوام مورود
بكل خلق نبيه اخذ تشديد
وما نبالون اقداماً بتصفيد
فالشرق ليث وقد صحت بمفود

الشرق نصف من الدنيا بلا عمل سوى المتاع بما يضي وما يودي
 الغرب يرق وما بالشرق من هم سوى التفات الى المامي وحديد
 تشكو الحضارة من جسم اثل به شطر يمد وشطر غير معدود

ابناء مصر عليكم واجب جليل ليث مجده قديم العهد مفقود
 فليرجع الشرق مرفوع المقام بكم واتره مصر بكم مرفوعة الجيد
 ما أجل الدهر اذ باقي وأربنا حقيقة اللؤلؤ والذكرى يتمجد
 والشرق والغرب معوانان قد خلصوا من حاسد كائد كيداً لحسود
 صنوان بران في علم وفي عمل حران من كل نقييد وتعيد
 لا فمل بخطي فيه الخير بعضها الا تداركه الثاني بتسديد
 ولا خصومة الا في استباقها لما يعم بنفع كل موجود

...

هذي الثار التي يروح الانام لها من روضكم كل نام ناسر العود
 لمصر والشرق بل للخافقين معا دع زعم كل عدو الحق مريد
 جوزوا على بركات الله عامكم فقد تبدل منحوس بمسعود
 رجاؤكم ابداء ملئ النفوس فما ينفي بحسنى ولا يوهى بشديد
 بدا الفلاح وفي هذا الهلال لكم بشرى التمام لوقت غير محدود
 غدا نرى البدر في ارض السماء محيا بخاتم النور زلات الدجى السود

الصيد في انكلترا

لا يخفى ما في الصيد من المنافع الاقتصادية فان بعض الافطار نتوقف حياتها على
 الاكثار منه فان في انكلترا مثلاً ٤٥٦ سرب كلاب وتكلف النفقة لى كل واحد
 منها ٢٥ الف فرنك في السنة وبقدر ما يصطادون من المرات في الاسبوع فاذا صادوا
 اربع مرات في الاسبوع مثلاً يكلف في السنة ١١ - فرنك كل سرب من الكلاب
 ومجموع ما تنفقه انكلترا على كلابها ١٨٥٢٥٠٠٠ فرنك ويلزمها ما يناهز الف حصان
 للصيد وثمان كل واحد منها تعدل قيمته بالف وخمسمائة فرنك في مجموع قيمتها اذا اثنا عشر
 مليون فرنك وتكافئ نفقة كل حصان في السنة ١١ فرنك اي ثمانية ملايين فرنك من
 حيث المجموع ويقدر ما يأتي من ارباح الصيد في انكلترا للتجار وارباب المزارع وغيرهما

بخمسين مليون فرنك يستفيد منها الفلاحون وتجار الخيل والسياس والسروجيون واغنياطون وسكك الحديد والحريزين وارباب الفنادق والتصابيرن والحراس وغيرهم واذا بطل الصيد يفقد هؤلاء ملايين من الفرنكات ينفعون بها لقوام حياتهم

طالبة السوريين

بلغ عدد طلاب سورية الذين يتلقون العلوم المختلفة في مدارس اوربا ولاسيا في فرنسا خمسين طالباً اكثرهم من دمشق وبيروت

تدل الاهوية

لا يزال الشيوخ في بلاد الشام يذكرون ان الامطار والثلوج كانت تنصل سلسلتها منذ خمسين عاماً اباماً وايال تمنع الناس عن الخروج في الاسواق في المدن والفلاحين عن تعهد حقولهم وحدائقهم في القرى مدة طويلة وقد بطل ذلك اليوم فتبدلت تلك الثلوج والامطار الغزيرة برد وجليد بدوم اسابيع فيهلك الزرع والضرع كما حدث في الشهر الماضي فدام الجليد المضي زهاء شهر ونزات درجة الحرارة الى سبعة تحت الصفر في الحال المعتدلة كدمشق مثلاً وذلك بالميزان المثوي وهلك نحو ثلث الماشية في بعض انحاء سورية لقلة المراعي وتضررت المزروعات الشتوية والاشجار المثمرة بالجليد المتصل وقلة الامطار الممطرة واذا دام الحال في احتطاب الغابات على هذا المتوال تصبح سورية جرداء مرداء على ماورد في مبحث غابات سورية من هذا الجزء . وهناك الضرر العظيم في قلة المياه في الصيف فيجف الجداول والانهار وتصبح اكثر الاصقاع المنخفضة قاحلة كل هذا والحكام غافلون او متغافلون والسكان جاهلون او متجاهلون

شجرة الماء

بحث بعض العلماء في اميركا هذه الآونة في شجرة الماء التي بكثرت وجودها في الاصقاع القطبية من اميركا وذكرها كثير من ارباب الرحلات في سياحتهم وهي شجر كالصبار يحتوي جذعه كمية مهمة من الماء الذي يشرب واسم هذه الاشجار شجرة البيزنكا وفيها عصير مائي بكثرة ويستخرج الماء منها بآداة حادة من مدية او فأس تقطع بها رأس الشجرة واذا لم يجد السائح اداة قاطمة بكسر الاشواك منها ثم يحطم رأسها بججر كبير وبهذا ترفع طبقة غلظها من ١٥ الى ٢٠ سنتمراً فينزع لبا مغشى في ثقب يحوي نحو عشرة لترات من الماء فيسحقرن اللب باليدين فيخرج منه سائل لذيذ يروي الظما وهو ارق

من الهواء . وفي كل ضبارة لتر الى ثلاثة لترات من الماء ، ويتخذ هنود اميركا من هذا الشجر مايروون به ظلام بعض اشهر السنة و يفضلون ماءها على كل ماء ، ويستعملونه لطبخ البط وغيره من الطيور التي يصيدونها في تنقلاتهم . ومن هذا الشجر نوع اسمه ساكوارو له مثل خاصية الشجر المتقدم ذكره ولكن يمازج ماء شهي من المواد المرة . قالت الجلة التي تنقل عنها وقد دلت التجارب ان السياح لو كان معهم انبيق او آلة للتقطير لما صادفوا في سبيلهم صعوبة في اختيار الماء الجيد وقد صنع احد مآلة تحمل مع المائح تنفي بهذا الغرض فيقطر بها في الحال من ثلاثين الى اربعين لتراً من الماء المقطر السالم من مضار الماء الملوث في مثل هذه الواحات .

هجرة الاوربيين

الظاهر ان قد اكدت الولايات المتحدة الاميركية بمنزلها من الاوربيين مهاجرين اليها منذ قرن اذ قد خف معدل قاصديها من ام الممالك الاوربية . فقد كان عدد من هاجر اليها من النمسا و المجر سنة ١٩٠٧ — ٣٠٠ الف فاصبح سنة ١٩٠٩ — ١٧٠ الف وكان عدد المهاجرين من ايطاليا ٢٨٥ الف تلك السنة فنزل الى ١٨٣ الف وكان المهاجرون الروسون ٢٥٨ الف فتناقص الى ١٢٠ الف والانكليز من ٥٦ الف الى ٣٢ وانفرنسيس من ٩٧٠٠ الى ٦٧٠٠ وسكان حنوبي اوربا يقصدون في الغالب الجمهورية الفضية في جنوبي اميركا ففي تلك الجمهورية نصف مليون من الاسبانيول وثلاثمائة الف من الطليان في حين ان سكانها لا يتجاوزون السبعة ملايين منهم خمسة ملايين من الاهالي الاصليين

مدرسة الفنادق

عزمت باريز ان تنشي لها مدرسة لتعليم ارباب الفنادق وليست باريز هي التي ابتكرت هذا الفكر بل سبقتها اليه سويسرا والمانيا وايطاليا يعلمونهم كيف يرفهون السائحين والنازلين ويستجمعون صفات الراجة والهناء وفيها تنفي دروس نظرية وعملية يفهمها كل سامع فيتعلم فيها الطلبة علم سرعة الاستملاء والحساب والجغرافيا الوصفية وبعد دراسة ثمانية اشهر يطبقون ما تعلمونه بالنظر على العمل تحت نظارة العاوفين والفاضلين

البساط المنفي

اخترعوا بساطاً من نسيج اسلاك الحديد اشبه بثريرة معدنية ذات حلق مسردة

يمد على ارض الغرفة التي يراد تدفئة ارجل الجلوس فيها خصوصاً الزوار الذين يدخلون
مخدع الضيوف وارجلهم ترتجف من البرد . وهذا البساط ليس الحجري الكهربائي بواء طقة
آلات التنوير او الجرس الكهربائي . وهذه الآلة مفضلة بنسيج ملطف يمنع المدن
مما يضر به . ونفقة هذا البساط في الساعة لا تتجاوز الخمسة سنتيمات . وهكذا لم يكشف
اهل الغرب بما لديهم من ادوات الدفء من الموائد المتنوعة ومنها بالكهرباء وأخرى بالغاز
وبعضها بالبتروول وأخرى بالفحم الحجري او بالخطب بل رأوا ان تدفأ الارجل ايضاً في
الحال وما ندري ماذا يهدهم اليه البحث بعد ذلك للرفاهية والراحة

المعارف في يابان

بلغ عدد المدارس الابتدائية في يابان ٢٨ الف مدرسة وعدد مدارس المعلمين للتسم
الابتدائي ٦٤ وعدد المدارس الثانوية ٣٧٠ و٣ مدارس عالية لتخريج معلمي المدارس
الابتدائية والثانوية و٨ مدارس عالية للطلبة الذين لا يريدون الدخول الى كليات
طوكيو وكيوتو الاثنين محتويات على ١٢ مدرسة عالية . هذا عدا ٤٩ مدرسة عالية
للبحرية والحربية والطب والصناعات المختلفة . وعدد المدرسين في هذه المدارس كلها
١٢٥ الف مدرس وعدد الطلبة ٥٥٥٦٥٤٩٥ طالباً منهم ٥١٤٤٦٠٠٠ في المدارس
الابتدائية الاجبارية . ولا يعلم الدين في مدارس الحكومة

تدبير الغذاء

الصحة هي الثروة الاولى التي يجب الدفاع عنها ولا سبيل الى ذلك الا بالتدقيق في
تدبيرها بالتغذية المعقولة والسير في العمل والراحة على ما يقتضيه تركيبنا وما خص به
الخالق بني البشر من القوى الطبيعية والعقلية . فحسب لنا نحن استنشاق الهواء ولا
السير على الاقدام ولا المنام للراحة ونهمل امر عضلاتنا ونسي استعمال اعصابنا فنفتح
بصنعنا الباب الى الجراثيم الضارة فنم اجمنا وتحيط بنا خصوصاً وهي مستعدة الى التدرب
على الدوام الى خلايانا لتعذب بها وتعيث . ولكن اذا احسننا الغذاء والعمل والراحة
والنزهة والنوم وكانت لنا ارادة قوية يكون لنا من الصحة ما نتغلب به في معظم هذه
الحياة الاجتماعية

فقد قال الحكم اليوناني : اعرف نفسك فاذا عرفت نفسك وعرفت مزاجك تضع
لها تدبيراً صحيحاً من الغذاء والرياضة ينفعها . ومعلوم ان امزجة الناس اربعة المزاج اللغوي

او البلغمي والمزاج السموي والمزاج العصبي والمزاج الصفراوي . ومن النادر ان يخرج الانسان عن احد هذا المزاج الاربعة بل يكون مزاجه مؤلفاً من اثنين او ثلاثة منها ويكون احدها متغلباً على الآخر وهذا هو الذي يجب مراعاته في تدبير الغذاء والاعمال . والحمل بالمادة الغذائية من كل طعام من الامور التي لا تحتقر ومعرفة اهم في قوام البنية مما يتوم بعض العامة وذلك من الوجهين الصحية والمنزلية .

وما المعدة الا بيت نار وقوده الاطعمة وعملها الكيماوي مع استنشاق الهواء يحدث الحرارة اللازمة لبقاء الجسم وتحويل ما يدخل فيه وما يخرج منه بقدر ما يتناول من الغذاء . وقد حسب علماء منافع الاعضاء هذه الحرارة بحساب الكالوري فهم يقدرون معدل ما يلزم لرجل بالغ اشد من ٢٨٠٠ الى ٣٠٠٠ من الكالوري اوقياس الحرارة . واليك الآن كميات الكالوري التي تنشأ من الطعام الاكثر استعمالاً وهي مقدرة بمئة غرام اي انك اذا تناولت ١٠٠ غرام من السمك تحصل ١١٣ من الكالوري : ففي السلطة ١٢ من الكالوري وفي الملفوف ٢٧ وفي الثمار اليابسة ٣١ وفي البقول المغصرة ٣٧ وفي اللبن (الحليب) ٦٢ وفي البطاطا ٨٣ وفي اللحم ٩٤ وفي البيض ١٥٣ وفي الخبز ٢٥٥ وفي الارز ٣٤٥ وفي البقول اليابسة ٣٦٢ وفي السكر ٣٨٠ وفي التوكولاتا ٤١٥ وفي الجبن ٤٦٦ وفي الزبدة ٧٥١ .

فلك ان تحصل على ٢٨٠٠ من الكالوري اذا تناولت ٦٠٠ غرام من الحبز او المنجعات يكون منها (١٥٣٠) من الكالوري و ٢٨٠ غراماً من اللحم منها ٣٦٣ و ٥٠ غراماً من السمك و ٣ من البيض و ٢٠٠ من البقول الطرية و ٥٠ من البطاطا و ٤٠ من البقول النشوية و ٤٠ من الثمار و ٢٠ من الزبدة و ١٠ من الجبن و ٢٠ من السكر الخ اي نحو كيلوغرامين من الغذاء كل يوم وهو ما يلزم المرء في الاربع وعشرين ساعة

ويستثنى من هذا التدبير من يعمل وهو جالس فان تناول هذا القدر ضار به بل يلزمه ٣٥٠ غراماً من الخبز و ١٥٠ من اللحم و ١٠ من البقول الطرية و ٢٠٠ من البطاطا و ٢٥٠ من اللبن و ٤٠ من السكر و ٢٥ من الزبدة و ١٥ من الارز و ١٠٠ من الثمار اي ما يكون منه ٢١٠٠ كالوري وعلى العكس فيمن يعمل اعمالاً تحتاج الى اتعاب الجسم فانه يحتاج ان يرفع درجة الكالوري من ٣٢٠٠ الى ٣٦٠٠ لا بزيادة ما يتناوله من اللحم فانه لا يحصل منه سوى عشرة في المئة مما يجب لقوام بنيتنا من الدمن والكربون والزال بل يتناول الخبز واللبن والبيض والولياء والعدس والفواكه والسكر وفيها ٢٣ في المئة مما

يجب لنا . وان كيلوغراماً واحداً من البقول كالباة لاء والوبياء والبدس والحص لتساوي
ثلاث لبرات ونصفاً من اللحم والليرة خمسمائة غرام

ويحتوي الخبز والابن والبيض على جميع المواد اللازمة للتغذية فهي غذاء تام ثم
يجي^١ الارز واللحم على اختلاف انواعه والبقول الطرية وهي اقل في التغذية من الاصناف
الثلاثة الاول والسكر غذاء العامل ومولد القوة والمعوض عما فقده الجسم من التعب . والسلك
نافع في التغذية لما فيه من الفوسفور والفسفور دخل في تركيب بيتاوعاصبا فمن كانت
اشغالهم عقلية او من كانوا في سن الطفولة من الاولاد ينبغي لهم ان يتناولوا من السمك
اكثر من غيرهم يساعد ذلك على نوم . ويقول الدكتور مثنكوف الشهير ان من يشرب
مصل الحليب كل يوم يطول عمره ولا يهرم بالتعب خوفاً لان فيه باشلساً او جراثيم صغيرة
تهلك الجراثيم المضرة التي يعيش منها ملايين في الاحشاء

والحرشف (الارضى شوكي) تكثر فيه المادة القابضة وهو مقو يمنع الاسهال ومدر
للبول . والملفوف صعب الهضم لا يلائم المدد الضعيفة . والسبانخ ملين للبطن وبسميه
الافرنج مكسنة الاحشاء ومن خصائصه هو والكرات انهما يصفيان اللون . والبقلة الحامضة
(الحميض) تسهل الهضم ومن كان فيهم استعداد لمرض الحصاة ينبغي لهم الامتناع عنها
بالكلية . والبندورة مقبلة ومرطبة وعلى المصابين بالنقرس والحصاة والرثية (داء المفاصل)
ان يمتنعوا عن تناولها . والكرفس الذي عسر الهضم والاخذ منه باعتدال يقوي من ضعف
اعصابهم . واذا تناول منه المصاب بالنقرس يكون له كالتوابل اللطيفة . والهلبيون
مدر البول ويجب تناوله طرياً . والبطاطا ناعمة لارباب المعد القوية وارباب المعد المتعبة
ينبغي لهم تناولها مبروثة . والحس مرطب ونافع لالتهاب الاحشاء وامراض السكلى .
والبقدونس مقوم مبيج معرق مدر للبول قاتل للديدان دافع للحمى يقوي الشهوة للطعام
ويسهل الهضم . وياك ان تسلق البقول بالماء الغالي جداً ثلاثا تفقد املاحها وموادها
الازوتية المركبة منها وفي التوت الافرنجي (الفريز) كمية من حامض الساليسليك بنفع
المصابين بضعف المجموع العصبي وداء المفاصل . ومنقوع التوت الافرنجي من احسن
المتويات للاعصاب وهو من افيد ما يكون لمن انهم كسهم الاشغال العقلية . والتوت
الشوكي كالتوت الافرنجي وهو ايسر على الهضم . والكرث نافع للمصابين بالسويداء
(هستيريا) ومقاوم للرثية . والخوخ نافع للمصابين بالبول السكري وللمصابين بقروح في المعدة .
والنفاخ نافع في تشنج الاعصاب ومعرق . وبكثر في التين الاصل المهضم (البسيسه)

(pepsine) وهو نافع للمدورين . والاجاص تغلب عليه البرودة فيضر بضعف المعد . والليمون يقي من الحمى واذا اضيف الى القهوة ينفع كما تنفع الكينا . وهو احد ن علاج لفساد الدم . والبرتقال اخف الفواكه على المعدة . واللوز اليابس غذاء وهو غذاء طبيعي نادر المثال . ويرى الدكتور اوندرويل ان لب العنب يؤكل وحده اذا كانت صحة المرء حسنة فاذا كان في البطن اطلاق يؤخذ اللب مع القشر ويطرح البزر واذا كانت المعدة منقبضة ويراد به تسهيل الطبيعة يتناول اللب والزر ويطرح القشر وبهذه الوساطة يكون العنب دواء وفاكهة لا نظير لها .

والقهوة تورث الجسم قوة فهي من مضادات السموم ومقوية للقلب والتاي في صباح يقوي ويورث نشاطا ويسهل التنفس واذا شرب بعد المشي او عمل متعب يورث راحة سريعة وينبه النشاط والاقدام . وارباب الامزجة الباردة يتطلبون مواد مقوية تصلح اجسامهم فعليهم يلحم البقر والتم . ويأولحوم الارانب والحمل والتدرج (الديك البري) وان يتناولوا الخبز ناضجا جدا بكمية وافرة ويتولامرة مسهلة وبتلون من المواد النشائية وتضر بهم الاطعمة الغير الناضجة والخس والهندباء والسبانخ والجوز وجميع البقول المرطبة والمسهلة . وعلى ارباب الامزجة الدموية ان يعتدلوا في ما كلهم ويتشفوا بحيث لا يزيدون الكريات الحمراء في دهمم ويتناولون اللحم العجل والفراخ والارنب والبن ويكثر من البقول والثمار لمرقة وتغنيهم القهوة الخفيفة ويتخلون عن الازارز والتوابل . كل ما يورث الحرارة في الجسم واذا كانوا مستعدين للعرق فالاولى ان لا يأكلوا عملا من شأنه .

وعلى ارباب الامزجة العصية ان يستعملوا المواد اللطيفة اللذيذة لغذائهم مثل البيض والفراخ والبن المطبوخ وامساك الانهار ويمتنعوا عن المبهجات مثل القهوة والشاي وغيرها والخس والكرفس من انفع البقول لم فان في عصر الخس مسكنا لاعصابهم وفي الكرفس النوى وقاية لم من الاضطرابات فهو يقوي الاعصاب وربما تنفع في ضربات القلب . وعليهم ان يقللوا من تناول الطعام اي يعتدلون جدا ولا يأخذون مالا يوافق اذواقهم من الطعام بته .

وكي ارباب الامزجة الصفراوية ان يفضلوا الاطعمة الغليظة ويمتنعوا عن المواد الدهنية والنشائية ويتناولوا من البقول والارز ولا يتناولوا القهوة . والثمار الناضجة اللذيذة توافق امزجتهم . والخس والبندورة نافعان لم والبندورة محسنة الكبد .

والاجدر بسكان البلاد الحارة ان يكثر من البقول وبسكان البلاد الباردة ان يكثر من الحبوب والمواد الدسمة ناعمة لم ايضا .

والخبز الطري غير نافع للصحة لانه لايجود عليه سر على المعدة هضمه وربما
احدث مع الزمن اضطراباً في الدورة الدموية او اوجعاً في الرأس وآلاماً في المعدة وسوء
هضم . والخبز السخن الذي يتناوله بعضهم في الصباح وعليه شيء من الزبدة سم نافع .
ومن المشهيات للطعام الثريد البارد الحالي من الدهن يتناول قبل الاكل بساعة
فيكثر به سيلان اللعاب في المعدة فتستدعي الطعام ورأى بعض العلماء ان احس بمقبل
ما يعمل من متفوق لمعتين من بزر الجزر في نصف لتر من الماء انغالي يؤخذ بين الطعام
والطعام تحلى بالعسل فيجود الهضم وتزيد الشهوة للطعام

واذا ساء الهضم معك فخير دواء سريع قريب ان تشرب شرباً حاراً . فقد قالت
احدى الجلات الطيبة ان خصائص المشروبات الحارة ان تسكن الغشاء المخاطي
في المعدة ويعدل احيانا التأثيرات المؤلمة التي يشعر بها بعد الاكل فهي تقوي الوظائف
المعدة . والظاهر ان اليابانيين باغوا مايلقوه من الصبر وجودة الصحة باستعمالهم الاثرية
الحارة لانهم يتناولون في كل المواسم ماء حاراً او شرباً حاراً ويقولون ان الماء البارد يشد
الاطراب والرعى (فص الكبد) والزئدة ويحدث السعال ويطنى الحرارة الطبيعية
التي تديم الحياة

وعليك يا هذا ان تنظم اوقات طعامك فبذلك يسهل على الحواس ان تأخذ
حظها من الطعام والهضم وتعمل عملها وتبعد اقول غيره اذا وقت لها وقتاً وعليك
ان لا تسرع في خضم طعامك وقضم بل ان تمضغ كثيراً حتى لا تضطر المعدة ان تعمل
ما كان من شأن اسنانك ان تعمله من طحن الطعام . ومن الضروري ان تقلب اسنانك
على اللقمة عشرين مرة وكل طعاما علك جيداً كان اكثر في التغذية من طعام اورد
ازدرداً سريعاً فتد ورد في الامثال الافرنجية من تأتى في آكله طلال عمره وهاك الآن
معدل الساعات اللازمة لهضم انواع الطعام الاكثر استعمالاً .

دقيقة ساعة

١	الارز	
٣٠	١ البيض الني . السمك المنقوش وسمك سلجان	
٤٥	١ الخنازير المسلوق	
٣٠	٢ اللوبيا والبطاطا المقلوة . الدجاج المدي والبط المشوي	
٤٥	٢ البيض المسلوق والفراخ المحمص	

٣	اللبن المطبوخ ولحم الضأن المشوي والبقثيك
٣ ١٥	الفقائق الباردة
٣ ٣٠	السماك المقلي ولحم البقر المشوي
٣ ٣٠	الحبز الطري والبيض المقلي والجن

ولحم الصيد، امعدا الطيور ثقيل على الهضم يحتاج من ٤ الى ٥ ساعات. هذا ما لفتنا به من اقوال احدث علماء الصحة من الغربيين وعلى الرء ان يكون حكيماً نفه في تحميل معدته ومزاجه ما يطيق وان يراقب خروج الطبيعة مراقبة تامة فان امراض التهاب الكلي وسوء الهضم والتهاب الامعاء والزائدة الدودية كلها تنشأ من التقيؤ واذا رأى الخروج قد ابطأ في الصباح فعلى ان يستعمل التمسك قبل ان يقوم من سريره وذلك بان يضع رجله تحت ظهره ويضمد يده على بطنه فيبدأ بفنمز الموضع التريب من السرة ثم هل الى الخالب فيمر يده على صورة قوس حتى ينتهي الى الخالب الايسر.

وهنا امر يجب التنبيه له لانه داخل في صحة الجسم وهو ان المسكرات على اختلاف انواعها ضارة بالصحة بحسب رأي علماء اوربا انفسهم يضر قليلها وكثيرها خلافاً لما يعرفون بما لا يعرفون ويقلدون على العمياء وم جاهلون ولا سيما في هذه البلاد المعتدلة الجيدة المياه القليلة الفس في الماء كولات على الجملة.

مخطوطات ومطبوعات

المنهج الاحمد

ألف العرب يوم كان علماءهم يحسنون التأليف طبقات لرجال كل فن وعلم ذكر منهم صاحب كشف الظنون طبقات الادباء (مطبوع) لان الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ وطبقات الاصبهانية لابن حبان البستي (٣٥٤) وطبقات الاصوليين للسيوطي (٩١١) وطبقات الاطباء (مطبوع) لابن ابي أصيبعة (٦٦٨) وطبقات الامم لصاعد ولاسن سعيد المغربي وطبقات الاولياء لابن الملقن (٨٠٤) وطبقات البيانيين للسيوطي وطبقات التابعين لابن النجار (٦٤٣) وطبقات النعماني الموسوي والطبقات الجلالية للجلال الدواني (٩٠٨) وطبقات الجنان وطبقات الفاظ (مطبوع) الذهبي (٧٤٨) وطبقات الحكماء لابن صاعد (٥٤٨) وطبقات الحكماء (مطبوع) للذهبي (٦٤٦) وطبقات النبيلة وذو لها وطبقات الفقهية

وذبولها وابتقات الخطاطين للسيوطي وطبقات الخواص الزبيدي (٧٩٣) وطبقات الرواة
 خليفة بن خياط ومسلم بن حجاج والابتقات السنية في تراجم الحنفية للشمس الغزي
 (١٠٠٥) وابتقات الشافعية للسبكي (ط) وذبوله وطبقات الشافعية للقيصري (٨٩٤)
 وطبقات الحمراء لابن قتيبة (٢٩٦) ويدخل فيها كتب كثيرة مثل شعراء الزمان وقلائد
 العقيان (مطبوع) وعقود الجمان وإشارة والاماء الشواعر وكتاب النساء الشواعر
 واصداف الاوصاف وطرف الاداء ومرزج الزمان والباهر وانموذج الشعراء وحنى الجنان
 والفرقة الثالثة والدرر الناصعة ومعجم الشعراء وشعراء الاندلس والكتب المؤلفة في
 الشعراء كثيرة منها قيمة الدهر (مطبوع) للثعالبي ودمية القصر (مطبوع) للباخري وزينة
 الدهر في لطائف شعراء العصر الخصري وفريدة القصر للاصفهاني والملاح المصرية
 لابن الخطاط والانبؤذج في شعراء الانبؤذج وان لا ين رشيقي والحديقة لابي الصلت أمية بن
 عبد العزيز ومر السور للفرزوني وكتاب عمارة اليمن في شعراء عصره والمختار في النظم
 والثر لابن بشر بن التتلي وابتقات الشعراء بالاندلس لابن ربيعة (٣١٠) والبارع
 والبيئة والحريدة ومتعلقاتها وخبايا الزوايا والباهر وفحول الشعراء والدرر والفرز والحديقة
 وطبقات الصحابة والتابعين للابري (٢٣٠) وطبقاتهم لابن مندة (٣٩٥) واسد الغاة
 (مطبوع) وطبقات ابن سعد (مطبوع) والطبقات الصدرية وطبقات الصوفية للثيسابوري
 (٤١٢) وطبقات الطالبين للحسيني (٥٨٨) وطبقات العلماء لابن حميدة (٦٣٠) وطبقات
 العلوم للابري (٥٠٧) وابتقات عماد الدين بن كثير (٧٧٤) وطبقات الفرسان لابن
 مثنى (٢١٠) وطبقات الفرغبيين للسيوطي وطبقات الفقهاء للهمداني (٥٢١) ومثله لابن
 حبيب المانكي «٢٤٠» وطبقات الفقهاء والمحدثين للهيثم بن عدي «٢٠٧» وطبقات
 فقهاء ورؤساء الزمان لابن سمر الجعدي «٥٨٦» وطبقات القراء للذاني «٤٤٤» وصنف
 فيها الجزري «١٧٣٣» اجمع كتاب في هذا النوع والذهبي «٧٤٨» وذيله غيرهم وطبقات
 الكتاب للسيوطي وطبقات الاغويين والنخاعة له «مطبوع» وآخر للاشبلي «٣٧٩» وطبقات
 الفقيه للسبكي وطبقات القاضي وطبقات المانكية لابن فرحون «مطبوع» «٧٩٩»
 وابتقات المتكلمين لابن فورك «٤٠٦» وللتاضي عياض بن موسى الجصبي سماء ترتيب
 المدارك والمرزباني اخبار المتكلمين وابتقات المجتهدين لابن كمال باشا «٩٤٠» وطبقات
 المحدثين لابن الملقن «٨٠٤» وطبقات المعريين لابن الخلال وابتقات المعتزلة «طبع قطعة
 من» لا اضي عبد الجبار وطبقات المفسرين للسيوطي وغيره وطبقات النخاعة للبر «٢٨٤»

وطبقات النسابين للحسيني «٥٨٨» وطبقات النساك لابن الاعرابي «٣٤٠» وطبقات همدان لابن الانطلي وغير ذلك مما هو مطبوع مثل وفيات الاعيان لان خلا كان وذيله الصلاح الكوفي وفي خزنة الكتب الظاهرية بدمشق كتاب طبقات الخبابة لابن رجب قال كاتب جلبي : طبقات الخبابة لابي الحسين محمد بن محمد بن الحسين ابي يعلى الخبلي القراء الشيبدي سنة ٥١٦ صاحب المجرى في طبقات الامام احمد وقد جعل هذه الطبقات في طبقات الطبقات الاولى والثانية على حرف الميم وما بعدهما على تقديم الميم والوفاء وانتهى فيه الى سنة ٥١٢ ثم ذيله الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن احمد المعروف بان رجب الخبلي المتوفى سنة ٧٩٥ وصل فيه الى سنة ٧٥٠ ثم ذيله العلامة يوسف بن حسن بن احمد الخبلي المقدسي مرتباً على الحروف فرغ من تأليفه سنة ٨٧١ وذيله ايضا الشيخ نقي الدين مفلح اه .

والغالب ان عبد الرحمن بن محمد العمري العاجي الخبلي من اهل القرن ماله اثر ذيل على ما ذيله ابن مفلح في مجلد ضخيم اسماء المنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد ونحن الآن نتكلم عليه وستتكم في فرصة أخرى على طبقات ابن رجب . قال العليمي في مقدمة كتابه بعد البسملة والحمدلة : اما بعد فهذا مختصر استخرفت الله تعالى في جمعه وترتيبه وسأله العون لي بفضلته وتهذيبه يتضمن نبذة من ترجمة امامنا المجل والخبير الفضل الرباني ابي عبد الله احمد بن محمد بن جندب الشافعي امام اهل السنة . وآخر المجتهدين من الائمة رضي الله عنه وارضا وجعل الجنة منتقاه وشواه راحواله ومناقبه وذكر محنته وتاريخ مولده ووفاته وتراجم اصحابه رحمة الله عليهم فاذا ذكر اولاً ما تيسر من مناقب الامام رضي الله عنه ثم اذكر اصحابه الذين عاصروه فأبدي بذكر من توفي منهم قبله ثم اذكر من توفي بعده ثم اذكر من لم تورخ وفاته وعند انتهاء اسماء الاصحاب من الطبقة الاولى ابين منهم من اشتهر من اعيان اصحابه من الفقهاء الذين كانوا على مذهبه في الاصول والفروع ونقلوا عنه الفقه ونقل عنهم الى من بعدهم الى ان وصل الىنا وأمررد اسماءهم متواليه لتمييزوا عن غيرهم من اصحابه الذين قرأوا عليه الحديث وغيره ورووا عنه من غير المشهورين بالتعذهب بمذهبه في فروع الفقه ثم ذكر اسماء الاصحاب من بعد الطبقة الاولى مرتباً على الطبقات والوفيات ومن لم اضلع على تاريخه ونات ذكرت اسمه وما وقفت عليه من ترجمه والعصر الذي كان موجوداً فيه ان علمناه وواجزت لفظة حسب الامكان وحذفت الاسانيد مما رويته فيه من الاحاديث الشريفة في بعض التراجم

طلباً للاختصار وسميته بالنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد
وقد وقع هذا الكتاب في زهاء ٨٥٠ صفحة من قطع الوسط وكان الفراغ من نسخه سنة
١١٩٥ هـ الى يد عبد الفتاح سطحي البغدادي . وعليه خطوط بعض بني الطي وقد قال
المؤلف في آخره : وهذا آخر ما تسر ذكره من فقهاء المذاهب ارحمة الله تعالى عليهم اجمعين
ولم اترك ذكر احد ممن يصلح ان يذكر في الطبقات الا من لم اطلع على امره فتذكرت في هذا
المختصر جماعة من المتقدمين لم يذكرهم القاضي ابو الحسين وجماعة من المتوسمين لم يذكرهم
الحافظ ابن رجب وجماعة من المتأخرين لم يذكرهم القاضي القاضي القضاة برهان الدين بن مفلح
وهذا الكتاب مجموعة نفيسة لعلماء هذا المذهب في ألف سنة وفيه تراجم كثير من
المشاهير فيه عدا ترجمة الامام احمد . حجة ابن الجوزي وابن قيم الجوزية وابن تيمية
والقاضي ابي يعلى والقاضي يحيى بن اكرم والوزير ابن هبيرة وعشرات غيرهم من كانوا
مفخره احمد بن حنبل وعنوان انتقى العلم وسعة التأليف والوعظ والارشاد . وتراجم
من لقوا الا لاتي في سبيل تأييد مذهبهم ولا سيما في الامتناع عن التول بخلق القرآن
وهي المسألة المختلف فيها بين العلماء على عهد المأمون الخليفة العباسي ومن بعده وذلك
مثل احمد بن نصر الذي قتل في خلافة الواثق لامتناعه عن التول بخلق القرآن اخذه
الواثق فقال له ما تقول في القرآن قال : كلام الله قال : اقترى ربك في القيامة . قال :
كذا جاءت الرواية وانظر . الواثق في الخطاب وقال له : ما يا صبي . ندعا الواثق
بالصمصامة وقال : اذا كنت اليه نازي يقوم من احد معي فاني احسب خطاي الى هذا الكافر (?)
الذي يعبد رباً ولا نعبد ولا نعرفه بالهفة التي وصفه بها ثم امر بالنطح فاجلس عليه
وعو مقيد وامر بتد رأسه بحبل وامرهم ان يمدوه ومشى اليه حتى ضربت عنقه وامر
بحمل رأسه الى بغداد فنصب في الجانب الشرقي اياماً وفي الجانب الغربي اياماً .
وفيه امثلة من الشدة عرمل بها المذاهب وعاملوا بها في قرون مختلفة ولا سيما في القرون
التي اثار ثارتها التعصب المذهبي وامثلة من معتقد رؤساء المترجمين في المسائل المختلف
فيها مثل قول ابي بكر بن ابي داود السجستاني من قصيدة :

وقل غير مخلوق كلام مليكنا بذلك دان الانقياد وانصحو

ولا تفل في القرآن بالوقف قائلا كما قال اتباع ائمتهم واسبحوا

الى ان يقول بعد ايراد ما يجب الاعتقاد به

ولا تكفرن اهل الصلاة وان عصوا فكلمهم بعوي وذو العرش يصفع

ولا تعتقد رأيي الخوارج انه مقال لمن يهواه يردى وبفضح
ولا تلك مريبك لعوبك بدينه الا انما المرجي بالدين يرح
ومثل ذلك قول ابي الخطاب البغدادي في هذا المعنى من قصيدة
وان كتاب الله ليس بمحدث على السن نثلو وفي الصدر يجمع
وما كتب الخفاظ في كل مصحف كذلك ان بصرت او كنت تسمع
ومثل ذلك قول ابي الخطاب الكلاذمي من قصيدة

قالوا فهل لله عندك مشبه قلت المشبه في الجيم الموصد
قالوا فهل هو في الاماكن كلها قلت الاماكن لا تحيط بسيدي
قالوا فترى ان على العرش استوى قلت الصواب كذاك خبر سيدي
قالوا فما معنى استواء ابن لنا فاجبتهم هذه سؤالا المعتدي
قالوا فانت تراه جسماً قل لنا قلت الجسم عندنا كالملحد

وعن اطلال في ترجمتهم الوزير ابن هبيرة العالم الذي صنف في وزارته كتاباً في ذكر مسائل
الفقه المتفق عليها واختلف فيها بين الائمة الاربعة المشهورين وجمع عليه ائمة المذاهب واوفد
من البلدان اليه لاجله بحيث انه انفق كي ذلك مائة الف دينار وثلاثة عشر الف دينار
وحدث له فجمع الحقي العظام لسماعه عليه وكتب به نسخة لحزاة المستنجد وبعث ملوك
الاطراف ورؤساء واطلاؤها فاستنسخوه نسخاً وتناولوها اليهم حتى السلطان نور الدين الشهيد
واشتغل به الفقهاء في ذلك الزمان كي اختلاف مذاهبهم يدرسون منه في المدارس والمساجد
هذا بعض ما حواه الكتاب من الفوائد وحذا لو صحت ممة الحائلة على طبعه بعد
ان طبع التافعية والمالكية والخفية والامامية طبقات رجالهم فكشبت الطائعات مفيدة
من عدة وجوه وليس احسن في تصور حال زمن من الرجوع الى سير رجاله وما قالوه
وفعلوه وحدث لم واحدثوه

عبر الأردن

ظهرت في عالم المطبوعات في ألمانيا ثلاث مجلدات للحاليتين الالمانيين برونو ودمانكي
في وصف اصقاع عبر الأردن فجاءت متممة للحالات التي كتبها الاوربيون على فلسطين
وما والاها وقد وصف الصقع الواقع في لواء الكرك اليوم وهو من نهر الزرقا الى نهر اي وادي
موسى وصفاً جغرافياً مدققاً والطريق الروماني من مادبا الى وادي موسى والطريق
المتشعبة منه ووصفاً وادي موسى واذرح والطريق الروماني من اذرح الى عين صدقة

والعقبة . ومن الخرائب الرومانية واليونانية والعربية والنبطية ما لم يشر اليه السائحون في تلك الاربابض من قبل . ومن الآثار التي وصفت مع صورها محطة الحج وهو حصن روماني قديم وكثيرة وذات رأس وطوان واذرح وفي هذه ٨٠ سكر روماني وكنيسة يونانية وقد استغرق الكلام على وصف وادي موسى زهاء ثلاثمائة صفحة وفي المناظر التي اوردها السائحان في كتابهما تقتل القاريء الاربع صفور الرئيسة المطلة على الوادي ثم وصفا اشكال التواويس المحفورة في الصخر وصفا تاريخيا والابرار المحفورة هناك في بيوت كان يسكنها سكان وادي موسى . ومعظم القبور التي حفرت على مثال قبور الحجج يرد عهدهما الى الملك ارتياس الرابع (٩ و ٣٠ سنة قبل المسيح وبعده) وليس في وادي موسى اعمدة من قبل الحكم الروماني عليها . ووصفا قصر فرعون وخزنة فرعون ورجعنا بما رأياه من صور ابي الهول وايزيس وروثوس الحملان ان تلك البلاد تأثرت بالمدنية المصرية والمسلتان الموجودتان في الحجر تمثلان رعي النبطيين دوزارس واللات ويستدل منها انها كانت مركز عبادة النبط قبل العهد اليوناني بستة قرون على الاقل . وقد دخلت المدينة اليونانية الى وادي موسى على عهد البطالسة وبذلك سدل الى اختلاط العنصرين المصري والسوري . ولم تستقل مملكة النبط هذه الا في اواخر القرن الثاني عند ما انحطت دولة البطالسة والسلاويين ونزل القول الفصل فيها للمدنية اليونانية الى عهد ارتياس الرابع (٨٥ - ٦٠ ق م) ولما تجزأت المملكة النبطية الى ولايات رومانية بقيت محتفظة بكانتها . وفي اواخر القرن الثالث للمسيح عاد الى وادي موسى استقلاله . والغالب ان غارات الساسانيين الفرس الى هذه البلاد اضطر بتران ان تنقطع عن انشاء القبور وصك النقود . وقد وصف المؤلفان ٨٥١ مصنعا من بتران مثل القبور والمعابد والمذابح واجادا في وصف جبل هرون ووادي صبرة والحدود الشرقية من هذه الولاية العربية من معان في الجنوب الشرقي من بتران الى بصرى واطلقا عنان القلم لوصف ما وقعت انظارهما عليه من العاديات والمصانع ووصفا بلاد حوران ولاسيما درعا والسويداء واتيل وثورات وقرى اللجة وما فيها من الآثار مع بيان المسافات وطبائع البلاد ورسمها ونقاومها بالصور والمصورات ونغما كتابهما ببيان تخوم البلاد العربية وتقسيم مدن سورية ونسطين ولينيقية والعربية كما كانت في عصور مختلفة كل ذلك مع اسماء الملوك الاقدمين الذين حكموا البلاد .



المقارن

الفتوى في الاسلام

هذا بحث علمي ادبي، تاريخي اجتماعي، يهيم كل نبيه مدرسته، كما يجب على كل فقيه معرفته ودراسته، لاسيما من يتولى منصب القضاء، او وظيفة الافتاء، فان هذا البحث من اهم ما يحتاج اليه، واعظم ما يضطر للوقوف عليه، كيف لا ومنه يعرف شعائر الحق في الاقضية والاحكام، ويتوصل به الى فصل الامور بالعدل في نوازل الانام، فهو على التحقيق لباب الفقه في الدين، وسر الاصعاد الى ذروة الاجتهاد في مقاصد الشرع المتين،

لانريد ان نبحث في الفتوى من حيث يعرفها الناس انها وظيفة من الوظائف ومنصب من المناصب يتولاه من يوظفه من الاستانة شيخ الاسلام، ليعول على فتواه عند توقف الحكام، لا نقصد هذا لان سبيلها المذكور معروف معلوم، لا حاجة الى ان يكتب فيه ما كان يكتب ايام استعمار العلوم، وانما نروم الكشف عن منشأ الفتوى في الاسلام، وكيف كانت في القرون الثلاثة العظام، ثم فيما بعدها الى العصور الوسطى ومن كان يتولاها ايام استنحال العلم واتساع مناحيه، ووفرة رجال الفضل واثمة الاجتهاد فيه، ثم ما اشترط في اولي الفتوى وما ذكر من آدابهم وآدابها، وآداب من يستفتى ويرجع الى اربابها،

يتبع هذا مباحث متنوعة خافية الذيل، وافرة النقول، ربما يقل في سبورها مجلدات. ولا كثرة في العلم كما لا اسراف في الخيرات. بيد اننا نقصر من هذا البحث على اللباب. ليكون نموذجاً ومدخلا لتجاء الطلاب.

مما يدعش المنقب على اصول الفتوى ما بلغته من عناية الائمة في مطالبتها ومقاصدها وما تفتنوا به من استنباط واجباتها واستثمار فوائدها. فيعجب مما كانت في العصور الاولى عليه

وما آلت بعد اليه . ولئن كان لضعف العلم في القرون الاخيرة مدخل في هذا التباين الا ان اليد العاملة فيه اختلاف سياسة الدول في الاخذ بالعلوم النافعة وانهاض رجالها . ونشر التعليم المفيد والهديب ونوسيد الامور الى حكمتها وابطلها . فقد تختلف السابقة عن اللاحقة في هذا المضمار . وتختلف امة غيرها فتقودها بعاداتها وتأخذها بنظامها فتستل منها الافهام والافكار . ويرجع هذا الى فناء طريقة تامة في طريقة طريفة . كما تقف في امة غالبية قوية أمة مغلوطة ضعيفة . فتدرس آثارها وعلومها . وتمحو عاداتها ورسومها ولاختلاف الدول وثعاقبها تلي الممالك . مدخل عظيم في اختلاف قوانين العلم والعلماء . في جميع المسالك .

ما سذكروه من احوال الفتوى لا يدربه الا نقابة في التاريخ ذراكة في علوم الاجتماع بصير بالماضي والحاضر . خبير بالحديث والماور .

ومن المؤسف ان تنبذ هذه المعارف ظهريا . وتصبح في هذا الجيل نسياً منسياً . فكف في بحر الاوهام من غاد ورائح . يزعم ان هذه الحالة هي في عهد السلف الصالح . فلا يدري شيئاً من تأثير الدول . ولا يعرف امرأ من آثار الاول .

ان الباحث عن الموازنة بين السلف والخلف في شؤون الاجتماع وطبيعة العمران يتعوره من مصاعب التنقيب ومتاعب العمل واجهاد الفكر ما لا يدربه الا من عانى ما عاناه . وانفق من دم قلبه وقوة عقله ما مائنه او دافاه . ولذا سجد ما كتبناه في هذا البحث من اعظم الدروس التي القيت الى عالم العلم في هذا العصر . يذكر ما سلف لهذا الموضوع من جليل الشأن في كل قطر ومصر . ويعرفهم ما ترك الاول للآخر . وما حفظته لنا من الكنوز ذخائر قدماء الاكابر . فرحمه الله على السلف الناصحين . وايد الله من تبعهم باحسان من المصلحين .

ولنشرع في البحث مفصلاً ومبوراً . ومعنوناً جلاً وجلاً ومرتباً . والمستعان بالله ولا حول ولا قوة الا بالله

(اول من قام بمنصب الفتوى في الاسلام)

قال الامام ابن القيم في اعلام الموقعين : لما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يبلغ والصدق فيه لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفنبا الا لمن انصف بالعلم والصدق فيكون عالماً بما يبلغ صادقاً فيه ويكون مع ذلك حسن الطريقة مرضي السيرة عدلاً في اقواله وافعاله مثاباً السر والعلانية في مدخله ومخرجه واحواله واذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالحل الذي لا ينكر فضله ولا يجهل قدره وهو من اعلى المراتب السنية

فكيف بمنصب التوقيع عن رب الارض والسماوات فحقيق بمن اقيم في هذا المنصب ان يعد له عدته وان ينأهب له أهيته وان يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به فان الله ناصر وهاديه وكيف لا وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الارباب فقال تعالى (ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب) وكفى بما تولاه الله بنفسه تعالى رفاقاً وجلالة اذ يقول في كتابه « ستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله » وليعلم انفتي عمن يزوب في فتواه وليوقن انه مسؤول غداً وموقوف بين يدي الله

واول من قام بهذا المنصب الشريف سيد المرسلين وامام المتين وخاتم النبيين عبد الله ورسوله وامينه تلى وحيه وسفيره بينه وبين عبادته فكان يفتي عن الله بوحيه المبين وكان كما قال له احكم الحاكمين « قل ما أسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلمين » فكانت فتاويه عليه السلام حوامع الاحكام ومشتملة على فصل الحايات وهي في وجوب اتباعها وتحكيمها وإلتزامكم اليها تانية الكتاب وايس لاحد من السليبر العدول عنها ما وجد اليها سبيلا وقد امر الله عباد بالرد اليها حيث يقول « فان تنازعتم في شئ » فردوه الى الله والرسول ان كنتم تهتمون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويله

(كتابة الفتوى من العهد النبوي)

عن ابي هريرة قال : لما فتحت مكة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الخطبة خطبة النبي صلى الله عليه وسلم قال فقال رجل من الذين يقال له ابو شاه فقال يا رسول الله اكتبوا لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لابي شاه : يعني الخطبة ، وعن ابي هريرة قال : لم يكن احد من اصحاب محمد أكثر حديثاً مني الا عبد الله بن عمرو فانه كتب ولم اكتب ، وعن عبد الله بن عمرو قال : كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم اريد حفظه فنهتني قريش وقالوا : انكتب كل شيء نسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم في الرضا والغضب فامسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاوماً با . به ان فيه وقال : اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه الا حق .

اخرجها الحافظ ابن عبد البر في كتاب جامع العلم في باب الرخصة في كتاب العلم وعززها بأثار عدة منها عن سعد بن ابراهيم قال : امرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترًا دفترًا فبعث الى كل ارض له عليها سلطان دفراً .

(المفتون من الصحابة وطبقاتهم في الفتيا)

قام بالفتوى بعد النبي صلى الله عليه وسلم علماء الصحابة رضوان الله عليهم قال ابن القيم : والذين حفظت عنهم الفتوى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة ونيف وثلاثون نفساً ما بين رجل وامرأة

وكان المكثرون منهم سبعة عشر من الخطاب ، وعلي بن ابي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعائشة ام المؤمنين ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ،

قال ابو محمد بن حزم : ويمكن ان يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخيم قال : وقد جمع ابو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن امير المؤمنين المأمون فتيا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في عشرين كتاباً ، زابو بكر محمد المذكور احد ائمة الاسلام في العلم والحديث

والماتوسطون منهم فيما روي عنهم من الفتيا ابو بكر الصديق ، وام سلمة ، وانس بن مالك ، وابو سعيد الخدري ، وابو هريرة ، وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وابو موسى الاشعري ، وسعد بن ابي وقاص ، وسلمان الفارسي ، وخابر بن عبد الله ، ومعاذ بن جبل ، (قال ابن حزم) فهؤلاء ثلاثة عشر يمكن ان يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير جداً ويضاف اليهم طلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمران بن حصين ، وابو بكرة ، وعادة بن الصامت ، ومعاوية ابن ابي سفيان ،

والباقون منهم مقلون في الفتيا لا يروى عن الواحد منهم الا المسألة والمسألان والزيادة اليسيرة الى ذلك ، يمكن ان يجمع من فتيا جميعهم جزء صغير فقط بعد التقصي والبحث

(حالة الفتوى في عهد التابعين وتلاميذهم)

كان المرجع بعد الصحابة في الفتيا الى كبار التابعين وكانوا منتشرين في البلاد التي عمرها المسلمون بفتوحاتهم ، وقد عد الامام ابن القيم في اوائل اعلام الموقعين عدداً عديداً منهم كما ان كثيراً من الحفاظ الف في طبقاتهم اجزاء ومجلدات واما حالة الفتيا في عهدهم فقد نه عليها ولي الله الدهلوي في الحجة البالغة (١) بما

(١) في باب الفرق بين اهل الحديث واصحاب الرأي

مثاله : اعلم انه كان من العلماء في عصر سعيد بن المسيب وابراهيم والزهري وفي عصر مالك وسفيان وبعد ذلك قوم يكرهون الخوض بالرأي ويهابون الفتيا والاشتباك الا لضرورة لا يجدون منها بداً ، وكان اكبرهم روية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبدالله بن مسعود عن شيء فقال : اني لأكره ان احل لك شيئاً حرمه الله عليك او احرم ما احله الله لك ، وقال معاذ بن جبل : يا ايها الناس لاتعجلوا بالبلاء قبل نزوله فانه لم ينفك المسلمون ان يكون فيهم من اذا سئل سرد وروي نحو ذلك عن عمر وعلي وابن عباس وابن مسعود في كراهة التكلم فيما لم ينزل وقال ابن عمر الجاهلي بن زيد : انك من فقهاء البصرة فلا تفت الا بقرآن ناطق او سنة ماضية فانك ان فعلت غير ذلك هلكت واهلكت

وقال الامام الدهلوي ايضاً^(١) بعد ان مهد نزروب الاختلاف بين الصحابة في بعض الفتاوى ما مثاله :

فاختلفت مذاهب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واخذ عنهم التابعون كذلك كل واحد ما تيسر له فحفظ ما سمع من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومذاهب الصحابة وعقلها وجمع المختلف على ما تيسر له ورجح بعض الاقوال على بعض واضمحل في نظرم بعض الاقوال فعد ذلك صار لكل عالم من علماء التابعين مذهب على حiale فانصب في كل بلد امام مثل سعيد بن المسيب وسالم بن عبدالله بن عمر في المدينة وبعدها الزهري والقاضي يحيى بن سعيد وربيعة بن عبد الرحمن فيها وعطاء بن ابي رباح بمكة وابراهيم النخعي والشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة وطاوس بن كيسان باليمن ومكحول بالشام فاعلم الله اكباداً الى علومهم فرغبوا فيها واخذوا عنهم الحديث وفتاوى الصحابة واقاد بلهم ومذاهب هؤلاء العلماء وتحتيتانهم من عند انفسهم واستفتى منهم المستفتون ودارت المسائل بينهم ورفعت اليهم الاقضية

وكان سعيد بن المسيب وابراهيم وامثالهم جمعوا ابواب الفقه اجمعها وكان لم في كل باب اصول تلقوها من السلف : وللبحث تمة بدعية فاندلرهما

وجل فتاوى الصعب والتابعين مروية في الموطآت والمسندات والسنن من كتب الحديث التي لم تشتط تخريج المرفوع وحده من الاحاديث النبوية عدا ما جمع على حدة منها

(١) في باب اسباب اختلاف الصحابة والتابعين في الفروع

(المفتون بالشام من التابعين)

قال الامام ابن القيم في اعلام الموقعين : وكان من المفتين بالشام ابو ادريس الخولاني وشرحبيل بن السمط وعبد الله بن ابي زكريا الحزامي وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي وجبان ابن امية وسليمان بن حبيب الحارثي والحارث بن عميرة الزبيدي وخالد بن مهادب وعبد الرحمن بن غنم الاشعري وجبير بن نفير ثم كان بعدهم عبد الرحمن بن جبير بن نفير ومكحول وعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة :

وفيه استقصاء التابعين المفتين من معظم البلاد فانظره وقد استقرأت في كتابي (تعطير الشام بآثر دمشق الشام) كل صحابي وتابعي نزل دمشق من المشاهير واثرته عن جمع في هذا الشأن من الحفاظ عليهم الرحمة وكثير منهم حفظ عنه انه قال وافني بجهداً برأيه وقادراً على الاصول فيما لم يجد فيه نصاً

(حالة الناس في الفتيا قبل المائة الرابعة وبعدها)

قال الامام ولي الله الدهلوي في الحجة البالغة تحت هذا العنوان ما مثاله : اعلم ان الناس كانوا قبل المائة الرابعة غيرة مجمعين على التقليد الخالص لمذهب واحد بعينه قال ابو طالب المكي في قوت القلوب : ان الكتب والمجموعات محدثة والقولبة آلات الناس والفتيا بمذهب الواحد من الناس واتخاذ قوله والحكاية له من كل شيء والتفقه على مذهبه لم يكن الناس قديماً على ذلك في القرنين الاول والثاني انتهى قال الدهلوي وبعد القرنين حدث فيهم شيء من التفرج غير ان اهل المائة الرابعة لم يكونوا مجمعين على التقليد الخالص على مذهب واحد والتفقه له والحكاية لقوله كما يظهر من التبع بل كان فيهم العلماء والعامة

وكان من خبر العامة انهم كانوا في المسائل الاجتماعية التي لا اختلاف فيها بين المسلمين او جمهور المجتهدين لا يقلدون الا صاحب الشرع وكانوا يتعلمون صفة الوضوء او الغسل والصلاة والزكاة ونحو ذلك من آدابهم او معالي بلدانهم فيمشون حسب ذلك واذا وقعت لهم واقعة استفنوا فيها اي مفت وجدوا من غير تعيين مذهب

وكان من خبر الخاصة انه كان اهل الحديث منهم يشتغلون بالحديث فيخلص اليهم من احاديث النبي صلى الله عليه وسلم واثر الصحابة مالا يحتاجون معه الى شيء آخر في المسألة من حديث مستفيض او صحيح قد عمل به بعض الفقهاء ولا عذر لتارك العمل به او اقوال متظاهرة بجمهور الصحابة والتابعين مما لا يحسن مخالفتها

فان لم يجد احدهم في المسألة ما يطمئن به قلبه اعارض النقل وعدم وضوح الترجيح ونحو ذلك رجع الى كلام بعض من مضى من الفقهاء فان وجد قولين اختار اوثقهما سواء كان من اهل المدينة او من اهل الكوفة

وكان اهل التخريج منهم يخرجون فيما لا يجدونه مفسرًا ويمتهدون في المذهب وكان هؤلاء ينسبون الى مذهب اصحابهم فيقال فلان شافعي وفلان حنفي وكان صاحب الحديث قد ينسب ايضا الى احد المذاهب لكثرة موافقته له كالنسائي والبيهقي ينسبان الى الشافعي

فكان لا يتولى القضاء ولا الافتاء المجتهد ولا يسمى الفقيه المجتهداً ثم بعد هذه القرون كان ناس آخرون ذهبوا يمينًا وشمالًا وحدث فيهم امور (منها) الجدل والخلاف في علم الفقه (ومنها) انهم اطاعوا بالتقليد ودب التقليد في صدورهم ديب النمل وهم لا يشعرون وكان سبب ذلك تراحم الفقهاء وتجادلهم فيما بينهم فأنهم لما وقعت فيهم المزاخمة في الفتوى كان كل من افتى بنية نوقض في فتواه ورد عليه فلم ينقطع الكلام الا بسير الى تصريح رجل من المتقدمين في المسألة (وايضا) جور القضاة فان القضاة لما جار أكثرهم ولم يكونوا ائمة لم يقبل منهم الا مالا يريب العامة فيه ويكون شيئًا قد قيل من قبل (وايضا) جعل رؤوس الناس واستفتاء الناس من لاعلم له بالحديث ولا بطريق التخريج كما ترى ذلك ظاهراً في أكثر المتأخرين وقد نبه عليه ابن الهمام وغيره وفي ذلك الوقت يسمى غير المجتهد فقيهاً

(ومنها) ان اقبل أكثرهم على التعمقات في كل فن فنهم من زعم انه يؤسس علم اسماء الرجال ومعرفة مراتب الجرح والتعديل ثم خرج من ذلك الى التاريخ قديمه وحديثه ومنهم من تفحص عن نوازل الاخبار وغرائبها وان دخلت في حد الموضوع . ومنهم من كثر القيل والقال في اصول الفقه واستنبط كل اصحاب قواعد جدلية فاورد فاستقصى . واجاب ونقصى . وعرف وقسم فخر . طول الكلام تارة وتارة أخوى اختصر . ومنهم من ذهب الى هذا بفرض الصور المستبعدة التي من حتمها ان لا يتعرض لها عاقل وبفحص العمومات والإيماءات من كلام المخرجين فمن دونهم مما لا يرتضي اسماؤه . عالم ولا جاهل .

وفتنة هذا الجدل والخلاف والتملق قريية من الفتنة الاولى حين تشاجروا في الملك

وانتصر كل رجل لصاحبه فكما اعقت تلك ما كما عضوًا ووقائع صماء عمياء . فكذا
اعقت هذه جهلا واختلاطًا وشكوكا ووهما مالها من ارجاء^(١)
فنشأت بعدهم قرون على التقليد الصرف لا يميزون الحق من الباطل ولا الجدل عن
الاستنباط فالفقيه يومئذ هو الثرثار المتشدق الذي حفظ اقوال الفقهاء قويمها وضعيفها
من غير تمييز وسردها بشقشقة شديقه والمحدث من عد الاحاديث صحيحها وسقيمها وهذا
كهد الاسمار بقوة لحية

ولا اقول ذلك كليًا مطردًا فان الله طائفة من عباده لا يضرم من خذلهم وهم حجة
الله في ارضه وان قلوا ولم يأت قرن بعد ذلك الا وهو اكثر فتنة وافر نقليداً واشد
انتزاعا لالامانة من صدور الرجال حتى اطمانوا برك الخوض في امر الدين وبأن يقولوا
إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون والى الله المشتكى وهو المستعان وبه الثقة
وعليه التكلان انتهى كلام ولي الله الدهلوي

(ماروي من تهيب الساف للفتيا)

قال الامام النووي في مقدمة شرح المذهب : اعلم ان الافتاء عظيم الخطر كبير الموقع
كثير الفضل لان المفتي وارت الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وقائم بفرض الكفاية
لكنه معرض للخطأ ولهذا قالوا : انفي موقع عن الله تعالى : وروينا عن ابن المنكر
قال : العالم بين الله وخلقه فليحذر كيف يدخل بينهم .

وروي عن السلف وفضلاء الخلف من التوقف عن الفتيا اشياء كثيرة معروفة
نذكر منها احرفا رويها عن عبد الرحمن بن ابي ايلي قال : ادركت عشرين ومائة من
الانصار من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل احدهم عن المسألة فيردها هذا
الى هذا وهذا الى هذا حتى ترفع الى الاول وفي رواية ما منهم من يحدث بمحدث الا ود
ان اخاه كفاء اياه ولا يستفتي عن شيء الا ود ان اخاه كفاء الفتيا وعن الشعبي والحسن
وابي حصين (بفتح الحاء) رحمهم الله قالوا : ان احدهم ليفتي في المسألة ولو وردت على
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها اهل بدر وعن سفيان بن عيينة ومحمّد بن جابر

(١) قل الدهلوي قبل ذلك فاي مذهب كان اصحابه مشهورين وسد اليهم القضاء
والافتاء واشتهرت تصانيفهم في الناس انتشر في اقطار الارض ولم يزل ينشر كل
حين واي مذهب كان اصحابه خاملين وبولوا القضاء والافتاء ولم يرغب فيهم الناس
اندرس بعد حين اه

الناس على الفتيا اقلهم علماً : وعن الشافعي رضي الله عنه وقد سئل عن مسألة فلم يجب فقيل له فقال حتى اذري ان الفضل في السكوت او في الجواب وعن الاثرم سمعت احمد ابن حنبل رحمه الله يكثر ان يقول لا ادري : وذلك مما عرف الاقاول فيه وعن الهيثم بن جميل قال شهدت مالكاً سئل عن ثنائي واربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا ادري وعن مالك ايضاً رحمه الله : ربما كان يسأل عن خمسين مسألة فلا يجيب في واحدة منها وكان يقول : من اجاب فينبغي قبل الجواب ان يعرض نفسه على الجنة والنار وكيف خلاصه ثم يجيب وقال ابو حنيفة رحمه الله : لولا الفرق من الله تعالى ان يضيع العلم ما اقتبت يكون لم المهناً وعلي الوزر واقوالهم في هذا كثيرة مروفة وقال الصيرفي والخطيب : قل من حرص على الفتيا وسابق اليها وثابر عليها الا قل توفيقه واضطرب في امره واذا كان كارهاً لذلك غير مؤثر له ما وجد عنه مندوحة واحال الامر فيه على غيره كانت المعرفة له من الله اكثر والصلاح في جوابه اغلب واستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتها عن مسألة وكلت اليها وان اعطيتها عن غير مسألة اعنت عليها

(معنى الفتوى اللغوي)

قال الراغب : الفتيا والفتوى الجواب عما يشكل من الاحكام ويقال استفتيت فافتاني بكذا قال « ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن » « فاستفتهم » « افتوني في رؤياي »

وفي (النهاية) : يقال افتياه في المسألة يفتيه اذا اجابه والاسم الفتوى . وفي الحديث : ان اربعة تقاتوا اليه عليه السلام : اي تحاكموا من الفتوى ومنه الحديث : الاثم ما حاك في صدرك وان افتاك الناس عنه وافتوك : اي وان جعلوا لك فيه رخصة وجوازا وفي (المصباح) : الفتوى بالواو يفتح الفاء وبالياء فتضم اسم من افق العالم اذا بين الحكم ويقال اصله من الفتى وهو الشاب القوي ^(١) والجمع الفتاوى بكسر الواو على الاصل وقيل يجوز الفتح للتخفيف انتهى وعبارته تفيد ان الفتوى بالفتح لا غير خلافا لما يقتضيه كلام القاموس من جواز الضم والفتح فقد نوقش فيه ولما قال شارحه العلامة الفاسي : المصرح به في امهات اللغة واكثر مصنفات الصرف ان الفتيا بالياء لا تكون الا مضمومة وان الفتوى بالواو لا تكون الا مفتوحة :

(١) فكان المفتي يقوي السائل بجواب حادثه

وفي (اساس البلاغة) : وفلان من اهل الفنوى والغتيا وتعالوا فقاتونا وتقاتوا اليه
تجأكوا قال الطرماح :

هلم الى قضاة الغوث فاسأل
برهطك والبيان لدى القضاة
انخ بفناء اشدق من عدي
ومن جرم وهم اهل التفاتي
وقال عمر بن ابي ربيعة

فبت افاثيها فلا هي تروني
بجود ولا تبدي اباة فنجلا
اي اسائلها

(وراثه المفتي للمقام النبوي)

قال الامام ابو اسحق الشاطبي "المفتي قائم في الامة مقام النبي صلى الله عليه وسلم
والدليل على ذلك امور (احدها) النقل الشرعي في الحديث ان العلماء ورثة الانبياء وان
الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وانما ورثوا العلم : وفي الصحيح : بينا انا نائم أتيت
بقدر من لبن فشربت حتى اقي لاري الري يخرج من اظفاري ثم اعطيت فضلي عمر
ابن الخطاب قالوا فما اولته يا رسول الله قال العلم : وهو في معنى الميراث وبعث النبي صلى
الله عليه وسلم نذيراً لقوله تعالى « انما انت نذير » وقال في العلماء « فلولوا نفر من كل فرقة
منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم » الآية واشباه ذلك (والثاني) انه نائب
عنه في تبليغ الاحكام لقوله : الا يبلغ الشاهد منكم الغائب : وقال بلغوا عني ولو آية
وقال تسمعون ويسمع منكم ويسمع من يسمع منكم : واذا كان كذلك فهو معنى كونه قائماً
مقام النبي (والثالث) ان المفتي شارع من وجه لان ما يبلغه من الشريعة اما منقول عن
صاحبها واما مستنبط من المنقول فالاول يكون فيه مبلغاً والثاني يكون فيه قائماً مقامه
في انشاء الاحكام وانشاء الاحكام انما هو للشارع فاذا كان للمجتمع انشاء الاحكام بحسب
نظره واجتهاده فهو من هذا الوجه شارع واجب اتباعه والعمل على وفق ما قاله وهذه
هي الخلافة على التحقيق " بل القسم الذي هو مبلغ فيه لا بد من نظره فيه من جهة فهم المعاني
من الالقاء الشرعية ومن جهة تحقيق مآطها وتنزيلها على الاحكام وكلا الامرين راجع
اليه فيها فقد قام مقام الشارع ايضا في هذا المعنى وقد جاء في الحديث : ان من قرأ القرآن
فقد ادرجت النبوة بين جنبيه : وعلى الجملة فالمفتي مخبر عن الله كالنبي وموقع للشريعة على
اعمال المكلفين بحسب نظره كالنبي وتأنذ امرهم في الامة بمنشور الخلافة كالنبي ولذلك

(١) في الموافقات جزء ٢ (٢) يشير الى حديث اللهم ارحم خلفائي

سموا اولي الامر وقرنت «امعتهم بطاعة الله ورسوله في قولا تعالى «يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم» والادلة على هذا المعنى كثيرة

(بيان ان المفتي والعالم والمجتهد والفقيه الفاظ مترادفة في الاصول)

قال الشهاب ابن قاسم العبادي في شرح قول امام الحرمين في الورقات «وصفة المفتي الخ : والمجتهد والمفتي واحد . وقال في شرح قوله «وليس الهائم ان يقلد» اي المجتهد المطلق فانه المراد من العالم كالمفتي حيث اطلق في الاصول وقال ايضا في شرح قول المحلي : والمفتي هو المجتهد : يحتمل ارادة اتحادهما مفهوما و ارادة اتحادهما ماصدقا ولعل الثاني اقرب انتهى

وقال السبكي في جمع الجوامع والمجتهد الفقيه : كما قال فيما تقدم نقله عنه في اوائل الكتاب : والفتية المجتهد لان كلا منهما يصدق في ما يصدق فيه الآخر : قال العطار اي فهو ليس من قبيل التعريف وانما هو من قبيل بيان الماصدق فتساوى الافراد واختلفت المفهوم

وفي فتح القدير لابن الهمام : قد استقر رأي الاصوليين على ان المفتي هو المجتهد فاما غير المجتهد ممن يحفظ اقوال المجتهد فليس بمفت والواجب عليه اذا سئل ان يذكر قول المجتهد على وجه الحكاية فعرّف ان ما يكون في زماننا من فتوى الموجودين ليس بفتوى بل هو نقل كلام المفتي ليأخذ به المستفتي وطريق نقله لذلك عن المجتهد احسن امرين اما ان يكون له فيه سند اليه او يأخذه عن كتاب معروف تداولته الابد بغير نحو كتب محمد بن الحسن ونحوها لانه بمنزلة الخبر المتواتر او المشهور .

(ما اشترطه الاصوليون في المفتي)

قال الامام الصيرفي : موضوع هذا الاسم يعني المفتي ان قام للناس بامر دينهم وعلم حمل عموم القرآن وخصوصه وناسخه ومنسوخه وكذلك السنن والاستنباط ولم يوضع لمن علم مسألة وادرك حقيقتها فن بلغ هذه المرتبة سموه بهذا الاسم ومن استحقه اتفق فيما استفتي

وقال ابن السهماني : المفتي من استكمل فيه ثلاث شرائط الاجتهاد والعدل والقول الكف عن الترخيص والتساهل^(١)

وقال الامام الشاطبي^(١) المفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يجعل الناس على المهور الوسط فيما يليق بالجمهور فلا يذهب بهم مذهب الشدة ولا يميل بهم الى طرف الانحلال والدليل على هذا انه الصراط المستقيم الذي جاءت به الشريعة ومقصد الشارع من المكلف الحمل على التوسط من غير افراط ولا تفريط فاذا خرج عن ذلك في المستفتين خرج عن قصد الشارع ولذلك كان ماخرج عن المذهب الوسط مذموماً عند العلماء الراحمين وايضاً فان هذا المذهب كان المفهوم من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الاكرميين وقد رد عليه السلام التبتل وقال لمعاذ لما اطال بالناس في الصلاة : افتان انت يا معاذ : وقال : ان منكم منفريين . وقال : عليكم من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تموتوا . وقال احب العمل الى الله مادام عليه صاحب . وان قل ورد عليهم الوصال . وكثير من هذا وايضاً فان الخروج الى الاطراف خارج عن العدل ولا تقوم به مصلحة الخلق اما في طرف التشديد فانه مهلكة واما في طرف الانحلال فكذلك ايضاً لان المستفتي اذا ذهب به مذهب العنت والخرج بغض اليه الدين وادى الى الانقطاع عن سلوك طريق الآخرة وهو مشاهد واما اذا ذهب به مذهب الانحلال كان مظنة للمشي مع الهوى والشهوة والشرع انما جاء بالنهي عن الهوى واتباع الهوى مهلك والادلة كثيرة فعلى هذا يكون الميل الى الرخص في الدنيا باطلاق مضاداً للمشي على التوسط كما ان الميل الى التشديد مضاد له ايضاً وربما فهم بعض الناس ان ترك الترخص تشديد فلا يجعل بينهما وسطاً وهذا غلط والوسط هو معظم الشريعة وام الكتاب ومن تأمل موارد الاحكام بالاستقراء التام عرف ذلك واكثر من هذا شأنه من اهل الانشاء الى العلم بتعلق بالخلاف الوارد في المسائل العملية بحيث يجرى الفتوى بالقول الذي يوافق هوى المستفتي بناءً منه على ان الفتوى بالقول المخالف لهواه تشديد عليه وخرج في حقه وان الخلاف انما كان رحمة لهذا المعنى وليس بين التشديد والتخفيف واسطة وهذا قلب للمعنى المقصود في الشريعة فان اتباع الهوى ليس من المشقات التي يترخص بسببها وان الخلاف انما هو رحمة من جهة اخرى وان الشريعة حمل على التوسط لاعلى مطلق التخفيف — والا لزم ارتفاع مطلق التكليف من حيث هو خرج ومخالف للهوى ولا على مطلق التشديد فليأخذ الموفق في هذا الموضع حذره فانه منزلة قدم على وضوح الامر فيه انتهى

وقال الامام ابو اسحق السيرازي في الملح^(١) في باب صفة المفتي والمستفتي ويذبحي ان يكون المفتي عارفاً بطرق الاحكام وهي الكتاب والذي يجب ان يعرف من ذلك ما يتعلق بذكر الاحكام والحلال والحرام دون ما فيه من النقص والامثال والمواظع والاختبار ويحيط بالسنن المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان الاحكام ويعرف الطرق التي يعرف بها ما يحتاج اليه من الكتاب والسنة من احكام الخطاب وموارد الكلام ومصادره من الحقيقة والحجاز والعام والخاص والجبر والمفصل والمالات والمقيد والمنطوق والمفهوم ويعرف من اللغة والفهم ما يعرف به مراد الله تعالى ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم في خطابهما ويعرف احكام انعال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تقتضيه ويعرف الناسخ من ذلك والمنسوخ واحكام النسخ وما يتعلق به ويعرف اجماع السلف وخلافهم ويعرف ما يعتد به من ذلك وما لا يعتد به ويعرف القياس والاجتهاد والاصول التي يجوز تعليلها وما لا يجوز والاوصاف التي يجوز ان يعال بها وما لا يجوز وكيفية انتزاع العلل ويعرف ترتيب الأدلة بعضها على بعض وتبويب الاول منها ووجوه الترجيح ويجب ان يكون ثقة مأموناً لا يتساهل في امر الدين انتمى

وقال الامام النووي في مقدمة شرح المذهب : ويذبحي ان يكون المفتي طاهر الورع مشهوراً بالديانة الظاهرة والصيانة الباهرة (ثم قال) : شرط المفتي كونه ثقة مأموناً منزهاً عن الفسق وخوارم المروءة فقيه النفس سليم الذهن رحيم الفكر صحيح التذكار والاستنباط متيقظاً سواء فيه اجر والعبد والمرأة والاعمى والاخرس اذا كتب او فهمت اشارته

قال الشيخ ابو عمرو ابن الصلاح : ويذبحي ان يكون كالراوي في انه لا يترفيه قرابة وعداوة وجرنفع ودفع ضرر ولأن المفتي في حكم مخبر عن الشرع بما لا اختصاص له بشخص فكان كالراوي لا كالتأهد وفتواه لا يرتبط بها الزام بخلاف حكم القاضي (قال) وذكر صاحب الحاوي ان المفتي اذا نابذ في فتواه شخصاً معيناً صار خصماً معانداً فقد فتواه على من عاداه كما ترد شهادته عليه اذا وقعت اتهمى

(فتوى الفاسق والمستور واهل الاعواء والخوارج)

قال الامام النووي في مقدمة شرح المذهب : نقل الخطيب البغدادي اجماع المسلمين

(١) من ام كتب الاصول وقد طبع مع بعض تعليقاتنا عليه

عَلَى ان الفاسق لا تصح فتواه (لغيره) وانه يجب عليه اذا وقعت له واقعة ان يعمل
باجتهاد نفسه

واما المستور وهو الذي ظاهره العدالة ولم تختبر عدالته باطنا ففيه وجهان احدهما
جواز فتواه لان العدالة الباطنة يعتبر معرفتها كَلَى غير القضاة والثاني لا تجوز كالأهـ : هـ
قال الصميري : تصح فتوى اهل الاهواء والخوارج ومن لا يكفر ببدعته
ولا يفسقه :

(بحث الفتوى للقاضي)

قال الامام النووي : والقاضي كغيره في جواز الفتيا بلا كراهة هذا هو الصحيح
وقيل له الفتوى في العبادات وما لا يتعلق بالنضاء وفي القضاء وجهان لامحباتنا اسدها
الجواز لانه اهل والثاني لا لانه موضع تهمة وقال ابن المنذر نكره الفتوى في مسائل
الاحكام وقال شريح انا اقضي ولا افني :

(تقسيم المتأخرين المفتي الى مستقل وغير مستقل)

قال الامام النووي قال ابو عمرو - ابن الصلاح - المفتون قسمان مستقل وغيره
فالمستقل شرطه مع ما ذكرناه ان يكون نقيها بمعرفة ادلة الاحكام الشرعية من الكتاب
والسنة والاجماع والقياس وما التحق بها عَلَى التفصيل وقد فصلت في كتب الفقه فيسرت
وان يكون عالما بما يشترط في الادلة ووجوه دلالتها وبكيفية اقتباس الاحكام منها وهذا
مستفاد من اصول الفقه - وعارفاً من علوم القرآن والحديث والناسخ والمنسوخ والنحو
واللغة والصرف واختلاف العلماء واتقانهم بالقدر الذي يتمكن منه من الوفاء بشروط
الادلة والاقتباس منها - ذا دربة وارتياض في استعمال ذلك - عالما بالفقه ضابطاً
لامهات مسائله وتفاريعه فمن جمع هذه الاوصاف فهو المفتي المطلق المستقل الذي يتأدى
به فرض الكفاية وهو المجتهد المطلق المستقل لانه يستقل بالادلة بغير تقليد وتقليد
بمذهب احد

قال ابو عمرو : وما شرطناه من حفظه لمسائل الفقه لم يشترط في كثير من الكتب
المشهورات لكونه ليس شرطاً لمنصب الاجتهاد لان الفقه ثمرته فيتأخر عنه وشرط الشيء
لا يتأخر عنه وشرطه الاستاذ ابو اسحق الاسفراييني وصاحبه ابو منصور البغدادي
وغيرهما واشتراطه في المفتي الذي يتأدى به فرض الكفاية هو الصحيح وان لم يكن كذلك
في المجتهد المستقل

ثم لا يشترط ان تكون جميع الاحكام على ذهنه بل يكفيه كونه حافظاً لمعظمها ممكناً من ادراك الباقي على قرب

وهل يتنوط ان يعرف من الحساب ما يصحح به المسائل الحسابية الفقهية حتى ابو اسحق وابو منصور فيه خلافاً لاصحابنا والاصح اشتراطه .

ثم انما يشترط اجتماع العلوم المذكورة في مفت مطلق في جميع ابواب الشرع واما مفت في باب خاص كالمناسك والفرائض فيكفيه معرفة ذلك الباب كذا قطع به الغزالي وصاحبه ابن برهان (بفتح الباء) وغيرهما ومنهم من منه مطلقاً واجازه ابن الصباغ في انقراض خاصة والاصح جوازه مطلقاً

(القسم الثاني المفتي الذي ليس بمستقل) ومن دهرطويل عدم المفتي المستقل وصارت الفتوى الى المنتسبين الى ائمة المذاهب المتبوعة ^(١)

والمفتي المنتسب حالات « احدها » ان لا يكون مقلداً لآمنه لا في المذهب ولا في دليله لاصافه بصفة المستقل وانما ينسب اليه لسلوكه طريقه في الاجتهاد وادعى ابو اسحق هذه الصفة لاصحابنا وحكي عن اصحاب مالك واحمد وداود واكثر الحنفية انهم صاروا الى مذاهب انتمهم تقليداً لهم

والجميع الذي ذهب اليه المحققون مذهب اليه اصحابنا وهو انهم صاروا الى مذهب الشافعي لاتقليد له بل لما وجدوا طريقه في الاجتهاد والقياس اسد الطرق ولم يمكن لهم بد من الاجتهاد سلكوا طريقه وطما ومعرفة الاحكام بباريق الشافعي « قال النووي » قلت هذا موافق لما امرهم به الشافعي ثم المزني في اول مختصره وغيره بقوله : مع اعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره

ثم فتوى المفتي في هذه الحالة كفتوى المستقل في العمل بها والاعتداد بها في الاجماع والخلاف

« الحالة الثانية » ان يكون محتبداً مقلداً في مذهب امامه مستقلاً بتقرير اصوله بالدليل

« ١ » نقل العلامة السفاريني الحنبلي في بعض رسائله عن العلامة ابن حمدان انه قال : ان الاجتهاد المطلق الآن ايسر منه في الزمن الاول لان الحديث والفقه قد دوتا وكذا كل ما يتعلق بالاجتهاد من الآيات القرآنية والآثار النبوية واصول الفقه والقواعد وغيرها ذلك لكن الهم قاصرة والرغبات فاترة ونار الخير والجد خامدة وعين الحشبة والفكرة جامدة اكثفاء بالتقليد وخلوداً الى الراحة وعدم التدبيد وبالله التوفيق اه

غير انه لا يتجاوز في ادائه اصول امامه وقواعده وشرطه كونه عالماً بالفقه واصوله وادلة الاحكام تفصيلاً - بصيراً بمسالك الاقيسة والمعاني - تام الارتياض في التخريج والاستنباط فيما بالخلاف ما ليس منصوصاً عليه لامامه باصوله « الى ان قال النووي » ثم ظاهر كلام الاصحاب ان من هذا حاله لا يتأدى به فرض الكفاية

ثم قد يستغل المقلد في مسألة او باب خاص كما تقدم وله ان يفتي فيما لانص فيه لامامه بما يخرج به على اصوله وهو الذي عليه العمل واليه يفرع المفتون من مدد طويلاً ثم اذا افتى بتخرجه فالمستفتي مقلد لامامه لانه هكذا قطع به امام الحرمين في كتابه الغياثي قال الشيخ ابو عمرو: ينبغي ان يخرج هذا على خلاف حكاية الشيخ ابو اسحق التبرازي وغيره ان ما يخرج به اصحابنا هل يجوز نسبته الى الشافعي رحمه الله والاصح انه لا ينسب اليه

ثم ذكر النووي بقية حالات المفتي المنتسب اضربنا عنها لقلة جدواها ولانها فرعت لزمان غير هذا الزمان

وقال العلامة الفناري في فصول البدائع في مسائل الفتاوى: يجوز الافتاء للمجتهد اتفاقاً ولحاكي قول مجتهد حي سمعه منه متافهة لان علياً رضي الله عنه اخذ بقول المقداد عن النبي عليه السلام في المذي ولذا يجوز للمرأة ان تعمل في حيضها بنقل زوجها عن المفتي

اما - الانشاء - لحاكي قول ميت فمنعه الاكثرون اذ لا قول للميت لان عقاد الاجماع مع خلافه وانما صنف كتب الفقه لاستفادة طرق الاجتهاد من نصر فهم ومعرفة المتفق عليه والخلف فيه قل في المحصول: والاصح عند المتأخرين جوازه لوجهين «الاول» انعقاد الاجماع على جواز العمل بهذا النوع من الفتوى وله معنيان «١» ان احكام الشريعة الحمديدية باقية الى آخر الزمان لكونه خاتم النبيين وكل من المجتهدين يثبت الحكم على انه كذلك فهم وان احتلفوا في تعيين الحكم مجمعون ضمناً على بقاءه وجواز تقليد من بعدهم «٢» ان المجتهدين السابقين المختلفين اجمعوا صريحاً على ان من بعدهم اذا اضطروا الى تقليد الميت لعدم الاجتهاد جاز لم ذلك «الثاني» اذا كان المجتهد الميت ثقة عالماً والحاكي عنه ثقة فاهماً معنى كلامه حصل عند العاصي ظن ان حكم الله تعالى ما حكامه والذين حجة حتى لو رجع الى كتابه موثوق به جاز ايضاً كذا في التحصيل قال في فتاوى العصر في اصول الفقه لابي بكر الرازي رحمه الله فلما ما يوجد من

كلام رجل ومذهبه في كتاب معروف به قد تداولته النسخ يجوز لمن نظر فيه ان يقول قال فلان كذا وان لم يسمعه من احد نحو كتب محمد بن الحسن وموطأ مالك لانت وجودها على هذا الوصف بمنزلة خبر المتواتر والاستفاضة لا يحتاج مثله الى اسناد

وتوفية الكلام فيه ان اتبر المجتهد ان يفتي بمذهب مجتهد ان كان اهلاً لا ينظر والاستنباط مطلقاً على المآخذ في اقول امامه اي مجتهداً في ذلك المذهب ومعنى الافتاء الاستنباط بمقتضى قواعده لا الحكاية « وقيل » عند عدم المجتهد « وقيل » يجوز مطلقاً ومعنى الافتاء اعم من الاستنباط والحكاية وهو المنقول عن الحصول آتفاً « وقال » ابو الحسين لا يجوز مطلقاً لنا « تكرر افتاء العلماء الغير المجتهدين في جميع الاعصار من غير انكار « للمجوز » انه ناقل فلا فرق فيه بين العالم وغيره كالاحاديث « قلنا » جواز النقل متفق عليه والنزاع فيما هو المعتاد من تخريجه على انه مذهب ابي حنيفة او الشافعي رحمه الله كذا في المختصر والمفهوم من غيره ان سيف الحاكمي عن الميت خلافاً « للمانع » لوجاز لجاز للعامة لانهما في النقل سواء « قلنا » الدليل هو الاجماع وقد جوز للعالم دون العامي والفارق علم المأخذ واهلية النظر

ثم عن اصحابنا في ذلك روايات ذكر في التبيين مثل محمد بن الحسن رحمه الله : متى كان للرجل ان يفتي : قال اذا كان صوابه اكثر من خطاه « وقال » ظهير الدين الترمذاني رحمه الله : لا يجوز للفتي ان يفتي حتى يعلم من اين قلنا قلنا هل يحتاج الى هذا في زماننا ام يكفي الحفظ قال يكفي الحفظ نقلنا عن انكتب المتحفة « وقال » نعم الائمة البخاري رحمه الله : الحفظ لا يكفي ولا بد من ذلك الشرط .

وفي عيون الفتاوى : قال عصام بن يوسف رحمه الله . كنت في مأتم قد اجتمع فيه اربعة من اصحاب ابي حنيفة زفر وابو يوسف وعافية وقاسم بن معن فاجمعوا على انه لا يحل لاحد ان يفتي بقولنا ما لم يعلم من اين قلنا اه كلام الفخاري

(حكم المقلد يفتي بما هو مقلد فيه)

قل النووي : « فان قيل » هل لمقلدان يفتي بما هو مقلد فيه « قلنا » قطع ابو عبد الله الحليجي وابو محمد الجويني وابو الحسن الروياني وغيرهم بتعريمه وقال القفال المروزي يجوز : قال ابو عمرو قول من منعه معناه لا يذكره على صورة من يقوله من عند نفسه^(١) بل يضيفه الى امامه الذي قلده « قال » فعلى هذا من عدناه من المقتنين المقلدين

« ١ » في النفس شيء من هذا المعنى ويؤيده كلام صاحب الحاوي الآتي

ليسوا بمفتين حقيقة لكن قاموا مقامهم وادوا عنهم عدوا معهم وسبيلهم ان يقولوا مثلاً من مذهب الشافعي كذا ونحو هذا ومن ترك منهم الاضائة فهو اكتفاء بالمعلوم من الحال عن التصريح ولا بأس بذلك

وذكر صاحب الحاوي في الكافي : اذا عرف حكم حادثة بني علي دليلها ثلاثة اوجه « احدها » يجوز ان ينفي به ويجوز تقليده لانه وصل الى علمه كوصول العالم « والثاني » يجوز ان كان دليلها كتاباً اوسنة ولا يجوز ان كان غيرها « والثالث » لا يجوز مطلقاً وهو الاصح هذا ما قاله ائمة الشافعية وتقدم عن الفتاوي ما للحنفية

(احكام المفتين)

« الاول »

قال النووي : الافتاء فرض كفاية فاذا استغنى وليس في الناحية غيره تعين عليه الجواب فان كان فيها غيره وحضر فالجواب في حقه فرض كفاية وان لم يحضر غيره فوجهان اصحهما لا تعين والثاني يتعين وهما كالوجهين في مثله في الشهادة ولو سأل عامي عما لم يجب — لم يجب جوابه

« الثاني »

اذا افترى بشيء تم رجوع عنه فان اعلم المستفتي برجوعه ولم يكن عمل بالاول لم يجوز العمل به وان كان عمل قبل رجوعه فان خالف دليلاً قاطعاً لزم المستفتي نقض عمله ذلك وان كان في محل اجتهاد لم يلزمه نقضه لان الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد وهذا التفصيل ذكره الصبري والخطيب وابو عمرو واتفقوا عليه ولا اعلم خلافاً ويلزم المفتي اعلامه قبل العمل وكذا بعده حيث يجب النقض واذا عمل بفتواه في اتلاف فبان سطوه وانه خالف القاطع فمن الاستاذ ابي اسحق انه يضمن ان كانت اهلاً للفتوى ولا يضمن ان لم يكن اهلاً لان المستفتي قصر كذا حكاه الشيخ ابو عمرو وسكت عليه وهو مشكل وينبغي ان يخرج الصمان علي قولي الفرور المروفين في باب النصب والكاح وغيرهما او يقطع بعدم الضمان اذ ليس في الفتيا الزام ولا الجاء^(١)

(الثالث)

يحرم التساهل في الفتوى ومن عرف به حرم استفتاؤه فمن التساهل ان لا تثبت

(١) فرقوا بين الفتيا والقضاء فان الفتيا لا الزام فيها واما القضاء ففيه الزام ووجهه

ان المفتي مخبر عن الحكم والقاضي ملزم به

ويشروع بالفتوى قبل استيفاء حقها من النثار والفكر فان تقدمت معرفته بالمسئول عنها فلا بأس بالمبادرة وعلى هذا يحمل ما نقل عن الماضين من مبادرة ومن التساهل ان تحمله الاغراض الفاسدة على تتبع الحيل المحرمة او المكرومة طلباً للترخص لمن يروم نفعه او التخليط على من يريد ضرره واما من صنع قصده فاحتسب في طلب حيلة لاشبهة فيها ليخلص من ورطة يمين ونحوها فذلك حسن جميل عليه يحمل ما جاء عن السلف من نحو هذا كقول سفيان (انما العلم الرخصة من ثقة) واما التشديد فيحسبه كل احد ومن الحيل التي فيها شبهة ويذم فاعلم الحيلة في سد باب الطلاق

(الرابع)

ينبغي ان لا يفتي في حال تغير خلقه وشغل قلبه بما يمنعه التأمل كغضب وجوع وسجن وفرح غالب ونماس او ملل او حر من عجز او مرض مؤلم او مدانعة حدث وكل حال شغل فيه قلبه ويخرج عن حد الاعتدال فان افتى في بعض هذه الاحوال ونحو يرى انه لم يخرج عن الصواب جاز وان كان مخاطراً فيها

(الخامس)

الخيار للبصدي للفتوى ان ينبع بذلك ويجوز ان يأخذ عليه رزقاً من بيت المال الا ان ينفع عليه وله كفاية فيجزم على الصحيح
ثم ان كان له رزق لم يجز اخذ اجرة وان لم يكن له رزق فليس له اخذ اجرة من اعيان من يفتي على الاصح كالحاكم
واحتمل الشيخ ابو حاتم القزويني من اصحابنا فقال له ان يقول يلزمي ان افليك قولا واما كتابة الخط فلا فان استأجره على كتابة الخط جاز
قال العمري : لو اتفق اهل البلد فجعلوا له رزقاً من اموالهم على ان يفتيهم لفتاؤهم جاز

(واما المدية) فقال ابو المظفر السمعاني له قبولها بخلاف ما كانه يلزمه حكمه
قال ابو عمرو : ينبغي ان يحرم قبولها ان كانت رشوة على ان يقنيه بما يريد كما في الحاكم وسائر ما لا يقابل بعوض

قال الخطيب : وعلى الامام ان يفرض ان نصب نفسه لتدريس الفقه والفتوى في الاحكام ما يقنيه عن الاحتراف ويكون ذلك من بيت المال ثم روى مسنده ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اعطى كل رجل من هذه مائة دينار في السنة

(السادس)

لا يجوز ان يفتي في الايمان والاقرار ونحوهما بما يتعلق بالالفاظ الا ان يكون من اهل بلد اللفظ او منزلاً منزلتهم في الخبرة برادهم من الفاظهم وعرفهم فيها انتهى كلام النووي . وهكذا نقل ابن فرحون في النيصرة عن القرافي انه ينبغي للفتي اذا ورد عليه مسنفت لا يعلم انه من اهل البلد الذي فيه المفتي ان لا يفتيه بما عادة . يفتي به حتى يسأله عن بلده وهل حدث لم عرف في ذلك اللفظ اللغوي ام لا وان كان اللفظ عرفياً فهل عرف ذلك البلد موافق لهذا البلد في عرفه ام لا وهذا امر متيقن واجب لا يختلف فيه العلماء وان العادتين متى كانتا في بلدين ليسا سواء ان حكمهما ليس سواء انما اختلف العلماء في العرف واللغة هل يقدم العرف على اللغة ام لا والصحيح تقديمه ، لانه ناسخ والناسخ مقدم على المنسوخ اجاباً فكذا هنا انتهى

(السابع)

لا يجوز لمن كان فتواه نقلاً لمذهب امام اذا اعتمد الكتب ان يعتمد الا على كتاب موثوق بصحته وبانه مذهب ذلك الامام فان وثق بان اصل التصنيف بهذه الصفة لكن لم يلق هذه النسخة متممة فليستظهر نسخ منه متفقه
(قال النووي) قلت : لا يجوز لفت اذا اعتمد النقل ان يكتب بمصنف او مصنفين ونحوهما من كتب المتقدمين واكثر المتأخرين لكثرة الاختلاف بينهم في الجزم والتخريج

(الثامن)

اذا افتي في حادثة ثم حدث مثلاً فان ذكر الفتوى الاولى ودليلاً بالنسبة الى اصل الشرع ان كان مستقلاً او الى مذهبه منتسباً فتى بذلك بلا نظر وان ذكرها ولم يذكر دليلاً ولا طراً ما يوجب رجوعه فقل له ان يفتي بذلك والاصح وجوب تجديد النظر ومثله القاجي اذا حكم بالاجتهاد ثم وقعت المسألة وكذا تجديد الطلب في التيمم والاجتهاد في القبلة وفيهما الوجهان

قال القادي ابو الطيب في تعليقه في آخرباب استقبال القبلة : وكذا العامي اذا وقعت له مسألة فسأل عنها ثم وقعت له فيلزمه السؤال ثانية — يعني على الاصح — الا ان تكون مسألة بكثر وتوعا ويشق عليه اعادة السؤال عنها فلا يلزم ذلك ويكفي السؤال الاول .

(الناسخ)

ينبغي ان لا يقتصر على قوله في المسألة خلاف او قولان او بيان او رد بيان او ترجع الى رأي القاضي او نحو ذلك وهذا ليس بجواب متصور المقتضى بان ما يعمل به فينبغي ان يجزم له بما هو الواجب فان لم يعرفه تركه حتى يظهر او يترك الفنيا كما كان جماعة من كبار اصحابنا يمدحون عن الافناء .
هذا ما نقله النووي في شرح المذهب

(آداب الفتوى)

(الاول)

قال النووي . يلزم المفتي ان يبين الجواب ببيان الاكمل ثم له الانتصار على الجواب شفاها فان لم يعرف لسان المستفتي كفاء ترجمة تامة واخذ لانه خبر وله الجواب كتابة وان كانت الكتابة على خطر وكان القاضي ابو حامد كثير الحرب من الفتوى في الرقاق

قال الصمري : وليس من الآداب كون السؤال على المفتي فاما بالملأ وتهدبه فواقع وكان الشيخ ابراهيم الشيرازي يكتب السؤال على ورق له ثم يكتب الجواب

واذا كان في الرقعة مسائل فلاحسن ترتيب الجواب ل ترتيب السؤال ولو ترك الترتيب فلا بأس

واذا كان في المسألة تفصيل لم يلائق الجواب فانه خذلاً ثم له ان ينفصل السائل ان حضر . يكتب السؤال في رقعة أخرى ثم يجيب وهذا أولى وله ان يتنصر على جواب احد الاقسام اذا علم انه الزايع للسائل ثم يقول هذا اذا كان الامر كذلك وله ان يفصل الاقسام في جوابه ويذكر حكم كل قسم لكن هذا كرهه ابن الحسن القاسبي من ائمة المالكية وغيره وقالوا : هذا تعلم للامتنع من الجواب واذا لم يجد المفتي من سألته فصل الاقسام واجتهد في بيانها واستيعابها

(الثاني)

ليس له ان يكتب الجواب على صورة الرقعة اذا لم يكن في الرقعة ترش له بل يكتب جواب ما في الرقعة فان اراد جواب ما ليس فيها فليقل ان كان الامر

كذا وكذا فجزاه كذا واستحب العلماء ان يزيد نرى ما في الرقعة بما له تعلق بها عما يحتاج اليه السائل لحديث : هو الطهور ماؤه الحل ميتته :^(١)
(الثالث)

اذا كان المستفتي بعيد الفهم فليرفق به ويصبر الى تفهم سوءه وتفهم جوابه فان ثوابه جزيل

(الرابع)

ليشأمل الرقعة تأملا شافيا وآخرها أكد فان السؤال في آخرها وقد بتقيد الجميع بكلمة في آخرها ويغفل عنها

قال السبكي : وقال بعض العلماء : ينبغي ان يكون توقف في المسألة السهلة كالصعبة ليعتاده وكان محمد بن الحسن يفعل

واذا وجد كلمة من جهة سأل المفتي عنها ونظرا رشكها وكذا ان وجد كلمة فاستأما او خطأ يحيل المعنى اصلحه وان رأى بياضا في اثناء السطر او آخره خط عليه او شغله لانه ربما قصد المفتي بالابضاء فكذب في البياض ما يفسدها كما بلي به القاضي ابو حامد المرزوي^(٢)

« الخامس »

يستحب ان يقرأها على جماعة من اهل ذلك ويشاورهم ويأخذ منهم رفق وانصاف وان كانوا دونه والامذته للاقتداء بالسلف ورجاء ظهور ما قد يخفى عليه الا ان يكون فيها ما يوجب ابداءه او يؤثر السائل كتمانها او في اشاعته مفيدة^(٣)

(١) اي فانه سأل عليه السلام عن ماء البحر فاجاب عنه وزاد حكم ميتته يحد يث هذا

(٢) ما ذكره بذلك لي انه كانت الفتاوى تنوارد الى العلماء بخطوط المستفتين فلذا نبه من كتب في ادب الفتوى الى مثل ما ذكره كيلا يقع في محذور وان كانت الفتوى من عهد السلطان سليم صارت توجه الى عالم واحد الا انه لم يزل في ضراحي البلاد وبعض الاقاليم رجوع كثير من الناس الى فتاوى العلماء بدون تقيد بالمفتي الموظف فهذه الشروط والتوجيهات تفيد مثل اولئك حتى الآن اهـ منه

(٣) ليتأمل التنبيه على المساواة في الفتوى والاستدلال بحال السلف على النورى فيها وطرحها على انظار الراغبين بل ومن دونهم وليوازن بين هذا وما آت اليه من

(السادس)

ليكتب الجواب بخط واضح وسط لا دقيق خاف ولا يملأ جانب ويتوسط في سطورها بين توسيعها وتضييقها وتكون عبارته واضحة صحيحة يفهمها العامة ولا يزدريها الخاصة واستحب بعضهم ان لا تختلف اقلامه وخطه خوفاً من التزوير ولثلاثه يشبه خطه قال النيسري : وقد ما وجد التزوير عن المفتي لان الله تعالى حرس امر الدين واذا كتب الجواب اعاد نظره فيه خوفاً من اخلال وقع فيه واخلاق بعض المسئول عنه

(السابع)

اذا كان هو المبتدئ فالعادة قديماً وحديثاً ان يكتب في الناحية اليسرى من الورقة قال النيسري وغيره : وان كتب في وسط الرقعة او في حاشيتها فلا عيب عليه ولا يكتب فوق البسملة بحال وان يدعو اذا راد الله وحده عن مكبوله لئلا يرحمهما الله الاستعاذه من الشيطان ويسمي الله تعالى ويحمد ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل « رب اشرح لي صدري الآية » ونحو ذلك

قال النيسري وعادة كثيرين ان يبدؤا فتاويهم : الجواب وبالله التوفيق . وحذف آخرون قال النووي : اختار قول ذلك سطلنا واحده الابدان : بقوله الحمد لله الحمد لله : كل امر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو اجذب . وينبغي ان بقوله بلسانه ويكتبه قال النيسري : ولا بدع ختم جواب بقوله وبالله التوفيق او والله اعلم او والله الموفق (قال) ولا يقبح قوله : الجواب عندنا او الذي عندنا او الذي يقول به او تذهب اليه او نرا . كذلك لانه من اهل ذلك (قال) واذا اغفل السائل الدعاء للمفتي او الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر الفتوى الحق المفتي ذلك بخطه فان العادة جارية به

قال النووي : واذا ختم الجواب بقوله والله اعلم ونحوه مما سبق فليكتب بعده :

الاستئثار رأيي او الاستبداد بكتاب ولا حول ولا قوة الا بالله وقد نقل ابن عبد البر في كتاب جامع العلم عن المسيب بن رافع قال : كان اذا جاء النبي من القضاء ليس في الكتاب ولا في السنة يرقع النساء فجمع له اهل العلم فما اجتمع عليه رأيهم فهو الحق (ص ١٩٠)

كتبه فلان او فلان بن فلان الفلاني فينسب الى ما يعرف به من قبيلة او بلدة او صفة
فان كان مشهوراً بالاسم او غيره فلا بأس بالاختصار عليه.

قال الصميري و ينبغي اذا تعلق التتري بالسلطان ان بدعوه له فيقول : ولي ولي
الامر والسلطان اصلحه الله ارسده له وقوى الله عزيمه واحل به او شد الله ازره ولا
يقال اطال الله بقاءه فليست من الفلانة والفلان

(قال الزوي) نزل ابو جعفر الخراساني عن ائمة العلماء في كراهة قول اطال
الله بقاء وفي صحيح مسلم في حديث ام حبيبة رضي الله عنها انارة الى ان الاولى
ترك نحو هذا من الدعاء بطول البقاء واشباهه

(الثامن)

ليختصر جوابه و يآون بحيث يفهمه العامة قال . احب الخاوي . يقول يجوز او
لا يجوز ارحق ارباطل وسكى شيخه الصميري عن شيخه الزاوي ابي حامد انه
كان يختصر نابة ما يمكنه واستغنى في مسألة آخرها يجوز ام لا فكتب لا وبالله
التوفيق انتهى

قلت استجاب الاختصار ليس آي الخلاف بل هو في امر جلبي للاحاجة الى الاختلاف
فيه او في جواب الهادي رهوما تغلب فيه الفخاري راما الفتاوي في المسائل المهمة فلا
يستكثر فيها مجلد الا ان تحت هنا ليس في امنا

(التاسع)

قال الصميري والحايب : اذا سئل عن قال : نا اصدق من محمد بن عبد الله او
الصلاة لعب وشبه ذلك : فلا يادر بقوله : هذا حلال الدم او عليه القتل بل يقول
ان صح هذا باقراراه او بالنية استبداء السلطان فان تاب قبلت توبته وان لم يتب فعل به
كذا وكذا وبالغ في ذلك راسعه

(قال) وان تكلم بشي' محتمل وجوهاً يكفر ببعضها دون بعض قال يسأل هذا
القاتل فان قال : اردت كذا فالجواب كذا

(العاشر)

ينبغي اذا ضاق موضع الجواب ان لا يكتبه في رقعة أخرى خوفاً من الحيلة ولهذا
قالوا يصل جوابه ما آخر سطر ولا بدع فرجة لئلا يزيد السائل شيئاً يفسدها واذا كان
موضع الجواب ورقة ملصقة كتب على الاصلاق

(الحادي عشر)

إذا ظهر للفتي أن الجواب خلاف غرض المستفي وأنه لا يرضى بكتابته في ورقته فليقتصر على مشافهته بالجواب

وليحذر أن يميل في فتواه مع المستفي أو خصمه ووجوه الميل كثيرة لا تحصى ومنها أن يكتب في جوابه ما هو له ويترك ما هو عليه

وليس له أن يبدأ في مسائل الدعوى والبيّنات بوجوه المخالصة منها وإذا سأله أحدهم وقال: بأي شيء بندفع كذا وكذا لم يجبه كيلا يتوصل بذلك إلى إبطال حتى^(١) وله

أن يسأله عن حاله فيما ادعى عليه فإذا شرحه له عرفه بما فيه من دافع وغير دافع (قال الصميري): وبذبحي للفتي إذا رأى للسائل طريقاً يورثه إليه أو ينهيه عليه:

يعني ما لم يضر غيره ضرراً بنيرحق (قال) كن حلف لا يفتق على زوجته شهراً يقول تعطيتها من صداقها أو قرضا أو يعمّا ثم تترثها وكأحكي أن رجلاً قال لابي حنيفه رحمه

الله: حلفت أني أطأ امرأتي في شهر رمضان ولا أكفر ولا أعصي: فقال: سافر بها: (الثاني عشر)

قال الصميري: إذا رأى المفتي المصلحة أن يفتي العامي بما فيه تليظ وهو مما لا يعتقد ظاهره وله فيه تأويل جاز ذلك زجراً له ولا مثاله من قل دينه ومروته

(الثالث عشر)

يجب على المفتي عند اجتماع الوقائع بمحضته أن يقدم الأسبق فالأسبق كما يفعله القاضي في الخصوم^(٢) وهذا فيما يجب فيه الافتاء فإن تساوا أو جهل السابق قدم بالقرعة

والصحيح أنه يجوز تقديم المرأة والمسافر الذي شد رحله وفي تأخير ضرر يختلفه عن رفقه ونحو ذلك على من سبقهما إلا إذا كثّر المسافرون والنساء بحيث يلحق غيرهم بتقديمهم

ضرر كثير فيعود إلى التقديم بالسبق أو القرعة

(١) ليعتبر بذلك بعض المحامين وأمناء الفتوى وكتاب المحاكم الذين يلقنون المخالصة بأجر أو بنير اجر وليذكروا ما أخذ عليهم في ميثاق الايمان من النصيحة للخلق والقول

بالحق والقيام بالنسطة والشهادة بالعدل اه منه

(٢) هذا الادب من ام ما يجب العناية به لاسيما على القاضي وارى للقاضي وقت حضوره لسماع المساوي أن يقف على بابه حاجباً يدخل عليه مدعياً بعد آخر وفي ذلك

بله الترتيب وانتظام امر مجلسه وراحة البال قيامه بما يجب من سماع الدعوى باصفه تام

(الرابع عشر)

قال الصمري وأبو عمرو: إذا سئل عن ميراث فليست العادة أن يشترط في الورثة عدم الرق والكفر والقتل وغيرها من موانع الميراث بل المطلق محمول على ذلك بخلاف ما إذا اطلق الاخوة والاخوات والاعمام فلا بد أن يتواءم في الاخوات من اب وام او من اب او من ام

واذا كان في المذكورين في رقعة الاستفتاء من لا يرث افسح بقوله يقال: وسقط فلان وان كان سقوطه في حال دون حال قال وسقط فلان في هذه الصورة او نحو ذلك لثلاثتهم انه لا يرث بحال

قال الصمري وغيره: وحسن ان يقول: نقسم التركة بعد اخراج ما يجب لنديه من دين او وصية ان كانا

(الخامس عشر)

اذا رأى المفتي في رقعة الاستفتاء خطأ غيره ممن هو اهل للفتوى^(١) وخطأه فيها صحيح موافق لما عنده قال الخطيب وغيره: كتب تحت خطأ «هذا جواب صحيح وبه اقول» او يكتب «جوابي مثل هذا» وان شاء ذكر الحكم بعبارته الخصة من عبارة الذي كتب وما اذارأى فيها خطأ من ليس اهل للفتوى فقال الصمري: لا يفتي معه لان في ذلك تقرير المنكر بل يضرب على ذلك^(٢) باسم صاحب الرقعة وله انتمار السائل وزجره وتعرفه فبح ما اتاه وانه كان واجبا عليه البحث عن اهل الفتوى وطلب من هو اهل لذلك^(٣) (قال) والاولى في هذا الموضع ان يشار على صاحبها بابدالها فان ابى ذلك احابه شفاها (قال أبو عمرو) اذا حاف فنة من الضرب على فتيا العادى الاهلية

وسكون المجلس مما يشوش عليه في شأنها وتفرغ قلبه للقضاء فيها وتوحد وجهه اليها واما ما عليه الآن من دخول مدع باثر آخر بعتب سائل وتزامم المدعين والكتاب فذلك مما يجب التفكير باصلاحه وارى ايضا ان يعلن القاضي عدم قبول الزيارة لاحد ما كانتا من كان وقت جلوسه للحكم والقضاء وعسى ان يتفكر في ذلك ان شاء الله اه منه

(١) اي على القاعدة القديمة من نوارد العلماء شغلهم على فتوى واحدة قبل احكامها بفرد في القرون الاخيرة اه منه

(٢) اي يعلم بالقلم عليه بخط مستأجل اشارة الى عدم صحته اه منه

(٣) سياقي يان ذلك مفصلا في آداب المستفتي اه منه

ولم تكن خطأ عدل إلى الامتناع من الفتيا معه فان غلبت فتاويه لثغابه على منصفها بجاه او تليس او غير ذلك بحيث صار امتناع الامل من الفتيا ضاراً بالمستفتي فليفت فان ذلك اهلون الضررين وليلطف مع ذلك في اشهار قصوره لمن يحمله

اما اذا وجد فتيا من اهل وهي خطأ مطلقا لمخالفتها القاطع او خطأ على مذهب من يفتي ذلك المفتي على مذهبه قطعاً فلا يجوز له الامتناع من الفتيا تاركاً للتنبيه على خطاها اذا لم يلق ذلك غيره بل عليه انضرب عليها عند تدبره والابدال او تقطيع الرقعة باذن صاحبها او نحو ذلك واذا تعذر ذلك وما يقوم مقامه كتب صواب جوابه عند ذلك الخطاء ثم ان كان الخطي اهل الفتيا فحسن ان يعاد اليه باذن صاحبها اما اذا وجد فيها فتيا اهل الفتوى وهي على خلاف ما يراه هو غير انه لا يتطعم بخطاها فيقتصر على جواب نفسه ولا يتعرض لفتيا غيره بخطئة ولا اعراض قال صاحب الحاوي : لا يوغى لفتي اذا استفتي ان يتعرض لجواب غيره رد ولا تحطئة ويحجب بما عنده من موافقة او مخالفة^(١)

(السادس عشر)

اذا لم يفهم المفتي السؤال اصلاً ولم يحضر صاحب الواقعة قال الصميري كتب : يزداد في الشرح لتجيب عنه او لم افهم ما فيها فاجيب (قال) وقال بعضهم لا يكتب شيئاً اصلاً (قال) ورأيت بعضهم كتب في هذا يحضر السائل لخطابه شفاها . قال الخطيب : ينبغي له اذا لم يفهم الجواب ان يرشد المستفتي الى مفت آخر ان كان والا فليسك حتى يعلم الجواب .

قال الصميري : واذا كان في رقعة الاستفتاء مسائل فهم بعضها دون بعض او فهمها كلها ولم يرد الجواب في بعضها او احتاج في بعضها الى تأمل او مطالعة اجاب عما اراد وسكت عن الباقي

(السابع عشر)

ليس يتكر ان يذكر المفتي في فتواه الحجة اذا كانت نصاً واضحاً قال الصميري : لا يذكر الحجة ان افنى عامياً ويذكرها ان افنى فقيهاً (قال) ولم تجر العادة ان يذكر

(١) ليتأمل اللبيب كلام الامام النووي هذا المأثور عن هؤلاء الاعلام وكيف لم يسوغوا لمن كان من اهل الفتوى ورجالها ان يتعرض لفتوى غيره واوجبوا ان يحجب بما عنده ولينظر من يشغل على فتاوي الاعلام ورد او تحطئة وبنه وبين مقامها بعد الثريا عن الثرى وليعتبر وليستعبر اهـ

في فتواه طريق الاجتهاد ووجه القياس والاستدلال^(١) الا ان تتعلق الفتوى بقضاء قاض فيومي فيها الى طريق الاجتهاد ويلوح بالكتبة وكذا اذا افنى غيره فيها بلفظ فيفعل ذلك او ينه على ماذهب اليه

وقد يحتاج المفتي في بعض الوقائع الى ان يشدد ويبالغ فيقول : وهذا اجماع المسلمين او لا اعلم في هذا خلافا او فن خالف هذا فقد خالف الواجب وعدل عن الصواب او فقد اثم وفسق او ولى الامر ان يأخذ بهذا ولا يهمل الامر وما اشبه هذه الالفاظ على حسب ما تقتضيه المصلحة وبوجه الحال
(الثامن عشر)

قال الشيخ ابو عمرو : ليس له اذا استفتي في شيء من المسائل الكلامية ان يفنى بالتفصيل بل يمنع مستفتيه وسائر العامة من الخوض في ذلك فان كانت المسألة مما يؤمن في تفصيل جوابها من ضرر الخوض^(٢) كان الجواب تفصيلا وعلى هذا ونحوه يحمل ما جاء عن بعض السلف من الفتوى في بعض المسائل الكلامية وذكر امام الحرمين في كتابه الفياثي ان الامام يحرص ما امكنه على جمع عامة الخلق على سلوك سبيل السلف في ذلك^(٣) (للبحث صلة) جمال الدين القاسمي

- (١) يعني الفتاوى الموجزة لعامى او من لا يرغب الا في الحكم وحده واما الفتاوى التي طلب فيها الاسهاب في ذلك فليس الكلام فيها كما بيناه قبل اه منه
- (٢) كأن كانت تحقيق حق او فصل خلاف او اراد المستفتي الوقوف على اطراف المسألة وماذهب اليها ارباب المقالات فلا مانع من التفصيل بل هو من ام مايجب لتحيص الحق كما فعل شيخ الاسلام ابن تيمية في فتاويه من بسطه المقال في ذلك وكذلك غيره ممن توسع في ذلك من ائمة الفتوى والاجتهاد اه منه
- (٣) اسهب حجة الاسلام الغزالي في ابثار مذهب السلف والدعوة اليه في كتابه الجام العوام عن علم الكلام وكذا الامام الذهبي في كتابه العلوقه وبقوله شيخه شمس الدين ابن القيم في كتابه اجتماع الجيوش الاسلامية على حرب المعطلة والجهمية وكلها مطبوعة مندولة بحمده تعالى اه منه

في ارض الجليل

نقطة ماورد في الجزء الاول

جبلان في هذا الصقع يقدهما المسيحيون لما لما من الشأن في تاريخ الدين وهما من اجل الجبال يبعثان النفوس الى عبادة الخالق الى وتوحيده ونعني بهما جبل الطور وجبل الكرمل . فالاول على مقربة من الناصرة قائم في الجو وسط سهل يزرعيل يعلو ٤٠٥ خمسمائة مترو يعلو عن سطح البحر ٦٠٢ مترين وهو جميل المنظر ومحله عجيب في ابناء ورواته وتجذ في مخدراته شجرالسدان والخروب والبطم والمصطكي وغيرذلك . وقد ذكر بعض سياح الافرنج الذين زاروا هذه الديار في القرن التاسع ليلاد انه كان يصعد الى قمة الجبل من سلم طوله ٤٣٤٠ درجة والطريق الى القمة يبدأ على ذلك ومسطح الفتنة ١٢٠٠ متر طولاً و ٤٠٠ متر عرضاً وفي احد سفوح الجبل آثار مدينة عبرانية قديمة تسمى الدبورة او ابو عمود وكانت مظلة على الوادي الذي كان طريق الزوار والجيوش المصرية قديماً فوقه من احسن المواقع الحربية وفي سفح جبل نابور وفي سنة ٥٣ م حدثت ملحمة كبرى بين اسكندر بن اريستوبول وارلسوس كابينوس احد قواد بومينوس الامبراطور الروماني وبعد قرن عند ما انتفض اليهود على الرومانيين احدث يوسفوس قامة على قمة الجبل وكذلك فعل المسلمون في القرن الثالث عشر للميلاد فاقاموا حصناً منيعاً تجدد اليوم بعض آثاره وتند تقاسم الروم واللاتين لهدنا سطح الجبل وجعلوه ادياراً .

كان جبل الطور ذا شأن عظيم على عهد الصليبيين لاسرافه على بلاد الأردن . قال ياقوت : والطور جبل بعينه مطلق على طبرية الأردن بينهما أربعة فراسخ على رأسه يعة واسعة محكمة البناء موشنة الارعاء يجتمع في كل عام بحضرتها سوق ثم يفي هنالك الملك المعظم عيسى بن الملك النادر ابني بكر بن ايوب قلعة حصينة وانفق عليها الاموال الجمة واحكمها غاية الاحكام فلما كان في سنة ٦١٥ هـ وخرج الافرنج من وراء البحر طالبين للبيت المقدس امر بجرباها حتى تركها كأمير الدابر .

وبقول مؤرخو الصليبيين ان الذين خرجوا من وراء البحر من الافرنج طالبين للقدس سنة ١٢١٧ م كانوا اندراوس الثاني صاحب البحر ولبوبولد دوق النمسا وغلبيوم

كونت فلاندر وليمس الباناري ويوحنا دي بريان ملك القدس وهوج دي لوزيان صاحب تبرص جاوا في خمسة عشر الفا من رجالهم وبنوا مرتين فتح قلعة المار فارتدوا عنها خائبين فرأى الملك العادل قتلهم لا ليعاقبهم وحرصاً على السلام ان يدك ذاك الحصن بعد خمس سنين من بنائه وفي سنة ١٢٦٣ جاء الظاهر يبرس اليه بقداري من مصر في جيش ضخم وعسكر في منبدر جل الطور وخرب فيما قيل الا ما كن المدينة التي كانت فيه وجعل اليها اسواها وفي سنة ١٦٣١ نال اتصال دة قبة طوسكانيا في صيدا من الامير نجر الدين المنجي رنة تميز لرهبة الاخرات الناصرين ان يقيموا في جبل الطور ومنذ ذاك العهد اصبح هذا الجبل مهاد للعبادة والنسك

هذه لعة من تاريخ الطور ويتقال له جبل القيلي كما يقال له جبل تاور . اما الكرمل فهو ايضا من الحصن المهمة قال ياقوت : كرمل بالكسر ثم السكون وكسر الميم ولام هو حصن آل الجبل الشرف آ حيفا بسواحل بحر الشام وكان قديماً في الاسلام يعرف بمسجد سعد الدولة . ولذا يغلط الناس اليه في تفهم كاف الكرمل والتصحح كره . وهذا الجبل اطول من النور يمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الغربي على ناول ٣٤ كيلومتراً ويمتلك عرض ٥٠ الى ٨ كيلومترات ولا يبلغ علوه في الشمال الغربي اكثر من ثلثه . على سطحه يبلغ في الوسط ٥٤٠ متراً وهو مشرف على البحر من جهة وتلى سهل من جبل الفسيح من جهة أخرى

ومعنى كرمل بالعبرانية الخديقة ورد ذكره في التوراة اشارة الى الجبال والحصب وهو من اشهر الجبال غربي الأردن يشدني من رأس قرب حيفا وينتهي بوادي الملح متتابعاً بعام طوله نحو ١٢ ميلاً واطلى رؤوسه عند عسفيانحو ١٧٢٩ و عرف هذا الجبل بمجل النبي الياس لانه اقام فيه وكان الكرمل في كل عصر موطن التفكير والزوف عن الدنيا وذلك في ايام الوثنية والنصرانية حتى ان الفيلسوف فيثاغورس اليوناني كثيراً ما كان يذهب للتدين والتفكير في الكرمل المتدبر وفي عهد دارا بن يستاسب ملك الفرس (٥٢١ - ٤٨٥ ق م) كان يعبد في الكرمل كوكب المشتري وقال بعض مؤرخي الرومان ان الكرمل نفسه كان يعبد فلم يكن فيه معبد ولا هيكل بل ليس فيه الا مذبح وعباد يعبدون وكان في النصرانية معبداً لرجلها حتى نشأت في القرون الوسطى فيه رهبنة الكرمليين المشهورة في المشرق والمغرب وهو اليوم مقسم بين

اهل المذاهب المختلفة من المسيحيين اقاموا فيه الاديار وشرسوه بانواع الاشجار واستقلوا به حتى لا يعبره . ارق الا يجعل اواذن وهو مطل على حيفا وعكا ناظر الى بلاد الجليل ولا سيما سهل يزرعيل اوضح ان عامر المعروف في التوراة بقعة مجدو وبقعة مجدون ووادي يزرعيل وهو " مريج واسع واقع بين جبال السليل وجبال الناصرة طوله من الشرق الى الغرب ٢٤ ميلا وعرضه من مياين الى ١٢ ميلا وهو مثل الشكل وقاعدة هذا المثلث ضلعه الشرقي وهو خط يمتد من جبل جلبوع والذي وتابور الى جبال الجليل او الناصرة ومن هذه القاعدة يتفرع ثلاثة فروع نحو الشرق فرع بين جلبوع والاسي وفرع بين الدحي وتابور وهو الاخصب والاشهر فرع بين تابور وجبال الناصرة وعند هذه القاعدة ترتفع الارض فيتحول مجرى الماء الى الشرق والغرب وبشق هذا السهل من الشرق الى الغرب نهر قيشون المسمى الآن المقطع ومع كل ما هو عليه من الاهمال الآن لا يزال هذا السهل في غاية الخصب وكان اعظم ساحة حرب في هذه البلاد .

نعم ان العناية بهذا السهل قليلة لان اصحابه اغنياء كانوا ابتاعوه فيما بلغنا بحيلة ورشوة وذلك ان قراء كانت لاناس من الفلاحين ضعاف ارادت الحكومة منذ نحو اربعين سنة ان تسجل قراهم لتتقاضى منها ضرائب وكان الفلاح يرتعش من سماع الضرائب ويخاف ان يعرف بانه مالك ارض قابوا ان يبيعوها باسمائهم تفاديا من الظلم الذي كان يبال الفلاح يرمنذ فازرع والي سوزية اذ ذاك ان يبيع تلك القرى او سهل يزرعيل برهته باعتبارها من الاراضي الاميرية المحولة فما كان من اولئك الاغنياء الا ان اختلفوا لباع كلها صفقة واحدة وفي ثمان عشرة قرية لا يقطعها الفارس في اقل من ثمان ساعات طولا وذلك حتى لا يتيسر لاحد الاهالي ان يشربوا فرشوا الرالي فيما قيل بثلاثة آلاف ليرة وابتاعوها باقل من خمسة عشر الف ليرة واسبوا يلبون بالسر مع الرالي في دارهم ولم يمض الهزيعان الاولان من الليل الا وقد خرج الرالي كما دخل صفر اليدين من المال الذي ناله من طريق الرشوة فاضر بالامة والدولة ما لان اولئك الاغنياء محسروه في القمار ليلاما كان ناله منهم رشوة في النهار . وهكذا حرم اصحاب هذه القرى الحقيقيون منها يجلبهم وسوء ادارة الحكومة اذ ذاك وتشبوا في البلاد وبهتهم استخدموا اجراء في قرى الاغنياء وكانوا من قبل في نعمة ولكن من بأخذ البلاد

بغير حرب يهون عليه تسليمها فان اولئك المالكين زهدوا فيما ملكوا لانهم بعيدون عنها والارض لمن يقوم على تهديدها فهو مالكها الحقيقي لامن يكتفي من ربحها بما حصل . فاباع بعض اولاد اولئك الاغنياء ما ورثوه من آباءهم واكثرها انتقلت الى ايدي الجمعية الصهيونية وبوسك ان يباع ما بقي ولكن بمئات الالوف من الليرات لارتفاع الاسعار ولان الصهيونيين آوآ على انفسهم ان يملكوا فلسطين وارض الميعاد . وبذلوا فيها مهما كلفتهم

ولابأس هناك من الاشارة الى الجمعيات الاسرائيلية وما ترمي اليه من المقاصد فهي عدة جمعيات منها جمعية احباء فلسطين وهي منتشرة في عامة الاطراف ومنها لتفروع جمعية معاونه فلاحي اليهود وصناعهم في فلسطين وسورية وهذه الجمعية رديسة ولها تبين الجمعيتين فروع كثيرة في القدس ويافا واعمالها وحيفا واعمالها وصفد وبلاد بشارة وحوران وعبر الأردن ويتذر الحبيرون عدد افرادها بمئة وخمسين الف نسمة يزيد عددهم كثيراً بما ينضم اليهم كل شهر من اخوانهم الاوربيين الذين يرحلون بدينهم من اوربا الى الارض المقدسة . وعدا هاتين الجمعيتين فان للامريائيين اناساً من مشهوري اغنيائهم مثل روتشيلد وبرك وفليرو وفتيفوري وغيرهم ممن ابتاعوا الاراضي لانباء نحلهم وامدوهم بالمال ليتوفروا على استثمارها على نحو ما تشاهد في زمارين مما يدل بلسان حاله ان الصهيونيين سيعيدون مجد آباءهم في فلسطين ويستولون عليها وهالك ما قوله العارفون بهذه المسألة التي يهتم لها كل من يعرف تاريخ السياسة ويغار على مصلحة البلاد فقد قال احدهم " ان آمال اليهود في استرداد فلسطين بلاد آباءهم واجدادهم واعادة مجدهم وملكهم اليها قديم يعود الى عهد الرومان وتوأيده حروبهم المديدة مع المملكة الرومانية وفي كل واطعة منها في حروب اليهود ليوسيفوس آيات بينات على ذلك ولكن هذه الآمال غاضت بعد ان شنتهم في الارض ادرباتوس في القرن الثاني بعد المسيح وفرق جامعتهم وابعدهم عن صهيون او اورشليم او القدس عاصمة مملكتهم القديمة ومدينة هيكلهم العظيم ولكنها ما لبثت ان ظهرت في صورة التني في عهد قسطنطين الذي اذن لهم بالدنو مرة في السنة من اسوار بيت المقدس ليندبوا مجدهم الزائل وما زالوا الى يومنا هذا يدنون من حائل الحرم الشريف الخارجي المسحى بالبراق ويتذكرون مجد ملوكهم وظمة هيكلهم ومدينتهم ويطلبون من الله ان يعيد ما خسروه

ولكن رسال الخة منهم لم ينفوا عهد حد اتني تأنف الدكتور هارنيل الجمعية الصهيونية التي جعلها معها الوحيد جمع المال وتوحيد ثلثة اليهود على اختلاف اناتهم وبلدانهم . وهم هم في البلد احد ابن يحنوة اعظم نصير يثيت لا يستطيع احد مهاجرتهم وفاوض الدكتور المذكور حكومة عدل في ذلك لما ينحج فهدت الجمعية الصهيونية الى الايكة بالاستثمار التي ريجي كيا عمدا الى جمعية الانحداد الاسرائيلي (اليانس امعرايائيت) بالهذيب والتعليم رقيت تعمل على جمع المال وتوحيد كلمة اليهود واقناع رجال الحكومة الدستورية بكون مقاسدنا

نعم ان الخية " الصهيونية اليهودية ورفيدانها جمعيات ايكا وفاعوليم اليانس وغيرها ساعيات في اسراع فلسطين الى وعدنا به اربهم في الاسحاح الثاني والثلاثين من ارميا من الكتاب الهندس الباحث عن اسرئيل لليهود والذاكر وعد لرب رجوعهم الى فلسطين بقوله في آخره :

« يشرون الحثول بفضة ويكتبون ذلك في صكوك ويختمون و يشهدون شهودا في ارض بنيان و... والى اورشليم رقي مدن يهودا ومدن الجبل ومدن السهل مدن الجنوب لاني ارد مديهم يقول لرب اء » وذلك بعد ما سبهم حكومة الكلدان على انهم لم يستطيعوا البقاء من بعد ذلك لانهم اصبحوا محل النزاع بين حكومة الرومان في مصر وحكومة الرومان في اطاكية ثم انزروا ولم يبق لهم ملك ولا دولة والآت عملا بهذه الآية تسرون الاراضي في فلسطين الى حداب الفضة و تسرون البيع الى ان يكون اتين فضة ويكتبون الصكوك و يهدون وهكذا تراهم لا يفترون طرفه عين وهم يجسسون الاحبار من المدين تأخرت التيم المالية من اهل هذه البلاد وفي عبارة عن لواء عكة باجمه مولاء الهندس ولواء نابلس وقسم من لواء الكرك وبعض من قضاء عجلون ويطمخون البائع باثن الفاحش ويكتبون الصكوك ويشهدون عليها ويسجلونها عند محرر المتاولات وعد بعض التفصيلات وكانت الحكومة قبالا منعت اتمارهم ولكن بما بذلوا من لدنايخ التي سحر الباب الخائنين من الحكام ولما استخدمين استطاعوا ان يستولوا على ثلاثة ارباع قضاء طبرية و نصف قضاء صفد واكثر من نصف قضاء يافا والهندس دانهم الميم من نفس حيا و اوبان قراها واليوم سهون للدخول الى قضاء الناصرة لستولوا على سهل شارون ويزرعيل المذكور بالتوراة والمعروف

(١) شكري افندي السلي

اليوم مرج بني عامر الذي يشقه الخط الحجازي من الغرب الى الشرق وكل ذلك باسماء
 العثمانيين وبدلالة سمائهم الخائئين الذين يعدون انفسهم من سراة القوم واجساد
 البلاد وهكذا استروا الكثير من القرى واستولوا عليها وهم لا يخلطون العثمانيين ولا يتعرون
 منهم شيئاً ولم يترك انكلو فلسطين بقرضه بفائدة لا تتجاوز الـ ١٠٠ في المائة في السنة
 وقد جعلوا كل قرية ادارة فيها مدرسة وكل قضاء مديرية ولكل جهة مدير عام ولم
 راية لونها ازرق وفي وسطها خاتم سليمان وتحته كلمة عبرانية معناها « صهيون » لانه
 جاء في التوراة ان اورشليم ابنة صهيون ويرنعون هذا العلم . لكن العلم العثماني سيف
 اعيادهم واجتماعاتهم ويتبنون بالثبوت الصهيوني وقد احتلوا الى الحكومة فتبدوا انهم
 عثمانيين في سجل النفوس كذباً وبهتاناً وهم لا يزالون حاملين الجوازات الاجنبية التي
 تمنحهم وعندما يصيرون الى الحاكم العثمانية يطهرون جوازاتهم وبدنوا الحماية الاجنبية
 ويحلون دعاويهم واحتلافاتهم فيما بينهم بمعرفة المدير ولا يراجعون الحكومة ويعلمون
 ابناءهم الرياضة البدنية واستمال السائح وترى بيوتهم ملوثة بالاسلحة وفيها كثير
 من الممارتين ولم يرد خاص وطوايح خاصة وغير ذلك مما يبرهن على انهم بدأوا بتأسيس
 مقاصدهم السياسية وتأييد حكومتهم الخيالية فاذا لم تضع الحكومة حداً لهذا السيل
 الجارف لا يمضي على فلسطين زمن الا وتراها اصبحت ملكاً للجمعية الصهيونية ورفيقاتها
 او شعبيها المذكورة

اليك بعض ما يقال في الاستعمار الصهيوني وعواقبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية
 وهو مضر باتفاق العقلاء المجردة نفوسهم عن الاغراض وهناك استعمار آخر في فلسطين
 والجليل وهو اقل منه خطراً ونعني به قدوم الجالية من الاوربيين ليستخذوا هذه البلاد
 موطناً لهم على ان لا ينسوا مساقط رؤوسهم ويظلوا من تبعه دولهم كالات في فا
 وحيفا مثلاً

فقد انت عشرات من الأسرات الالمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر
 وزلت سيف ذبلك البلدين فارة بدينها من المانيا الى هذه الارض المقدسة وهي من
 دافئة حرة اسمها شيعه الميكاليين او احباب اورشليم أنشئت سنة ١٨٦٢ في اماره
 ورتبع في المانيا عقيب الحركة الدينية التي احدها خوفان الذي ذهب الى ان الرأي
 الحالي في دين النصرانية لا يكون سبيلاً الى ان يحيا المتدينون بها حياة مسيحية حقيقية
 فاخذ اشياء الى انفسهم ان يقبوا ملكوت الله في الارض بان يبدؤوا بذلك من ارض

الوعد ومنها يذبحون في اوربا ليحددوا حياة الكنيسة والمجتمع وهم يفسرون زبوات المهد القديم تفسيراً حسناً فشرعوا سنة ١٨٦٨ بإنشاء مستعمرة في حيفا وفي الوقت نفسه أنشأوا مستعمرة لهم في يافا ولهذا الطائفة الآن أربع مستعمرات بنافس سكانها ١٣٠٠ وقد ساعدت على انحصار البلاد وفتحت الالمان باب التدخل في شؤوننا أحياناً .

ولو عقل من يسكنون هؤلاء الالمان من اهل حيفا ويافا لقلدوهم في نشاطهم وتنظيم بيوتهم وحدائقهم . زرعي الالمان او مستعمرتهم في الشمال الغربي من حيفا وألقى عليها نظر المتدبر تجدهم لايزيدون عن سبعمائة نسمة ولهم مدرستان وعبدان . مريح رائد الدارف في تلك الطرق المعبدة المنسقة والبيوت الدائمة على نظام واحد تحيط بها الحدائق الصنرى الفاخرة بكل غرض وبانح المستوفية شرط المرافق والمناقع وتعال معي بعدها نثار الى ماني جوارها من بيوت الوطنيين واجيائهم فماذا تجد ؟ تجدها بوثرة الاوساخ ومثال الخال ونموذج الاتكال وراموز الجود والحمود . طف واستبر بناتهم العائلات وبناتنا الساملات ثم انصفنا وانصفهم منا . هل نرى رجائنا في اقتدارهم على مستوى بناتهم في تربيتهم ونشاطهم . اما النظير بين رجائنا ورجلهم فهذا لا يقول به حتى اضيق الناس عقلا

شريعة من المملوك من بلادهم نزلوا بلادنا فقراء معدمين لا يكون غير مضائهم وبعض حرف يحسنونه . فاعدهم بعض مومسهم على ابتياع عشرات من الافدنة من ارض بلادنا فمروها كما ترى على النسيق الالماني ولم تمض بضعة سنين حتى وفوا بذلتهم ديونهم . اثروا ولا انراء ابن البلاد الذي ورث مئات الافدنة واصبحوا يغبطون حتى من كبار اغنيائنا ونحن من امرهم حائرون باهتون لانعمل ولا نترك كأن القدر قد كتب علينا والغرور مسجل في صحائف حياتنا وكأنهم خلقوا من طينة غير طينتنا وعقل ! تخيل علينا ان نلحق سآؤه .

وما ننس لاناس تلك الحديقة التي زرناها في المستعمرة الالمانية في حيفا وقد تجلى لنا فيها المضاه الغربي في اجلي مظاهره حتى لظنننا في حديقة من حدائق فرنسا او المانيا . حديقة لا تبليح مساحتها فداناً دميثياً^(١) وفيها معظم ما يوجد في الارض الحارة من صنوف البقول والاشجار جعلت مساكب وقسمت طرقاً وقد قبل لنا ان دخل صاحبها منها لا يقل عن خمسين الف قرش في السنة فلم يسعنا الا ان نقول سبحان الله السرفي

(١) الفدان الميشتي ٢٤٠ قصبة مريمة والقصبة سبعة اذرع في مثلها

السكان لافي الممكن . نعم السر في السكان ولاعجب اذا رأينا الان في مقدمة ول
الارض بلومهم وصنائعهم واختلافهم في الفنون وعدمهم مثل هذا الشعب الذي
يعلم بعمله اهل الساط من الام دروسا سامية بما ياك به مع الخاملين .
وعلى ذكر حيننا لآبأس باراد نبذة موجزة من تاريخنا لتسلسله الى عالمنا اليوم
فبقول :

كانت حيفا قديما تسمى قلمون وليس لها ذكر في التوراة وتاريخها القديم غاض
لاشأن له . ولقد كان الساحل من نصيب قبيلة عازر ولما وصل الامراتيليون الى هذه
البلاد لم يستطيعوا ان يتولوا على مدينة من المدن الساحلية ومن جملة الملوك الذين
عليهم جوزوي في شمالي فلسطين كان الملك حوسايان ملك الكرمل والكرمل كانت كما
يقول المؤرخ بلين الى الجبل المسمى باسمها وكان اسمها قديما اكبتان وكانت في جوار
حيفا او قلون مدينة اسمها سيكامينوس اي مدينة العنبر كثيرة هذا البحر في ارضها
فكانت قلمون وسيكامينوس مدينتين متنافستين تعبر الارلى وتغرب الثانية وهكذا كانت
المنافسة بينهما مجالا الى النرون اوسطى وقد زالت سيكامينوس من لوح الوجود ابد
الدهر . فتاريخ المدينتين كما قال رنابه يد ترمين مروج بعضه في الآخر . ولقد روى
التاريخ ان بطليموس لا يثر : كم جزيرة قرص بعد ان طردته امه كليو بارا من مصر
جاء سنة ١٠٤ ق م لتجدة نكا وكانت يحصرها اذ ذاك اسكندر في ملك يهوذا
فانزل جنده وكان ثلاثين الفا في مدينة سيكامينوس وفي ارائل التاريخ المسيحي لم تكن
سيكامينوس ذات شأن هي وسائر المدن المجاورة لها وكانت مدينة سكانها رأيه
سترايون ارقى تلك البلاد وتحيط بعدها قيسارية *Caesarea*

وكثيرا ما يذكر اسم الكرمل وبعض المدن مثل : كايينوبوليس وبيكولو بوليس
وكروكوديوبوليس وغيرها وذكر المؤرخ بلين امورا كهذه . وقد ازهرت مدينة
سيكامينوس ومدينة قلمون في القرن السادس للميلاد .

وعنى حيفا بامبرانية الرأس او الارض الماخلة في البحر لانها اُثنت في جوار
الكرمل وهو لما معتم ومجا وحيفا القديمة كانت في مكان لا يبعد كثيرا عن حيفا
الجديدة عرفت آثاره كما ان مدينة سيكامينوس تبين انها على اربعة كيلومترات من
حيفا القديمة وقد اكتشفت بعض آثارها اعداياتها وهي رومانية يونانية
ولقد كانت حيفا في الاسلام من جملة الحصون المشرفة على البحر الرومي لاسباب وانها

مما زينة الجزيرة قبرص ولم تنزل^(١) في ايدي المسلمين الى ان تغلب عليها كوفرى الذي ملك بيت المقدس سنة ٤٩٤ وبقيت في ايديهم الى ان فتحها صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة ٥٧٣ (١١٨٧) وكانت حيفا من نصيب الملك تنكرد الذي اصبح اميراً على بلاد الجليل من طبرية الى حيفا ولما استطعت عكا في ايدي الافرنج سنة ١١٩١ خرب صلاح الدين حيفا نكابة بالصلبيين حتى لا ينالهم منها الا الخراب . ولكن هؤلاء جددوا بنيانها ولما غادروا سورية سنة ١٢٩٢ ظلت حيفا خاملة الذكر الى ان كان القرن الثامن فاستولى عليها الشيخ ظاهر العمر كما استولى على ارض الجليل ودكها فجعل عليها ساقطها ثم اعاد بناءها وبنى عليها سوراً وانتأ له قصر من جنوبها يطل عليها .

والظاهر عمر هذا كان من أسرة بدوية اسمها بني الزبادنة ورث من ابيه الحكم على مدينة دند و استولى على طبرية سنة ١٧٣٨ م وعلى عكا سنة ١٧٤٩ فاصبح شيخاً على اعمال الجليل كلها وكانت يميل الى العمران بحيث يشبه باعماله الامير نجر الدين المعني امير الدروز في القرن الحادي عشر للهجرة وقد ثقاتل الشيخ ظاهر العمر مع ابنائه انفسهم ثم غدر به احد رجاله احمد بنات الجزار واستولى على الحكومة دونه . واستول برنارت على حيفا سنة ١٧٩٩ وبعد بضعة ايام ضربه الاسطول الانكليزي ضربة قاضية وفي سنة ١٨٣٧ احتلت عساكر ابراهيم باشا المصري مدينة حيفا وفي سنة ١٨٤٠ اصبحت حيفا ولاسيما حصنها باضرار جسيمة من قذائف الاساطيل الانكليزية والنمساوية والعثمانية وبنذ غادرها الجيش المصري ظلت بلا حامية الى المدة الاخيرة وقد جعلت قضاء واخذت بعض السفن التجارية ترسو فيها قليلا فتقتل اليها البريد والبضائع وتحمل منها حبوب حوران وحاصلات الجليل وقد زادت مكانة بجعلها سنة ١٣٢٠ م بدأ للسكة الحديدية الحجازية فانتشئت في ضاحيتها محطة مهمة ومعامل وانابيب فاخذت المدينة تعمر بذلك حتى كادت بما بلغت تنسي ذكر المواني المجاورة لها . ويقدر سكانها الآن بنحو عشرين الف نسمة نحو نصفهم اسراييليون مهاجرون لم يقيموا في دوائر الحكومة سوى ستمائة مسلمون ومسيحيون ويقف عليها مدعى السنة زهاء ٣٠٠ باخرة و ٧٠٠ مركب ويحمل منها زهاء عشرين الف طن من الحبوب والدررة والسمسم والزيت ويصدر اليها ما يبلغ حمولته عشرة آلاف طن من البضائع وماء البارد من آبار فيه بعض الملوحة وقد كان يمكنها الاستغناء من بنابيع بترجسها

ولاسيما من نهر المنقطع اوقاديشا الفاصل بين ارض الجليل ونيقية او بين ارضها وارض عكا
لو صحت العزيمة على ذلك . وهو اوثقها جند وما نخرها الطبيعية راقية وبكثر فيها النخيل .
اما عكا وهي الآن مركز الاواء وقضاء لبرية وقضاء صند وقضاء الناصرة من
اعمالها وبعبارة ثانية هي قاعدة الجليل . ما اصابها من الاخطاط الشديد . وبوخذ
كما ورد في سفر القضاة ان عكا لم تكن مدينة امرايالية ولم تصير مستعمرة
يهودية الا بعد ازمان طويلة . وكان اليونان يربطون عكا بفلسطين ثم دعت بعد
باسم بطولاميس نسبة الى احد بنات ملوك مصر وربما كانت بطليموس ابن لاغوس وذكر
مؤلفو الرومان والفتوح التي عثر عليها . ثم ان عكا كانت مستعمرة الامبراطور
كلوديوس وكانت ذات أهمية من حيث هي مدينة بحرية واستولى عليها العرب سنة
٦٣٨ ففقدت اذ ذاك اسمها اليوناني

قال ياقوت الحموي في تاريخه الشام والشمس وعمكة اسم بلد على ساحل بحر الشام
من عمل الأردن وهي من احسن بلاد الساحل في ايامنا هذه وانتمرها قال ابو عبد الله
محمد بن احمد بن ابي بكر البناء البتاري : عمكة مدينة حصينة كبيرة الجامع فيه غابة
زيتون يقوم بمرجه وزيادة ولم تكن على هذه الحصانة حتى قدمها ابن بلون وكان قد رأى
صور واستدارة الحائط على مينائها فاحب ان يتخذ لعمكة مثل تلك الميناء فجمع صنائع
الكور وعرض عليهم ذلك فقبل له لا يتندي احد الى البناء في الماء في هذا الزمان .
ثم ذكر له جدنا ابو بكر البناء وقيل له ان كان عند احد فيه علم فهو عنده فكتب اليه
وأقبح به من القدس وعرض عليه ذلك فاستهان به واتمس منهم احضار فاق من خشب
الجزير غليظة فلما حضرت عمدة ينفها على وجه الماء بتدر الحصن البري ونم بعضا الى
بعض وجعل لها بابا عظيما من ناحية الغرب ثم بنى عليها الجبارة والتيد وجعل كلسا
بنى خمس دوامس ربطها باعمدة غلاط اشد البناء وجعلت القلعة كلسا ثلثات ترات
حتى اذا علم انهم قد استقرت في الرمل تركها حولا كاملا حتى اخذت قرارها ثم عاد
فبنى من حيث ترك وكلما بلغ الزمان الحائط الذي قبله ادخله فيه وحوله به ثم جعل
على الباب قنطرة والراكب كل ليلة تدخل البناء وتجرب سلاسله بينه وبين البحر الاظم
مثل صور قال فذبح اليه الف دينار سوى الخلع والمركوب واسمه عليه مكتوب الى
اليوم قال وكان العدو قبل ذلك يغني على المراكب

وفتح عكا في حدود سنة ١٥ على يد عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وكان لمعاوية في فتحها وقع الدواخل اثر جميل ولما ركب منها الى غزوة قبرص رمها واعاد ما تدمر منها وكذاك فعل بصور ثم خربت فجددها هشام بن عبد الملك وكانت فيها صناعة بلاد اردن وهي محسوبة من حدود الأردن ثم نقل هشام الصناعة منها الى صور فبقيت على ذلك الى قربه ايام الامام المنذر ثم اختلفت ايدي المتغلبين عليها وعمرت عكة احسن عمارة وصارت بها الصناعة الى يومنا ذا وهي لتزفرح حال ياقوت : وكانت قديما بيد المسلمين حتى اخذها الامرنج ومندهم بغدوين صاحب بيت المقدس من زعم الدولة بن امير الجيوش منسوب الى امير الجيوش بدر الجمالي او ابنه وكان فيها من قبل المصريين نقصدها الافرنج برأ وبجرأ في سنة ٤٩٧ فقنلهم اهل عكة حتى عجزوا عنهم اقصور الماددة بهم وكان اهل مصر لا يمدونهم شيئا فلموها اليهم وقتلوا ما باخنا كثيرا وسبوا جماعة اخرى حملوهم الى خراب البحر وخرج زعم الدولة حتى وصل الى دمشق ثم عاد الى مصر ولم تزل في ايديهم حتى اقتحمها صلاح الدين يوسف بن ايوب في جمادى الاول سنة ٥٨٣ ونهبها بالرجال والعدد والميرة فعاد الافرنج ونزلوا عليها وخدعوا دولهم خدعاً ولباهم صلاح الدين ونزل دونهم واقام حولهم ثلاث سنين حتى اسماها الافرنج من المسلمين عنوة في سابع جمادى الآخرة سنة ٥٨٧ واحضروا اسارى المسلمين وكانوا نحو ثلاثة آلاف وحملوا عليهم حملة واحدة فشلوهم عن آخرهم . والنسبة اليها عكي وقد نسب اليها قوم وقد رسمها عماد الدين الاصفهاني في الفتح القسي بالالف المقصورة نارة « عكا » وبالالف المدودة أخرى

وقد استولى بودوين الاول على عكا سنة ١١٠٤ م بمعونة اسطول جنوي له وجعلها الصليبيون ميناء مهمة لا لانزال جيوشهم بل ميناء تجارة فكانت ترسو فيها سفن الجنو بين والبرانية والبرانيين وبعد وقعة حطين سقطت عكا يد صلاح الدين وفي سنة ١١٨٩ حاصرها من البر الملك كي دي لوزيان ومن البحر اسطول بيزاني واستولى عليها ريتاردس قلب الاسد ملك الانكليز سنة ١١٩١ م فاصبحت منذ ذاك الحين الجادة العظمى للصراية في فلسطين وكانت معسكر انفرسان ودعوها باسم احدى فرقهم وكانت تدعى القديس يوحنا فقالوا عنها St-Jean d'Acre وفي سنة ١٢٩١ استولى عليها الملك الاشرف بعد مقاومة شديدة فتغنى بالاستيلاء عليها على سلطة الافرنج من هذه البلاد . فبقيت عكا ام ميناء ينزل فيه حجاج التريين الى الارض

المقدسة وفي حوالى منتصف القرن الثامن عشر استولى الشيخ ظاهر العمر على الجليل الاسفل وعلى جزء عظيم من الجليل الابنى واتخذ عكا مقرا مارتته فعادت اليها نضرتها وخلفه في الامارة احمد باشا الجزار الذي وسع حدود امارته فامتدت شمالا الى نهر الكلب وبعابك وجنوبا الى قيسارية واشتهر بماتيه التي جلب لها المواد من عسقلان وقيسارية وغيرها . وبدأ الفريديس سنة ١٧٩٩ يحاصرون عكا وبعد ثمانية وقائع سالت فيها الدماء الى الاباطح اضطر نابوليون ان يرجع عنها واستولى ابراهيم باشا سنة ١٨٣٢ على المدينة فنهت وخربت ولكنها عادت فنهضت من كبوتها وفي سنة ١٨٤٠ خربت الاساطيل الانكليزية والنسايه ثغر عكا فخرّب بذلك كل اثر من آثارها النديية ثم تعاقب الخراب الاقتصادي عليها فكانت تجارتها رائجة لانها كانت سوق الحبوب التي ترد اليها من الداخلية ولا سيما من حوران فسقطت من هذه الوجهة خصوصا لما مات بعض موالي سورية مثل بيروت وطرابلس وحيفا وبقا تنازعها في مكانتها وأذنت سكك حديدية ربطت معظم هذه الموالي بالمدن الداخلية وبقيت عكا في نجوة من الارض ضعيفة في تجارتها وهاجرها كثير من اهلها ومنهم اناس من كبار تجارها وارباب الاملاك بها .

وقفنا على سورها نطل على ثغر عكا الذي اهرقت في سبيل الاستيلاء عليه دماء غزيرة ذاك السور الذي اعجز بمناحته صلاح الدين وجيوشه وتديره فارتد عنها غير ما مرة واهرق الصليبيون دماهم في بسط ايديهم عليها ثم زحزحوا عنها بعد وقائع تشيب لهولها الروؤس وهكذا طمح فيها انفاقحون لانهم كانوا يتبرونهم مفتاح سورية . ولطالما كانت عكا ترمي من برها وبحرها بالفتائف والذيران وكانت مجزرة يهلك فيها الانسان الانسان .

وقفنا على اسوارها ننظر الى المدينة التي اعجزت الملك الناصر والملك الظاهر بونارت وتبأمل في ارباضها القاحلة اليوم وكم جثة دفنت فيها وفي بحرها وهو يحدها بعينه الزرقاء كم ابتلع من اسطول بما فيه . وقفنا وفكرنا مليا في حال البشر يقتتلون على بسط سلطانهم وتكبير رقعة بلدانهم ويرتكبون كل منكر في سبيل المجد والفخار رأيناهم في القديم يقتتلون بحجة دينية واليوم هم كذلك ولكن حجتهم مدنية وانسانية وما المقصود في الواقع ونفس الامر الا الاستيلاء والتغلب وتوسيع نطاق الحكم والسلطان

وقفنا على اسوار عكا تندب في نفسنا الضعف البشري وقد استولى على النفس جلال

ذلك البلد وذكرنا ارواح الخلق تباع في كل عصر بيع السماح ولو اردنا ان نأتي هنا على لغة من تاريخه لافترضنا له مجلد برأسه وعنايه الآن نموذجاً واحداً مما جرى لاجلها في القرون الوسطى قاله ابو الفدا حاشا بنفها : ان السلطان الملك الاشرف سار بالعساكر المصرية الى عكا وارسل الى العساكر الشامية وامرهم بالحضور وان يحضروا معهم المجانيق فتوجه الملك المظفر صاحب حماة وعمه الملك الافضل وسائر عسكر حملة صحبه الى حصن الاكراد وتسلط منه فبحقنقاء يوماً يسمى المنصوري حمل مائة عجلة ففرقت في السكرا لوي وكان المسلم الي منه عجلة واحدة لاني كنت اذ ذاك امير عشرة وكان مسيرنا بالجدل في اواخر فصل الشتاء فانفق وقوع الامطار والثلوج علينا بين حصن الاكراد ودمشق فقاصمنا من ذلك بسبب جر العجل وضعف البحر وموتها بسبب البرد شدة عظيمة ومرتنا بسبب العجل من حصن الاكراد الى عكا شهراً وذلك مسير نحو ثمانية ايام للخل نلنا الاداة وكذلك امر السلطان الملك الاشرف ببحر المجانيق الكبار والذخائر ما يتجمع كى غيرها واشتد سايها القتال ولم يلق الا فرنج غالب ابوابها بل كانت مدينة وهم يقابلون فيها وكان يحسرا لينا مراكب مقيمة بالخشب الملبس جلود الجواميس وكانوا يرموننا بالثياب والجروح ومازوا بها حتى فحقت وكان في داخل البلد عدة ارجة ناصية بمنزلة قلاع دخلها عالم عظيم من الفرنج وتحتوا بها ما وقتل المسلمون وغنوا من عكا شيئاً يفوق الحصن كثرته ثم استنزل السلطان جميع عساكره بالابرجة ولم يتأخر منهم احد فامر بهم فضربت اعتاقهم عن آخرهم حول عكا ثم امر بمدينة عكا فهدمت الى الارض ودكت دكا ومن عجائب الاتفاق ان الفرنج استولوا على عكا واخذوها من صلاح الدين اهر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة واستولوا على من بها من المسلمين ثم قتلهم فقدر الله عز وجل في سابق علم انها تفتح في هذه السنة (٦٩٠) في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة على يد السلطان الملك الاشرف صلاح الدين فكان فتوحها مثل اليوم الذي ملكها الفرنج فيه وكذلك لقب السلطانين .

وهذا القول يثبتك بمكانة عكا واعتباط المؤرخ باستقلالها من الاعداء .
ومن مدن الجليل صفد ولم يتيسر لنا زيارتها لان مطار المتراطة ولوقتها في ثمة جبل وهي ترى من طبرية وعلى بضع ساعات منها ومعظم سكانها يهود وبعض المسلمين من مهاجرة الجزائر وليس في اهليها العريق فيها للسبب الذي اورده ابو الفدا في حوادث

سنة ٦٦٤ قال وفي هذه السنة خرج الملك الظاهر بعساكره المتوافرة من الديار المصرية وصار الى الشام وحيز عسكراً الى ساحل طرابلس ففتحوا القلعات وحاربوا عرقا وتزل الملك الظاهر على صفد ثامن شعبان وضابقها بالزحف والآلات الحصار وقدم اليه وهو على صفد الملك المنصور صاحب حماة ولاصق الجند القامة وكثر القتل والجراح في المسلمين وفيها في تاسع عشر شعبان المذكور بالامان ثم نزل اهلها عن آخرهم .

ولقد كانت صفد في القرن السابع مملكة يقال لها مملكة صفد ومضافاتها "١" وصفد حصن بقبة جبل كنعان في ارض الجرمق كانت قرية فبني مكانها حصن سميت صفت ثم قيل صفد وهو حصن . نعيم وكان بها طائفة من الفرنج يقال لهم الداوية فحصرهم الملك الظاهر ركن الدين يبرس الصالحى وفتحها وقتل كل من فيها الى رأس تل بالقرب منها ثم رعمها وبني في وسطها برجاً مدوراً سماه قلة ارتفاعه في السماء مائة وعشرون ذراعاً وقطره سبعون ذراعاً والى سطحه طريقان يصعد في الطريق الى اعلاه خمسة افراس صفا بلا درج في ممشى حلزوني وهو ثلاث طبقات ابنية ومنافع وقاعات ومخازن وتحتته كله بئر للماء من الشتاء يكفي لاهل الحصن من الحول الى الحول اشبه بمقارة اسكندرية وبهذا الحصن بئر تسمى الساقورة وعمقها مائة وعشرة اذرع في صفة اذرع بذراع النجار والدلاء التي لها بئاني من الخشب تسع البنية نحو قلة من الماء وهما بئتان في جبل واحد يسمى سرباق كتلف زند الانسان وكما وصلت بنية الى الماء وصلت الأخرى الى رأس البئر وكما وصلت واحدة الى رأس البئر وصلت الأخرى الى الماء وكلى رأس البئر ساعدان من حديد بكفين واصابع تعلق الاصابع في حافة البنية الملائنة وتجذبها الكفان فينصب الماء في حوض يجري فيه الى مقرة فاذا انصب الماء من البنية حصل القصد والجاذب لهما بئتان البئتين مرمة هندسية بقسي ودوائر وحركات ولا يزال ذلك السرباق راكباً على بكرته طرداً وعكساً بمنة ويسرة وحول المرمة بقال معلمات تدور بذلك فاذا سمع البقل الدائر خبر الماء وجر السلسلة انتقل راجعاً الى عقبه ودار يمشي في مرتبته بخلاف ما كان يمشي الى ان يسمع خرير الماء وجر السلسلة فينقلب دائراً على خلاف دورته كذلك وهي من اعاجيب الدنيا فاذا وقف واقف وتكلم كلمة واحدة في رأس البئر سمع رجع صوته بتلك الكلمة نازلاً نحو لحظة جيدة حتى يبلغ الماء ثم يعود اليه فيسمعه كما قالها فان صاح وغلب سمع دويأ واضطراباً بذلك الصياح كالرعود لبعث الماء وعمقه . ومن اعمال صفد

(١) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشمس الدين الانصاري المعروف بشيخ الربوة

مرج عيون وارض الجرمق وهي مدينة قديمة عادية كانت بها طائفة من العبرانية ينسبون اليها يقال لهم الجرامقة والكنعانيون بوادي كنعان ابن نوح ومن عملها جبل بشيعة وب قرية يقال لها البقيعة لها امواه جارية ولها سفرجل مليم وبه قرى كثيرة الزيتون والفواكه والكرم وجبل الزابود مشرف على صفد والزابود قرية وبها ايضا قرى كثيرة

وفي بلاد الجليل او عمل الأردن قرى دائرة ذكر بعضها ياقوت في مجمعه مثل (كفر صبت) وهي قرية عند عتبة طبرية و (كفر عاقب) وهي قرية على بحيرة طبرية من اعمال الأردن ذكرها المتنبى فقال:

اتاني وعيد الادعياء وانهم اعدوا لي السودان في كفر عاقب
ولو صدقوا في جدم لحذرهم . فهل في محدي قولم غـ كاذب

ومثل (كفر مند) قرية بين عكا وطبرية بالأردن يقال لها مدين المذكورة في القرآن والمتهور ان مدين في نمرقي الطور وفي كفر مند قبر صفوراء زهجة موسى عليه السلام وبه الجب الذي قلع الصخرة من عليه وسقى لها والصخرة باقية هناك الى الآن عصر ياقوت وفيه ولدان ليعتوب يقال لها اشير ونفثالي

و (دبورية) بليد قرب طبرية من اعمال الأردن قال احمد بن منير

لئن كنت في حلب ثاوياً فنجني الغبير بدبورية

و (دير النجلي) على الطور زعموا ان عيسى عليه السلام علا عليهم فيه و (خيارة) قرية قرب طبرية من جهة عكا قرب حطين بها قبر شبيب النبي عليه السلام عن النكاح بن العجمي و (عفر بلا) بلد بنور الأردن قرب بيسان وطبرية و (الصنبرة) موضع بالأردن مقابل لعقبة افيق بين وبين طبرية ثلاثة اميال كان معاوية يشق بها و (أربد) بالفتح ثم السكون والباء الموحدة قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين طريق المغرب بها قبر ام موسى بن عمران عليه السلام وقبور اربعة من اولاد يعقوب عليه السلام وهم وان وايساجار ونزبولون وكاد فيما زعموا و (اسكندرونة) قال ياقوت وجدت في بعض تواريخ الشام ان اسكندرونة بين عكا وصور و (اكسال) قرية من قرى الأردن بينها وبين طبرية خمسة فراسخ من جهة الرملة ونهر ابي خنيس لها ذكر في بعض الاخبار كانت بها وقعة متهورة بين اصحاب سيف الدولة بن حمدان وكافور الاخشيدي فقتل اصحاب سيف الدولة كل متلة . و (عليا) من نواحي الأردن بالشام و (الزيب) قرية كبيرة على ساحل بحر الشام قرب

عكا و (صفورية) كورة و بلدة من نواحي الأردن بالشام و قرب طبرية و (الاخقوانة) موضع بالأردن من ارض دمشق كبر شامي بمجرة طبرية حدث هشام بن الوليد عن ابيه قال خرج قوم من مكة نحو الشام و كنت فيهم فبينما نحن نسير في بلاد الأردن من ارض الشام اذ رفع انا قمر فقال بعضنا لبعض لو ملنا الى هذا التصرف فاقربنا منه حتى نستريح ففعلنا فيما نحن كذلك اذ انفتح باب القصر وانفرج عن امرأة مثل النزال العطشان فرمى اكل منا بعين و اق و قاب عاشق قتالت : من اي التباثل انتم و اي البلاد قلنا : نحن اساميم من ههنا و هناك فقتلت ابيكم من اهل مكة قلنا : نعم . فاذ أتت تقول من كان يسأل عنا اين منزلنا فبالاخقوانة منا منزل قمر . وان قصر من هذا ما به وطني لكن بمكة امسى الاهل والوطن اذ نلس الديش صفوا ما يكرهه . قول الوفاة وما يذو به الزمن من كان ذا شين بانشام يذو به نبالا بطم امسى المم والحرف ثم شئت شقة وخرت مفة عليها فخرجت بجوزة من القصر فنفعت الماء و وجبها و جعلت تقول في كل يوم لك مثل هذا مرات تألمت للموت فبرك من الحياة فلما رأيتها المجوز ما قصتم افعالت : كنت لرجل من اهل مكة فبانها فهي لا تزال تنزع اليه حنينا وشوقا . هذا ما تيسر نقله مما تأثرت به النفس في رحلة تيمير الى تلك الكورة في الشهر الماضي . ولو وفق اهالي عكا الى تحقيق ما يفكرون به و ينسونه من الحكومة من الخلق لوائهم بولاية سورية لاصبحت مدينتهم او حيفا مينا ممة لمدمشق ومورد التجارات من ابرما ومصدر الفلزات من بلادنا و له اذ لبلاد الجليل بها وها القديم ولما اضمر ذلك بعمران بيروت وطرابلس ضررا بذكر اذ كل بلد ينال اذ ذلك حظا من الرقي . وقد كان الفكر السائح يوم يوسر بمد شعبة من السكة الحجازية من حين ان تسقط بيروت عن مكانتها التجارية فأربناها بعد ان تم ذلك الخلق قد زادت بيروت مكانة ولم ينادرها من التجار الا افراد قلائل وعمرت حيفا بعض الشيء واذا جعلت لهذه مينا ترمي فيها السفن آمنة كما هي الحال في بيروت ترقي ايضا زيادة ولا تضرب بنيردا .

وامهران كالنزوة لا يخلو وينفع الا اذا كان موزا بن البلاد على التساري وحبذا يوم يكون فيه اكل مينا من مواني سورية صفرة كانت او كبيرة مرثا امين لا دفن وخلا حديدي يصلها بالبلاد الداخلية ولو بخطوط زراعية ضيقة يومئذ يقال ان سورية دخلت في دور العمران .

اخبار وافكار

اللبن الرائب

كتب الاستاذ مثنكوف بحثاً في مجلة المجلات الفرنسية ابان فيه مزايا اللبن اائب او الحامض في معالجة بعض الامراض افتتحها بقوله ان الناس كانوا يفسعون من الهواء الاصفر ويموتون منه الوقايم لم يكن كوخ قد اكتشف ميكروباؤه فلما اكتشفها سهلت على الناس الوقاية فصاروا يخبرون المياه الجيدة فيمنجون منه ومن لم تساعدهم السهل على استجماء المياه كاهالي بلسبرج عمدوا الى غلي الماء فنجوا من فتكات هذا المرض الويل ومثل ذلك ينال في جرائم الطاعون والحُمى وغيرها من الامراض فانها لما ظهر السبب فيها بطل العجب وذكر انه جرب وجرب كثير من فوائد اللبن الرائب للصابين ببعض امراض المعدة فثبتت فئدتها كل الثبوت في المستشفيات والمنافع ونفع في الحمى التيفوئيدية ايضاً وقال ان في احشائنا جرائم سادة لا يقتلها الا حامض اللبن وانه جرب ذلك منذ ١٢ سنة في نفسه وكان في الثالثة والخمسين من عمره فامتنع عن جميع المشروبات الراحية واتصر على الماء واللبن الرائب والشاي الخفيف والطعام المطبوخ وامتنع عن كل ما هو في فجوات صحته على كثرة مشاغله وبعدت عنه بحيث يعمل ساعات طويلة عملاً متواصلاً بدون ان يعرّوه ملل بذلك فهو يوصي الزبان ان يجرّوا على طريقته في تناول الالبان الحامضة اذ تساعدهم منهم على الانتفاع منها وربما اطالت حبل آجالهم كما وقع لحائك عمره مئة وثلاث سنين بحثاً عن معيشته فراؤه على انتصاده في ما كلة تناول بكثرة الملقوف المختمر *Choucroute* وفي شيء من الحامض اللبني والخلاصة فان الاستاذ المشار اليه بفرب منذ سنين الى هذا الوقت من بيان منافع اللبن وقد وافقه الآن على رأيه بعد التجارب الطويلة كثير من اعياء الروس والبولونيين والالمايين والفرنسيين وغيرهم ولا يعد ان يترصوته نيدخل اللبن الرائب على الطريقة العربية والاركية والمصرية والبلغارية الى بلاد لم يكن يد لها من قبل بفضل هذا النوع به

الطباعة

كانت البعثة الاثرية الايطالية عثرت في جزيرة كريت منذ سنين على اثار من التراب مكتوب عليه كتابة مدورة ثبتت لها ان تاريخها يرد الى سنة ١٦٠٠ قبل المسيح

وقد توصل العلماء الآن الى حلها بعض الشيء فبين لم انها نقرأ من اليمين الى الشمال وهي عبارة عن نشيد للصلاة وانها اشبه بالخط الهندي في اراء الهند المصري وانها اول اثر مطبوع ظهر به مما دل ان الطباعة في شواطئ البحر الرومي قديمة كما كانت في الصين

الرهينات

روت المجلة الباريزية ان عدد الرهينات الدينية التي وقفت انفسها على بذل الاحسان ومعاونة البائس من نوع الانسان ما برحت آخذة بالاتسار في المانيا وقل عدد البرستنتية منها فلرهينة الدياكوتي او الشماسية ٨٩ ملجأ منها ٥٤ في المانيا والباقي في غيرها وهي مؤلفة من ٢٥٠٠ اخ و ٢٥٠٠٠ اخت الا انه قل في العهد الاخير انخرط النساء في هذا السلك لانه قل الاعتماد عليهن في الشئ فيات كما كان سابقا ولكن يزيد عدد من يمرضن المرضى في بيوتهم عن ذي قبل الرهينات الكاثوليكية تنو أكثر من غيرها فقد كان في بروسيا منذ ٢٥ سنة ٧٤٦ ملجأ فيها ٢٠٠٠ اخ واخت فندت سنة ١٩٠٧ ٢١٣ ملجأ اعضاؤها ثلاثون الف منهم اربعة آلاف اخ وستة وعشرون الف اخت اي ان الرهينات الكاثوليكية قد زادت اربعة اضعاف

تتلى الاكحول

اعظم المسائل الاجتماعية التي يتعاضدها ارباب البحث والنظر في الغرب مسألة انتشار الاكحول بين الجمهور حتى انهم حاربوا عند فرنسا من اما كن ليعها فبلغت ٤٧٧٠٠٠٠ يصيب كل ثمانين نسمة منها محل واحد او محل لكل اثنين بالغاً ومع لمها من الخمر القتالة المزورة وكل يوم يفتح في فرنسا ستة اما كن للبيع بحيث تهلك هذه الامة عما قريب اذا لم تنظر في امرها وبذلك تنوحت الخلق وضعفت الاجسام حتى اضطرت الحكومة ان تترك كثيراً من الذين دعتهم لحل السلاح لعدم اقتدارهم عليه وكثر عدد المتحررين فزاد عددهم اربعة اضعاف ما كان عليه قبل اربعين سنة وكذلك عدد المجانين وزادت الجرائم حتى قدروا ان ثلثي المجرمين هم من الكسكين او من ابناء الكسكين والامة هناك تحارب الاكحول كما تحارب الاعداء بما تنوثر على نشره من الكش والرسائل والنشرات والمجلات والجرائد والمحاضرات والخطب ولا بد ان توفق الى تقليل وطأتها كما وقفت نويسرا وغيرها من الممالك الصغرى

آثار مصرية

اكتشفت بعثة المانية في مصر الوسطى في الحفريات التي قامت بها في مكان اسمه ابو صير الملك كثيراً من الاواني والمدى العمولة من الصوان والعظام والعاج المنحوت وتاريخ هذه الدخائر يرد الى زمن عرف فيه التاريخ اي سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد .

الآداب الانكليزية

منح احد نبلاء بريطانيا عشرين الف جنيه لكتبة كبرج في انكلترا لتؤمّن بها درسا في الآداب الانكليزية تسميه درس الملك ادوارد السابع . وانتأوا في انكلترا جمعية دخلها الناس في كل البلاد التي تكلم فيها بالانكليزية غابها اشرب القلوب حب الشعر اذ نبتت اب المدنية المادبة الحالية لا تحلوا الا اذا احتفظ الناس فيها بالخيال في الحياة

معهد كارنيجي

افاد لسان البرق ان المستر كارنيجي الفني الاميريكي الشهير قد تبرع بمشرة ملايين دولار أخرى للمعهد الذي انتأه على اسمه في نيويورك ببلغ مجموع ما تبرع به من ماله خمسة وعشرين مليون ريال اميريكي فأكرم بامه فيها من غذا الكريم وبلاد تخرج مثل هذا الفني الذي لا يكاد يصدق ان الشرف لولا صدوره عن قوم لا يتكلمون الا عن عقل ولا يميلون لغبر المحسوسات . اما هذا المعهد الذي احفل مؤخراً بافتتاحه فليس له نظير في العالم وسيكون له شأن كالجمع العلمي الذي انتأه باستور على اسمه في مدينة باريز . ومعمل باستور يعني خاصة بعلم الجراثيم (بكتريولوجي) والمعالجة بالصل Serotherapie والكيمياء الحيوية والامراض السارية اما معهد كارنيجي فهو ضرب من ضروب المستشفيات العجيبة لا يقبل فيه الا المرضى الذين تخلى عن طبهم الاطباء وقطعوا بانهم اقرب الى الموت منهم الى الشفاء وهو قصر عظيم جداً يذكر باعظم قصور ملوك الشرق الاقدمين وفيه من مظاهر الرفاهية والراحة والجمال احسن ما ابرزته عقول الغربيين وهو يطل على نهر فتشرف النفوس من وزائه على مناظر تأخذ بمجامع القلوب وهو مؤلف من احدى عشرة طبقة يصعد اليها بمصاعد وادراج واسعة وفيها ردهات وغرف وحجر فسيحة . وليس طول الغرف الخاصة بالمرضى اكثر من ١٦ متراً وعرضها ٨ امتار وفي كل واحدة منها سبع سرر فقط وليس للغرف زوايا وقرب بل هي ابنية مبدورة

ذات قباب وذلك حتى لا يعلق النبار زواياها على ان الناية في النظافة ليس وراءها غاية فاليوت تفتح من تلقاء نفسها مجرد مس الذراع او الرجل او الركبة لها مساً خفيفاً وبذلك لا ينال الايدي شيء من الجراثيم وهناك محل عظيم لمداداة المرضى بالهواء البارد والذئير الجسماني *Metabolisme* وآخر للتصوير الشمسي ورابع للراديوم وللمس في ذاته كتب عظيمه جعلت تحت امرايابه المحل وتلامذته وله اناس موظفون للخدمة والاشراف على الاعمال وكلهم من خيرة القوم وسيأتي نرى هذا المعهد العلمي الانساني يوم نسمع بالاكتراعات والاكتشافات التي تتم فيه بفضل تلك العقول الراجحة التي اجتمعت تحته وانقطعت الى خدمة الانسانية فيه بفضل المحسن الاميركي وريث ابايده

قراءة الدماغ

بعد ان اتقن الغربيون علم قراءة الافكار بالمتنويم المغناطيسي قام اليوم احد علماء الانكليز بعد البحث الطويل بكتشف تركيب الدماغ الانساني وميزاته وذلك بتياس الذهن بطرق وحسابات لا تحيط فيمكنه ان يعرف حقيقة عمل الدماغ معرفة اكيدة بالوقوف على درجة المقاومة في المجرى العصبي وذلك في الجزء الاسفل من مجموع الدماغ

المداداة بالراديوم

اكدا احد جراحي الانكليز انه شفي بمقتصر الراديوم الذي اكتشف منذ اثني عشرة سنة بعض الامراض مثل فاح الوجه والالام العصبية والرنية وامراض الجلد والسرطان والصلع . وادعى طبيبان من كلية كنتنبرج ان الراديوم يتقي من الهواء الاضرار والخطا .

واكد احد اطباء الروس ان الراديوم يثقي الالكه والاعمى . واذا تم ذلك فلا يبقى على العلم الا اختراع دواء لاهياء الموتى تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

برابرة بوليفيا

بوليفيا او بيرو العليا احدى جمهوريات اميركا الجنوبية بلاد واسعة البقاع تبلغ مساحتها ١٦٢٢٢٠٢٨٠ كيلومتراً مع ان سكانها لا يتجاوزون ٢٩١٥٩٠٠٠ وما برحت بعض اصقاعها على حالتها من الهمجية الاولى ومن السكان الذين رآهم الرحالة هرزوك في بوليفيا الشرقية وثبت له من اخلاقهم انهم من عنصر واحد هم وكوارايوس قبائل السيريانوس فان هؤلاء الهمج لم يرتقوا درجة واحدة في الحضارة منذ العصر الحجري فهم يستملون

الحديد وادواتهم القاطعة هي من الصدف الذي تقذف به الشواطي^١ وبها يقطعون ويختون يعيشون عيش البادية في الغابات وتمتد الاصقاع التي ينزلونها الى ريوغراندي وسان ميكل الى الشرق مما وراء ريو بلانكو . وهم لا يلبسون ثياباً وزينتهم الوحيدة عبارة عن عقد يتخذونه من اسنان القروذ ومن حبوب يسلكونها في اسلاك بدون ان يخرقوها بأكلة ما . واكوأخهم وقلاً بأوون اليها مؤلفة من اغصان النخيل واوراقه يدعمها جذع من الشجر ولبس لم من السلاح غير اقواس من خشب النخل طولها متران وسهام منه ايضاً طولها ثلاثة امتار ورأسها محدد . ولا يعرف اصل هذا الشعب معرفة أكيدة .

المانيا وكنيتها

كان للكنيات في ألمانيا خلال النصف الاول من القرن الماضي عمل عظيم في حياة تلك الامة العقلية والاخلاقية والسياسية ففي سنة ١٨١٠ رأى فريدريك غليوم الثالث صاحب بروسيا ان تستعيز ألمانيا عن القوى المادية التي افقدها اياها نابوليون بقوى ادبية فأسس كلية برلين ليلقي في قلوب ناشئة الامة فكراً عالياً سليماً ويعلمهم بالكلام والمثال ان يخلصوا ارواحهم للعلم وقلوبهم للوطن . ومن مجتمعات الطلبة نشأت الدعوة الى الوحدة الألمانية وكانت ألمانيا الى ذلك العهد مقسمة الى امارات مشتتة الكلمة ضعيفة السلطان فقادى الطلاب في هذا السبيل بكل عزيز ولطالما جنحوا الى الثورات وقتلوا وقتل منهم في سبيل تأييد دعوتهم . فمن الكليات نشأت الانقلابات الكبرى في الفلسفة والدين والعلم وكان الالمان الى ذلك العهد امة فكر وشعر يقولون في انفسهم انهم تركوا البر لجارتهم (فرنسا) تنصرف فيه على ما تشاء والبحر لأخرى (انكلترا) تعمل ما تريد ولم يبق لهم الا الاحتفاظ بالسماء وهي منزل العقل . وهذه الوحدة السياسية التي كان يراها بعضهم من الخيال قد تحققت في العلم والعمل بفضل الكليات التي كانت مركز الحياة الوطنية . وانا اذا صرفنا النظر عن اهل الادب والصناعات نجد جميع كبار الرجال في ألمانيا من اساتذة تلك الكليات . ولما نتجت الافكار على تلك الصورة قام بسمرك قبيل الحرب الألمانية الفرنسية ووجد بين تلك الامارات وعلم اولئك العاملين ان الفشرات والدعوات تعمل الى حد محدود ولا بد لتحقيق الغرض بعد ذلك من النار والبتار . انتهى عمل الكليات السلمي سنة ١٨٧٠ ولكنها ظلت صاحبة الحق في حفظ تراث الاجداد وقديم الابداء التي تعلم الناس التجديد ولكن مع النظر الى القدم ابداً .

كان في اواخر القرن التاسع عشر ثلاثة انواع من الكليات في اوربا الكلية الانكليزية التي هي اصل الكلية الاميريكية والكلية الفرنسية والكلية الالمانية التي اقتبست اصولها بلاد السكندباوين او الدانيمرك واسوج وزوج وروسيا الا قليلا .

فالكلية الانكليزية تقرب من نقي القرون الوسطى لاعلاقة لها مع الحكومة بل هي مستقلة في ادارة شؤنها ومداخلها واسانذتها وتقص الى التربية العلمية بل الى التهذيب العام الذي يجب للمهذب Gentleman ان يكون له منه نصيب . اما الكلية الفرنسية فهي تابعة للحكومة مباشرة على نحو ما اراد معدل نظامها نابوليون الاول وغايتها اعداد الطلبة لان يتعلموا ما ينفعهم في ميدان الحياة الاستقلالية والكلية الالمانية نشأت بين الكليتين الانكليزية والفرنسية فاخذت من هذه ومن تلك ^(١)

والغاية منها ان لا يخرج علماء صرفاً ولا رجال صناعات ممتازين بل ان تهذب طلابها تهذيباً يتيسر لهم معه ان يستعدوا لدخول المجتمع والتصدر فيه فليست الغاية اذاً ان تخرج تلك الكليات اسانذة وحكاماً ورجال دين للحكومة ولا ان تعد محامين واطباء للامة بل ان تعلمهم تعليماً علياً وتلقنهم الخطة التي يجب عليهم ان يسيروا عليها وتطلعهم على اساليب البحث والتفكير وتقوي فيهم اخلاق العلماء كالمغة وخلو الغرض وسعة الفكر وتلقنهم شيئاً من العلوم المساعدة وان ينظروا نظرة اجمالية في الميدان الذي يجب عليهم ان يحجروا فيه وبالجملة توهمهم الى ان يتقوا هم بانفسهم ما بدأ به اسلافهم . فالطالب المتخرج من كلية المانية يعلم ماهو العلم اذا اقترن بعلم خاص فلا يكتفي بشهادة ينالها فيحق له بها ان يقضي او يشفي او يعلم او يلحق الدين لمواطنيه بل يقضى عليه ان يترن سنة في الفرع الذي يريد الاختصاص فيه ثم يقدم فحماً بعد ان تكون المدرسة قد اعدته للنظر الاجمالي في الحياة العلمية . ورجال الدين والاسانذة والمحامين والقضاة والموظفين والاطباء في المانيا الذين يخرجون من الكليات طبقة خاصة ومنزلة سامية بين قومهم لا ينالها الا الضباط لاسباب خاصة ولكن الصيارف والتجار وارباب الصناعات والاملاك مهما بلغوا من الفنى والذكاء والاعتبار وخدموا المصلحة العامة فهم دون اولئك الذين تخرجوا من الكليات بمنزلتهم . وتناغي القوم في الاعمال الحرة علم طبقات الامة الالمانية

(١) تنألف الكلية الالمانية من اربع جامعات جامعة اللاهوت (بروتستانتية او كاثوليكية) وجامعة الحقوق وجامعة الطب وجامعة الفلاسفة وهذه الجامعة الاخيرة اثل في فرنسا جامعة الآداب والعلوم

ان ارباب الصناعات والتجارات وغيرهم من طلاب المال والغنى لا يعيرون مهمما بلغوا من الذكاء الا للثروة ولذلك تكون منزلتهم في الانظار دون العاملين بافكارهم وعقولهم

يقولون ان العلم لا ينجح الا باطلاق الحرية للتعلم يتعلم على ما يشاء وللمعلم يعلم كما يشاء وهذا موجود في الجملة في الكليات الالمانية فان الاستاذ وان كان امر تعيينه يرجع الى الحكومة وتتحكم هذه في اختيار من يعرضون عليها فهو لا يعيش من رواتب توديعها اليه الحكومة بل انها تدفع له جزءاً صغيراً والباقي يتكفل به الطلبة فيدفعون اجور الدروس التي يحضرونها والطلبة لا يفحصون آخر السنة بل هم احرار وعمدة الكليات مستقلة تدير شؤونها بذاتها وينظر في انتخاب الاستاذ الى قيمة ما يحسنه من العلم لا الى ما يمتاز به من صفات التعليم مثل جودة الالقاء وسهولته والمعلم لا ينبغي في الالقاء دروسه لانه يعلم تلاميذه بالعلم اكثر من النظر

وفي المانيا طبقة من الاساتذة مستقلة عن الحكومة كل الاستقلال ولم الحق ان يدرسوا في الكلية التي يريدونها ويقضوا من طلبتهم اجور دروسهم ويختاروا موضوعات مسامراتهم ومحاضراتهم ويشرعون وينتهون من دروسهم في الاوقات التي يختارونها وترى الطالب في الكلية لا يماج لشئ سوى ان يدفع المخصص لها وسواء حضر ام لم يحضر تعلم ام لم يتعلم لا يسأل عن عمله ويكاد لا يفحص الا في بعض المواد القليلة كما انه حر في الدروس التي يختارها

يعلم الالمان ان اطلاق الحرية للطالب في هذا النحو لا يخرج من حمله على الكسل ولكن يرون ان لها فوائد اخرى فان الطالب يكون قد قضى في المدارس الابتدائية والوسطى نحو عشرين سنين تابعا لنظامها المدقق حتى اذا بلغ العشرين او نحوها كانت حرياً في الكلية ان يتعلم كيف يعمل بنفسه ويجب اليه عمله بدون سائق يسوقه وكيف يوجه وجهته ويحدد رغبته في التعلم فيعمل على ذوقه برضاه لا مدفوعاً بسائق فخص يجب عليه ان يتخطاه . فالكلية الالمانية تضمن للطالب فيها تهذيب العقل من جهة وتربية الارادة والخلق من جهة أخرى وذلك باطلاقها حرية طالبها فتعامله معاملة رجل حر عاقل له حق التصرف باحواله ولسان حالها « اعمل ما يروقك واعلم فقط انك ستجني ما زرعت »

كثير في الاغاني الالمانية ما يشير الى ان حرية الطالب اثنى شيء وانها من اوصافه

الخاصة به فالغنى لا يحضر دروس الكلية للحصول على مهارف تنفعه للقيام بمعرفة ما سيأتي المستقبل وما هذا المطلب الا ثائوي بل ان الغاية التي يسعى وراءها في سبيل الثلاث في الكلية هو ان يصبح رجلاً وتكون له شخصية . يعني على ذلك اساتذته واترا به ومن هنا نشأت فائدة جمعيات الطلبة لان الطالب يتعلم فيها امرين مهمين الطاعة واحترام الناس له . والطلبة انتقدمون يطبعون على ذلك الطلبة المتأخرين او المحدثين بحفاظتهم على قواعد لم يسبقوا وبالحفاظ على انفسهم في الطالب شعور الشرف وعزة النفس في الحياة المشتركة وتقوى ارادته على الصدمات فهو اذا خلس من سلطته في منزله بين ابويه يكون لتلك الجمعيات عليه شيء من السلطة الادبية فبالكلية لا يصبح رجلاً عالمًا ومهذبًا فقط بل صاحب اخلاق . ولقد صدق احد من وصف الكليات في الغرب فقال ان الكليات الفرنسية تنقصها الحربة والكليات الانكليزية يعوزها العلم وفي الكليات الالمانية لا ينقص هذا ولا ذاك

قام مجد المانيا قديماً بمن نبغ فيها من الفلاسفة ثم بمن نبغ فيها من القواد والجند ومجدها اليوم مناط الا قليلا بارباب الصناعة والتجارة من ابناءها . ومعلوم ان حاجة المدينة الحديثة ماسة للاخصاء في العلوم والتفرد في الصناعات والمانيا لا تجهل ان قوتها في جهاد الامم السلي بمن لديها من الاحصائيين والكثيرين كثرة لانظير لها عند الامم الاخرى ولذا بذلت العناية للمدارس الفنية والاحصائية حيث يتعلم الشبان علوماً توجد لم مراكز في الصناعة واذ جعلوا في اواخر القرن الماضي من حق هذه المدارس ان تمنح لقب دكتور للتخرج بها كما تمنح الكليات فقدت هذه بعض الانتمال عليها ان لم يزد كما هو المأمول وبعد فابرج الاساتذة الذين اوجدوا في الكليات روح الوحدة الالمانية وربوا رجال الامة تلك الترية السياسية المهمة يتوفرون على الاحتفاظ بهذه الوحدة حتى صح على الالمان ولا يزال صحيحاً ما كان قاله بسمرك وقد رأى جماهير الطلبة سنة ١٨٩٥ نجحاً لتنهته بعيدة الثائني : منذ رأيت هذه البلوطات الالمانية الحديثة (ويعني بها الشبان الالمان) لم يبق عندي اقل قلق على مستقبل المانيا .

صور تنغني وتتكلم

ان النجاح الذي صادفته الصور المتحركة بتمثيل الاشباح على الستار قد جعل المفكرين بدأبون لتدعيم الفائدة باضافة آلة الفونوغراف او الحاكي ليتيحاً لجمهور المشاهدين التمتع بروية الاشباح وسماع اصوات محلها في آن واحد . وقد وظف مؤخرًا الكاتبين كواد

الفرنساوي للجمع بين عرض صور الممثلين واصماغ الجمهور اصواتهم بحيث تأتي حركاتهم واصواتهم طبقاً للألوف من اصوات الممثلين الحقيقيين وحركاتهم وطريقه ذلك ان يتكلم الممثل اولاً او يغني ويؤثر امام آلي الفونوغراف والتصوير فيأخذ الحاكلي اصواته على حدة وترسم آلة التصوير حركاته الموافقة لاصواته، ثم يوصل بين هاتين الآلتين بقضيب من حديد لتتم المواصله الكهربائيه بينهما . وتوضع آلة التصوير وراء الجمهور حسب المعتاد . ويوضع الحاكلي بالقرب من الستار ويدبرها معاً بجري كهربائي فتتحرك الآلتان بسرعة واحدة فتتفق بذلك الاصوات التي تصدر من الحاكلي مع الحركات التي تدبر صورها آلة السينيما توغواف او الصور المتحركة . فيرى المشاهد اشخاصاً ترقص او تمشي او تركض او تتحرك بحركات غير هذه ويسمع مايقوه به من الاصوات المطابقة فيخالها اشخاصاً طبيعيه لها قوة الحركة والنطق

قفل يفتح بصوت صاحبه

في جملة الاختراعات الحديثه قفل للابواب والصناديق له فوهة مثل فوهة آلة التلفون وله جهاز خاص فلا يفتح الا اذا تكلم صاحب القفل او غيره فيفث الفوهة كلمة اصطلاحية يفتح بها القفل بمجرد دخول الصوت المركب من مقاطع تلك الكلمة . فاذا زادت المقاطع او نقصت تغير فعل الصوت في آلة القفل فيمتنع على الفاتح غير ان لهذا الاختراع عيوباً اخصها عدم افتتاح القفل اذا كان الصوت ايج ولذلك فاذا احسب صاحب القفل بزام شديد فلا يبقى بإمكانه ان يفتح باباه او صندوقه لم يطلع صدقاً له على كلمة السر ليلفظ بها في فوهة القفل وفي ذلك ما فيه من الاعنات وكشف السر

تلقيح التربة بالبكتيريا

درس بعضهم خواص نوع من البكتيريا فوجد ان له خاصه امتصاص عنصر النيتروجين من الهواء وغيره وبذ في التربة التي يعيش فيها . وامتنح تلقيح الارض بهذا النوع من البكتيريا فوجد انه يزيد بها خصباً وانه يحسن غلتها خصوصاً اذا وضع في التربة شيء من المواد التي ينمو فيها هذا الميكروب من مثل البوتاس والحامض الفسفوريك والكلس . وسيكون لهذا الاكتشاف شأن عظيم في الزراعة

آلة لتطهير هواء المنازل

اخترع الاستاذ شارل ريشه من باريس آلة تنقي هواء المنازل مما يكون فيه من

الغبار والجراثيم الحبيوية . وهذه الآلة تذف قطرات صغيرة من الغليسرين يعلق بها الغبار فتحملة ساقطة به الى الارض . ولها مروحة تجذب الهواء اليها ليسهل رشه بالغليسرين فيتهافت جميع هواء البيت شيئاً فشيئاً الى اتجاه المروحة فيتطهر بهذه الطريقة السهلة

شعر الرأس

يمكن شعرة عادية من شعر الرأس ان تحمل ثقلاً يزن ست اواق طلبة . ويبلغ معدل شعر الرأس نحواً من اثنين ونصف شعرة ويمكنه ان يحمل ثقلاً يزن عشرة قناطر . واذا نزل معافاته يحمل من الـ ١٠ الى ١٥ قنطاراً . ايضاً . ولذلك فان نساء قوطاجنة الحرائر كن يقدن شعرهن الكثير عندما - صر الرومانيون مدبنتهن ليصنع منها حبال قوية تذف بها الحبار من البانيق

بندنية بدون صوت

شمس يارود بدون دخان

اخترع المستر ديام برسي مكسيم الامير كاني انبوبة . غير انبساط بم البندقية فيضع قوة صوت البارود حتى يكاد لا يسمع البندقية صوت عند الاطلاق . وهذا الانبوب عبارة عن قطعة مجوفة من الفولاذ ثورتاً فوقها فتدب وتنفذ واما نحو خمسة قواريط ولها في جوفها حلقات معدنية لولبية نائمة من - دبرائهم الداخلية تعمل الغاز الذي يتفك من البارود عند الملاقه بدور في هذه الحلقات قبلما يخرج الى الفضاء . فيفقد بذلك قوته ويخرج من فم الانبوب ضعيفاً لا قوة له على تمزيق الهواء واحداث الصوت المعروف وذلك لان صوت البنادق انما يحدث من غاز البارود الذي يتفك من فوهة البندقية حالما يخرج منه الرصاصة فيخلق في الهواء اي اه يخرج بهيئة حلقات لها شكل القطر . فتدفع هذه الهواء دفعا شديداً تمزقه فيها تمزقاً فيسمع له الصوت الذي نعرفه اما بواسطة هذا الانبوب الذي يدخل فيه فم البندقية ادخالاً محكماً فيدور غاز البارود في الحلقات اللولبية في باطنه فيفقد قوته لانه لا ينطلق تواتاً . فيخرج وله صوت ا يماثل صوت الغاز اذا اطلق من زجاجة « كازوزه » بعد ان تترجح القاذبة قليلاً بدأبون لثنت ضعيف القوة بحيث لا يسمع له صوت الا على بعد بضع خطوات لشدة ضعفه . بروبة الامم جرب المخترع هذا فحشا عدة بنادق يارود لادخان له واطلقها جميعاً على

هدف بحضور جم غفير فكان رصاصها يحترق الهدف والمشهدون لا يرون دخاناً ولا يسمعون صوتاً الا صوت وقع الرصاص على الهدف . واذ رأت الحكومة الاميركية خطورة هذا الاختراع وقرض الناس بواسطته لاعتداء القنلة الاشرار اذا تمكنوا من التسليح بهذا السلاح الذي يأمنون معه افتضاح امرهم عمدت الى قانون تسنه منعاً لما عساه ان يترتب على هذا الاختراع من الضرر والاخلال بالامن العام

طبقات الهواء العليا

وجد بالانتحان ان حرارة الهواء تقل كلما صعدنا في الجو حتى نبلغ علو نحو عشرة آلاف متر (٣٣ الف قدم) ومن ثم تأخذ الحرارة بالازدياد قليلاً ازدياداً قانونياً . وقد وجد ان هذه الطبقة العليا السخنة تم جميع الجهات فوق المناطق الاستوائية المعتدلة والمتجمدة شمالاً وجنوباً . فهذا التناقض في حرارة اعالي الجو يدل على امكان اختلاف تركيب طبقات الهواء السفلى من طبقة العليا وتقدم بعض الكيمين زجاجات من الهواء من طبقاته المتعددة الى علو يتجاوز ٤٦ الف قدم وحلل ذلك فوجد ان عنصر الهاليوم يختفي بتاتاً اعلى ٤٦ الف قدم . وبما اذكر ان ركاب المناطيد قد كشفوا طبقة هادئة في اعالي الجو وسيكون وراء درسيها نفع في الاسفار الجوية

السم الاسمر واللحم الابيض

في جملة الحيوانات السمراء لحم البقر والتمنم والغيل والخنزير البرية والوعول والارانب والحمام والبط والاوز وسمك سايبان او سمك اراهم . وقد يكون لحم بعض هذه الحيوانات داكناً . اما المجمول والخنزير العاجز . والارانب اذليفة وسمك السبوط وابو منقاد والكركد والسراطين فلحمها ابيض او كئي اللون . واما الطيور فلحماؤها اي صدورها بيضاء اللحم واخذها سمراء اللون . وبالفصد من ذلك الضفادع فان اخذاها بيضاء اللحم وما بقي منها اسمر اللون . وكثير من اصناف السمك كالخنكليس وغيره يجمع بين اللونين الاسمر والابيض . وقد تبين من الابحاث العلمية ان لهذه الالوان علاقة بالقوة والنشاط . فتكون العضلات الكفيفة اللون على الجملة اكثر نشاطاً من التي لونها احمر او اسمر لانها تنقلص بسرعة ولكنها تكل قبل العضلات السمراء اذ انها تفرز مقداراً اعظم من الحامض اللكتيك (او الالينيك) وهو نتيجة التعب والدليل عليه

ولذلك فيمكننا ان نحكم على نشاط الحيوان وعلى مقدار ما يتحملة من التعب بالنسبة الى غيره من لون لحم عضلاته . والتقاعد لذلك ان ما كان لحمه ابيض كان كثير الحركة والنشاط وما كان احمر اللحم او اسمره كان اقل نشاطاً في حركته ولكنه اكثر تحملاً للتعب

تجريب نمو النبات

كانت الطريقة المعمول عليها لانماء النبات انما هي صناعياً ان يعالج بالاثير فيسرع نموه وتفضح ثماره قبل اوانها . غير ان العلامة مولش قد كشف طريقة اسهل من هذه واقل نفقة وهي : ان يغمس ما يراد انماؤه من النبات متلوياً في ماء تبلغ درجة حرارته بين ٣٠ و ٣٥ بمقياس سنتيفراد . ويبقى مغروساً مدة تسع ساعات الى اثنتي عشرة ساعة وبعد ذلك ينتقل الى غرفة مظلمة رطبة حرارتها تبلغ درجة ٢٥ ويبقى هناك الى ان تبشج الاوراق تظهر فينتقل حينئذ الى مغرس زجاجي ويعامل معاملة النباتات التي تربي في المغارس الزجاجية الدافئة . واتضح احدهم هذه الطريقة في الزنابق فازهرت بعد نحو اربعين يوماً مع ان ما غرس منها غرساً عادياً لم يظهر اوراقه في هذه المدة مما يدل على شدة تعجيل نمو النبات بهذه الطريقة السهلة الاجراء القليلة النفقة

ثمن الراديوم

كان يمكن قبلاً ان يشري الجزء من الف من الغرام من الراديوم بعشرة فرنكات اما في سنة ١٩٠٩ وما بعدها فبلغ ثمن هذا الجزء خمسا واربعين ضعفا اي ٤٥٠ فرنكا . وبما ان الراديوم يستخرج من الاتربة الزئبقية قتراب الزئبق في ضواحي معمل كورنش بالقرب من لندن يساوي ثمناً يفوق ثمن تراب الذهب والماس

شباك الصيد

ول اختبار صيادي السمك في جهات متفرقة على تأثير لون الشباك بالاسماك فصار من المقرر ان من يستعمل شبكة زرقاء اللون يصيد اكثر كثيراً من يستخدم الشباك العادية السمراء اللون . وذلك لان لون الشبكة الزرقاء يماثل لون ماء البحر فيفتني بذلك خوف السمك من العدو منها

آلة جديدة للحلاقة

اخترعت في امريكا آلة جديدة تحلق شعر الوجه بموسى مجهزة بآلة كهربائية بدون

ان تمسها يد انسان • وللموسى واق من المطاط وغيره يقي الحد من الجرح • ولا نلظن ان هذا الاختراع يسر الخلاقين عندنا اذا تهانت الناس على شراء هذه الآلة وصاروا يخلقون لحام بواسطة الكهربية ويأمنون شر جراح المواسي التي قد تنقل السدى من مصاب بمرض جلدي في وجهه الى الاصحاء •

عضو جديد للحرس

اكتشف فرتر في المرة عضواً خاصاً للحرس مؤلفاً من بضع شويكات نائمة في الجلد بجانب رسي قائمتيها الامامين • وكانت هذه الشويكات قد وجدت في حيوانات عديدة غير المرة من مثل القواضم والحيوانات الدرداء (التي لا اسنان لها) والمفترسة وذوات الاربع السافلة في سلم الاحياء • وتوجد هذه الحاسة خاصة في الحيوانات التي تتلفط طعامها باكفها والتي تزحف او تتسلق الاشجار • ولكنها لا توجد في القردة لانها تمتاض عنها بما لها من الامتياز في استعمال يديها وللان لم يمكن الاستدلال على وجود هذه الحاسة في الكلاب

سفينة لرصد المغنطيسية

عزم بعض محبي العلم في اميركا على السياحة في جهات القطبة الجنوبية وغيرها لرصد مغنطيسية الارض فاباءوا سفينة خالية من الحديد والقولاذ • فصنعت جدرانها ومساميرها وسائر ما فيها من الخشب منعاً لتأثير ما قد يكون فيها من المواد المعدنية في المغنطيسية التي تقاس بالآلات خاصة في السفينة

خليل سعد

طنين الآذان

تختلف الاهتزازات التي يسمعها المصابون بالصمم او بطنين الآذان فيظنون نارة انهم يسمعون صغيراً حاداً واخرى انهم يسمعون جلبة مثل صوت الزيز والصرصور والجرادة وطوراً يسمعون صوت انغام من جوقه، وسبقية فيها الطبل والطنبور والجلاجل والصنوج او رنة اجراس وتغريد طيور شديدة بحيث يترأى للسامع بانه في بيت حمام وقد تمر الشهور والمصاب بالصمم او بطنين الاذن يسمع هذه الاصوات فتحول دون سماعه الاصوات الخارجية • والمصابون بالصمم والخرس معاً ليسوا عرضة لهذا المرض بل ان جميع المصابين بالتهاب الشرايين *le sclérose - artérielle* هم على الجملة مصابون به وتختلف درجاته فيهم • وقد بحث الدكتور ماراج الفرنسي

في اسباب هذا المرض فقال ان اكثرها ناشئة من اختلال وضع سلسلة الكعب وان التغميز (التمسيد) نافع في أكثر حالات هذا المرض .

تعليم الجغرافيا

الجغرافيا كلمة يونانية معناها رسم الارض او صورة الارض عرفها العرب بتقويم البلدان او رسم الارض وكان لها أن من عنايتهم وتنبغ فيها مشاهير خدموها خدمة جلي في القرون الوسطى ^(١) وعدم عناية من يشتغلون بالعلوم الاسلامية بها في القرون الاخيرة . نشأت منه ، امور مضرة ومنها ما يضحك حتى ان كثيراً من جرائدنا العربية بل ومجلاتنا تغلط في ايراد اسماء البلدان والانهار والجبال والاقطار وكثير منها لا يعرف جغرافية مملكته . بل قل جداً من خاصتنا اليوم من يحسن جغرافية قطره فالسوري مثلاً لا يستطيع ان يحدد لك بلاد فينيقية ولا جبال سنبر والجليل وموآب واللكام ولا يعرف كم في سورية من بحيرات او من مدن عامرة وكذلك المصري قلما يعرف مركز الوجه البحري من الوجه القبلي واي بلاد الاقاليم اعمر وفيها يوجد التطن او تجد اثرأ للصناعات وهكذا الحال في ابن العراق وابن تونس وابن الحجاز وابن اليمن دع عنك ما يلزم العثماني خاصة معرفته من احوال الولايات العثمانية كلها حتى ان من القوا في الجغرافية من الاتراك خلطوا في اسماء الاعلام خلطاً يكاد يرفع الثقة من كل ما كتبوه وكذلك الحال فحين كتبوا من المصريين واطلعا عليه من كتبهم وان من الاسف ان يرد في احدى مجلاتنا المعتبرة ان سورية هي ن آسيا الصغرى كما من الاسف ان تقول بعض جرائدنا ان بلاد نجد خضعت لاحكام الدولة العلية مع ان نجداً قملر عظيم له اميران الآن ابن سعود وابن الرشيد فخلطه الكاتب مع لواء اسمه نجد من اعمال البصرة وقالت احدى جرائدنا ان ولاية وان من الولايات القريبة من الاساتنة مثل بورصة مع ان وانا هي في اقصى تخوم الولايات العثمانية الى الحدود الفارسية والروسية وقالت أخرى انهم انشأوا خط تلفون بين غلطة واسقودرة فمررت Scutari باسقودرة مع انها اسكندار احدى احياء الاساتنة ويا بعد ما بين اسقودرة والاساتنة وقالت احدى جرائد الاساتنة الكبرى ان والي بيروت زار جبلة مركز جبل الدروز مع ان جبلة على الساحل من اعمال بيروت وجبل الدروز في داخلية سورية لاعلاقة لها مع والي بيروت الى غير ذلك مما يقع امثاله لصحافتنا كل يوم وهم يبحثون في بلادهم فما بالك بهم اذا تجاوزوها

الى الصين والهند واوستراليا واميركا واوربا وافريقية . وربما لا يخطب بعضهم عند كلامه على جغرافية الولايات المتحدة او فرنسا او انكلترا مثلاً بقدر ما يخطب في كلامه على ولايته نفسها اذ يكون قد درس جغرافيتها في مدارس الفرنسيين والاميركان والانكليز حتى الدراسة في كتب جيدة ونظر الى كرة الارض او المصورات فذا بقى ماقراء في الكتاب على المشاهد

ولكن علماء الجغرافيا في اوربا اليوم يرون تعليم هذا الفن على تلك الصورة متعباً للذهن لا يلبث الطالب ان ينسأه متى خرج من المدرسة واذا ذكر منه فلا يذكر الا اجماليات لا تفيد من التفصيل شيئاً فقالوا اي فائدة للطالب ان تذكر له ان في المقاطعة الفلانية كذا من الانهار والرووس وشبه الجزر والجبال والمدن والساكنين وهو يعتقد بان ما يتناوله من هذا العلم هو من الكماليات لا غناء . لا بقدر ما يفي حسن التعليم والرياضة الجسمية وكم من عالم ردي الخط ومن ادب لا يجد في لعب على الجبل ولا يقفز مترين ولا يستطيع السير على قدميه ساعة او التصعيد في جبل .

يبد ان فن الجغرافية نافع في التربية نفع الرياضيات فهو علم تعقل وتدبر هو علم صلات الارض بالانسان ولذلك كان له شأن في تشييف العقل فبه يدرك المرء جسامته البحر المحيط وعظم غابات اميركا واحلاق زنوج افريقية ويعرنا النظر الى البلاد التي نعيش فيها ولا نعرف من امورها الطبيعية شيئاً فلا نقدر ابعادها ولا قيعانها ووديتها ومضايها وجوفها ولا لم كانت الاشجار الفلانية تجود في الساحل ولا تجود في الداخلية كل ذلك مما تعلمه الجغرافيا اليوم فيها نعرف تركيب طبقات الارض واشكال النواحي والمناخ وكيف تنبعث المياه واشكال ما يعيش فيها من الحيوانات والنباتات والانسان . وتدل كيف ان المرء مستعد لقوى العالم واسير في الارض وانى له ان يجاهدها ويتغلب عليها وبين الصلة المتبادلة بين الارض والانسان

وفي القرن الماضي بدت الجغرافيا في مظهر جديد بما توفر لها من علوم طبقات الارض والطبيعة واصول الشعوب وعلم قياس البحار وعلم الاحداث الجوية والحيوان والنبات والاقتصاد السياسي ورحلات من وصفوا الامم وصفاً مجرداً ووصفوا بلادهم وصفاً دقيقاً وتمت لها اكتشافاتها ولم يبق الا شيء يسير من الارض يحاول العلماء اليوم ان يكتشفوه ونعني به القطب الشمالى والقطب الجنوبي . وكم ذهب في هذا السبيل من رجال وصرفت فيه من اموال .

فقد هذا العلم بحث في مختصراته ومطولاته عن الحوادث الكبرى في الجغرافيا الطبيعية والجغرافية الاقتصادية ولكن علماء الجغرافيا ينتقدون اليوم تلك الطريقة التي كانت مثل الرجوع بعد تلاوة الكتاب الى المصوّرات او رسمها كما هو الحال في بعض مدارس الشرق النظامية قائمين ان الجغرافيا لا تعلم في قاعة الدرس وهي مغلقة على هذه الصورة وان احسن الطرق في تلقينها ما تعلمه الطالب في الارض التي يتعلم جغرافيتها فيطوف فيها مع استاذة ويريه سهولها وجبالها وبحيراتها وانهارها وخليجاتها وبركانها وقالوا ان تبعه تدربس الجغرافيا على هذا النحو عظيمة لانها في الغالب تقصر الاستاذ ان يحجب معه ثلاثين او اربعين طالبا الى اماكن وعرة ولكنها جميلة وقد جرب بعضهم هذه الطريقة في التدريس فكانت طريقته النجح في الاستظهار وتطبيق التعلم تميّ الحس اكثر من تلاوة كتاب والنظر الى مصوّر فيحيط الطالب بالصقع وكل ما فيه من ظواهر الطبيعة اكثر من يسمعون وهم في القطار لا يعرفون من البلاد الا ما يكتسب لم ان يطلعوا عليه من نوافذ مركبتهم . والاساتذة الذين يمثلون صقعا لتلاميذهم بالتصوير الشمسي اورسم المسطحات او الطواف في الضواحي يفرسون فيهم ذوق النظر والتشبيه ويضمنون لم الفرح الكبير فاذا علمت الجغرافيا على هذه الصورة ولا سيما ما كان منها مختصا بمملكة المتعلم يكون لها شأن عظيم في تربية قوى المتعلمين فلا تدخل في عقولهم مبادئ مهمة فقط بل تعلمهم النظر والتدبر فيكون منها مجموعة تتكون منها احسن اداة في التربية العامة واكثر عامل في التعليم العملي فيتلقى الطالب من تعليمها على هذه الصورة اصولا ينتفع بها في حياته يوم خروجه من المدرسة .

انتشار الالمان

قالت احدى المجلات الانكليزية المختبرة : اخذت المانيا ترمي جهاراً الى تكبير بلادها في الشرق والغرب فان الحافلة الالمانية المتساوية تقوى كل يوم وتقترب روسيا منها بابتها ادعاهن انكثرا ويزيد الالمان في مداخلتهم في البلاد كلها بانهم يؤسسون فيها المدارس والجرائد ويمثلون الروايات وقيمون الحفلات الموسيقية ويمتلكون التجارة بالتدريج وقد فتحوا حديثا في مدريد مدرسة نجحت نجاحا كبيرا وللالمان في البلاد العثمانية صحابة خاصة والمانيا تتقدم من جهة تقومها الغربية بخطامس رمة ولكنها ثابتة مدينة وكأنا بالبحيك وقد اصبحت عما قريب جزءاً متمماً لاجزاء المملكة الجبرانية وسيكون شأنها شأن امارتي بافيرا وسكسونيا وقد كادت مدينة انقرس وهي سوقها الكبرى تصبح جرمانية بمشاريعها

ورؤوس اموالها ونفوذها وتنتظر المانيا جهاراً الى بلاد القاع (هولاندة) واستمرات الهولاندية تريد ان تضمها اليها وان المانيا على ما يترأى من حالها قد اختطت لها خطة ستضم بها اليها اراضي جديدة وسيكون ذلك في اول فرصة متى حدث بينها وبين فرنسا او انكاثرا مشكل

النسر عند السوريين

في مجلة تاريخ الاديان الفرنسية ان الناظر في النواويس والقبور في سورية القديمة يجد صورة نسر وغراب وتاج محفورة في الحجر . واحياناً لا يشاهد صورة غراب او تاج ولكن قلماً شوهد ناووس مهم^{٢٤} الا وقد زيرت عليه صورة نسر تارة منفرداً وحده وجناحه مبسوطان وأخرى بين ذراعين اشارة الى الصلاة وطوراً يحمل الميت على ظهره بكل ما في جناحيه الواسعين من قوة . وانا انشاهد هذا النسر على القبور الرومانية في عصر الامبراطورية بحيث يدعو ذلك الى الظن بان النسر السوري قد نقل على هذا الوجه الى المدافن الرومانية ومنه نشأ الرمز الامبراطوري ابي علم النسر الذي تحمله الكتب . اما وجود النسر في القديم فذلك لانه يعتبر في بعض الاديان السامية خادماً للشمس وهو الذي يحمل اليها الارواح التي انفصلت عن الاجسام المستعبدة على الارض . وانتقل هذا المعتقد السوري الى رومية حيث كانوا يذهبون الى ان النسر يحمل الامباطرة الى السماء . والنسر هو الحيوان المقدس للرب المشتري دام هذا الاعتقاد طويلاً وقد عثر على مسلة من القرن الرابع تمثل صورة امباطور يسير في الشمس وامامه نسران بدلانه على الطريق وكانت هذه الحالة امتيازاً للقيصرة يمتازون به عن الشعب . وهكذا نرى نفوذ الاديان السامية الاولى مؤثراً في معتقدات العالم الروماني

الحركة التجارية في روسيا

يؤخذ من بيانات سنة ١٩١٠ في روسيا ان روحاً جديدة اخذت تدب في التجارة ففي تقرير ادارة الرسومات عن سنة الأشهر الاولى من السنة المذكورة انه بلغت الزيادة في اثمان البضائع الداخلة الى البلاد ما يربو على ١٢٥ مليون ريال . والاصناف التي زاد ورودها بكثرة هي الحديد والخشب وزادت صادرات الجلود ٢٥ بالمائة عما كانت عليه . والمعلوم ان زيادة طلب الحديد دليل على حركة صناعية

تجارية فالقسم الاوفر من الحديد هو لمد خطوط حديدية في سنة ١٩٠٨ زيد الى مجموع ما عند روسيا من الخطوط الحديدية ٢١٥ ميلاً وفي سنة ١٩٠٩ زيد ١٣٧ ميلاً واما في السنة الاشهر الاولى من سنة ١٩١٠ فقد زيد الى مجموع ما عندها من السكك الحديدية ٢٧٥ ميلاً وهي عازمة الآن على بناء ٣٥٠٠٠ ميل

الانتفاع بالكلاب بعد التربية

الكلاب من جملة الوسائل التي تستخدمها جمعية الصليب الاحمر لتخليص الجرحى من ساحة الحرب ولفرع الجمعية في فرنسا ادارة خاصة بتربيتها لهذه الغاية فهم يعلمونها ان تقش عن الجرحى في الليل او اتساء البار فاذا حبل هذه الكلاب يجريج يأتي اما يندقيته او قبضته الى حيث يقيم الراحبات فعندها يرتد جماعة منهم الى مكان الجريح وقد اتخذ المدربون لتلك الكلاب الوسائل الفعالة في تربيتها حتى لا تنبح عندما تظفر بجريح لئلا تزججه بنباحها واما في المانيا فهم يبرنون الكلاب لي ان تقيم بجانب الجريح عندما تظفر به وتنبح الى ان يأتي من يأخذها من جماعة الراحبات

ساعة من الزهور

زار حديثاً الموسيو فالير رئيس جمهورية فرنسا مدينة بيرن من اعمال سويسرا وهي من اشهر المدن في العالم لصنع الساعات فتدنت اليه ساعة مصنوعة من الزهور الطبيعية قطر دائرتها ٦ اقدام وهي مموّلة من البنسج والشفائق وعقاربها من زهور مختلف لونها عن لون دائرتها والارقام من زهور يختلف لونها عن الجميع والزهور كلها مفروسة في اصاصي « علب » صغيرة وقد احكم صانها ضبط حركتها الى درجة انها لا تقل في ضبط الوقت عن احكم الساعات

ازالة الثلج

البخار احدث طريقة لازالة الثلج عن الخطوط الحديدية وذلك بتوليد البخار في المحطة يسحب في انبوبين من حديد يمر كل واحد منهما تحت احد قضبي السكة فاذا نزل الثلج يذوب للحمولة الحديد

الموسيقى عن بعد

وفق حديثاً احد سكان سان فرنسيسكو قاعدة ولاية كليفورنيا من الولايات المتحدة لان ينقل صوت الفونوغراف بواسطة التلفون الى مسافة ٥٠٠ ميل وقد جرب ذلك

جماعة من الخبيرين بفن الكهرباء فكان الكل يسمعون صوت الفونوغراف عن بعد يخرج الاطنان بكل وضوح

أكبر مزرعة حمام في العالم

أكبر مزرعة لتربية الحمام في العالم هي في ولاية كليفورنيا وهذه المزرعة مؤلفة من ثمانية افدنة من الارض شيدت عليها حظائر الحمام . وقد بلغ عدد ما تنتجه من الحمام ٤٥٠٠٠٠ طير في السنة لا يقل عدد المفرخين منها عن ١٠٠٠٠٠ طير ومعدل الثمن الذي يباع فيه ذلك الحمام من ريالين الى اربعة ريالات ومع ذلك فلم تعد بفائدة عظيمة على صاحبه لكثرة ما يتركبه من النفقات في كل يوم تأكل ٦٠٠٠٠ اوقية انكليزية من الحبوب عدا اجور المستخدمين الذين يقومون بخدمتها ويحافظون عليها وعلى صغارها من الجرذان والقيران والطيور الجوارح

الافيون

قالت مجلة الاجتماع الاميركية : بلغ ثمن ماصدر من الافيون من الهند الانكليزية الى الصين من سنة ١٨٥٥ الى سنة ١٩٠٤ ما قيمته ٨٥٦٢٢٠ مليون روية اي أكثر من ١٠٠ مليون روية كل سنة وكان كل ما يربحه بلاد الهند من الافيون الصادر الى آسيا الشرقية عامة من سنة ١٧٧٣ الى سنة ١٩٠٦ ٤٣٦٦٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وابتدأت تجارة الافيون في الصين سنة ١٧٦٧ فصادت مقاومة شديدة من الحكومة والشعب الصيني . ما ولكن الحكومة الانكليزية ارغمت الجميع على قبول دخول الافيون الى بلادهم

المواشي والمراعي

اشتهرت استراليا بتربية الماشية وكثر عددها في تلك البلاد حتى اصبح الكلاء غير كاف لاطعامها فعمد الاستراليون الى سقي الاراضي لتثبت عشباً يفي بالمطلوب ولما كان ماء الانهر لا يمكنه ارواء كثير من الارض حفروا آباراً ارتوازية فاصبحت الارض التي تسقى من ماء تلك الآبار ٣٦٠٠٠٠٠٠٠ فدان .

اموال الانكليز

بلغت الاموال التي اقترضها الانكليز الى غيرهم من الامم حتى آخر السنة الماضية ٢٦٦٩٣٠٧٣٨٠٠٠٠ جنيه ودخلهم منها ١٣٩٠٧٩١٠٠٠٠ وقد اقترضوا في السنين الثلاث الاخيرة ما بلغ مجموعه زيادة على المجموع السابق ٥١٦ مليون ليرة انكليزية فبلغ

ما اقضه الانكليز لسكان الولايات المتحدة ٦٨٨ مليون جنيه وما اقضوه للجمهورية
الفضية ٢٦٩ مليوناً وللمكسيك ٨٧ مليوناً والبرازيل ٩٤ مليوناً ولشيلي ٤٦ مليوناً
ولاوراغي ٣٥ مليوناً ولييرو ٣٢ مليوناً ولسائر جمهوريات جنوبي اميركا ٢٣ مليوناً
ولمصر ٤٤ مليوناً ولروسيا ٣٨ مليوناً وللدولة العلية ١٨ مليوناً ولاسبانيا ١٩ مليوناً
ولايطاليا ١١ مليوناً ونصفاً ولبرتغال ٨ ملايين وفرنسا ٧٠٠٧١٠٠٠٠ ج ولالمانيا
٦١٠٦١٠٠٠٠ ج ومجموع ما يدينه الانكليز من اموالهم للبلاد الخارجية ١٠٠ ٠٠ ١٠٦٣٨١٠٠٠٠
ج . وللمستعمرات والمهند ١٠٥٥٤١١٥٢١٠٠٠ ج . او ثمانون مليار فرنك هذا مع ان
المشهور بان فرنسا اكثر الدول غنى واوسع الامم في بسط يدها بالدين لمن يريد مع ان
ديونها لا تبلغ سوى اربعين مليار فرنك اقضتها لغيرها في البلاد الخارجية

الجردان

لا شك في ان الجردان تسبب كثيراً من الامراض الوافدة كالطاعون فقد فكر
الكثير في طريقة لمحوها مع ان اليوم يفتك في عدد وانر منها كل سنة ومع الاسف ان
الصيدان في اميركا يقتلون كل ماعشر الواحد منهم عليه ففي فرنسا والمانيا حوا هذا الطير
عدو الجردان الطبيعي فبرهنت التجربة فائدته للزارعين والصيدان معاً

أكبر مرساة

أكبر مرساة في العالم وزنها ١٥^١ طناً ووزن سلسلتها ١٠٠ طن وهي لا أكبر باخرة
في العالم عرضت في معرض الهندسة والمكانيكيات في لوندرا

مطاعم الاولاد الصغار

لاتك في ان الاولاد الصغار احوج من غيرهم الى الاطعمة الوافرة الغذاء ولكن
هذا لا يتيسر وقت الظهر لاغلب اولاد المدارس العمومية في المدائن الكبرى لعدم
استطاعة الاولاد الذهاب الى بيوتهم لتناول الفطور وجلبهم من أسرهم فقيرة لا تستطع
ان تطفئهم في المطاعم قرب المدرسة شيئاً من العليخ لغلاء اثمان الطعام فيها فهم يعطون
اولادهم بضعة درجعات يتناون بها شيئاً من الكمك والشاي والقهوة او الشوكلاته
ليسدوا بها رمقهم فكثرت الآسمة ماييل كثير من الشهيرات بفن تدبير المنزل العملي في
حال اولئك الاولاد وان هذا الطعام لا يقوم بما فيه من الغذاء بحاجة اجسامهم فطلبت
الى لجنة المعارف في مدينة نيويورك بان تجرب مطعماً في احدي المدارس العلية بتناول

فيه الاولاد فطورهم من الخبز مع البطاطا او البندورة او المعكرونة مع البندورة او ما
تيسر من انواع الخضر مطبوخا مع اللحم لقاء ثلاث (سنات) يدفها كل طفل فرخصت
لها لجنة المعارف واعدت لها غرفة ومطبخا في احدى المدارس فابتدأت تلك الآتية
بهدمها وكانت تحسب الفقة والدخل بكل دقة فكانت النتيجة انها لم تكلف ادارة المعارف
سوى عطلة المحل ومصروف الغاز والماء وفحصت ادارة الصحة العامة بعد ثلاثة اشهر
من ابتداء العمل اجسام الاولاد الذين كانوا يأكلون في هذا المطعم واجسام الاولاد
الذين كانوا يكتفون من الفطور بشيء من الكعك والشاي او الشوكولاتة فوجدت ان صحة
الاولين احسن من الآخرين وزاد معدل وزن الآخريين بنسبة عشرة الى خمسة الى زيادة
وزن اجسام الآخرين . فطلبت ادارة المعارف الى الآتية المذكورة بان تؤلف لجنة تحت
ادارتها وتوسع نطاق عملها الى عدة مدارس وخصصت لها في ميزانية المعارف ١٥٠ ريالاً
كل سنة على كل مدرسة تؤسس فيها مطعماً لتقوم بالخجراة مخصصة عن مجلة الآورلوك

ثروة الامم

نشرت احدى المجلات الايطالية بحثاً في ثروة يابان وقاسمتها بام الحضارة اليوم
فتبين منها انها افقر الدول الكبرى بأسرها فاذا حسبنا مجموع ثروة يابان نجد انها اذا
ملكته مئة فان ايطاليا تملك ٢٦٩ والنمسا ٣٨٤ وروسيا ٥٥١ والمانيا ٦٨٣ وفرنسا
٧٤٣ وانكلترا ١٠٠٨ والولايات المتحدة ١٣٩٧ وما من دولة كثرت ديونها مثل مملكة
الشمس المشرقة فانها تبلغ ٢٢ في المئة من مجموع ما تملك على حين يبلغ دين ايطاليا ١٧
في المئة وروسيا ١٤ وفرنسا ١٤ والمانيا ١٠ والنمسا ٧ وانكلترا ٧ والولايات المتحدة ١
واذا كان الفرد الياباني يملك ١٠ يانات مثلاً فان الايطالي يملك ٢٣ والنمساوي ٢٨
والالمانى ٤٢ والفرنساوي ٤٢ والانكليزي ٥٢ والاميركاني ٧٣ وما من بلد في الارض
تكثر فيه الضرائب على الرعايا (ما خلا البلاد العثمانية) مثل يابان فان الفرد فيها يدفع
١٢ في المئة من ايراده اما الايطالي فانه يدفع ١٢ و ٢ في المئة والنمساوي ١١ و ٣
والفرنساوي ٩ و ٧٠ والانكليزي ٨ و ٨٠ والالمانى ٦ و ٣٠ والاميركاني ٣ و ٣٠

الجهر باقراءة

من محاضرة لسيو اميل بوترو احد شيوخ العلم في فرنسا في هذا الموضوع ما تهر به :
من انجح الوسائل المختلفة في التعليم والتربية على ما ارى القراء بصوت عال . واطلما
ذكرت تلك المطالبات التي كان يتلوها على مسامعنا في صبانا احد الاساتذة الماهرين في

التلاوة آونة الفراغ . وتأثير البيان كل يوم في نفوس الناس مشاهد محسوس فاذا تركنا التمثيل جانباً الآن الانرى ان القاء الخطيب لخطابه يزيد في تأثيره في القلوب .
الا تلاحظون كيف يعنى الاستاذ عند ايراده جملة من الكلام البليغ يذكره بالصورة التي تلي بها

فلقد ادرك القارئون على التربية في كل زمن مكانة الجهر بالتلاوة فكان في آئذة اول معلم يتولى تربية الطفل رجلاً يعرف قليلاً من النحركات مهمته الاولى ان يدرسه اقوال الذمراء فكان يترقى بالتدرج في انتاد جملة بعد جملة من كلام هوميروس او از بودوس والتلامذة يرددون مايقول وكانت تلاوة الاسفار المقدسة في الكنائس المسيحية بصوت جهوري من ام الاجزاء الجوهرية في العبادة في كل زمن . ونرى اليوم علماء التربية قد اقرؤا على فائدة التلاوة الجهرية . واتفق لي ان تأكدت ما لهذا التمرين من الشأن في المداس الالمانية فان له ولاسيما في مدارس البنات الشأن الاول فيقصدون ان ينهوا في المقول الشعور الوطني بتأثير النطق والمهارة في انتقاء الكلام وتنبيه الافكار الى التحور بالجمال وبيان مكانة المؤلفين من الذكاء

وما برح عدنا (فرنسا) اجل رجال الادارة والتعليم والصحافة يعنون كل العناية ببعث النفوس في المدارس على حب القراءة فقبلت وعملت في هذا السبيل امور جميلة من العبث ان تحدثوا بها واكتفي في هذه المسامرة ان ابين تأثير القراءة الجهرية وكيف ينبغي للقاريء ان يقرأ حتى يتجلى هذا التأثير فاقول : ان القراء تبعث في الخطاب روحاً . وفي هذه الكلمة جواب سؤالنا الاول ولكن ما هو سر هذه الحياة واي معنى لهذه الاستعارة ؟ فقد شبه افلاطون الخطاب بالتصوير في قوله : « ان الحال في الكتابة كما هو في التصوير فان الصورة تتراى للانظار حية ولكن اذا سألتها لاتيخبر جواباً وهكذا الحال في الخطب المكتوبة فاذا سمعتها نطن انها تفكر ولكن اذا سألتها بعض ايضاح عن الموضوع الذي تخوض عباؤه تجبك جواباً واحداً ابدأ . وان خطاباً اذا اهيئ واحتر ظلاً يحتاج على الدوام 'عونة من ابني' عذره اما هو نهاجز عن الدفاع عن نفسه »

ومعنى ذلك ان المؤلف اذا لم يكن مستصحباً لكلامه لافائدة من تصوراته فهو اذا تلا كلامه يحفظ في ذهنه حوادث وافكاراً واحكاماً وتجارب وتحقيقات ادت به الى تلك النتائج ولذلك نحف حول كل فكر عبر عنه بالكتابة مواكب غير مرئية من الافكار التي تشرح

الكلام وهي من توابعه . والخطاب المكتوب وحده لا يقوم بالافصاح عن تلك المعاني المستترة وصوت الانسان هو الكفيل باثارة فكر الحضور على الانتباه لما فيه من الدقائق فان الوفا من صور الكلام ليست سوى شروح تعين على ادراك القصد من الافكار والصلات بينها وتعارض الاشكال وتقاربها والصورة الخاصة بالاشياء والغاية التي ينتهي اليها الفكر بل هو العمل بذاته الذي انصرف اليه الكاتب الذي يتجدد في فكر القاريء والمستمع بل هو الذكاء الراقد في غشائه المادي ينتبه ويحيي النفس . هذا هو التأثير الاول من الجهر بالتلاوة وهو من أكد الطرق وافعلها في تفهم الكلام بجلاء والتمتع في امراره .

لا ادري ما في الصوت البشري من سر يرسل الى الانسان فيبلغ شغاف قلبه . هذا السر اشبه بما يسمى في الطبيعيات الاهتزازات الحادثة في آن واحد . فترى القاريء والسماعين يهتزون معاً واضطراب الاول يفعل في الآخرين وبالعكس وتأثير العقل الذي يذكرن صنمه تنشأ هذه الظاهرة فهو الذي يحيا فيهم وحبه للحقيقة والجمال وها اصل المكتوم من افكاره ينبعث في روح احبابه . وهكذا لا يفهم القاريء غيره بل يحب المؤلف الى سماعي كلامه فسماع صوته يضعف اللسان المكتوب ماله من الكثافة والمادة ويفقد رمزاً حالصاً ويتسبب بالتدرج الى النفوس الباحثة ويصبح كالعلة والعائد بين تلك الارواح نفسها . وبننا نترجم الاعطاف فنفتح ابواب النفس على ما ينبغي ويشعر العقل بخاطب عقلاً آخر مثله

وعلى هذا فان التلاوة بصوت جهوري تعلم وتشعر بنشاط غريب . وما الفهم والشهور بقوة الاباء على الارادة الا قليلا ومن صحت ارادته كان حرباً بان يبدأ بالعمل . فمن تلاوة المصنفات الجليلة تنشأ افكار سامية يكون من اثرها ان نرقى نحن الى مستواها ونفهم مغازيها فتفعل في افكارنا وافعالنا

اما كيفية القراءة فقد قال لي رجل مشهور بالثفن والرياضات ان احسن الطرق لاجادة القراءة هو ان يتلفظ الانسان على وجه الصحة محافظاً على الخارج بحسب ما يعطيه الكلام والخطاب يفعل في النفوس كما نشاء ويفكر فيه الذهن بذاته وان من يحاول ان يشرح فكر المصنف يحشر نفسه بينه وبين المؤلف حشراً على غير داع . ولمثل هذا الفكر انشأ بعض تراجم الشعراء منذ بضع سنين تمثيل روايات اللعب المعروفة Maxionnette حرصاً منهم على سلامة هذا الفن وممثلوه هذه القصص لا يحاولون على الاقل ان يقوموا مقام المؤلف .

ومن المحقق ان الواجب ان يقرأ ما في النص وان لا يحدما فيه فان بعضهم يحرفون ما يجدونه مسطوراً امام اعينهم خفة منهم او عادة لم القوها ان يكتفوا بما حصل او لقلة لين في ملكتهم او لاهتمامهم بالموضوع تاركين ما تقتضي به الامانة للتأثير في فكر السامع بقدر ما يعطيه 'الكلام' .

وانه ليجرم على المربي ان يزيد وينقص من عنده ليلفت بذلك، النظر الى نفسه كما يفعل بعض الممثلين فيزدون من عندهم حقة منهم واعتداه ليجزوا استخدام الحضور لم . وان يفتح مرب يقصد من تلاوته كي تلايذه ان يعجبوا بقرينة، وكذلك لا تكون تلاوته لتسليته سامعه كما يفعل بعض العامة فان الافكار العالية والبهجة الجميلة ليست من ادوات السرور والحظ بل يتوخى فيها ان يشترك سامعها بالحياة العالية المبعثة من فكر قائلها . وليس للقاري ان يتطلب إعجاب السامعين به فيصنعوا له ويشكروه بل عليه ان يفنى امام من ينقل قوله بلسانه فيكون لسان حاله الامين فقط وهو وسامعه على مستوى واحد من هذه الوجهة فليس له الا ان ينكر نفسه وبذلك يضمن له النجاح .

ولا تنافي للقاريء افادة سامعه الا اذا شعر بما يقرؤه واحبه ليجبه الى النفوس اما التصنع من المربي فهو اسلوب مضر متى فاجأ فيه تلايذه تفقد منه الثقة والالفة اللتان هما شرط في نفوذه عليهم وليس اجدد من السير مع الفطرة والطبع في التلاوة وان يتحد بروح المؤلف وذاته وجوهه

ينظر في كلام المؤلفين الى العصور التي قالوها فيها ليعلم انهم ثمة تلك القرون التي عاشوا فيها فلا يأبى عليهم القاري ذلك لئلا يخدعهم وبغشهم واكن كلام الاعظم نافع في كل زمن لانهم يكتبون كتابة تنفع على غابر الدهر يكتبون والمستقبل نصب اعينهم متوخين الكمال المطلق وعلى هذا فعلى القاريء ان لا يكتفي باطلاع احساسه الخاص بل ان يظهر الامور التي يذهب الكاتب على جليتها ولا يتيسر له ان يستعيد سامعه الا اذا خالط حواسهم كما يخاطب قلوبهم واذهانهم وان يبهجهم بثقة لسانه ولا يفوته ان الاسن خلفت لتتكلم فقد كتب البشر اللغة المحكية قبل ان ينطقوا باللغة المكتوبة

ولجودة الصوت شأن عظيم في التلاوة فالواجب ان تخرج الكلمات على اسر وجه ورزين واطلاق وان يتلو الانسان منتصباً على رجليه ما امكن او مستنداً على مؤخر كرسيه وان ينغم الكلام بقدر ما يعطي من دون اكراه ويكون جرسه صريحاً غنياً

لطيفاً رخيماً . وغريب كم للطف الصرت من تأثير في مجامع قلوب السامعين واعدادهم
لثاني الافكار فان من ام الاجزاء الجوهرية في الالتقاء جوة التنفس فالواجب ان يكون
التنفس حراً لا قليلاً ولا كثيراً لطيفاً لا يشمر به .

ثم تجب العناية بالتلفظ وهو معلوم كم هو ينفع ويضر . ورب خطاب جميل اضربه فساد
اللفظ ولاختلاف التلفظ في علائق الناس نفوذ حقيقي كثيراً ما لا يقبل النسبة مع قدر
هذا الخلق العقلي . والتلفظ على وجه عام يدل على المحيط الذي عاش فيه الانسان والقدر
من التربية التي بلغها فهو غام ينم عليك لمن لم يعرفك . اذاً فينبغي صرف الجهد ان
يكون اللفظ صريحاً صحيحاً ظريفاً . وام جزء في هذا الباب اخراج الحروف من مخارجها
وهناك امر له دخل في احسان التلاوة وهو الاجمال اللائق بالكلام واظهاره في مظهر
متناسب مع سائر اجزاء الخطاب فيجب اولاً ان يضم مايجب ضمه ويغفل مايمثل من
الجل افكاراً متخالفة فيتردد التالي بين الوصل والقطع في البيانات فالوقف المهم ينم
عليه اللفظ . قال كوت *Not* ان الوقف واخراج الحروف من مخارجها هما من ام
الشروط الاساسية في جودة القراءة . وكمن وقف يقوم مقام وصل في اللفظة الواحدة
تجذب المخارج المختلفة الى واحد منها وتقطع الجملة بعد كلمة او بضع كلمات والقطعة بعد
جملة والخطاب بعد اراد بعض افكار عامة . وتجب اعادة النعمة وتنويعها على ما يليق
بنظام وقلة تكلف ويعد في الاحيان الى السذاجة في النطق على الترتيل والتخمين وان يتأني
في الالتقاء لثلاً يطيل المرة الخطاب على السامعين من حيث يريد اختصاره . ويزن الكلام
فيبدأ بعد الوقف بسكون ثم يجر رويداً رويداً فن الوزن قانون الحياة اذا وقع تطبيقه
في الخطاب يملك صاحبه نفوس المخاطبين ويستحوذ بهم ويدب الروح فيما يعرضه على مسامعهم
وينتج من هذه الملاحظات سواء كانت علمية او عامة ان لاتنأى القراءة بصوت
عال بدون ان يعد القاري^١ ما يريد تلاوته فان الارتحال في القراءة كما قال كوت
لتلاميذه هي الليالي القمرية في الخطاب اي ان نورها مشكوك فيه لاتظهر كل حين
ولا يجب ان يستعد القاري^٢ فقط بل ان يعد سامعيه ايضاً فيبدو^٣ باعطاء مايلزم
من الشروح ثم يتلو بلا انقطاع فان الشرح اثناء الالتقاء ينقص من بهجة الكلام .
ويستدل القاري^٤ على نجاحه في تلاوته من السكوت وقلة الحركة بين الجمع المستمع فاذا
سادا فهناك الاستحسان والا فان الجلبة والحركة لاتنشأ الا من توزع النشاط الذي
لا سبيل اليه بين اناس مثنبيين حقيقة

١- ايجير الغرف

جربوا في احدى المدارس بانكثروا طريقة لتطهير الغرف وذلك انهم يبلون كمية من نشارة الخشب بسائل مضاد للعدوى فتنتثر تلك النشارة في ارض الغرفة مساء وعند الصباح تكنس فكانت النتيجة ان صحة التلامذة والمعلمين تحسنت عما كانت عليه .

الفقر في انكلترا

ذكر بعض علماء الاحصاء ان انكلترا قد نهضت منذ اربعين سنة كما نهضت البلاد الأخرى في العلم والصناعة والتربية وتدبير الصحة والاسعافات والمعونات فهي وحدها تنفق على التربية والصحة واعانة البائسين اربعين مليون جنيه بالنسبة لسنة ١٨٧١ وكان يرجى ان تخفف هذه النفقات الشقاء ولكن الامر زاد تفاقمًا على العكس فكانت انكلترا تنفق سنة ١٧٧٦ - ١٦٥٥٧١٠٠٠ جنيه في السنة على الفقراء فصارت تنفق سنة ١٩٠٦ - ١٤١٧٨٦١٠٠٠ ج وهي اليوم تحولت ١٦٧٠٠٠٠٠ من السكان منهم ٥٣٨٦٠٠٠ تعلم مدى حياتهم و ٥٣٠٦٠٠ تعلم مدة طويلة و ٦٤٠ ألفًا تعلم من شهر الى سنة . وان البالغين من الرجال منذ السنة السادسة عشرة الى الخامسة والستين المحتاجين للمعونة ليزيد عددهم أكثر من النساء ومن الدواعي الى ذلك كثرة انهيار الناس من القرى الى المدن . ويرى الكاتب ان انكلترا تساعد على انتشار البؤس بما تقدمه الى اهله من المعونات فيكسبون ويرتكبون المحرمات على انها اذا سنت قانونًا للشيوخ نقل في بلادها بواعث الشقاء بالدرج

الحسبة في الاسلام (١)

نشرت المجلة التونسية الفرنسية مقالة في الحسبة جاء في خاتمتها ان العرب باختلاطهم مع الرومانين والبيزنطيين والفرس والهنود صفت اذهانهم واقتبسوا الصناعات والفنون وهكذا جلبت الى افريقية انواع الترميد الملون والاقمشة الحريرية والجوخ الدقيق والالبسة الجميلة ونقل العبيدبون الى القيروان وتوزعت صناعات مصر . وجاء بعدهم ملوك الصنهاجيين ولا سيما الامير ابو الحسن بن علي بن تميم المعز بن باديس وبعد ان عقدوا هدنة مع ملوك النصارى في صقلية اخذوا يتبادلون الهدايا والاعلاق النفيسة وذلك سنة ٥٢٩ هـ .
وانشأ بنو حفص في تونس ابنية جميلة ونشروا العلوم والصناعات وملاؤا خزائن

الكتب بالاسفار الكثيرة فوهب ابو زكريا الحفصي ٣٦ الف مجلد من كتبه وانشأ المدارس ومنها مدرسة الشاعين ومسجد القصة ومنارته الحالية حيث لا يزال اسمه منقوشاً على حائطها الى اليوم وهو الذي انشأ الاسواق الموجودة الى عهدنا في تونس والمتأقفة الشهرة فانشأ سوق العطارين والشوسة اى سوق الحفصي ومات سنة ٦١٤ هـ في غنى ونعمة.

وفي ايامه تزح الى تونس اناس من الاندلسيين ممن طردوا من اسبانيا فاكرم عثمان باي وفادتهم ومد المحتسب لم يد المعونة فجعل فقراءهم عند اناس من اهل البلاد يملكون لم واذن لغيرهم ان يسكنوا حيث ارادوا فابتاع اولئك النازحون املاكاً واسعة وارضى ذات يابيع غزيرة وانشأوا فيها ابراجاً وتنازلوا ونزل معظمهم مدينة تونس بحيث يسوغ لنا ان نقول انهم مدنوا اهلها بما حملوه اليهم من مدينتهم وصناعاتهم بل قد أسسوا مدناً مهمة مثل سليمان وبالي ونيانو وقرور وباليا وتوركي وجديده وزغوان وطوبوربة وجريش الواد(?) وبجاز الباب وتاستور وسلوقية والعاية وقلعة الاندلس وغرسوا الزيتون والثلثين وانشأوا الحدائق وعمروا الطرق ودمشوها بما اتوا به من بلادهم الاصلية من محادل (ملاسة) وما برح هؤلاء المهاجرون الى اليوم يمتازون بن غيرهم وهم في تونس طبقة الاحرار.

وقد انتهت الحال بان جعلت بعض اعمال المحتسب في تونس بيد مجلس العشرة الاعيان وكلهم ينتخبون من اهل تونس ومن اصل اندلسي ماحلا اثنين يكون احدهما من صفاقس والثاني من جربة ويجب ان يكونوا كلهم من اهل المذهب المالكي ومن معلمي الشواشية اى صناع الطرايش ما خلا الجربي والصفاقسي واليههم يرجع الامر في فصل قضايا التزوير في الشواشية والاشراف على عملها وان يكون صباغها جيداً وكان تقيب حرفة الشواشية تحت امرهم

وكان من خصائص مجلس العشرة النظر في غش البضائع وهو يحكم على الجيد منها والعاطل فيما اذا حدث اختلاف بين البائع والمشتري وذلك بواسطة امين التجار ولم يكن اعضاء هذا المجلس يقبضون راتباً ولا يحضر عضو جربة وصفاقس في مجلس العشرة الا اذا عرضت مسائل تجارية وكان لاعضاء هذا المجلس امتيازات خاصة كأن يكون لهم حق التصدر على سائر التجار ويحملون في بعض الاحوال بالتقرب من الباي وقد تولت محكمة العرف اليوم ما كان يتولاها مجلس العشرة سابقاً من امور الاحتساب يحكمون فيما يعرض من المسائل كما يحكم اهل الخبرة وهذه المحكمة مؤلفة من امين التجار وعشرة معاونين وقد اخذ شيخ المدينة ينظر في بعض الاعمال التي كان يتولاها المحتسب

سابقاً فهو برأس تقباء الحرف وحكمه لاية بل النقض والابرام فيما يحدث من الاختلافات في مسائل الصناعات وهو المكلف بحجز اموال المفلسير ويبيعها في تونس وتوزع ما حصل من اتمانها على ارباب الديون على اختلاف تابعيتهم وهو يبيع الاملاك التي رهنها بعض التونسيين ومشايج الحارات هم اليوم مضطرون الى ان يقدموا بياناً مطبوعاً بمن يولد ويتوفى في احيائهم من الوطنيين وهؤلاء المشايخ اليوم صورة مصغرة من المحترسين اس
الانسان والمدنية

نشرت مجلة الاقتصاد الانكليزية مثالة جاء فيها انه يستدل من الاحصاءات بان معدل تولد البشر اقل في الاغنياء مما هو بن الفقراء وانقص بين ارباب الاشغال العقلية مما هو بين الاعميين ارباب الصناعات والعملة بحيث يدوخ لنا ان نقول على الجملة بان بين كثرة النفوس والمدنية عداوة حتى ان الحضارة يوم تبلغ اوجها لا يبقى على الارض احد يستمتع بها . وقد اوردت المجلة ارقاماً لا ثبات حجة هذه الدعوى فقالت ان الامراض التناسلية هي في الاغنياء اكثر منها في الفقراء وفي المدن ولا سيما الكبرى اكثر منها في الارياف حتى انه ليشعر من اجلها على انه ان يلدن كثيراً او ان يكتفين بولد واحد . وكذلك يحدث مثل هذا التأثير من الامراض العصبية والعقلية التي هي تابعة لارتفاع المدنية كما يتبع الظل الجسم . والسبب الرئيسي في قلة الولادات قلة الرغبة في ان يرزق الناس اولاداً لان المدنية كلما تقدمت ينظر الى الاولاد بانهم حمل وضيق على ابويهم

طعام الاقوياء

قل من المسائل التي تضاربت فيها الآراء تضاربها في تعيين كميات الطعام وكيفيته على ما يليق بالانسان واودت الابحاث الحديثة الى ان طعام الانسان يختلف باختلاف الجنس والمهنة والمناخ ولكن الدكتور سيبرت قد اجتاز هذا الحد وهو يؤكد بعد مشاهداته الشخصية مدة خمسين سنة لاشهر مصارعي اميركا ان كل اذنان يحتاج الى طعام خاص به فقد قال من مثالة له ان اقوى رجل عرفه هو المصارع الشهير سيجفريد افي الى محلي — لان الدكتور المذكور مؤسس محل يأتي اليه المصارعون ويعيشون تحت نظارته — وهو في العشرين من عمره وبعد ان تمرن مدة ثلاثة اشهر زادت قوته زيادة عظيمة وكان الطعام الذي يختاره لنفسه اغلب ما يكون من الخضر والحليب والخبز مع قليل من اللحم وكان عداؤه قليلاً من الحليب مع شيء من السكر وقطعة من الخبز مدهونة بزبدة

وعلى هذا الطعام اصبح على شيء من القوة في اطرافه وظهره جعلته من اشهر المصارعين مع قلة اشتهاره بالحدق وخفة الحركة وكثيرون ممن اعرفهم ارادوا ان يخذوا حذوه في طعامهم فكان اغلامهم يصابون بسوء الهضم وهكذا المصارع يتروس باريوثر كانت في صباه ولدأمة يوذاً لا يأكل في اغلب الاوقات سوى شيء من الخبز الناشف لفقره وبعد ان قضى مدة في الخدمة العسكرية اتخذ الصراع مهنة وفي السابعة والعشرين من عمره اثبت انه اقوى رجل من وزنه فهو يرفع وزنه من الارتفاع الى فوق رأسه سواء كان يده اليمنى او اليسرى وهو معتدل في اكله يفضل الاطعمة البسيطة . وقد شاهدت كثيراً ممن يأكلون اكثر من هذين الرجلين ويتناولون اللحم بكثرة وهم دونهما يبراحل في القوى واحتمال التعب . اهـ معرباً عن مجلة العلم الاميركانية

تواريخ

المكتشف والمستعمر من البلاد والجزر في العالم

اكتشف كولمبس اميركا في ١١ تشرين الاول سنة ١٤٩٢ . اكتشفت جزائر (اندريئوفزي) بين آسيا واميركا سنة ١٧٦٠ . استعمر البرتغاليون « انغولا » سنة ١٤٨٢ ثم استعمرتها انكلترا سنة ١٦٥٠ . ادخلت انكلترا غرس الشجر الى (انغولا سنة ١٦٥٠) . استعمرت انكلترا « آنتيغو » سنة ١٦٣٢ . اكتشف المكان المعروف بممر رئيس الملائكة سنة ١٤١٩ . استعمرت هولندا جزيرة (اربوبا) سنة ١٦٣٤ . اكتشفت مملكة البرتغال جزيرة (ازورس) سنة ١٤١٩ . اكتشف خليج (بافن) سنة ١٦٢٢ . اكتشفت جزائر (باهاما) سنة ١٦٥٩ واستحوذت عليها انكلترا سنة ١٧١٨ . اكتشفت (تيرروس) واستعمرت سنة ١٦١٤ . استعمرت انكلترا جزيرة (بربودا) سنة ١٦٢٨ . اكتشفت جزيرة (بارينغتن) في جزيران سنة ١٧٩٣ . حصنت هولندا مدينة باتافيا جزيرة في جاوه سنة ١٦١٨ . اكتشفت جزر (برمودا) واستعمرت سنة ١٦١٢ . بدي باستعمار بوسطن اماس في الولايات المتحدة سنة ١٦٣٠ مرت بها كيب الانكليز في خليج (باي) لأول مرة في ٢١ آذار سنة ١٧٨٧ . عمرت فرنسا جزيرة (يوربون) سنة ١٦٧٢ . اكتشفت برازيل سنة ١٤٨٦ وعمرها السبايتول سنة ١٥١٥ . ثم استعمرتها هولندا سنة ١٦٢٤ . ثم تولتها برتغال سنة ١٦٥٤ . اكتشفت جزيرة بريطانيا نحو سنة ٩٠ للمسيح . عمرت (كالديوية) في اميركا سنة ١٦٩٩ . اكتشفت كلفرنيا في اميركا سنة ١٥٤٣ . اكتشف (قابون) كندا سنة ١٤٩٩ .

ثم اكتشفها فرنسا سنة ١٥٠٨ . اكتشفت جزائر كاناريا سنة ١٣٤٤ واهديت الى اسبانيا سنة ١٣٩٣ . اكتشف رأس بلانكو في افريقية سنة ١٤٤١ . اكتشف بريطانيا رأس بريطانيا سنة ١٥٨٤ ثم استحوذت عليه فرنسا سنة ١٦٣٢ ثم استرجعته انكلترا سنة ١٧٤٥ ثم استرجعته فرنسا سنة ١٧٤٨ ثم استردته انكلترا سنة ١٧٥٨ . اكتشف رأس جزائر (دي فرد) سنة ١٤٤٧ . اكتشف رأس الرخاء الصالح سنة ١٤٨٧ واستعمرته هولاندا سنة ١٦٥١ . طافت السفن حول رأس (هورن) لاول مرة سنة ١٦١٦ . اكتشفت (كارولينا) احدى الولايات المتحدة سنة ١٤٩٧ واستعمرت سنة ١٦٢٩ . اكتشفت جزائر (كريني) سنة ١٥٩٥ . اكتشف كوباس جزيرة (المورة) في سنة ١٤٩٢ . استعمرت فرنسا جزيرة سايني سنة ١٦٣٥ . اكتشفت جزيرة سيلان سنة ١٥٠٦ . اكتشفت جزيرة (خاتام) في حزيران سنة ١٧٩٣ . اكتشفت اسبانيا (شيلي) في اميركا سنة ١٥١٨ وغزاهها الاسبانيون سنة ١٥٤٠ . يم البرتغاليون الصين لاول مرة سنة ١٥١٧ وحكم في سنة ١٦٣٥ النتر بعض مقاطعاتها . اكتشفت جزيرة القديس خريستوفورس سنة ١٥٩٥ وعمرتها انكلترا سنة ١٦٢٦ . اكتشفت مملكة « الكونغو » سنة ١٤٨٢ واستعمرتها برنقال سنة ١٤٨٦ . استعمرت روسيا القرم سنة ١٧٨٤ . اكتشفت كوبا سنة ١٤٩٢ واستعمرت سنة ١٥١١ . استعمرت هولاندا (كورسكا) سنة ١٦٣٤ . استعمرت (دريني) سنة ١٧٠٠ . اكتشف مضيق (دفس) سنة ١٥١٢ . اكتشف كوباس جزيرة (دبسيدا) سنة ١٤٩٤ . اكتشفت جزيرة القديس (دومينكو) سنة ١٤٩٢ . اكتشف كوباس « دومينكا » في سنة ١٤٩٣ . اكتشفت جزيرة الشرق سنة ١٧٢٢ . اكتشف البرتغاليون شرقي الهند سنة ١٤٩٧ وأنها الانكليز في سنة ١٥٩١ ثم الهولنديون في سنة ١٥٩٥ ثم رط من انكلترا سنة ١٦٠١ ورط من فرنسا في السنة نفسها ثم رط من الدنيرك في سنة ١٦١٢ . اكتشفت جزائر (فولك لاند) في سنة ١٥٩٢ . اكتشف « القبطان قابون » فلوريدا في اميركا سنة ١٥٠٠ واستعمرت سنة ١٧٦٣ . اكتشف « مضيق مرويشيد » سنة ١٥٥٨ . اكتشفت جزيرة الثعالب في شمالي المحيط الباسفيكي سنة ١٦٠٠ . اكتشفت جزائر « كالا باغوس » سنة ١٧٠٠ اسس القائد (اوغلتراب) مستعمرة جورجيا الولايات المتحدة سنة ١٧٣٩ . استعمرت هولاندا جزيرة كوري سنة ١٦١٧ . استعمرت فرنسا جزيرة « غرناوا » سنة ١٦٥٢ . اكتشفت (غرينلاندا)

في سنة ١٥٨٥ واستعمرت في عامي ٧٢١ و ١٧٣١ اكتشف كولبس جزيرة (غودلوب) سنة ١٤٩٣ واستعمرتها فرنسا سنة ١٦٥٣ اكتشف البرتغاليون شاطئ « غينيا » سنة ١٤٨٢ وباشتر القبطان هاوكن في « اقلشن » من نواحي ذلك الشاطئ بتجارة الدقيق سنة ١٥٦٣ اكتشفت جزيرة القديسة هيلانة سنة ١٥٠٢ وملكها انكلترا سنة ١٦٠٠ وعمرتها سنة ١٦٥١ اكتشفت جزيرة « هودو » في المحيط الباسيفيكي في حزيران سنة ١٧٩٣ اكتشف القبطان هدمن خليج هدمن المسمى باسمه مكتشفه سنة ١٦٠٧ اكتشف « ايسلندا » احد قطاع الجبل من الدنماركيين سنة ١٨٦١ اكتشف كولبس « جاميكا » سنة ١٤٩٤ واستعمرها الاسبانيون سنة ١٥٠٩ اكتشف يابان سنة ١٥٤٢ وزارها جماعة من الانكليز سنة ١٦١٢ اكتشف الروسيون « كامسكانكا » سنة ١٧٣٩ اكتشفت جزائر « لدرن » سنة ١٥٢١ اكتشفت جزيرة « لي روتش » على مقربة من جزيرة « فوكايد » السابق ذكرها سنة ١٦٣٧ اكتشف الفرنسيين « بوزيانا » في الولايات المتحدة غربي نهر مسيسيبي العظيم سنة ١٦٣٣ واستعمرها سنة ٧١٨ وسلموها الى الولايات المتحدة او تنازلوا عنها سنة ١٨٠١ اكتشف البرتغاليون مدغشكر سنة ١٥٠٦ اكتشفت جزيرة (مديريا) في سنة ١٣٤٤ و ١٤١٨ اكتشفت « نيلان » سنة ١٥٢٠ اكتشفت جزيرة « مرغلانت » سنة ١٤٩٣ استعمر اللورد بلتي مور « مركندا » سنة ١٦٣٣ وبلغت نفقات استثماره ٤٠٠٠٠ ايرة انكليزية اكتشفت جزيرة « موريتوس » سنة ١٥٩٨ واستعمرت سنة ١٧٢١ حكم الاسبانيون المكسيك سنة ١٥١٩ = ١٥٢١ اكتشف منتريال كندا سنة ١٥٣٤ واستعمرت سنة ١٦٢٩ اكتشف كولبس « مونتسرت » في غربي بلاد الهند سنة ١٤٩٣ واستعمرتها انكلترا سنة ١٦٣٢ استعمرت انكلترا « نيفس » سنة ١٦٢٨ اكتشفت « كلدونية » الجديدة سنة ١٧٧٤ استعمرت انكلترا الجديدة سنة ١٦٢٠ اكتشف قابون « فونلندا » الجديدة سنة ١٤٩٧ واستعمرت سنة ١٦١٤ اكتشفت « غيونيه » سنة ١٦٩٩ اكتشف الهولنديون « هولاندا » الجديدة سنة ١٦٢٧ واستعمرتها انكلترا سنة ١٧٨٧ استعمر الاسوجيون « نيوجرمي » في الولايات المتحدة سنة ١٦٣٧ اكتشفت اسبانيا المكسيك سنة ١٥١٨ اكتشفت « زيلاندا » الجديدة في سنة ١٦٦٠ ثم في سنة ١٧٦٩ « بليت » واستعمرت سنة ١٦٢٠ استعمرت نيويورك في الولايات المتحدة سنة ١٦٦٤ اكتشف الممر الشمالي الشرقي الى روسيا سنة ١٥٥٣ استعمرت « نونافوتية » سنة ١٦٢٢ اكتشفت نونافوتية سنة ١٥٥٣ اكتشفت

جزائر جورجيا الثلاث في ١٨ حزيران سنة ١٧٦٥ اكتشفت جزيرة «هايها» حيث قتل القبطان كوك سنة ١٧٧٨ اكتشف خرائب مدينة النخل في صحراء سورية سنة ١٦٧٨ استعمرت «باناما» سنة ١٥١٦ اكتشفت «بارغواي» سنة ١٥٢٥ استعمرت بنسلفانيا الولايات المتحدة سنة ١٦٨٠ اكتشفت «بيرو» سنة ١٥١٨ اكتشف الاسبانيون جزائر فيليبين سنة ١٥٢١ اكتشف مضيق «بث» في غربي الهند في ٣٠ نيسان سنة ١٧٦٠ اكتشفت «بورتوريكو» سنة ١٤٩٧ استعمرت هولاندا «سابا» سنة ١٦٤٠ استعمرت «سالماس» في الولايات المتحدة سنة ١٦٢٨ اكتشفت جزائر «سندوبش» في المحيط الباسيفيكي سنة ١٧٧٨ استعمرت سفانا سنة ١٧٣٢ اكتشف شاطي «سبراليون» سنة ١٤٦٠ اكتشفت جزائر «سوشي» في المحيط الباسيفيكي سنة ١٧٦٥ اكتشفت جزيرة سليمان في امريكا سنة ١٥٢٧ اكتشفت جزائر سومور سنة ١٥٢٧ اكتشفت هولاندا جزيرة القديس «يوسيميس» سنة ١٦٣٢ اكتشف نهر سانت لورانس واستعمره الفرنسيين سنة ١٥٠٨ اكتشفت جزائر صوفولك سنة ١٧٦٤ استعمرت انكلترا «سورثيم» سنة ١٧٦٤ واستعمرت (سورت) سنة ١٦٠٣ اكتشفت جزائر «ثائي» شرقي الهند في ٢٩ حزيران سنة ١٧٩٥ استعمر الهولنديون «توباغو» سنة ١٦٤٢ اكتشف الاسبانيون جزائر بترقارس سنة ١٥٨٣ استعمر الاسبانيون «بيرافيرمه» سنة ١٥٢٤ اكتشفت جزيرة «ترانيدان» سنة ١٤٩٨ استعمرت روسيا «برقري» سنة ١٧٥٢ اكتشف السروالتر فرجينيا سنة ١٥٨٤ اكتشف كولبس غربي الهند سنة ١٤٩٢ اميركا : يوسف جرجس زخم

تفنن العرب

صرح احمد بك زكي في المؤتمر الدولي الذي عقد في الشهر الماضي بمصر لتحسين حالة الامم ان علماء العرب قد سبقوا الاوربيين الى اختراع طريقة الكتابة بالحروف البارزة الخاصة بالعميان فلخص كتاب «نكت العميان في نكت العميان» لصالح الدين الصفدي وقال انه يرجع الى ابن الشرق الفخر في وضع طريقة الكتابة بالحروف البارزة للعميان واذا كان المصحح عليه السلام يقول اعطوا ما لقيصر اتقيصر فيجب ان نعترف بان اول مخترع لطريقة الكتابة بالحروف البارزة هو شرقي عربي هو علي بن احمد بن يوسف بن الخضر المشهور بزين الدين الادمي الذي فقد بصره في اول عمره وشرح طريقة معرفته لاثمان جميع الكتب التي كانت في مكتبته بانه كان كلما

اشترى كتاباً لف ورقة على شكل حرف من الحروف ولصقها في الكتاب وكانت هذه الحروف هي التي يستعين بلسانها على معرفة ثمن الكتاب واستطرد الى القول بان زين الدين الآمدي المتوفى سنة ٧١٢ هجرية او ١٣١٢ ميلادية سبق «برايل» الى اختراع طريقة الكتابة بنحو ستائة سنة لان برايل الفرنسي لم يخترع طريقته الا منذ سنين عاماً فقط .

قلنا وعجيب تغاني المصريين في احياء المدينة العربية فاذا اثبت صديقنا احمد زكي بك ان العرب اخترعوا طريقة الحروف البارزة فقد اثبت في السنة الماضية صديقنا احمد تيمور بك ان العرب سبقوا الاوربيين في الطيران فقال :

مها نسينا او تناسينا فلن ينسى التاريخ ابا القاسم عياد بن فرناس حكيم الاندلس كلما ذكر زبلن وسنجر واضرابها فان من يرجع البصر في صفحاته يجد بين من خصهم الله بمواهب في استخراج العلوم واستنباطها امم هذا الحكيم مقروناً بالغرائب والمدهشات فهو اول من استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة وصنع الآلة التي تعرف بها الاوقات على غير رسم ومثال ومثل في بيته السماء بنجومها وغيومها وبروقها وعودها ثمثيلاً يخيل للناظر انه حقيقة فقال مؤمن بن سعيد الشاعر بداعبه

سماه عباس الاديب ابي الفا مم ناعمك حسن رائقها

من ايات تركت ذكرها لقذاعة مجوها . وهو الذي احتال في تطيير جثائه فكسا نفسه الريش ومد له جناحين طار بها في الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه فتأذى في ظهره لانه لم يعمل له ذنباً ولم يدر ان الطائر انما يقع على زمكه وفيه يقول الشاعر المتقدم ذكره من ايات

يطم على العنقاء في طيرانها اذا ما كسا جثائه ريش قشع

فترى من ذلك ان الرجل كان من اسبق الفائزين بالطيران من بني الانسان ولا يفيض من اختراعه تعصيره عن الشأو البعيد فيه فذلك شأن كل مشروع في بداءته وحسبنا ان منتحلي هذه الصناعة مع مامراً عليهم من القرون لم يزالوا دون الغاية المطلوبة منها الى اليوم افلا يكون من الانصاف التنويه بذكر هذا المخترع

طول الحياة

ثبت ان مدة الحياة البشرية آخذة بالازدياد فقد كان مهدها في اوربا خلال القرن السادس عشر للجيلاد لا يتجاوز العشرين سنة فبلغ الآن ٤٠ عاماً وربما ٤٤ سنة ولذلك رأى

معظم شركات ضمان الحياة ان يعبدوا النظر في قوانينهم ويتساعلوا في سمانة النفوس
وصبب هذه الزيادة في الاعمار ما بلغت العلوم الطبية في الخمس والعشرين سنة
الاخيرة من الارتقاء فتغلبت على الامراض السارية فالنشاء الذي كان يصيب حجرة
الطفل المصاب بالخراج كان فيما مضى يردى بحياة وهو اليوم لا يزعج الجراح لما فيه من
وسائط الشفاء العاجل بفضل الحقن تحت الجلد بمصل الخناق وغير ذلك من التدابير
وبقل اليوم المصابون بالحى الثيفوئيدية والقرمزية وذات الجنب أكثر من الزمن السالف
والسل يعالج بوسائط تظهر نتائجها الحدة اليوم بعد اليوم والتهاب السحايا الدماعى ال وكي
α meningite cérébro spinal لم قد قل عدد الماتكن من المصابين به عن
خمس اوست سنين الى ثلاثة ارباع . وقد تغلبت الوسائط التحفظية والطبيعية في مقاومتها
لانواع الفساد البكتيري فظهرت بها نتائج مؤثرة بحيث تمكنت بالتدريج لا فراز السميات
المرضية المسببة للحى

ومع هذا فان بعض المتشائمين من الامير كمين قد نشروا هذه الايام منكرة تبث
على القلق حسبا فيها معدل عدد الوفيات في الولايات المتحدة وغيرها من بلاد العالم
الجديد والقديم وحققوا اسباب الوفاة فصرحوا بان الارقام التي يستشهد بها في دعوى
طول الحياة ليست صحيحة اذ يقتصر فيها على احصائيات الاولاد فقط لان هؤلاء
يبلغون في الواقع من القوة ولكن الاخطرابات التي تبدو في تراكيبهم في سن الشباب
تظهر مؤثراتها في الحال . فالتساعد يدل الآن على ان الاولاد تنسل الوفيات فيهم
ولكن من بلغوا من الرجال من الشيخوخة قلائل .

ومن رأي الاستاذ فيشر في نيو يورك انه يندر وجود اشخاص هم في مأمن من الاوجاع
المهلكة مثل التقرس والرتبة « الروماتيزم » وسوء الهضم والبول السكرى ومرض برايت
والزائدة الدودية قال ان الرجال والنساء عرضة لعوادي الاعداء المستمرة في اختلاف في
الدرجات فالحياة بالنسبة الى كل واحد منهم ليست في الحقيقة طويلة بل هي متسعة
ومعنى ذلك ان الرفاهية التي تحيط بالحياة تنعصر حبلها . ومن جملة تلك السعة في الرفاهية
التغيير الذي طرأ على الطعام فان الناس بالغوا في التأني فيه حتى انهم يقتلون انفسهم
وم لا يشعرون . وقد بلغ من هذه التبدلات انك لا تجد امراً حتى في العيال المستورة
يقنع بالاقبال من الطعام على النحو الذي كانوا عليه فيما غير . فنشأ من هذا التفتن في
الطعام اضطرابات عضوية لم يحتاط لها بل يسعى الناس الى زيادة ضرورها مختارين .

فالناس يكثرون من تناول الاطعمة وكثيراً ما يفرطون ويجهشون عن الاطعمة المحضرة
انواع التخصير اللذيذ وكثيراً ما يشفعونها بالمتبلات والاسربة الكحولية ويتعرضون لما
ينجم عنها من المضار بل يستقبلون عن رضى الامراض الممدية وما يتبعها من الاوصاب .
ولقد افحشوا في التأنق فترام يعنون كل العناية بالولد فيحظرون عليه كل ما يضر به حتى
اذا نجا من اخطار الطفولية واصبح رجلاً بقي بنفسه كل يوم مختاراً في هذه المهالك وهو
لا يبالى . الناس كلهم يعطون في الحياة ما خلا بعض شذوذ ولكنهم لا يهتمون بما يجب
القيام به لاطالة جبل الحياة

وبعد فان فيسر وجمهور علماء الصحة يطلقون شأننا عظمياً على مجموع التراكيب التي
تؤثر في حركة الطعام في التركيب النائي لتجعله صالحاً للقيام بجميع الوظائف اللازمة
لاتقاذ الحياة ونشؤها بل اطلالتها . متى ازدرجت الاطعمة على ما ينبغي ووزعت
في الاقنية والاحشاء على النحو الذي بوجهه علم منافع الاعضاء فالتدبير الغذائي يجري
على نظام راسخ فلا يحدث ادنى عارض ويطل الجسم سالماً يقاوم الطوارئ فتضمي
الدمون وهو صحيح وتكون الشيفوخة قليلة المزيجات على صاحبها . اما اذا تمت حركة
الطعام على طريقة معتلة رائدها الاهمال وقائدها الاختلال ولا سيما فيما يختص بعمل
الآلة الهاسمة فتنتأ من ذلك اوجاع لا تلبث ان تكون مزمنة تضعف تركيب الجسم
وتسلمه الى الامراض الباغنية

لا يكتفي المرء ان يأكل ليعيش بل الواجب لحماية الحياة وجعلها مقبولة واطالة جبلها
ان يعلم كيف يقوم بعلم الاكل ولا يعد هذا فناً فقط بل هو علم وهوراس فلتشر
الاميركافي هوراس الدعاء الى هذه الطريقة في عدم الاسراف في الطعام وتجوهد
القضم والحضم ليجود المضم فقد كان هو نفسه مستخدماً في بيت تجاري في شغاي وكان
كواظنه من الاميركان يجب الرياضات البدنية وله صحة جيدة قوي العضلات ينصرف
الى الشاق من الرياضات في الهواء الطلق مثل المشي والركض والقفز والركاء وغيرها
من الاعاب وهو يلين اعصابه . وكان من نتائج زناطه ومعرفته ان جمع ثروة مهمة
فحدثته نفسه ان يغير طرز حياته وبذوق من جميع اللذات التي يسمح له بها كيشه
فقال الى تجرب الاطعمة الفاخرة واثر القصف على انتصد فاخذ يطعم على خوانه كل يوم
من الاوان المتبلة واللحم الغريش الخنيد والخبور الجيدة ماصات باستعماله معدته وكان
يقضي الليالي في التدخين وتعالج الاشربة فظهر الاثر السعي في هذه الطريقة من

استماضته عن المشي على الاقدام بالركوب في العجلات فسمنا مفرطاً حتى لم يمض الا قليل من الزمن الا وقد انكره اصحابه فكثرت دمه وتورمت خدوده وثخن رقبته واخذت تظهر على سمخته اعراض الاستعداد لداء الصرع

وفي ذات يوم اصيب عقيب اكلة اكلها بتور في جسمه دعاه الى التفكير في صحته فازمع بما فيه من عزيمة ان يعدل عن طريقته في التغذية ويختار غيرها تكون اشد في الانظام وان يتخلص من السمن والربالة لما ينشأ عنهما من الضرر ووفق يسير بحصمه الى نظام مضمون ذاهبا الى ان الجسم لا تغذيه كمية الغذاء ولا كيفيته بل شروط المحصم فيه وتبين له ان ذلك مناط بلوك الطعام فمن هذه القاعدة وهي : « على من يريد ان يعمر طويلاً ان يلوك طعامه كثيراً » . هدته التجارب الى هذه الطريقة التي نسبت اليه فسميت الطريقة الفلنشرية وهي عبارة عن خمس نصائح « ١ » ان ينتظر المرء الشهوة للطعام « ٢ » ان تستأثر الشهوة للطعام في اختيار الاطعمة « ٣ » ان يمتنع الطعام بحيث تخرج منه جميع المادة المغذية وتترك القيمة تسوخ الى المعدة من نفسها « ٤ » ان يختص للطعام ما يقتضي له من الوقت ولا يحل في ازدراده وان يذكر الانسان ابداً انه في صدد تناول طعامه فيصرف ذهنه الى ما هو بسبيله على وتيرة منظمة ويطرد عن نفسه كل ما يلقيا في اضطراب « ٥ » ان يقتنع ان كل وجبة هي عمل واجب في الحياة وان يحسن التيام به بحيث يتوفر له الوفاء بهذه الغاية .

بالغ فلنشر بذاته في التدقيق بهذه القاعدة فلم تمض الا بضعة اسابيع الا وتغير تركيبه . وعاد فازهر شبابيه واغلف قوامه وخف ثقله فامسى ٨٠ كيلو غراماً بعد ان كان ١٨٠ ثم ما عثم ان عاد اليه بعودة قوته الطبيعية نشاطه العقلي . وزال ذاك الشعب الذي كان يهر به ايام كان سميحاً شحماً وشعر بضرورة المشي على الاقدام وان يعود الى ما كان اخذ نفسه به من انواع الرياضات في شغاي . فظهر له ان قد تغير كيانه وعادت قواه الى نشاطها في صباه وصفا ذهنه ورأى من نفسه استعداداً الى العمل وبالجملة شعر كأنه رجع عشرين سنة في عمره الى الوراء . وانه سيمر طويلاً بعد . كل هذا نشأ من تدقيقه في تلك القواعد الخمس التي سنها ومباغتته في الاحتفاظ بها والجري عليها واخذ بقل من كمية غذائه بدون ان يقتصر منها على ما يسهل هضمه وخضمه كما يفعل بعض من يمتنعون عن اللحم ويكفون بالقول وان يمتنع عن المشروبات الروحية امتناع الزهاد بل كان ينتفع بما يدخل جوفه ويتخذ اسباب حسن الهضم فيما يأكل ويشرب فلا يدخل

في بلعومه غذاء الا اذا اجاد لوكه جيداً . ولم يكتف فلتشر بما وصل اليه من هذه التجارب الصحية الذمعة بل اراد ان يع استعمال هذه الطريقة فكتب ماجرى له سيفه الجرائد والمجلات ونشره في كرايس وزعها بلاثن على قومه فنهكوا منه بادي الرأي الا ان علماء الصحة اضطروا بمد حين الى امان النظر فيما اتاه الرجل وجربوا بانفسهم طريقته فاسفرت لم عن نجاح واوصى الناس بها حتى صار اتباع المذهب الفلتشري اليوم يهدون بالملايين في الغرب .

وقد تبع فلتشر في طريقته الاستاذ باول الروسي منذ سبع سنين فتبين له ان الخذبة الحسنة متوقفة على الشهوة الى الطعام وهذه هي الباعث الاقوى على هضمه والارتفاع به في الجسم فالجوع يجب الى النفوس الاطعمة على اختلاف ضرورها والاطعمة لانفد الا اذا رغبت فيها النفس . ولا يحسن ما على المائدة من الصحاف وينفع تناول منها الا اذا كان هذا في فراغ من الدهن يمكنه من تقدير الالوان حق قدرها . فسرور الموائين وطيب الاحداث من العوامل النافعة في الهضم . والسرور على الخواف لا ينشأ من اجادة الطبخ والتنطع في اختيار الالوان بل بما يبدو على وجوه المجتمعين على الطعام من الابتسام

ومعلوم انه يقتضي للجسم لتجديد الانسجة وتوليد الحرارة الحيوانية اللازمة كل يوم لحفظ مرونته والقيام بوظائفه التنفسية كمية محدودة من المواد الدهنية والزلاية وعلماء الصحة والاجسام والاعضاء على اختلاف منهم في ذلك فمنهم من يقول بالاقلال من تناول اللحوم والاعتصار على البقول والالبان والثمار والبيض والارز والزبدة ومنهم من يرى تناول اللحوم ضرورة لكل عامل يعمل بعضلانه والحقيقة ان التوسط في الامر خير وابقى . فالأكثر من اللحوم يسم الجسم وربما حدث منه في كثير من الاحوال مضار في الصحة منبهة القوة العصبية ومنهكة قوى الكبد والكلى وعلى العكس في تناول البقول فان الاعتصار عليها يؤدي الى اضطرابات هاضمة من شأنها ان تحدث ضرراً في المعدة وعليه فاكل اللحم لا يؤذي بقدر ما يهضمه بعضهم بل لا يؤذي الا عدم الوقوف عند حد في تناوله .

وقد رأى احد علماء منافع الاعضاء من الالمان انه يكفي لغذاء الفرد كل يوم ١١٨ غراماً من اللحم وغيره من المواد الدهنية وقال لا بأس بجعلها ١٤٥ غراماً لمن يعمل يديه قال غيره لاهرج من ابلاغها الى ٥٠ غراماً . وأكد احد علماء انكلترا بان من

عمد الى استعمال طريقة فلنشر في الاقتصاد في الطعام واجادة مضغه يتأتى له ان ينقص نحو الثلث مما يأكل وتجد صحته

وقد جرب اساتذة من اميركا طريقة تقيص وجبات الاكل فخلصوا من امراض كانت تؤلمهم مثل اوجاع الرثية « الروماتيزم » والشقيقة والمرة السوداء فعادت اليهم صحتهم ونشاطهم ومنهم من كان اصيب بالسل في الدرجة الاولى فاتخذ طريقة فلنشر فنجأ من الموت واصبح يستطيع ان يتعاطى اعماله العقلية ساعة او ساعتين متواليتين بدون عناء.

وقصارى القول انه قد ذكر من اعتمدنا عليه من الافرنج في نقل هذا البحث ان الحياة هي عمل مجموع الوظائف التي تقاوم الموت . واحسن طريقة في تأثير هذه المقاومة هي ان يتعلم الانسان علم الاكل والقيام عليه . فالحياة هي علم معرفة التغذية . فن لنا بشيوع طريقة فلنشر في بلادنا فيزيد الممتعون بصحتهم ويكثر النشاط على الاعمال البدنية والعقلية ويستغنى عن الطب الا في الامراض التي يستحيل الآن زوالها من العالم ان لتعليم الناس تدبير الصحة اثرأ معروفاً عند الامم في نهوضها وهو من شأن الصحف والمدارس فالصحافة في هذه الديار قائمة على قدر الامكان بما يفرض عليها في هذا الشأن ولو سار التعليم الابتدائي في الشرق على نحو ما هو عليه في الغرب لانتفع الناس بما يتلى عليهم ويكتب لهم اكثر مما ينتفعون ولا سبيل الى ذلك الا بتلقين المدارس مثل هذه القواعد فعلى اساتذة مدارسنا ومديريها ان يلقوا على الاولاد مثل هذه القواعد فتتشر بها نفوسهم منذ الصغر لتنتفعهم وتنفع عيالهم في الكبر .

مخطوطات وطبقات

ذيل

على طبقات الحنابلة

اطلعت في الجزء الاول من المجلد السادس من مجلة المقتبس على ما كتبتموه عن (المنهج الاحمد في تراجم اصحاب الامام احمد) فسرقتي عنايتكم بالحنابلة كما نعنون بغيرهم لما انت اليه حالم في هذه العصور الاخيرة من قلة رجالهم وندرة كتبهم وانطباس اخبارهم بعد ان ازهرت بهم مدارس بغداد ومصر والشام وغيرها واقمت بتأليفهم خزان الكتب المشهورة وصدعت باحكامهم اركان البدع المنتشرة الى ابالاقوه من الفتن والحنن (الى يومنا هذا) قال ابو الوفا ابن عتيل البغدادي المتوفى سنة ٥١٣ وهو ما هو وقد مثل عن الحنابلة (هم قوم خذ من نقلت اخلاقهم عن مخالطة وغفلت طباعهم عن المداخلة وغلب عليهم الجد وقل عندهم المزول وعزت نفوسهم عن ذل المراياة وفزعوا عن الآراء الى الروايات وتمسكوا بالظاهر تحرجاً عن التأويل وغلبت عليهم الاعمال الصالحة فلم يدققوا في العلوم الغامضة بل دققوا في الورع واخذوا ما ظهر من العلوم وما وراء ذلك قالوا الله اعلم ولم احفظ على احد منهم تشبيهاً انما غلب عليهم (التساعة لايمانهم بظواهر الآتي والاخبار من غير تأويل ولا انكار) والله يعلم اني لا اعتقد في الاسلام طائفة محقة خالية من البدع سوى من سلك هذا الطريق والسلام) .

هذا وقد رأيت ان اكتب اليكم عن ذيل صنف بعد الكتاب المنوه به للسيد محمد جمال الدين الغزي مفتي الشافعية بدمشق المتوفى سنة ١٢١٤ في نسخة خطية عندي ذكر في مقدمته سبق ابي الحسن بن محمد ابن القاضي الكبير ابي علي انقرا الى وضع طبقات الحنابلة واختصار شمس الدين محمد بن عبد القادر النابلسي المقدمي له (ولم نره كذيل الجمال يوسف بن عبد الهادي المقدمي وذيل نقي الدين بن مفلح) وتذييل الحافظ زين الدين بن رجب عليه وجمع العلمي كل ذلك في المنهج الاحمد طبقاته المذكورة ثم ابتدأ الغزي ذيله من اول القرن العاشر حيث وقف سلفه اعلمني حتى وصل الى آخر القرن الثاني عشر في ١٨٠ صفحة فجاء فيه من رجال العلم والدين امثال جمال الدين يوسف بن عبد الهادي المقدمي صاحب المؤلفات الحديثة والطبية والتاريخية المدهشة

المتوفى سنة ٩٠٩ وشرف الدين موسى الحجاوي مفتي الحنابلة بدمشق وصاحب من
الافتاح المتوفى في حدود سنة ٩٦٠ والشيخ مرعي الكرمي المقدسي ثم المصري صاحب
التآييف في كل فن المتوفى سنة ١٠٣٣ وابي الفلاح عبد الحلي العسكري الدمشقي صاحب
شذرات الذهب في اخبار من ذهب الذي بدأه من الهجرة الى سنة الف منها وبني
مفلح وبني الشويكي وبني الرحيمي وبني البلباني وبني الجراعي وبني المواهي واعلام من
الديار النجدية والنبالية رحمهم الله تعالى .

وقد وقع في نقسي ان اجمع تراجم رجالنا في هذه المائة سنة الاخيرة وصلاً لهذه
السلسلة البديعة فوفقت والله الحمد لجمعها في ٤٦ صفحة

وحذا لوصحت الاحلام بطبع طبقات العليمي فذيله المتوه به غير انه بالنظر لعظم
هذا المشروع الذي يحتاج فيه الى التعاون على نفقات الطبع الباهظة وقلة الحنابلة في
دمشق بحيث لا يتجاوزون اصابع الكف ارى من الواجب على من عرف تاريخهم ووقف
على سيرهم ان يشتركوا بسهام الطبع لا كون اولم اقداماً واعظمهم سهماً واشكرهم .

دمشق : محمد جميل الشطي

مجموعة

المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سورية ولبنان آرب الشبخين فيليب
وفريد الخزن

بمطبعة العبر في جنوة من لبنان سنة ١٩١٠ و١٩١١ المجلد الاول من ٤٦٢ والثاني
من ٤٨٠

اجاد المربران الفاخلان في نقل هذه المفاوضات والرسائل السياسية من الانجليزية
الى اللغة العربية لانها مادة تاريخية مهمة وادلة يصح بها نقل الناقل ورواية الراوي
وكلام المتكلم خصوصاً وقد قلت الكتب السياسية التاريخية التي وقع فيها ذكر سورية .
والجديد ان كان اكثر ما يدور عليه محورهما له مسيس شديد بسياسة لبنان الا ان سائر
اقطار سورية له علاقة قوية بذلك خصوصاً وادي التيم والبتقاع ودمشق وغيرها من
البلاد التي نشبت فيها تلك الفتنة الماثومة المعروفة بفتنة السنين « ١٨٦٠ م » التي انتهت
بمنح لبنان استقلالاً ادارياً بمساعدة فرنسا وانكلترا . ومعلوم ان السياسيين لا يجوز لهم
ان ينشروا اموراً تنمق مباشرة بسياسة دولهم الا اذا مضى عليها خمسون سنة ولذلك
ساغ لاختلاف اولئك السياسيين الاجانب الذين كان لهم دخل في سياسة سورية على

ذاك العهد ان ينشروا ما كتب في هذا الشأن ليكون تاريخاً . فالشكر كل الشكر لناشري هذا السفر النافع ومعريه ، وعسى ان يترجم العارفون باللغات كل ماله مساسي بحالة هذا القطر لنعم به الفائدة ونعرف ماذا بقول فينا خصوصتنا او اولياؤنا لنا او علينا

فصل القضاء

في الفرق بين الضاد والظاء تأليف احمد عزت افندي طبع في مطبعة الشايندر
بيفداد سنة ١٣٢٨ (ص ١٦٨)

جمع واضع هذه الرسالة نحو ١٨٥٠ لفظة عربية قد يشبه التفريق بينها فيما اذا كانت تكتب بالضاد او الظاء مرتباً لها على حروف المعجم مترجماً لها الى اللغتين العثمانية والفارسية وقد قال في المقدمة ان جمعاً من العلماء الاعلام صنّفوا في هذا الشأن كالامام ابن مالك والحري وايين سهل النحوي وغيرهم لكنهم لم يرتبوا ما صنّفوه على حروف الهجاء فصعب استخراج المقصود على من يعني بهذا الغرض . فنشكر للمؤلف عنايته بسد هذه الثلمة ونرجو ان يجد وحذوه في التأليف كل من اوتوا طرفاً من العلم وشدوا شيئاً من الادب

سيرة الفاتح

تأليف نامق كمال بك وتعرّب عبد الله افندي مخلص طبع في مطبعة الكرميل
بجيفاً ص ١٣٢

اجاد صديقنا بتعريب هذه السيرة لرجل العثمانيين العظيم فاتح القسطنطينية وحذا لوفّر على تعريب غير ذلك من الآثار التاريخية عن اللغة التركية خاصة لانه كاتب مجيد باللغتين . وهذه اللغة قليلة النقل عن التركية كما ان هذه قليلتها عن العربية . والام لا تتعارف الا اذا تماورت النقل احداها عن الاخرى . وعلى كل فنشكر العرب ونرجو له التوفيق الى اتمام خدمته العلمية

الجازية وتعليمها

لجليل صدقي افندي الزهاوي طبع بمطبعة السلام في بندا سنة ١٣٢٦ ش و ١٩١٠ م

ص ٧١

اعتاد الاستاذ صاحب هذا الكتاب ان يأتي الحين بعد الآخر بمبتكرات من انكاره تدل على طول باع وذكاء جنان كما فعل في كتابه الكائنات وفي مقالاته التي اراد بها

تغيير الخط العربي وابداله بحروف له اخترعها واسقاط القوافي من الشعر العربي وجعل كل بيت من القصيدة ذا قافية واحدة وآخر كتبه هذه الرسالة اللطيفة في الجاذبية خالف فيها اهل هذا الفن في الغرب وقال ان الجاذبية في الحقيقة هي دافعية تنشأ من دفع الاجسام بعضها لبعض وان ما يترآى للناس انه جذب انما هو في الحقيقة تغلب قوة دافعة على قوة دافعة اضعف منها فالبحر يسقط على الارض لان الاجرام التي في السماء تدفعه الى جهتها والارض تمنع بحيلولتها دفع السماء من الجهة المقابلة . وهذه الرسالة وان حوت مالا يقره عليه اهل الفن فانها دلت على ان المؤلف ضرب في العلوم المادية بسهم وانه جري في كل اصلاح يحاوله . والشجاعة الادبية مما يتمتع كثيرًا من الكتابين فله منا الشكر على هديته ومن العربية الثناء على خدمتها في الفنون كما يخدمها في الآداب

ابحاث واقتراحات في التشريع المصري الحالي

الف اميل افندي بولاد احد رجال المحاماة في القاهرة رسالة في اصلاح المجالس الحسينية وتناقض الاحكام الاهلية ولزوم انشاء محكمة نقض وابرام مدنية وضوابط صحيفة الاستئناف بالقانون الاهلي والدعوى العمومية والصلح الجنائي القضائي وغير القضائي وقانون النفي الاداري واخطار تطبيقه وكل هذه المباحث تهتم ابن وادي النيل اكثر من غيره لان قضاءه وان كان ممزوحًا بالقضاء الاسلامي والقضاء الفرنسي الا انه خاص بامة لما اصطلاح خاص وعادات خاصة فنشكر لوطننا المحامي غيرته على الحق والبلاد التي يسكنها

دليل السلام

اصدرت ادارة جريدة السلام في بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية هذه السنة ايضًا دليلها هذا وهو يحتوي على عناوين التجار السوريين في الارجتين والارغواي والبرازيل وتشيلي وكثير من الفوائد التجارية والاحصائية بعضه بالعربية واكثره بلغة تلك البلاد

حديقة الجنان في تاريخ لبنان

تأليف الخوري اسطفان ضو طبع بالمطبعة الجامعة في البترون (لبنان)

سنة ١٩١١ م ص ١٤٤

لم يخدم جبل من جبال المملكة العثمانية بتاريخه وجغرافيته وعمرانه بمثل ما خدم به

جبل لبنان فلا هله غرام بذلك وعادة بالتوفر على اظهار محاسنه ومن الكتب الجديدة في هذا الشأن كتاب حديقه الجنان (٩) وهو مختصر في تاريخ الجبل وما وقع فيه من الحوادث وطراً عليه من اختلاف الاحكام والحكام السابقين منذ سنة ٦٠٠ الى سنة ١٧٨٨ ويليه الجزء الثاني . ولو كان المتورون من اهل كل بلد يصنون بتدوين تاريخ بلادهم واصقاعهم ما امكن لما بقي مكان مجهول حاله في هذه الديار فانا نرى اناساً دونوا وقائع طرابلس وآخرون عنوا بتاريخ حماه وغيرهم سطروا تاريخ حمص وبعضهم ذكروا لبنان فليت اهل كل بلد بدونون ما يجب عليهم لبلدهم من هذا القليل واذا فعلوا يخدمون التاريخ العام

دروس الصرف والنحو

تأليف الشيخ محي الدين الخياط يشتمل على اوليات الصرف واوليات النحو طبع بالمطبعة العصرية في بيروت ص ١٠٤

اقتضت طبيعة النهضة في سورية ان تؤلف لها الكتب المدرسية بحسب ذوق العصر حسنة التنسيق والتبويب ومن يتوفرون على هذا الشأن مؤلف هذا الكتاب احد فضلاء بيروت وفيه تمارين عملية يفهمها الطالب الصغير فشكراً له على هذه العناية ووفق الى اتمام هذه الاقسام لنفع طلاب الآداب

وجوب الحمية عن مضار الرقية

تأليف السيد ابي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوي الحسيني الحفصري الاستاذ بمدرسة دار العلوم في حيدر اباد دكن بالهند طبع بمطبعة الاما في سنقافورا سنة ١٣٢٨ ص ١١٢

كان السيد محمد بن عقيل من افاضل الحضارمة في سنقافورا الف كتاباً سماه النصائح الكافية لمن يتولى معاوية اتى فيه بالبرهان التاريخي والديني اموراً اقره عليه بعض العلماء واذكروها عليه بعضهم ومن الف في الانتصار له الاستاذ ابر بكر المشار اليه ففند بما قاله بعضهم عن رموا السيد ابن عقيل بالتشيع وقال ان المسألة مسألة تاريخية دينية لا تقدر بحزب من يقول الصريح فيها واورد لذلك نصوص المؤرخين وغيرهم بعبارات رشيقة وانا لارجو ان تكون هذه الرسالة آخر ما يؤلف في موضوع فرغ منه او كاد وان تصرف تلك القرائح فيما ينهض بالامة من عثارها اليوم . ومعاوية ان توليناه اولم نتوله فقد لقي حسابه وجزاه

لباب الحيار في سيرة المختار

تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني طبعة ثانية فيها زيادات وفوائد طبعت على نفقة المكتبة

الاهلية في بيروت من ١٣٦

نشر المؤلف هذا الكتاب لتعليم ناشئة المسلمين سيرة صاحب شريعتهم عليه الصلاة والسلام وقد صدره باجمال عن العرب قبل الاسلام ووصف بلاد العرب واخلاقهم وعاداتهم وجميع ما يتعلق بسيرة صاحب الرسالة وآدابه وغزواته ونشر دعوته . ونسقه على عادته تنسيقاً يجيب تلاوته الى القاري بعبارة سهلة جزلة وقد قدر المؤلف مساحة جزيرة العرب بمليون ومئة الف ميل مربع او ٣١٥٦٥٥٨ كيلومتراً مربعاً او ١٢٦ الف فرسخ مربع وعمل حسابها بالميل والكيلومتر والفرسخ فجاء الحساب متقارباً وقد ر نفوسها باثني عشر مليوناً وقيل عشرة ملايين . والكتاب لا يستغني عنه طلاب المختصرات ولذلك عولت المدارس الاسلامية على تدريسه ونما فعلت

العادات

خليل افندي مركيس طبع بالمطبعة الادبية سنة ١٩١١ من ١٦٠

صاحب هذا الكتاب هو مؤسس جريدة لسان الحال البيروتية وصاحب المطبعة الادبية خدم الطباعة العربية زمناً وهو اليوم بكتابه هذا يريد ان يخدم العادات العربية بوضعه لها مختصراً في مصطلحات الزيارات والولائم والاعراس . المآتم وآداب المحافل وغيرها مما هو جار عند الشعوب المتمدنة كتبه لطبقة خاصة من الامة العربية بل اخص من الخاصة لان معظم ما فيه من العادات يتعذر القيام به الا على من القوة من اهل الطبقة الراقية في الغرب فما اورده من هذا القبيل لا يتأتى تطبيقه الا على المرأة السليمة مثلاً لان الشرط الاول مفقود عندها وهو اخذ لاط الرجال بالنساء . ويتعذر كل التعذر العمل به عند غير المسلمين اذ يجب ان يكون لهم محيط يساعد عليه ومال يتوسعون فيه البذل منه وكنا نود لو قال المؤلف ان هذا كتاب في عادات الغربيين فطبقوا به ما يمكن تطبيقه . على ان ما كتبه يحتوي على فوائد مهمة لا يستغني عنها انسان في مجتمع مهما انحطت مكانته وقلت نعمته ومدنيته



المفتى

الفتوى في الاسلام

تابع لما في الجزء الماضي

(آراء المفتي وصفته واحكامه (١))

« الاول »

المفتي كل من لم يبلغ درجة المفتي فهو فيما يسأل عنه من الاحكام الشرعية مستفت بتقليد من نفسه

والمختار في التقليد انه قبول قول من يجوز عليه الاصرار على الخطاء به بر حجة على عين ما قبل قوله فيه

ويجب عليه الاستفتاء اذا نزلت به حادثة يجب عليه علم حكمها فان لم يجد ببلده من يستفتيه وجب عليه الرحيل الى من يفتيه وان بعدت داره وقد رحل خلائق من السلف في المسألة الواحدة الايام والليالي

« الثاني »

يجب عليه قطعاً البحث الذي يعرف به اهلية من يستفتيه للافتاء اذا لم يكن عارفاً باهليته

فلا يجوز له استفتاء من انتسب الى العلم وانتصب للتدريس والاقراء وغيرها من العلماء بمجرد اتسابه وانتهابه لذلك

ويجوز استفتاء من استفاض كونه اهلاً للفتوى وقال بعض اصحابنا المتأخرين : انما

« ١ » عن مقدمة شرح المذهب للتتوي

يعتمد قوله انا اهل للفتوى لاشهرته بذلك ولا يكتفى بالاستفاضة ولا بالتواتر لان الاستفاضة والشهرة من العامة لا يوثق بها وقد يكون اصلها التليس واما التواتر فلا يفيد العلم اذا لم يستند الى معلوم محسوس : والتصحیح هو الاول لان اقدمه عليها اخبار منه باهليته فان الصورة مفروضة فين وثق بدياته ويجوز استفتاء من المشهور المذكور باهليته

قال الشيخ ابو اسحق الشيرازي رحمه الله وغيره : يقبل في اهليته خبر العدل الواحد قال ابو عمرو : ينبغي ان يشترط في الخبر ان يكون عنده من العلم والبصر ما يميز به التليس من غيره فلا يعتمد في ذلك على احدى العامة لكثرة ما يطرُق اليهم من التليس في ذلك واذا اجتمع اثنان او اكثر ممن يجوز استفتاءهم فهل يجب عليه الاجتهاد في اعيانهم والبحث عن الاعلم والاورع الا يثق بقلده دون غيره فيه وجهان (احدهما) لا يجب بل له استفتاء من شاء منهم لان الجميع اهل وقد استغنينا الاجتهاد عن العاي وهذا الوجه هو الصحيح عند اصحابنا العراقيين (والثاني) يجب لانه يمكنه هذا القدر من الاجتهاد بالبحث والسؤال وشواهد الاحوال وهذا الوجه قول ابي العباس ابن سريج واختاره النفال المرزوي وهو الصحيح عند القاضي حسين والاول اظهر وهو الظاهر من حال الاولين

قال ابو عمرو رحمه الله : لكن من اطلع على الاوثق فالأظهر انه يلزمه تقليده كما يجب ارجح الدليلان واوثق الروايتين ثم هذا يلزمه تقليد الاورع من العالمين والاعلم من الورعين فان كان احدهما اعلم والآخر اورع قلد الاعلم على الاصح وفي جواز تقليد الميت وجهان (الصحيح) جوازه لان انما ذهب لامتوت بموت اصحابها (والثاني) لا يجوز لقوات اهليته كالفاسق (قال النووي) وهذا ضعيف لاسيما في هذه الاعصار

(الثالث)

هل يجوز للعامي ان يتخير اي مذهب شاء قال الشيخ ينظر ان كان منتسبا الى مذهب بنيته على وجهين حكاهما القاضي حسين في قول ان العامي هل له مذهب ام لا (احدهما) لا مذهب له لان المذهب لعارف الادلة فعلى هذا انه ان استغنى من شاء من حنفي وشافعي وغيرهما (والثاني) له مذهب فلا يجوز له مخالفته وان لم يكن منتسبا يني على وجهين حكاهما ابن برهان في العامي هل يلزمه ان

يتذهب بمذهب مفت يأخذ برخصه وعزائه « احدهما » لا يلزمه كما لم يلزمه في العصر الاول ان يختص بتقليده عالمًا بعينه فعلى هذا هل له ان يستغني من شاء ام يجب عليه البحث عن اسد المذاهب واصحابها اصلاً ليقلد اهله فيه وجهان مذكوران كالوجهين السابقين في البحث عن الاعلم والاثق من المفتين « والثاني » يلزمه وبه قطع ابو الحسين الكيا^(١) وهو جار في كل من لم يبلغ رتبة الاجتهاد من الفقهاء واصحاب سائر العلوم

« الرابع »

اذا اختلفت عليه فتوى مفتين ففيه خمسة اوجه للاصحاب « احدها » يأخذ باغظها « والثاني » ما خفها « والثالث » يجتهد في الاولى و يأخذ بفتوى الاعلم لا الاورع كما سبق واختاره السمعاني الكبير ونص الشافعي رضي الله عنه على مثله في القبله « والرابع » يسأل مفتياً آخر فيأخذ بفتوى من وافقه « والخامس » يفتي فيأخذ بفتوى ايها شاء واختاره ابو اسحق الشيرازي وجماعة

قال التيخ ابو عمرو : المختار ان عليه ان يبحث عن الارجح فيعمل به فانه حكم التعارض فيبحث عن الاوثق بين المفتين فيعمل بفتواه :

وقال النووي: الذي اختاره الشيخ ليس بقوي بل الاظهر احد الالوجه الثلاثة وهي الثالث والرابع والخامس والظاهر ان الخامس اظهرها لانه ليس من الاجتهاد وانما فرضه ان يقلد عالمًا اهلاً لذلك وقد يفعل ذلك بأخذه بقول من شاء منهما والتمس بينه وبين مانص عليه في القبله ان اماراتها حدية فادراك صوابها اقرب فيظهر التفاوت بين المجتهدين فيها والفتاوى اماراتها معنوية فلا يظهر كثير تفاوت بين المختلفين والله اعلم

« الخامس »

قال الخطيب البغدادي : اذا لم يكن في الموضع الذي هو فيه مفت الا واحد لزمه فتواه وقال ابو المظفر السمعاني : اذا سمع المستفتي جواب المفتي لم يلزمه العمل به الا بالتزامه « قال » ويجوز ان يقال انه يلزمه اذا اخذ في العمل به وقيل يلزمه اذا وقع في نفسه صحته « قال السمعاني » وهذا اولى الالوجه قال الشيخ ابو عمرو : لم اجد هذا ايزه وقد حكى هو بعد ذلك عن بعض الاصوليين انه يلزمه الاجتهاد في اعيان المفتين ويلزمه الاخذ بفتوى من اختاره باجتهاده

(١) بكسر الكاف وفتح الباء لفظ عجمي معناه الكبير القدر المتقدم بين الناس (ابن خلكان)

قال الشيخ : والذي نقضه القواعد ان يفصل فيقال : اذا افتاء المفتي نظر فان لم يوجد مفت آخر يلزمه الاخذ بقنواه ولا يتوقف ذلك على التزامه لافي الاخذ بالعلم به ولا بغيره ولا يتوقف ايضاً على سكون نفسه الى صحته وان وجد مفت آخر فان استبان ان الذي افتاء هو الاعلم الاوثق لزمه بناء على الاصح في تعيينه وان لم يستبين ذلك لم يلزمه ما افتاء بمجرد افتائه اذ يجوز له استفتاء غيره وتقليده ولا يعلم اتفاقهما في الفتوى فان وجد الاتفاق او حكم حاكم لزمه حينئذ

« السادس »

اذا استفتي فافتى ثم حدثت تلك الواقعة له مرة أخرى قبل يلزمه تجديد السؤال فيه وجهان « احدهما » يلزمه لاحتمال تغير رأي المفتي « والثاني » يحمل به وهو الاصح لانه قد عرف الحكم اولا والاصل استمرار المفتي عليه وخصص صاحب الشامل الخلاف فيما اذا قلد حياً وقطع فيما اذا كان ذلك خبراً عن ميت فانه لا يلزمه والصحيح انه لا يختص فان المفتي على مذهب الميت قد يتغير جوابه على مذهبه

« السابع »

له ان يستفتي بنفسه وله ان يبعث ثقة يعتمد خبره ليستفتي له وله الاعتماد على خطأ المفتي اذا اخبره من يثق بقوله انه خطأ او كان يعرف خطئه ولم يشك في كون ذلك الجواب بخطئه

« الثامن »

ينبغي للمستفتي ان يتأدب مع المفتي ويجله في خطابه وجوابه ونحو ذلك ولا يومي ييده في وجهه ولا يقل له مانتحفظ في كذا او ما مذهب امامك ولا يقل ان اجابه هكذا قلت لنا ولا يقل افتائي فلان او غيره بكذا ولا يقل ان كان جوابك موافقاً لمن كتب فاكتب والا فلا تكتب ولا يسأله وهو قائم او مستوفز او على حالة ضجر او هم او غير ذلك مما يشغل القلب

وينبغي ان يبدأ بالاسن الاعلم من المقتدين وبالأولى فالأولى ان اراد جمع الاجوبة في رقعة وان اراد افراد الاجوبة في رفاعة بدأ بمن شاء وتكون رقعة الاستفتاء واسعة ليتمكن المفتي من استيفاء الجواب واضحاً لا مختصراً مضرراً بالما تنفي ولا يدع الدناء لمن يستفتيه قال الصيمري : فان اقتصر على فتوى واحد قال مائقول رحمك الله اورضي عنك او وقفك الله اوسددك وورضي عن والدك وان اراد جواب جماعة قال مائقولون

رضي الله عنكم او ما نقول الفقهاء سددهم الله تعالى ويرفع الرقعة الى المفتي منشورة
ويأخذها منشورة فلا يحوجه الى نشرها ولا الى طيها

« التاسع »

يذني ان يكون كاتب الرقعة ممن يحسن السؤال ويضعه على الغرض مع ابانة الخط
واللفظ وصيانتها عما يتعرض للتصحيف « قال الصيمري » يحرص ان يكون كاتبها من
اهل العلم وكان بعض الفقهاء ممن له رياسة لا يفتي الا في رقعة كتبها رجل فقيه من اهل
العلم ببلده

ويذني له امي ان لا يطلب المفتي بالدليل ولا يقل لم « قال النووي » : فان احب ان
تسكن نفسه لسماع الحجة طلبا في مجلس آخر او في ذلك المجلس بعد قبول الفتوى بمجرد
وقال السمعاني : لا ينعى من طلب الدليل وانه يلزم المفتي ان يذكر له الدليل ان كان
مقطوعا به ولا يلزمه ان لم يكن مقطوعا به لانتقاره الى الاجتهاد ويقصر فهم العامي عنه

(العاشر)

اذا لم يجد صاحب الرقعة مفتيا ولا احدا ينتقل له حكم واقعته لا في بلده ولا في
غيره قال الشيخ - ابن الصلاح - هذه مسألة قرة الشريعة الاصولية وحكمها حكم ما قبل
ورود الشرع والصحيح في كل ذلك القول بانتفاء التكليف عن العبد وانه لا يثبت
في حقه حكم لا ابجاب ولا تحريم ولا غير ذلك فلا يؤخذ اذن صاحب الواقعة باي شيء
صنعه فيها والله تعالى اعلم

هذا ما اثرناه عن شرح المذهب للنووي

(من افتي بالحديث الصحيح مخالفا لمذهبه)

قال الامام النووي ^(١) صح عن الشافعي رحمه الله انه قال : اذا وجدتم في كتابي
خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا
قولي : وروي عنه : اذا صح الحديث خلاف قولي فاعملوا بالحديث واتركوا قولي :
او قال : فهو مذهبي : وروي عنه هذا المعنى بالفاظ مختلفة

وقد عمل بهذا اصحابنا في مسألة الثوب واشتراط التحليل من الاحرام بعذر
المرض وغيرها مما هو معروف في كتب المذهب

وقد حكى ابو اسحق الشيرازي في ذلك عن الاصحاب فيها من حكى انه افتي بالحديث

(١) في مقدمة شرح المذهب

من اصحابنا ابو يعقوب البوطي و ابو القاسم الدارلي ، ومن نص عليه ابو الحسن الطبري في كتابه في اصول الفقه ، ومن استعمله من اصحابنا المحدثين الامام ابو بكر الصديقي وآخرون

وكان جماعة من متدي اصحابنا اذا رأوا مسألة فيها حديث ومذهب الشافعي خلافا عملوا بالحديث واقتوا به قائلين : مذهب الشافعي ما وافق الحديث : انتهى وفي شرح الهداية لابن الشحنة - من كبار الحنفية - ، اذا صح الحديث وكان على خلاف المذهب عمل بالحديث ويكون ذلك مذهب ولا يخرج مقلده عن كونه حنفيا بالعمل ! فقد صرح به انه قال : اذا صح الحديث فهو مذهبي وقد حكى ذلك ابن عبد البر عن ابي حنيفة وغيره من الائمة !!

وقال الامام السندي في حواشيه على فتح القدير - من كتب الحنفية - (١) : الحديث حجة في نفسه واحتمال النسخ لا يضر فان من سمع الحديث الصحيح فعمل به وهو منسوخ فهو معذور الى ان يبلغه النسخ ، ولا يقال لمن سمع الحديث الصحيح لا يعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وفلان فانما يقال له انظر هل هو منسوخ ام لا ، اما اذا كانت الحديث قد اختلف في نسخه فالعامل به في غاية العذر فان تطرق الاحتمال الى خطأ المفتي اقوى من تطرق الاحتمال الى نسخ ما سمعه من الحديث ، قال ابن عبد البر : يجب على كل من بلغه شيء ان يستعمله على عمومته حتى يتبين عنده ما يخصه او ينسخه ، وايضا فان المنسوخ من السنة في غاية القلة حتى عده بعضهم احدا وعشرين حديثا ، واذا كان العامي يسوغ له الاخذ بقول المفتي بل يجب عليه مع احتمال خطأ المفتي كيف لا يسوغ له الاخذ بالحديث اذا فهم معناه وان احتمل النسخ ، ولو كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسوغ العمل بها بد صحتها حتى يعمل بها فلان وفلان لكان قولهم شرطا في العمل بها وهذا من ابطال الباطل وقد اقام الله تعالى الحجة برسوله صلى الله عليه وسلم دون آحاد الامة ، ولا يعرض احتمال الخطأ لمن عمل بالحديث وافق به بعد فهمه الا واضعاف اضعاف حاصل لمن افق بتقليد من لا يعلم خطؤه من صوابه ويحري عليه التناقض والاختلال ويقول القول ويرجع عنه ويحكي عنه في المسألة

(١) نقله العلامة ابن عابدين في رد المحتار

(٢) نقله الامام الفلاني المحدث الشهير ذوالاسناد العالي في كتابه ابقاظ الهمم

عدة اقوال ، وهذا كله فبين له نوع اهلية اما اذا لم يكن له اهلية ففرضه ما قال الله تعالى « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » واذا جاز اعتماد المستفتي على ما يكتبه له المفتي من كلامه او كلام شيخه وان علا فلان يجوز اعتماد الرجل على ما كتبه الثقات من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى بالجواز ولو قدر انه لم يفهم الحديث فكما لو لم يفهم فتوى المفتي يسأل من يعرفها فكذلك الحديث انتهى كلام السندي لمخضا وقد اطال من هذا النفس العالي رحمه الله ورضي عنه .

(ايشار الفتوى بالآثار السلفية)

قال ابن القيم في اعلام الموقعين : اعلم ان فتاوى الصحابة اولى ان يؤخذ بها من فتاوى التابعين وفتاوى التابعين اولى من فتاوى من بعدهم ، وكلما كان العهد بالرسول صلى الله عليه وسلم اقرب كان الصواب فيه اغلب ، وهذا الحكم بحسب الجنس لا بحسب كل فرد فرد من المسائل فان عصر التابعين وان كان افضل من عصر تابعيهم فانما هو بحسب الجنس لا بحسب كل شخص شخص ولكن الفضلون في العصر المتقدم اكثر من الفضلين في العصر المتأخر وهكذا الصواب في اقوالهم اكثر من الصواب في اقوال من بعدهم : وتمة كلامه درر لا يستغنى عن مراجعتها

(عناية المفتي بتعليل الاحكام وبيان اسرارها)

قال الفزالي في المستصفي : ان في معرفة باعث الشرع ومصلحة الحكم استمالة القلوب الى الطائفة والقبول بالطبع والمسارة الى التصديق فان النفوس الى قبول الاحكام المعقولة الجارية على ذوق المصالح اميل منها الى قهر التحكم ومرارة التعبد ولئلا هذا الغرض استحسب الوعظ وذكر محاسن الشريعة ولطائف ما فيها . وكون المصلحة مطابقة للنص وعلى قدر حذقه يزيد ما حسنا ونأكيدها ومن احسن المؤلفات في اسرار الشريعة اعلام الموقعين وحجة الله البالغة .

(حذر الفتوى بنسخ نص الابنص)

قال الامام ابو محمد بن حزم في مقدمة المحلى : ولا يحل لاحد ان يقول في آية اوفي خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت هذا منسوخ وهذا مخصوص في بعض ما يقتضيه ظاهر لفظه ولا ان لهذا النص تأويلا غير مقتضى ظاهر لفظه ولا ان هذا الحكم غير واجب علينا من حين وروده الا بنص آخر وارد بان هذا النص كما ذكر

او باجماع متيقن بانه كما ذكر بضرورة حسن موجبة انه كما ذكر والا فهو كاذب انتهى
وقال العلامة ابو النصر القزافي ^(١) القورصاوي في كتابه الارشاد : ان الاعتصام
بالكتاب والسنة اصل اصيل من اصول الدين والناس رفضوا هذا القطب حتى حسبوا
ان الحديث الموجب للعمل مفقود ، وان السبيل دون الوصول اليه مسدود ، ولما كانت
هذه بدعة عم في الدين ضررها ، واستطار في الخلق شررها ، وجب كشف الغطاء
(الى ان قال) فيقال لهؤلاء المخترعين هذا القول الذي وصفناه هل تجدون هذا الذي
قلتم عن احد يلزم قوله والا فعملوا دليلا على ما زعمتم

فان ادعوا قول احد من علماء الساب بما زعموا من كون الاخبار الثابتة بنقل الثقات
حجة على المجتهدين لا تلي غيرهم طولوا به ، ولن يجحدوا هم ولا غيرهم الى ايجاده سبيلا ،
وان ادعوا فيما زعموا دليلا يحتج به يقال ماذلك الدليل . فان قالوا ان الحديث
يحتمل الوضع يقال ليس الذي يقوم حجة خبر كل من نصب نفسه محدثا بل مارواه
واصنده الائمة المتمدنون المعروفون بالصدق والامانة والثقات الراسخون في العلم عن قوم
مراضين عندهم وصححوه مثل مالك بن انس ومسلم بن الحجاج ومحمد بن اسماعيل البخاري
ومحمد بن ادريس الشافعي واحمد بن حنبل ومحمد بن عيسى الترمذي وسليمان بن اشعث
السجستاني وغيرهم من الائمة المعروفين ، وكتبهم باسانيدهم بين العلماء معتمدة مشهورة
حتى قالوا ان الحديث اذا نسب اليهم فكأنه اسند الى النبي صلى الله عليه وسلم
لانهم قد فرغوا من الاسناد واغنون عنه ، ومن ثم لم يزلوا يفترون على صحة
السند او الحديث اضعفه فكما ان المجتهد يعتمد على خبره على الاسناد من جهة
الثقات فكذلك غيره ، وكما ان خبر الواحد الثقة عن الواحد الثقة حجة يلزم به العمل
على المجتهد وهو محجوج به فكذلك غيره ، وكما يجب علينا الانقاء من حديث لا يعرف
صحة مخارجه والستارة في ناقله فكذلك على المجتهد

وايضاً ان الخبر يقين باصله لانه من حيث انه قول الرسول عليه السلام لا يحمّل
الخطأ وانما الشبهة باعتبار النقل حيث يحمّل السهو والنسيان ، وقول الفقيه يحمّل

(١) هو عبد الصير بن ابراهيم البلقاري كان من كبار علماء قزان الخنفية ومن
الداعين الى انكشاف السنة وسلك طريق السلف له مؤلفات عديدة منها كتابه هذا
السمي بالارشاد للعباد طبع في قزان ١٣٢١ مع كتاب آخر في تراجم رجاله اسمه المرصاد
في تراجم رجال الارشاد

الخطأ باصله اذ هو يجتهد فينطى^٢ ويصيب واما باعتبار نقله فاكثره خال عن السند اصلا فكما ان وضع الخبر محتمل وصحة الاسناد يدفعه فكذلك وضع الرواية محتمل ولا اسناد حتى يدفعه

والصحابه رضي الله عنهم كانوا متفقين على ترك الرأسية بالسنة وهو حجة شرعية فكيف لا يترك التقليد بها وهو ليس بحجة اصلا

فالواجب على من بلغه الحديث ان يعمل به هذا في فقهاء الصحابة رضي الله عنهم فكيف فيمن دونهم وقد صح عن الشافعي رضي الله عنه انه قال : اذا صح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فاتركوا قولي فانه مذهبي : وقال علي بن محمد القاري : وهذا مذهب كل مسلم .

واما قولهم : الحديث محتمل النسخ والتأويل : قلنا اذا ظهر ناسخه فلا نزاع في سقوط العمل به وان لم يظهر فلا يترك العمل بالدليل الدائب لاحتمال النسخ بل يعمل به حتى يظهر ناسخه ، ولو صار الدليل متروكا بكل احتمال لم يبق دليل ممولا به الا ترى الى ما نقله اصحاب الاصول عن ابي حنيفة ومحمد وحسن بن زياد رضي الله عنهم ان الحديث وان كان منسوخا لا يكون ادنى درجة من الفتوى ما لم يبلغه النسخ ، وايضا قد شاع عن الفقهاء الرجوع عن قول الى قول فهذا القول الذي يخالف الخبر الصحيح يجوز ان يكون قولاً مرجوحاً عنه فيكون كلا قول فكيف يترك الحديث الثابت باسناؤه لاحتمال النسخ ولا تترك الرواية الخالية عن السند لاحتمال رجوع قائلها بل الظاهر انه لم يبلغه الحديث ولو بلغه لرجع اليه او كان ذلك المروي مذهبه قبله الحديث وترك مذهبه بالحديث ورجع اليه احساناً للطن به فانه ان خالف الحديث لقلة المبالة والتهاون به سقطت عدالته فلا تقبل روايته وفتواه

وكذلك قولهم : يترك النص لاحتمال كونه مؤولا : قلنا احتمال التأويل اما ان يكون ناشئاً عن قرينة او خفاء فيه كما اذا كان مشتركاً او مشكلاً او مجعلاً مثلاً اولاً فان كان الثاني فلا عبرة للاحتمال اصلا اذ المراد من الكلام ظاهره عند خلوه عن قرينة تصرفه عنه والمقتل لا يستعملون الكلام في خلاف الاصل عند عدم القرينة والا ليطل فائدة الخطاب ، والغرض عن ظل جدار غير مائل لتوهم السقوط ينسب الى السفه ولا كذلك اذا كان مائلا ، وان كان الاول فان قدر على ترجيح احد المعاني المحتملة بالرأي فيعمل بما ترجح عنده وان لم يقدر على الترجيح وكان جواب المسألة بما استبر

وظهر وانجلي عن اصحابنا ارجوان يسع الاعتماد عليه والعمل به ان شاء الله تعالى ،
الا ترى الى قول العلماء ان التمسك في الاصول بالكتاب والسنة واجماع الامة مع
المجانبة عن الهوى والبدعة وفي الفروع بالجمع عليه ثم بالاحوط ثم بالاوثق دليلا ثم
بقول من ظن انه اعلم واورع

وايضا كما ان التأويل محتمل في الحديث كذلك محتمل في فتوى الفقيه فان جاز
فهم المراد من الفتوى لظهوره جاز فهم المراد من الحديث ايضا لظهوره ، وليس الفقيه
باقدر على الفهم من النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذا القول الذي احديثه وحكيته عنهم
من لزوم الاعراض عن سنن النبي واحديثه صلى الله عليه وسلم بالنسبة التي وصفها
احقر واصغر من ان يتقل ويثار ذكره اذ هو قول محدث وكلام خلف يستنكره اهل
العلم وجبهم داحضة عند العقلاء ، واما الحق فلا يلتفت اليهم فلا حاجة في رده
باكثر مما شرحنا اذ قدر المقالة وقائلها القدر الذي وصفناه والله المستعان على دفع ماخالف
السنة ومذهب اهل السنة وعليه النكلا انتهى كلامه بحرفه

(وجوب تحري المفتي من الاقوال ارجحها)

ان مما يدعو للنظر والتروي في الفتيا كثرة المذاهب والاقوال في المسألة فليس
مذهب احق من مذهب ولا قول ارجح من آخر الا بالدليل والبرهان الذي يدعمه
ويؤيده ويثبت اجلي بيان

وقد اتفق الاصويون كافة على وجوب اتباع المفتي الاقوى دليلا والاقوم برهانا
من اي مذهب كان قال الامام النووي في مقدمة شرح المذهب : ليس للمفتي ولا للعامل
في مسألة القولين ان يعمل بما شاء منها بغير نظر بل عليه العمل باربعهما :

وقال العلامة ابو النصر القزاني الحنفي^(١) في كتابه الارشاد : وليس للمفتي الفتوى
باحد القولين او الوجهين من غير نظر بل عليه العمل بالارجح والجمهور من المحققين
قالوا : ان العمل والفتوى بالجمع عليه ثم بالاحوط ثم بالاوثق دليلا ثم بقول من ظنه
اعلم واورع ولذلك ترى المنتسبين الى مذهب يفتون بخلاف قول امامهم كالحنفية يقلدون
ابا حنيفة فيما لم يظاهر على خلاف قوله دليل اقوى من دليله واذا ظهر الدليل الراجح على
دليله يفتون ويعملون على خلاف قوله ويتولون الفتوى على قول ابي يوسف او على
قول محمد او على قول زفر مثالا وينقلون قول ابي حنيفة رضي الله عنه في ظاهري الرواية

على خلافه وكذلك ابو يوسف او محمد مثلاً من ينتسبون لمذهب ابي حنيفة فانهم يقلدونه فيما لا دليل عندم واذا قام الدليل على خلافه يفتنون بغير قوله لان الواجب متابعة الدليل الراجح عند قيامه والتقليد انما يصر اليه عند الضرورة مقدرة بقدرها انتهى

وقال الامام ابن هبيرة في الايضاح : اذا خرج^(١) من خلاف الائمة المجتهدين متوخياً مواطن الاتفاق ما لم يكنه كان آخذاً بالحزم عاملاً بالاولى وكذلك اذا قصد في مواطن الخلاف توخي ما عليه الاكثر منهم والعمل بما قاله الجمهور دون الواحد فأنه يأخذ بالحزم مع جواز عمله بتول الواحد الا انني اكره له ان يكون مقتصرأ في حكمه على اتباع مذهب ابيه او شيخه مثلاً فاذا حضر عنده خصمان كان ما شاجرا فيه مما يقضي الائمة الثلاثة بحكمه نحو التوكيل بشر رضا الخصم وكان الحاكم حنفياً وعلم ان مالكاً والشافعي واحمد اتفقوا على جواز هذا التوكيل وان ابا حنيفة يمنعه فعدل عما اجتمع عليه هؤلاء الائمة الثلاثة الى ما ذهب اليه ابو حنيفة بمفرده من غير ان يثبت عنده بالادلة ما قاله ولا اذاه اليه اجتهداه فاني اخاف عليه من الله عز وجل ان يكون اتبع في ذلك هواه ولم يكن من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه (وكذلك) ان كان القاضي مالكياً واختصم اليه اثنان في سؤر الكلب فقضي بطهارة مع علمه بان الفقهاء كلهم قد قضوا بنجاسته (وكذلك) ان كان القاضي شافعيًا واختصم اليه اثنان في مزرك التسمية عمداً فقال احدهما هذا منعي من بيع شاة مذكاة وقال آخر انما منه من يبيع الميتة فقضي عليه بمذهبه وهو يعلم ان الائمة الثلاثة على خلافه (وكذلك) ان كان القاضي حنبلياً فاخصم اليه اثنان فقال احدهما لي عليه مال فقال الآخر كان له علي مال ولكن قضيت فقضي عليه بالبراءة مع علمه بان الائمة الثلاثة على خلافه فهذا^(٢) وامثاله مما ارجو ان يكون اقرب الى الخلاص وارجع في العمل اه

وقال الامام ابن عبد البر في جامع العلم : الواجب عند اختلاف العلماء طلب الدليل من الكتاب والسنة والاجماع والقياس على الاصول على الصواب منها وذلك لا يعدم فان استوت الادلة وجب الميل مع الاشبه بما ذكرنا بالكتاب والسنة فاذا لم يبن وجب التوقف ولم يجز القطع الا ييقن فان اضطر احد الى استعمال شيء من ذلك في خاصة نفسه

- (١) يعني الحاكم او المفتي اقلد والا فالمجتهد لا يمشي الامع الدليل واذا عني القضاة والمفتون بما قاله ابن هبيرة ففتح للامة مخارج من مهام كثيرة وابواب تقضيها سماحة الاسلام
- (٢) اي الرجوع الى العمل بما قاله الجمهور اه منه

جازله مايجوز للعامة من التقليد واستعمل عند افراط التشابه والتشاكل وقيام الادلة على كل قول بما يعضده قوله صلى الله عليه وسلم البر ما طأنت اليه النفس والاثم ما حاك في الصدر فدع ما يرياك الى ما لا يريك : هذا حال من لا يتم النظر وهو حال العامة التي يجوز لها التقليد فيما نزل بها وافتاها بذلك علماؤها

واما المفتون فغير جائز عند احد من ذكرنا قوله لا ان يغني ولا يقضي حتى يتبين له وجه ما يغني به من الكتاب او السنة او الاجماع او ما كان في معنى هذه الالوجه انتهى وهو خلاصة الخلاصة ولباب الباب وما الطنب قول الماوردي : يلزم الاجتهاد في كل حكم طريقته الاجتهاد انتهى والمجتهد فيه قال الغزالي هو كل حكم شرعي ليس فيه دليل قطعي وقد ذكر الامام ابن القيم في اعلام الموقعين ان من افنى بقول يعلم ان غيره ارجح منه انه خائن لله ورسوله وللإسلام اذ الدين النصيحة (قال رحمه الله) وكثيراً ما ترد المسألة منعقد فيها خلاف المذهب ولا يسعنا ان نفقي بخلاف ما نعتقد فحكمي المذهب ثم تحكمي المذهب الراجح ونقول هذا هو الصواب وهو الاول ان يؤخذ به وههنا لا بد من التنبيه على انه ليس كل ما يقال عنه ضعيف هو ضعيف حقيقة فندسرى التقليد في كل شيء حتى في التضعيف وليس القول الضعيف ماضعه فقيه رأيه لنجوم مخالفة قاعدة عنده اوقياس او نظير كلا ان الضعيف ما خالف دليلاً صحيحاً من نص او قياس قويم وكمن قول مضعف هو صحيح برهانا ونظرا ووافق للصحة والحكمة الشارع ويوم الله القائل

وكمن من عائب قولاً صحيحاً وأقننه من الفهم السقيم

فعلى المفتي ان يمحص الاقوال ولا يفتر بمجرد التضعيف بل يجري وراء الاسد برهاناً الاصلح عمرانا وقد قال تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »

(الجذر من الفتاوى في تحسين البدع ووجوب الرجوع الى ما آخذها)

قال الامام ابن الحاج المالكي رحمه الله في كتابه المدخل : ولينذر ان يفتر العالم او يميل الى بدعة لدليل قام عنده على ابحاثها من اجل استئناس النفوس بالعوائد او بفتوى مفت قد وهم او نسي او جرى عليه من الاعذار ما يجري على البشر وهو كثير بل اذا نقل اباحة شيء من هذه الامور عن احد من العلماء فيذبحي للعالم بل يجب عليه ان ينظر الى ما أخذ العالم المسألة وجوازها من ابن اخترعها وكيف اجازته لما لان هذا الدين

والحمد لله محفوظ فلا يمكن ان احداً يقول فيه قولاً بغير دليل ولو فعل ذلك لم يقبل منه وهو مردود عليه وتمتة نقية فليرجع اليه^(١)

وقال الامام محمد البلاطنسي في خلال فتوى له : ان الواجب على الشخص ان يلزم طريق السنة ويجنب البدع - لمؤك البدعة ولا ينتز بكثرة الفاعلين لها ولا يكون العامل بها والمواظب عليها عالماً او مرموقاً بعين الصلاح

وقال الامام ابو شامة المشقي : واكثر ما يؤتى الناس في البدع بهذا السبب يكون الرجل مرموقاً بالاعين فيتبعون اقواله وافعاله فتفسد امورهم مع تقادي العهد ونسيان اول هذا الامر كيف كان وقال شيخنا البلاطنسي رحمه الله : ان اهل الزمان انما اتوا من قبل انهم يفتنون في كل ما يسألون عنه ولا يدرون اصابوها ام اخطأوها والمناكر الفظيعة لا يمتنعون لها ولا ينكرونها سئل الامام مالك رضي الله عنه عن ثمانين واربعين مسألة فقال في اثنين وثلاثين منها لا ادري فالفه المشايخ على هؤلاء الذين شهواتهم غالبية على ديانتهم ويفتون بما يندفع في اذهانهم ولا يهتدون انفسهم عما لا يعرفونه واكثرهم ينطبق عليه الحديث الذي في التحريم من قوله صلى الله عليه وسلم : ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واضلوا .

(قال الامام ابو بكر الطرطوشي) فتدبروا هذا الحديث فانه يدل على انه لا يؤتى الناس من قبل علمائهم فقط وانما يؤتون من قبل انه اذا مات علمائهم افتى من ليس بعالم فيؤتى الناس من قبله

قال وقد صرف عمر رضي الله عنه هذا المعنى تصريحاً فقال : ما خان امين قط ولكنه اوتمن غير امين فخان ا قال (ونحن نقول ما ابتدع عالم قط ولكنه استفتي من ليس بعالم فضل واخل انتهي

(استفتاء القلب)

روى الامام احمد والدارمي في مسندهما عن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل عن الرق قلت نعم قال « استفت قلبك الدر ما اطمانت عليه النفس واطمان اليه القلب والاثم ما حاك في النفس وتورد في

(١) ايتأمل في هذا من يؤلف في بعض البدع ويظهرها بقال شرعي في زعمه تزلفاً الى العامة وتغانياً في العادات ومعاندة لمن افتى يدعيها مكابرة وفحاه منه

الصدر وان أفتاك الناس وأفتوك» يشير الى التورع عما هو حلال في الفتوى بحسب ظاهر الحال ولكنه يجد حرازة في قلبه فكل من وجد حرازة واقدم مع ما يجده في قلبه فذلك يضره لانه مأخوذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه وتفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام من احياء علوم الدين

(تغير الفتوى بتغير الاحوال والرد الى المصالح)

عقد الامام ابن القيم في اعلام الموقعين فصلا لتغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الازمنة والامكنة والاحوال والنيات والمادات «وقال» هذا فصل عظيم النفع جدا وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة اوجب من الحرج والمشقة وتكليف مالا سبيل اليه ما يعلم ان الشريعة الباهرة التي في اهل رب المصالح لا تأتي به فان الشريعة مبناها واساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة في شيء وان ادخلت فيها بالثأويل الخ والبحت جدير بالراجعة وللإمام نعم الدين الطوفي بحت واف في المصالح المرسله لا يستغني عن مراجعته مفت ولا حاكم^(١)

(بحث قولهم في الفتوى هذا حكم الله او فما حكم الله في كذا)

المستغني اما ان يسأل عن حكم منصوص عليه او مجتهد فيه ففي الاول لاخلاف في جواز قوله : فما حكم الله : وقول مفتيه هذا حكم الله : لان حكم الله كما قال الغزالي في المستصفي خطاب مسموع او مدلول عليه بدليل قاطع وفي الثاني اعني المجتهد فيه ان قلنا على رأي الجمهور ان الله فيه حكما معينا يتوجه اليه الطلب وقد هيئ له المجتهد وقد يخطئه فلا يسوغ ان يقال فما حكم الله ولا هذا حكم الله لانه مغيب وهو مثل دفين يثر عليه المجتهد بالاتفاق فلن نثر عليه اجران ولن نخطئه اجر واحد لاجل سعيه وطلبه وان قلنا على رأي غيرهم انه ليس في الواقعة التي لانص فيها حكم معين بل الحكم يتبع الظن والفرض على كل مجتهد ما غلب على فانه فله ان يقول ما حكم الله بمعنى ما شرعه واذن فيه وذلك هو ما غلب على ظن المجتهد

وقد غلص هذه المسألة العلامة العبد في شرح مختصر المصنف بقوله المسألة اما لا قاطع

(١) طبع في مجموعة متون في الاصول

فيها من نص او اجماع او فيها قاطع اما التي لا قاطع فيها فقد اختلف فيها فقال القاضي - ابو بكر الباقلاني - والجائي كل مجتهد مصيب بمعنى انه لاحكم معيناً لله فيها وحكم الله فيها تابع لظن المجتهد فما ظنه فيها كل مجتهد فهو حكم الله فيها في حقه وحق مقلده^(١) وقد قيل لله فيها حكم والمصيب واحد وهو الجمهور

وقد استدلل الجمهور بمحدث بريدة^(٢) قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميراً على جيش او سرية او صاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال له واذا حاصرت اهل حصن فارادوك ان تنزلم على حكم الله فلا تنزلم على حكم الله ولكن انزلم على حكمك فانك لا تدري اتصيب فيهم حكم الله ام لا قال المجدا بن نعيم وهو حجة في ان ليس كل مجتهد مصيباً بل الحق عند الله واحد^(٣)

وكذلك بمحدث اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر فدل ان فيه خطأ وصواباً

وقد اجيب عن الحديث الاول بما حكاه العلامة الشوكاني في نيل الاوطار قال وقد قيل ان هذا الحديث لا ينتمض للاستدلال به على ان ليس كل مجتهد مصيباً لان ذلك كان في زمن النبي والاحكام الشرعية اذ ذاك لاتزال تنزل وينسخ بعضها بمفاد

(١) اي فهو مصيب بمعنى انه ادى ما كلف به لانه بذل وسعه واللازم في الاجتهاد ليس الا بذل الوسع لانه المقدر عليه فكل مجتهد مصيب اي اذا اتى بشيء فقد اصابه

(٢) رواه الامام احمد ومسلم والترمذي وصححه

(٣) ومن ذهب الى ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية فقد حكى عنه تلميذه شمس الدين ابن القيم في اعلام الموقعين سابقاً انه قال حضرت مجلساً فيه القضاة وغيرهم فجزت حكومة حكم فيها احدم بقول زفر فقلت له ماهذه الحكومة فقال هذا حكم الله فقلت له صار قول زفر هو حكم الله الذي حكم به والزم به الامة قل هذا حكم زفر ولا تقل هذا حكم الله او نحو هذا من الكلام وصدر ابن القيم هذا البحث في الجزء ٣ ص ٤١٨ بقوله لا يجوز للفتي ان يشهد على الله ورسوله بانه احل كذا او حرمه او اوجبه او كرهه الا لما يعلم ان الامر فيه كذلك مما نص الله ورسوله على اباحته او تحريمه او ايجابه او كراهته بخلاف ما وجدته في كتابه الذي تلقاه عن قلده الى آخر ما ذكره وقد علمت مبني الخلاف في هذه المسألة اهـ منه

ويخصص بعضها لبعض فلا يؤمن ان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم حكم خلاف الحكم الذي قد عرفه الناس :

واجاب الامام الغزالي في المستصفى عن الحديث الثاني بقوله والجواب من وجهين «الاول» ان هذا هو التقاطع على ان كل واحد مصيب اذ له اجر والا فالخطي^١ الحاكم بغير حكم الله تعالى كيف يستحق الاجر (الثاني) هو انا لانكرو اطلاق اسم الخطي على سبيل الاضافة الى مطلوبه لالي ماوجب عليه فان الحاكم يطلب رد المال الى مستحقه وقد يخطي ذلك فيكون مخطئاً فيما طلبه مصيباً فيما هو حكم الله تعالى عليه وهو اتباع ماغلب على ظنه من صدق اليهود وكذلك كل من اجتهد في القبلة يقال اخطأ اي اخطأ ماطلبه ولم يجب عليه الوصول الى مطلوبه بل الواجب استقبال جهة بظن ان مطلوبه فيها (ثم قال) «فان قيل» ولم كان لمصيب اجران وهما في التكليف واداء ما كلفا سواء «قلنا» لضاء الله تعالى وقدره وارادته فانه لو جعل للخطي^٢ اجرين لكان له ذلك وله ان يضاعف الاجر على اخف العملين لان ذلك منه تفضل ثم السبب فيه انه ادى ما كلف وحكم بالنص اذ بلغه والاخر حرم الحكم بالنص اذ لم يبلغه ولم يكلف اصابته لعجزه فقانه فضل التكليف والامثال

والبحث جدير بالعناية وقد جوده حجة الاسلام الغزالي في المستصفى فارجع اليه

(الحذر من رد النص بالتأويل)

قال الامام نبي الدين ابن دقيق العيد من ائمة الشافعية^(١) : ان الفقه في الدين منزلة لا ينجي شرفها وعلاها ولا تختجب عن العقول طوالها واضواها وارفعها بعد فهم كتاب الله المنزل والبحث عن معاني حديث نبيه المرسل اذ بذلك تثبت القواعد ويستقر الاساس وعند يقوم الاجماع ويصدر التماس لكن شرط ذلك عندنا ان يحفظ هذا النظام ويجعل الرأي هو المأموم والنص هو الامام وترد المذاهب اليه وترد الآراء المنتشرة حتى نفث بين يديه

واما ان يحمل الفرع اصلا ويرد النص اليه بالتكلف والتحويل ويحمل على ابعد المحامل بلطافة الوهم وسعة التخييل ويرتكب في تقرير الآراء الصعب والدول ويحتمل من التأويلات ما تنفر منه النفوس وتستنكره العقول فذلك عندنا من اردء مذهب واسوء طريقة ولا نعتقد انه يحصل معه النصيحة للدين على الحقيقة وكيف يتبع امر مع

(١) في خطبة شرح الامام كما نقله عنه السبكي في طبقاته في ترجمته اه منه

رجحان منافيه واتى بصح الوزن بميزان مال احد الجانبين فيه ومتى ينصف حاكم ملكته
غضبية العصبية واين يقع الحق من خاطر اخذته العزة بالحمية الخ

(الفتوى في امر لم يقع)

قال الامام ابو شامة رحمه الله في كتابه (المؤمل في الرد الى الامر الاول)
ما مثاله : كان الصحابة اذا نزلت بهم النازلة بحثوا عن حكم الله تعالى فيها من كتاب الله
وسنة نبيه وكانوا يدافعون الفتوى ويد كل منهم لو كفاه اياها غيره وكان جماعة منهم
يكرهون الكلام في مسألة لم تقع ويقولون للسائل عنها : اكن ذلك : فان قال لا
قالوا : دعه حتى يقع ثم نجتهد فيه : كل ذلك يقولونه خوفا من الهجوم على ما لا علم لهم
به واستغفالا بما هو الامم فاذا وقعت الواقعة لم يكن بد من النظر فيها
قال الحافظ البيهقي : وقد كره بعض السلف للعوام المسألة عما لم يكن ولم يحض به
كتاب ولا سنة وكرهوا للمسؤل الاجتهاد فيه قبل ان يقع لان الاجتهاد انما ابيح للضرورة
ولا ضرورة قبل الواقعة وقد تغير اجتهاده عند الواقعة فلا يفتيهم ما مضى من الاجتهاد
واحتج في ذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم : من حسن اسلام المرء تركه
مالا بعينه : انتهى

(المواضع التي يجب فيها على المفتي المناظرة او يستحب وشرح فوائدها)

قال حجة الاسلام الزالي في المستصفى : المحصلون يمتقدون وجوب المناظرة
لنرضين واستجابها لسته اغراض

(اما الوجوب) ففي موضعين (احدهما) انه يجوز ان يكون في المسألة داليل قاطع
من نص او مافي معنى النص او داليل عقلي قاطع فيما يتنازع فيه في تحقيق مناط الحكم
ولو غير عليه لامتنع الظن والاجتهاد فعليه المباحثة والمناظرة حتى ينكتف انتفاء القاطع
الذي يأثم ويعصى — المجتهد — بالفتلة عنه (الثاني) ان يتعارض عنده دليان ويعسر
عليه الترجيح فيستعين بالمباحثة على طلب الترجيح فانما وان قلنا على رأي انه يتخير فلما
يتخير اذا حصل اليأس عن طلب الترجيح وانما يحصل اليأس بكثرة المباحثة

(واما الدب) ففي مواضع (الاول) ان يمتقد فيه انه معاند فيما يقوله غير معتقد
له وانه انما يخالف حسداً او عناداً او نكراً فيناظر ليزيل عنهم معصية سوء الظن ويبين
انه يقوله عن اعتقاد واجتهاد (الثاني) ان ينسب الي الخطاء وانه قد خالف دليلا

قاطعاً فيعلم جهلهم فيناظر ليزيل عنهم الجهل كما ازال في الاول مصيبة التهمة (الثالث) ان ينبه الخصم على طريقته في الاجتهاد حتى اذا فسد ما عنده لم يتوقف ولم يتغير وكان طريقته عنده عتيداً يرجع اليه اذا فسد ما عنده وتغير فيه غلته (الرابع) ان يعتقد ان مذهبه اثقل واشد وهو لذلك افضل واجزل ثواباً فيسعى في استرجار الخصم من القاضل الى الافضل ومن الحق الى الاحق (الخامس) انه يفيد المستمعين معرفة طرق الاجتهاد وبذلك لم يسلكه ويحرك دواعيهم الى نيل رتبة الاجتهاد ويهديهم الى طريقته فيكون كالمعاونة على الطاعات والترغيب في القربات (السادس) وهو الام ان يستفيدوا وخصمه تذليل طرق النظر في الدليل حتى يترقى من الظلمات الى ما للحي في واحد من الاصول فيحصل بالمناظرة نوع من الارتياض وتحيز الغلطات وتقوية المنة في طلب الحقائق ليترقى به الى نظر هو فرض عينه ان لم يكن في البلد من يقوم به او كان قد وقع اليك في امر من الاصول او الى ما هو فرض على الكفاية اذ لا بد في كل بلد من عالم مليء بكشف معضلات اصول الدين وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب متعين ان لم يكن اليه طريق سواء وان كان اليه طريق سواء فيكون هو احدى خصال الواجب فهذا في بعض الصور يلتحق بالمناظرة الواجبة

فهذه فوائد مناظرات المحصلين اه وهو من احسن ما كتب فيها وبه يعلم ان الدخول في المناظرة انما هو للمجتهد وقد صرح به حجة الاسلام عليه الرحمة ايضاً في بحث آداب المناظرة من كتاب العلم في الاحياء واما المقلد فقد قال عليه الرحمة في كتابه فيصل التفرقة : ان شرط المقلد ان يسكت ويسكت عنه : في كلام بدعي ينبغي مراجعته وما اللطف قول ابن سهل : فما اضيع البرهان عند المقلد والله اعلم

(نموذج من فتاوى القرن السابع وتوقيع عدة مفتين على فتوى واحدة)

في فتاوى تاج الدين الفزاري التهري بابن الفركاح - من ائمة الشافعية - مامثاله

(واقعة)

قرية موقوفة على شخصين على سبيل الاشاعة الوقف المحيح الشرعي فوضع شخص يده على نصف الارض واستقلها وبقي النصف الآخر في يد الشريك فهل يكون الحاصل من مغل النصف الباقي بين الشريكين ام لا

اجاب الشيخ شمس الدين عبد الرحمن ابن نوح المقدسي ^(١) اذا كانت مشاعة غير

(١) من كبار علماء دمشق مدفون في مقبرة الصوفية المعروفة بالبرامكة

مقسومة فالنصيب واقع عليهما ومغل ما لم توضع عليه اليد بينهما لا يختص به الشريك الذي هو في يده

وصحح علي جوابه عبد الكريم الانصاري

وكتب قاضي الحنفية الصدر سليمان : نعم يكون بينهما الا ان يكون ثناء ملكه

وكتب بعض الحنابلة : نعم يكون ذلك بينهما علي حسب شرط الواقف

وفيها ايضاً ما مثاله

(حادثة)

وقعت لتقيب الاشراف بدمشق سنة (٦٦٦) كان قد حوسب فخرج عليه في الحساب

سنة آلاف فقال : صرفتها في المداراة عن الوقف : فقال الاشراف : مانع ما

المداراة بين لنا اريدت به : فقال : ما يلزمني ذلك شرعاً : فكتب في ذلك سؤال

فكتب تاج الدين : ان لم يكن المتولي حاكماً فعلياً ببيان جهة المداراة ويكون

ضامناً ان اصر علي الامتاع من البيان . وساعده اتهم الموقفي على ذلك

وكتب البرهان المراغي : انه لا يلزمه بيان المداراة :

فلما كان يوم الجمعة السادس والعشرون من شوال من السنة المذكورة عقد مجلس

بالعادية عند قاضي القضاة ابن خلكان وحضر القيب وقال : ان الفقهاء اثنوا انه

لا يلزمه بيان المداراة : فنظره الشيخ ^(١) في ذلك فرجعوا الى قوله وهذا لان المداراة

من غير الحاكم لا بد من تفسيرها لانها في مظنة الاجتماع فانه قد يعتقد مصلحة

ما ليس مصلحة الخ

وفيها ايضاً ما صورته :

(واقعة)

كان بدمشق شخص يعرف بناصر الدين ابن مجاور في سنة (٦٧٣) وقف غراساً

على مغارة الدم بجبل قاسيون ظاهر دمشق واشهدنا بالوقفية ولم يكتب كتاب وقف

فلما توفي كان لبيت المال في ميراثه نصيب فتنازع وكيل بيت المال في الغراس فكتب

محضر مضمونه ان ابن مجاور وقف ذلك الغراس علي مغارة الدم وعلي مصارفها وفقاً

صحيحاً شرعياً فقال الوكيل المصارف مجهولة وكتب في ذلك سؤال

(١) يعني تاج الدين الفزاري صاحب الفتاوى المنقول عنها

فكان الجواب ان المصارف الجهات المعينة في كتاب وقف مغارة الدم المقدم على وقف هذا الفراس

ولما حضر الشهود عند القاضي كانت صورة شهادتهم : انهم يشهدون على اقرار ابن مجاور انه وقف ذاك الفراس على مغارة الدم : ولم يقولوا وعلى مصارفها فتوقف القاضي لذلك في الحكم ونازع الوكيل وقال : ان هذه الشهادة لا تقبل : فكشبت في ذلك سؤالا

اجاب تاج الدين فيه بان هذه الشهادة ثبت بها الوقف ويحكم الحاكم بالوقف بها مستنداً على ذلك بانهما شهدا على اقراره بالوقف ومطلق الاقرار بالوقف محمول على الصحيح والصحيح ما اجتمع فيه الشرائط المعتبرة فيه وساعده على ذلك البرهان المراغي والشيخ محي الدين النواوي وغيرها وفيها ايضا ماناه

(واقعة)

وقف وفقاً صحيحاً شرعياً على بعض جهات البر وحكم به حاكم من حكام المسلمين واستثنى الواقف النظر فيه لنفسه مدة حياته وله ان يفوض ذلك الى من يرى في حياته وبعد وفاته وكذلك كل من آل اليه النظر في هذا الوقف له ان يفوضه الى من يراه اهلاً لتلك في حياته وبعد وفاته ولم يجوز هذا الواقف لتاخر من النظر في هذا الوقف ان يفوضه الا الى من يعلم عدالته وامانته وصلاحه ويختار من هو على هذه الصفات من اقرب الناس الى الواقف ثم الاقرب فالاقرب الى الاعلى من نسله فان لم يكن من عصبته احد موصوف بهذه الصفات فعند ذلك يفوض الى من هو على هذه الصفات من عشيرة هذا الواقف فان لم يوجد منهم احد فوضه الى من هو على هذه الصفات من الاجانب على حسب ما يراه وان كان الابدع على هذه الصفات والاقرب عراً عنها فيقدم الموصوف بهذه الصفات على الاقرب ومتى عاد الاقرب الى هذه الصفات وانصف بها عاد النظر اليه ومتى مات الناظر من غير وصية ولا تفويض كان النظر بعده مفوضاً الى الاقرب فالاقرب الى الواقف من الموصوفين بهذه الصفات على الشرط المذكور فان مات الناظر ولم يفوض الى احد ولم يبق من عشيرة الواقف المذكور احد موصوف بهذه الصفات كان النظر في الوقف مردوداً الى كل حاكم يتولى الحكم بمدينة كذا فاستند الواقف النظر في ذلك الى اخيه زيد ثم ان اخا الواقف اسند النظر الى ولده عمرو اذ لم يكن

للوافق احد اقرب منه ثم ان عمراً اسند الى ولده بكر مع وجود من هو اقرب الى الوافق فهل يصح اسناد عمرو ام لا واذا لم يصح فيكون النظر الى اقرب الناس للوافق بشرط الوقف واذا كان الاقرب الى الوافق امرأة وهي موصوفة بالصفات المشروطة في النظر فهل يعود النظر اليها لكونها اقرب الى الوافق ام لا

اجاب الزين ابن النجما الحنبلي : لا يصح اسناد عمرو الى ولده مع وجود من هو اقرب منه الى الوافق واذا مات عمرو ولم يحل النظر الى من له جعله كان النظر الى الاقرب الى الوافق الموصوف بما ذكر واذا كان الاقرب امرأة موصوفة بما شرط وكان الوقف لا يتضرر بنظرها لقيامها بالواجب فيه اما بنفسها واما بنائبها كان النظر اليها وكتب :
كتبه ابن النجما الحنبلي

وكذلك بعده ابراهيم بن احمد بن عتبة الحنفي

اجاب التقي ابن تيمية الحنبلي : لا يصح اسناد عمرو والحالة هذه بل يكون النظر الى اقرب الموجودين الى الوافق من المتصفين بالصفات المشروطة بمقتضى شرط الوافق اذ التفويض الفاسد كلا تفويض وسواء كان رجلاً او امرأة لان نظام العموم لما وقد فوض عمر رضي الله عنه وقفه الى حفصة وكتب : كتبته احمد بن تيمية

ووافقه على ذلك الشرف المقدسي الشافعي

هذه نموذجات من فتاوى القرن السابع وهكذا ما قبله فيرى الوافق ان الوقائع والنوازل والافضية كانت تعرض على انظار عدة من اولي العلم ليرى كل فيها ما يؤيده اليه اجتهاده وقد بدلي بعضهم بحجة أقوى وبرهان اقوم فبني الى فتواه من افق بخلافه وقد رأيت في هذه الفتاوى — فتاوى الفزاري — من رجع بعد فتواه الى ما كتبه مفت آخر في واقعة وعبارتها فيها : فلما افق الشيخ بذلك وكتب خطه رجع التقي ابن حياة اليه ورجع عما كان كتبه مع الجماعة واعتمد عليه انتهى وهكذا يكون العلم الصحيح والسليم وراء الحق في المسائل دين تعصب لامام او تفيد بمذهب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل (للبحث صلة) جمال الدين القاسمي

الكلمات الدخيلة

منذ اخذت الصحف تصدر في العربية اي مد زهاء ثمانين سنة شعر الكتاب والمترجمون بالحاجة الى ترجمة بعض الالفاظ الافرنجية الى العربية فبدأ بذلك الشيخ احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب ووضع بعض الالفاظ العربية لمدلولات افرنجية شاعت اليوم حتى عدت كأنها من متن اللغة الاصلي ثم تبعه من جاء بعده ولا سيما المترجمون في مصر وسورية ومن جملتهم الشيخ ابراهيم اليازجي صاحب الطيب والبيان والفضاء الذي عرّب بعض الالفاظ وغيرهم من اللغويين المعاصرين

وفي سنة ١٣١٠ عقد في مصر مؤتمر لغوي مؤلف من بعض العلماء واللغويين تليت فيه بعض الكلمات لبعض الالفاظ الشائعة مثل «مرحى» لكلمة برافو و«برحي» على النقيض من الاولى و«مدره» للمحامي و«المسرة» للتلفون و«عم صباحاً» لبونجور و«عم مساء» لبونسوار و«البهو» للصالون و«القفاز» للجوانقي او الكفوف و«الثمرة» للثومرو و«الوشاح» للكوردون و«الطنف» للباكون و«الحراقة» لمركب الثور ييدو و«الجديلة» للمودة و«المرب» للكبوب و«الحذاقة» لشهادة البكلوريا و«العاطف او المعطف» للبالاعاو وحصب الارض بالحصاء لكادام و«المشجب» للشاعة او بور تمانتو

ثم انفرط عقد ذلك المجتمع وكان عبد الله انندي البستاني من لغويي بيروت وضع لفظة (آنسة) المدام وازيل و«عقيلة» للمدام ثم وضع احمد بك تيمور^(١) ثلاثين كلمة وهي «ملة القلم» المدة يضم اوله وهي ما يعلق بالقلم من المداد بعد غمسه في الدواة «بوبة الجزم او طلاء الاحذية» البزندج او الارندج بفتحتين وهو السواد يسود به الخلف

«صحبة الورد» الطاقة وهي الحزمة من الريحان ونحوه ولعلها اقرب لفظة لمعنى الصحبة وقد اصطلح الكتاب على تسميتها بالباقة وهو خطأ لان الباقة خاصة بحزمة البقل «نشان التعليم» الدريئة بفتح فكسر وهي الحلقة يتعلم الراي عليها • «الكشك» اصله بافارسية كوشك وهو القصر الصغير وقد عربوه بالجوسق • «المعطف» الردب بفتح الراء وسكون الدال وهو الطريق الذي لا يتفد •

«العديل» السلف أو الظأب من المظابة وهي ان يتزوج انسان بامرأة و يتزوج آخر باختها . اما التجاب بتشديد الباء من باب الفاعل فهو ان يتزوج كل من الرجلين باخت الآخر .

«قشرة الجرح» الجلبة بضم فسكون وهي القشرة تعالج الجرح عند البرء .

«الطاقيه» السكبة بفتح فسكون وهي خرقه نقور للرأس كالشبكة .

«ناظر العارة او مقدم القملة» الوهين كامير وهو الرجل يكون مع الاجير يحثه على العمل .

«اليشمق» اللغام بكسر اواه وهو الثقاب يكون على طرف الانف فان كان على الفم فهو اللثام

«السردين» الصبر بكسر اواه وهو كما في القاموس السميكات المملوحة يعدل منها الصنعة ونسوا الصحنه بانه ادام يتخذ من السمك الصغار مشه مصلح للعدة . فعلى هذا يجوز اطلاق الصحنه على كل ما يقدم امام الطعام من المشيات كالصبر ونحوه المسمى عند الاعاجم *Cordeau* يمكن ان يسمى السردين ايضاً بالطريخ كسكين وهو سمك صفار تعالج بالملح وتؤكل

«العزبة» كأنها محرفة عن العزوبة بالفتح وهي الارض البعيدة المضرب الى الكلاء وصوابها الضيعة او هي الارض المغلة وقد استعملت قديماً بمعنى «العزبة» واظنهم استعملته الى الآن بهذا المعنى بالبلاد النامية

«مضرب الكورة» الطب طابة بفتح فسكون وهي خشبة عريضة يلعب بها بالكرة ويقال لها ايضاً الميجار بكسر اواه وهو كما في المختص الصولجان الذي تضرب به الكرة «الزفة» النقل بالفتح او بالتحريك وهو ما يبعث به التارب او ينقل به على شرابه من فاكهة ونحوها . والعامة تقول نقل بضم فسكون وهو خطأ قديم فيه عليه ائمة اللغة .

«اللباس الرسمي» السواد وهولون اتخذه بنو العباس شعاراً لهم ثم اطلق عندهم على لباس اسود خاص بالامراء والعلماء وذوي الاختار وكان الرجل اذا اراد الذهاب الى ديوانه او مقابلة خليفته قال لغلامى على بسوادي وسيفى .

«ثياب الحزن» السلاب بكسر اواه وهي ثياب سود تلبسها النساء في المأتم واحدها سلبة بفتحعين وتسلبت المرأة وصلبت بتشديد اللام اذا ابستها وهو مثل احدث الا ان الاحداد يكهن على الزوج خاضعة والتسلب على الزوج وغيره .

« الحبل الحاجز في الطريق » عند اصلاحها او في احتفال كبير . الماصر وهو كما في مختصر العين لز يدي حبل على طريق او نهر تجس به السفن او السابلة . واقتصر في اللسان على انه الحبل يلقى في الماء لمنع السفن عن السير .
« المعذبة » المعبر كذبر وهو المركب الذي يعبر به .

« عقدة وشنيطة » الانشودة بغم فسكون وهي عقدة يسهل انحلالها اذا مددت باحد طرفيها اغلخت . ونقول نشطت الانشودة من باب نصر اذا عقدتها وانشطتها اذا حلتها .
« الحصان البوني Pency او Poney » المكبون والانشى المكبونة وهو الفرس القصير القوائم الرحيب الجوف الشفت العظام ولا يكون المكبون اقمس ومعنى الاقمس في الخيل المطمئن الصهوة المرتفع القطاة .

« الشال » الطيلسان وقد فسرهُ اللغويون بانه ضرب من الاكسية واقتصروا على ذلك الا ان الشيخ ابراهيم السجيني فسرهُ في كتابه المسمى بالعلمي الاكبر في عين من انكر لبس الاصفر بانه ثوب طويل عريض كالرداء يجعل على الرأس فوق نحو عمامة ويغطي اكثر الوجه ثم يدار طرفه تحت الحنك الى ان يحيط بالرقبة ثم يلقى طرفاه على الكتفين اه وهو كما تري قريب جداً من معنى الشال .

« رخو الكرباج » الشيب بكسر اوله وهو سير السوط . وفي اللسان وشيба السوط سيران في رأسه وشيب السوط معروف عربي فصيح اه

« الجرسون او السفرجي » لم اقف على لفظ مفرد يدل دلالة تامة على « الجرسون » وقد ذكر اللغويون الندل بضمين وفسره بخدم الدعوة قالوا سموا ندلا لانهم يتقلون الطعام الى من حضر الدعوة واصله من ندل يدل اذا تناول اه . الا انهم لم يذكروا مفردة فارجو ممن وقف على لفظة اخرى او على مفرد الندل ان يفضل بنشره افادة للمجهور . على افني رأيت بهامش اللسان ان هذا اللفظ وجد مضبوطاً بخط الصاغاني بفتحين وعليه فلا يبعد ان يكون اسم جمع لتبادل كخادم وخدم الا ان مثل هذا لا ينبغي الحكم فيه الا بالنص الصريح .

« القطن الزهر » اصطلاح المصريون على تسمية القطن قبل حبلجه بالزهر وعريته الفصيحة المكهل بصيغة اسم المفعول وهو كما في القاموس القطن مادام فيه الحب والقطن الحليج كأمر هو ما استخرج حبه ويسميه المصريون بالشعر . اما شجرة القطن فتسمى الزهبل بفتح اوله وثالثه وصكون ثانيه

« السنارة » التصب بفتح اوله او كسره وهي حديدة عقفاء يصاد بها السمك واما الصنارة بكسر الصاد المهملة وتخفيف النون ومنع في اللسان تشديدها فهي الحديدة الدقيقة المعقفة التي في رأس المنزل فاستعارتها العامة لمصيدة السمك وابدلوا صاها سينا ولا داعي للاستعارة متى وجدت الكلمة الموضوع

• « الجاكنة Jaquette » اصطلاح الكتاب على تسمية « البالطو » بالمعطف ومن المعلوم ان الجاكنة كالبالطو الصغير فلا حرج اذا سميناها بالمعطف تصغير ترخم للمعطف .
« البيرة السوداء » البيرة خمر التمير وعربتها الجملة وزان هبة فيوزان يقال الجملة السوداء الا ان العرب سمت الخمر السوداء بام ليلي فما المانع من اطلاقها على هذا النوع من البيرة

« عمود الغاز » المائلة وهي منارة المسرجة كما في القاموس

« البونية Coup de poing » الجمع بضم فسكون وهو من الكف حين تقبضها قال طرفة بن العبد

بطي عن الجلى سريع الى الخنا ذلول باجماع الرجال ملهد
ويقال فيه ايضا الصقب بفتح فسكون وصقه اي ضرب : بجمع كفه .

وبقيت الحال على هذا الماوال تشدد الحاجة الى مفردات عربية كلما كثرت المترجمون وكان لبعض المجالات عمل مهم في هذا الشأن فوضع اربابها ومؤازروها الفاظا كثيرة منها ماشاع ومنها لم يبرزق الحظوة من الشيوع بين الكتاب الى ان قام في السنة الماضية اعضاء نادي دار العلوم في القاهرة وهم من الثيورين على خدمة اللغة لان معظمهم ممن احكموا كتابتها وقواعدها وبيانها احكاما يكاد لا يكون وراءه غايه وهم الحلقة الموصلة بين اهل التريية الحديثة واهل التريية القديمة بل هم مثال التريية العربية المصرية فأروا نفع الله بهم العربية ان يمتحاروا بعض الأكفاء منهم يؤلفون لجنة علمية تتوفر على هذا الغرض من وضع الالفاظ العربية للمفردات العلمية او الاجنبية التي سرت الى لغتنا من لغات اوربا او من اللغتين الفارسية والتركية فوضوا حتى الآن طائفة صالحة من هذه الالفاظ وما نحن نثبتها فيما يلي ايداناً بفضل اولئك العاملين وبياناً للمشغلبين باللغة من اهل الاقطار العربية الاخرى عسى ان ينظروا فيها نظرة ثانية او ان يقرروا اللجنة على ما وضعت وان كان المصريون هم في الحقيقة ائمة اللغة والقائمون على تعهدها اكثر من غيرهم من الشعوب

وهالك ماقررت له اللجنة حتى الآن من الالفاظ :

« استمارة » يرى اعضاء النادي استعمال استمارة وقد وجدت هذه الكلمة في الكتب القديمة بلفظ استمار بالتسهيل وحذف التاء ولكنهم رأوا اثبات التاء لالتزامها في الاستعمال الحاضر وعدم المانع منه والكلمة مرة من استمار اي اخذ امره .
« انفييتازو » ترجمت بلفظ مدرج منذ زمان وقد كاد اختيار الاعضاء يجمع عليها .

« بلوك نوت » تعريبها اضمامة ومعناها الاوراق منضمة .
« بويه » نظرت اللجنة فيما يشتمل للتلوين فوجدته على نوعين : نوع يغفل اجزاء الاجسام فاختارت له كلمة صبيغ كصبيغ الثياب والورق وما اشبهه . ونوع يملو السطوح فاختارت له كلمة طلاء كطلاء المباني والاواني وغير ذلك
« نخته بوش » وهو مايسميه الافرنج « *Veetanda* » وتعريبه نخيرة فقد جاء في لسان العرب ان النخيرة سقيفة من خشب ليس فيها نصب ولا غيره .
« تربيزة او طاولة » رأت اللجنة من هذا المسمى انواعاً : فمنها ما هو للاكل وهذا خوان ويسمى حين وضع الاكل عليه مائدة . ومنها ما توضع عليه الاشياء المختلفة وهذا منضدة مشتقة من التضد وهو جعل المتاع بعضه فوق بعض ويخصه بعض اللغويين بجر المتاع وخياره . ومنها ما هو للكتابة خاصة وهذا يطلق عليه كلمة مكتب المستعملة .
« ترسنه » ان ما يخرج عن البناء منه ما هو مغطى وهذا يسمى كنه ومنه ما هو مكشوف وهذا طنّف والكنتان في العربية موضوعتان لا يخرج من الاضحية في الدار . علي ان هناك لفظة توّدي المعنى وهي شرفة وقد كثر استعمالها وورد في الاغاني بهذا المعنى كلمة مستشرف

« جول » اختارت لها اللجنة لفظة مرعى على ان كلمة محج الثائمة في سوربة توّدي نفس المعنى

« خارطة » وصحيفها خريطة

« دوصيه » تعريبها ملف

« شماعة او تعليقة » وجدت اللجنة لما تعلق عليه الملابس نوعين اولهما ذو عمود متوسط وشعبات بارزة فاختارت له كلمة غدان وهو في اللغة قضيب تعلق عليه الثياب والثاني يثبت في الحائط فاختارت له لفظة شجباب

« طابور » الكلمة عربية حُرِفَتْ وصحّحها تابور
 « كارت فيزيت » سبق اختيار بطاقة الزيارة ولا مانع من الاستثناء عن المضاف
 اليه فيقال بطاقة كما يقول الافرنج كارت
 وقد رأت اللجنة أيضاً استبدال « سيناتوغراف » بكلمة خيالة وهي كل ما تراءى لك
 من الصور و « فونغراف » بالحاكي « وميغراف » بمطبعة النصح و « تير پتر » بمطبعة
 الازرار لانها اتخذت قاعدة عامة في قسمة المطابع وهي ان تستعمل كلمة مركبة من مطبعة
 مضافة الى اكبر مميز لتلك المطبعة . على ان كلمة الآلة الكاتبة او الكاتبة فقط اقرب
 من مطبعة الازرار

« استبالية » قالت اللجنة : كان من الممكن ان نجاري المتقدمين في اختيارهم كلمة
 بيارستان ولكن رأينا ان كلمة مستشقى مع ادائها المعنى تماماً اسهل نطقاً من الكلمة الاولى
 واكثر دورانا على الالسة والافلام

ونرى ان كلمة مستوصف اولى بالتعبير عن « الكلينيك »

« وبوفه Buffet » اختارت اللجنة لهذا المعنى كلمة مقصف — وقد سبق
 استعمالها لان معنى القصف في اللغة الالمانية في الاكل والشرب وهذا هو معنى بوفه
 اما استعمال القصف في اللغتين العربية والفرنسية

اما خزنة الطعام والشراب فقد استعمل لها المتقدمون كلمة سكردان

« بريمة Tire-bouchon » يزال ومعناه في اللغة : حديدية يفتح بها اللن
 وهو قريب من البريمة الحالية ففي هذا الاطلاق توسع

« تلفراف » استعملت اللجنة الكلمة المستعملة بريق ورسالة بريقة

« تبشير » الكلمة عربية محرفة وصحّحها طباشير

« ديبلوم » شهادة عالية وقالت لم توافق اللجنة على الشهادة النهائية ولا على الشهادة
 العليا لان الديبلوم ليست كذلك بل بعدها ما هو اعلى منها . اما « شهادة الخدافة » التي
 اشار اليها احمد نيمور بك فربما وضعت بعد لما هو ارقى من تلك الشهادة
 « عفارم » اختارت اللجنة كلمة مرحى وهي كلمة تقولها العرب للاصابة في الرمي
 فيمكن التوسع فيها .

« قومسيون » استنسبت كلمة لجنة المستعملة لان معنى اللجنة الجماعة يجتمعون في
 الامر ويرضونه وذلك معنى القومسيون

« انوميل » سيارة . كلمة استعملت وتعارفها الكتاب فوافقت اللجنة على استعمالها .
« اكسبرس » قطار سريع مع كثرة الاستعمال يستغني عن الموصوف ويكتفي بالسريع
كالمعناد . « بدره » غنمة . في القاموس الغنمة الاسفيداج والضمرة تطلق بها المرأة
وجها وهو موافق لمسمى بدره . « بزميط » هجين . لمن ابوه خير من امه . مقرف .
لمن امه خير من ابيه . مخاط . اذا لم تلاحظ الخيرية في احدى الجهتين . « بطلون » سرالة .
« ترنوار » طوار . في القاموس طوار الدار ويكسر ما كان ممتدا معها وهذا ممتد مع
الشارع . « تمرجي » ممرض كلمة عربية مستعملة في معنى التمرجي . « تملي » دائمي .
« جهجهون » جزاف استعملها الفقهاء للبيع من غير كيل او وزن ولم تر اللجنة بأصا
بالنوسع فيها . « دوناتمة » اسطول . كلمة استعملها المتقدمون من المؤرخين في معنى
الدوناتمة . « روماتزم » رثية . في القاموس الرثية وجع المفاصل واليدين والرجلين .
« زنبك » دوزة . في القاموس يقال لكل مالم يتحرك ولم يدور دوزة وفوزة يفتحهما
فاذا تحرك ودار فهو دوزة وفوزة والزنبك متحرك فرأت اللجنة ان الدوزة اقرب الكلمات
العربية الى معنى الزنبك . « حالون » بهو . استعمل الكتاب كلمة بهو في الصالون
والمعيان منقاربان . « صندوق القامة » صندوق القامة . « قشلاق » ثكنة . في
القاموس الثكنة مركز الاجناد ومجمعهم على لواء صاحبهم وان لم يكن هناك لواء ولا علم
جمعه ثكن كصرد . « ميكخانه » حواطه . لحل الاكل . مطعم . لوكاندة الاكل .
« برجل » دوزة . فرجار . بركار . في القاموس الدوزة الفرجار وقد ارتضتها اللجنة
لانها عربية محضة والكلمتان الاخرتان من تعريب علماء الهندسة المتقدمين وقد استعملنا
كثيرا في كتبهم فرأينا ان نبقى عليهما . « كروكي » رسم تقريبي . قد اخذ ترجمة
الكلمة غير العربية بما يودي معناها لعدم اتصال علم اللجنة بكلمة عربية تؤدي هذا المعنى .
« هديم » ملابس . اصل الهدم التوب البالي او المرقع او خاص بكساء الصوف جمعه
اهدام وهدام فاستعمل العامة مفردة في غير ماوضع له وجمعه على غير وجهه وكلمة ملابس
تؤدي المعنى المراد . « ناموسية » كلمة . في القاموس الكلمة غشاء رقيق يتوقى به من
البعوض وهي الناموسية بعينها اما الحجلة فلم ترضها اللجنة لانها خاصة بما تجلى فيه العروس .
(نوته) مذكرة ، كناشة ج كناشات اشتق كلمة مذكرة من الفعل المقصود من
هذا الاسم وهو التذكير وهذا مااخترته اللجنة واما كناشة فقد اختارها الاستاذ الشيخ
حمزة وقد قال صاحب شرح القاموس ومنه الكناشة لاوراق نجعل كالقتر بقيد فيها

الفوائد والشوارد للضبط هكذا يستعمله المغاربة واستعمله شيخنا في حاشيته على هذا الكتاب كثيراً وترى اللجنة انها تستعمل لما قاله صاحب شرح القاموس (اجنده)
 (قماش) نسيج اصل القماش ما عُلِّي وجه الارض من فتات الاشياء حتى يقال لرذاله قماش وليس هذا المعنى هو المراد بكلمة قماش وانما يريدون بها المنسوجات فكلمة نسيج طبقه (قومندان) قائد اصل الكلمة اعجمية وكلتها العربية قائد يقال قائد الجيش وقائد الفرقة وقائد الفرسان وقائد الماسة - (قراص) حاجب استعملت حاجب للنودي معنى قواص وهي موافقة - (طرحة) خمار الخمار النصف وهي مانعطي به المرأة رأسها وقد كانت الطرحة مستعملة قديماً في الطيلسان وقد يقولون الطراحة فانخار اقرب الى المعنى المقصود من الطرحة - (حزورة - فزورة) احجية قال في القاموس كلمة محجة مخالفة المعنى للفظ وهي الاحجية - (شظطة) عيبة قال في اللسان العيبة وعاء من ادم يكون فيها المتاع - «شادوف» شادوف جميع الكلمات التي وردت للجنة ليس فيها ما يدل على مسمى شادوف مع استعمالها في معان اخرى وهذه الكلمات هي (١) دالية وهي المنجون والناغورة والمنجون الدولاب يسقى عليه او المحالة يسقى عليها والمحالة البكرة العظيمة وكل هذا بعيد عن معنى الشادوف (٢) السانية وهي الغرب واداته والناقة يسقى عليها والغرب الدلو العظيمة

لهذا رأيت اللجنة ان تستبقي كلمة شادوف بازاء ذلك المعنى المعروف وخصوصاً ان الصيغة عربية كثيرة الورد وقال الاستاذ الشيخ حمزة انها كلمة مصرية معروفة عند العرب - «فنار» منار المنار موضع النور ويظهر ان كلمة فنار مخلفة من الكلمة العربية منار والكلمة اليونانية فار - «فرشة» فرجون محبة من وضع الاستاذ الشيخ حمزة قال في القاموس: الفرجون كبرزون المحسة وقال في مادة حس: الحس نفث التراب عن الغابة بالمحسة للفرجون (كاشة) كاشة قال في القاموس الكش ضرب من صرار الابل وصرار الابل شد ضرعها صرأ صرأ وهو نوع من القبض الذي يراد به التمكن من الشيء فرأت اللجنة ان هذا من التجوز الذي يتسع مثله ولا حاجة بعد الى تغيير كلمة مثل هذه والذهاب الى الكلمات العامة مثل ملقط ومقبض وما شاكل ذلك - «كالون» قفل وغلقي اختير الغلق لذلك الذي نسميه العامة «كالون» والقفل يستعمل عند العامة في مسمى معروف فيبقى دالاً على ذلك المسمى وهو المنفصل عن الباب ويستعمل له عروتان يربطهما القفل بلسانه - «برميل» برميل ورد للجنة

تسع كلمات لم تر واحدة منها صالحة لان تطلق على مسمى البرميل وهي (١) الزيل ومعناها كما في القاموس القفة او الجراب او الوعاء والقفة والجراب مسماها مخالف لمسمى البرميل شكلا ومادة والوعاء عام (٢) الزكرة زق للخمر والخل والزق السقاء او جلد يحز ولا يفتق للشراب وغيره وليس معنى البرميل هذا (٣) فطاس ومعناه حوض السفينة يجتمع فيه نشافة مائها وسقاية لها من الالواح يحمل فيها الماء العذب للشرب ولا تزال الكلمة مستعملة في معناها مع التوسع (٤) مخزن وهي علامة لكل ما يخزن فيه الشيء اي يحرز (٥) المقلد وهو الوعاء فهو عام (٦) العس وهو القدح العظيم (٧) الحب ومعناه الجرة والضخمة منها او الحشبات الاربع توضع عليها الجرة ذات العروتين (٨) الدن وهو الزافود العظيم او الطول من الحب او اصغر وله عس لا يتعد الا ان يحضر له وهو المعروف بالزعة او الخاية (٩) الزافود وهو مثل الدن

رأت اللجنة بعد نظرها هذه الكلمات ان تقر على استعمال كلمة برميل لانها ادل على مسماها ولم يوجد من الكلم العربية امادها ما يقو مقامها وقد قال الاستاذ الشيخ حمزة ان برملا بكسر الباء عربية صحيحة . « حرملة » . انب ومثبة حرملة . في القاموس الانب والمثبة ككنسة برد يشق فتلبسه المرأة من غير جيب ولا كمين وهو قريب من معنى الحرملة . وقد بحثت اللجنة عن اصل هذه الكلمة وكيف استعملها الناس مع الطلاوة العربية فوجدت ان الحرملة شجرة تنشق جراؤها عن الين قطن ويحشى به مخاد الملوك خلفه ونعومته فلا بعد ان هذه الحرملة كانت تحشى بهذا القطن للتدفئة فسميت باسم شجرتها وكبر اسمها ولذلك ابقتها اللجنة . « البشورة » الطلاسة . في القاموس الطلاسة خرفة يمسح بها اللوح . « شخير النائم » غطيظ . غط النائم صات « الدوربة اليلية » عسس . عس طاف بالليل وهو نفض الليل عن اهل الريبة وهو عاس جمعه عسس . « الرغاوي » الرغاوى — الزبد . وضعت اللجنة كلمة الزبد وقال الاستاذ الشيخ حمزة الرغاوى اي الرغوة اي الزبد والجمع رغاوى كل ذلك عربي صحيح . « طازره » طازج . طازج تعريب طازه وكان من عادة العرب سفي التعريب ان يحقوا بالكلمات المنتهية بمثل هذه الماء جيا كما قالوا فالزوج وغودج وغير ذلك . « الدش » الرشاش . الرش نفض الماء والرشاش مثنى منه « عفش » اثاث . الاثاث متاع البيت . (جمر الحمام) نسفة . في القاموس النسفة حجارة سود ذات فخار يب يحك بها الرجل سى به لانتسافه الرسغ من الرجل

(طاولة اللعب) نرد • (عمامص) غمص ان سال • رمص ان جمد • الغمص
 ما سال من الرمص غمعت العين كفرح فهو اغمص والرمص وسخ ايض • يجتمع في
 الموق رمصت عينه كفرح فهو ارمص والتقيد من وضع الاستاذ الشيخ حمزة
 « عود القرن » محش • المحش حديدة تحش بها النار اي تحرك كالخشة
 « متلحة القرن » المطردة • المطردة خرقه تيل ويمسح بها التنور ومثلها الطريدة
 (هلب السفينة) انجر كلوب • الانجر مرسة السفينة وهو خشبات يفرغ بينها
 الرصاص المذاب فتصير كخخرة اذا رست معرب لنكر • وانكلوب من وضع الاستاذ
 الشيخ حمزة قال في شرح القاموس ومن المجاز كلاليب الباز مخالبه جمع كلوب
 (هلب البئر) حصرم • الحصرم الحديدية يخرج بها الدلو من البئر •
 (هباب المبة) سناج • السناج اثر دخان السراج في الحائط •
 (مضرب الكرة) طبطابة • الطبطابة خشبة عريضة يلعب بها الكرة
 (فارة النجار) مسحج • المسحج المبراة يبرى بها الخشب • (تصبيرة) لجة • اللجة
 ما يتعلل به قبل الغداء • (ابعدية) ضبعة • الضبعة العقار والارض المغلة
 (قزان) مرجل • المرجل القدر من الحجارة والنحاس مذكر
 (اضبش) غطمش النطمش الكليل البصر اما الضبش فلم نره • (الرمش) الهدب
 الهدب شعر اشفار العينين وهو ما ترده العمة رمش • (دوخة) دوار الدوار شبه
 الدوران يأخذ في الرأس • (فلينة — سداد الزجاج) صمام صمام القارورة سدائها •
 (مصفاة نجو ابريق الشاي) فدام الفدام المصفاة وابريق ممدم عليه مصفاة
 (البريثون) الترب في القاموس الثرب شحم رقيق يغشى الكرش والامعاء جمعه
 ثروب واثر وتعرفه العامة بهذا الاسم ولكنهم يبدلون الشاء تاء فيقولون ترب
 (اوزى) حمل في القاموس من معاني الحمل الجذع من اولاد الضأن فادونه والجمع
 حملان واحمال • (قشرة البيض الخارجة) قيض في القاموس القيض القشرة العليا
 اليابسة على البيضة • (القشرة الداخلة) غرقى في القاموس الغرقى القشرة الملتزقة
 ببياض البيض • (بياض البيض) الزلال • صفار البيض • المح في القاموس من
 معاني المح صفرة البيض • (المضيفة) الثوي في القاموس الثوي كغني البيت المهيأ
 له اي للضيف • (شبشب) كوث في القاموس الكوث القفش الذي يلبس في الرجل
 والقفش اخلف القصير • (موضة) بدع — بدى في القاموس البدى الامر المبدع

والبدع الامر الذي يكون اولاً جمعه ابداع . (انبيكة) عادي في القاموس العادي
 الشي القديم — كأنه منسوب الى عاد . (خريطة الحجر) راناج في القاموس الراناج
 كتاب الطريق وهو الكتاب يسلك به الرابطة الحجر ويهتدون به في معرفة المرامي وغيرها
 (طقة واحدة) وجبة القاموس الوجبة الاكلة في اليوم واليلة او اكلة في اليوم الى
 مثلها من الغد . (وش الفرش) ظهارة الظهارة تقيض البطانة وظاهر بينهما طابق .
 (صيخ الشواء) سفود في القاموس السفود حديدة يشوى بها وتسفيد اللحم نظمه فيها .
 (مونة البناء) ملاط الملاط الطين يعمل بين سافي البناء وملط به الحائط اي يطلى
 والساف كل عرق من الحائط والعرق كل صف من اللبن والاجر في الحائط والساف
 المدمالك . (نقاوي) بذر البذر ما عزل للزراعة من الحبوب جمعه بذور و بذار
 (الوجاق) الوطيس الوطيس الثنور . (الصنفرة) السفن من معاني السفن
 قطعة خشب من جلد ضب او سمكة يسحب بها القدح حتى تذهب عنه آثار المبراة
 (الدربكة) الكوبة الكوبة الطبل الصغير المختصر . (الطهارة) الخنثان .
 (الاسنود) المنصة المنصة في الاصل ما ترفع عليه العروس واستعمل لذلك المكان
 المرتفع الذي يصعد اليه بدرجة لالقاء درس مثلاً . (الدرزين) الدرزين ورد ذكر
 الدرزين في القاموس تفسيراً للخلق واختبرت الكلمة لاستعمالها وغرابة الاخرى
 (النجفة) الثريا اصل الثريا علم لمجموعة من النجوم متضامة اسمعيرت لهذا المعنى
 لما بينهما من التماثل في القوام والانارة . (ضيان) متين المثانة الصلابة والكلمة
 العاية تستعمل في الشي ذي الصلابة والتحمل فهو معنى متين . (النفير) البوق البوق
 بالضم الذي ينفخ فيه ويؤمر . (سباطه) قنق القنق الكباشه جمعه ما قنق وقنوان والكباشه
 بالكسر العنق والعنق هو ما تعتبر عنه العامة بالسباطه اما معنى السباطه لغة فهي الكباشه
 تطرح باقية البيوت . (المقشة) المقشة قش الرجل اكل من هم او همنا ولف ما قدر
 عليه من اخوان والشيء جمعه وكله مناسب لما تضمنه تلك الاداة والقشيش والقشاش
 اللقطة . (معية) حاشية الحاشية اصل الرجل وخاصته والاخير نص في المعنى المراد
 جمعة . (بدلة) حلة الحلة ما تتركب من ثوبين ازار ورداء وكذلك البدلة دائماً .
 « باقة القميص » زيق زيق القميص بالكسر ما حاط بالعنق منه . « سوارى »
 فرسان . (الاسنيك) النوط معلق كل شيء . (شلثة) حشية الحشية الفراش
 الحشوش .

كتاب المدهش

الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي هو محدث حافظ مفسر فقيه واعظ اديب قال فيه العليمي في طبقاته انه استاذ الائمة حبر الامة بحر العلوم سيد الحفاظ فارس المماني والافاظ فريد العصر قريع الدهر شيخ الاسلام قدوة الانام علامة الزمان ترجمان القرآن قانع المبتدعين سلطان المتكلمين ولد سنة احدى عشرة وخمسمائة لانه وجد به بخطه تصنيف له في الوعظ ذكر انه صنفه سنة ثمان وعشرين وخمسمائة وقال (ولي من العمر سبع عشرة سنة وكان يحزر مجلسه في الوعظ على الدوام بعشرة آلاف او خمسة عشر الفا قال علي البئر في آخر عمره كتبت باصبعي هاتين التي مجلد وتاب على يدي مائة الف واسلم على يدي عشرون الف يهودية ونصراني اجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره سئل عن عدد مصنفاته فقال زيادة على ثلثمائة واربعين مصنفاتها ما هو عشرون مجلداً ومنها ما هو كراس واحد ولم يترك فتاً من الفنون الا وله فيه مصنف . وقال بعضهم انه كان يحضر مجلس وعظه مائة الف او يزيدون وهذا مبالغة لا يستطيع انسان يوصل صوته اليهم ولا جامع او ساحة ان تجمعهم والمقصود انهم كانوا الوفا من المستمعين وقد قال عن نفسه انه صنف وله من العمر ثلاث عشرة سنة وقيل عنه انه كان يراعي حفظ صحته وتلطيف مزاجه وما يفيد عقله قوة وذمته حدة وجل غذائه الفرائج والمزاوير ويتناض عن الفاكهة بالانربة والمجنونات ولباسه الالبض الناعم المطيب

والمدهش من جملة كتبه ورد ذكره في قائمتها وهو في مجلدين ^(١) مكتوب بخط مشرقى مشكول كله وقد دفعناه الى صديقنا السيد عبد القادر المبارك فكاتب عليه مايلي :

من المخطوطات القديمة لابن الجوزي كتاب المدهش قال كاتبه في خاتمه كان الفراغ من نسخه في العشر الاوسط من شهر ربيع الاول سنة تسع واربعين وسبعمائة جاء في مقدمته بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

(١) منه نسخة في خزانة كتب السيد عبد الباقي الحسيني الجزائري من فضلاءه في

واشرافها ولا تعرف لها ثانية

قال شيخ الامة وعلم الائمة ناصر السنة جمال الدين نغمر الاسلام زين الانام ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي قدس الله روحه ونور ضريحه : الحمد لله الذي لامنتهى لعطاياه ومنحه حمداً يقوم بالواجب في شكره ومدحه وصلى الله على اشرف نبي وافصحه وعلى آله واصحابه وازواجه ما استن طرف في مرجه (اما بعد) فاني قت بحمد الله في علم الوعظ باسمه والمله وآثرت ان انتقي في هذا الكتاب من ملحه والله الموفق في كل عمل لاصاحه وقد قسمته خمسة ابواب . الباب الاول في علوم القرآن وبيانه . الباب الثاني في تصريح اللغة وموافقة القرآن لها . الباب الثالث في علوم الحديث . الباب الرابع في عيون التواريخ . الباب الخامس في ذكر المواعظ وهذا الباب ينقسم قسمين . قسم فيه ذكر القصص وقسم فيه المواعظ مطلقاً والله الموفق اه

وذكر في باب علوم القرآن وبيانه ستة فصول يقع كل فصل منها في نحو صفحة واحدة فذكر في الفصل الاول اقسام الخطاب في القرآن وفي الثاني ماورد فيه من ضروب الامثال وفي الثالث ما جاء فيه اخص واحسن مما جمعا من الكلمات التي تدور على الالسنه وفي الرابع ما اتحد من الآيات المتشابهة في المعنى واختاب في اللفظ وفي الخامس ما تغاير من الآيات بزيادة بعض الحروف والكلمات او نقصانها وفي السادس ما تغاير من الآيات بتقديم او تأخير

ثم ذكر بعد هذه الفصول اربعة وعشرين باباً سماها ابواباً منتخبة من الوجوه والنظائر ذكر فيها معاني هذه الكلمات : او . ادنى . الانزال . الارض . الامر . الانسان . الباء . الحق . الخير . الدين . الذكر . الروح . الصلاة . عن . الفتنة . في . القرية . كان . كلا . اللام . لولا . من . الواو . الهدى .

. ثم اتى على الباب الثاني في تصريح اللغة وموافقة القرآن لها وقسمه على ثلاثة عشر فصلاً قال في اول فصل منه : لما كانت اللغة تنقسم قسمين احدهما الظاهر الذي لا يخفى على سامعيه ولا يحتمل غير ظاهره والثاني المثل على الكتابات والاشارات والتجوزات وكان هذا القسم هو المستعمل عند العرب نزل القرآن بالقسمين ليشتحق عجزم عن الاتيان بمثله فكأنما قال عارضوه باي القسمين شتمتم ولو نزل كله واضحاً لقالوا هلا نزل بالقسم المستعمل عندنا ومتى وقع في الكلام اشارة او كناية او استعارة او تعريض او تشبيه كان احلي واحسن قال امرؤ القيس

وما ذرفت عيناك الا لتضربي بسهميك في اعشار قلب مقتل
فشبه النظر بالسهم فحلي عند السامع وقال ايضا :

فقلت له لما غمطى بجوزه وأردف اعجازاً وناء بكلكل
فجعل الليل صلباً وعجزاً وصدرأ على جهة التشبيه وقال غيره
من كيمت اجادها طابحها لم تمت كل موتها في القدور

اراد بالطابخين الليل والنهار . فنزل القرآن على عادة العرب في كلامهم ومن عاداتهم
التجوز . وفي القرآن « فارجت تجارتهم . يريد ان يقض . ومن عاداتهم الكتابة .
ولكن لاتواعدون مرآ . اوجاء احدكم منكم من الغائط » واكثر الفصول الباقية ترجع الى
بيان سعة اللغة وفقها على اسلوب فقه اللغة لابي منصور الثعالبي

والباب الثالث في علوم الحديث وجملة يتعلق ببيان اسماء المحدثين والمحدثات وتتميز ما يكثر فيه
الالتباس وبيان المتفق والمفترق ويقال له ايضا المؤلف والمختار ثم انتقل الى الباب
الرابع في عيون التواريخ اتى فيه على نبذ من امهات المسائل التاريخية فمنها قوله : كان اول
ملوك الارض ملك فارس وملوكهم دارا ملك نحو مائتي سنة ثم ملك بعده خمسة وعشرون
ملكا فيهم اسرأتان وكان آخر القوم يزدجرد هلك في زمن عثمان رضي الله عنه فكان
ملكهم خمسمائة سنة وكسراً وكان اطرفهم ولاية ذو الاكتاف فانه لا يعرف من ملك
وهو في بطن امه غيره لان اباه كان قد مات ولا ولد له وانما كان هذا حملا فقال
الجميعون هذا الحمل يملك الارض فوضع التاج على بطن الام وكتب الى الآفاق وهو
جنين وسمي سابورا وانما سمي ذا الاكتاف لانه حين ملك كان ينزع اكتافه مخالفيه
وهو الذي بنى الابوان وبني نيسابور وسجستان والسوس وما زال الملك يتنقل بعده فيهم
الى ان ملك انوشروان وكان آخرهم وكان له اثنا عشر الف امرأة وجارية وخمسون
الف دابة والف فيل الا واحداً وفي زمانه ولد النبي صلى الله عليه وسلم ومات لثان
مضين من مولد نبينا صلى الله عليه وسلم ولما دخل المسلمون المدائن احرقوا ستر باب
الابوان واخرجوا منه الف الف مثقال ذهباً .

قال ومن المعجائب انه ولد في ليلة السبت لاربع عشرة بقيت من شهر ربيع الاول
سنة تسعين ومائة المأمون ومات الهادي واستخاف الرشيد وفيه اجذبت الارض في سنة
ثماني عشرة وكانت الريح تسفي ترابا كالرماد فسمي عام الرمادة وجعلت الوحوش تأوي
الى الانس فألى عمر رضي الله عنه ان لا يذوق سمّاً ولا لبناً ولا لحماً حتى يمحي الناس

واستسقى الناس بالعباس فسقوا وفيها كان طاعون عمواس مات فيه ابو عبيدة ومعاذ وانس
وفي سنة اربع وتسعين وقع طاعون بالبصرة وماتت ام اميرم فما وجدوا من يحملها وفي
سنة ست وتسعين كان طاعون الجارف هلك في ثلاثة ايام سبعون الفا ومات فيه لانس
ثمانون ولداً وكان يموت اهل الدار فيطبق عليهم الباب وفي سنة احدى وثلاثين ومائة
مات اول يوم في الطاعون سبعون الفا وفي اليوم الثاني سبعون الفا وفي اليوم الثالث
خمدت ؟ الناس وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة ذبح الاطفال واكلت الجيف وبيع
المعار برغيفين واشترى لمر الدولة كرو دقيق بعشرين الف درهم

وقد عقد الموائف رحمه الله في الباب الرابع في عيون التواريخ فصلا مستقلا افرد
بذكر الزلازل والآيات المتتملة على دواعي المعبر والمواعظ والزواجر وما هو بنص
حروفه

زلزلت الارض على عهد عمر رضي الله عنه في سنة عشرين ودامت الزلازل في
سنة اربع وتسعين اربعين يوماً فوقعت الابنية الشاهقة ونهدمت انطاكية . وفي سنة
اربع وعشرين ومائتين زلزلت فرغانة فمات منها خمسة عشر الفا . وفي السنة التي تليها
رجفت الاهواز وتصدعت الجبال وهرب اهل البلد الى البر والسفن ودامت سنة عشر
يوماً . وفي السنة التي تليها مطر اهل نباء مطراً وبرداً كالبيض فقتل بها ثلاثمائة
وسبعون انساناً وسمع في ذلك صوت يقول : ارحم عبادك اغفر عن عبادك . ونظروا الى
اثر قدم طولها ذراع بلا اصابع وعرضها شبران والخطوة الى الخطوة خمسة اذرع او ست
تبعوا الصوت فحملوا يسمعون صوتاً ولا يرون شخصاً . وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين
رجفت دمشق رجفة انتفضت البيوت على سكانها فمات منهم خلق كثير وانكفأت
قرية بالخطوة على اهلها فلم ينج منهم احد الا رجل واحد . وزلزلت انطاكية فمات منها عشرون
الفا . وفي السنة التي تليها هبت ريح شديدة لم يعمد مثلها فاقامت نيفاً وخمسين يوماً
وشملت بغداد والبصرة والكوفة وواسط وعبادان والاهواز ثم ذهبت الى همدان فاحترقت
الزرع ثم ذهبت الى الموصل فموت الناس من السعي فبطلت الاسواق وزلزلت هراة
فوقعت الدور . وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين وجه طاهر بن عبد الله الى الموكل
حجراً سقط بناحية طبرستان وزنه ثمانمائة واربعون درهما وفيه صدع وذكر انه سمع
لسقوله هدة مسيرة اربعة فراسخ في مثلها وانه ساق في الارض خمسة اذرع . وفي سنة
اربعين ومائتين خرجت ريح من بلاد الترك فمرت بمرور فقتلت خلقاً كثيراً بالزكام ثم

صارت الى نيسابور والى الري ثم الى همدان والى حلوان ثم الى العراق فأصاب اهل بغداد (وسر من رأى) حى وسعال وزكام وجاءت كتب من المغرب ان ثلاث عشرة قرية من قرى القيروان خسف باهلها فلم ينج منهم الا اثنان واربعون رجلا سود الوجوه فاتوا الى القيروان فاخرجهم اهلها وقالوا لم انتم مسخوط عليكم فبنى لم العامل حظيرة خارج المدينة فزلوا فيها .

وفي سنة احدى واربعمائة ماجت النجوم في السماء وجعلت تنطير شرقاً وغرباً كالجراد من غروب الشمس الى الفجر ولم يكن مثل هذا الا عند ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي السنة التي تليها رحمت قرية يقال لها السويدياء بحاجة مصر بخمسة احجار فوقع حجر منها على خيمة اعرابي فأحرقها ووزن منها حجر فكانت زنته عشرة ارطال . وزلزات الري وجرجان وطبرستان . نيسابور واصبهان وقوقاشان كلها في وقت واحد . وزلزات الدامغان فهلك من اهلها خمسة وعشرون ألفاً ونقطعت جبال ودنا بعضها من بعض وسمع للسماء والارض اصوات عالية وسار جبل باليمن عليه مزارع حتى اتى مزارع قوم آخرين . ووقع طائر ابيض دون الرخمة وفوق الغراب على دبة بجلب لسمع مضيئ من شهر رمضان فصاح يامعشر الناس اتقوا الله حتى صاح اربعين صوتاً ثم طار فجاء من الغد فذبح اربعين صوتاً وكسب صاحب البريد بذلك واشهد خمسمائة اديان سمعوه . ومات رجل في بعض كور الاهواز فسقط طائر ابيض كى جنازته فصاح بالفارسية والحوزية : ان الله قد غفر لهذا الميت ولن شهده . وفي سنة خمس واربعين ومائتين زلزات انطاكية فسقط منها الف وخمسمائة دار ووقع من سورها نيف وتسعون برجاً وسمع اهلها اصواتاً هائلة من كوى المنازل . وسمع اهل تيس صيحة هائلة دامت فامت منها خلق كثير وذهبت جبله باهلها . وفي سنة خمس وثمانين ومائتين مطرت قرية حجارة ييضاً وسوداً . وفي سنة ثمان وثمانين زلزلت دنبل (كذا) فاصبحوا ولم يبق من المدينة الا اليسير فاخرجوا من تحت الهدم خمسين ومائة الف بيت . وفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة عدل الحاج عن الجادة خوفاً من العرب فرأوا في البرية صور اناس من حجارة ورأوا امرأة قائمة على التنور وهي من حجارة والخبز الذي في التنور من حجارة . وفي سنة ثمان ومبشرين وثلاثمائة هبت ريح بقم الصلح شبهت بالثنين جرفت دجلة حتى ذكر انه بانث ارضها واهلكت خلقاً كثيراً واحتملت زورقاً منحدرًا وفيه دواب فطرحته في ارض جوجا (كذا)

وفي سنة عشرين واربعمائة جاء برد هائل وقعت برده حزرت ثمانية وخمسون رطلا فكانت كالثور النائم . وفي سنة اربع وثلاثين زلزلت تبريز فهدم سورها وقلعها وهلك تحت الهدم خمسون الفا . وفي سنة اربع واربعين واربعمائة كانت بارجان زلازل انقلعت منها الحيطان فحكى من يعتمد على قوله انه كان قاعداً في ابوان داره فانفرج صفه حتى رأى السماء من وسطه ثم عاد . وفي سنة ستين واربعمائة كانت زلزلة بفلسطين هلك فيها خمسة عشر الفا وانشدت صخرة بيت المقدس ثم عادت فالتأمت وغاب البحر فاساح في الارض فدخل الناس يلطمطون فرجع عليهم فاهلك منهم خلقاً كثيراً . وفي سنة اثنين وستين خسف بابل . وفي سنة ست وخمسمائة سمع ببغداد هدة عظيمة في اقطار بغداد . قال شيخنا ابو بكر بن عبد الباقي : انا سمعتها فظننت حائطاً قد وقع ولم يعلم ما ذلك ولم يكن في السماء غيم فيقال رعد . وفي السنة التي تليها وقعت زلزلة بناحية الشام فوق من سور الرها ثلاثة عشر برجاً وخسف بسيمساط وقلب بنصف القلعة . وفي سنة احدى عشرة وخمسمائة زلزلت الارض ببغداد يوم عرفة فكانت الحيطان تمر وتجي . وفي سنة خمس عشرة وقع الثلج ببغداد فامتلات منه الشوارع والدروب ولم يسمع بماله بمثله . وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة كانت زلزلة بحيرة اتت على مائتي الف وثلاثين الفا فاهلكتهم وكانت في مقدار عشرة فراعخ في مثلها . وفي سنة التي تليها خسف بحيرة وصار مكان البلد ماء اسود وقدم التجار من اهلها فلزموا المقابر ليكون على اهلهم . وزلزلت حلوان فقلع الجبل واهلك خلقاً كثيراً . وفي سنة اثنين وخمسين وخمسمائة كانت زلازل بالشام في ثلاثة عشر بلداً من بلاد الاسلام فنها ما هلك كله ومنها ما هلك بمضه . اهـ

وهنا انشأ المصنف رحمه الله الباب الخامس في ذكر المواعظ فبدأ في القسم الاول منه بقصة آدم وبناء الكعبة وقصة نوح وعاد وثمود والخليل والديح وذوي القرنين ولوط ويوسف وايوب وشعيب وموسى والحضر وبامام وقارون وداود ومريم وعيسى وسليمان وزكريا ويحيى واهل الكهف وبداية امر نبينا محمد عليه وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام وقصة الغار واهل بدر وذكر اسماء من شهدها مرتبة على حروف المعجم ثم من يعرف بالكنية دون الاسم وختم هذا القسم من الوعظ بفصل ذكر فيه بناء علي بن ابي طالب بالسيدة البتول فاطمة الزهراء رضي الله عنهما وها انا اذا اتقل للقراء اقصر قصة من تلك القصص السنية والعشرين لتكون انموذجاً يشرف به اسلوبه الغريب في بابه

قال في قصة ثمود مانسه : لما عرضت ثمود عن كل فعل صالح بث اليهم للاصلاح صالح فتمت عليه ناقة هو اجم يطلب ناقة فخرجت من صخرة صماء فقبض ثم فصل عنها (اي خرج منها) فصيل يرغو فارفعت حول نهي (بكسرة فكون اي غدير ماء) نهيم عنها في حبي حماية (ولا تمسوها بسوء) فاحتاجت الى الماء وهو قليل عندهم فقال حاكم الوحي « لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » وكانت يوم وردها نقضي دين الماء بما درها فاجتمعوا في حلة الحيلة الى شاطيء غدير الغرور فدار قدار « ابن سالف عافر ناقة صالح الذي هو اشقى ثمود » حول عطش فاعتلى فقتر (فصب عليهم صبيب صاعقة العذاب المون فحين دنا وذنن دمغم دار (فقدم عليهم ربههم بذنبهم) فأصبحت المنازل لحوّل ذلك النازل كان لم نغن بالابس اه .

والقسم الثاني يشتمل على مائة فصل كقلمات الزمخشري في اطوار الذهب وعبد المؤمن الاصفهاني في اطباق الذهب من حيث الموضوع والتفنن في الاساليب الناجعة المؤثرة في الموعوظ وهذا القسم يستوعب نحواً من خمسة اسداس الكتاب وقد أكثر فيه من الاشعار مستشهداً بها على حسب ما يقتضيه المعنى الذي يريد تصويره في بحيلة السامع وربما كان الشعر في هذا القسم مساوياً للثرأ ويزيد وكله او جله من نظم غيره وانما يذكره تمثلاً واستشهاداً

قال في الفصل السادس والسبعين

ذكر الاحباب والوطنا	والصبا والالاف والسكنا
فبكى شجواً فحن له	مدنف بالشجو حلف ضى
ابعدت مرعى بد رحمت	من خراسان به اليمن
من لمتناق تميل به	ذات صبح ميلت فنتا
لم تعرض في الحنين بمن	مسعد الا وقتل انا
لك ياورقاء اسوة من	لم تذيقي طرفه الوسنا
بك انسى مثل انك بي	فتعالى نهد ما كسا
تنساكى مايجن فان	نحت شجواً صحت واحزنا
انا لانت البعيد هوى	انا لانت الغريب هنا
انا فرد يا حمام وما	انت والالاف القرين ثنى
اسر حارأد النهار معاً	واسكنا جمع الدجى غصنا

وابكيا يا جارتى لما لعبت ابدي الفراق بنا
 اين قلبي ما صنعت به ما ارى قلبي له سكنا
 كان يوم النفر وهو معي فابى ان يحب البدنا
 ابه حادي الفراق حدا ام له داعي الفراق عنى

ومن قوله في بعض الفصول : ويحك اجتنب حلواء الشره فانها سبب الحمى وخل خل
 الجمل فانه يؤذي عصب المروء . ان عوجلت امراضك فعولجت والا مللت
 وامللت . لو احميت عن الخطي لم تخرج الى طبيب . من ركب ظهر الغريظ نزل به
 دار الندامة

ومن قوله في هذا الفصل : كان داود اذا اراد التياحة نادى ناديه في اندية المحزونين
 فيجمعون في ماتم الندب فتزداد الحرق بالتعاون

يا بعيد الدار عن وطنه مفرداً يبكي على تجنه
 كلما جد الغيب به زادت الاسقام في بدنه
 ولقد زاد الفؤاد جوى هائف يبكي على فتنه
 شافه ما شاقني فبكى كلنا يبكي على مكته

يامدنيين مصيبتنا في التفريط واحدة وكل غريب للغريب ذيب . ومن قوله في
 فصل آخر :

اخواني انتبهوا من رقعات الاغمار وانتموا لحظات الاعمار وقاطعوا الكسل فقد
 قطع الاعذار الاعذار واسمعوا زواجر الزمن فما داجى الدجى ولقد نهر النهار وخذوا
 بالحزم فقد شقي من رضي بشفا جرف هار . ومنه : واعجبا ! أمل الحيوان الهيم العواقب
 وانت لا ترى الا الحاضر ما تكاد تهتم بمؤنة الشتاء حتى يقوى البرد ولا بمؤنة الصيف
 حتى يشتد الحر ومن هذه صفته في امور الدنيا فهو في الآخرة اعشى واخل سبيلا .
 ومنه : ما دامت النفس حية تسعى فهي حية تسعى . اول فعل لها تمزيق العمر بكف
 التبذير كالغرقاء وجدت صوقاً . اخل بها في بيت الفكر ساعة وانظر هل هي معك او
 عليك . نادها بلسان التذكرة بانفس ذهب عرش بلقيس وبلي جمال شيرين وتمزق
 فرش بوران . وبقي ذلك رابعة

ومنه : يا صبيان التوبة طيبكم متلطف نارة بالتشويق وتارة بالتخويف هذه الطير
 اذا انشقت يرضها عن الفراخ علم الاب والام ان حوصلة الفرخ لا تتحمل الغذاء فينفذ

الريح في حلقه لتتسع الحوصلة ثم يعلن ان الحوصلة تحتاج الى دبع وتقوية فبا كلان من صاروج الحيطان وهو ثقي فيه ملوحة كالسبح ثم يزقانه اياه فاذا اشتدت الحوصلة رقباه الى الحب فاذا علما انه قد اطلق اللقط منعا بعض المنع فاذا جاع لقط فاذا رأياه قد استقل باللقط ضرباه بالاخفحة اذا سألها الزق فتأملوا تدبيري لكم في المواعظ . ومنه : الدنيا غرارة غدارة مكاراة . تظن مقيمة وهي سيرة . وصالحه وقد شنت الغارة

نخ عن نفسك القبيح وصنها وتوق الدنيا ولا تأتمنها
لاثق بالدنا فما ابق الدنا يا لحي ودبعة لم تخنها
انما جتمها لتستقبل المو . ت واسكنتها لتخرج عنها
تستحل الدنيا وما لك الا ما نيلت او تزودت منها
وسبقني الحديث بعدك فانظر خبز أحدثه تكون فكنها

ومن فصل آخر :

باساعيا لنفسه في المهالك . دنا الرجيل ونضو النقلة بارك . متى تذكر وحشتك
بعد ايناسك . متى تقتدي من ناسك بناسك . كأنك بك قد خرجت عن اهلك
وولدك . وانفردت عن عددك وعدوك . وقتلك سيف الندم ولم يدك (يدفع دينك)
ورحلت ولم تحصل من ندمك الا على عض يدك

كأنك لم تسمع باخبار من مضى ولم تر في الباقي ما يصنع الدهر
فان كنت لاتدري فذلك ديارم محامها مجال الريح بعدك والقطر
على ذلك مروا اجمعين وهكذا يبرون حتى يفشرون الحشر
فختم لا نسمع وقد قرب المدى وحتى لا ينجاب عن قلبك السكر
بلى سوف اصحون ينكشف الغطا وتذكر قولني حين لا ينفع الذكر

ومن فصل آخر : كان محمد بن المنكدر كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال آية من
القرآن ابكتني : (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون) كيف لاتذهب العيون من
البكا وما تدري ماذا اعد لها سبقت السعادة لحمد صلى الله عليه وسلم قبل كونه ومضت
الشاوة لابي جهل قبل وجوده . وخوف العارفين من سوابق الاقدار قلقل الارواح
هية . لاتسل مع تحكم (ولو شئنا لا تيناكل نفس هداها) قوي قلق العلماء

اترى سئلوا لما رحلوا ماذا فعلوا ام من قتلوا
احليف النوم اقل اللوم فعندي اليوم لهم شينيل

ادنى جزعي	لم يبق معي	قلب فيمي	منذ احتملوا
جلدي سلبوا	جسدي نهوا	كدي وهبوا	كدي قبلوا
هيئات افبق	اذليس تطبق	هذا ايليق	فما العذل
لما ذرفت	عيني وقفت	اترى عرفت	مايى الابل
ولعى اللاحي	وهو الصاحي	وهمو راحي	وانا الثمل

ومن فصل آخر : ياتانها في ظلة ظله . ياموغلا في مفازة تيهه . ياباحثا عن مدبة حشفه .
ياحافراً زينة هلكه . يامعقاً مهواة مصرعه . بشما اخترت لاحب الانفس اليك . ويحك
تطلب النجاة ولست على الطريق . هن الزنان بوعظه فأ فاسمعت : لينذر من كان حياً
ومنه :

الى اي حين انت في زني مجرم	وحتى متى في شقوة والى كم
والا تمت تحت السيوف مكرماً	نمت وتلاقي النل غير مكرم
فنب واثقاً بالله وثبة ماجد	تري الموت في الهيجاجنى النحل في الفم

ومن فصل آخر

تبني وتجمع والآثار تدرس	وتأمل اللبث والارواح تختلس
ذا اللب فكر فافى الخلد من طمع	لا بد ما ينتهي امر ويتعكس
اين الملوك وابناء الملوك ومن	كانوا اذا الناس قاموا هية جلسوا
ومن سيوفهم سيف كل معترك	تحشى ودونهم الحجاب والحرس
اضحوا بمهلكة في وسط معركة	صرعى وماتى الورى من فوقهم يطس
وعمهم حدث او ضمهم جدث	باتوا وهم جثث في الرمس قد حبسوا
كانهم قط ما كانوا ولا خلقوا	ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
والله لو نظرت عينك ما صنعت	يد البلى بهموم والدود يفترس
من اوجه ناضرات حار ناظرها	في رونق الحسن منها كيف تطمس
واعظم باليات ما بها رمق	فليس نبى وهذا وهي تنتهس
والسن ناطقات زانها ادب	جفت وما شانها بالآفة الخرس
لستهمو السن للدهر فاغرة	فاما فاهماً لم اذ بالردى وكسوا
حتى م ياذا الذهبي لاترعوي سفهاً	ودمع عينك لايهمي وينبجس

ومن قوله في الفصل الاخير : هذه قصص النجاة قد امليتها فعنوتها وهذه جوارشات

المواعظ قد جمعتهما فاعجبها ثم قال في الختام لمن اصغى واصف . افى عزمك اتباعي فأقف .
الليل يفضج من نومك . والنهار يستغيث من قبح فملك .

يا ايها الزاهد كم ترقد قم يا خليلي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته حظاً اذا ما جمع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله لم يبلغ المنزل او يجهد
قل لذوي الابواب اهل التقى قنطرة العرض لكم موعد

وكان يودي - لولا خشية الاملال من الاطالة وعدم اتساع نطاق المجلة - ان استوفى نقل بعض فصول (هذا الدهش) برمتها لما تضمنته من محاسن البلاغة واسلوب الحكم وجودة المعنى والبنى مما جمع بين اللذة والفائدة ودل على سمو مدارك المؤلف وسعة فضله وغزارة مادة علمه كما يظهر من ترجمته فعسى ان يقيض الله له من خدمة العلم وفائده الوبته من يجيد طبعه ويستخرج للناس جواهر كنزه فيحظى بالريج عاجلا واجلا مع تخليد الذكر الجليل والاثرا الحسن والسلام

اخبار وافكار

العين الكهربائية

اخترع الاستاذ روزنك الرومي آلة تكون بمثابة عين كهربائية تظهر بها اضطرابات المعدة وامرار اعماق الحجار واسرار البراكين بجلاء ووضوح كما نتمثل لنا اذا كانت امام العين مباشرة وقد بناء على الاكتشاف الحديث للاشعة الكاثودية فينتطبع الموجود بمرآة من نوع الروتاتيف وتظهر الصورة بتأثير مجرى كهربائي . ويتأق انوال هذه الآلة الى قعر البحر ووسط البركان والمعدة كما ينزل المسبار لسبر الابعاد فيها قترى الاشياء في الظلمات كما ترى في النور بل ترى بها المعادن المدفونة في بطن الارض اذا اريد ان ينظر فيما اذا كان ثمت خطر على العملة في المذاهم ويفيد هذا الاختراع فوائد كلية في الاعمال الصناعية وفي الفنون الحربية والبحرية وسيفي غير ذلك وبهذه الآلة تم عدة اختراعات كانت موقوفة على مثل هذه العين الكهربائية

تعقيم اللبن

اخترع الدكتور هرنغ من فارسوفيا آلة لتعقيم اللبن تقتل بها الجراثيم الضارة بدون ان يفقد شيئاً من خاصيته وذلك بان يغلى من ٦٥ الى ٧٠ درجة ثم يبرد بواسطة هذه الآلة التي تعقم من ٢٠٠ الى ٢٥٠ سنتيمتراً مكعباً من اللبن والآلة المذكورة تحوت الشروط اللازمة التي يحفظ بها اللبن خاصياته الطبيعية والكياوية ولونه وطعمه ورائحته رمواده المعدنية وغيرها وبها يتأتى ابقاؤه ثمانية ايام بدون ان يحمض

برزخ جديد

عمدت روسيا ان تفتح برزخاً يصل بحر البلطيق بالبحر الاسود وطول هذا البرزخ ٢١٥٠ كيلومتراً ويقدر ما ينبغي لذلك من النفقات ٤٥٠ مليون فرنك تكون السهام للروسين فقط كما تكون جميع الادوات اللازمة لهذا العمل روسية محضة ويقول القائمون به انه يرجى ان يكون دخل هذا الخليج ٨٠ مليون فرنك كل سنة

مرعى الكتب

يذكر القراء اسم المسيو البر صيم مؤلف الكتاب (المقتبس م ٣ ص ٣٧٧ و ٤٥٧ و ٧٣٥) الباحث العلامة الذي اثبت بان عمرو بن الاصل لم يحرق مكتبة الاسكندرية في الفتح بامر عمر بن الخطاب على ما يتهمهما بعضهم بذلك ظلماً وقد كتب المؤلف الآن بحثاً في «الجملة» الافرنسية قال فيه ما حاصله : شدد (جول فالى) في كتابه الاخير في كلاه على تأثيرات الكتاب السيئة فقال انه طالما اذى قارئه بما يبعث منه من الافكار وخصوصاً كتب الافاصيص والسير والغرام فلا تجد متخراً الا وقد سبقت له مطالعة اساليب الانتحار في كتاب ولا امرأة غادرت بيتها متهتكة الا لانها تلت القصص الغرامية ولا قاتلا الا سهلت له ما هو بسبيله مطالعة الكتب وكما اثرت الكتب في كبار الرجال فكانوا صرعاها في الحقيقة امثال مورجة وموسه وبازاك وساند. قال صيم اما الكتاب نلى التحقيق فهو كاللسان كما قال ازوب فيه الخير والشر هو رابطة الحياة المدنية ومفتاح العلوم به تعمّر المدن وتنظم وبه يعلم الناس بوقوعهم ويحكم الحاكمون والمسيطرون وبه تتم اول القروض على المرء من حمد الله كما انه اشر ما في العالم واصل كل خصام وبلاء ومولد القضايا ومبعث الشقاق والحروب فاذا قيل انه لسان حال الحق فهو ايضاً لسان حال الضلال بل النجاسة والفيية.

قالوا: لف اذاً قد غالى في وصف سيناث الكتاب فنظر اليه من وجه وترك الوجه الآخر وهو وجه الحسنات وفاته. الخبير الذي يسديه والعلم الذي ينشره والعزاء الذي تنعزى به النفوس والغذاء الذي تغذى به الارواح فقد قال سلفستودي سامي : ما قطعاني الم من الآلام التي تداوم القلب الا وعالجته فزال بمطالعة ساعة وقد قال الفيلسوف شيلر يخاطب قريحته : «ماذا اكون لولاك اني اجم له ولكنني ارعش عندما ارى مثات والوفاق من الناس حرموا منك». ولذا اتوخى هنا ان اني نظرة فيمن احبوا الكتب واولعوا بها وجعلوا فيها لذتهم بل سمرهم بحيث خصوا بها كل شيء وصرعوا بها مختارين راضين

وكم من مولى بالكتب طال عمره كان الكتب مما يطيل حبل الاجل فلو تتبعنا سير الرجال منذ عهد ايراتوستين (٢٧٦ — ١٩٥ ق م) الى دانيال هوبه (١٦٣٠ — ١٧٢١) لوجدت كثيرين من المعمرين المولعين بل المتجننين بحب الكتب ومنهم كيتي الفيلسوف والعالم تيرس والعالم كيزو واللغوي لثره والعالم ارنست لوكوفيه وغيرهم من المعمرين من اهل القرن الماضي والذي قبله وما هم من قصرت منه عن السبعين ومنهم من بلغ المئة واكثر . وشيخ رجال الادب اليوم في فرنسا المغرب بالكتب المشهور فرنسوا فرتبول بلغ السابعة والتسعين من عمره ولا يزال الى اليوم في صحة ونشاط بين كتبه الكثيرة واحبايه الموالين له

واقدم مرعى الكتب ايراتوستين الفيلسوف الجغرافي الرياضي اليوناني من اهل القرن الثالث قبل المسيح دعاه بطليموس من آثينة الى الاسكندرية ليفوض اليه ادارة المكتبة التي انتشأها فيها واذ كف بصره في آخر عمره اثر الموت على ان يحرم من مطالعة الكتب ويحرم من دروسه المعتادة فانخرج جوعاً . وحدث مرعى الكتب شارل ديديه (٨٠٥ — ١٨٦٤) مؤلف رحلات كثيرة على الشرق كف بصره فآثر الانتحار على العيش بدون تلاوة وهكذا فعل . ومثله ستانيسلاس كويارد (١٨٤٦ — ١٨٨٤) العالم المستشرق استاذ اللغة العربية في كولييج دي فرانس فانه لما استحكم منه المرض فضل الانتحار على ان يبش في راحة اضطرارية منتظماً عن عمله . ومثله الطبيعى الباحث الالماني اميل بلس (١٨٤٧ — ١٨٨٧) اضاع في غرق مجموعاته الثمينة وسقط النار بعد سنين على مكتبته وجميع مخطوطاته فرأى الانتحار افضل من تحمل الم تلك الرزية التي اصابته

ومات بريان الاميركاني حزناً على كتبه الثمينة وكان اعطاها في حال غفلة لاجدى

المكانات ومات كوجه الافرنسي لانه رأى عشرة آلاف من كتبه تنتقل الى يد غير يده وكذلك اللغوي ريشارد برونك مات لان الحالة المالية اضطرته ان يخرج عن ملكه بعض كتبه العزيزة . ومن الناس من حزنوا وهلكوا لما رأوا مجموعاتهم تنهب او تعطل وكمن علماء وادباء وخازني كتب قضوا بما وقع فوق رؤوسهم من الكتب والاسفار الثمينة الثقيلة او وقعوا من سلم وهم بصدد وضع كتاب في يثته او رفة او اخراجه منه وكمن عالم احرق كتبه باهماله وذلك بشمعة مري لهيبها الى ورق او احرق نفسه بشمعة كما فعل نيدورموسن المؤرخ الالماني الذي نقل النار الى شعره الطويل الابيض فمات من اثر حروق وكمن مولع بالكتب مثل بولارد (١٧٥٤ - ١٨٢٥) الذي جمع مكتبة فيها ستمائة الف مجلد ملاً بها تسعة بيوت وانهكه التعب في جمعها ونقلها فكانت سبب هلاكه

ومن الناس من قضوا على انفسهم بمنعهم وانصرفهم الى المطالعة والاستغراق في الكتب ومن هذه الطبقة انكيتل دوبرون (١٧٣١ - ١٨٠٥) المستشرق المشهور ناقل كتاب الزائد افستا الفارسي الى الافرنجية وموجد الدروس الآسيوية في اوربا وعارف لغاتها كلها كان مقتراً في مأكله وملبسه مستغرقاً فيما اخذ به نفسه حتى انه لقلة هندامه ونظافته كان يظن انه شحاذ فيعطيه بعض المارة دارهم . تصدقن عليه فقضى عقيب انهاك قوته في العمل ومن غرائبه انه عين عضواً في المجمع العلمي ولاكانت زاهداً في التشريفات ولا يعني بغير المطالعة من امور الحياة اضطر الى الاستقالة . وكمن رجل حرم نفسه الطعام والادام بل الدفء والثياب ليقتني بدرهجات بدخرها كتاباً ومنهم انطون ماكلياشي (١٦٣٣ - ١٧١٤) العالم الفلورنسي المولع بالكتب كان يعيش احقر عبثه وامامه كنوز من المال انفقها على خزانة كتبه في فلورنسا وكذلك يوسف اندراوس زالوسكي اسقف مدينة كيف في بولونيا ١٧٠١ - ١٧٧٤ حصر كل وقته وقواه حتى جمع خزانة كتب حوت ١٠ اثني الف مجلد فنهبها الروس سنة ١٧٩٥ ومن المولعين بالكتب ومطالعتهم من كانوا يكرهون انفسهم على عدم النوم وينفلمون ارجابهم بالماء البارد وهم في ابرد الاقاليم لئلا يناموا ثم يضعون المنبه على اوقات يمينونها ومن المولعين بالكتب نابوليون الاول حرم نفسه انواع الراحة لاول امره حتى اقتنى بعض الكتب وعلم اخاه في المدرسة ومنهم يواكيم لول « ١٧٨٦ - ١٨٦١ » المؤرخ البولوني العالم بالكتب والتعود نفته حكومته فنزل بروكسل حاصمة البلجيك وكان عزيز النفس لايقبل

معوقة احد وهو في فقر مدقع والفصل شتاء وهو لاملال له يتناع به وقوداً يصطلي عليه في البرد القارس فاحتال بعض اخوانه ان يكتروا بجانب غرفته غرفة ويدخلوا انبوب الموقدة من غرفته بعد ان اخذوا رأيه واطهروا له ان غرفتهم لاندفاً الاعلى هذه الصورة فقال لم اعملوا ماشئتم وهكذا توصلوا الى تدفئته بدون ان يشعر ويدفع درهماً .

وكثير من الناس من ماتوا فوق كتبهم او امامها حث انفهم ومنهم بترارك الاديب الكبير (١٣٠٤ — ١٣٧٤) والفياسوف الصقلي انطون فلامينو من اهل القرن السادس عشر ومنهم سوليه الفرنسوي الذي اثر الوحدة على كل اجتماع وكانت حياته مثال العامل المحمد وكتب بيثين لتحفرا على قبره معاً : « ولدت يثيا وعشت وحدي في شيبتي وكذلك في شيوختي وهاءنذا وحدي هنا » في القبر « الى اليوم »

سلك بحري

نقول المجلات العلمية ان السلك البحري الذي سينجز هذا الشهر بين المانيا واميركا الجنوبية قد بلغ طوله ١١٦٢٠٠٠٠٠ كيلومتر (؟) آخذاً من امدان الى تبريف فونرونيا على شاطيء افريقية الغربي ومن هناك الى ليبريا آخذاً الى برنامبوكو فايرازيل اما الفرع الثالث الذي يصل بين افريقية والعالم الجديد فطوله ٤٥٠٠ كيلومتر

لحم الكلاب

انتشر اكل لحم الكلاب في المانيا ولاسيما في امارة ساكس ولحمها اغلى من لحم الخيل ويدبحون سبعة آلاف كلب كل سنة في تلك الامارة لتناول لحومها

سكان الولايات المتحدة

لم يكن للولايات المتحدة احصاء معروف حتى سنة ١٨٢٠ يدل على سكانها وحركة الهجرة اليها وقد تبين بالاحصاء انه دخل من ذاك العهد سنة ١٩١٠ ٢٠ مليوناً من المهاجرين اكثرهم من الطليان والهامصر النمساوية المجرية . وايس الانكليز والاييرلنديون والسكانداون والالمان قلائل بعدهم . وكان سكان اميركا الى حرب الاستقلال من اصل انكليزي خاصة وفيهم كثير من الايكوسيين والاييرلنديين هربوا من بلادهم تحملاً من ظلم الحكومة الانكليزية ثم جاء الالمان فالهوكنتوت الفرنسويون والايكوسيون وزادت الهجرة عندما اشتد غلاء البطاطا في اييرلندا سنة ١٣٤٧ وفي ثورة المانيا

وكان الشمال الغربي من بلاد اوربا اولاً هو الذي يهاجر منه المهاجرون بكثرة الى الولايات المتحدة ثم سرت هذه البدعة الى سكان جنوبي اوربا وهم اليوم اكثر الاوربيين هجرة . ومن الغريب ان البلغار بين والرومانيين والصربيين لم يهاجروا كما هاجر غيرهم من سكان اوربا مع انه هاجر كثيرون من اهل البوسنة وبولونيا وغاليسيا كما اخذ يهاجر اليوم كثير من اهل الممالك العثمانية ولاسيا اهل سورية وارمينة .

انكلترا والسلام

ظهر من احصاء حديث ان انكلترا على الرغم مما تسعى اليه في حفظ السلام قد انفقت في القرن التاسع عشر ثلاثين مليار فرنك على حرب نابليون والقرم وجنوبي افريقية وخسرت سبعمائة الف من رجالها وقد افقدتها الهجرة منذ سنة ١٨٢٠ ثمانية ملايين من الانفس هاجروا الى اميركا وكان في الولايات المتحدة وحدها سنة ١٩٠٠ ٢٦٨٠٠٠٠٠٠ انكليزي اي اكثر من مجموع ماني اوستراليا وافريقية الجنوبية وكندا من الانكليز

امة السواب

في بلاد المجر مستعمرة من السواب تزلتها منذ سنة ١٧١٦ وهو عهد تحرير الامبراطورين لتلك البلاد من حكم العثمانيين وبلغ عددهم اليوم مليون نسمة ويجمعون في اقليم بانات واسماء بلدانهم المانية ولكنهم قلائد يعلقون ببلادهم الاصلية وهم كالكسوسيين في ترانسلفانيا باميركا قد انشأوا لانفسهم استقلالاً جديداً رقبه بنشاطهم في كل فرع من فروعهم وليس لهم الى الآن مقام رفيع في ميدان الاعمال العقلية ويكاد لا يوجد لديهم اكثر من خمسة عشر مؤلفاً وهم يفاخرون بانه كان من شعرائهم القدماء شاعر اسمه نيقولا لونو ولحجة لغتهم كلحجة ذلك الاقليم وتأليفهم اشبه بالنصص التي كانت يتلذذ بها الناس في المانيا منذ مئة سنة

السويد والشرق

عثروا في السويد اثناء الحفر على كثير من الامثلة والاعلاق يستدل من صورها انها شرقية او جعلت على مثال شرقي واستنتج علماء الآثار من ذلك انه كانت من القرن التاسع الى القرن الحادي عشر للبلاد صلات منطلعة بين السويد والعالم الاسلامي وربما مع الصين ايضا فان البلاد الواقعة في جنوبي السويد مملوءة بهذه النفائس والعاديات

فقد عثروا فيها على ٣٠ الف قطعة من النقود العربية من نقود القرن الثامن الى القرن العاشر ضربت في فارس وبن النهرين وفي غيرها من البلاد الواقعة شرقي بحر الخزر مثل لمخ وسمرقند وعثروا على آثار منها الفارسي ومنها الصيني ومن جملة ما كاس من الفخار مزين بالزينة المستخرجة من مدفن في غوتلاندا يشبه كاس من الفخار كتبت عليه كتابات عربية بحروف كوفية عثر عليها في سوركوت من اعمال سيبيريا.

قالت المجلة الآسيوية وجميع هذه المكتشفات ينجلي بها كلام مؤرخي العرب والروم البيزنطيين والايستندسين الذين ذكروا مكانة التجارة السكندرية في روسيا والمملكة البيزنطية وبلاد الاسلام وما ظفر الباحثون في روسيا وسبيريا بمثل هذه النقائر وبها تسهل معرفة الطرق التجارية التي كان سلكها التجار بين السويد والارنق وان ما عثر عليه ايضا في جنزوف من الاسلحة والادوات وانواع الحلبي ليدل على انها سويدية الشكل ممزوجة باصل عربي اورومي ويرى المسيو ان ان نهر الفولغا ودينيركانا هما الطريقين الاعظمين الواصلين ببلاد السويد وفنلندا من جهة وبينها وبين بلاد الشرق مراكبي فكان يتيسر لتجار السويد ان يمتدوا الفولغا الى حد بحر الخزر مما يوافق عليه مؤلفو العرب فقد قالوا ان الاجتماع كان في جنوبي هذا البحر فيصادفون في طريقهم في بلغار «جنوبي قازان» وفي اتيل «جنوبي استرخان» تجار أقدموا من فارس وتركستان ليقابضوا معهم بضائعهم وكانت سكان السويد يسرون في نهر دينير حتى يلبغوا المملكة البيزنطية. وقد سرت التأثيرات الاسلامية الى اعالي نهر دينير اذ قد ظفر الباحثون بالقرب من مدينة «كيم» بمقود سلك في عدة اسلاك وهي من الصناعة الاسلامية. قلنا ولا عجب اذا عثروا هناك على آثار للعرب فقد ذكر المرحوم حسن افندي توفيق من رجال النهضة العلمية المصرية في كتابه رسائل البشرى انه وجد نقلا في بعض الكتب عن القزويني في كتاب له يسمى آثار البلاد ما يستدل منه ان ابا بكر محمد الاندلسي الطرطوشي المعروف بابن ابي رندقة المتوفى في الاسكندرية سنة ٥٢٠ قد سار في ارض المانيا ووصف بعضا من بلادها فوصف مدينة مينس وسماها مفتاحه ووصف بعضا من بلادها فوصف مدينة شليزفيك وسماها شلشويق وذكر انا الاستاذ المرحوم ان احد علماء الجغرافيا من الالمان ذكر له انه عثر في معجم ياقوت على ذكر مدن في حدود اسكندنافيا من شمالي اوربا فاذا صح الامر وكان ياقوت ذكر بعض هذه البلاد استفاد من ذلك الباحثون من اهل السويد ان طريق التجارة كان ايضا من البحر

قاصدين الى المانيا فجنوبي شرقي اوربا حتى يقاضوا تجار العرب والروم بتجاراتهم ويستدل من كلام ابن رندقة ان السياحة كانت ميسورة في المانيا في القرن الخامس والسادس للهجرة وهو غريب فتأمل .

يابان الحديثة

اختلفت الروايات في تقدير رقي يابان في مادياتها وقد كتب احد العلماء في مجلة العالمين البارزية مقالة في هذا الصدد جاء فيها ان قليلا في النحوب من سارت سير اليابان في رقيها بسرعة فقد اثبتت قوة بحريتها وبريتها في حربين عظيمتين خرجت منهما ظافرة وبلغت الدرجة الرابعة بحريتها بين الدول وعادت تجارتها الخارجية تجارة اوستراليا وكندا وحدثت بالانتفاع جدا الانتفاع من مناجمها وصناعاتها . وسككت الحديدية واسلاكها البرقية والتلفونية كما لدولة عظمى . وتقدر ثروتها بسبعين مليار فرنك وبفضل الادارة المنظمة بلغت ميزانيتها ملياراً ونصف مليار فرنك ولم يكن لحكومتها سنة ١٨٦٨ ادنى مورد ولا تحجب اقل ضريبة وكانت تدفع ديونها الباهظة بالقروض او باصدار اوراق واستدانت سنة ١٩٠٥ اربعة مليارات ابتاعت بها سككها الحديدية وستمول ديونها كلها قريباً بفائدة اربعة في المئة والحكومة في يابان تملك ادارات البريد والبرق والتلفون وقد انشأت خطوطاً حديدية طويلة على حسابها وفي سنة ١٩٠٦ انزعت من جميع الشركات ما لم من الخطوط الحديدية في بلادها وحدثت هذه الحكومة من سنة ١٨٦٨ الى ١٨٨٥ ٤١ صناعات الحديدية في بلادها لضامي بها اهل الغرب في مدينتهم . يقولون ان آسيا متأخرة بمدينتها خمسين سنة عن اوربا اما المدينة في يابان فانها ارقى من كثير من ممالك اوربا نفسها

التعليم في رومانيا

رومانيا مملكة من ممالك البلقان كانت تسمى الجزية للدولة العلية من سنة ١٣٩٢ الى سنة ١٧١٦ ثم حكمتها مباشرة واستقلت نهائياً سنة ١٨٢٨ منفصلة عن العثمانية في مؤتمر برلين وهي موافقة من امارتي مولدافيا والفلاخ ومساحتها السطحية ١٣٩٠٥٤٧ كيلومتراً وقد نشرت نظارة معارفها مؤخراً احصاء بعدد الالميين والمتعلمين من ابناءها عن سنة ١٩٠٩ اي لمرور ٢٨ سنة على جعل رومانيا مملكة تبين . انه ان اولاد رومانيا يجب عليهم ان يدخلوا المدرسة الابتدائية العامة من السنة السابعة الى الرابعة عشرة واذا رأت ادارة معارفها ضرورة تكره اولياء الاولاد ان يعلموا اطفالهم في مدارس اعدادية

خاصة من سن السادسة الى السابعة واذا جاوز الولد الرابعة عشرة من سنه ولم يدخل مدرسة بضر الى دخولها ويمكث فيها سنة زيادة اما من تعلموا مايجب تعلمه قبل ان يبلغوا الرابعة عشرة فيقفى عليهم اذا كانوا من ابناء القرى ان يواظبوا على مدارس المراجعة . ولاولياء الاولاد ان يعلموا اولادهم في بيوتهم او في مدارس خاصة تعترف بها الحكومة واذا قدر لبعض الاولاد ان اخفقوا في امتحان سنتين من فحوص السنة المدرسية تقيد اسماؤهم في مدارس الحكومة على سبيل المعونة وقد بلغ عدد الاولاد الذين هم في سن الدراسة ٨٢٢٧٨٨٣ طفلا وطفلة في القرى و ١١٠٥٧٣ في المدن وعدد مدارس القرى ٦٩٥ فيها ٦٤٦٠ معلما وعدد طلابها وطلباتها ٥٠٤٢٩٧ . م ٣٣٣٣٧٨ صبيًا و ١٧٠٩١٩ ابنة وبلغ عدد مدارس المدن ٣٧٨ فيها ١٣٢٤ معلما و ٨٠٦٥٤ تلميذاتهم ٤٦٢٧٦ ذكرًا وفي رومانيا ٢٦٠ مدرسة خاصة فيها ٢٤٧٢٧ تلميذًا و ٨٨ ملجأ . معظمها للاسرائيليين توءوي ٣١٢٦ ولدًا منهم دون السابعة .

قالت مجلة الاقتصاديين بعد ايراد بعض مائتدم ونفقات المعلمين في هذه المدارس تؤدبها الحكومة خاصة وقد كانت سنة ١٩١٠ - ١٣ مليون فرنك و ٢٩٧٠٢٧١ فرنكا ويؤخذ من احصاء سنة ١٩٠٩ ان امالي رومانيا بلغوا ٤٠٧٦٣١٦٩٩ ذكورًا وامثًا منهم اكثر من سبع سنين منهم ١٨٠٩٦٤٣١ يقرأون ويكتبون و ٢٩٥٤٢٦٨ أميًا ومعدل الاميين في المدن ٢٦ في المئة في الرجال و ٤٨ في المئة من النساء و ٤٩ في المئة من الرجال في القرى و ٤٣ في المئة من النساء فيها و ٢١٠٥٦٠٥ من هؤلاء الاربين تجاوزت . منهم الحادية والعشرين فنجوا من قانون المعارف الذي يقضي بتعليم الاولاد الى هذه السن و ٨٥٠٠٠٠ أمي تختلف سنهم بين السابعة والحادية والعشرين وقد بذت العناية من وراء الغاية منذ عشر سنين لنشر المعارف بين غير المتعلمين من الرومانيين ولكن الامر صعب والتغلب عليه بعيد الآن . قلنا اما المملكة العثمانية فلا تعرف حتى الآن عدد أميها من متعلميها بل لا تعرف عدد سكانها لان كل شيء فيها موكول الى التوكل والبركة لا الى الحساب والتقدير

احتكار المجلات

شاعت في الولايات المتحدة اشاعة احدثت خبيجًا وقلقًا في عالم الصحافة وذلك ان النقابة المالية التي يرأسها المثري الشهير مورغان تريد ان تحتكر المجلات الكبرى في تلك الديار لان احد اعضاء هذه النقابة قد ثبت انه ابتاع عدة مجلات وهو مدير شركة كروول

التي لها ثلاث مجلات عظمى يبلغ مائتيه ٠ ٠ ١٧٠٠٠٠ نسخة وقد اشترى مورغان سهاما كثيرة من شركة أخرى يريد ضمها الى شركة كرول ويخشى مديرو المجلات ان لا يكون هذا الاحتكار داعيا يضطرب لانزال اجور الاعلانات ٠ والذي نعجب منه في الاكبر ان المطبوع من ثلاث مجلات هو هذا القدر من العدد

سكان الهند

افاد لسان البرق انه بلغ سكان الهند في الاحصاء الاخير ٣١٥ مليوناً وهو نمو هائل دل على استتباب اعلام الامن وتوفر مرافق الحياة والصحة والثروة في تلك الاقطار الواسعة

المرأة والرجل

اقترحت مجلة « ادلة الترقى » الفرنسية على ارباب الافكار وحمله العلم والادب في فرنسا ان يكتبوا لها آراءهم في طلب المرأة التساوي بالرجل في حقوق الانتخاب وهو المطلب الذي اشتد النساء في المانيا وانكلترا والنمسا وفرنسا في المطالبة به في العهد الاخير لما ظهر من اقتدارهن ومساوتهن الرجال الى ورود حياض العلوم والمعارف فكتب لها الكتاتيون وبعض الكتاتبات الشهيرات بآرائهم فكانت في الاكثر مجمعة على وجوب تساوي النساء بالرجال في هذا الشأن وان اشراكهن الرجل في الانتخاب حسن وربما كانت آراؤهن اميز من آراء الرجال في كثير من الاحوال

كارنيجي والسلام

بعد ان دفع المثري الاميركي كارنيجي عشرة ملايين دولار للسعي في ابطال الحروب من الارض وتعمد باداء اربعين مليوناً آخر قويا لامل بان يرفع السلام اعلامه على الارض وقد ألفت حكومة واشنطن لجنة من ٢٤ رجلاً من كبار ساسة الاميركان للنظر في هذا الامر ٠ قال كارنيجي في كتابه على هذه اللجنة « اني اودع اليكم مبلغ عشرة ملايين دولار لتستعملوه في الامراع بابطال الحرب الدولية هذه الوصمة القذرة في وجه المدينة الحديثة » وقد وصف احد الالمان كارنيجي الاميركي وقال انه رآه في السنة الماضية وهو في السن الثالثة والسبعين فرحاً مسروراً كأنه في الاربعين وقوة جسمه ناشئة من رياضته وهو حسن الظن في الامور قويم الثقة بالمستقبل شعاره : « كل شيء صائر الى خير لان كل امر في تحسن اليوم بعد اليوم في هذه الدنيا » وكيف

لا يقول هذا و ثروته تبلغ عشرة مليارات من الفرنكات هو ان نساج ايكوسي (انكليزي) فقير جاء اميركا يبحث له عن عمل ولا تسل عن مروره يوم ١٠ الى ابيه بستة فرنكات اكتسبها لأول مرة من عمله في اسبوع وهو لا يزال يذكر تلك اللذة وان يرجع بعد ذلك الملايين والمليارات ومن جملة حسنات كارنيجي انه اسس الى مكتبة لامته سبلها على المطالعة والمراجعة

اصل المصريين

التي الاستاذ اليوت سميت محاضرة في مدينة مانتستر من بلاد الانكليز في اصل المصريين قال فيها : ان معرفة أصل قدماء المصريين كان موضوع بحث الكثيرين من زمن اليونان والرومان الذين دهشوا من اعمال الامة المصرية الهائلة وعاداتها الغريبة . وقد بدأت الاكتشافات الدالة على اصل المصريين في سنة ١٨٩٤ باكتشاف الاستاذ بترى مقابر بين البلاص ونقاده في شمال مدينة طيبة كان داخلها اجسام واشياء تاريخها سابق لتاريخ الأمرات التي حكمت مصر . وقد دل ذلك الاكتشاف على ان الاجسام التي وجدت قبل ذلك لم تكن مصرية بحتة بل كانت خليطاً من اجناس مختلفة . واخذ كثير من المؤرخين يضعون نظريات ذوها على ما عثر عليه اناس لاعلم لهم بالآثار بطريقة غير منظمة وهم على غير علم بما تدل عليه من الآثار التاريخية والقوئد الخطيرة العلمية قال ان من حسن حظنا انه بدأ في بحثه في مصر من سنة ١٩٠٠ وهو الوقت الذي ثبت فيه تمام الثبوت ان مقابر نقاده كان مدفوناً فيها اجسام من قبل بدء التاريخ وامكن كذلك معرفة اعمار هذه المقابر معرفة تامة ومن سنة ١٩٠٠ تم كثير من اعمال الحفر والتنقيب اطلع عليها اجمعها وبحث فيه بحثاً دقيقاً . وقد دلت البراهين الثابتة على ان المدينة المصرية قبل تدوين التاريخ كانت منتشرة في اعالي فروع نهر النيل الى بلاد الحبشة ومن هناك الى شاطئ البحر الاحمر

وكان من عادة المصريين قبل حكم الأمرات التي حكمتهم ان يدفنون موتاهم واضعين رؤوسهم نحو الجنوب ولما اتت الأمرة الراحة حدث اختلاط في الاجناس في الوجه البحري وبدأت الموق تدفن ورؤوسها نحو الشمال . وكان المصريون يعتبرون سكان شاطئ البحر الاحمر اجدادهم ويتدسبونهم ويسمونهم (بنطلا) اي انهم من دم واحد ومواطنهم

وقبل بناء الاهرام اخذ المصريون في الاختلاط بالاجناس الأخرى وقبل ان

بدأ تاريخ الأسرات المالكة كان المصريون قد اكتشفوا معدن النحاس فصنعوا منه اسلحة فتحوا بها الوجه البحري ولما اتحد الوجهان (القبلي والبحري) ظهرت الأسرة المالكة الاولى وفي هذا الوقت افتتح المصريون شبه جزيرة سيناء وسواحل سورية الى ان وصلوا الى جبل لبنان وادخلوا في غرب آسيا فوائد النحاس واستعمله وكان هذا الاختلاط بالامم الاخرى باعثاً على تقدم المدنية المصرية فتقدموا في ذلك العصر نفدماً باهراً . وكانوا يعبدون آله الشمس (رع) على الدوام ولم تأت الأسرة الخالصة حتى انتشرت عبادة هذا الآله انتشاراً كبيراً وربما كان ذلك راجعاً الى تأثير فتح البلاد السورية

وفي آخر العصر الحجري اتى الى اوربا اناس عن طريق آسيا الصغرى وكانوا يستعملون القلزم ولم عادات مختلفة في ذفن وموتهم وقد تعقبت بقايا هذا الجنس فوجدت انها تتصل بنفس المكان في سورية الذي كان يأتي منه المهاجرون الى مصر في عهد بناء الهرم الاول حيث تعلموا استعمال النحاس من المصريين وكان عبورهم من مضيق البوسفور الى اوربا قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة ثم اختلطوا من ذلك الوقت بمن كانوا عائشين في العصر الحجري وعلى ذلك فالجنس المسمى بالآليين نذبة الى الالب هم من نسل هؤلاء الاقوام الآسيويين ولما انت الأسرة المالكة الخامسة ظهرت دلائل وجودهم في مصر الوسطى ثم في اية ثم اخذت نقاطهم المصريين وسحبهم ثم تغير تدريجياً وكان من عادة الاجانب في مصر ان يطلقوا شواربهم وقد اكتشفوا اجساماً من آخر الأسرة المالكة الثالثة الى السادسة مدفونة في الجيزة وسقارة وميدوم من هذا النوع وفحصت جماجمهم واخلاصة ان قدماء المصريين قبل بدء الأسرات المالكة والجنس الذي كان على شواطئ البحر الابيض في القسم الحديث من العصر الحجري المسمى (Mediterranean Neolithic race) من دم واحد . وفي حكم الأسرة الرابعة امتزج المصريون والاجانب بسبب الحركة الكبرى التي كانت في غرب آسيا وترقوا في ذلك العهد رقياً كبيراً

لغة الاسبرانتو

اخترع طبيب العيون الرومي الدكتور زامنهوف من فارسوفيا منذ سنة ١٨٨٧ لغة مساعدة دولية سماها الاسبرانتو واقبل بعض الناس في العالم المدني على تعلمها اقبالاً مجاوز حد المأمول فانتشرت في روسيا وفرنسا والمانياتم تعدت الى سائر الممالك وتجاوزت

بحر الظلمات الى اميركا وعقدت لها مؤتمرات في سنين مختلفة وعوام مختلفة اهمها مؤتمر درسد وكان فيه ٤٢ نائباً عن ٤٢ أمة مختلفة لغتها عن لغة جارتها . وهذه اللغة مؤلفة من حروف لاتينية اختار لها مخترعها ايسط التراكيب وسهل التلفظ بها بحيث يتأتى لابن الغرب ان يدرسها في بضعة اسابيع وهي من انفع ما يكون لتسهيل الصلات بين أبناء الحرفة الواحدة من مختلفي اللغات فبلغة الاسبرانتو يتفاه الاطباء والاساتذة والمهندسون والعلماء والتجار من اي امة كانوا وقد صار لهذه اللغة الآن ثمة جريدة منها ما يكتب بها فقط ومنها ما يكتب بها وبلغة البلاد التي تصدر فيها وينشرون بها مجلة علمية تبحث في علم الانسان والحيوان والاجتماع والنبات والطب والرياضيات ولها مجلات أخرى ادبية فنية وقد بلغ عدد جمعياتها في اميركا ٢٨٠ وفي آسيا ٣١ وفي اوروبا ١٢٠٣ وفي افريقية واستراليا ٣٩ منها ٢٢٢ جمعية في المانيا فقط وناميك ما قبل الالمان على كل ما يفيد وتأتيهم في الاخذ من الجديد . وقد قال من كتب عن لغة الاسبرانتو مؤخراً انها ليست واسطة للعاملات اليومية بين البشر بل هي الواسطة الوحيدة للقضاء على الوف من المشكلات نعيم في الغالب من اختلاف اللغات وهي تبدو عياناً عند ما يراد الاتحاد مع اجنبي غريب في اي عمل كانت فلهذا الاسبرانتو لا تنصر باللغات الموجودة بل أصبحت لغة ثانية لكل مدني من الناس وهذا نافع جداً للأفراد والانسانية

اللغة الموقنة

تألفت في باريز جمعية عامة من الاساتذة بحثت الى رئيس الجمهورية محضراً نصف فيه فضائل اللغة الموقنة التي اشتهرت في ان هذه اللغة ساذجة عملية لا تكلف معانيها كبير درس وعناء وبها ييسر لجميع سكان الارض ان يفهموا ويقرأوا ويكتبوا ويستعملوا ويطلبوا ويخبروا بالبرق والتلفون بدون سابق درس في كل اللغات واللهجات مهما كانت مخفية (كلمة الجر كس والداعستان مثلاً) وان يفهموها احسن فهم وامرعه واكثر مما يتأتى لم بالاساليب المعتادة . وقد ذهب هؤلاء الاساتذة الى ان اصعب ما في اللغات التلفظ بها واملاؤها فقرأوا ان يكتب الانسان كما يقرأ وان يدل بحرف واحد على كل كلمة وان كل صوت يعبر عنه بالحرف نفسه في كل اللغات التي يقع فيها ولذلك اخترعوا الف باء مؤلفة من ٤٥ حرفاً مهما ذو علاماً واشارات وتسهيلاً لتعلم هذه اللغة اخترعوا دفاتر يشرحون في الصفحة الاولى منها قواعد تلك

اللغة واصولها وقد تركوا الثانية يضاء لتطبيق هذه اللغة على العمل والتمرن فيها ووضعوا ملايين من هذه الدفاتر في المطاعم والفنادق ومكاتب البريد والمخازن والمحطات والمدارس ليصوب كل انسان ان يجرب بنفسه تعلم هذه الطريقة وبذلك تتم بث دعوتها وتنفس بين الناس اقصى الانتشار ويقول مخترعو هذه اللغة ان حسانتها اذا أُضيفت الى لغة الاسبرانتو تزيد الجهل الذي هو مبعث الحروب والثورات والشقاء الخاص والبلاء العام وان لغتهم اداة صالحة معقولة بين معابغة غوتمبرغ مخترع الطباعة وآلة اديسون مخترع الفونوغراف اي بين العالمين القديم والجديد

الانكليزية الفرنسية

اخترع احد الاساتذة لغة جديدة مزج بها اللغتين الانكليزية والفرنسية وهي نوع من لغة الاسبرانتو لنفع ابناء هاتين اللغتين فقط وقد وزع كراسة بمنافع لغته اباعها من الجمهور . فقات عنه المجلات ان هذه هي النتيجة الاولى لاختراع واستفحاح منها كل من تلاها وهذه نتيجة ثانية . وقالوا ان هذه اللغة اشبه باللهجة الفلامندية المتعددة المعروفة في بلاد البلجيك

التاؤب

كثيراً ما كان الاطباء يقولون : بئس التاؤب حتى قال ابقراط ان التاؤب كالسهمعة يتبع من صاحبه كما هو ضار في غيره وان احسن علاج للتوقي من التاؤب ان يطيل المتأثب نفسه . وقد قام في العهد الاخير طبيبان في اوربا يريان ان لابس بالتاؤب وانه نافع لامراض الحلق ومن يحسن التاؤب جادت رثاء وجميع بحاري تنفسه ولكن الواجب ان يترن المرء على التاؤب كما يترن على تنفس الهواء فيجب ان تشتغل بالتاؤب اعصاب الصدر والحلق معاً وان يكون عميقاً ملياً ما امكن وان يتناوب المتأثب وذراعه بسهولة ان يحيت بدل الهواء الذي يجري في الدماغ والقلب والاحشاء كل التبدل ويكثر من اخراج النفس وبذلك قد يسهل البلع على من لا يستطيعه وتقل اضطرابات السمع على المصابين بها وهي تكون مصاحبة لركام الحلق اما طريقة التاؤب فهيلة للغاية وهي عبارة عن ان يتناوب المرء ست او ثمان مرات متوالية بالعارية بمد كل مرة قانت المجلة التي نعرب بها واذ كان التاؤب مما تفر منه طباع الحضور في مجلس وقد يؤدي الى ان يحذو حذوه غيره فالواجب على الانسان كما قال الاخلاقى لايروبير ان يتناوب في بيته لئلا يزعم غيره بما يكره

غابة تحت الارض

اكتشفت في ساندي هوك في ولاية نيوجرسي من اعمال الولايات المتحدة غابة تحت الارض على بعد ١٣٠ متراً عمقاً بينما كانوا يحفرون آباراً ارتوازية واشجارها عظيمة جداً قطر الواحدة نحو سبعة أمتار. والغالب ان هذه الغابة قد انتهت عليها الرمال فطمتها ويؤمنون ان يعثروا في هذا المكان على كيات وافرة من العنبر الاصفر

اجور المنازل

اشتمت وطأة الغلاء في اجور المنازل في عواصم العالم المدني فبانت فوق طاقة العاملين والمحترفين في احصاء اخيران في مدينة برلين ٥٢٠٤٤١ مسكناً منها ثمانون في المئة مؤلفة من غرفتين ومطبخ وهذا ما يضر بصحة من يسكنون في مثل هذه المحال في بلد يتجاوز سكانه المليونين اي ان تسعين في المئة يسكنون في مثل هذه المساكن المتلاصقة وقد كان الرجل يسكن منذ قرن ونصف باتفاق خمسة في المئة من دخله وارقت الاجور سنة ١٨٥٠ الى عشرة في المئة واليوم لا يستطيع السكنى باقل من ١٥ الى ٢٠ في المئة وربما اضطر بعض الاساتذة ان يتفقوا بخوربع مشاهراتهم ليسكنوا ييوماً لاثقة بهم في الجملة والسبب في زيادة الاجور بدعة المضاربات في اراضي البناء في المدن . والناس في الغرب يطالبون تدخل الحكومات في مسائل الاجور وان تنشأ لجان لتفتش المساكن

لغة الرئيس

عقد مؤتمر في بروكسل للنظر في اختيار لغة دولية تقوم بالفرض المطلوب للدول اوربا من كل وجه فكان القائلون بتفضيل اللغة الافرنسية اكثر من غيرهم وقد كان للقائمون بهذا الامر عضد قوي من رجال الكليات في العالم ما خلا المانيا فانه لم تسبق دعوتها الى هذا الفرض اما المتأدبون والعالمون وارباب الاعمال العقلية فقد فضلوا كلهم لغة هوغو وراسين على غيرها من لغات اوربا

الاولاد والكسب

نشر مجلس الصحة في كلية ورنيا من الولايات المتحدة نشرة قال فيها ان تعليم الولد الى سن العشرين يكلف في كليفورنيا ٤١٥٠ دولاراً اي نحو الف ليرة عثمانية وان قيمة الولد في تلك السن تساوي ٤٠٠٠ دولار وبذلك يمكن ان يثمن الشاب في سن الثلاثين

وكذلك فعلت بعض البلديات في ألمانيا واخذت على نفسها بعض البلديات تجهيز الموقد باثمان بخسة لانقاذ الفقراء من مخالب الدافنين والمكفنين واشتراطهم في الاجور وانتأت بعض البلديات صناديق للتوفير للعملة انت بنتائج حسنة كما ان جميع هذه الاعمال التي قامت وتقوم بها البلديات قد نفعتها ماديا كما نفعت الطبقة البائسة والمتوسطة بها وكل هذه الاعمال بقصد بها قيام الجماعة منظمين امرهم بنظام المجالس البلدية ليدفعوا عن الفقير والعاجز بل عن مجموع امهم غوائل احتكار الافراد للمصالح العامة والحاجيات الضرورية ويعملوا على ما فيه مصلحة الناس عامة لاصطحة اناس مخصوصين . وكانت انكذرا اول من فكر في مثل هذه الاعمال النافعة فمسي ان نكون نحن آخرون بذكره في احتذاء ذلك المثال النافع والمهدي الزافع

لغة دواية مزدوجة .

عرض جماعة من العلماء سنة ١٩٠٠ مشروعا نافعا في ربط عهود الوفاق بين كل من فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة الاميركية وهو ان تعدول حكومات هذه الممالك في عقد عهد تضطر بها كل منها أمتها ان تعلم لغة الاخرى اجباريا في المدارس فكما يتعلم الانكليزي والاميركي اللغة الانكليزية في مدارس بلاده يتعلم اللغة الافرنسية كذلك وكما يتعلم الافرنسي لغته في مدارسها يتعلم معها الانكليزية مضطر ايضا وقد قال ابو عذر هذا الفكر المسمى بول شابلية ان انتشار اللغة الانكليزية قليل في قارة اوربا اللهم الا في بعض السواحل القليلة وهكذا في افريقية الشمالية . والانكليزية منشرة في اميركا الشمالية والجنوبية وشرقي آسيا ولكل لغة من هاتين اللغتين منطقة انتشرت فيها ولم تنازعها فيه الاخرى فاذا جرى وفاق من هذا القبيل تقوى كل من اللغتين قوة هائلة خصوصا وان لكل لغة من لينك اللغتين اتسا بل انما ترغب في تلقفها وتقمها فللتجارة اللغة الانكليزية والسياسة والسياحة والمجالس اللغة الافرنسية . ولكن جاء هذا الاقتراح في غير اوانه اذ كانت على ذاك العهد توترت العلاقات بين فرنسا وانكلترا واخرجت الثانية الاولى من فاشودة وكانت انكلترا مهتمة بحرب البوير فلما صفا جو الصلات اليوم بين الدولتين قام صاحب هذا الفكر يعرضه على الانظار فوفق الى اتياع احد كبار الاغنياء في اميركا فنعهد ان ينفق على تحقيق هذه الامة كل ما يلزمها من المال ويقول العارفون ان هذا التدبير افضل من اختراع اللغات الصناعية وستنتج منه نتائج كبرى عملية لتلك الامم الثلاث من حيث الماديات والمعنويات . ونحن نقول ان هذا الفكر نافع جدا في

المملكة العثمانية ايضاً ولا سبيل الى ترقيتها الا اذا تعلم الاتراك لغة العرب وتعلم العرب لغة الترك وبذلك يحصل التفاهم ويؤول كل خلاف وهذا رأي كبار عقلاء الدولة وقد سئل عن معنى سوء التفاهم الواقع بين العرب والترك فقال لا سبيل الى ازالته الا اذا تركنا العرب وعربنا الاتراك .

حفظ الاسماك

احتاروا في بلر يوز آلة تخرج ثلجاً كالثلج الطبيعي حذو القذة بالقذة والتعل بالتعل وهذه الآلة نافعة في حفظ الاسماك اذ قد ثبت ان بعض الاسماك في البحيرات والانهار يهلك كثير منها لان الثلوج والجليد تنقطع عنها فجأة وبهذه الآلة الجديدة ينزل الانسان الثلج على الاماكن التي يريد بها ويحفظ السمك بطعمه ولذته في الابعاد الشاسعة وعلى متن البواخر التي تشق العباب بين قارات الارض الخمس اياماً وليالي وباستعمالها اقتصاد عشرين في المئة من ادوات الثلج الصناعي او الجليد المعروف في هذه الديار

مدارس الشعب في انكلترا

نشرت مجلة التربية لمحّة لاحد قدماء مديري المدارس الانكليزية في ترقى مدارس الشعب (Public schools) هناك منذ خمسين سنة جاء فيها ان مدارس الشعب في انكلترا تقسم الى قسمين قسم يدعى في العادة الابتدائي والآخر الثانوي . ولقطة ثانوي مأخوذة من الافرنسية وربما كان كوندورسه (١) هو اول من استعملها سنة ١٧٩٢ فالمدارس الابتدائية يتعلم فيها ابناء العملة منذ صغرهم حتى سن الخامسة عشرة ولا يعلم فيها غالباً غير اللغة الانكليزية وهي اشبه بمدارس اختيارية انشأتها الكنيسة وهي تفتق عليها ويرد تاريخها الى بضعة قرون . اما برنامج دروسها فهو منظم الآن على طريقة واحدة تحت ادارة مجلس المعارف والحكومة تفتق عليها وتراقبها وتكره القوم على تعليم اولادهم فيها

وليس لهذه المدارس مثيل في وحدتها في المدارس الثانوية او في المدارس العالية . وقد جمعت طريقة التعليم فيها بين الطريقة القديمة والطريقة الحديثة اذ فعلت

(١) هو فيلسوف رياضي فرنسي مشهور قام بالدعوة الى الجمهورية ولما سقط في

ابدي المستبددين او كاد آثر ان يفجر السم لينجو من الاهانة بصلبه ولد سنة ١٧٤٣

مات سنة ١٧٩٤

فيها المؤثرات السياسية والاجتماعية والدينية والتعليمية واضطرت ان تخرج طلبة ينتقلون منها الى كليتي أكسفورد وكبريدج

يبدو لك التعليم الثانوي في انكلترا لاول وهلة مرتبكاً فله مدارس قديمة واخرى جديدة ومدارس آتال رواتب من الحكومة واخرى ليس لها رواتب ومدارس دينية واخرى مدنية فقط ومدارس لها مجلس ادارة واخرى ليس لها ذلك ومدارس تقبل أعطيات الحكومة واخرى تستنكف من قبولها ومنها المحافظة بالطرق القديمة في تدريسها ومنها من اتت على القديم فدكته واستعاضت عنه بالجديد من الاصول وقصارى القول انك تجد مدارس من جميع الطبقات والدرجات والصفات ومدارس الشعب هي في الجلة التي لها مجلس ادارة وليست ملكاً لاحد وتبني تلامذتها الى ان يبلغوا التاسعة عشرة من اعمارهم وتبحث بقسم من قدمائهم الى كليتي أكسفورد وكبريدج . فنخرج بهذا التعريف المدارس الخصوصية والاستعدادية والمدارس الصغرى والمدارس التجارية والصناعية والمدارس التي لاتعلم اللاتينية واليونانية والمدارس الثانوية التي أنشئت حديثاً تحت حماية الحكومة وبقصد مـ.بـ.اـتـ تم التربية العامة في الطبقات الوسطى وتلميها تعليماً تجارياً او صناعياً او تخرج اساتذة للمدارس الابتدائية .

وبين مدارس الشعب والمدارس الثانوية في انكلترا اختلاف حقيقي فالاولى تكون على الاكثر داخلية واساتذتها ممن تخرجوا في الكليات العظمى وتلامذتها يأتون من بيوت آبائهم مباشرة او يكونون متخرجين في المدارس الاستعدادية واجور التعليم فيها غالية ويعلمون فيها اللاتينية واليونانية ولها ارتباط كلي مع الكليات اما المدارس الثانوية فتلامذتها خارجيون والسواد الاعظم منهم يتخرجون قبل في المدارس الابتدائية واجورها خيفة ولا يعلمون فيها الا قليلاً من اللاتينية ولا اثر لتعليم اليونانية فيها ولما بقى التلامذة فيها بعد من السادسة عشرة او السابعة عشرة وهي تحت نظارة *Board of education* ادارة التربية والحكومة المحلية . وبعد فقد نشأت مدارس الشعب كما تـكـ.اـلـى صور شتى فمنها ما انتأته الاديار والبيع ومنها ما انتأه الملوك او الافراد او شركات او جمع لها المال بالاكتساب العام فهي تسد حاجة ابتاء من يديرون شؤون البلاد وقوائم دروسها تنفع من يريدون التدرج والترقي منها الى الكليات او الى الجيش ويعملون الاعمال الحرة ويستفيدون في الوظائف الملكية في العاصمة والمستعمرات والمهند او في الفروع

العالية التجارية والصناعية وفي هذه المدارس نحو ثلاثين الف طالب وربما كانت في المدارس التي تعد الطلبة للدخول فيها بعد نحو عشرة آلاف والسبب الاعظم في كون مدارس الشعب واقفة في اصولها عند حد محدود ارتباطها بالكليات ولأن مديري شؤنها واساتذتها وتلامذتها هم من ارباب الاملاك او الذين يتعاطون الصناعات الحرة . واهل هذه الطبقة في انكسرتهم من المحافظين في السياسة والتربية وربما كان لهذه المدارس من قدمها مادة لبقائها حتى الآن ولذا فان شركاتها او جمعياتها تدعو فيها الى التعلق باذيال الماضي . ولشجرة المدرسة وثقاليدها وأسلوبها شأن اعظم من شأنها في التربية العملية او التعليم الراقي .

و يعيش تلامذة هذه المدارس داخلين لا في بيت واحد متسع بل في بيوت منفصلة بعضها عن بعض يوسد امر النظر فيها الى اساتذة ويختلف عدد المتعلمين في كل مدرسة منها بين ١٢ الى ٥٠ وربما زاد عن هذا القدر يعيشون عيشة اجتماعية ودية ويتحاون على نحو ما يتحاب الاتراب ويتعاطفون تعاطف الاخوة ولجميع هذه المدارس الكبرى معاهد يصلون فيها على وتيرة دائمة ان لم تكن متصلة بكيسة . والذين فيها تأثير شديد . والعامل الرئيسي في نجاح معلم في المدارس الابتدائية طريقته وأسلوبه وفي استاذ الكلية سعة علمه وفي مدارس الشعب اخلاقه ولذلك تجد المعلمين والمتعلمين في هذه المدارس الاخيرة مرتبطين بحب مدارسهم والاخلاص لها ارتباطاً ينم عن سير المدرسة واخلاصها وثقاليدها ومن مبادئ هذه المدارس ان تمنح تلامذتها ثقة كبرى وقد فوضت قسماً مهماً من المراقبة والنظام في بيوت المدرسة ومحال اللعب للمسنين منهم وللرياضات شأن عظيم جداً في حياة المدرسة وفي تربية الاخلاق

وقد وصف اللورد ديكو ن سفيل هذه المدارس بقوله : ان ما يعجبني في مدارس الشعب هو ان طابقتها يعيشون في الهواء الطلق ويرعون في جميع الالعاب الرياضية ولا يتكلمون الا بالان واحد وقلما يقرؤن . حقاً ان هذه الطريقة في التربية غير تامة ولكنها لم يسبق لها نظير منذ عهد اليونان

وقال احد علماء التربية ان مدارس الشعب كانت تفجح كثيراً في تخريج الرجال . وعلى ما دخل هذه المدارس من الاصلاحات لاتزال تنظر اليها نظراً ثانوياً ولا ترمي الا الى غاية واحدة وهي ان تخرج رجالاً أكفاء اماناً وطنيين مسيحيين وبعبارة ثانية اعضاء نافعين في الكنيسة والحكومة

وان ما دخل من الاصلاح على هذه المدارس منذ خمسين سنة وما يرجى ادخاله لا يتأتى فمعه على حقيقته الا بالرجوع الى تاريخها فاننا نراها الى اليوم تدرس اللغتين الميتين اللاتينية واليونانية بل قد جعلتهما المادة الجوهرية في التعليم الحر وبكفي ان نقول ان السبب في دخول هاتين اللغتين الى التعليم العالي في الغرب المسيحي هو ان الكنائس كانت يجوهرها في القرون الثلاثة الاولى يونانية الاصل وكذلك اللغة والنظام والفلسفة . وباللغة اليونانية بلغت الآداب على اختلاف فروعها ماعدا الفقه اوج كالما . واصبحت اللاتينية في خلال القرون اللاحقة في جميع غربي اوربا لغة المستعيرين من الناس وفي القرون الوسطى جعلت الكنيسة وكانت اذا ذاك القوة المربية الوحيدة في اوربا اللغة اللاتينية لغة عامة . وعلى عهد النهضة ^(١) انتشرت الآداب واللغات الاولى انتشارا عظيما سيف ايطاليا ثم تلتها حركة الاصلاح المهمة في مدارس المانيا بقيام ستورم وملانكتون ^(٢) وكان بدافع عن اللغات الاصلية دعاة متحمسون لامثل ايراسم ^(٣) فقط من رجال الادب بل مثل لوثيروس من رجال الاصلاح الديني فان هذا دعا رؤساء الحكام في جميع مدن المانيا الى تأسيس مدارس تدرس تلك اللغات القديمة حتى قال بعضهم «يجب علينا ان نربط بحب اللغات اربعة اطار انده الثبات كما تربطنا عن رضى بالانجيل فاننا اذا لم نحفظ باللغات ان نحفظ بالانجيل» ولقد اثرت بانككترا مثل هذه العوامل فكانت بعد عهد الاصلاح تعد الالة اللاتينية لغة الكنيسة ولغة من تطمح نفسه الى المناصب الرسمية وظلت اللاتينية لغة العلم والسياسة الى سنة ١٦٦٠ ولكن مدارس الشعب لم ترجع عن طريقها في التعليم الا بعد ان قامت المانيا وفرنسا وعصيت باصلاح التعليم العالي لما له من الشأن في تكوين الوطنية وهذا لم يتم الا في اوائل منتصف القرن الماضي والى

(١) النهضة *La Renaissance* هي اسم يطلق على التجديد الادبي والعلمي والصناعي الذي حدث في اوربا في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر ساعد على هذه النهضة اختراع الطباعة التي بهام بين الاوربيين انتشار الافكار كما ساعدها اختراع النقش الذي عمم الصناعات والتفالي في التحف والرسوم وبدأت هذه النهضة من ايطاليا ومنها انتقلت الى فرنسا وغيرها من ممالك اوربا

(٢) *Melanchton* عالم لاهوتي الماني صديق لوثيروس صاحب الدعوة

البروتستانتية ١٤٩٧ - ١٥٦٠

(٣) عالم هولاندي لقب بولثير اللاتين ١٤٦٧ - ١٥٣٦

ذاك العهد كان تلامذة تلك المدارس يكتبون باللغة اللاتينية وينظمون بها ولا يدرسون
الفرنسية الا قليلا اما الالمانية فكانوا يجملونها كما يجملون العربية وكانوا يعنون عناية
خاصة بتلقين مبادئ الرياضيات واسما الهندسة الوصفية وكان الاساتذة يجيّدون في
تعلّم اللاتينية واليونانية والعلوم الرياضية وهم شيوخ يدرسون هذه المواد منذ اربعين
سنة أكثر من المحدثين لان خواتيم من يمارسونها احسن من مبادئها والحال ليس كذلك
في مدرسي التاريخ والادب والعلوم والاقتصاد السياسي فان هذه الموضوعات تضعف
كلما قيلت وتنقلت فادرك رجال العلم اذ ذاك ان هذه المواد لاتنبه ذهن التلاميذ ولا
تلتئم مع صلحتهم لان ليس فيها نفع عام

دام ذلك حتى اخذت بعض الكليات بعد سنة ١٨٦٧ تنفق من حسابها لتعليم بعض
التلامذة فعندها اضطرت معظم مدارس الشعب الى تعليم تعليمها فن التلامذة من
اختاروا طريقة التعليم الحديثة بدون تعلم اليونانية وتعمقوا باللغة الفرنسية والالمانية
والتاريخ واصبحت مواد كثيرة اختيارية لمن يريد ان يتعلمها ومنهم من اخذ يميل
الى الاختصاص اي التخصص بعلم واحد ولا سيما في المدارس المهمة

وها قد اصبحت هذه المدارس اليوم ولها معامل كجاية ومراصد فلكية وخزائن
كتب ورقي فيها تعليم الآداب الانكليزية واللغتين الفرنسية والالمانية وعدلت فيها
الكتب وصرفت العناية الى تعليم العلوم ومنها علم التربية واصبح تعليم الموسيقى من المواد
المهمة في التدريس وطلبة هذه المدارس يدخلون في مسائل اجتماعية مهمة من مثل
معاونتهم للفقراء والاخذ بانصر الضعفاء في الاحياء الفتنرة من المدن الكبرى ويتعلمون
التعليم الوطني او واجبات الوطني في المدارس المهمة ومعظم كبار الطلاب يتعلمون
التعليم العسكري ليستعدوا به الى نيل رتب الضباط في الجيش البري وكثير منهم يتعلم
صناعة يدوية كالنجارة مثلا كل هذا والغرض اليوم من هذه المدارس لم يفت القائلين بها وهي
ان تربي الاخلاق وترقي المدارك ولكها لم تبلغ في الامر الثاني درجة عالية وذلك
ناشي من تأخر نمو العقل في ابناء الانكايز فيظن الاساتذة ان عقول طلابهم كسلانة
لا تعمل وقد قال اميرسون الفيلسوف الاميركاني : « ان التربية هي مايق في اطوارنا
وعقولنا عند ماننسى ماعلمتنا المدرسة اياه » وقال الاستاذ سدرل : تشد القوة الحيوية في
التربية الى قوة الثقة بالنفس والاحلاص في المعتقد فاذا لم يكن للربي رسالة يريد تلقينها
لعقل من يربيه وابلاغها لروحه بتعذر وصوله الى وضع أسس الشخصية الادبية وهي المصادر

التي هي احسن ما في الحياة الشخصية والحياة الوطنية . فبدأ التربية ايضاً منبثاً من هذه الرسالة الروحية التي يبلغها الاستاذ وبدونها تفهم قوتها الحيوية هذا ما عبرناه من كلام الاستاذ الانكليزي وقد امل لهذه المدارس نجاحاً اوكد في هذه الخمين سنة التالية لما يتورها من الاصلاح التدريجي فإذا يقول ابن هذه البلاد عندما يذكر ما يكتبه عنا علماء التربية والاجتماع فقد قال احد الالمان ممن قضوا عشرين سنة في العراق ان الامة العربية تموت الموت التدريجي افساد طريقة التعليم فيها فاللهم قمض لمدارسنا الالهية والرسمة والدنية من بصلحها الاصلاح الحقيقي ويوضحها من اصول التعليم المطول المحل باصول حديثة ترقى الخلق والعقل ومن الخطط (البرنامج) المطولة التي هي طلاء ظاهر بخط مخصصة ظاهرها كباطنها

التربية في سويسرا

نشر الاستاذ ستودر الانكليزي مجئاً له في التربية السويسرية واذا كان ممن تربوا في مدارسها قديماً غداً كلامه جديراً بالثقة والنقل قال مانر به عن احدى مجلات التربية الباريزية : التعليم في سويسرا على ثلاث درجات ابتدائي او موزر وثانوي وعال وكلها ذات صبغة ديمقراطية يجلس على مقاعدها ابناء جميع طبقات المجتمع كتنف الى كنف وقد قضى قانون الاتحاد السويسري منذ سنة ١٨٧٤ ان يكون التعليم الابتدائي اجبارياً مجاناً وتراعى حرية الوجدان فيه بيد ان تطبيق هذه القاعدة تختلف باختلاف الاقاليم ترى مدة الدروس لانتشابه في كل اقليم وكذلك التعليم الديني يختلف بحسب البلاد . ومن اقاليم سويسرا ما يكره فيها الولد على البقاء في المدرسة من السنة السادسة الى الرابعة عشرة ومنها ما تكون مدة الاجبار من السابعة الى الخامسة عشرة ومنها ما يسمح للولد ان يخرج من المدرسة في الثالثة عشرة بعد ان يؤدي امتحاناً وعلى كل تليد ان يحمل دقراً يني^٤ بهويته . وكذلك الحال في قائمة الدروس فانها تختلف كل الاختلاف لان الاقاليم والبلديات لها مطلق الحرية ان توفق الدروس على حسب الاحوال المحلية بحيث يقال ان اعضاء المجالس البلدية في كل قرية لم اليد العليا على كل ما يتعلق بالتعليم فيحددون بحسب ارادتهم اوقات العطلة ومدتها ويختارون المعلمين ويوافقون على احداث مدارس او ابنية جديدة ويتمدون بالاهتمام بانفسهم شؤون مدارسهم وتفتش صفوفها في مدد معينة والنظر في راحة الاساتذة والتلامذة . وما من مجلس من هذه المجالس يتوقف في بذل اقصى العناية بامور التعليم . والحكومة تؤدي نفقات المدارس الابتدائية

وفي بعض الاماكن تعطي للاولاد الكتب ولوازمهم المدرسية من المدرسة كما تعلمهم مجاناً وفي ايام الشتاء يقدم للاولاد طعام الغداء بثلث زهيد جداً واحياناً بدون ثمن تكاد تكون جميع المدارس من املاك الحكومة وليس معنى ذلك بان ليس ثمت بعض مدارس اهلية خاصة فان بعض المدارس تنوخي في تعليمها غاية مخصوصة وبعضها تسعى الى منافسة المدارس العامة ولكنها خاضعة لشروط لجميع الاولاد الذي يقرؤون في مدينة نوفشائل على اساتذة خاصة او يختلفون الى مدارس خاصة يمتحنون كل سنة امام لجنة من المحكمين وتجبرهم الحكومة على دخول مدرسة عامة اذا رأت ان نجاحهم في دروسهم غير مرض. وعلى كل اسناد يعلم نفسه تعليمها حراً ان يكون حاملاً شهادة او يمتحن امتحاناً خاصاً في المواد التي تعادل ما يدرس في مدارس الحكومة. والمدارس الخاصة في كل طرف من اطراف سويسرا خاضعة لتفتيش الحكومة

والتعليم الثانوي مجاني ايضاً في معظم الاقاليم ويحلى التليذ في بعضها لوازمه من كتب وغيرها بلا عوض اما في التعليم العالي فان التلامذة يدفعون اجوراً ولكنها طفيفة جداً والتليذ الفقير المدقع يتعلم مجاناً اذا اراد معها كان استمداه. وليس للكتليات موارد خاصة ما خلا كلية بال وكلية اوكتين تدعيتين

ولا يطلب من المعلم في التعليم الابتدائي ان يميز بعض التلامذة اذا رأى فيهم بوعاً اذ ينظر الى الاولاد كلهم نظراً واحداً ولا تقادي بمصلحة السواد الاعظم من اجل مصلحة طبقة مختارة لان الامة تتألف خاصة من ارباب العقول المتوسطة لامن النوايح. المدارس الداخلية غير معروفة في سويسرا وما خلا بعض مدارس المعلمين بالحكومة ليس لها الا مدارس خارجية لان عمل الابوين في تربية الاولاد مما لا يقبل المناقشة في سويسرا على ان الحكومة قد جعلت من حقها مراقبة الابوين الذين يقضى عليهما ان يطعموا اولادهم ولبسهم على ما ينبغي ومن حقها ايضاً ان تقنص من الآباء المتساهلين في العناية باولادهم وتكرهم ان يوءدوا عنهم ما يقوم بكفائتهم من الرزق

وكانت العناية بالرياضات قليلة في مدارس سويسرا ويهتم المعلمون اهتماماً شديداً بذاكرة الولد لانهم ينظرون الى التعليم بانه غاية لا واسطة اما اليوم فقد ادخلوا الالعاب الرياضية والتجارب اليدوية والحلقات المدرسية والاعمال الزراعية وقللوا المادة الدروس. عدلوا بعض قوانين التعليم في سويسرا منذ بضع سنين ناظرين فيها الى ترقية الاخلاق باعتبارها الغاية الرئيسة في التربية ورأوا ان التعليم الديني هو العامل الاعظم في تهذيب

الاخلاق واذا كان من الواجب مراعاة حرية الوجدان عملاً بالدستور السويسري رأيت بعض الاقاليم ان تجعل النوراة اساس التعليم او تدرّس الاخلاق الطبيعية وخ: هت ساعات معينة لدرس المعتقدات الدينية . ورأى المصلحون في الايام الاخيرة ان يرفع من التعليم تعلم الدساتير والقواعد والحقائق المجردة التي كان يقضى على التلميذ اسنظهارها ويمد الى ارادة الطفل وبجته الخاص فقط . وقد جعلت ولاية تسين اول بند من قانونها المدرسي ان الغاية من التربية ان يخرج الطفل انساناً يفكر ويعمل وعليه تبة .اي عمل . تريد بذلك ابعاد الطفل عن درس الاساليب التي تبعد الفهم عن النصور النافع او التي لاغاية لها لان اسنظهار كبة من الالفاظ لاعلاقة بينها وبين الاخبار الشخصية فيقوم مقامها الفاظ تطلب معاونة الولد وتغوله حريته في العمل والتصور . فسويسرا لاكتكتفي بان تعلم ابناءها القراءة والكتابة .الحاج بل هي تنظر الى التعليم نظراً ابعد تريد تربية الصحة والاخلاق وان تبعد عن المتعلم كل .ايضر بخلفه وتهذيبه .

وقد كثرت في سويسرا منذ بضع سنين مدارس الزراعة والتجارة والصناعة على اختلاف ضروبها وأنشئت مدارس لتدبير المنزل تعلم فيها البسات ادارة شؤون البيوت والخباطة والطبخ والكي والغسيل وغير ذلك . وجميع هذه المدارس هي عبء ثقيل على الحكومة ومع هذا فان الحكومة لم تنفل عن التعليم العالي فسويسرا سبع كليات عامرة والاجور فيها زهيدة للغاية لان القوم ابقنوا ان الطبقة الراقية في حكومة ديمقراطية يجب ان تكون من اقوى عناصر الامة واكثرها ذكاء . وهذه قد تكون فقيرة

والظاهر ان غاية مايرجي اليه التربية في سويسرا سعادة الامة عامة والفرد خاصة وذلك ببذر كل البذور الصالحة وتعهدها بما ينميها والانراف على القوى النافعة وكل مافي المرء من الميول الشريفة . وينظر في هذه التربية ايضاً الى اصلاح كل ماسفل وتبدل من اخلاق الطفل والاخذ بيد كل وطني ليكون منه انسان مستقل كثير الثقة بنفسه مسؤولاً عن حقوقه وخصائصه راغباً في القيام بكل واجباته نحو بلاده والناس اجمعين . وكيفا كان الحال في نقص الاساليب المناسبة في سويسرا على قلة المعلمين فالواجب ان يعترف بانها لم تكتف بالالفاظ اللطيفة في معنى التربية فهي على ضيق مواردها قد بذلت عن سعة في سبيل تهذيب الشعب وفادت بكل .الغنيها من المال والقوة لخدمة غرض تراه مرتبطاً كل الارتباط بنجاح الامة وبنائها

درس في الصحة

لا يكفي التمتع في تناول الغذاء على نظام خاص لحفظ الصحة بل الواجب الجري على قوانينها . فكن يا هذا مفرماً بالنظافة وحب الماء والاعتسال كما تحب اغتر الآشياء عليك فن غسل اطراف جسمه واعتاد الوضوء في الاوقات المعينة ضمن جلده الرشح المنشط والمرونة النافعة فالله البارد يشد المسام والحرار يمددها والافضل في كثير من الاحوال الاعتماد على الماء الفاتر فحمامات المياه الباردة تقوي الجسم وتنشطه والحمامات الفاترة تسكن هياج الاعصاب وتزيل التعب والحمامات الشديدة الحرارة تحط بالبدن وتضعفه .

دع على الدوام نوافذ مسكنك مفتحة ليدخله النور والهواء على ما يجب سواء كان في الصيف او الشتاء ولا تحف الهواء يتخلل منافذ ابوابك فانك اذا قلت من الاتفاق على التدفئة تنجو من امراض كثيرة والغرف التي لا يدخلها هواء هي بؤرة امراض دائمة كالزكام وذات الجنب وامراض الحلق والصدر والوفدة النازلة . دع الهواء — كما قال احدهم — يجري الى غرفتك حتى في فصل البرد فانه يحمل في جناحيه غذاءً لرتتيك ومطهرًا لبيتك .

تعلم جودة التنفس فان الناس يجهلون الا قليلا هذا العلم الواجب تعلمه والعمل به . فبالهواء يتجدد دمنا وتحمل الحياة الى جميع حواسنا وهو الذي يعين وظائفنا الطبيعية والنفسية على البقاء والاعتدال ومن انفع الامور في جودة الصحة ان يطيل المرء نفسه في ساعات معينة ويتنفس بجلء رتيه وان تكون الثياب واسعة لاتضييق على الصدر يتنفس بان يعد من الاعداد من الواحد الى الستة ويكون تنفسه من انفه وفيه مطلق وتدوم هذه الرياضة عشر دقائق ومن الغد تمكث ثماني ثوان في تنفسك وثمان في حبس النفس وثمان في اخراج النفس من الرئة وهكذا تطيل كل يوم مدة التنفس وتجعله بنظام وتأن بحيث يندم الهواء الى ادنى طيات رتتيك ويملا دمك بالاكسجين مبعث الحياة للراحة والصحة . واحسن رياضة في التنفس ما كانت في الخلاء وانت متمدد على العشب بالقرب من الاشجار وانت سائر بخطا معينة في طريق يحمل اليه الريح ارج المروج والغابات ومن واظب على مثل هذه الرياضة زاد نشاطه واستطاع قمع نفسه اغتم اوقات فراغه واصرف كل يوم ساعتين من وقتك للسیر على قدميك فالشي احسن انواع الرياضات يزيل كما يقول الافرنج سدا الاعضاء وهو وقاية من المزال

وتصلب البدن وشفاء للجسم به يخفف ويزيد مرونة وتنشظ حركاته . اذا فعلت هذا فنجو من السمن والربالة الضارة وتبقى اعصابك حافظة مرونتها ونشاطها الى ايام الشيخوخة

فكما ان المشي ينفع من حيث الطبيعة ينفع ايضا من حيث الاخلاق لانه يصفي النفس ويطهر الروح وينظم الفكر ويطرد الابخرة ويبقي على الاحتقاد فيطفئها ويوحى الى النفس المطالب الحسنة الشريفة والواجب ان تكون الخطا في المشي كبيرة لا تقل عن نحو ٧٠ سنتيمتراً وان تمس رؤوس الاصابع الارض اكثر من العقب وان يتعاقب اهتزاز الذرايين

والراحة مطلوبة عقيب العمل وخير الراحة ما كان منقطعاً بمعنى ان راحة ربيع ساعة بعد ساعة من العمل افضل من راحة ساعة عقيب اربع ساعات في العمل . واذا اقتضى للرجل ان يواصل عمله ساعات فعليه متى فرغ منه ان يعمد لاسباب الراحة كلها كأن يستلقي على كرسي طويل وينزع ثيابه التي تضغط على صدره ويمدد ساقيه وذراعيه ويبتل حركة اعصابه ويطبق جفنيه ويطرد عنه اهتمام النفس ويحلب اليهامن الصور ما يضحكها فيذكرها ببقعة جميلة من الارض ويمتنزه حسن للرياضة فتمر به اللحظات كما يمر الماء المنعش وبغوص الفكر في محيط سلام كأنه نصف نائم . وياك ان تعزف نفسك عن صرف ثلاثين دقيقة في هذا السكون فانك بها تستعيد قواك وتعرض الآلة العاملة ما يلزم لها من الزيت للعمل عملها .

اذا عرفت ان الاكثار من كل شيء ضار فايك والاكثر من الراحة ايضاً فاذا كان استعمالها معوضاً للصحة ما فقدته فلاكثر منها يجب الامراض لاحالة لان قلة الحركة والكسل تغيران الصحة اكثر مما يغيرها التعب . والاكثر من العمل ولا الاقلال منه .

المداقة قريبة بين الراحة والاغفاء فخير النوم ما كان متناسياً مع سن الانسان فقد قالوا ابن ٣ الى ٤ سنين يقتضي له من النوم ١٢ ساعة ومن سن الرابعة الى السابعة ١١ ومن السابعة الى السادسة عشرة ١٠ ومن السادسة عشرة الى الحادية والعشرين ٩ ويقتضي للبالغين ثمان ساعات . وقلة النوم داعية الى الامراض لان فقر الدم وتعب الاعصاب والضعف تنشأ على الاغلب من قلة النوم

ثم على الاقل بعد ساعتين من الطعام ويجب ان تكون غرفتك مفتحة النوافذ بعض

الشيء اذا كان الفصل غير شتاء وتكتفي بوضع ستارة عليها حتى لا يدخل الهواء مباشرة الى وجهك واضطجع على الجانب الايمن حتى لا تتأثر حركات القلب وعود نفسك التنفس من انفك لتتجنب من ييوسة الحلق والغليظ وتنامى ما وقع لك من اعمال النهار وكن كأنك لا تفكر والنوم موافيك من ذاته للاحالة

وعلى اصحاب المزاج الدموي ان يستعملوا الوسادة تحت رؤوسهم حتى لا يهجم الدم عليها اما اصحاب الامزجة الضعيفة والذين ابتلوا بفقر الدم فينامون ورؤوسهم واطئة ما امكن

يجب ان يكون الفراش في وسط الغرفة لا في زاوية ضيقة منها وان يكون غير محاط بالسور لتلاميذ نفوذ الهواء اليه والنوم على فراش الريش مفسر وخير الفرش ما كان الفراش الاسفل محشواً بالقش والاعلى بالصوف وفراشان بكفنيان للراحة والواجب اطفاء النور في غرفة النوم لان النور يذهب العيون وتأخذ كمية من الاوكسجين لا تستيقظ في الصباح بمجلة تنتفض من مسيرك تلى حين فجأة بل دع حواسك تستعيد قواها ورأسك يطرد سحب النوم عن الجفون ولا بأس بان تكسل بضع دقائق ثم تنهض من فراشك لان الهبوب من النوم فجأة والدم محتقن والاعصاب غير مستوفزة يحدث شيئاً من الاضطراب قد لا تكون نافعة

للبرد تأثير كبير في امراضنا فانا في حال الصحة نحمل في احشائنا اورثانا ولعابنا جراثيم ذات الرئة والخلقا والتزلات فبادي سبب تهجم على انسجتنا وتلقي الاضطراب فيها كأن نعرض لبرد او لمطر طويل او نلبس جوارب رقيقة ترشح ماء ولذلك وجب التوفي من هذه الامور واختيار البسة تدفي ولا ينفذ منها ماء الى البدن او الامراف وان ثوبين خفيفين محكمين يسكان حرارة الجسم اكثر من ثوب واحد غليظ واحسن ما يدفي في البلاد الباردة في صميم صبارة القر تلك الادثرة التي يحسونها بالفرو ويلبسونها في الغرب وبعض بلاد الشرق والعناية كل العناية بتدفئة الرجلين واذا خرج المرء من غرفة حارة فليعلم ان يسك من دله ويضعه على قدمه ويغتره حتى لا يدخل الهواء البارد من الخارج الى الرئة الا يبطء وكذلك الحال في الاماكن الحارة جداً فانها ضارة تحقن الدم كالاماكن الباردة كثيراً والواجب في شربي تموز وآب ان يتمتع المرء عن تناول الثلجيات مهما حدثت نفسه بتناولها وان لا يتعرض للشمس وهو حاسر عن رأسه وان يستعمل المظلة كل من كان دموياً

وخبر الطرق لاستمتاع المرء بشبابه وان تكون ايام حياته طويلة وكلها ريعاً ان يطرد عنه الخوف والتألم والغم والاضطرابات على اختلاف انواعها ويحسن ظنه في المستقبل فلا يستدعي بنفسه الشيخوخة ففاه الجسم موقوف على عمل المرء نفسه لا على الايام التي مضت عليه فكم من شيخ حفظ صحته بنمها وادفعه عنها كل ما يضر بها وكم من شاب غن نفسه مقبلاً على ورود حياض الموت لوسواس اصابه وهموم وغموم دعاها تسولي عليها وان علماء الصحة ليقولون ان الحياة قد تطول الى اكثر من مئة سنة اذا لم يطرأ على طاريء غير منتذر فعلى من يجب حياته ان لا يقصها بصنمه بل يعمل لذاتها ومنامها ولباسها وعملها كل ما يجعلها بهجة مفرحة

لغة الولد

نشر احد اساتذة انكلترا في مجلة المدرسة مقالاً في المكانة المعلقة على لغة الأم فقال ان الثلاثة من ابناء التاسعة الى الرابعة عشرة يجب ان يخصصوا عشر ساعات في الاسبوع لدراسة لغتهم الاصلية . فن الوم الفاضح ان يذهب بعضهم الى انه من الممكن تعليم الاولاد معنى الانشاء والفوق الادبي اذا لم يكونوا متمكنين كل التمكن من لغتهم . وباطل اعتقاد من يعتقد بغناء اللغات الاجنبية في التربية . بل ان تعلم لغة غريبة قبل احكام المرء لغته الاصلية احكاماً راسخاً وتبريزه في اساليبها ضار لبلغة . وملكتها فقط بل في تربية عقل التليذ ايضاً

اما الجمهور وعامة الناس فيذهبون الى غير هذا المذهب فقد قال اللورد الفرستون في جريدة التربية يوم افتتاح مدرسة ماغلاما قاله غيره وهو ان الواجب على الابناء ان يتعلموا لغة اجنبية في صباهم حتى تعلموا لان ما يتعلمونه منها في سن الحداثة في بضعة اشهر يروى في نفوسهم اكثر مما يتعلمونه في سنين متى كبروا . نعم ان الحواس الصوتية هي في الطفل الين منها في غيره ولكن الحبال الصوتية ليست هي كل ما يلزم لتعلم لغة فان من المجرى ان الطفل الذي تعلم اللغة الهندستانية يذاها بعد سنين . قال الكاتب اما نحن فاثناؤنا من على كلام جريدة التربية ومجلة المدرسة وهو ان تزداد الساعات المخصصة لدرس اللغة الاصلية وان تؤخر ما امكن دراسة اللغات الاجنبية او القديمة ريثما يستتم التليذ ملكة لغة وان يتجود التعليم الابتدائي من دراسة اللغات الحية وفي ذلك من القناء والنفع من كل وجه مالا ينكر لبيب محله . هذا ما عر بناء ويا ليت نظارة المعارف العثمانية تنظر فيه نظر تدبر فان التعليم في مدارسها بالبلاد العربية اصبح

من العثم بحيث اسمى عدمه خيراً من وجوده لانها قضت ان لا يعلم التلاميذ حتى سيف المدارس الابتدائية شيئاً من لغتهم العربية واكتفت بتلقينهم فقط اللغة العثمانية وباليتمها تحسن تعليمها فيخرج التلامذة بعد الدراسة لم يتعلموا لغتهم ولا لغة حرصت نظارة المعارف على نشرها كالحقق اراد ان يمشي كالحجل فتسمي ممشاء ولم يمش مثله .

العمل اليدوي

من الغريب ان البلاد التي قل أميوها هي التي جعلت اساس التعليم فيها الاعمال اليدوية واعتبرت التهذيب العلمي ثانوياً فقد جرت بلاد الدانيرك والسويد وزوج على طريقة تربوي فيها ملكة الصناعات قبل الاشتغال بالعقولات والمنقولات وجعلت غاية المدارس هناك ان تعد ابن الشعب لاكتساب رزقه فهو يجتهد في حرفة له يختارها ليبرع فيها ولا يجبر على العمل اجباراً بل تجعل له مكافآت مالية يتناولها بحسب تجو بهد عمله وفي خلال تلك المدة يتعلم الولد ما ينبغي له من التربية اللازمة لعامل واذا نبغ من بينهم نابغ وبه منهم نابه يخرج من بين تلك الصفوف بطبيعة الحال . وقد جربت اباطاليا هذه الطريقة في تعليم الصناعات وتهذيب الاولاد الذين ارتكبوا جرائم فحبسوا واستعاضت عن تعليمهم باعمال صغيرة سهلة مثل طلي القوى والحبك وعمل السلال مما يعمل المرء في العادة وهو يغني او يتحدث مع غيره فراقت هذه الاعمال الاولاد السجناء خصوصاً وانهم يتقاضون عن اعمالهم اجوراً وان كانت طفيفة لكنها تفرس فيهم ملكة الحذر والاحتياط ولذا قل فيهم من يجيد اثناء هذه الاعمال عما يقضي به النظام وجاء منهم وطنيون نافعون لاحاققون على الدهر لا يدرون كيف يسبون

رعب الاولاد

وضع المسيو فاراندونك سؤلين على تلامذة بعض مدارس بلجيكا وهما : من اي شيء تخاف اكثر وما السبب ؟ ومن اي شيء زاد خوفك كثيراً يوم كنت طفلاً وعلى اي سبب تعلقه ؟ فاثاه الف وخمسمائة جواب نشرها واستخرج منها ما استعجه في مجلة علم النفس فتبين له ان الصبيان اكثر من البنات خوفاً من الاسد ورجال الشرطة ومن آبائهم وامهاتهم ومن الوحدة والماء والاشباح والمستقبل والبنات يرعين في الاكثر من الحيوانات ولا سيما من الذئب والدب والجراذين والفيران ويخشين اكثر من الصبيان الآلام الطبيعية والرجال والمركبات على انواعها والظلمة والرعد والبرق . وان الهادي يخوف الولد ناشئاً من عدم مما شاهده لم يحطه لان ارادته لا دخل لها في هذا الشأن بل انما

بل ان تخلفه عن السير مع محيطه ناشئ من ضعفه . ومعظم الرعب في الاطفال ينشأ لم من حوالهم وحدث ما شئت ان تحدث عن الرعب الذي يستولي حتى على الكبار في السن لان الاوهام غرست فيهم منذ الطفولة . قال ومن انواع الخوف ما ينفع الجنس الانساني والولد ايضاً وهو الخوف النافع في الاحابيين اي ان الجبناء . وهم في الاغلب العاقلون قد ينجون بحياتهم في احوال كثيرة .

الاولائل

من الموضوعات التي اشدت فيها في دار غربي موضوع الاولائل . فقد بحثت حتى جمعت فيه مجموعة كبرى اخذت معظمها عن اللغة الانكليزية . وهي تنفل اكثر من اربعمائة صفحة من صفحات مجلة المقتبس

وغرضي من جمعها ان اضع في هذا الموضوع كتاباً خاصاً ذهباً الى ان العربية مفتقرة اليه ولا سيما ان المقاربة قد عنوا به عنايه خاصة لمكانته ولا يضر المشاركة ان يخذوا حذوم

ولقد سرت في ماعرفته من ان عيسى افندي اسكندر العلوف الباحث المعروف قد عني بهذا الموضوع . ولا ريب عندي في انه متى وقف على عنايتي به ايضاً سبسر لان غرضه وغرضي يرميان الى مساعدة المشتغلين بالكتابة على جعل العربية غنية بالمباحث التي يفاخرنا بها اهل الغرب

وهذا بعض ما عرته بهذا الباب واضفت اليه بعض الحواشي لزيادة الفائدة

اول بندقية اخترعت سنة ١٦٤٦ واول مدفع سنة ١٨٨٦

اول ملعب للتمثيل بناء الرومان في رومية سنة ٦٩ ق . م

نشر صليبيو اسبانيا لاول مرة في اوروبا ارقام الحساب العربي سنة القرن التاسع للمسيح

اول رئيس قتل في الولايات المتحدة ابراهيم لنكلن في ١٤ نيسان سنة ١٨٦٥

اول انسان اكتشف الخليج الفاصل بين كرنيلاند واميركا الشمالية نلقبطان (بافن)

اول مخترع للطاير (غوزماك) اليسوعي في سنة ١٧٢٩ واول من استعمله

(مونتفولر) في سنة ١٧٨٢

اول مصرف افتتح في الولايات المتحدة مصرف فيلادلفيا . افتتحه رهط من اكابر

(١) يظن ان المطاير اخترع قبل ذلك العهد بزمان طويل

البلاد في ١٧ حزيران سنة ١٧٨٠ برأس مال قيمته ٨٣٠٩١٦ دولاراً (١)
 اول مخترع للبارومتر^(٢) (فورسيلي) اخترعه في سنة ١٦٤٨
 اخترعت الحراب لأول مرة في (بايون) (فرنسا) سنة ١٦٧٠
 اول طبيب اذاع تقرير جريان الدم في الرئة (ميشل مريفتس) الفرنسي في
 سنة ١٥٥٣

اول مخترع لتجليد الكتب ملك (بورغما) ظهر اختراعه في سنة ٨٨٧
 اول من استعمل الخبيرة في الخبز الانكليزي سنة ١٦٥٠
 اول قناة في العالم اقيمت في مصر بين نهر النيل والبحر الاحمر
 اخترع ورق اللعب . في فرنسا واستعمله الملك كارلس السادس للتسلية
 سنة ١٣٨٠

ادخلت المركبات الى فينلا لأول مرة في سنة ١٥١٥ والى لندن في سنة ١٥٨٠
 اخترع الشطرنج سنة ٦٠٨ ق م
 سافر الاميركان الى الصين لأول مرة سنة ١٧٨٤
 عرف الخزف الصيني لأول مرة في سنة ١٥٩١
 اكتشف الكلويفورم في اميركا وجرمانيا سنة ١٨٣١
 اول كلية اقيمت في الولايات المتحدة كلية (هارفرد) المعروفة اليوم بجامعة هارفرد .
 أسست سنة ١٦٣٨

زرع القطن لأول مرة في ولاية فرجينيا احدى الولايات المتحدة سنة ١٦٢١
 وأرسل الى البلاد الاجنبية لأول مرة سنة ١٧٤١
 اعتبر ميلاد المسيح عيداً لأول مرة في سنة ٩٨
 طاف اسطوا، مجلان لأول مرة حول الارض في سنة ١٥٢١
 اخترع العرب الساعات الدقاقة في سنة ٨٠٥ والاباطالان في سنة ١٢٠٠
 اكتشف الفحم الحجري لأول مرة في انكلترا سنة ١٢٢٤
 سك العملة لأول مرة في التاريخ المعروف في الصين سنة ١٢٠٠ ق م وفي رومية
 سنة ٥٧٦ ب م وفي انكلترا سنة ١١٠١ ب م

(١) الدولار الاميركي عبارة عن ٢٩ غرشاً عثمانياً وكسوراً ومعناه ريال

(٢) البارومتر ميزان ثقل الهواء او قوة حفظه

أنشئت في باريس سنة ١٢١٥ اولى الكليات من نوعها^(١)

ذكر البيع لأول مرة في سفر التكوين عندما بيع يوسف بن يعقوب من المصريين
استعملت ابرة الملاحين في الصين سنة ٢٦٣٤ ق.م وفي اوربا سنة ١١٨٠ ب.م
اول اجتماع عقده مجلس الامة في الولايات المتحدة في فيلادلفيا في ٥ تشرين الثاني
سنة ١٧٧٤

ولدت النصرانية في اسبانيا سنة ٣٦ وفي بريطانيا سنة ٦٠ وقيل في القرن الخامس
وفي فرقةونية وفلاندرس في القرن السابع وفي لومبارديا ونيورنبا وهيس في القرن
الثامن وفي اسوج والدنيمارك وبولاندا وروسيا في القرن التاسع وفي اريا وسكلافونية
في القرن العاشر وفي فانداليا وبروسيا في القرن الحادي عشر وفي بومرانية وليتوانيا
وقسم من بلاد النصار في القرن الرابع عشر وفي افريقية في القرن الخامس عشر وفي
الهند والصين في القرن السادس عشر

صنعت الاواني الخزفية لأول مرة في (فانزا) سنة ١٤٥٠

بوفير لأول مرة بتقطير المشروبات الروحية في القرن الثاني عشر وفي ايرلندا في
سنة ١٥٩٠

نشأ من احتكاك كرتين من الكبريت احدهما بالآخرى في سنة ١٤٦٧ اول
فكر اورأي او تصور لكيفية استخدام الكهرباء وفي سنة ١٧٤٦ اكتشفت اشعتها
في ليدن وفي سنة ١٧٥٦ كيفية ارسالها بالاسلاك
اول رجل فاه في اميركا بعبارة (تحرير العبيد) ابراهيم لنكي في اول كانون الاول
سنة ١٨٦٣

اكتشف فن النقش على صفائح نحاسية لأول مرة سنة ٥٠٤ ق.م وعلى الخشب
سنة ١٤٢٣ في فلاندرس وعلى الفولاذ سنة ١٨٣٠

اول مكتشف لفن الطبع على الحجر (عينفيلدر) الالماني حوالي سنة ١٧٩٦

استعملت المغلفات لأول مرة في سنة ١٨٣٩

اخترع حفر الخطوط سنة ٥١٢

اخترعت اول آلة لاطفاء النار سنة ١٦٦٣

(١) اعني الكلية التي لها درجات وفروع خاصة بكل علم

نشرت الـرابية (١) الاميركية لاول مرة في كبردج ماستستوس في اول كانون الثاني سنة ١٧٧٦

استجلب الغاز لاول مرة الى لندن لاناارة الحوانيت والشوارع في سنة ١٨١٤ والى بليمور الولايات المتحدة سنة ١٨٢١

اخترع مرغيتي التذهيب سنة ١٢٧٣

هجر النور (٢) مصر سنة ١٥١٥

عرف الصينيون لاول مرة صناعة عمل الزجاج (٣) سنة ٢٠٠ ق م والرومان سنة ٧٩ ق م وفي سنة ١١٨٠ اخذ الانكليز يستعملونه للنوافذ والشبابيك وفي سنة ١٧٥٧ للقناني والاولعية وذلك بعد ان ادخل (بندكت) هذه الصناعة الى انكلترا سنة ٦٧٤ ب م

صنعت اول مرآة في (لامبت) سنة ١٦٧٣ وفي (لانكبير) سنة ١٧٧٣

اخترعت المطحنة (٤) في ايرلندا سنة ٢١٤

يود اختراع البارود الى الصينيين وانتشار معرفة اختراعهم في الغرب الى سنة ١٣٢٤

أعدت المركبات للاجرة لاول مرة في لندن سنة ١٦٢٥

يوشرا استعمال مسحوق الشعر لاول مرة في انكلترا سنة ١٥٩٠ وفي سنة ١٧٩٥ ضربت الحكومة الانكليزية على كل من يستعمله ضريبة سنوية قدرها البيرة انكليزية قديمة (٥)

اول معمل للناديل (الحارم) انشي في يسلي في اسكوتلندا سنة ١٧٤٨

(١) ناشر تلك الـرابية جورج واشنطن اول رئيس للولايات المتحدة وقد وافق على نشرها

مجلس الامة رسميا في ١٤ حزيران سنة ١٧٧٧

(٢) النور ويسمونهم ايضا الفجر زحوا عن بلاد القراعنة ايام زحف الاتراك بقضهم وقضيضهم على تلك الديار وتشتتوا في جميع اصقاع اوربا

(٣) المصريون اسبق الامم لهذه الصناعة فقد عرفوها سنة ١٧٤٠ ق م

(٤) يواد بها الجاروشة التي يود تاريخ استعمالها في الشرق الى اكثر من عشرين قرنا قبل المسيح

(٥) قيمة البيرة الانكليزية القديمة ٢١ شلينا وكانت من عملة بلاد غينيا

اخترعت القبعات (البرانيط) في باريس سنة ١٤٠٤ واستعملت في لندن لأول مرة سنة ١٥١٠

انشئ علم التسب حوالى سنة ١١٠٠
اخترعت الساعة الرملية في اسكندرية سنة ٢٠٤ ق م وادخلت الى رومية سنة ١٥٨ ق م

استخرج العظم^(١) في كرواينا الولايات المتحدة سنة ١٧٤٧
جرب التطعيم او التلقيح في المجر من اول مرة سنة ١٧٤١
يوشتر في انكلترا بضممان السفائن سنة ١٥٦٠
اكتشف الحديد سنة ٤٠٦ ق م بواسطة احتراق جبل (ايدا) وصب في انكلترا
لاول مرة سنة ١٥٤٤ واكتشف في فرجيناميركا سنة ١٧١٥
بنيت البواخر الحديدية لاول مرة في سنة ١٨٣٠
اكتشف (جنسن) لاول مرة سيارة صغيرة للتحري سنة ١٥٩٠
استعمل زيت الكاز للتزوير لاول مرة سنة ١٨٢٦
يوشتر بتقيل رجلي البابا لاول مرة سنة ٧٠٩
اخترعت جوارب الحبك او شغل الستارة في اسبانيا نحو عام ١٥٥٠
صنعت السكاكين او المدي لاول مرة في انكلترا سنة ١٥٥٠
أقيمت المدارس في جميع المدن الرئيسة في انكلترا لاول مرة سنة ١٨١٠
نسج الشاش وخيوط الحرير والكتان لاول مرة في يسلي سنة ١٧٨٤
يرد اول دور من ادوار القرميد الى الرومان^(٢) وفي سنة ١٦٢٥ امر كارلس الاول
بتقطيعه بقوالب

اعترف لاول مرة بطائفة (الكوكر)^(٣) المعروفة بالفرنسيس اي الاصغاء في سنة ١٧٠٢

(١) العظم (بالعين) النيل او النيله

(٢) طالعت مقالة منذ بضع سنوات لاحد علماء الآثار في اميركا ذكر فيها مشاهدته

من خرائب بابل وبنوى وعزا القرميد الى البابليين

(٣) (الكوكر) فرقة من فرق النصرانية

اختراع ميمون المصري حروف الهجاء^(١) في عام ١٨٢٢ ق م
نأتى جرس الحرية المشهور في اميركا لاول مرة سنة ١٧٧٦ في ساحة دار الاستقلال
في مدينة فيلادلفيا

نسج الكتان لاول مرة في انكلترا سنة ١٢٥٣

يود تاريخ اكتشاف المرايا الى سنة ١٣٠٠

اختراع القيس كينف في انكلترا انوال الحياكة سنة ١٧٨٧

ذكر اهورن لاول مرة استعمال القرعة ببلغ من الدراهم سنة ١٦٣٠

اختراع روجر باكون النظارة المكبرة في انكلترا سنة ١٢٦٠

اكتشف (ماموث)^(٢) في سيبريا سنة ١٨٠٦

اختراع انكيسندار الخرائط والكرات سنة ١٦٠٠ ق م

يود اختراع الورق المعروف بالرخامي الى احد الجرمانيين في القرن السابع عشر

استعمل الكبريت لاول مرة سنة ١٨٢٩

اختراع امكرسكوب^(٣) لاول مرة في جرمانيا سنة ١٦٢١

أسس اول دير في العالم حيث اعتزلت الراهبة انطوني^(٤) سنة ٢٧٠ واول دير في

فرنسا اسمه القدس مارتين سنة ٣٦٠

اختراع الابر احد افنود في انكلترا سنة ١٥٩٨

«١» عزى ايضا هذا الاختراع الى الفينيقيين

(٢) هو حيوان ضخم جداً يقال انه اضخم حيوان عرف على وجه البسيطة

(٣) المكروسكوب هو المجهر وقد اخترع المزدوج سنة ١٦٢٤ والشمسي سنة ١٧٤٠

(٤) بعد قسط طين الرابع الى عدد كبير من رهبان افسس وراهباتها يأمرهم

ببدال ملابسهم السوداء بملابس يضاء وينبذ عاداتهم وتصوراتهم وطقوسهم الدينية

الا انهم رفضوا امره رفضاً ولذا كان يعمل عيونهم ونفسيهم وطردهم وقد باع عدة

اديار من اديارهم وقبض ثمنها وانفقها في جملة ما انفق على شهوته وملذاته وعجرفته

وكبريائه.

ولم يقتصر اضطهاد اولئك المساكين المنصرفين الى عبادة خالقهم على ذلك فقط

بل ان مجلس الحكومة والامة اصدر قراره يومئذ بقهرهم واذا لاهم وطردهم

اخترعت علامات الموسيقى سنة ١٠٧ وتفتحت سنة ١٣٣٠ وطبعت سنة ١٥٠٢
أسس جوزف سمث الديانة المورمنية ^(١) في سنة ١٨٣٠.

اول نسخة جريدة طبعت في الغرب سنة ١٤٩٤ . واول جريدة يومية ظهرت سنة
١٦١٥ اسمها فرنكفورت واول جريدة انكليزية صدرت سنة ١٦٢٢ دعيت اخبار
الاسبوع واول اعلان ظهر في سنة ١٦٤٨ واول جريدة اميركية طبعت في بوسطن
(ماس) سنة ١٦٩٠ اسمها (حوادث الجمهور) واول جريدة يومية في الولايات المتحدة
أنشئت في بنسلفانيا سنة ١٧٨٤ اسمها (بنسلفانيا باكت) واول جريدة ميارة في اميركا
أنشئت في ١٥ ايار سنة ١٧٧٥

اخترع الارغن سنة ٧٥٥

أسست جامعة اكسفورد في انكلترا سنة ٨٨٦ وفي الاولى من نوعها

يرد عهد الدهن الى زمن نينوس حوالي سنة ٢٠٠٠ ق م

صنعت الاوراق المالية لأول مرة في اميركا سنة ١٧٤٠

صنع الورق من الخرق في مصر سنة ١٠٨٥ وفي الصين من الحرير سنة ١٢٠ ق م

اخترع الرق ^(٢) اطاليوس ملك برغمة سنة ٨٨٧

صنعت شريعة حصر الامتياز لأول مرة في الولايات المتحدة في ١٥ نيسان سنة ١٧٩٠

ادخلت صناعة الترسيف الى باريس لأول مرة سنة ١١٨٥

اخترع فن ترصيع اللؤلؤ سنة ١٦٨٦

استعمل (الريش) اقلاماً للكتابة لأول مرة سنة ٦٣٥

أسس فيلادلفيا ^(٣) وليم بن سنة ١٦٨٠

(١) المورمن شيعة من شيع النصرانية مقيمة في يوتا احدى الولايات المتحدة ولم
هيكل يعد انغم واضخم ما شيد من نوعه في هذه البلاد . وهم يعتقدون بتعدد الزوجات
حتى ان الكثيرين منهم تزوجوا بأكثر من عشر زوجات . وقد قام وقعد لهذا الاعتقاد
ولاسيما للعمل به الشعب الاميركي الراقى واخطر مجلس الامة الى سن شريعة تحظر
عملهم بذلك الاعتقاد . ولهذا السبب ترى حكومة الولايات المتحدة تمنع دخول كل مهاجر
قائل وعامل بتعدد الزوجات الى بلادها

(٢) الرق نوع من الجلد استعمله القدماء للتدوين

(٣) فيلادلفيا ثالث مدينة في الولايات المتحدة بعدد السكان وثامن مدينة في العالم

- اخترع الفونوغراف^(١) توماس ادسن سنة ١٨٧٧
 صنع الفوسفور لاول مرة سنة ١٦٧٧
 بوشنر بنن التصوير لاول مرة في انكلترا سنة ١٨٠٢ وأنقن في سنة ١٨٤١
 اخترعت الأخله^(٢) لاول مرة في فرنسا وقد استجلبتها كاترينا هاورد^(٣) واستعملتها
 لاول مرة في انكلترا وقد صنعت في المصانع الاميركية لاول مرة سنة ١٨٣٢
 صبت الغلايين المصفحة بالرصاص لاول مرة سنة ١٥٣٩
 استعملت الطبليجات او القروود لاول مرة فرقة من الفرسان سنة ١٥٤٤
 صنع القير او الزفت والقطران من مقلع فحم لاول مرة في (برستول) سنة ١٧٧٩
 اخترع الدمام^(٤) في باريس سنة ١٤٧٠
 رقيت صناعة الخزف السكوفي^(٥) لاول مرة ١٧٦٧
 بنيت كوات المدافع في البوارج الحربية لاول مرة سنة ١٥٤٥
 أسس اول بريد^(٦) بين فينا وبروسيلس في سنة ١٥١٦
 اصلح (ودغود) صناعة الفحمار اصلاحا عظيماً لاول مرة سنة ١٧٦٣
 منح اكبر انجال العترة المالكة في انكلترا لقب أمير والس لاول مرة سنة ١٢٨٦

(١) سماء فقيه اللغة العربية الشيخ ابرهيم اليازجي (الحاكي) ودعاء صاحب المدي (الندي)

(٢) الأخله تجمع على خلال ويسمونه ايضاً دسار ومعناه (دبوس ابرة) وقد كان الفرنسيين والانكليز قبل اختراع الاخله يستعملون الأنترطة والشرج (البريم او الخرج) والكلاليب (الشربط الممدني المعقف) والسفايد الصغيرة المصوغه من الذهب والفضة والنحاس

(٣) كاترينا هاورد هي الملكة زوجة الملك هنري الثامن الذي تولى العرش الانكليزي في ٢٢ نيسان سنة ١٥٠٩ وهو الملك الحادي والعشرون من ملوك الانكليز اولهم الملك ولیم الاول ابتداء ملكه في ١٤ تشرين الاول سنة ١٠٦٦

(٤) الجفص

(٥) السكوفي هو الانكليزي

(٦) بوشنر بتأسيس البريد بالطراد بين لندن وسائر بلدان انكلترا في سنة ١٦٣٥ وفي سنة ١٨٤٠ بوشنر باستعمال طوابع البريد فيها وفي سنة ١٨٤٦ في الولايات المتحدة

اخترعت الطباعة^(١) سنة ١٤٤١

ابتدأ الاصلاح الديني في جرمانيا سنة ١٥١٧ وفي انكلترا سنة ٥٣٢
يرجع تاريخ اختراع انوال الشرائط الحريزية الى^(٢) القرن السابع عشر في جرمانيا
صنعت ملابس الملاحين لأول مرة في انكلترا سنة ١٥٩٠
افتتحت المدارس العمومية في الولايات المتحدة لأول مرة حوالي سنة ١٦٤٢
صار اول قطار حديدي^(٣) للركاب في انكلترا في ٢٧ تشرين الاول

١٨٢٥

(١) يرد فن الطباعة الى زمان الاشوريين والبابليين ابان كانوا يعطعون كتاباتهم
على الواح صغيرة من الطفال اي الصلصال اما الطباعة الحديثة فقد عزي اختراعها
الى رجل يدعى فوست Faust في سنة ١٤٤٠ ونسب ايضا الى آخر يقال له كاستر
Kaster. وانه اخترعها سنة ١٤٢٣ اي قبل ان اخترعها Faust بثانية
عشر عاماً وقد اذاع فن الطباعة رجل اسمه غوتنبرغ Cutenberg في
عام ١٤٥٤

وقد طبع Faust السابق الذكر وانسان آخر يدعى شوفر Schooffer
اول تورا في سنة ١٤٥٦ واول كتاب باللغة اللاتينية اسمه Pooletter
سنة ١٤٧٧

وفي سنة ١٤٧٧ ادخل الى انكلترا احد التجار في لندن الطباعة الخشبية واول طبعة
انكليزية أنشئت في وستمنترابي وبقيت حتى سنة ١٤٩٤

وفي سنة ١٥٣٥ طبع Guan'Clablos المكسيكي كتاب Exala
Espiritual وهو اول كتاب طبع في اميركا في سنة ١٥٣٥ وفي سنة ١٦٣٩ أنشئت
اول مطبعة في مكدريج الولايات المتحدة وفي سنة ١٦٢٦ ادخلت اليها الطباعة بالالوان
(٢) عزي ايضا هذا الاختراع الى اسوج

(٣) صار اول قطار للركاب في بلتيور وارهايو الولايات المتحدة في ١٨٢٨ واول
قطار للشحن في كونس (ماس) في ١٨٢٦ واول قطار بخاري قطع ١٦ ميلاً من البني
الى سكنيلتادي في ١٨٣٠ واول قطار للنوم في ١٨٣٠

وفي ١٦٦٢ اخترع الرجل وفي ١٧٠٥ منح الامتياز بآله نيوكن البخارية وفي ١٧٧٣
انقنها جسم وط الانكليزي وفي ١٧٢٩ اخترع اوليفر ايفنز الاميريكي آلة الضغط وفي

اخترع دولاب النزل في برنسوك سنة ١٥٣٠

اخترعت النظارة « العيونات » سنة ١٢٩٩

اصلحت الانصاب في الولايات المتحدة لاول مرة سنة ١٨٧٣

اخترع احد الفلمنكيين ^(١) آلة الف في لندن سنة ١٧٩٢

قيل ان استعمال البرادع ^(٢) المعروفة اليوم يرجع الى سنة ٣٨٥

اول استعمال قلمح الفسيخ ^(٣) يرد الى الهولانديين وقيل ان اول مخترع

للمشاح هوتايلوس الكاتب اليوناني ^(٤) صنع ملح البارود لاول مرة في انكلترا

سنة ١٦٢٥

ادخل المودج ^(٥) الى انكلترا سنة ١٨٣٤

١٧٠٧ اخترعت انبوبة البخار في فرسا ثم زاد باثاقنا وما يتها من الآلات جانوثان

هيولس الانكليزي في ١٧٣٦ ثم وليم هنري الاميريكي في ١٧٦٣ ثم جيمس ريو مزيج

الاميريكي في ١٧٨٦ ثم جان فيتش الاميريكي في السنة تها

وقد كلفت السكك الحديدية في الولايات المتحدة تسعة آلاف مليون دولار

« ١٠٠٠٠٠٠٠٠٠ » وكلف قطار الدرجة الاولى للركاب ٨٥٠٠ دولار وقطار

النوم ١٥٠٠٠ دولار وبلغ معدل نفقات الخطوط الحديدية على مسافة ميل ٣٠٠٠٠

دولار ومعدل ربح كل مركبة يوميا مئة دولار وثقل كل عجلة ٥٠ طناً اي ٢٠٠

قنطار وقوتها تبحر ٢٤٠٠ طن وبلغ اطول خط حديدي في الولايات المتحدة ٨٠٠٠

ميل والخط الكندي الباسيفيكي هو اكثر امتداداً من سواء شرقاً وغرباً فهو ممتد من

كوبك الى الاوقيانس الباسيفيكي واعلى قطر الولايات المتحدة قطار دنفر وريوكراند ونسبة

قطر اوروبا الى قطر اميركا هي كنسبة قطر سورية الى قطر اوربا فقطر اميركا

ارقي قطر العالم بلا مدافع اليوم

(١) الفلمنكيون هم الهولانديون

(٢) البرادع تجمع على بردعة ومنها جلال او رحل او مرج

(٣) الفسيخ سمك يعرف بالرنك

(٤) عزري ايضاً هذا الاختراع الى دودليوس اليوناني يدان الاظهر ان مخترعها

هو ناليوس . قيل انه اخترعها بعد ان نشر قطعة حطب بفك حية

(٥) المودج من مصنوعات العرب

أعطيت البراءة^(١) باستعمال آلة الخياطة لأول مرة في انكلترا سنة ١٧٥٥ والتقى هذه الآلة إيلياس هاوي الأميركي في سنة ١٨٤٦ وآلة الخياطة هي المعروفة عند العامة « بالملكة »

اخترع تيجوريهي سدس الدائرة^(٢) في اغنيبورع في سنة ١٥٥٠

صنع الصابون^(٣) في لندن لأول مرة سنة ١٥٢٤

ذكر السكر^(٤) لأول مرة الطيب بولس اغينتا سنة ٦٢٥

استعمل الفرار^(٥) لأول مرة سنة ١٥٤٠

اخترع كرخر اليسوعي البوق في سنة ١٦٥٢

اخترع احرف الطباعة الحديثة ولیم غد الصائغ في انينبرغ في ١٧٣٥

أسس المدارس الاحدية لأول مرة روبرت ريكس الانكليزي في انكلترا في ١٧٨١

اخترعت الساعات الشمسية في ٥٥٨ ق م وفي رومية في ٣٠٨ ق م

اخترعت الدباغة في ١٧٩٥

ادخل الامي الى اوربا لأول مرة في ١٦١٠ جلبه الهولنديون من الهند والهند

من الصين

استعمل الفرنسيون آلات البرق^(٦) لأول مرة في ١٧٩٤ والانكليزيون في ١٧٩٦

اول « تلفراف » سلك كهربائي اتفق بين مدينة تباديقن ودراتو انكلترا في ١٨٣٥^(٧)

« ١ » الامتياز

« ٢ » سدس الدائرة منزولة او آلة يتخذها الربان لرصد النجوم

« ٣ » قيل ان مخترع هذه الصناعة (غابولس)

« ٤ » مصدر السكر الصين ١٠ استخراج في صقلية عام ١١٤٨ وفي مديريبا عام ١٤١٩

وفي جزائر كناري عام ١٥٠٣ وفي غربي الهند سنة ١٥١٠ وفي سنة ١٦٤١ محص في

باربادوس الهند واستجلب منها الى انكلترا سنة ١٥٦٩ وفي سنة ١٧٥١ زرع قصب

السكر في اميركا في نيواورلر وبنيت فيها اول مطحنة للسكر سنة ١٨٥٨

« ٥ » يقال له ايضا راووف وزئبق وهي مادة تلتصق على انفية الواح زجاجات المرايا

حتى تنكس الصور بواسطتها

« ٦ » اخترعت آلات السلك البرقي « التلفراف » في ١٦٨٧

« ٧ » سنة ١٨٣٥ بها اخترع تلفراف مورس

اول تلغراف فحس في اميركا بين بلتيور والعاصمة واشنطن في ١٨٤٤ واول رسالة بوقية ارسلت في هذه البلاد في ١٨٥١ من دوفر الى كالي واول رسالة بوقية قطعت المحيط الاطلنطي في ١٨٥٨

عرض «الحاي» التلفون المدعو جرس كبراهام لاول مرة في معرض سينتسنيال فيلادلفيا في ١٨٧٥

اخترع اسحق نيوتن الفيلسوف المرقب في ١٦٩٠

صنعت الخيطان لاول مرة في معمل بيسلي - كوتلاندا في ١٧٢٢

اخترع الثرمومتر^(١) درييل الهولندي في ١٦٢٠ وزاد بتحديثه ربومر في ١٧٣٠

وفار نهيت في ١٧٤٩

اخترع الدكتور هيلس الموهبة^(٢) سنة ١٧٤٠

اخترعت الكنجة حوالي ١٤٧٧ وادخلها الى انكلترا الملك كارلس الثاني

يود اول دور من ادوار استعمال اوراق الخيطان^(٣) الى ا. ا. جازيا وهولاندا ١٥٥٥ اما

الاوراق المخملية فقد استعملت اولاً في ١٦٢٠

استجلب الدخان^(٤) لاول مرة الى انكلترا من فرجينيا الولايات المتحدة في ١٥٨٣

اخترعت الساعات الحديثة في ١٤٧٧ في جرمانيا وادخلت لاول مرة الى انكلترا

في ١٥٧٧

قبل ان اختراع مطحنة الماء يود الى عهد محاصرة الفوطيين لرومية في ٥٥٥ وان اخترعها

الاول هو رجل اسمه بلسار بوس

ذكر الدوارة^(٥) لاول مرة فيغريوفينوس اليوناني وانها نصبت على رأس برج اثينا الذي

ناه فيرشس

اول جاب^(٦) للاموال رجل دعي صولون عاش سنة ٥٤٠ ق م

يوسف زخم

«١» الثرمومتر ميزان الحرارة «٢» الموهبة آلة لتجديد الهواء «٣» اوراق الخيطان

بسنعملها الاميركيون لتزيين جدران منازلهم بدلاً من التكبليس «٤» مصدر

الدخان كوبا «٥» الدوارة هي من نوع الدواليب المستعملة لآلة الآبار الارتوازية

«٦» جباية الاموال اقدم من عهد صولون اليوناني فقد كانت الاموال تنجي في

حدائق الاطفال ومدارسهم

كتبت احدى الملمات الفرنسيات مقالة في احسن الطرق لتربية الاولاد قالت فيها ان البداية بتعليم الطفل تكون على الغالب بتعليمه مبادئ القراءة خاصة والظاهر ان القراءة هي الوسيلة الوحيدة لتثنيه جميع حواسه على حين فجأة . وقد شغل هذا الموضوع بال كثير من ارباب العقول وقام في سويسرا منذ نحو مئة سنة اثبات من رجال التربية الثقات احدهما بستالوزي في مدينة زوريخ والآخر الاب جبرارد في مدينة فريبورغ ووضعوا موضع العمل طريقة جديدة من شأنها ان تربي عقل الطفل على ايسر وجه منذ ادراكه قال فيلون الاخلاقي الفرنسي ان ذكاء الطفل كلهيب شمعة يحرقها الريح وهي ابدآ في اهتزاز فالغاية اذاً من التربية هو ان يمد ذاك اللهب بالمادة اللازمة بان يدفع به خفيفة لتداعده على الانبعاث على خطة مستقيمة عالية متوخين ان لا تطفئها بحركة سريعة منايل الواجب كما قال بستالوزي ان نحسن تملك الطفل ونعفيه من النظر اليهم الى المدارك الصريحة واذا كانت بالحواس تحدث التأثيرات اقتضى ان تقرب بين الطفل وبين الامور التي يقضى عليه دراستها فيعلم معنى الالفاظ التي يتكلم بها على ما يجب وبضاف الى تعليم عقله تعليم عملي باليد وتعليمه هذا التعليم بين السادسة والعاشرة وقال غيره يجب ان يعني بالطفل لتثنيه احساسه منذ اول ادراكه لان الولد ليس هو في الحقيقة الا رجلاً ولكنه صغير . وقال آخر ان الولد اب الرجل وافضل الطرق في تعليمه كما قال فرييل ان يقرب من الطبيعة فيدرك رحمة الله ويتعلم قدرته وصنعه في الوجود ويحترم كل ما له حياة وذلك بان يعلم تربية بعض النباتات والنظر الى ما حوله فيعلم نفسه بنفسه كأن يعطى الولد كرات وكعكبات وعصياً واشكالاً ورسوماً واشياء يثنيها ويقتلها ولا سيما ما كان منها طيبها يعطى منها بحسب المواسم فيتناول زهراً في الربيع مثلاً وتفاحة في الخريف او الشاء او غير ذلك مما تنبت الارض في المواسم بابل وينتوي قبل عهد صولون بمدة قرون وازاء من الطبيعي ان الاموال لم تجب انشد بذون اناس يجيئونها فكثير من الجباة قد سبقوا صولون بهذه الوظيفة التي كانت اصحابها ولا يزالون على الغالب اثرين على طرق الظالمين والمستبدين في الشرق .

الاربعة فاذا كان تفاحاً يستحب الولد الى السوق وتبتاع وشرح له كيف تمت وكبرت وتوصف له الاتجار وجذوعها والاوراق والارض ثم تروم له تلك التفاحات وتقطع وتأتي ويجعل له منها مربى او تشوى له في القرن ثم يذكر كيف يصنع العصير ويصفون له المركبة والحصان والسوط وغير هذا كل ذلك يروم له على اللوح والولد يقلده ويشفع ذلك باغان واشعار متعلقة بالموضوع وتوسع المربية في شرح ذلك للطفل بدون ان تحيد عن الغاية الاصلية المطلوبة وبذلك يحل عقل الطفل ويقلد في عمله فيجمع الى التربية العملية والادبية التربية العملية لمعاينة الفنون والصناعات . وقد انتشرت طريقة فرييل في التربية على هذا النحو في سويسرا والمانيا والبلجيكا وهولاندة والسويد وانكلترا وفرنسا واميركا ودخلت خصوصاً في دور اللقطاء والباثسين وأُسست في باريز مدرسة على هذا النمط انشأتها آنسة منعملة واخذت تربي الاطفال هذه التربية المعقولة جاءت مع حدائق الاولاد دروساً تلقى عليهم بالعمل في حفظ الصحة وعلم النفس والكيمياء والنبات وتدير المنزل فجعلت محيط تلك المدرسة متناسباً مع ما يراه الطفل في بيت ابيه ايس فيه ما في صفوف المدارس من المناظر المدهشة مثل القماطر السود والمقاعد العالية بل فيها صور ونقوش وازهار وطيور واثاثها مناضد وكراسي صغيرة تناسب طول الطفل ومن الاولاد من يبقى طول النهار في المدرسة فيتنسول ادارتها ان تعلمه اموراً كثيرة في تدبير المنزل وتفرس فيه اصول النظام والنظافة وذلك بان تتركه مثلاً يعمل طعامه بنفسه حتى اذا رجع في المساء الى بيته وعمره في الخامسة على الغالب يلاحظ على والدته ان لا تطرح قشر البطاطا او قشر البيض بل ان تحفظها لتنظيف القفاني والزجاجات وآخر يطلب الى والده ان يضع كل يوم بيومه اجرة المدرسة على حدة حتى تتجمع في آخر الاسبوع مخافة ان يجي يوم الدفع ولا يكون في البيت درهم لا داء قسط المدرسة وهكذا يتعلم الطفل تدبير البيت والاقتصاد المنزلي منذ يعي على نفسه ويفرسون فيه فكر الاحسان والعدل وحسن العشرة والالفة حتى لا يستوحش من الناس كما هي عادة الاطفال وهي عادة ضارة شائعة وبطل قدر الصناعات وفكر الأمرة فتنبه فيه غيرة النفس فلا يقول لشيء لا يستطيع عمله ومنذ السنة الخامسة يرفض ان يلبسه ثياب احد او يسرح شعره ويمشاه ويهدهمه احد فيكون مسؤولاً عن عمله وتقو فيه قوة الارادة والشعور بالنظر كما ينمو فيه الاحساس الديني والكمالي والاحترام والحشمة وبالجملة تربي فيه التربية قبل ان يهتم بالتعلم

فاذا خرج الطفل من هذه المدرسة ويدخلها وهو بعد الثانية من سنه في الغالب ويخرج منها بعد السابعة يحسن ان ينظم اموره لانه تعلم منذ نعومة اظفاره الطاعة والتصيحة فلا يصعب عليه متى دخل المدرسة ان يلتقي بقبول حسن مايلقيه عليه معلمه او يقنع اذا جاء من بيته الى المدرسة الابتدائية مباشرة بل يكون بحسب سنه قد الف البحث والتفكر والنظر والتأمل في الاشياء ويجمع علومه ويصل بينها برباط واحد وربما كانت بهذه الطريقة افكاره قليلة ولكنها الى الجلاء والوضوح اميل وفيها تسلسل معقول ويحسن الولد التفكير وحصر ذهنه وهو مايفتقده عندما يجي دور تعليمه القراءة فلا يستصعبها ويميل منها بل تكون له ميسورة سهلة سريعة ويحصر ذهنه في موضوع يعلم الولد الاهتمام بالاشياء المحيطة به او التي تمسه مباشرة فهو يعرف الوجود ويحبه ويقدر نعمه قدرها ويذكر صانعها وتكون قد تهيئت حواسه وترقت وكذلك رغبته في النظر والمعرفة وبهذه الطريقة تقوى ارادته وتظهر يده وبما يتعلمه من الهندسة الابتدائية العملية يقدر بذهنه الابداع والخطوط ويسهل عليه النسب والرسم يعلم نقل الصور المستعملة في البيت ويدرك بنفسه انه لا يستطيع ان ينقلها كما هي ويبحث عن طريقة توصله الى نقلها كما هي ويتعلم ملاحظة الاشكال وتقليدها وبذلك تترى عينه ويده في آن واحد ولا تسلك عما تحدث هذه الطريقة عندما يجي وقت الكتابة اذ تكون يده اعادت رسم الاشكال وما الحروف الاشكال ولكنها لاتنطق كالرسوم وعينه تساعد يده وكل واحد يرسم الحروف والكلمات التي يراها وهو يتعلم نلى هذه الطريقة بدون ان يفهم معناها وتعلم الكتابة لايتعب به عقله ولا جسمه بل يتعلمه كأنه يلعب ويرسم .

قالت الكاتبة فمدرسة حديثة الاطفال هي مدرسة التربية وعليها يصدق هذا التعريف: التربية هو الا وفانون وحياة .

قرطاجنة والعرب

بعث المسيو بروتولون من المشتغلين بعلم تاريخ الانسان Anthropologie الى المجمع العلمي القرطاجني في تونس بمبحث بين فيه الفروق بين جماجم القرطاجنيين منذ ٢٤٠٠ سنة وجماجم التونسيين المعاصرين جاء فيه ان علماء الانسان يتوصلون الى درس الاخلاق الرئيسة لمعرفة سميزات عنصر من العناصر بالنظر اولاً الى قامات اهله فن اجناس الامم من يظلب عليها طول القامات مثل الايكوسينين والسويديين ومنهم من يكونون قصارها مثل اللابونيين والساردنيين والصقليين ثم ينظر الى الوان البشرة والعيون والشعر وحجم الجماجم

والانف والعيون والوجه فيقدرون المقياس الاعلى بمئة ومز بلغ طول رأسه من ٧٠ الى ٨٦ كان معدوداً في طوال الوجوه ثم يقاس الطول مع العرض وتجرى النسبة به بما وقد قاس في تونس مئة جمجمة قديمة جداً يظن انها من جماجم القرطاجيين من القرن الرابع قبل الميلاد و ٢٣ جمجمة حديثة من جماجم التونسيين فاستبان ان نساء القدماء يشبهن بتقاطيعهن نساء المحدثين الا قليلاً وان الاختلاف محسوس بين رجال اليوم ورجال امس وان العقول كانت واحدة في القرطاجيين والتونسيين وكان كثيرون من القرطاجيين طوال القامات ومميزاتهم كمميزات قبائل الغرب العظمى المعروفة في التاريخ باسم التوميديين وثبت له ان سكان ضواحي تونس يشبهون اولئك القدماء في قاماتهم وان سكان قرطاجنة وتونس ظلوا متشابهين منذ القدم الى يومنا هذا على ما طرأ عليهم من الطواري والسياسية وبعد ان يكون قدماء القرطاجيين سز فينيقية لان الفينيقيين عرفوا بضيق جبهاتهم وكانت اواسط رؤوسهم منبسطة واستدل من حفريات مدافن صيدا ومن قياس هيكل عظام الملك ثابنت بن اشمونازار الذي وجد في احدى النواويس الصيداوية ان القرطاجيين لم يجهوا الفينيقيين بجنسهم وان القرطاجيين اختلطوا باهل عنصر طويلة رؤوسهم وكذلك الحال في عيون الصيداويين انها كانت اكثر استدارة من عيون القرطاجيين وانوف الصينيقيين اصغر من انوف القرطاجيين وبذلك طهر ان سكان قرطاجنة (المستعمرة الفينيقية) في القرن الرابع لم يكونوا من عنصر يتيه العنصر الفينيقي وان سكان قرطاجنة من اصل العنصر الذي انشأ المدينة في بجر ايجيه (الارخبيل) اي اجداد المدينة اليونانية كما استدل الباحثون في اصول مدينة شواطيء البجر الابيض ان هؤلاء الانوريقيين اقرطاجيين قد نفي فيهم الطواري من الفينيقيين الذين حلوا ديارهم فكان اهل قرطاجنة فينيقيين ثم رومانين ثم عرباً قال: وعلى فرنسا ان تنظر الى ماتم في هذا السبيل من صفة التونسيين لتعيدهم الى صفتها لان حكم العرب قد اتاهم بقانون سنة رعاة لرعيان فصب تطبيق هذه الشريعة على مجتمعات ممدنة كالمجتمع القرطاجي ولذا انحط اي انحطاط عما كان عليه زمن الفتح الروماني . قال وان مبادي التنظيم الذي بقيت آثاره الى اليوم في تونس مثل البلديات والصناعات وصناعة الخزف والبناء والهندسة ليست من اختراع العرب كما يقال بل هي بتايا من المدنية القديمة السابقة للاسلام فسدت على عهد الفاتحين واعمالهم العقيمة . قلنا ويمثل هذا المتعصب الفرنسي ممن يمدون اقلامهم بالسلم الزعاف ليكتبوا عن العرب جهلاً منهم او تجاهلاً ما يبرح استعمار فرنسا متأخراً عن غيره من الامم وسيراجع عمرانها لما قويت شأفة الماحكين والسفطائيين من ابنائها

المقبر

البرجان

Les Borganes ou Varègues

من هم البرجان الذين كثر ذكروهم في كتب العرب التاريخية القديمة وما سمعهم باللغة الفرنجية ؟ هذا سؤال يجب ان يقف على جوابه كل من يهتم الاطلاع على اخبار الاقدمين والامم السالفة . فأقول : اذا اردنا الوضوح في هذه المسألة يجدر بنا ان نقسم البحث الى ثلاثة اقسام وهي : قسم نذكر فيه كلام مؤرخي العرب او مشاهيرهم . وقسم نذكر فيه آراء لغويي العرب وقسم نأتي فيه على ما صرح به علماء الافرنج ومستشرقهم ثم نختم هذه الابواب الثلاثة بخاتمة تكون بمنزلة فصل الخطاب .

١ . القسم الاول كلام مؤرخي العرب او مشاهيرهم

اول من ذكر البرجان من جغرافي العرب هو اول مؤلف عربي صنف في وصف البلدان اعني به ابازيد احمد البلخي صاحب « كتاب سورا الاقاليم » المتوفى ليلة السبت لتسعين من ذي القعدة سنة ٨٣٢٢ (= ٣٧٠) تسعين الثاني ٩٣٣ م) اذ يقول : « اما مملكة الاسلام فان شرقها (في عهد المؤلف) الهند وفارس . وغربيها مكة الروم وما يتصل بها من الارمن واللاتن والبرجان والسيرير والخرز والروس والمغار والصقالية وطائفة من الترك . وشمالها مملكة الصين وما اتصل بها من بلاد الانترك ومنها بحر فارس » اه المطلوب من ابراده . وقال ابن خرداداذة : « والعمل الثاني (من بلاد الروم) عمل تراقية وحده من المشرق السور ومن الجنوب عمل مقدونية ومن الغرب بلاد برجان ومن الشمال بحر الخزر » وقد

جاء في كتاب المسالك والممالك ذكر البرجان مراراً عديدة وكلها بهذا المعنى
وقال ابن الفقيه في كتاب البلدان : « واليهما (اي الى الري) تقع تجارات ارمينية
وأذربيجان وخراسان والخرز . وبلاد برجان » اه
واما البقوي فلم يعرض لذكرهم . وعن ضرب صفياً عن ذكرهم ايضاً الاصطخري
وابن حوقل والمتدسي وقدامة بن جعفر والبكري والبيروني

وقال ابن الوردي عن ارض البرمان ما حرفة : « هي ارض عظيمة واسعة بها من
البرجان ام لا تحصى وهي امة طاعية قاسية بلادهم واغلة في الشمال » ويقول عن ارض
البغار لبين لك : « يا ايست ارض اولئك كما زعم ذلك بعض المتأخرين او المعاصرين :
« هي ارض واسعة ينتهي قصر النهار عند البغار والروس في الشتاء الى ثلاث ساعات
ونصف ساعة » قال الجواليقي : « ولقد شهدت ذلك عندهم فكان طول النهار عندهم
مقدار ما صلي اربع صلوات كل صلاة في عقيب الا - ي مع الاذان وركعات فلائل
الاقامة والنسبح . وعماراتها متصلة بعمارة الروم . وهم ام عظيمة ومدينتهم تسمى بغار
وهي مدينه عظيمة يخرج واصفها الى حد التكذيب »

وقال الطبري (١٨١ - من ولد يوان الصقالية وبرجان . (وفي ٢٢٩ : ١) بملك) افريدون
ابنه (سلاً الروم والصقالية والبرجان وما في حدود ذلك » . (وفي ٩٠٠ : ١) وانوشروان
غزرا برجان ثم رجع فبنى الباب والابواب » . (وفي ١٣١٧ : ٣) وفي هذه السنة (اي سنة
٩٨) اغارت برجان على مسلمة بن عبد الملك وهو في قلة من الناس فامده سليمان بن عبد
الملك بمساعدة او عمرو بن قيس في جمع فكرت بهم الصقالية . ثم هزمهم الله بمدان
قتلوا شراحيل بن عبدة » . (وفي ٧٢٥ : ٣) وقتل في هذه السنة سنة ١٩٣) نفور ملك الروم
في حرب برجان » . (وفي ١٤٥٠ : ٣) وقد كان اذن (ملك الروم في سنة ٢٤٦ هـ) لوفود
برجان وغيرهم ممن ورد عليه » اه

وقال المسعودي في كتاب التنبيه : « و - د : الاقليم الخامس بحر الشام الى اقصى ارض
الروم مما يلي البحر الى تراقية وبلاد يوان والصقالية والابر الى حد ارض ياجوج
وماحوج » . وقال في موضع آخر من كتابه المذكور : ان السبب في ذلك (في اختصار
الملك قسطنطين على اعدائه ظهور صليب له نوري في السماء في نومه في حال حربه مع
ملك يوان وانه قيل له : استعصر به لي عدوك تنصر عليه » اه .

وقال (في ص ١٤١) : وقد دخل كثير منهم (من الاجانب) في وقتنا هذا في

جملة الروم كدخول الارمن والروم وهم نوع من الصقالبة والبيجناك من الانترك فتحصوا بهم كثيراً من حصونهم التي تلي الثغور السامية وجعلوهم ابناء برجان وغيرهم من الامم المتأبدة بهم والمحيطه بملكهم ٠٠٠ وقد ذكرنا فيما سلف من كتبنا السبب في كيفية بناء القسطنطينية والتنازع في ذلك . وقول من قال مارراء الخليج كان من ارض برجان فاحتمل قسطنطين على ملك برجان لعله بالموضع وحصانه حتى اذن له في بنائها »

وقال (في ص ١٦٤) لحق (بسطيانس) بملك الخزر مستجداً به وتزوج هناك فلم يرعدهم ما يحب فصار الى مارفلا ملك برجان ٠٠٠٠ وقد كان شرط اطر فلا ملك برجان اذا رجع الملك اليه ان يحمل اليه في كل سنة خراجاً وكان يفعل ذلك ٠٠٠

وقال (في ص ١٦٨) وكان مقتل تغر في حرب كانت بينه وبين برجان في سنة ١٩٣ وقد اتينا على اخباره مع الرشيد وحروب ارجان وقام اياه »

وقال (في ص ١٨٣) : « وقد ذكر » خراسان اسمى الرومية مقرون بنحس قفسيردناك السور الطويل الحاجز بين بلاد برجان وبين البنود الحسة التي وراء القسطنطينية ٠٠ » وقال (في ص ١٨٤) : « وقرب من هذا الجبل » جبل القبق « من ايام كانلان والسريبر والخزر وجرزان والابجاز والصاري وكشك والكاسكية وغيرهم والارو ورجان والروس والبرغر والافرنجة والصقالبة ٠٠ »

وقال (في ص ١٩١) « ومن جاورهم (اي الروم) من الممالك : من برجان والار والبرغر والصقالبة والخزر وغيرهم ٠٠٠ »

وقال (في ص ١٩٦) « وقد ذكرنا » ماجرى بين الروم وبرجان والبرغر والترك وغيرهم من الوقائع المشهورة والحروب المذكورة ٠٠ »

وقال الم. هودي في كتابه الآخر مروج الذهب : ٢ : ١٦ طبعة باريس) « وشن الغارات (اي ملك البرغر يريد البلغار) حولها (اي حول القسطنطينية) الى بلاد رومية والاندلس وارض برجان والجلالقة والافرنجة ٠٠٠ » وقال (في ص ٣١١) من ذلك الجزء . « وقد كان له . اي قسطنطين الملك (في بنائها خبر طريف مع بعض ملوك برجان لحق دخله من بعض ملوك آل ساسان ٠٠ » وقال (في ص ٣١٤) « وكان السبب في دخول قسطنطين بن هلافي في دين الصراية والرغبة فيها ان قسطنطين خرج في بعض حروب برجان او غيرهم من الامم فكانت الحرب بينهم سجالاً نحواً من سنة ٠٠ » وقال (في ٦٦ : ٣) « والافرنجة والصقالبة والنوكبرد والاشبان والياجوج والماجوج

والترك والخزر و برحان واللان والجلائقة . . . وقال (في ص ٢٨) ولولا ما اجتمع عليهم (على اهل الاندلس) من الامم من ولد يافث من الجلائقة و برحان و افرنجية وغيرها من الالسن . . . وقال « (في ٣٨:٤) عمل الترك لخائان سبع مائة فرسخ في خمسمائة . » اي طوله . . . وعرضه . . . عمل الخزر واللان سبع مائة فرسخ في خمسمائة فرسخ . عمل برحان ألف وخمسمائة فرسخ في ثلثمائة فرسخ . عمل الصقالبة ثلاثة آلاف وخمسمائة فرسخ في سبعمائة فرسخ . وقال « (في ١٣٤:٧) وفي هذه السنة وهي سنة ٢٢٣ خرج توفيل بن ميخائيل ملك الروم في عساكره ومعه ملوك برحان والبرغر والعقالة وغيرهم ممن جاؤهم من ملوك الامم حتى نزل مدينة زبطرة من الثغر الخزري فلهنتها بالسيف . . .

وقال ابن رسته : الاقليم السادس : يبتدي من المشرق ويمر على بلاد ماجوح ثم على على بلاد الخزر فيقطع بحر طبرستان الى بلاد الروم فيمر على جزراست واماسيا ومهرقلة وخلفه يذون والقسطنطينية وبلاد برحان وينتهي الى بحر المغرب .

الاقليم السابع : يبتدي من المشرق من شمال ماجوح ثم يمر على بلاد الترك ثم على سواحل بحر طبرستان مما يلي الشمال ثم يقطع بحر الروم فيمر ببلاد برحان والصقالبة وينتهي الى بحر المغرب .

واما ما وراء هذه الاقاليم الى تمام الموضع المسكون الذي عرفناه فانه يبتدي من المشرق من بلاد ماجوح ثم يمر على بلاد التترغز وارض الترك ثم على بلاد اللان ثم على الابري ثم على برحان والصقالبة وينتهي الى بحر المغرب .

وقال في موضع آخر : ومن هذه المدينة (اي رومية) تركب البحر فتسير ثلاثة اشهر حتى تنتهي الى بلاد ملك برحان وتسير منها في جبال وعقاب شهراً واحداً حتى تنتهي الى بلاد فرنجية « اهـ .

وقال ياقوت : برحان بالجم . بلد من نواحي الخزر . قال النجيمون : هو في الاقليم السادس وطوله اربعون درجة وعرضه خمس واربعون درجة وكان المسلمون غزوه في ايام عثمان رضه . « اهـ .

وقال البخاري في كتاب البدء والتاريخ (٦٤:١) سمعت قوماً من برحان يسمونه (اي الله) ادفوا . فسألهم عن اسم الصنم فقالوا : فغ . « وقال (في ٢٦:٣) فمنهم (من اولاد يافث) الترك والخزر والصقالبة و برحان واشبان وياجوج وماجوج ستة وثلاثون لساناً . « وقال (في ٥٣:٤) الاقليم السادس : يبتدي من المشرق فيمر على

بلاد باجوج وماجوج ثم على بلاد الخزر ثم على وسط بحر جرجان الى بلاد الروم فيمر على جرجان وهرقلة وقسطنطينية وبلاد برجان الى بحر المغرب . قال اهل هذا العلم : اما ماوراء هذه الاقاليم الى تمام الموضع السكون الذي عرفناه فانه يبيد من المشرق من بلاد باجوج وماجوج فيمر على بلاد التفرغز وارض الترك وعلى بلاد اللان ثم على بلاد برجان ثم على شمال الصقالبة الى ان ينتهي الى بحر المغرب . « اهـ »

وقال ابو الفداء في تقويم البلدان : برشان بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملية وفتح الشين المعجمة ثم الف ونون في الآخر . ويقال لها ايضاً برحان بالجمع . كانت قاعدة البلاد . قال ابن سعيد : وبرشان كانت قاعدة قلاية الذين يقال لهم برجان وكان لهم شهرة وبأس في قديم الزمان فاستمرت عليهم الالمانية وابادهم حتى لم يبق منهم احد ولا بقي لهم اثر . « اهـ »

وقال القرماني : برجان بلاد غائصة في جهة الشمال فيها قصر النهار الى اربع ساعات والليل الى عشرين ساعة وبالكس واهلها مجوس . « اهـ » وقال عن بلغار : مدينة عظيمة (كذا والمراد هنا قاعدة البلغار) على ساحل بحر مانطس مبنية من خشب الصنوبر وسورها من خشب البلوط . وحولها من ام الترك ما لا يعد ولا يحصى . والبرد عندهم شديد جداً لا يكاد الثلج ان ينقطع عن ارضهم صيفاً وشتاءً . « اهـ »

وقال ابن الاثير في (٢٨٠ : ١) من طبعة مصر (ومن ولد يون (والاصح يون بالمشناة التحتية) الصقالبة وبرجان والاشبان كانوا في القديم بارض الروم قبل ان يقع فيها من وقع من ولد الميص بن اسحق وغيرهم . وقال (في ١١٦) ثم ملك اسطينان (اي اسطينانس او اسطينان) المعروف بالآخرم تسع سنين ايام عبد الملك ثم خلفه الروم وخرموا نفيه وحمل الى بعض الجزائر فهرب ولحق بملك الخزر واستنجد فلم ينجده فانتقل الى ملك برحان . ثم ملك بعده لوفطش ثلاث سنين ايام عبد الملك ثم ترك الملك وترهب . ثم ملك السمين المعروف بالطرسمي سبع سنين فقصدته اسطينان واهل برجان وجرى بينهما حروب كثيرة وظفر به اسطينان وحلعه وعاد الى ملكه فكان ذلك ايام الوليد بن عبد الملك واستقر اسطينان وكان قد شرط لملك برحان ان يحمل اليه خراجاً كل سنة ففسد الروم وقتل بها خائفاً كثيراً فاجتمعوا عليه وقتلوه فكان ملكه الثاني سنين ونصفاً . « اهـ » وقال (في ص ١١٧) وجرى بين تغفور وبين برحان حرب سنة ١٩٣ فقتل فيها . « اهـ » وقال (في ص ١٥٤) عن كسرى انوشروان عاد الى

المدائن وغزا البرجان ثم رجع وارسل جنده الى اليمن « ١٠٠ هـ ثم قال (في ص ١٥٥ :)
وقوي امره (اي انوشروان) وغزا فرغانة والبرجان وعاد فبنى مدينة الشابران « ١٠٠ هـ .
وقال (في ص ١٠٥ :) وفي هذه السنة (اي ٩١) فتحت مدينة الصقالبة وكان برجان
قد اغار على مسلمة بن عبد الملك وهو في قلة فكتب الى سليمان يستمده فأمدّه فمكرت
بهم الصقالبة ثم انهزموا « ١٠٠ هـ .

وانت ترى ان ما نقلناه هنا عن ابن الاثير يكاد يكون نص الطبري بعينه . ومثل
هذين النصين كلام ابن خلدون فلماذا تضرب صفحا عن ذكره . والى هنا انما انتهى
ما جمعناه من كتب اشهر المؤرخين واهل التخطيط وان كان ثم غير هؤلاء الا انهم
يعدون من الذلة لا من المصنفين الاصليين . وهذا يدلك على سبب عدولنا عن ذكر
نصوصهم لاستغنائنا عنهم باقوال الكتاب الاقدمين اصحاب القدم الراجعة سيفه هذا
الموضوع

٢ القسم الثاني نصوص لنوحي العرب

قال الفيروز ابادي في القاموس : برجان كعثان : جنس من الروم « وزاد السيد
المرتضى في تاج العروس : « يسمون كذلك قال الاعشى :

وهرفل يوم ذي سائذما من بني برجان في الباس رجع

يقول : هم رجع على بني برجان اي هم ارجع في القتال وشدة البأس منهم « ١٠٠ هـ .
وهذا الكلام كله هو نص ابن منظور بحرفه . وقد اخذه المرتضى عنه ولم ينبه عليه .

وقال ابن الوردي : البرجان امة بل ام طاغية مثلثون . بلادهم متوغلة في الشمال
وصيرهم منقطعة لبعدهم عنا وجفاء طباعهم « ١٠٠ هـ .

وقال في المغرب للجواليقي : برجان . اسم اعجمي وقد تكلم به العرب قال
الاعشى : « من بني برجان في الناس رجع »

وقال الجوهري في الصحاح :

« وهرفلاً يوم ذي سائذما من بني برجان ذي الباس رجع »

ولم يزد على هذا القدر مع اختلاف الرواية بينه وبين صاحب اللسان والتاج .

وقال المطرزي في المغرب : برجان جنس من الروم بلادهم قريبة من القسطنطينية
وبلاد الصقالبة قريبة منهم .

وقال صاحب الاوقيانوس : برجان على وزن عثمان اسم جنس من الروم وفي كتاب المغرب للمطرزي (ما ذكرناه آنفاً) وفي كتاب الخريدة لابن الوردي (ما نقلناه فوق هذا) ثم قال : وعليه فيؤخذ من هذا الكلام وعن سائر ماورد في كتب تخطيط البلدان ان برجان وبفدان هما بلاد وجيل معروفان بكونان وراء نهر الطونة . فمن المحتمل اذا ان تكون كلمة رحان مربة عن بوجاق (كذا . ويراد بوجاق البلاد المعروفة باسم بسرائية) بل ولعل الارجح ان تكون برجان تعريب بفدان . اهـ تعريباً

ومن الغريب ان القفشندي الذي وضع كتاباً في الانساب وذكر انساب كثير من الاجيال والام والشعوب لم يتعرض لذكر البرجان . وعن اغفل التنويه بهم سائر اللغويين من العرب كصاحب الجهرة وتهذيب اللغة والمحيط والمجلد والمخصص والمحكم والجامع لديوان العرب والمعاني واساس البلاغة والمصباح المنير وجمع البحرين ومطلع البيرين والبابوس الى آخر ما هناك .

واما صاحب محيط المحيط اي البستاني فانه نقل كلام المطرزي ولم يصرح باسم المنقول عنه . وصاحب اقرب الموارد لم يذكر البرجان بمعنى هذا الجبل من الناس . ونقف عند هذا الحد من ذكر نصوص اللغويين .

القسم الثالث رأي مستشرقين الافرنج

ذهب اغلب المستشرقين الى ان المراد بالبرجان : البلغار . وهذا لا يمكن ان يكون صحيحاً البتة كما سنتبينه في ذيل هذا القسم . كى ان بعضاً منهم اتجهوا الى ما في هذا التوحيد بين الفيلين من الغرابة والبعد لرؤيتهم كثيرين من كتاب العرب جمعوا في عبارة واحدة بين البرجان والبلغار وميزوا بين الجبلين تمييزاً يتناهاً فاستنتجوا ان القومين ليسا بواحد بل هما اثنان وان كانا في اغلب الاحايين متحالفين متفقين في الهجوم والدفاع وفي القتال والقراع .

على ان بعض الافرنج ذهبوا الى ان المراد بالبرجان في بعض عبارات الكتاب من العرب قوم يكونون في افرنجة (فرنسة) وهم المعروفون باسم البرجون او البرغون اي هم المعروفون باللغة الفرنسية باسم Bourguignons وهم محفون في ذلك . مثلاً ما قال المسعودي في عبارته (في ٢ : ١٦) وفي عبارته (في ٣ : ٧٨) فلا شك ان المراد بالبرجان

هناك البرجون والبرغون . وهذا النصيف قريب من البرجان فظن المؤلف الاول او ناسخ الكتاب ان البرجون والبرجان نبي واحد . والحال : ان الامر على خلاف ما يظن وان كان بين اللغتين تناسب في الاشتقاق . ولهذا فقد اصاب الفاضل بربه دمينار *Barbix de meynard* حينما ذكر هذه العبارة : « وبشن الغارات حولها الى بلاد رومية والاندلس واراض برجان والجلالقة والافرنجة » ان المراد بهؤلاء البرجان : *Les Bourguignons* لكنه لم يصب في قوله انهم البلغار في كلام المسعودي في ٦٦:٣ و ٧٨:٣ ثم ١٣٤ : ٤ ثم ٣٨:٤ فلو ذكرهم باسمهم البرجان كما فعل في ٣١١ : ٢ و ٣١٠ : ٢ لكان اولى . ولهذا فقد اصاب في مواطن واحطأ في مواطن أخرى .

واما العلامة دي كوي *Me. de Goetze* فانه لم يقل الى اللاتينية اسم البرجان كل مرة وردت في الطري . واما في ترجمته لكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة فانه نقبا الى لفظة بلغار « *Bulgare* » في ص ١٠٥٩٢ و ٢٥٧١ واما في ٢٥٧١ و ٢٥٧٢ فقد ابقاها على لفظها « برجان » . كأنه قد اكتفى بما الملع اليه وبان المراد من البرجان « البلغار » .

وقد مرح فريناخ انه لا يعرف على التحقيق من هم هؤلاء المعروفون باسم البرجان . على انه في الآخر ذهب الى ان قولهم : اسرق من برجان « يراد بهم هؤلاء الاقوام . وقد قال في مستهل كلامه عن البرجان : برجان اسم لص او لصوص . وقد تابعه في هذا الوهم فرميرسكي . وقد وهم كلاهما . فان اللص المشهور باسم برجان هو غير جيل البرجان فاللص برجان كان من ناحية الكوفة . سلب لسرقته فسرق وهو مصلوب . وذلك انه قال لحافظه « مر الى تلك الحربة فان لي فيها مالا وانا احفظ برذونك . فلما غاب عنه قال لواحد من : «خذ البرذون فهو لك » (راجع فرائد اللال في جمع الامثال ١ : ٢٩٣) واما برجان الآخرون فهم اقوام يحاورون البلغار ويسواهم . وكانوا اهل غزو لاصوصا شأن سائر الناس في غابر العصور قبل العمران الحديث . ولهذا فقول فريناخ وفرميرسكي انهم من اللصوص وهم ظاهر وخبط بين فليحفظ . هذا فضلا عن انك لا ترى واحدا من ابناء العرب ذهب الى ان اللص برجان هو من قوم البرجان . او ان البرجان هم من اللصوص ومنه قولهم « اسرق من برجان » . كقولهم اسرق من قوم برجان .

والظاهر ان اول مستشرق ذهب الى ان البرجان هم البلغار العلامة كانزيمير في الكتاب الذي نشره في باريس لمؤلفه رشيد الدين وترجمه الى اللغة الفرنسية مع

حواش نفيسة تزرى بفقود الجمان . وقد رأيت هذا الكتاب مراراً عديدة في مكتبة الحاج علي الآلوسي من مبعوتي بغداد . وهو اليوم في الاستانة ومكتبته مغفلة لا يدخلها داخل ولو كان من اخص اقربائه . ولما كان مقام كاترمير من ارفع المقامات في العلم تابعه الكثيرون اعتماداً عليه . والبائن ان العلامة رينو *Beinaud* في ترجمته لكتاب تقويم البلدان تأليف اخي الفداء لم يقطع كل النقطع برأي وطنيه كاترمير لانه ابقى كلمة برجان على حالتها في ص ٢٨٣ من الجزء الاول من المجلد الاول وفي ص ٣١٣ من ذلك الجزء بعينه . ثم قال مامعنه : « الظاهر كلمة « برجان » تعني بعض الاحيان « البلغار » المجاورين لنهر الطونة . راجع حواشي المسيو كاترمير على كتاب تاريخ رشيد الدين ص ٤٠٥ وراجع ايضاً تصنيف المسيو دوصون في كلامه عن اقوام جبل قاف ص ٢٦٠ ومن المرجح ايضاً ان هذا الاسم يشمل الابر والامرب . اه كلام رينو

فانت ترى انه لا يجزم بصحة هذا القول كل الجزم بل يذكره بكل تحفظ وتحريز لانه رأى انه اذا صح هذا التأويل في مواضع فهو لا يصح في عدة مواطن

واما اقوى براهين كاترمير على ان البرجان هم البلغار المجاورون لنهر الطونة هو هذا على ما تذكر « بقول المسعودي ان سثنين الثاني المسهور بالآخرم لاذ بتاوفيل ملك البرجان والحال ان كتيبة اليونان يذكرون ذلك عن ملك البلغار اذن البرجان هم البلغار » اه كلام العلامة محصلاً بهناه . فاقول : نص المسعودي هو هذا : « وفي هذه السنة وهي سنة ٢٢٣ خروج توفيل بن ميخائيل ملك الروم في عساكره ومعهم ملوك برجان والبرغار والصقالبة وغيرهم » فيتضح من هذا الكلام ان البرجان غير البرغار او البلغار والا لما فرق بين اللفظين بل انهم قوم مخالفون للبرغار كما كان الصقالبة مخالفين لهم ايضاً واكتفاء اليونان بذكر البرغار فقط لا يدل على انه لم يكن معهم برجان وصقالبة بل انما ذهبوا الى ذكر البلغار اما لكثرتهم واما شهرتهم واما لانهم اذا ذكروا البلغار فهم قراء اولئك الزمان حلفاء البلغار ايضاً البرجان والصقالبة او امل هناك سبباً آخر لا يصل الى معرفته عقلنا القاصر .

وكي كل حال فان كلام المسعودي صريح كل الصراحة ان البرجان قوم كانوا مع البلغار وليسوا ايام . بل هم الذين نهضهم في كلامنا الآتي

واما آراء سائر المستشرقين فلا حاجة الى ذكرها لانه اذا كان مقدموم وزعماءهم على هذا التأويل فلا يبعد تأويل من جاء بعدهم واخذ عنهم بعداً يذكر ومن ثم تكون

أراؤهم منحصرة في ثلاثة آو بل فالأغلب يذهب الى انهم والبلغار جيل ومـم من يقول بان البرجان في بعض المواطن قيد البرجون والبرغونيين والطائفة الاخرى تبي اللغة على وجهها لانها لم ترهما موافقة لمعنى البلغار

على ان هناك مذهبا رابعا بل وحامسا لا ينسب او ينسبان الى واحد من المستشرقين بل الى عالم جليل من علماء الاتراك ولغويهم اريد به عاصم افندي صاحب الاوقيانوس ومترجم القاموس فانه يظن ان البرجان تعريب بوجاق ويرجع عليه كون اللفظة تعريب بغداد وكلا اللفظين وان كانا يتقاربان في الكتابة الا انهما يبتعدان كل الابتعاد في النطق والتلفظ هذا فضلا عن ان ابدال الحروف وسننه لا توافق كل الموافقة هذا التصحيف البعيد الوقوع الا بتكلف وتعمل واءات لا إعتات وراءه

٤ خاتمة النبذة وفيها ذكر رأينا

من قرأ بترو وتدبر ما كتبناه الى هنا وانتم النظر في الشواهد التي نزلناها عن كسبة العرب على اختلاف عصورهم يحكم حكما باتا بان البرجان غير البلغار وبالعكس واليك خلاصة ما قاله العرب عنهم مجموعة هنا :

البرجان جيل من الناس بلادهم عاصمة في جهة الشمال في قصر النهار الى اربع ساعات والليل الى عشرين ساعة . وبالعكس . واهلها مجوس طغاة بغاة فساء وسيرهم منقطع عينا لبعدهم وجفاء طباعهم . وقد تنصروا في عصور النصرانية الاولى بعد ان غادروا بلادهم واقاموا بجوار البلغار من جهة وبقرى الصقالية من الجهة الاخرى وكانوا تارة مهادنين للبلغار ومواليهم ومحالفين . وطورا اعداءهم وهاجمين عليهم وغازين اياهم . شأن الجار للجار . فهذا كله لا يصح الا على الامة المعروفة عند الافرنج باسم *Varègues* ويقال فيها عندهم *Varangien* او *Variaquer* كما ان العرب اخذوا هذه اللفظة عن اليونان وهم يكتبون الفاء الفارسية المثلثة الفوقية بأه واحدة تحية سهل سبب تعاقب الفاء والباء . والكتابة في الاصل *Varj* ومعناها «المنفي» او «الافاق» ثم توهموا فيها الافراد كما هو الامر حقيقة فجمعوها الى فعالن فقالوا فيها «برجانا» كما قالوا في جمع ظهر «ظهرانا» .

والبرجان على التحقيق قوم افاقون اصل اغلبهم من اسكندريّة ثم انضم اليهم اناس آخرون من عاصم راحرى كالروس والصقالية والأبر والسرب والبلغار فاجتمع

منهم امة قائمة بنفسها قاتلها الالمانيون فافتوها عن آخرها .

هذا ماظهر لنا على وجه التحقيق بعد ان طالعنا عدة مؤلفات عربية وافرنجية
وبعد ان وقفنا على آراء بوجودين Logodine وتلوتز Schi'etzer
وحدعونوف Gédéonov وكستوماروف Kostomarov وهوفانسكي
Kovatsky وآمي بوه Ami Boué وكاتس Kanitz وليجه
Léger ودلافلای De Laveleye وغيرهم .

وان كان لواحد من القراء ما بهدم رأينا بمعول براهينه فليأتنا به ونحن له من اعظم
الشكرين لان غايتنا البحث عن الحقيقة لا التمسك برأينا فحق ما رأينا وجهه الصريح
نسير للحال بضيائه . وقفنا الله الى مابه كل خير . بغداد : سانسنا

الفتوى في الاسلام

« نعمة ماورد في الجزئين الماضيين »

(حاجة المفتين الى معرفة المعلوم الرياضية)

ان هذه العلوم الجليلة — الرياضية — كان عني بها من سلفنا واثمتنا من لا يزال اسمه
كابدر في السراوات وثلثه وآثاره مرجعاً لحل العويصات مثل الحافظ بن حبان صاحب
النصحیح وحجة الاسلام الغزالي ونظر الدين الرازي وولي الدين ابن خلدون والامام
ابن رشد وسيف الدين الآمدي والحارثي وابن عبد ربه وابن السلاخ وابي الصلت
الداني الانداسي والرشيدي بن الزبير الاسواني والمبشر بن فاتك الاموي والشيخ السويدي
والفخر الفارسي والقطب المصري والموفق عبداللطيف البغدادي وابن البيطار وافضل
الدين الخوافي وشمس الدين الاصفهاني وابن النفيس والقطب الرازي والسيد الشريف
المرجاني وسعد الدين التفتازاني وبدر الدين ابن جماعة وقاضي القضاة الهروي وعلاء
الدين البخاري وشهاب الدين ابن المجددي والتقي السبكي ومن لا يحصى من الائمة كما تراه
في طبقات الحكماء وفي حسن المحاضرة للسيوطي وسواهما من تواريخ الاعلام ووفيات
الاعيان وكثر من كان فيهم من القضاة والحفاظ والرواة والمتكلمين والمفتين العدول
الثقات ولو ضم اليهم غيرهم لبلغ مجلدات

كل من عني بهذه العلوم — الرياضية — علم ميسر الحاجة اليها وادرك موضع الكمال منها فراح يضرب منها بسهم ويخوض منها في بحر تخلل كتب الفقه مالا يحصى من فروع هذه العلوم وكم توقف القضاء والافتاء في النوازل على الامام بهذه الفنون

البس تحرير سمت التجلة بتوقف على معرفة اصول فن الميقات وكذا تحرير اوقات الصلوات في البلاد على معرفة عروضها واطوالها الماترة في علمها وكذلك حسم المنازعات في مساحة قطع الارض او مقدار السقيان من الانهار او الدمن بتوقف على فن الهندسة والمتايس

وهكذا التقاضي في وقف على بلد من بلاد دولة من الدول معينة ارتب في كون تلك البلد من حوزتها وحدودها بتوقف على علم الجغرافيا (تقويم البلدان) فانه يعلم دخولها في شرط الواقف او عدم دخولها

وهكذا اتى من المحققين غير واحد ان لمن له معرفة بعلم هيئة الفلك ان يعمل بحسابه في صوم رمضان والفطره بل اتى نبي الدين السبكي لما كان قاضي القضاة بدمشق في رسالة سماها (العلم المنتور في اثبات التهور) ان من شهد بروية الهلال في رمضان او ذي الحجة مثلا ودل الحساب على انه لا يمكن رؤيته ان تلك الشهادة ترد (قال) لان قبول الشهادة انما هو عند عدم الريبة ووجود الاحتمال اما مع القطع باستحالة الروية للبرهان الجلي في ذلك فلا تقبل تلك الشهادة وتحمل على الغلط او الكذب (قال) لانه اقوى من الريبة لانه مستحيل عادة ، وبين رحمه الله في هذه الرسالة ما يجب على القاضي من اثبات في ذلك وما ينبغي له من الامام بعلم الهيئة والميقات او تقليد من يثق به في ذلك ليكون على بصيرة مما يقبل من الشهادة في ذلك او يرد

ورساله هذه من انفس الرسائل المضمون بها وبالجملة فحاجيات الفنون الرياضية في الاقضية والاحكام وفي العبادات والمعاملات اوسع من ان يدخلها الحصر ولا غنى للقاضي والمفتي عن الامام بها كما اوضحنا

(تحري المفتي في مسائل الطلاق المجمع عليه والاقوى دليلا)

ما يجب على كل مفت — بمعنييه الخاص والعام — ان يتحري ويتروى ويحفظ في مسائل الطلاق ما اجمعت على وقوعه او قوى الدليل فيه معقولا او منقولا واما التسرع

بالفتوى مجمل العصمة لمجرد قول غير مجمع عليه او المدرك في صوابه او قول العجب والتابعين رضوان الله عليهم على خلافه — هذا التسرع من الامور التي جرت الويلات على كثير من العائلات وكما افقت الى التحيل بما لا يرضاء المتابع ولا يلتقي مع اصول ملة السمحاء ، ومن العجب ان صور الحلف بالطلاق وانواع التعليق فيه التي افردت لها تأليف خاصة وافضحت بطون الاسفار لا ترى منها مسألة مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا واقعة مأثورة عن العجب رضوان الله عليهم لانها مما حدثت بعد قال شيخ الاسلام نقي الدين ابن تيمية في بعض فتاويه " لما احدث الحجاج بن يوسف تخليف الناس ما يمان اليمية وهو تخليف بالطلاق والعناق وتخليف باسم الله وصدقة المال وقيل كان معها تخليف بالحج تكلم حينئذ التابعون ومن بعدهم في هذه الايمان وتكلموا في بعضها على ذلك فمنهم من قال اذا حنت بها لزمه ما التزمه ومنهم من قال لا يلزمه الا الطلاق والعناق ومنهم من قال بل هذا من جنس ايمان اهل الشرك لا يلزم بها شيء ومنهم من قال بل هي من ايمان المسلمين يلزم فيها ما يلزم في سائر ايمان المسلمين وتابع هؤلاء ما نقل في هذا الجنس عن الصحابة وما دل عليه الكتاب والسنة (قال) كما بسط في موضع آخر

وبالجملة فاهم مسائل للطلاق الآن مسألة الحلف به وبالحرمان والتعليق عليه . وطلاق السكران . وطلاق الغضب . وجمع الثلاث في كلمة دفعة واحدة . والطلاق في الحيض . وبندرج تحت كل صدر شق يرى الواقف على مذاهب السلف فيها اقوالاً وفتاوى عديدة وقد أسلفنا ما اتفق عليه كلام المحققين من وجوب التحري في المسائل المختلف فيها وبذل توسع في مسألة القولين لترجيح احدهما

ومما يعين المفتي على الترجيح الصحيح مراجعته الكتب التي جمعت اقوال السلف في هذه المسائل وهي المحلى لابن حزم وفتاوى ابن تيمية وكتاب اقامة الدليل على بطلان التحيل له ايضا واغاثة الممان الكرى لابن القيم واغاثة اللهمان الصغرى في طلاق الغضب لابن القيم ايضا وزاد المعاد له ايضا وكذلك مراجعة كتب النوازل في فقه المالكية ومطولات كتب اصحاب الائمة نفعنا المولى بعلومهم والواقف عليها يجيد من سماحة الاسلام ويسر الدين ورفع الحرج في هذا الباب ما يجعله كله السنة تنطق بحمده تعالى على هذه الرحمة

(حكم تولية طالب الافناء)

هذا الحكم يعلم بالاولى مما ذكره في القضاء ومن احسن ما كتب فيه ما قاله الامام الماوردي — من كبار ائمة السانعية — في كتابه الاحكام السلطانية وعبارته :

فاما طلب القضاء وخطبة الولاية عليه فان كان من غير اهل الاجتهاد فيه كان تعرضه لطلبه محظوراً وصار بالطلب مجروحاً

وان كان من اهل علي الصفة التي يجوز معها نظره فله في طلبه ثلاثة احوال : احدها ان يكون القضاء في غير مستحقه اما لنقض علمه واما لظهور جوره فيخطب القضاء دفعاً لمن لا يستحقه ليكون فيمن هو بالقضاء احق فهذا سائق لما تضمنه من دفع منكر ثم ينتظر فان كان اكثر قصده ازالة غير المستحق كان مأجوراً وان كان اكثره اختصاصه بالنظر فيه كان مباحاً

(والحالة الثانية) ان يكون القضاء في مستحقه ومن هو اهله ويريد ان يعزله عنه اما لعداوة بينهما واما ليجر بالقضاء الى نفسه نفعاً فهذا الطلب محظور وهو بهذا الطلب مجروح (والحال الثالثة) ان لا يكون في القضاء ناظر وهو خال من وال عليه فيراعي حاله في طلبه فان كان حاجته الى رزق القضاء المستحق في بيت المال كان طلبه مباحاً وان كان رغبة في اقامة الحق وخوفه ان يتعرض له غير مستحق كان طلبه مستحباً فان قصد بطلبه المباحة والمنزلة فقد اختلف في كراهية ذلك مع الاتفاق على جوازه فكرهته طائفة لان طلب المباحة والمنزلة في الدنيا مكروه قال الله تعالى « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين »

وذهبت طائفة اخرى الى ان طلبه لذلك غير مكروه لان طلب المنزلة مما ابيح وقد رغب نبي الله يوسف عليه السلام الى فرعون في الولاية فقال « اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم » « طلب الولاية ووصف نفسه بما يستحقها به من قوله « اني حفيظ عليم » وفيه تأويلان (احدهما) حفيظ لما استودعني عليم بما وليتني وهذا قول عبد الرحمن بن زيد (والثاني) انه حفيظ للحساب عليم بالالسن وهذا قول اسحق بن سفيان وخرج هذا القول عن حد التزكية لنفسه والمدح لما لانه كان لسبب دعا اليه انتهى

(اشتراط علم الولي باهلية من يولييه لصحة التولية)

قال الامام الماوردي : تمام الولاية معتبر باربعة شروط (احدها) معرفة المولي للمولى

بانه على الصفة التي يجوز ان يولى معها فان لم يعلم انه على الصفة التي تجوز معها تلك الولاية لم يصح تقليده (والشرط الثاني) معرفة المولى بما عليه المولى من استحقاق تلك الولاية بصفاته التي يصير بها مستحقاً لها وانه قد نقلها وصار مستحقاً للاستنابة فيها ثم ذكر نية الشروط في تولية القضاء مما يدل على اعتبارها فيما هو دون تولية القضاء من الافتاء والتدريس والوعظ والارشاد والخطابة والامامة بالأولى والله در المستوعر الاكبر في قوله

وما سقطت يوماً من الدهر امة من النمل الا ان يسود دميمها
اذا ساد فيها بعد ذل لثيمها تصدى لها ذل وقد اديها
وما قادها للخير الا مجرب علم باتقال الامور كريمها
وما كل ذي لب يعاش بفضله ولكن لتدبير الامور حكيمها

وبالجملة فاعطاء كل ذي حق حقه ووضع الاشياء في مواضعها وتفويض الاعمال للقادرين عليها مما يوجب صيانة الحق ويشيد بنا العدل ويحفظ نظام الامور من الخلل ، ويشفي نفوس الامة من العلل ، وهذا مما يحكم به داهية العقل وهو عنوان الحكمة التي قامت بها السموات والارض وتبت بها نظام كل موجود ، وكل من تتبع نواحي الامم وكان بصير القلب علم انه ما ائبل عرش مجدها الا لتفويض الاعمال لمن لا يحسن القيام عليها ويضع الاشياء في غير مواضعها « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم »

(حكم الانتراط في الفتوى ان تكون على مذهب معين)

يستفاد هذا مما اوضحه الامام الماوردي في الاحكام السلطانية في القضاء (قال) : ويجوز لمن اعتقد مذهب الشافعي رحمه الله ان يقلد القضاء من اعتقد مذهب ابي حنيفة لان للقاضي ان يجتهد برأيه في قضاء ولا يلزمه ان يقلد في النزاع والاحكام من اعتزى الى مذهبه . فاذا كان شافعيًا لم يلزمه المصير في احكامه الى اقاويل الشافعي حتى يؤدبه اجتهاده اليها ، فان اداه اجتهاده الى الاخذ بقول ابي حنيفة عمل عليه واخذ به

وقد منع بعض الفقهاء من اعتزى الى مذهب ان يحكم بغيره لما توجه اليه من التهمة والمبالاة في القضايا والاحكام واذا حكم بمذهب لا يتبعه كان انفي للتهمة وارضى للخصوم

(قال الماوردي) وهذا وان كانت السياسة تقضيه فاحكام الشرع لا توجبه « لان التقليد فيها محظور والاجتهاد فيها مستحق »

« ثم قال » : فلو شرط المولي وهو حنفي او شافعي على من ولاه القضاء ان لا يحكم بالامذهب الشافعي او ابي حنيفة فهذا على ضربين « احدهما » ان يشترط ذلك عموماً في جميع الاحكام فهذا شرط باطل سواء كان موافقاً للمذهب المولي او مخالفاً له ، واما صحة الولاية فان لم يجعله شرطاً فيها واخرجه مخرج الأمر او مخرج النهي وقال : قد قلدتك القضاء فاحكم بمذهب الشافعي رحمه الله على وجه الأمر او لا تحكم بمذهب ابي حنيفة على وجه النهي كانت الولاية صحيحة والشرط ناسداً سواء تضمن امراً او نهياً ، ويجوز ان يحكم بما اواه اليه اجتهاده سواء وافق شرطه او خالفه

فان اخرج ذلك مخرج الشرط في عقد الولاية فنال قد قلدتك القضاء على ان لا تحكم فيه بالامذهب الشافعي او بقول ابي حنيفة كانت الولاية بائنة لانه عقدها على شرط فاسد ، وقال اهل العراق تصح الولاية ويبطل الشرط ثم ذكر الضرب الثاني وفصل فيه فانظره وقال الامام ابو زيد الدبوسي — من اكابر اصحاب الامام ابي حنيفة رحمه الله — في كتاب تقويم الأدلة في اواخر باب الاستحسان : وكان الناس في الصدر الاول اعني الصحابة والتابعين والصالحين رضوان الله عليهم اجمعين ينون امورهم على الحجة فكانوا يأخذون بالكسب ثم بالسنة ثم باقول من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصح بالحجة فكان الرجل يأخذ بقول عمر رضي الله عنه في مسألة ثم يخافه بقول علي رضي الله عنه في مسألة اخرى ، وقد ظهر من اصحاب ابي حنيفة رحمهم الله انهم وافقوه مرة وناقوه اخرى على حسب ما تنضح لهم الحجة لم يكن المذهب في الشريعة عمرياً ولا علويّاً بل النسبة كانت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانوا قروناً اثني عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخير فكانوا يرون الحجة لا علماءهم ولا نفوسهم فلما ذهب الذنوى من عامة القرن الرابع وكساوا عن طلب الحجج جعلوا علماءهم حجة واتبعوهم فصار بعضهم حنفياً وبعضهم مالكيّاً وبعضهم شافعيّاً ينصرون الحجة بالرجال ويتقدرون الصحة بالياد الى ذلك المذهب ثم كل قرن اتبع عانه كيف اصابه بلا تمييز حتى تبدلت السنن بالبدع فضل الحق بين الموهبة كلام الامام ابي زيد والبلج مقدمة مدهشة فليرجع اليها وقد نقل نحواً من ذلك شيخ الصوفية محيي الدين ابن عربي في الباب الثامن عشر وثلاثمائة من الفتوحات المكية في معرفة منزل نسخ الشريعة

المحمدية وغير المحمدية بالاغراض النفسية ثافتانا الله واياك من ذلك فليتدبر من
يجب الانصاف

(الحسبة على المفتين وامثالهم)

قال الحافظ ابو بكر الخطيب البغدادي : ينبغي للامام ان يتصفح احوال المفتين
فمن صلح للفتيا اقره ، ومن لا يصلح منه ونباه ان يمود وتوعد بالعتوة ان عاد ،
وطريق الامام الى معرفة من يصلح للفتوى ان يسأل تلمذ وقت ريعتد اخبار الموثوق
بهم انتهى

وقال الامام الماوردي في الاحكام السلطانية : واذا وجد - المحتسب - من
يتصدى لعلم الشرع وليس من اهله من فقيه او واعظ ولم يأمن اغترار الناس به في سوء
تأويل او تحريف انكر عليه التصدي لما هو ليس من اهله واظهر امره ثلثا بفقره
وقال ابن القيم : من افق الناس وليس باهل للفتوى فهو آثم عاص ومن اقره من
ولاة الامور على ذلك فهو آثم عاص قال ابو الفرج ابن الجوزي : ويؤثره ولي الامر
منهم وهو لاء بمنزلة من يدل الركب وليس له علم بالطريق وبمرلة من لا حرفة له
بالطب وهو يطب الناس بل هو لاء اسوأ حالا من هو لاء كلهم واذا تعين على ولي
الامر منع من لم يحسن الطب من مداواة المرضى فكيف بمن لم يعرف الكتاب والسنة
ولم يتفقه في الدين « قال » وكن شيخا تدبدا لانكار على هو لاء فسمعتة يقول : قال
لي بعض هو لاء : اجعلت محتسبا على الفتوى : فقلت له : يكون على الخبازين والطباخين
محتسب ولا يكون على الفتوى محتسب انتهى

(دلالة العالم للمستفتي على غيره)

قال ابن القيم : هذا موضع خطر جداً فليظن الرجل الى من يدل عليه وليتقى الله
فانه اما معين على الاتم والعدوان واما معين على البر والقوى وقد سأل الحافظ ابو
داود - صاحب السنن - الامام احمد عن رجل يسأله عن مسألة فيدله على من يسأله
فقال : اذا كان يعني الذي ارشده اليه مباحا وبقي بالسنة :

وذكر بعد ورقات ان اذا علم ان السائل يدور على من يفتيه بغرضه في تلك المسألة
فيجعل استفثاءه تنفيذا لغرضه لاتعبد الله باداء حقه فلا بدعه ان يدلّه على غرضه اين
كان بل ان علم المفتي فيها نصا عن الله ورسوله فلا بدعه تركه الى غرض السائل وان

كانت من المسائل الاجتهادية ولم يترجح له قول لم يسغ له ان يترجح لغرض السائل
« وهذه المسألة جديرة بالمحافظة عليها » واليرجع الى ثبوتها في كلامه

(هل يقول المفتي في المسألة قولان ونوادير في ذلك)

قال الامام ابن القيم في الاعلام : لا يجوز للمفتي تحخير السائل والالتواء في الاشكال
والهوية بل عليه ان يبين بياناً مريباً للاشكال متضمناً لفهم الخطاب ولا يكون كالمفتي
الذي سئل عن مسألة في المواريت فقال : يقسم بن الورثة على فرائض الله عز وجل :
وكتبه فلان

« وسئل آخر » عن صلاة الكسوف فقال : تصلي على حديث عائشة .

« وسئل آخر » عن مسألة من الزكاة فقال : اما اهل الاثثار فيخرجون المال كله
واما غيرهم فيخرج القدر الواجب عليه .

« وسئل آخر » عن مسألة فقال : فيها قولان . ولم يزد

« قال ابو محمد ابن حزم » وكان عندنا مفت اذا سئل عن مسألة لا يفتي فيها حتى
يقدمه من يكتب فيكتب هو : جوابي فيها مثل جواب الشيخ . فقدر ان مفتين
اختلفا في جواب فكتب تحت جوابهما : جوابي مثل جواب الشيخين . فقبل له انهما
قد ناقضا فقال : وانا ناقضا كما ناقضا .

« قال ابن القيم » : وكان في زماننا رجل مشار اليه بالفتوى وهو مقدم في مذهبه
وكان نائب السلطان يرسل اليه في الفتاوى فيكتب : يجوز كذا او يصح كذا او يتعذر كذا
بشرطه . فارسل اليه يقول : فأتينا فتاوى منك فيها : يجوز او يصح او يتعذر
بشرطه نحن لانعلم شرطه . فاما ان تبين شرطه واما ان لا تكتب ذلك « قال » وسمعت
شيخنا — ابن تيمية — يقول : كل احد يحسن ان يفتي بهذا الشرط وهذا ليس بعلم ولا يقيد
سوى حيرة السائل ونسكه

(وكذلك) قول بعضهم في فتاوى : يرجع في ذلك الى رأي الحاكم : « قال »
فيا سبحان الله : لو كان الحاكم شريفاً واستباهه لما كان مرد احكام الله . رسوله الى رأيه
فضلا عن حكام زماننا والله المانع

« وسئل » بعضهم عن مسألة فقال : فيها خلاف : فقبل : كيف يعمل المفتي (فقال)
يختار له القاضي احد المذهبين

« قال ابو عمرو ابن الصلاح » كنت عند ابي السعادات ابن الاثير الجزري فحكى لي عن بعض المفتين انه سئل عن مسألة فقال : فيها قولان فأخذ يزري عليه وقال : هذا حيد عن الفتوى ولم يخلص السائل من عمايته ولم يأت بالمطلوب . والبحث نفقة فابرجع اليه في كلامه رحمه الله

(اجناس الفتيا التي ترد على المفتين)

قال الامام ابن القيم في اعلام الموقعين : المفتي اذا سئل عن مسألة فاما ان يكون قصد السائل فيها معرفة حكم الله ورسوله ليس الا . واما ان يكون قصده معرفة ما قاله الامام الذي شهر المفتي نفسه باتباعه وتقليده دون غيره من الائمة ، واما ان يكون مقصود معرفة ما ترجح عند ذلك المفتي وما يمتدحه فيها لاعتقاده علمه ودينه وامانته فهو يرضى بتقليده هو وليس له غرض في تولي امم بعينه ، فهذه اجناس الفتيا التي ترد على المفتين

ففرض المفتي في القسم الاول ان يجيب بحكم الله ورسوله اذا عرفه وبقبحه لا يسهه غير ذلك

واما في القسم الثاني فاذا عرف قول الامام بنفسه وسعه ان يخبر به ولا يحل له ان ينسب اليه القول ويطلق عليه انه قوله بمجرد ما يراه في بعض الكتب التي حفظها او طالعها من كلام المنتسبين اليه فانه قد اختلطت اقوال الائمة وفتاويهم باقوال المنتسبين اليهم واختياراتهم فليس كل ما في كتبهم منصوحاً عن الائمة بل كثير منه يخالف نصوصهم ، وكثير منهم لا نص لهم فيه ، وكثير منهم يخرج على فتاويهم ، وكثير منهم اقتوا به بلفظه او بمعناه

فلا يحل لاحد ان يقول هذا قول فلان ومذهبه الا ان يعلم يقيناً انه قوله ومذهبه فما اعظم خطر المفتي واصعب مقامه بين يدي الله تعالى

واما القسم الثالث فانه يسهه ان يخبر المستفتي بما عده في ذلك مما يغاب على ظنه انه الصواب بعد بذل جهده واستفراغ وسعه ومع هذا فلا يلزم المستفتي الاخذ بقوله وغايته انه يسوغ له الاخذ به ، فلينزل المفتي نفسه في منزلة من هذه المنازل الثلاث وليقم بواجبها فان الدين دين الله والله سبحانه لا يبد سائله عن كل ما افتى به والله المستعان ولا يخفى ان في القسم الاول ينبغي للمفتي ان يفتي بلفظ النص بل هو اللازم ما لم يكن

فانه يتضمن الحكم والدليل مع البيان التام وقد كان هو -ع- صفة الصحابة واصلمهم الذي يرجعون اليه وقد اسهب في ذلك بما لا يستغنى عنه فليراجع

(استمانة المفتي بمراجعة كتب المذاهب واختلاف الائمة)

في جمع الجوامع وشرحه « و » نرى « ان الشافعي ومالك وابا حنيفة والسياني »
 الثوري وابن عيينة « واحد » ابن حنبل « والاوزاعي والشافعي » ابن راهويه « وداد »
 الظاهري « وسائر ائمة المسلمين » على هدى سرريهم « في المقائد وغيرها وقال الـهرافي
 في الميزان وقد اجمعوا على انه لا يحد احد علما الا ان بحث عن منازع اقوال العلماء
 وعرف من اين احذوها من الكتاب والسنة : « وقال » ان الشريعة كالشجرة العظيمة
 المنتشرة واقوال علماءها كالفروع والاغصان « وقال » ان الشريعة المطهرة جاءت شريعة
 سمحة واسعة شاملة قائمة بالاراقوال ائمة الهدى من هذه الامة المحمدية وان كلا منهم
 فيها هو عليه في نفسه على بصيرة من امره وعلى صراط مستقيم وان اختلافهم انما هو رحمة
 بالامة « وقال » نقلا عن الامام الزركشي في آخر كتاب « القواعد » له ما مثاله : ان
 مطلوب الشرع الوفاق ورد اسلاف اليه ما امكن كما عليه عمل الائمة من اهل الورع
 والتقوى كابني محمد الجوهري واضرابه نازح من كتابه المحيط ولم يلتزم فيه المشي على
 مذهب معين انتهى ثم قال التعرافي ، وقد بلننا انه كان يفتي الناس بالمذاهب الاربعة
 الشيخ الامام الفقيه المحدث المفسر الـهـمـلي الشيخ عبد العزيز الديريني «^(١) وسبح الاسلام
 عز الدين ابن جماعة القندسي والشيخ العلامة الشيخ شهاب الدين البرلسي والشيخ علي
 التبتيني الضرير ، ونقل الشيخ الجلال السيوطي رحمه الله عن جماعة كثيرة من العلماء
 انهم كانوا يفتون الناس بالمذاهب الاربعة لاسيما العلماء الذين لا يتقيدون بمذهب ولا يعرفون
 قواعده ولا نصوصه ويقولون حيث وافق فعل هو لاء العوام قول عام فلا بأس به انتهى
 وذكر الناج السبكي في طبقات الشافعية في ترجمة امام الحرمين ما مثاله والامام لا يتقيد
 بالاشعري ولا شافعي لاسيما في البرهان وانما يتكلم في حسب تأدية نظره واجتهاده :

« ١ » ومنهم ائمة السلالة الـهـمـرية الذين حمل عنهم علم جم وفقه كبير وترى نسبتهم

في نيل الاوطار للامام الشوكاني وفي غيره ايضا

« ٢ » قال التعرافي بعدد - صنف - الديريني - كتاب الدرر المنتقطة في المسائل

المختلطة اثنى فيها على المذاهب الاربعة

وذكر في ترجمة ابيه الحويني انه كتب باسمه المحيط لم يقيده به مذهب . وانه التزم ان يقف على مورد الاحاديث لا يمددها ويتجنب جانب العصية للمذاهب : كما قدمه الشمراني . وذكر في ترجمة ابن جرير ان المحدثين الاربعة — ابن جرير وابن خزيمة وابن نصر وابن المنذر كانوا يذهبون مع اجتهدهم المطلق وكان كل منهم مجتهداً مطلقاً لا يقلد احداً ولم من الاختيارات ما دونه السبكي في تراجعهم وهذا باب يطول استقصاؤه وقد عد السيوطي في حسن المحاضرة من المجتهدين في مصر وحدها ما اثنى على السبعين فكيف بغيرها وكفى من هؤلاء انما كان يعني بما يؤيده اجتهاده وكان يتفق لكثير من هؤلاء وامثالهم من جمع الكتب المتنوعة للاستفادة بما فيها . ابدهش وقد حكي السبكي في طبقاته في ترجمة الامام عبد السلام ابن بدار انه دخل الى بغداد من مصر ومعه عشرة جمال عليها كتب بالخطوط المنسوبة في فنون العلم^(١) . قال الشمراني ايضا : ان كل مقلد اطلع على عين الشريعة المطهرة — ادلتها — لا يؤمر بالانحياز بمذهب واحد وربما لزم المذهب الاحوط في الدين . بياضة منه في المائة . والى نحو ما ذكرناه اشار الامام الاعظم ابو حنيفة رضي الله عنه بقوله . ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يابى هو وامي فعل الرأس والعين وما جاء عن اصحابه فقبضنا وما جاء عن غيرهم فهم رجال ونحن رجال . « ثم قال » اذا اختلفت ذلك فيقال لكل اهل البيت مقلد منهم عن العمل بقول غير امامه في مضايق الاحوال امتناعك هذا تعنت لا وجه لائك تقول انما انتك تعنت انت سائر ائمة المسلمين على هدى من ربهم لا اعترف مذاهبهم من عين الشريعة » ثم قال « وكان الامام ابن زيد البرحمه الله تعالى يقول : لم يلفظ احد من الائمة انه امر اصحابه بالتزام مذهب معين لا يرى صحة خلافه بل يقول عنهم انهم يقررون الناس على الفتوى حمل بعضهم بعضا لانهم كلهم على هدى من ربهم » وكان يقول ايضا . لم يلفظنا في حديث صحيح ولا ضعيف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر احداً من الامة بالتزام مذهب معين لا يرى خلافه وما ذلك الا لان كل مجتهد مصيب . « وكان » الزياتي من ائمة المالكية يقول : يجوز لكل من اهل المذاهب في التنازل . وقد اطال الشمراني في هذا البحث واحاد القصد ان تسمع انقي في مراجعة مذاهب الائمة واقوالهم مما يبينه على الاقوى والارجح في المازلة اذ ليس الحق وفقاً لمذهب او كتاب (١) وما اغرب عنه انه كان يتفخر بالاعتزال ويتظاهر به حتى على باب نظام الملك — الوزير الشهير — فيقول لمن يستأذن عليه : قل ابو يوسف القروي في المعتزلي .

وبالجملة فلا سبيل للوقوف على الضالة المنشودة الا بتتبع مطاوي الكتب وخبايا الاسفار ،
 وبمقدار رفع المهمة في ذلك بمقدار زور الأفكار ، قال العلامة العطار في حواشيه على
 شرح جمع الجوامع (١) " من تأمل ما ذكره من تصدى لتراجم الائمة الاعلام علم انهم كانوا
 مع رسوخ قدمهم في العلوم الشرعية والاحكام الدينية لم اطلاق عظيم على غيرها من
 العلوم واحاطة تامة بكلياتها وجزئياتها حتى في كتب المخالفين في العقائد والفروع يدل
 على ذلك الثقل عنهم في كتبهم والتصدي لدفع شبههم واعجب من ذلك تجاوزهم الى
 النظر في كتب غير الاسلام (٢) « قال » فاني وقفت على مؤلف للقرافي (٣) رد فيه
 على اليهود شبهاً اوردوها على الملة الاسلامية لم يأت في الرد عليهم الا بنصوص التوراة
 وبقية الكتب السماوية حتى نظن الناظر في كتابه انه كان يحفظها عن ظهر قلب ثم هم
 مع ذلك ما اخلوا في تثقيف السنتهم وترقيق طباعهم من رقائق الاشعار والطائف
 المحاضرات ، « ثم قال » ومن نظر فيما انتهى اليه الحال في زمن وقعنا فيه علم ان نسبتنا
 اليهم كنسبة عامة زمانهم فان قصارى امرنا الثقل عنهم بدون ان نخترع شيئاً من عند
 انفسنا ، وليتنا وصلنا الى هذه المرتبة بل اقتصرنا على النظر في كتب محصورة الفها
 المتأخرون المستمدون من كلامهم نكرها طول العمر ولا تطمح نفوسنا الى النظر في
 غيرها حتى كأن العلم انحصر في هذه الكتب فلزم من ذلك انه اذا ورد علينا سؤال من
 غوامض علم الكلام تخلصنا عنه بان هذا كلام الفلاسفة ولا ننظر فيه او مسألة اصولية
 قلنا لم نرها في جمع الجوامع فلا اصل لها او نكتة ادبية قلنا هذا من علوم اهل البطالة
 وهكذا فصار الصدر اقمج من الذنب . واذا اجتمع جماعة منا في مجلس فالمخاطبات مخاطبات
 العامة والحديث حديثهم ، فاذا جرى في المجلس نكتة ادبية ربما لا تنفعن لها وان نطقنا
 لها بالثنا في انكارها والاعراض عن قائلها ان كان مساوياً . وايدائه بشناعة القول ان

(١) صفحة ٢٢٥ جزء ٢

(٢) وقد قال السبكي في طبقاته في ترجمة كمال الدين ابن يونس شارح التنبية —
 احد ائمة الشافعية — تبحر في جميع فنون العلم وتقرب بعلم الرباني . وكان اهل القمة
 يقرؤون عليه التوراة والانجيل وشرح لها هذين الكتابين شرحاً يعترفون انهم لا يجدون
 من يوضحها لهم مثله ، وكان اثير الدين الابهرى — مؤلف ايساغوجي — يفضل ابن
 يونس على الغزالي انظر ترجمته رحم الله الجميع

(٣) طبع

كان ادبي ونسبته الى عدم الحجة وقلة الادب ، واما اذا وقعت مسألة غامضة من اي علم كان عند ذلك تقوم التيامة وتكثر القالة ويتكدر المجلس وتعتلي القلوب بالشغناء وقمض العيون على القذى ، فالمرموق بنظر العامة الموصوم بما يسمى العلم اما ان يقتصر بالسكوت حتى يقال ان الشيخ مستغرق او يهذب بما تمجعه الامعاء ، ونفزع عنه الطبع ، « وقالوا سكرنا يجب الآله وما اسكر القوم الا القصع »

فخائنا الآن كما قال ابن الجوزي في مجلس وعظه بيفداد

« ما في الديار اخو وجد نظارحه حديث نجد ولا خل نجاربه »

وهذه نفقة ، مصدر فتسأل الله السلامة والطف اه كلام المطار وموضع الاستنباد منه تأسفه على الاختصار على ما في الايدي من الاسفار مع ان الدواء الناجع هو التلقيب عما خبأته ايدي السلف من جواهر العلم ونفائس الروائد وبالله التوفيق

(اعراض المفتي عن المقلد الخميم)

المقلد هو الذي لا يصل فهمه الى درك الدليل او لا يريد ان يصل ، انعدته الفطرة عن اللحاق باولي العلم ، وقع بالتخلف عن السباق مع ابطال النظر واقطاب الفهم ، فلما مانت قوته النظرية كان قصاره ان يتف مع قول مفتيه ، ويجزع من الكلاس الذي يسقيه ، فاذا تحكك بالدليل ، واخذ يخوض مع الابطال في القال والقال ، دل على تطفله ، وفضوله وتحمله وتمديه طوره ، ومجاوزه قدره فلماذا يجب الاعراض عنه ، وان تحجب مخدرات المناظرة منه ولما ابتلى الائمة قديما بالمقلدة الماحكين ، وضمووا لدره جدلم توازن ، قال الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه وارضاه في كتابه فيصل التفرقة ^(١) وشرط المقلد ان يسكت ويسكت عنه لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ولو كان اهلا له كان مستقيما لا تابعا واماما لا مأموما ، فان حاض المقلد في الحاجة فذلك منه فضول ، والمشتغل به صار كضارب في حديد بارد ، وطالب لصلاح الفاسد « وهل يصلح المطار ما افسد الدمراه وقال رضي الله عنه في « احياء علوم الدين » في الباب الرابع من ابواب العلم في مباحث المناظرة وتلبس المناظرين ما مثاله : اعلم ان هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بارت غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق لينفع فان الحق مطلوب والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر

مفيد ومؤثر هكذا كانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في شاوراتهم ثم قال « ويطلبك على هذا التلييس ما اذكره وهوان التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان (الى ان قال) الثالث ان يكون المناظر مجتهداً يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وابي حنيفة وغيرها حتى اذا ظهر له الحق من مذهب ابي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وافتى بما ظهر له كما ان يفعله الصحابة رضي الله عنهم والائمة فلما من ليس له رتبة الاجتهاد وانما يفتي فيما يسأل عنه ناقل عن مذهب صاحبه فلا يظهر له ضعف مذهبه لم يتركه فاي فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وما يشكل عليه يقول لعل عند صاحب مذهبي جواباً عن هذا فاني لست مستثلاً بالاجتهاد اهـ

وقال رضي الله عنه ايضاً في كتاب آداب تلاوة القرآن في اسباب مانع الفهم الاربعة ما مثاله في الثاني (ثانيها) ان يكون مقلداً لمذهب سمي بالانقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسوع من غير وصول اليه ببصيرة ومساعدة فهذا شخص قيده معتنقه عن ان يجاوز فلا يمكنه ان يخطر بباله غير معتنقه فصار نظره موقوفاً على مسجده ، فان لمع برق على بعد وبداهة معنى من احاد التي تبين منه وجه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو حلال مع ما اباتك فيرى ان ذاك من مردود الشيطان فيباعده منه ويحتيز عن مثله ومثل هذا قات الصونية : ان العلم حجاب : وراودوا بالمعتقدات التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها المذنبون للمذهب والقوها اليهم انتم

وما اجمل قول الجاحل عليه الرحمة : ' التقليد مرغوب منه في حجة العقل معي عنه في القرآن ، نصرته مدعوكوا الامور كما ترى ونقضه الماديات وذلك انا لانتك ان من نظر ويبحث ونايل ووزن احق بالتبين وأولى بالحجة انتهى

(ما لي انتمجي اذا عرف الحق)

قل شيخ الاسلام ابن قيمية رحمه الله في كتاب الايمان . اتفق العلماء على انه اذا عرف الحق لا يجوز تقليد احد في خلافه وانما تنازعوا في جواز التقليد للتأويل الاستدلال وان كان عاجزاً عن اظهار الحق الذي يعلمه فهذا يكون كمن عرف ان دين الاسلام حق وهو بين النصارى فاذا فعل ما يتندر عليه من الحق لا يؤخذ بما يجز عنه

(١) من فصل للجاحظ مطبوع مع فصول له في الجزء الثاني من الكامل للبرد

واما ان كان المتبع للمجتهد عاجزاً عن معرفة الحق على التفصيل وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد فهذا لا يؤخذ ان اخطأ كما في القبلية

واما ان قلد شخصاً دون نظائره بمجرد هواه ونصره يده ولسانه من غير علم ان معه الحق فهذا من اهل الجاهلية وان كان متبوعاً مصيباً لم يكن عمله صالحاً وان كان متبوعه مخطئاً كان آثماً وهو لاء من جنس مانع الزكاة ومن عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخبيصة فان ذلك لما احب المال حباً منه عن عبادة الله وطاعته صار عبداً له وكذلك هو لاء فيكون فيه شرك اصغر ولمن الوعيد بحسب ذلك وفي الحديث « ان يسير الرياء شرك » اه كلامه عليه الرحمة

(تورع المأثقي عن التضييل والتكفير)

مما يزين العالم كبر عقله وشدة رزائمه وحصافة لبه ، وما يشينه ويذريه طيشه وحمته وخفته وتسرع قراءه بذلك يهوي من حالق وان فالح الجوزاء بمرقانه بحق او بغير حق فبعض اللسان صيانة الانسان « وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم »

قال حجة الاسلام الغزالي في « فيصل التفرقة » . اذا رأيت الفقيه الذي بضاعة مجرد الفقه ينحوض في التكفير والتضييل فاعرض عنه ولا تشغل به قلبك ولسانك فان التحدي بالعلوم غريزة في الطبع لا يصبر عنه الجاهل ولا لجله كثر الخلاف بين الناس ولو ينكث من الايدي من لا يدري لقل الخلاف بين الخلق ^(١)

(وقال) رضي الله عنه ايضاً . واعلم انه لا تكفير في الفروع اصلا الا في مسألة واحدة وهي ان ينكر اصلاً دينياً علم من الرسول صلى الله عليه وسلم بالتواتر (ثم قال) ولو انكر ما ثبت باخبار الآحاد فلا يلزمه به الكفر ولو انكر ما ثبت بالاجماع فهذا فيه نظر لان معرفة كون الاجماع حجة قاطعة فيه غموض بمرءه المحصولون لعلم اصول الفقه وانكر النظام كون الاجماع حجة اصلا فصار كون الاجماع حجة مخدوماً فيه .

(وقال ايضاً) ولا يلزم كفر المأولين ما داموا بلامزمون قانون التأويل وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من اهل الاسلام الا وهو مضطر اليه

(وقال ايضاً) كأن كل واحد لا يرضى بما ذكره الخصم ولا يراه دليلاً قاطعاً وكيف

(١) اقول هو بمعنى قول سقراط . لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف

كان فلا ينبغي ان يكفر كل فريق خصمه
وكتابه رضي الله عنه هذا فيصل التفرقة مما بهم كل نبيه مراجعته ومطالعة فلم
يؤلف في موضوعه مثله

وقال الامام ابن حزم في الفصل ^{١١} في الكلام فيمن يكفر ولا يكفر ما مثاله :
اختلف الناس في هذا الباب الى ان قال وذهبت طائفة الى انه لا يكفر ولا يفسق
مسلم يقول قاله في اعتقاد او فتيا وان كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى انه
الحق فانه مأجور على كل حال ان اصاب الحق فاجران وان اخطأ فاجر واحد وهذا قول
ابن ابي ليلى وابي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي رضي الله عن جميعهم
وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة رضي الله عنهم « الى ان
قال » والحق هو ان كل من ثبت له عقد الاسلام فانه لا يزل عنه الا بهن او اجماع .
واما بالدعوى والافتراء فلا « الى ان قال » واما من كثر الناس بما تؤول اليه اقوالهم
بخطأ لانه كذب على الخصم وتحويل له ما لم يقل به وان لزمه فلم يحصل على غير التناقض
فقط والتناقض ليس كفرأ

وثمة البحث من نقائص العلم فليرجع اليها

(انقاء المفتي التسرع في دعوى الاجماع)

كثيراً ما يمر بمطالع كتب الفقه دعوى الاجماع في بعض المسائل او النوازل ولا
سند له الا عدم العلم بالخالف فيأتي سير التقليد فينقله الى اعتقاده يجمع عليه مع ان
الواجب عليه اما التفتيش جهده في سائر بطون الكتب الفروعية واسفار الخلاف حتى
يسقط على الحقيقة في دعوى الاجماع او يحذف كلمة الاجماع من نقله وعزوه فقد ظهر
فيما لا يحصى من المسائل المدعى فيها الاجماع ان وراء ما حلقاً في مذاهب اخرى بل في
كتب منتشرة قد لا تخلو خزائنه عالم منها ، وما الطف قول شمس الدين الاصفهاني —
من كبار ائمة الماتعية — في شرح اصول . الحق تعذر الاطلاع على الاجماع الا
اجماع الصحابة حيث كان المجمعون بهم العلماء منهم في قلة واما الآن وبعد انتشار
الاسلام وكثرة العلماء فلا مطمع للعلم به « قال » وهو اختيار « الامام » احمد مع
قرب عهده من الصحابة وقوة حفظه وشدة اطلاعه على الامور النقلية « قال » والمنصف

يعلم انه لاخبر له من الاجماع الا ما يجده مكتوباً في الكتب ومن البين ان لا يحصل الاطلاع عليه الا بالسماع . ثم او يقل اهل التواتر البين ولا سبيل الى ذلك الا في عصر الصحابة واما من بعدهم فلا انتهى كلام الاصفياني

ووجه الاتفاق والتورع في دعوى الاجماع في بعض الاحكام هو ان الاجماع على ما عرفه الاصوليون — اجتماع علماء المسلمين على حكم من الاحكام : ولذا قال شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية : واما قول بعض الائمة كافتقار الائمة وغيرهم فليس حجة لازمة ولا اجماعاً بانفاق المسلمين بل قد ثبت عنهم رضي الله عنهم انهم نبهوا الناس عن تقليدهم وامروهم اذا رأوا قولاً في الكتاب او السنة اقوى من قولهم ان يأخذوا بما دل عليه الكتاب والسنة ويدعوا اقوالهم ولهذا كان الاكابر من اتباع الائمة الاربعة لا يزالون اذا ظهر لهم دلالة الكتاب والسنة على ما يخالف قول متبوعهم اتبعوا ذلك انتهى وفي معالم الاصول . اذا اتفق جماعة ولم يعلم لهم مخالف فليس اجماعاً قطعاً اذ لا يعلم ان الباني موافقون ولا يكفي عدم علم خلافهم فان الاجماع هو الوفاق لا عدم علم الخلاف انتهى وقال — حجة الاسلام الغزالي في كتابه « فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » واما ما يستند الى الاجماع فدرك ذلك من انغص الاشياء اذ شرطه ان يجتمع اهل الحل والعقد في صعيد واحد على امر واحد اتفاقاً بلافظ صريح ثم يستمر وعليه مرة عند قوم رالى انقراض العصر عند قوم ومن هذا علم حد الاجماع (وقال ايضاً) وانما يعرف ذلك — . راسع الاجماع — من مطالعة الكتب المصنفة في الاختلاف والاجماع للسان ثم لا يحصل العلم في ذلك بمطالعة تصنيف ولا تصنيفين اذ لا يحصل تواتر الاجماع به (قال) وقد صنف ابو بكر الفارسي رحمه الله كتاباً في مسائل الاجماع وانكر عليه كثير منه وخولف فيه بعض تلك المسائل (قال) فاذن من خالف الاجماع ولم يثبت عنده بعد فهو جاهل مخفي وليس بمكذب فلا يمكن تكفيره والا . فتلال بمرقة التحقيق في هذا ليس يسير انتهى كلام حجة الاسلام نعمنا المولى بعلومه .

(المفتي والعالم بازاء من ينزهه بالاقاب)

ان العالم لما اخذ الله عليه الصدع بالحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان لا يخاف في الله لومة لائم كان مرضاً من اعداء انفسهم وعبيد هوائهم للشئان والبرز بالاقاب قهرام ان وجدوه يميل لا ظر في الادلة على الاحكام والوقوف على ماخذ المذاهب

والاقوال وتحري الاقوال والاصح بدون تعصب لامام ولا تحزب لآخر نبزوه
بالاجتهاد وسموه (مجتهداً) تهكماً مع انه بذلك لم يبق الا بواجبه ، وان ابصروا ميله لعلوم
الحكمة والرياضيات وتشويقه لاعتدال ثمارها سموه (طبيعياً) وان رأوا حبه على البذل
والاتفاق في سبيل الله ودعواه المومنين للعطف على البؤساء لقبوه (اشتراكياً) وان
سموه يتكلم في الزيارة المشروعة وينهى عما أحدث فيها او يتكلم على انواع الشرك المقررة
في السنة او يزجر عن الغلو في الصالحين دعوه (وهاياً) ^(١) الى غير ذلك من افانين
اقوالهم ونبزم بالالقاب لكل من لا يماثلهم على ميولهم ولا يسايرهم على اهوائهم . ولم في
كل عصر تلقب جديد ونبز مبتدع

العالم الحكيم لا يابه لهذه الالقاب اذا صدع بالحق ولا تحزنه بل يعبرها اذا صما لانه
يجري على ما بوجه دينه ، وبفرضه عليه يقينه ، وهو ما يرضي ربه ، وخالفه تعالى فان
رضاء الناس غاية لا تدرك واني للعاقل ارضاء اهواء متبانية ومتنازع متناقضة

ما الذالاقاب التي ننوع على المصلح وهو ساع الى خير قومه وما اوجب الترحيب
بها والابتناس لها فان امامه من الانبياء ووارثيهم ما يميزه ويسليه وكفى بهم اسوة وما
اصدق قول ورقة بن نوفل لابي صلى الله عليه وسلم : انه لم يأت احد بمثل ما جئت به
الا عودي : رواه البخاري

الثبات على تحمل المشاق والصبر الجميل من الواجبات المحتملة على كل داع الى حق
والصدقات التي يجدها البطل المقدم يجب ان تقابل بثبات الجأش وان تكون كما تجدوت
باعثة على تجدد القوى ومواصلة العمل والسير ولذلك قرن تعالى في كتابه الحكيم التواصي
بالحق بالتواصي بالصبر وصدق الله العظيم

(خوض بعض المفتين في اختلاف)

مسألة التلفيق من غرائب المسائل الحديثة المفرقة على القول بلزوم التمدب للعامي
وهو قول لا يعرفه السان ولا ائمة الخلف وقد انفت كلتهم على ان العامي لامذهب له
ومذهبه مذهب مفتيه .

(١) الوهاية طائفة مقلدة للامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ولا صحابه وحاملي
فتيه في الاصول والفروع وقد بسط الكلام في شرح احوال العلامة الجبرتي مفتي مصر
في تاريخه وهو متداول ومطبوع مراراً

تري الفقيه من القرون المتأخرة لو مثل عن رجل سمع بعض رأسه اقل من ربه في وضوءه ثم خرج منه دم وصلى يجيبك بان صلاته باطالة لان عبادته ملققة من مذهبين يخرج منها قول لايقول به احد هذا قصارى جوابه في فتواه وبلغ علمه على دعواه مع انه لو فرض انها حدثت في القرون الاولى وسئل عنها ،فت سلفي لكان نظره في صحتها او غادها الى الدليل البحيح لما او الحاضر ولا يمكن ان يتصور ان يقول له : عملك هذا ملقق او هذا تلفيق وانما يأمره بالفعل او بالتارك استدلالا او استدباطا فحسب ، ولذلك لم يسمع لفظ التلفيق في كتب الائمة لا في موطناتهم ولا في امهاتهم بل ولا في كتب اصحابهم ولا اصحاب اصحابهم ولا يبعد ان يكون حدوث النجث في التلفيق في القرن الخامس ايام اشدد التعصب والتحزب ودخلت السياسة في التذهب ، واضطر الفقهاء للاعتياش والارتياش الى التشدد في ذلك والتصلب ، فمسألة التلفيق اذن من مسائل الفروع ولا دخل لها في الاصول فان مسائل الاصول هي بمباحثه التي يستمد منها معرفة الاستنباط والاستنتاج مما لاجله سمي الاصول اصولا فمن اين ان يعد منها التلفيق الذي لم يخطر على مال احد في القرون الاولى ولا سمع به ،

اتسع امر التأليف في القرون المتأخرة وادخل في كل فن ما ليس منه بل امتلا مثل الفقه من الفرضيات اضعاف الواقعات فلو وازنت بين اسلوب المتقدم والمتأخر في اي فن لدهشت من تباينهما عجباً فكانت كتب المتقدمين لا تخرج عن موضوع الفن قيد شبر حتى استفحل الأمر في التأليف وجرى من جرائه مانعا غير واحد من الحكماء وقد الم بشيء من ذلك الناصي ابن خلدون في مقدمة تاريخه

والمقام لا يتسع لبسط هذا البحث الذي نتجازه امور عديدة لمعرفة منشأ من اختلاف السياسة ودخول عوائد الامة الغالبة على المغلوبة قسراً وتبدل المناحي والمطالب في توالي العلم والتوصل اليه فاختلفت جيد الكتب بغيره وتبدلت العادات بغيرها وصارت المراتب والمناصب وفقاً على هذا السبيل لانتال بغيره فتبعها ضرورة امر التأليف فجري على سنتها ومنهجها وصار التذهب اصلا راسخاً وتعددت لاجله الفرق الاسلامية كل يدسولام ورائده السياسة والا زيادة فتشأ مانثاً وتولد مانول بما لا عهد للامم به بل بينه وبين صيرم الاول بعد المشرئين ؛رف ذلك كله من دقق في فلسفة التاريخ واستقرأ قواعد الفاتحين واصول الدول واستكنه رجالها وحلمية العصر والمصر في كل مملكة وجبل وقد بسلطناه في مقالة خاصة والفصدان التلفيق الذي يبحث عنه المآخرون

ينبغي للفتي اذا استفتي عن مسألة منه ان ينظر الى مأخذها من الكتاب او السنة او مدركا المعقول منها وما تسرع الى القول بالملحق بطلاناً او قبولاً فمدول عن مبيع السات على ان ما يسمونه بعد تفريقاً بقطع النظر عما ذكرنا في شأنه راجع الى نوع الرخص التي يجب الله ان تؤتي وللشيخ مرعي الحلي - احد فقهاء الحنابلة المشاهير - رسالة في جواز التلقيق للعوام وهي رسالة نفيسة قال : لان العلماء نصوا على ان العامة ليس لم مذهب معين (قال) وقد قال غير واحد لا يلزم العامي ان يتذهب بمذهب معين كما لم يلزم في عصر اوائل الامة (قال) والذي اذهب اليه واختاره القول بجواز التقليد في التلقيق لا يقصد اتباع ذلك بل من حيث وقع ذلك اتفاقاً خصوصاً من العوام الذين لا يسمعون غير ذلك (الى ان قال) ولا يسع الناس غير هذا ويؤيده ان في عصر الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم مع كثرة مذاهبهم وتباينهم لم ينقل عن احد منهم انه قال لمن استفتاه الواجب عليك ان تراعي احكام مذهب من قلده ، لئلا تلتقي في حيا. لك بين مذهبين فاكثر بل كل من سئل منهم عن مسألة اتفق السائل بما يراه مجزأ له العمل من غير فحص ولا تفصيل ولو كان ذلك لازماً لما اهملوه خصوصاً مع كثرة تباين اقوالهم انتهى

وقال العلامة الدسوقي - من فقهاء المالكية في مصر - في حواشيه نفي شرح خليل في بحث الفتوى من خطبة الكتاب ما مثاله وفي كتاب الشبرخيقي امتناع التلقيق والذي سمعناه من شيخنا نقلاً عن شيخه الصغير وغيره ان الصحيح جوازه وهو فسخة (قال الدسوقي) وبالجمله في التلقيق في العبادة الواحدة من مذهبين طريقان المنع وهو طريقة المصاروة والجواز وهو طريقة المقاربة ورجحت انتهى

وقال ابن الهمام في فتح القدير في كتاب ادب القاضي : المقلد له ان يقلد اي مجتهد شاء « ثم قال » : وانا لا ادري ما يتبع هذا « اي تتبع الرخص واخذ العامي في كل مسألة يقول مجتهد اخف عليه « من النقل او العقل ، وكون الانسان يتبع ما هو اخف على نفسه من قول مجتهد مسوغ له الاجتهاد ما علمت من الشرع ذمه عليه وكان صلى الله عليه وسلم يجب ما خفف عن امته انتهى

نقول هذا اقتناعاً لمن يهوله امر التلقيق ويؤمن ان الحكم بجوازه شيء لا نكر مع ان امامه من الافاضل ممن تكبرهم من قال بجوازه لابل من صححه ورجحه أما نحن فانا نرى الرجوع في مسألة الى سنة السلف والائمة في مثلها كما اوضحناه وبالله التوفيق

(ما يعمل المفتي اذا خص احوال الائمة)

ذكر ابو عمر محمد بن يوسف الكندي في كتاب القضاة الذين ولوا قضاء مصر في تولية قضاء مصر لابراهيم بن الجراح سنة ٢٠٤ مأماله : عن عمر بن خالد قال : ما صحبت احدا من القضاة كابراهيم بن الجراح كنت اذا عملت له المحضر قرأت عليه اقام عنده ماشاء الله ان يقيم ويرى فيه رأيه فاذا اراد ان يقضي به دفعه لي لانشي منه سجلا فاجد في ظهره قال ابو حنيفة كذا وفي سطر قال ابن لبلى كذا وفي سطر آخر قال ابو يوسف كذا وقال مالك كذا ثم اجد على سطر منها علامة له كالخطة فاعلم ان اختياره وقع على ذلك القول فانشي السجل عليه انشئ وهكذا حتى المفتي ان ينظر في الواقعة الى احوال الائمة فيفحصها ويتم النظر حتى اذا استبان له قوة احدها توكل على الله تعالى وافتي به والائمة باجمعهم لم ينادروا في النواز ، بذل الوسع حتى اجتمع من اقوالهم الكثير الطيب ووجد فيها الامثل فالامثل واعني بالتوازل المتجدد على عهدهم واما المأثور فما كان عن الصحب رضوان الله عنهم فكذلك يتغير فيه الامثل وما كان عن الحضرة النبوية فهناك فصل الخطاب والله الموفق

(نعمة الآداب في هذا الباب)

نختم هذا البحث الجليل بما جاء في الافئدة وترحه ^(١) في كتاب القضاء والفتيا مما لم نذكره قبل وعبارته مع شرحه

يحرم الحكم والفتيا بقول او وجه من غير نظر في الترجيح اجماعا ^(٢)
ويجب ان يحمل بموجب اعتقاده فيما له وعليه اجماعا قاله الشيخ ^(٣)

ويأتي ان يكون بصيرا بمكر الناس وخداعهم حذرا مما يصورونه في سوا لانهم لثلا يوقعوه في المكروه

ويحرم تساهل مفت وتقليد معروف به (قال الشيخ) : لا يجوز استفادة الا من يفتي بعلم او عدل :

- (١) هو من ام كتب الفروع عند الحنابلة ولا يستغني عنه مفت ولا قابض لسببه من الفروع ما لا يوجد في غيره جزى الله طابه وواقفه خيرا
- (٢) نقدم لنا هذا واعدناه تذكرا به لكثرة التساهل فيه
- (٣) يعني به شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله

و يلزم المفتي تكرير النظر عند تكرار الواقعة وان حدث مالا قول فيه تكلم فيه
حاشاكم ومحضه ومفت

وينبغي للمفتي ان يشاور من عنده ممن يثق بعلمه الا ان يكون في ذلك افشاء سر
السائل او تعريضه للاذى او مفسدة لبعض الحاضرين فيجتيه ازالة لذلك

ولا يلزم جواب مالا يجهله السائل لقول علي - كما في البخاري - حدثوا الناس
بما يعرفون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وفي مقدمة مسلم عن ابن مسعود : ما انت
بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم

ولا يلزم جواب مالا نفع فيه لخبر احمد عن ابن عباس انه قال عن الصحابة : ما كانوا
يسألون الا عما ينفعهم

وللمفتي قبول هدية لكن لا يفتيه بما يريده مما لا يفتي به غيره والا حرم قبولها
وللمفتي رد الفتيا ان خاف غائلتها او كان في البلد من يقوم مقامه في الفتيا والا لم
يجز له ردها لتعيينها عليه (والتعلم كذلك)

ومن قوي عنده مذهب غير امامه لظهور الدليل معه اتفق به واعلم السائل
ويموز للمفتي المدول عن جواب المسؤل عنه الى ما هو انفع للسائل
وللمفتي ان يدل على عوض ما معه عنه وان ينهه على ما يجب الاحتراز عنه لان
ذلك من قبيل الهداية لدفع المضار

واذا كان الحكم مستغرباً وطأ قبله ما هو كالمقدمة له
وله الحلف على ثبوت الحكم احياناً لاية « قل اي وايي انه لحق » آية « فرب
السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون » والسنة بذلك كثيرة
وله ان يكذ لك مع جواب من تقدمه بالفتيا اذا علم صواب جوابه فيقول : جوابي
كذلك والجواب صحيح وبه اقول :

واذا مثل المفتي عن شرط واقف لم يفت بالزام العمل به حتى يعلم هل الشرط معمول
به في الشرع او من الشروط التي لا تحمل مثل ان يشرط ان يصلي الصلوات في التربة
المدفون بها الواقف ويدع المسجد او يذهل بها قديلاً او سرجاً لان ذلك محرم كما تقدم
(لصاحب الاقتاع) في الجنائز^(١)

(١) في كتاب تيسير الوقوف على غوامض احكام الوقوف للامام المناوي في الفصل
الثالث في الحوادث والواقعات من الكتاب الثاني قال (حادثة) بالشام في القرن السابع

ولا يجوز اطلاقه في الفتيا في اسم مشترك اجماعاً بل عليه التفصيل في الجواب ، فلو سئل المفتي هل له الاكل في رمضان بعد طلوع الفجر فلا بد ان يقول : يجوز بعد الفجر الأول لا الثاني . وارسل الامام ابو حنيفة الى ابي يوسف يسأله عن دفع ثوباً الى قمار فقصره وجعله حل له اجرة ان نادى وسئل الى ربه وسئل ابو حنيفة ان قال ابو يوسف نعم او لا خطأ فظن ابو يوسف وقال ان قصره قبل مجرده فله الاجرة لانه قصره لربه وان قصره بعد مجرده لا اجرة لانه قصره لنفسه . (ومأل) ابو الطيب الطبري قوماً من اصحابه عن بيع رجل تمر برطل تمر مقاولا يجوز فخطأهم فقالوا لا خطأهم فقال : ان تساريا كلاً جاز : فهذا يوضح خطأهم المطلق في كل ما يتحمل التفصيل ولا يجوز للمفتي ولا لغيره تتبع الحيل الخرمة والمكروهة ولا منع الرخص لمن اراد نفعه فان تتبع ذلك فحق وحرم استثنائه ، وان حسن قصد المفتي في حيلة جائزة لاشبهة فيها ولا مفسدة لتخلص المفتي بها من حرج حاز

وللمفتي العمل بمحظ المفتي وان لم يسمع الفتوى من لفظ اذا عرف انه خطئه وحقيق بالمفتي ان يكثّر من هذا الدعاء النبوي « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل وهوان تينما وقت وشروط على المؤذن ان يقوه بالتبنيح او اخر الليل على العادة (فاجاب) ان ثبوتها بغيره بغيره بان ذلك بدعوه كروية باتفاق المسلمين وما كان مكروهاً لم يكن لاحد ان يأمر به ولا يعاقب الرزق به ولا يلزم فعله وان شرطه الواقفاه بحروفه وما لطف ما لحظه الامام ابن القيم في اعلاء الموقعين في شروط الواقف بحروفه بعد مقدمات : وبالجمله فشرط ايفا . ارادة تقسام شروط محرمه في الشرع وشروط مكروهة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وشروط تنهين ترك ما هو احب الى الله تعالى ورسوله وشروط تنهين فعل ما هو احب الى الله تعالى ورسوله ، فالاقسام الثلاثة الاول للاحرمه لما ولا اعتبار والتقسيم الرابع هو الشرط المتبع الواجب الاعيان والله التوفيق ، وقد ابطال النبي صلى الله عليه وسلم هذه الشروط — ايلانه — كماله قوله : من عمل عملاً ليس عليه امرنا فهو رد وما رده رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجوز لاحد اعتباره ولا الزامه ، ومن تظن لتفاصيل هذه الجمله التي هي من لوازم الايمان تخلف بها من آصار واغلال في الدنيا واثم وعقوبة وتدفع ثواب في الآخرة وبالله التوفيق : وذكر قل ان قولهم : شرط لواقف كنص الشارع : ليس على اطلاقه وانما ينزل على هذا التفصيل فالرجع الى تفصيله في الجزء الثالث من اعلام الموقعين

فاطر السموات والارض عالم الغيب والتسهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون اهدي لما اخلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط
مستقيم»

هذا ما يسر المولى بفضل جمعه من عدة مصنفات ، كما يظهر في العزو اليها في الاصل
او الحليقات ، والمقام جدير بالناية ، لذوي الدراية ، والله ولي الهداية ،
دمشق : جمال الدين القاسمي



اوغست كونت وفلسفته (١)

« تمهيد »

نبغ في فرنسا بعد تقص الاوضاع القديمة كثيرون من المفكرين الذين بحثوا في
نظريات الاجتماع وفي طبيعة هؤلاء الثابنين الفيلسوف اغست كونت . وقد اختلف
الباحثون في مذهب علي مركزه الفلاني فوضه قوم بين ديمر وفوريه وقالوا بوحدة
آرائهم مع اعقابهم لكونت برجاجة العقل وتوفر المكتسبات الفنية وجعله آخرون بين
هيوم ولاينج وامثالهما فأخطأ الفريقان مركزه وغرأ الاولين ما رأوه بين المارق التي
انتهجها الفلاسفة الثلاثة الى مقاصد من التناهي فتشغلهم ذلك عن النظر في ضعف
الرابطه بين مرامي كونت الباحث في تجديد شروط الاتحاد الاجتماعي ومرامي
ديمر وفوريه وانفرد كونت عن سواه بمبدأ المشهور ان النظام الاجتماعي لا يمكن تغييره
الا اذا جعلت التصورات النظرية في الهيئات الاجتماعية خاصه تأثير الفن وادبجت
في ماسواها من المستبطات البشرية وهذه الخاصة تقسح لكونت مجالاً بين فلاسفة
الاجتماع الناشئين في القرن الثامن عشر وتربطه بتورغوي ومونتسكيو وقوندوروسه
الذي كان كونت بدعوه بابه الفلاني وهو تصريح يكفي لاثبات ما نقول

يصعب علينا ان نلخص في هذه الصفحات فلفة كونت المودعة في ستة مجلدات
ضخمة ولا سيما ان كتاب الغرب الذين اجالوا اقلامهم في الموضوع كستوارت ميل
وغيره من دروا فلسفة كونت عن كذب والقراء في انتقادها لم يوضحوا مذهبهم ايضاحاً

يزيل اللبس والابهام ويوقف المطالع على حقائقه . ولم يكن من كتبوا في هذا البحث من اوضح لنا كيف اقتبس كونت فلسفته من الرياضيات وما الذي دعاه الى تقسيم المعلومات البشرية الى ستة فروع كبرى وكيف بدأت فلسفته بفكر رياضي فانتهد بفكر اجتماعي . ولا يتسنى لنا ان نفهم حقيقة هذا الفيلسوف الا اذا درسنا ترجمته ففحن بادئون بها وصائرنا الى مذهبه الفلسفي

ترجمته

هو ايزيدور — اغست — ماري — فوانسوا قزاويه كونت (Conte) ولد في قصبة مون بيليه سنة ١٧٩٨ وكان والده يجي الحراج في القصبة المذكورة وبعد ان اتم التحصيل الابتدائي في مدرستها دخل دار الفنون في باريس فامتاز فيها ببعضهاته للقوة الرسمية الحاكمة واحترامه الديدل للكمال الخلقى والفكرى : تباؤه الراسخ في توخي غايته ولم يطل مكثه فيها سوى سنتين رأس بعدها احتجاجاً على احد اساتذتها آل الى اخراجه من المدرسة فعاد الى موطنه حتى كانت سنة ١٨١٦ فام باريس غير مكترث باعتراض والده الشديد واقام فيها يحصل قوته بالقاء دروس خاصة في الرياضيات وجعل همه تحدي بنيامين فرانكلين الذي كان يدعو سقراط زمانه في معيّننه على انه امتاز عن جميع الفلاسفة بصلابة العزم والثبات على مبدأه فلم تلوه عنه حياة تبكي نهاسة وشقاء

وضاق به العيش في باريس فحدثه النفس بالمجرة الى اميركا وكان على وشك ان يؤمها لولا صدق نقي عزمه عن المهاجرة بجملة اوردها في عرض حديث تجاذبا اطرافه عن « الفكر العملي » في العالم الجديد فقال له صديقه ان لا كرنج (رياضي فرنساوي شهير) لو ذهب الى اميركا لم يجد عملاً يقوم بأوده سوى مسح الارضين . فمدل كونت عن السفر واقام في باريس يعلج الحياة المرة ويتبلغ بثمانين ليرة بنقاهاها زائناً سنوياً من احدى المدارس التي انتدبه لتعليم الرياضيات حتى سعى له اصدقاؤه بوظيفة تدريس في دار المسيو كازيمير بويه المشهور فدخلها ووجد هناك اسباب الراحة والهدوء غير ان المعيشة لم ترقه لحينه الى الحرية التي اضاعها فلم يستقر به المقام اكثر من ثلاثة اسابيع ودع بعدها مضيغه وعاد الى حاجته السابقة وقناعته الفطرية وقد يكون الفهم في الشبية داعية الشر الا اذا كان الشاب الفقير متمكناً فتساعده الحاجة حينئذ

على ان يكون اميل الى الحقيقة منه الى الخيال

وسنة ١٨١٨ اتصل كونت بهنري دوسان سيمون ابن اخت الدوق دي سان سيمون المشهور وكان في عهده من كبار كتاب المذكرات السياسية فكان لهذا الاتصال تأثير شديد في نظريات كونت الفلسفية

كان سان سيمون يومئذ كونت في الستين من عمره ولم يكن ذا شهرة طائرة غير ان غرابه حياته واحواله الاجتماعية وافكاره السياسية تستوقف الانظار فقد قضى الرجل عمره ساعياً بماله من الملكة العتلية الرائعة لتطبيع خيالاته على حقائق الاسباء والتربية الفنية لم يكن لها اقل اثر في هذا انزجلا لانه لم ينشأ عليها ولا شعر بلزومها على انه كان خبيراً بالاتحاد الاجتماعي وله في السياسة المثبتة وترقي البشر كثير من الافكار الخطيرة ولكنه لم ينسأ على محاكمة منطقية بل هي اشبه تخيلات الشعراء

هذا الفيلسوف التديم ستر كونت فلم يستطع ان يفكر في حقيقته الا بعد ان فارقه حتى انه اتقه بالمخروق في حديث له بعد ان انتطعت اوامسر ودهما ولم يستطع الا ان يمتدح بنفوذه عليه وتأثيره في تربية الفلسفية واشتدت وطأة التأثير على كونت حتى ناء بها وهذا نفسه يوم مفادته سيمون بخلم هذا النير عن عاقبه .
وتعرف ما كان للفيلسوف النيمخ من اليد عند كونت من كتاب بشت الاخير الى صديق له يقول فيه : ان سيمون اراني الحمة افلسفية التي اسلكها فانا طرد السير فيها كل عمري غير ملتفت الى ورائي وهذا الاعتراف السريع لا يحيط من قدر كونت ولا يتافض ارجحيته العقلية ونفوذه بدرجات على صديقه النيمخ ولا يقتصر من قدره انه اخذ كثيراً من افكاره التي اقام عليها بناءه الفلسفي من افكار سيمون المضطربة وحلاصة القول انه لا يصح ان نعد كونت تليذاً لسان سيمون ولا مقلداً له وكل ما في الأمر ان الشيخ اوقف صديقه الشاب على نقطتين مهمتين كان لما الا ان الاكبر في فلسفة الاخير اولاهما ان الحوادث السياسية هي كالحوادث الطبيعية يمكن جمعها ودرستها بقوانين مقرر وثانيتها ان غرض الفلسفة الاصلية البحث في النضا الاجتماعية فتناول كونت هذا البداً وتوسع في بسطه وتردده توسعاً لم يحيط للشيخ في بال

دامت صحبة الرجلين ست سنوات ثم بدأت بالانحلال لما اوفر كونت من سلطة سيمون القليلة وما دخل على نفس الشيخ من القهر والحسد لما رأى ميرة الشاب عليه بمداركة ومواهبه وحدثت ثم حادثه قطعت العلائق التي رثت ووهت ولخصها ان سان سيمون

نشر كتاباً في الاجتماع اتحل فيه معظم أفكار كونت، لفته ففضب الأخير، وأتاب صديقه عتاباً مرّاً، ولم يكن سبيل للتوفيق بين الرجلين فكان فراقهما ابدياً

وتزوج كونت سنة ١٨٠٥ فزاد ذلك في أسباب تعاسته وشتائه لأن أسرته وهي شديد، التعصب للملكية والكاثوليكية اغضبها زواجه المدني فأقلقتة باحتجاجها إلا أن ذلك لم يمتعها من الاحتفاء بزوجه وشخص العروس إلى مون بيليه فأقاما فيها هنيئة ستمت الزوجة فيها عدة القرية ذات الذبي الواحد وبدأ نزاع انتهى بفرار الزوجين كما سيحيى وقد كتب كونت إلى صديق مخلص في السنة الأولى بعد زواجه يقول: «إن الاحزان انغرقتني والهوا حس استحوذت علي فاضطرت أن أفادي من سعادتي بجزء إذا لم يكن أعظم اجزائها فهو الذها واحلاها»

أما الأفكار السامية في هذه البيئة الرديئة يحرك في الفوس، واضع الدهشة والاعجاب ويحميها على احترام الفيلسوف الذي كان يقوم على تنشئتها والخطوب الماتوية نفس نظام حياته وكان القشل حليفه في كل أعماله، فاختفى في إيجاد تلامذة يتلقون أفكاره وآراءه ولم يجب سوى تخصص اخبرته الوحدة فودع استاذة غير آسف

وفي هذه الاثناء اخذت أفكار الفيلسوف بالتكامل وشرع بنشر مقالات في جريدة المانج (لويس رودكتور) كان بقاىء ما بعثت للبرييمات ولما أس من بث أفكاره بواسطة تلاميذه عمد إلى التاء محاضرات وأذن عن الخامسة الأولى سنة ١٨٢٦ راجياً أن يصيب بذلك شهرة وأن يفوز بفتح مادي يستعين به على حاجته وفقره وشجعه احد اصدقائه على ذلك بقوله «إن كثيرين يبحثون في آرائك وأفكارك غير ذاكرك بشيء فأعلن أنك أنت صاحبها» فعمل فيلسوفاً بهيئته وسمع المحاضرة الأولى رجالاً من جلة علماء فرنسا ونخبة أدباها

وما كاد طالع السادة يسهم لكونت ويقتات الناس باسمه وفعله حتى دهمته الكوارث ففي بنزيف دمائي عقيب المحاضرة الثالثة لأن نورة أفكاره انعدت بتأثره لشقائه الدائي فأصيب بمرض عضال عاظم سنة فلما اخذ بالشفاء من مرضه فكر فيما آت إليه حاله واهصر التعاسة آخذة بسبله فيش من الحياة بادل إلى الانتحار غرماً في نهر السين ثم عدل عن الانتحار وبدأ يسترجع قواه العقلية والجسدية

وفي هذا الدور التمس عند لكونت تعقد ديني اجنأ غير أن ذلك لم يبع شيئاً من اختلال بينه وكان المرض قد اثر فيه تأثيراً شديداً فظهرت عليه امارات الجنون فقام الفلاسفة

من معارضي كونت يجمعون طريقته ويتخذون هذه الحادثة حجة على ضعف رأيه وفساد تعليمه ويقولون ليس العقل في شيء أن يقبع الإنسان مذهب مجنون وهذا محامل مجرد يقصد منه تضييع تأثيره فقد أحسب نيوتن قبله بمرض دماغي فلم يتقص ذلك شيئاً من حرمة والاعجاب بكتابه المسمى (برنسيب) الذي وضعه عقيب ذلك المرض وبعد أن استجم كونت قواه عاد سنة ١٨٢٨ إلى القاء المحاضرات ونشر المجلد الأول في دروس الفلسفة الموجبة سنة ١٨٣٠ بعد تعب كثير وعمل طويل بدأ سنة ١٨٢٦ ولم يكن عمله في المجلدات الخمسة التي تلتها أقل عناءً فإنه لم يتمكن من نشر المجلد السادس إلا سنة ١٨٤٢

كانت الاثنتا عشرة سنة التي قضها الفيلسوف في التأليف سني خير وبركة علوه ذاق في خلالها الحادة المادية لأنه دعي في سنة ١٨٣٨ إلى امتحان الطلبة الذين يتوافدون من كل صوب إلى كلية باريس وانتدبه مدرستان كبيرتان لتعليم الرياضيات فأصبح دخله السنوي أربعمائة ليرة ولما كان عهد لويس فيليب دعاه الميوكيزويه رئيس الوزارة ليدرس تاريخ الفنون ونال له « إذا كان هناك أربع كرامتي لتدريس تاريخ الفلسفة وجب علينا أن نخصص كرسيًا لي الأقل لظهور العلوم الحديثة وارتقاها » فدل الوزير بذلك على مياله للفلسفة الحسية ولولا اشتغاله بما فوق الطبيعة أيضاً لتقدمت في عهده تقدماً باهراً

وفي كتاب ارسله كونت إلى زوجته ما يدل على رقة قلبه وسمو عواطفه فقد قال لما في ذلك الكتاب « لا أود أن أحفل لك هنا الحبور الذي تفيض نفسي به لما أرى الشاب فاز في امتحانه وقرب من آماله الذهبية أنت تضحكين من ذلك ولكنني لا أتأملك من أن اذرف دموعي »

وكان كونت يفكر دائماً في سعادة الآخرين ويسعى إلى منفعتهم بكل سبيل وهذا الاهتمام الدائم حمله على القاء الخطب والتدريس في المجتمعات العامة من سنة ١٨٣١ — ١٨٤٨ على ما كان يترضه من الموانع وفي هذه السنة حدثت ثورة في باريس أظهر فيها كونت عطفه على المجتمع فقد كان يفضل السجن على الدخول في الفرق الوطنية التي ألفت يومئذ ومع أنه لم يدع الناس لحمل السلاح على الملكية فإنه لم يتقسم لها بين الإخلاص ولم يكن كونت يتأثر من مشاهدة الروايات مع أنه كان كثيراً ما يقتاب الملعب فالمجمعات (تراجيدي) في نظره ظواهر مضمرة ليس فيها من الحقيقة الا غل لطيف

فقل اكثرائه بها وبماسواها القصص المنحكة (كوميدي)

وقد كتب احد تلامذته عن احواله وصفاته الشخصية ما يأتي :

دقت ساعة لوكسنبورغ الثامنة وكانت صدى صوتها لا يزال يرن في الاذان حين فتح باب الغرفة ودخل وجل قصير الدانة عتلي^٤ الجسم نظيف الثياب ملتصق بمن في قص شواربه حتى لم يبق لها ظل وكانت يكتسي الاتواب السوداء ويتأنق في لبسه فكلا رأيته تخاله مدعوا الى وليمة وكانت عقدة رقبته لامعة كأن المكواة مرت عليها حديثا فاقرب الرجل من اريكته المعدة له ورأى المنضدة ووضع طبقه السعوط امامه وبمدان استمد مرتين ومر القلم على المسحيفة ارى مله شرع بكتابة الدرس بادئا فيه بقوله : كنا فلانا انه في مثلت غير معين كالثلث اب ج الخ .

ودام درسه ثلاثة ارباع الساعة والطلبة يدونون الموضوعات المهمة في مذكراتهم ليتكثروا من مراجعتها على حدة ثم سحب من جيبه دقرا آخر فاذا تلاوة الدرس السابق وظل حتى الساعة التاسعة فتناول حقته ونفض ما على معلقة من السعوط وكانت يده في جيب عطفه وفتح الباب وخرج بسكية تامة

قلدا آنفا انه نشر المجلد الاخير من فلسفته الموجبة سنة ١٨٤٢ وبينما المره يخيل عظم المكافأة التي يجب اسداؤها لهذا الفيلسوف على اثني عشرة سنة صرفها في الجهد والتعب المضنك يجد ان جزاءه كان تزايد المشكلات والخطوب التي تضيق الصدر وتضبط على الفكر ففي تلك السنة نفاقم التقاق بينه وبين زوجته وأدى الامر الى انفصالها بعد ان خصص لها مائتي ليرة راتباً سنوياً ونرى من العبث البحث في هذه المسألة لان احوال الزوجين الخاصة لا يطلع عليها حتى اخلاس اصدقائهم اظلت مادام كونت بعد الانفصال تفكر في سعادة زوجها ودامت المراسلات الودية بينهما مدة سنين

وأصيب كونت بحادثة ثمانية اثرت فيه وهو ان طابع المجلد السادس ابقى على الكتاب حواشي بنكر فيها حملة كونت الشديدة على اراغو فنضب الفيلسوف لذلك وخاصمه بلجاجة فربح دعواه

واشد المصائب التي نكب بها هو انه ذكر منخبه للاشراف على الامتحانات في المجلد الثالث بما لا يستحب فادى ذلك الى ضياع نصف راتبه الزهيد فضايق كونت بالعيش ذرواً وابناً بفقره صديقاه . نذ بضع سنين وهو المسترجع استيوارت ميل احد علماء المنطق الانكليزيين الذي اثرت فيه افكار الفيلسوف واستمد منها معظم افكاره وآرائه في

أصول المنطق وقد كثرت مراسلات الصديقين ونشر جزء منها في المدة الاخيرة
فهاج رغبة الجمهور للاطلاع كي سائرهما

ولما انتهت اليه كتب الفيلسوف حاجت فيه الخلة التي عرف بها من عطف الديد
على الرجال العظام ورثاء لشقايتهم فنهض الى مساندته وطرق ابواب ثلاثة من اصدقائه
هن اعطاهم لمساعدة الفيلسوف فعهدوا بتقديم مائتي ايرة له سنوياً وكانت ذلك
سنة ١٨٤٥

ولم يوفق كونت لعمل شيء يدل على تدهوره بجميل لانكليز فلما عاد اليهم ميل
في السنة التالية اعطاه الاول مبلغاً زهيداً ورفض الاثنان الآخر مساعدته مائلين
يجب على كونت ان يعول نفسه بنفسه فلما أخفق استيوارت في مساعدة صديقه بهذه
الوسيلة اشار عليه بكتابة مقالات في الجف الاسكليزية وتعهد له بتجهتها فرفض كونت
اولاً بهذا الطلب ثم عاد الى هوسه واعتزازه فأخذ يتهم الانكليز في ااد الاخلاق مما
اتخط استيوارت وباند مايس الصديقين حتى انتهى اذ مر باقطع المراسلات ومن
كلام كونت في هذا الصدوقه : لماذا يترك الرجل بعد موته بائناً الما لنفقت لم
يعرفه وهو لا بعد مساعدة الرجال الذين عرفهم في حياته فرفضاً عليه ما ؟ ان الانكليز بين
صريحاً لهما بضد ان فيلسوفا لا يقولان بقوله والرجل يجب ان لا يتبل في انتشار
مبدأه الا مساعدة الذين يرتنون رأيه وقوله دعونه من سوام حطة من قدره

وما زال كونت يدفع لاصرأته مائتي ايرة سنوياً من ١٨٤٥ الى سنة ١٨٤٨ اذ
هبطت رواتبه بدون سبب الى ثمانين ايرة ففجح الميسوليتره وبعض الاصدقاء اكتتاباً
لمساعدته فجمعوا ان المال ماوسع على كونت ربحاً من الزمن وقد كانت في جملة
المشركين بهذه الاعاة المستر استيوارت ميل الذي لم يمنعه استيوارت من معاملته كونت
عن مساعدته واسمائه

ويرى المطالع ان كونت لم يتصرف مع اصدقائه تصرفاً يليق بمرجل عظيم مثله
لان نفسه جمعت الى خصائل الحميدة من رسوخ العزم وقوة الارادة والثبات والمثابرة على خدمة
البشر نقائص مشينة من الغرور والجحرفة واذا جاز التمثيل شبهنا كونت بروتيرس وكانو
واذا اراد الانسان ان يحب كونت وجب عليه ان يتصرف حاله التبعيسة
وحياته المظلمة وخطوبه المتواترة وهو بين هذه الظلمات دائب على انجازه مهمته
لا يكل ولا يثني فما زال يركب الى غايته الخطوب حتى فاز بما اراد وكانت القوانين

الاسامية للعلوم الموجبة قبل عهده مطلقة مبهمة فجاء كونت موضحاً لها بما يزيل الاشكال وبقيم لها حدوداً يئنه فكثرت لذلك حساده وخصامه
ولم يكن كونت يكتب كلمة قبل ان يقرر الموضوع ويكتبه جملة بجملة بعد تبيينها في ذهنه
ومضى فرغ من احضارها جلس يكتب يبراع سيال فيسجل سلسلة من الافكار تجري على
امالاته بدون انقطاع ولا تردد لقوة ذاكرة كونت واستغنائها عن العود الى المذكرات
ولكن اسلوبه الكتابي لم يكن بالحلة اللاتئة لافكاره البراقة واذا كتبنا لتوقع منه كتابة
كالشعر في تأثيرها وسلاستها الا ان الكتابة في ارقى الموضوعات اهمية اذا لم تكن طلية
محبها اكثر العلماء جلداً على الاسقصاء واذا قاينا اسلوب كونت بغيره من الفلاسفة
كهيوم وديدرو وباركله رأينا ثقيلاً جافاً وربما وقعت في كتاباته على بعض العبارات
المتينة الا ان جميع اصطلاحاته خالية من سلامة الذوق في الانتقاص وقد كان يكثر
من ادوات الحال في بعض الجمل حتى لا يثبت على مطالعتها الا من أوتي الصبر الجليل
من تلامذته ولكن قوة فكره ونفوذ نظره وسمو آرائه تشرع له السبيل الى ذهن
القاري وتستر هذه النقيصة وتضعف تأثيرها واذا كانت مؤلفاته عظيمة فاسلوبه لا يوفق
جزءاً من تلك العظمة القائمة بماحية الافكار والمثلة رجاحة العتل الذي اوجدها
وركاكة اسلوبه ناشئة عن عدم مطالعته وولغات بلغاء الكتاب فهو لم يقرأ الا علماً كان
يسميه علم حفظ الصحة الدماغية وقبل ان يتم فلسفته الموجبة لم يطالع سوى دواوين
اثنين او ثلاثة من الزمراء في مقدمتهم دانتي واهمل ما سوى ذلك حتى قراءة الرسائل
والمجلات ولكن اصدقاءه كانوا يثبتونه بكل حادثة جديدة في عالم الفن فأدى هذا
الانقطاع الى تحرير نفسه من قيود الاجتماع والمؤثرات وظلت افكاره بمزمل عن
الاعتبارات الخارجية واذا كان افاده من هذه الوجهة فقد اضره من الوجهة الاخرى
فاقرط في اهماله وضعف تدوره بالعالم الخارجي وقد وضحت فيه هاتان النقيصتان في
اواخر ايامه

وقبل ان نتم ترجمة كونت نسرد حادثة جرت له سنة ١٨٤٥ يوم تعرف الى
مادام دي ثو :

كانت هذه العقيلة ايماً لأن زوجها حكم عليه بالجن المؤبد ولانعرف الا اليسير
عن اوصاف المرأة واخلقها وكل ما نمله هو انها وضعت قصة رفعتها في عيني كونت
الى مستوي مادام جورج ساند ولم تكن هذه القصة في ذاتها شيئاً يستحق الذكر الا انها

دلت على ذوق سليم وفطرة حميدة فتوثقت بينهما روابط الولاء وأصبحت العقيلة عزاءه في احزانه وافاضت على نفسه روح الهدوء والسكينة ولو طالت مودتهما لم يظهر اضطراب الفكر في كتب كونت الأخيرة الا ان الاقدار التي ناصبت الفيلسوف طول حياته فجسته بريحانة نفسه وموضوع سلوته سنة ١٨٤٦ فجزع لفقدما جزعاً شديداً ولازمه الحزن والهم فلم فكان يخرج الى ضريحها مساء كل اربعة ايام اذا توارت الشمس في الحجاب بلله بقطرات دمعه ويجثو في البرار ثلاث مرات احتراماً لذكرها فيستغرق في احزانه ويستسلم الى الجزع وكان تلامذة يقولون انه يقدم لها من الاحترام ما تقدمه ذاتي لحبيته بانريس ويشبهون حاله بحال الابر بعد وفاة لينياس

الباحثون في حياة كونت يقسمونهم الى شطرين احدهما يمتدحني تعرفه الى العقيلة دي ثو والآخر بعد ذلك وبفروقون بن الشخصين، كونت الذي كتب الفاسفة الموجبة وكونت الذي الف في السياسة الموجبة الا ان اعداءه يأبون كل تفريق في هذا الصدد ويقولون ان المختل الذي كتب في السياسة هو نفسه الذي كتب في الفلسفة

ولم يكد كونت ينتهي من نشر فلسفته الموجبة حتى بدأ بنشر سياسته وهذه بالطبع تستند الى تلك فنشر المجلد الرابع والاخير في سنة ١٨٤٨ وفي هذه السنة حدثت ثورة في فرنسا لم تبد طلائعها حتى هرع كونت الى تأليف جمعية دأها الموجبة توقع ان يكون لها من الشأن في هذه الثورة ما كان لنادي الجاكوبيين في ثورة ١٧٨٩ واذا كان كونت لم يدرك جميع آماله في انتاء هذه الجمعية فقد ادرك بعضها باجتماع تلامذة الفيلسوف ووضعهم مذهباً فلسفياً جديداً كما بهوى ويختار

وكان كونت سنة ٤٩ و ٥١ و ٥٢ بلي في القصر الملكي (باله رويال) في باريس محاضرات متتالية يحضرها عامة الناس وخاصتهم فيبحث في فلسفته ومعتقداته ودعاويه وقد ختم محاضراته الاخيرة بقوله :

« باخدمة البشرية والفلسفة والحقيقة يجب ان نثولوا زعامة العالم لأن ذلك حقكم الصريح واقعى امانى الانسانية تأليف حكومة اخلاقية مادية فكرية فان الحكومات التي قامت على دعائم الكدكة والبروتستانتية سقطت لان ادس اتخذوها وسيلة لانصرام الثورات وقضاء اللبانات »

ومن غرائب الاتفاق ان يقوم بعد هذه المحاضرة ببضعة اسابيع رجل يدعو الناس الى طاعته لا ليجدم الانسانية بل لدعواه انه صاحب الحق بالسلطة المطلقة وان يحمل

الناس على معرفته كذلك بالقوة القاهرة

وصنة ١٨٥٢ نشر كونت رسالة في مذهب الاساتية اظهر فيها ارتياده الى ضربة لويس نابوليون للحكومة وانشائه جمهورية هو فيها الحاكم المطلق ومهما يكن من قيمة الفكر السياسية نجد عذراً لكونت في انه كتبه وهو لا ينتظر ان تؤول الحال لا آت اليه من الضغط والاستبداد والجمام المطبوعات

وأصيب كونت سنة ١٨٥٧ بداء السرطان وقضى في خامس عشر ايلول فانتهت حياة مرة تنكر لها الزمان وفي هذا اليوم من كل سنة يجتمع تلامذة الفيلسوف من انكليز وفرنساويين في نوهون بذكره ويقومون بمراسم سنوية لانفسهم وقد قبض كونت وهو دون الستين وهتلا بلسنا الا ان تشارك جون مورلي في حزنه لعافية من اشد عواقب الامر ايلاماً وهي « ان يقضي ارباب الذكاء الحارق في تم الكرم على نشر افكارهم قبل ان يدركوا امانتهم وتنفاد لم رغباتهم »

« فلسفته »

لا تعرف المقادير الا قياسها وقياها تواتر يستحيل في الغالب وبسط «شواهد ما يعترضها من المصاعب في قياس طول بالوحدة المترية اذ يشترط في صحة القياس ان ينطبق المتر على السطح كل الانطباق وادنى تنوء او غور يخل بالاستواء بعيد هذا القياس متعذراً تلك اهون المصاعب تعثرنا في اقل البسائط فكيف بها في ارق المركبات كتقدير الابعاد بين الاجرام السماوية

ذاك ما قاد افكر البشري الى وضع العلوم الرياضية فاذا تعذر او استحال علينا ان نقيس مساحة او تقدر كمية مباشرة توصلنا الى ذلك بالطرق الرياضية فحسبنا بين مالا يقاس تواتر وبين ما يقاس واستخرجنا الاولى من الثانية على قاعدة التناسب

فلكي نقيس مساحة نمثلها بشكل هندسي كالثلث مثلاً ونعتبر المناسبة بين الاضلاع والزوايا فتسهل علينا معرفة المساحة بهذه الوسيلة وبغيرها من نوعها تمكن الفكر البشري من تقدير الابعاد بين اجرام السماء وارنقى الى معرفة مجموعها واشكالها الحقيقية وظواهرها الطبيعية وسعتها وامتدادها وقوة جاذبيتها الى غير ذلك من المعلومات التي بلغها بالوسائل الرياضية وغرض الرياضيات مقايسة الكميات وتقديرها بالواسطة وذلك يدرك بمعرفة النسبة بينها فالرياضيات اذن علم تستخرج بواسطته الكميات المجهولة من الكميات المعروفة

للتناسبات الصريحة الموجودة بـ

ماهي الكمية ؟

عرف الرياضيون الكمية انها ما يتبل الزيادة والنقصان ويمكن تقديره بالوحدة القياسية^(١)

فالعدد والطول والسطح والحجم والزمان والمكان وسرعة الجسم ووزنه وغيرها من الاريكان الداخلة في الحوادث الطبيعية هي كميات تتوفر صفتي الكمية فيها وقد اكتفى الرياضيون بالمعلومات النسبية فلم يخطر لهم ذات يوم ان يبحثوا في ماهية المكان والزمان والمادة لانها الأسس التي تقوم عليها المعارف البشرية فليس في الوسع ان تثبت او تعرف ولهذا السبب حصر الرياضيون مهمهم في كشف النواميس التي تؤثر في هذه الكميات واظهار النسبة بين ما اجتمع منها في حادثة واحدة بدون ان يحاولوا بلوغ معلومات مطلقة

والرياضيات تثبت لنا ان في وسعنا استخراج بعض الكميات الداخلة في احدى الظواهر الطبيعية من البعض الآخر اذ لا بد من وجود روابط بينها ولم يشهد الناس حتى اليوم ظاهرة فقدت فيها هذه الروابط ولكنها قد تدق حتى يتعذر على الباحث اكتشافها اذا ابتدأ بكلمة « كميات » في تعريف الرياضيات بكلمة « حوادث » كان لذا تعريف العلم الحقيقي فهو ما اوضح بعض الحوادث ببعضها الآخر مستنداً في ذلك على العلاقات الموجودة بينها . وكل علم يجمع طائفة من الحوادث وبؤائف بينها ويستخرج من جمعها نواميس عامة ويضع قواعد اذا جربنا عليها عرفنا نتائج حادثة بقياسها على حادثة ثانية من نوعها فاذا عجز عن ذلك لم تصح تسميته علماً

ثم اننا اذا جعلنا كلمة « النواميس الطبيعية » بدلاً من « العلاقات بين الحوادث » كان ذلك اصح وقد خدمت الرياضيات في تعيين هذه العلاقات فوق خدمة كل ما سواها من العلوم فهي تدلنا على اقصى ما يراود بالعلم واذا ثبتنا ان تقع على فكر صحيح في تحديده وجب علينا الرجوع الى الرياضيات فان الاصول العامة التي يقتضي ان يسري عليها الفكر في

(١) زاد المتأخرون الشرط الثاني من شروط الكمية اما المتقدمون فقد اكتفوا بالشرط الاول فكانت صلاية الجسم في عرفهم كمية لانها تقبل الزيادة والنقصان الا انها ليست كذلك عند المتأخرين فمع ان الاجسام تختلف في الصلاية الا ان هذه الصلاية لا تناس بالوحدات

الابحاث لانصادفها في غير الرياضيات وليس من علم آخر، ثانيا في حل المسائل - لا تأملوا بفضي الى استخراج النتائج بدقة وضبط . هذه هي النقطة التي بدأ منها مذهب الكونتيزم لواضعه اوغست كونت

استنبط الفيلسوف التحديد العام للعلم من الرياضيات واقتبس منها الاصول التي يجب ان يجرى عليها في الابحاث العلمية اما اساس فلسفته فهو : ان الحوادث ^(١) كافة تجري على قوانين مقررة والعقل البشري يعجز عن معرفة منشأ الحوادث الازلي ومنتهائها الابددي وهذه حقيقة لا يكرها من كان ذا مشاركة في العلوم الطبيعية لأنه يعلم ان الغاية من ايضاح الحادثة الطبيعية ليس الا اظهار الاحوال والشروط التي يمكن معها حدوث مثلها وتعيين علاقتها بغيرها من الحوادث واليك مثالا على ذلك

اكتشف نيوتن الجاذبية العامة فوضح بها جميع الحوادث الفلكية وبين ان كسرها من الحوادث التي كان الناس يتوهمون ان لاعلاقة بينها كالخسوف والكسوف والمد والجزر انما هي مظاهر مختلفة لحادثة واحدة عامة كما نعتبر عنها بالثقل فهنا تفسر جميع الحوادث الفلكية بالجاذبية العمومية وكذا انعجز عن معرفة ماهية الجاذبية وعلتها الاصلية فاذا سئلنا في ذلك لم يكن عندنا جواب وليس هذا كل ما في الامر بل ان الفلاسفة الموجهة تثبت لنا ايضا اننا ان ندطيع ادراك ذلك فليتنا ان ننخل عن هذه المباحث لعلنا مانفوق الطبيعة فاذا قال قائل ان اهتزازات الجواهر الفردية بسبب ذلك الثقل لا يكون قد اوضح مبهما لان الاشكال ينتقل من الثقل الى الاهتزازات فلا يلبث المستطلع ان يسأل عن سبب الاهتزاز ايضا

اذا اردنا ان نفهم الصفة المميزة للفلسفة المثبتة وحب علينا ان تتبع الفكر البشري في ادوار ارتقائه وقد وضع كونت لذلك قانونا عاما اقدمته بصحته ومعلومات العصر الحاضر وشهادات العصر الماضي

وهذا القانون هو ان كل فرع من المعارف يمر في ثلاثة ادوار متعاقبة او حالات مختلفة اولها « الدور الوضعي » والثاني « الدور المجرد » والثالث « الدور الميت » ^(٢)

Etat fictif - Etat Absolu - Etat positif.

(١) ليس المقصود بالحوادث هنا الحوادث الطبيعية فقط بل رجعت الى الحوادث الاجتماعية

(٢) ودعانا ايضا **Etat théo - logique, métaphysique, scientifique**

ونكتفي بذكر هذا القانون بدون ان نتقدم الى اثباته او معرفة نتائج
شبه كونت الفكر البشري بخضوعه لنواميس الارتقاء وحالاته الثلاثة التي تتعاقب
عليه بالانسان في ادواره الثلاثة من طفولة وشبابية وهرم
وتنشأت ثلاثة مذاهب مختلفة لايضاح الحوادث في الادوار الثلاثة اولها « الفلسفة
الوضعية » والثاني « الفلسفة المجردة » والثالث « الفلسفة الموجبة » والاول مبدأ ارتقاء
الفكر الانساني والثالث غاية ما بلغه والثاني الحلقة المتوسطة بين الاثنين
اتجه فكر الانسان في الفلسفة الوضعية للبحث في اسباب الحوادث الازلية وغاياتها
الابدية فتلقى تلك الحوادث آثاراً من فواعل ذات ارادة مطلقة يمزو اليها كل ماشاهده
بدون ان يفكر في النواميس والسنن

وارتقت هذه الفلسفة فبدأت الفلسفة المجردة التي افادت « القوى المجردة » مقام
الفواعل الوهمية وهذه القوى عارية من الميولي تسبب الحوادث المشهورة
اما الفلسفة المثبتة فقد اقتنعت واضعوها ان الفكر الانساني يستحيل عليه ان يدرك معلومات
مطلقة فصرنوا نظرم عن البحث في منشأ الكائنات ومصيرها وقصروا مهمهم على
معرفة نواميس الحوادث فزحوا بين المشاهدات والمحاكات العقلية لاكتشاف هائيك
النواميس

لما ارتقت الفلسفة الميضية حتى قال الناس بالله واحد يدبر الكون بلغت اوج
الكمال وغاية الارتقاء وادركت الفلسفة المجردة نهاية شوطها عند ما ردت الحوادث الى
الطبيعة ودعتها بالقوة العامة المجردة

اما الفلسفة المثبتة فهي تسمى لتوضح ان جميع المحسوسات ظواهر مختلفة لحادثة عامة
ففي تبسرها ذلك بلغت ارقى درجاتها على ان هذا الارتقاء غير متيسر في الاحوال
الحاضرة ولا تدل ظواهر الحال على امكان ذلك في المستقبل فاذا استطعنا ان نفسر
حوادث النور والحرارة والصوت والكهربائية وشيئاً من حوادث المغناطيسية بقولنا انها
نتيجة موجبات فاننا لانستطيع ان نفسر الحوادث الفلكية على هذا الوجه والفلسفة المثبتة
جاهدة في اظهار العلائق بين الحوادث او القوانين الطبيعية وصفتها المميزة صرف الفكر
البشري عن البحث في ماهية الحوادث لأنها لا تخوض سبغ هذا البحث بل تدعه الى
الفلسفة المجردة التي توضح الأزل والأبد بسهولة تامة وتستقصي الاسرار العلوية حتى
ادق خفاياها

بمسائل القاري بعد ان عرف غابة الفلسفة الموجبة عن الحد الذي بلغت وعلى اي شيء يتوقف اكملها وما نحن متطرقون في بحثنا الى ذلك
لم تمر المعلومات البشرية في الادوار الثلاثة بسرعة واحدة ولا ادركت الحال الثابتة في آن واحد بل كان امرها الى ذلك الحوادث الفلكية اسلمتها وسهولتها وتلتها الحادثات الفلسفية فالكميوية فالعضوية

ويعتذر علينا تعيين بدء انقلابها الى التدقيق ولكننا نعلم انها اخذت بالارتفاع منذ انشئت دور العلوم في اثينا والاسكندرية ومنذ حمل العرب العلوم الطبيعية الى غربي اوربا وارشدوا اهلها الى نوايسها وما زالت تتكامل وتندرج في مراتب الارتفاع حتى نبع باكون ودبكارث وكيلروغاليله فاثرت ماتهم في الافكار البشرية تأثيراً شديداً ووضعت أسس الفلسفة الموجبة التي بدأت بالانتشار والشيوع منذ ثلاثة عصور ولكنها لم تحط بكل انواع الحوادث فن هنالك نوعاً لم تذكره وهو الحوادث الاجتماعية

هذه الحوادث لا تزال محجبة النوايس كثيرة الابهام لم يكتف عن اسرارها الغطاء ولا استطاعت العلوم ان تحصرها تحت قوانين عامة وقد وضع الفكر البشري علم الميكانيكيات والحيوان والنبات وحن الزمان الذي يضع فيه علم الاجتماع فكان كونت اول من سمى به افكاره فهو هذه الغاية فرمى اليها في موسوعات مجلداته الستة التي اودعت لمخص المعلومات البشرية لان كونت لم يقصر همه فيها على الفلسفة الاجتماعية بل تعدد تدوين الفلسفة الموجبة فبحث في كل علم الى حد اظهار علاقته بنيره من العلوم واظهر تدرج كل منها في الارتفاع ودخوله في الدور الموجب وجعل اساس بحثه تماقب الحوادث وارتباطها المنطقي فقسم العلوم الى ستة فروع كبرى تنضوي تحتها فنون مختلفة واليك هي :

(١) ٠ — الرياضيات (mathématiques)

(٢) ٠ — الهيئة (الفلك) (Astronomie)

(٣) ٠ — الفلسفة الطبيعية (Physique)

(٤) ٠ — الكيمياء (Chimie)

(٥) ٠ — الفلسفة العضوية (Physique organique)

(٦) ٠ — الفلسفة الاجتماعية (Physique sociale)

وقدم حكومت العلوم الرياضية بالذكر لأنها اقدم العلوم الموجودة راكمها وهي

أول ما دخل في الفلسفة الموجبة وقد راعى كونت في ترتيب هذه الفروع تاريخ ثبوتها ومما لا ريب فيه أن الرياضيات بدأت مثبتة وما زالت ترتقي من أقدام عهدها إلى اليوم وتلتها الحياة فالفلسفة الطبيعية فالكيمياء فالحكمة الصوفية رقي بها إلى هذه الدرجة كبرل وغايله ولا فوازيه ولا نويل أما الفلسفة الاجتماعية فأت كونت حسبها لم تؤسس بعد . واحتلت الفنون في بلوغ هذه المرتبة لتفاوت درجتها في السهولة فكان أبسطها أقربها إلى الثبوت .

وشرع كونت يفكر بعد ذلك في تعاقب هذه الفنون وارتقائها من أبسط النظريات الرياضية إلى أرقى التصورات الاجتماعية فأن ذلك الاستقصاء إنما هو تتبع ارتقاء الفكر البشري والحوادث تجري على تسلسل طبيعي وهذا التسلسل هو بمثابة رابطة عامة بين النظريات المثبتة في الفنون المختلفة ورأى كونت أن بعضها يجب أن يكون له تأثير في الآخر فجعل العلوم الرياضية أول حلقة من السلسلة لأنها قمت فيما بعدها لترقيته إلى مرتبة الثبوت وجعل الفلسفة الاجتماعية الحلقة الأخيرة

فليس كوت بن الفكريين الرياضي والاجتماعي فلم يجد مدوحة عن أن يتخذ الأول دليلاً على نظريات الثاني المثبتة حتى إذا أمكن حصر الارتقاء البشري تحت قوانين معينة استبدل الرياضيات بالفلسفة الاجتماعية لأنه وجد الأولى غير كافية لتأسيس فلسفة حقيقية تامة حتى قال : أن ما بذله المفكرون من المساعي في العصور الماضية لا ينجح فلسفة جديدة تحل محل الفلسفة الموضوعة ذهب ادراج الرياح لأن الدين حاولوا ذلك أرادوا أن يتخذوا الرياضيات ركنًا وينتسوا مذهبهم بأحتلاف ذهيف أو كبير وإذا أمكن انتباس حقيقة من الرياضيات فلا يمكن التوسع في ذلك الفكر وجعله عامًا فان الحوادث الرياضية التي ضبطت قوانينها (الهندسة والميكانيك) هي في غاية السذاجة فلا يمكن تطبيق شرائعها على المركبات وكثيرون من الرياضيين في عصرنا الحاضر يقولون أن غرائب الحوادث الفلكية والحوادث الاجتماعية الناتجة عن ارادة البشر وقدرتهم غير خاضعة لنواميس معينة

في الفلسفة الحكيمية والكميوية لا نجد خوارق مما يحملنا على القول أن جميع الحوادث هي ذات سنن مقررة لا تتغير ولكن الحوادث المبهمة المغلفة لا ينظرها على هذا التكل الالفلسفة الاجتماعية فرجع لدى كونت أن يتم مذهبه على نقطة اجتماعية وصمى في كشف النواميس الثابتة لهذه الحوادث وقد كان الباحثون قبله يستندون إلى اقتراحات أو يستعينون

بفلسفة ما فوق الطبيعة فاراد كوت ان مجرد البحث عما يخافه من الاوهام ويدخله في حال مثبته

وكان كوت يقول بحرية الوجدان المطلقة يريد بذلك ان كل فكر وكل تعبير لا يمكن ان يثبت له حقيقة مطلقة بل ان كل انواع الجزاء من التنبه البسيط الى الحكم بالجنابة وتبسط في القول على ذلك حتى ادعى ان ليس من حرية وجدان في الحياة والحكمة والتكليماء والقيسولوجيا لان المرء اذا لم يقبل مبادئها الاساسية اتهم بالهوس وليست الحال كذلك في الاجتماعيات لان المبادئ القديمة قد اضمحلت ولم تخلفها بعد مبادئ جديدة

اما اصول علم الاجتماع فكانت كغيرها من الاصول العلمية تستخلص من التجارب والملاحظات على سبيل القياس والاستقراء فيطالع المستقري حوادث بسيطة يضع لها التواميس ثم يترقى الى الحوادث المركبة بطريق القياس فيستخرج قوانينها اذ ليس سبغ وصع الباحثين استنباط القوانين العامة مباشرة من ملاحظة الحوادث المركبة ولكن كوت لاحظ ان الحال في العلوم الاجتماعية ليست كذلك فان حوادثها البسيطة تتألف من افعل الافراد وحواسهم ونواميس هذه لا تختص بها بل تشمل الطبيعة البشرية ذاتها والحوادث الاجتماعية انما هي نتائج تلك البسائط

وقد كان العلماء الى عهد كوت يحاولون اخذ العلم الاجتماعي المثبت من قوانين الطبيعة البشرية العامة ثم يميلون الوقائع التاريخية دليلاً على صحة تلك الاستنتاجات فرد كوت هذه النظرية وقال اذا دلت القوانين العامة على ما لا يؤيده شاهد من التاريخ وجب علينا ان نحكم بفساد التاريخ واختلاله لان صفحاته الاولى مزورة وكما اهرق الناس في الحضارة ازدادوا دقة في تدوين الحوادث واذا كان التاريخ يدلنا على مجرى الرقي البشري في غير المعصور فهو لا يوجب اتخاذ ذلك المجرى سبغ ولا يضع قانوناً فقي شتتا معرفة القوانين تعين علينا ان نعود الى علم النفس (السيكولوجيا)

ان قوانين الطبيعة البشرية العامة هي في حلة موسوعات علم الاجتماع غير انها تختلف في استعمالها عن القوانين في العلوم الطبيعية فان التجارب الخصوصية في هذه تؤدي عن طريق القياس الى استخراج القوانين العامة وفي العلم الاجتماعي نبلغ التاموس العام من التجربة الخاصة ثم نستخرج عن طريق القياس نتيجة تؤيد صحته

والفلاسفة الذين اشتغلوا في نظريات الاجتماع لم يكونوا يعتبرون التاريخ سلسلة

من الاسباب والنتائج بل كانوا يثقلونه كفاصيص مشرفة لا رابطة بينها - حتى جاء
كونت فبين فساد مزاعمهم في هذا الصدد وجمل التاريخ من اكبر ماخذ العلم
الاجتماعي وحيث رأى حادثة شذت عن قوانين الطبيعة البشرية حكم باختلال
تدوينها

والخلاصة ان اوغست كونت وضع اصول العلم الاجتماعي - كما قال استوارت
ميل - واذا كانت لم يوجد ذلك العلم فانه حبا من بعده من الفلاسفة قوة لا يجاده
وفلسفته المثبتة في العلوم الطبيعية واصول التحليل التاريخي مستخذ اسمه بين مشاهير
الفلاسفة دمشق : جرجي الحداد

مشاهير العرب والصناعات

وليس على عبد نبي نبيعة اذا صحح التقوى وان حاك او جم
(ابو العتاهية)

يتوهم بعض الكتاب ان العرب اهملوا الصناعات بل استنكفوا منها لانهم لم يقولوا
(آل الحائك) خشية تحقير المضاف والحقيقة هي ان قداماء العرب لم تنصرف افكارهم
الى الحياكة في زمان بداوتهم لانهم لبسوا جلود الحيوانات وابتاعوا ما وجبت غيرهم
فلم ينتفوا الحياكة على انهم عرفوها بعد ذلك واشتهروا بكثير منها ونقل الافرنج عنهم ما
تفقتوا فيه منها مثل الموركو والكوردو فان لتوعين من الجلود التي دهنها العرب الاول
في مراكش والثاني في قرطبة . والدامسكو للنسيج الدمشقي المشجر . والدامسكين للترصيع
المعدني الدمشقي والموصلين لتسيج عرفت به الموصل وصناعة التفار والسيوف التي اخذها
من دمشق الى غير ذلك مما لا يحصى . ولم تأت كثرية في الصناعات يحضرني
منها الآن اسم رسالة للكندي في المعادن والجواهر وانواع الحديد والسيوف وجيدها
ومواضع اقتسابها . ورسالة اخرى في ما يطرح على الحديد والسيوف حتى لا تنكسر ولا تكل
للكندي ايضا . وغيرها كثير لا محل لذكره الآن . ولقد ذكر جاهليو العرب
بعض الصناعات في اشعارهم مثل قول طرفة بن العبد البكري من معانته مشبها الناقة :

كقنطرة الروي أقسم ربيها لتكتنغن حتى تشاد بقرمد

وقوله :

وخد كقرطاس الشامي ومشفر كسبت اليماني قده لم يجرد
وقوله :

وعينين كالماويين استكننا بكفي حجاجي صخرة قلت مورد
ومن اقدم صناعاتهم الغزل وقد ذكره كثيراً في اشعاره مثل قول النابغة :
وعريت من مال وخير جمته كما عريت بما تمر المغازل
وهذه الصناعة عرفت قديماً وذكرها كثير من الاعاجم مثل قول هوميروس في
الايادة بلسان هكتور بطل تروادة عند تدعيم زوجته اندروماك وطلبها منه ان
لا يسير الى الحرب من موشع بليغ :

ولكل عمل فامضي كفي واتملي اعمال ربنا السديل
فلك النسج وفنل المغزل ولنا اعمال سمر الذيل
ووصف هيلانة تطرز بارتها في قوله :

وجدتها بالصرح تنسج ثوباً وبحواشي البرقي والارجوان
وبرأس الخياط ترمم فيه واقعات ابلت بها الفئتان^(١)
وقال ابو العلاء المرعي^(٢) في النساء :

علموهن الغزل والنسج والردن م وخلوا كتابة وقراءه
وقال ندم ملتن كبير شعراء الانكليز ما يقرب من هذا الى غير ذلك

وفي صدر الاسلام اعتبر الخلفاء الصناعات بدليل قول الامام عمر بن الخطاب :
« اني لأرى الرجل فيعجبني فأقول له حرفة فان قالوا لا سقط من عيني » وقول موسى
المادي الخليفة العباسي لامة الخيزران لما استبدت بالامر وكثر المختلفون اليها لقضاء
المالم : « ما هذه المواكب التي تندو وتروح الى بابك . اماك مغزل يشغلك او مصحف
يذكرك او بيت يصونك » . وكثيراً ما ذكر الشعراء بعد ذلك الصناعات ولو على مهبل
المجاز مثل قول ابن نباتة في الطي والنشر :

لا تخف عيلة ولا تحش فقواً يا كثير الحاسن المختاله
لك عين وقامة في البرايا تلك غزالة وذبي فتاله

(١) هذه الايات من الايادة العربية بقلم سليمان افندي البستاني

(٢) راجع ترجمة المرعي في السنة الماضية ، الخامسة) من مجلة المقتبس بقلم كاتب

وانقد مارس الخلفاء والصحابة والامراء والاشراف والائمة والعلماء على اختلاف طبقاتهم وامكنتهم وازمنتهم صناعات كثيرة جمعت الآن منهم ماوصلت اليه يد البحث فذكره لقوم يقولون :

كان ابو بكر الصديق وعثمان بن عفان وطلحة بن الزبير وعبد الرحمن بن عوف يزازين وعمر بن الخطاب دلالاً فتاجراً . والوليد بن الخيرة وابو العاص اخو ابي جبل حدادين . والتضر بن الحارث عواداً يضرب بالعود . والعاص بن وائل السهمي يطاراً يبالغ الخيل . وابنه عمرو بن العاص جزاراً ومثله الامام ابو حنيفة وقيل كانا خزازين ييمان الخز (وهو التباس يقع في التصحيف) . والزبير بن العوام خياطاً ومثله عثمان بن طلحة الذي دفع له النبي مفتاح الكعبة وهكذا قيس بن عزمة . وكان مالك بن دينار ورافاً والمهلب بن ابي صفرة بستانياً . وقتيبة بن مسلم الذي فتح بلاد الهم الى ماوراء النهر جمالاً . وعقبة بن معيط خماراً وسعد بن ابي وقاص بارياً للبال . وابو سفيان ابن حرب يبيع الزيت والادم . وعبدالله بن جعدان مخمساً يبيع الجوارى . والحكم ابن ابي العاص خصاء يخصي النثم ومثله حريق بن عمر والفخاك بن قيس الهجري وابن سيرين

وكان سفيان بن عيينة معلماً ومثله الفخاك بن مزاحم وعطاء ابن ابي رباح والنكيت الشاعر والحجاج بن يوسف الثقفي الشهير وعبد الحميد بن يحيى امام المترسلين وابو عبيدالله القاسم بن سلام والكسائي مؤدب الامين والمأمون وكثير غيرهم ممن مارسوا التدريس والتهديب وكانت هذه الصناعة تسمى عندهم صناعة الاشراف . وكان ابو يوسف الفقيه قصاراً (يبيض الثياب) وابو العتاهية الزاهد يبيع الخمار في الكوفة فسمي الجرار . وابو تمام الشاعر كان سقاءً وقيل خادم حائك . والمتنبي ابن سقاء في الكوفة . والمكبري في اول امره منجماً ثم صار نجوياً . وحمام مجرد الشاعر باري نبال . وابو اسحق ابراهيم الحصري كان يعمل الحصارا يبيعها وابو اسحق ابراهيم بن محمد الزجاج النحوي كان يضرب الزجاج وابو الحسن السري الرفاء الشاعر كان يرفو ويطرز وابو بكر عبدالله الغفال المروزي الفقيه يسل الاقلال . وابو الحسن الماوردي الفقيه كان يبيع ماء الورد . وابو الحسن علي بن هلال كان ابوه يرباً غسماً يابن البواب . وابو القاسم الزاعمي الشاعر كان قطاناً (يبيع القطن) . واحمد بن محمد الطوسي الغزالي واخوه الامام الغزالي الشهير كانا مهنيين الى عمل الفول على طريقة النسبة عند الجوارزميين اذ يقولون الفصاري والمطاري في القصار والمطار .

وابو بكر ازهر بن سعد السمان الباهلي البصري كان يبيع السمح . وابو غالب غمام النياتي القفوي
القرطبي كان يبيع التبن . وابو القاسم الجنيد لقب بالغزاز والقواريري لانه هو عمل
الحزب ووالده عمل القوارير . وابو علي الحسين الكرايسي البغدادي نسب الى بيع
الكراميس وهي جمع كراس بالفارسية بمعنى الثياب الغليظة وهي اشبه بالخام عندنا . وابو
محمد بن مسعود الفراء البغوي الفقيه كان يعمل الفراء ويبيعها . وابو مغيث الحسين بن
منصور الحلج الزاهد حلج القطر . فتنسب اليه . وموئيد الدين الطغراني نسب الى
كتابة الطغراء . وابو عمارة حمزة بن حبيب الزيات باع الزيت ومثله كثيرون لقبوا
بلقبه مثل محمد بن زياد وزير المعتصم وغيره . وابو عمرو خليفة بن اخياط العسكري
نسب الى اخياط والصيغ بالعسفر . وابو المعالي سعد بن علي المعروف بالخطيرسي
(بالنظاء المشالة) الوراق لقب بصناعته دلال الكتب . ورشيد الدولة فضل الله الهمداني
طبيب خربنده التنري كان في اول عمره عطافاً فصار يدبر ممالك الثور . وابو منصور عبد
الملك الثعالبي نسب الى خياطة جلود الثعالب وعملها فراء . وابو القاسم عثمان الانماطي
الفقيه كان يبيع الاتماط وهي البسط التي تفرش . وابو عمرو عثمان بن الحاجب كان
والده حاجباً للامير عز الدين موسك الصلاحي . وابو الحسن علي بن عبد الله
السهماني القفوي نسب الى السهم . وابو الحسن علي بن الحسن القافسي الملقب بالخلعي
كان يبيع الخلع لاملأك مصر . وابو الحسن بن وصيف المعروف بالناثي الاصفر
كان جده وصيف مملوكاً وابوه عبد الله طياراً وهو حلاء اسمه عامل الحلي الخاصة
لقتزين . وابو القاسم عمر الخرفي الفقيه نسب الى بيع الخرق اسمه الثياب البالية . وابو
القاسم عمر بن محمد المعروف بابن البزري نسب الى عمل البزري ويصنع والبزري عدم اسم
للدهن المستخرج من حب الكتان وبه يستصحون اي يسرجون المصابيح . وكان ابن
صبر بن المشهور بتعبير الرويا ابن صانع قدور من نحاس . وابو عمرو المطرز البارودي
غلام ثعلب كان مطرزاً . وكان والده الجرائي الشاعر الاربلي تاجراً يتردد الى البحرين
ويصيد اللؤلؤ من مغاوصها . ونحو الملك دزي بها الدولة بن هاشم الدولة البويهية
كان ابن صيرفي . وابو بكر الرازي الطيب كان في ادل امره مفتياً عواداً . وابو الحزم
مكي الضرير المقرئ القفوي كان ابن صانع انطاخ . ونصر الخبزازي الشاعر كان يخبز
ارغفة الارز بمرمد البصرة . وابو الفرج محمد الفسائي الملقب بالوأواء كان مادياً في دار
البلطج يمشق بنادي على الفواكه . وكان بشار ابن برد الشاعر الشهير ابن طيان حاذقاً

بصناعته واخوانه بشر وبشير كانوا قصابين . وفتيان الشاغوري لقب بالمعلم لانه كان يعلم اولاد الملوك . وابو محمد القاسم الحويري نسب الى بيع الحرير او عمله . والقاضي ابو بكر محمد البافلاني البصري نسب الى بيع الباقل . وابو الحسن الجزار الشاعر المصري تعاطى الجزارة . وسراج الدين الوراق الشاعر الوراق . وابو الفضل بن عبد الكريم الحارثي السعدي لقب بالمهندس لمذاقته في الهندسة وكان في اول امره نحات حجارة ونجاراً واكثر ابواب انبارستان النوري الذي بناه نور الدين بن زنكي الملقب بالمادل في دمشق من نجارته وصناعته وقد درس اقليدس على نفسه واصح الساعات في جامع دمشق وكان له على مراقبتها راتب خاص . وابو زكريا يحيى البياسي الاندلسي الطبيب قطن دمشق وعرف التجارة واستغل الآلات الهندسية وكان عماداً وعمل الارغن . والديلم الاسطرلابي كان يعمل الآلات الفلكية ولا سيما الاسطرلاب . وابو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصل البغدادي العالم نسب الى نقش السيوف والجدران لممارسته ذلك وحذقه به . وابو العباس محمد بن صبح المعروف بابن السماك الكوفي الزاهد نسب الى صيد السمك وبه . وابو بكر محمد بن السري النحوي المعروف بابن السراج نسب الى عمل السروج . وابو عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي الملقب بالقرزاز القيرواني نسب الى عمل القروبيمه . ومعاذ بن مسلم الهراء كان يبيع الثياب المروية فنسب اليها . وابو منصور الجواليقي نسب الى عمل الجوالق ويصنعها . وابو يزيد وشيعة الوشاء كان ينجر بالثياب المصنوعة من الابرسم الموشاة . ومحمد بن رضوان بن الرعاد كان خياطاً واقتنى مكتبة من صناعته . وشمس الدين الدهان لدمشقي الشاعر كان يمارس صناعة الدهان . والنصير الحامي كان يشرف باكتراء الجمادات ويستجدي بشره . وابو بكر محمد بن احمد بن محمد المعروف بابن الحداد الفقيه الشافعي المصري نسب الى احد اجداده الذي كان يعمل الحديد وبه . وابو بكر محمد بن عبد الله المعروف بالصيرفي الفقيه الشافعي البغدادي نسب الى الصرافة . وابو عبد الله محمد بن الكفائي الشافعي المعروف بابن الكيفاني الشاعر كان بعض اجداده يعمل الكيرات ويصنعها فنسب اليها . وابو الرداد عبد الله بن عهد السلام بن الرداد المؤذن البصري عمل القياس بمصر في اثناء القرن الثالث للهجرة . ونجم الدين النجيني الشاعر كان في اول امره جندياً مقدماً على النجيين يخذلهم فنسب اليه ومن لطيف منظومه قوله :

كلفت بعلم النجيني ورميه لهدم الصياصي واقتتاح الم رابط

وعدت الى نظم القريض لشوقي فلم أخل في الحالين من قصد حائط
ويحيى النحوي الاسكندراني كان ملاحاً الى ان بلغ الاربعين من عمره قال الى
العلم واقفنه . وكان علي بن رضوان الطيب بن فران . ومن اغرب العلماء ارباب
الصناعات كشاحم الشاعر فان اسمه منحت من صناعاته فانكاف من كاتب والشين من
شاعر والالف من ادب والجيم من منجم والميم من مؤدب الى غير ذلك
ومن متأخري العلماء من نسب الى الصناعات مثل القزويني وابن الطباخ وابن
الطار والاسطواني وابن الكيال وابن السكاف وابن السمان وابن الحجار وغيرهم كثير
ومن لقبوا بالصناعات ولا نعلم اذا كانوا قد مارسوها ابو جعفر احمد المرادي الفخاس
النحوي المصري . وابن الخياط القسبي . وابو بكر بن عياش بن سالم الخياط الاسدي
الكوفي . وابو محمد سعيد بن ادهان النحوي البغدادي . وابو القاسم الاسكافي . وظافر
الحداد الشاعر الاسكندراني . وابن الدهان الموصلاني المعروف بالمهذب . وابن شاس
المنعوت بالخلال . وابن الخشاب البغدادي . وابو نعر عبد السيد ابن الصباغ القمي .
وابو القاسم علي بن القطاع الصقلي القفوي . وابو الحسن علي بن القصار القفوي . وابو
يكر المبارك المعروف بابن الدهان النحوي الضرير الواسطي . وابو بكر محمد بن باجة
الاندلسي المعروف بابن الصائغ الفيلسوف . وابو عبد الله محمد الرقاء الاندلسي
الرصافي الشاعر . ويحيى بن الجراح الكاتب . وموفق الدين النحوي المعروف بابن
الصائغ الحلبي . وابو المحاسن تهاب الدين السواء الحلبي الشاعر . وابن التجار القسبي
الشاعر . وابراهيم الخائنك وقيل الممار او الحجار غلام النويري المصري الشاعر الزجال .
وبكر بن علي الصابوني . وجوان القواس الشاعر . وابن البيطار النباني الشهير . وعبد
الله بن محمد المغربي الملقب بالطيار الشاعر . وعبد الحق الاشعبي المعروف بابن الخراط .
وعبد الرزاق بن احمد الصابوني المحدث المؤرخ الفيلسوف . وابو بكر الوراق التميمي .
وابو المعالي البقل الاديب . وابن الصغار الماريني . وابو حفص التطرنجي شاعر
المهدي وابنته علية . وابو عبد الله البغدادي النقاش الماعز . ومجاهد بن سليمان المعروف
ياخياط الشاعر . ومحمد بن احمد المعروف بابن الحداد الشاعر . ومحمد بن احمد بن
الصابوني الصدي الاشعبي . ومحمد بن داود بن الجراح الكاتب . والحافظ الكبير ابن
التجار البغدادي واضع تاريخ بغداد المطول . وهبة الله بن الفضل المعروف بابن القطان
الشاعر البغدادي . فضلاً عن كثير من ارباب الصناعات الاخر مثل ابي عبد الله

الفرضي الحاسب . وابي حفص عمر بن الفارض الشاعر . وابن المعلم الواسطي الشاعر .
 وابن الدهان البغدادي الفرضي الحاسب . والبتاني الراصد وغيرهم كثير
 ومنهم من تدل اسمائهم على انهم من ارباب الصناعات وهم لم يتطاولوا مثل ابي سلمة
 حفص ابن سليمان الخلال الحمداني فانه لم يكن خلافاً ولكنه كان يجلس الى محل الخلالين
 قرب داره بالكوفة فلقب بالخلال . ومثل ابي القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي
 النخعي البغدادي الذي لم يشتغل بالزجاج ولكنه صعب ابا اسحق ابراهيم بن السري
 الزجاجي فنسب اليه . وابو سعيد الصديقي لم ينسب الى صناعة الصدف بل الى الصدف
 بن سهل وهي قبيلة كبيرة حميرية هبطت مصر . وكثير من العلماء لقبوا بالمصري ولم
 يكونوا مصاكر ولكنهم نسبوا الى (مصر من رأى) الملقبة بالمصر حيث نشأوا لان
 المعتمد لما بناها انتقل اليها بعسكره فقبل لها العسكر ومنهم ابو الحسن المصري من اهل
 القرن الثاني للهجرة . ومنهم من سماه باسم عسكر مكرم من كبر الاهواز مثل ابي القاسم
 محمد المصري وغيره . وابو الحسن الكاشي لم ينسب الى عمل الكساء بل لانه دخل
 مرة على حمزة بن حبيب الزيات وهو ملثف بكساء وقيل بل أحرم في كساء فنسب
 اليه . وابو زيد محمد القاشاني لم يصنع القاشاني المشهور ولكنه نسب الى مسقط رأسه
 قاشان في بلاد فارس . وكال الدين الفراوي نسب الى فراوة في خوارزم لا الى الفراء
 ومن النكت باسمه انه قيل عنه (الفراوي الف راوي) . وابو بكر الأجري الفقيه لم
 ينسب الى صناعة الآجر (القريميد) ولكن الى قرية آجر من قرى بغداد . وابو بشر محمد
 الرازي الدولابي لم يصنع الدولاب ولكن نسب الى الدولاب وهي قرية من الري وصناعته
 كانت الوراقة فلقب بالوراق . وابو بكر محمد الصولي الشطرنجي توم بعضهم انه وضع
 الشطرنج أو صنعه والصحيح انه اشتهر بالمعب فيه . والفراء النخعي الكوفي كان
 يفري الكلام ولم يشتغل بالفراء فعرف بهذا القلق وابو عمرو بن دراج التسلي نسب
 الى قسطة في الاندلس لاني عمل القساطل ليلاء . وونس الصديقي المصري الفقيه لم يعمل
 الصدف بل لسبب آخر سمي بالصديقي وهو انه صدف بوجهه مرة فلزمه هذا القلق .
 ومحمد بن الحسن الصائغ الدروزي اقام بالصاغة زماناً يقرئ الناس فلقب بالصائغ اليه
 غير ذلك وهم كثيرون

هذا ماوصلت اليه يد الاستقراء الآن من صناعات المشاهير عند العرب جمعة بقصة
 وذكرى لمن يتوهمون ان الصناعة تزري بالعلماء والأدباء والمشاهير . على ان الاقويح كثير

الولع بالصناعات مما سافر له مقالة خاصة ان شاء الله في فرصة أخرى . ولقد اعرضت عن مشاهير المعاصرين باسماء الأمر التي تدب الى الصناعات وهي كثيرة في بلادنا قريبة العهد فلا حاجة الى وصفها . فخذنا لو كثر الميل الى اسباب العمران بين ظهرائنا ولول مواطنونا بالصناعات ونحوها مما يوفر الدرام ويخل الاوقات ويعود على البلاد بالنفع والا فان اقتصرنا على العلوم الفيزية واللسانية جهود فلننجزها مفتاحاً للعلوم الطبيعية:

بزراعة وصناعة وتجارة تجدد البلاد تقدماً وفلاحاً

اسباب عمران فشيء صرحها وخذ العلوم لنيلها مفتاحاً

زحلة عيسى اسكندر المعلوف

دقائق عربية

لا امرأ ان من يتشغل بالكتابة ويتوغل في المطالعة يمر به من صور التراكيب ومن الالفاظ المفردة ما يربك ذهنه . ان كتب النحو وكتب اللغة فلا يهتدي الى ما يحلوه وجه الصواب فان علماء العربية في كثير ما ألفوا في علي السرف والنحو واللغة تراهم قد اغفلوا من القواعد والتنبيهات والمفردات ما قد ترى مضى في كتب الشروح او في الكلام القديم كما ذكرت ذلك في مقالة بهذا العهد ان نشرت في المجلد الخامس والعشرين من المنطف وقد اجتمع لدي كثير من هذه الدقائق فلم ادخرها لنفسي بل احببت نشرها رغبة في ان يكون للأدباء من وراء نصبي فائدة واجناء تخليص العبارة من علل الخطأ فان في بعض المنشورات الحديثة ما يذوب له قلب البلاغة وتدفع له عين الفصاحة واكبر نصير لتلك المنشورات على تشويه مجا البيان اختلاط الغث بالسمين فيتناثر فيها بالبلغ اذابك قد وقعت في ارك تركيب حتى ان المنشورات العامة العبارة اخف جناية على الفصاحة مما اجتمع فيه التسميح بالامثلة فيلتبس على الضعفاء من اهل الادب العليل بالصحيح والخطأ بالصواب فينخدون الخطأ صواباً والعليل صحيحاً وتلك رزية كبيرة على الفصاحة فن هنا نعلم ان نشر مثل هذه المقالات الممتدة للنقص والمبينة للجهل هي أوسع فائدة واجل نفعاً وأرفع شأنًا من تأليف كتاب في علم قد صارت المؤلفات فيه تربي على الالوف كما هي الحال في علم العربية

الدقيقة الاولى

قد اجازوا ان تتخاطب جماعة النساء خطاب الواحدة كما اجازوا ان تبعت وبخبر عن الجمع المكسر بالصفة مفردة فيقولون عيونهم نائمة وما اجل العيون الحوراء . ولم أجد من نبه على ذلك فيما وقفت عليه من كتب النحو والصرف مع انه وارد في كلام من بنيت على كلامهم قواعد التصريف والاعراب قال علقمة بن علف المري وهو من شعراء الحماسة ولست بسائل جارات يعني أغياب رجالك أم شهود

وقال آخر

قد كتب الحسن علي وجهه . يا أعين الناس قني وانظري
فقال الاول (رجالك) مكان (رجالكن) وقال الثاني (قني وانظري) مكان (قفن وانظرن)

الدقيقة الثانية

من حق الضمير ان يطابق مرجعه تذكيراً وتأنيساً وافراداً وثنية وجمعاً وكذلك اسم الإشارة كما هو معلوم عند صفار الطلبة ما خلا اسم الجمع فقد فضلوا في الاضمار له مراعاة اللفظ على مراعاة المعنى قلت لكن متى كان المقام يقضي الكثرة كانت مراعاة المعنى عين مقنضى الحال ليقال هؤلاء قوم كرام وهذا قوم كريم وهذا شعب شجاع وهؤلاء شعب شجيمان وكذا حكم اسم الجنس فيقولون ورق خضر باعتبار المعنى وورق أخضر باعتبار اللفظ قال ابو خراش الهذلي

تكاد يدي تئدي اذا لمستها وتظهر في اطرافها الورق الخضر

ولم اجد من زاد على ذلك لكنني رأيت في كلام من يوثق بهم جواز مطابقة الضمير وامم الإشارة للضمير . فان كان المرجع مؤنثاً والخبر مذكراً اُجازوا الاتيان بضمير المذكر . وكذا اذا كان المرجع مذكراً والخبر مؤنثاً . مثال الاول قول التبريزي في شرح الحماسة « فائدة اذن هو انه اخرج البيت مخرج الجواب » ومثال الثاني ما جاء في كامل المبرد من قوله « اذا صب لبن حليب على حامض فهي المرخة » وهذا فاش في كلام الفصحاء وقد جاء في سورة الانعام « فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي » مكان هذه ربي . قال صاحب الكشف « فان قلت ما وجه التذكير في قوله « هذا ربي » والإشارة للشمس قلت جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد . وقال صاحب انوار التنزيل « ذكر اسم الإشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التأنيث »

الدقيقة الثالثة

مقى أريد بالمفرد المموم ولو لم يكن اسم جنس جمعي كالشجر أو اسم جمع كالشعب والقوم جاز ان يامل في نعمته والاضمار له والاخبار عنه معاملة الجمع وهذا مبني على اعتبار المعنى فقد جاء في سورة الانعام « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا ام امثالكم » قال الزمخشري « فان قلت كيف قيل ام مع افراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله تعالى « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه » دالا على معنى الاستغراق ومنهياً عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الا ام على المعنى » وقال البيضاوي و « جمع الام للحمل على المعنى » ومثله في القرآن ايضاً « وكم من ملك في السموات لا تنفي شفاعتهم شيئاً » وذلك لان قوله كم من ملك في معنى كم ملائكة

الدقيقة الرابعة

في الفرق بين « نادها لو تسمع » وبين « فخيها هل تسمع » قال التبريزي في شرح قول موبك في رثاء امرأته
أمر على الجدث الذي حلت به أم العلاء ونادها لو تسمع
ويروى « فخيها هل تسمع » والفرق بين (لو) هنا وبين (هل) ان (لو) فائدة الشرط هنا والكلام به كلام من غلب القنوط عليه من ادراكها نجية من زارها و (هل) من حيث كان للاستفهام يصير الكلام به كأنه كلام راج او طامع في مماعها ويكون المعنى حيها وانظر هل تسمع

الدقيقة الخامسة

حق رب ان تدخل على الماضي ولكنها جاءت في سورة الحجر داخلة على المضارع حيث قال « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » قال الزمخشري لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحقيقه فكأنه قيل وربما و

الدقيقة السادسة

ان الفاء التي تلي همزة الاستفهام انما يراد بها التعقيب قال الزمخشري في تفسير قول القرآن « أفرأيت الذي كفر بآياتنا » والفاء جاءت لافادة معناها الذي هو التعقيب كأنه قال اخبر ايضاً بقصة هذا الكافر واذكر حديثه غريب حديث أولئك

الدقيقة السابعة

(فضلاً) مصدر بتوسط بين الادنى والاعلى للتنبيه بنفي الادنى واستبعاداه عن

الوقوف على نفي الالى واستحائه فيقع مدني اما صريح كقولك لا يملك فلان الدرهم فضلاً عن الدينار واما ضمنى فهو . وتناصرهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلاً ان رقى الى الكلام المؤسس على علمي لمعاني واليان . واكثر الكتبة المعارين ذاهلون عن هذا الحكم فيستعملون فضلاً في الانساب كقولك زيد بارع في صيد البر فضلاً عن براعته في صيد البحر وهو مخالف للعادة المذكورة معاً . انتهى . البقاء .

الدقيقة الثالثة

قد فشا في كتب علماء الصرف ان (يدع ويذر) ادميت ما فيها حتى صار ذلك معلوماً لصبيان المكاتب ولم اعثر في قدر الكلام . اي . ايجال ذلك الا في بيت من قصيدة عينية لسويد بن ابي كاهل الشكري وهو :

فدى مساعنهم في قومه ثم لم يظفر ولا عجزاً ودع

قال الشارح : اي سعى مسعاة ايده في قومه فلم يظفر به اراد ولا ترك عجزاً الا استعماله والقصيدة من مختارات المفضل الضبي فويخذ من ذلك ان المضمحل ان يجي ما أميت كما احياه سويد

الدقيقة الرابعة

لم يذكر النخاعة شيئاً في اعراب (حنث لله) وهي في موضع النصب على المصدرية . وانما بقيت على بنائها كبقاه « عن » على : ايها سبغ نحو جلس من عن يمينه . ذكر ذلك الزمخشري في تفسير سورة يوسف

الدقيقة الخامسة

من سنن العرب انهم يقولون في نحو بني العذر باعتبر وكذلك يفعلون في كل ما فيه ألف ولام اذا لم يكن ثم ادغام فيقولون للمجعلان وبلحارت في بني المجعلان وبني الحارث فان كانت لام التعريف مدعمة مثل الامر لم يحدفوا النون من بي

الدقيقة السادسة

اذا نوات النعوت او الاحوال وترك الهداف كان ذلك اشارة الى ان كل نعت صفة كمال على حدة كقول الزمخشري في مقدمة الكتاب « اشأ كتاباً ساطعاً تبيانه قاطعاً برهانه »

الدقيقة السابعة

قد اجاز العروضيون وصل همزة القطع لاقامة الوزن وقد عثرت في شرح القصيدة

التي مهاجها حسان بن ثابت . سافع بن عياض التيمي على ما نعه « قوله او اصحاب القوا
الصيد » حفف الممزة . وتخفف اذا كان قبلها ساكن فتطرح حركتها على الساكن
كقولك من ابوك كذا ذكره المرد في كامله

الدقيقة الثالثة عشرة

ان كثيراً من كتب النحو المتداولة نص على وجوب نصب الفعل بعد فاء السبب في
جواب النفي والصحيح ان ذلك غالب لا واجب بدليل قول الحارثي وهو من شعراء الحماسة
فاحيلني ان لم تكن لك رحمة علي ولا لي منك صبر فأصبر

وقد جاء في القرآن بالرفع بعد الفاء حيث قال « ولا يؤذن لم فيعتذرون » ذكر
ذلك يبيوبه والدمامي ونقله الصبان في باب النواصب

الدقيقة الرابعة عشرة

ان (احداً) لا يشمل الا مسبوقة بالنفي ما لم يصف نحو قام أحد الاربعة او يقع
نعتاً لله نحو هو الله الاحداو بصاحب اسماء العدد كقولك عندي احد وعشرون رجلاً
هذا ما صرح به في كتبهم ولقد رأيت البلغاء يستعملونه قبل النفي كقول الزمخشري
ولعله ان احداً غيره لا يقوم تامه فيؤخذ من ذلك ان الشرط مصاحبة النفي سواء تقدم
ام تأخر خلافاً لما يفهمه اكثر الادباء وجوب الوقوع بعد النفي

الدقيقة الخامسة عشرة

قد انكر احد من ادركنا من اهل العصر على احد المعاصرين قوله « قال يوحنا في
الذهب » وقال الصواب ان يقال الذهبي الفم . قلت ان هذا الافتقاد خطأ لأن في الذهب
لقب يوحنا فهو بدل منه لا نعت له على حد قولهم حا . زيد زين العابدين . وذهب
عمر وانف الدابة

الدقيقة السادسة عشرة

قد انكر بعضهم استعمال المربض لنهر الغم استبدل به موص من كتب اللغة كالصباح
والمصباح . وقد رأيت في الصفحة ٦٢٦ من الجزء الاول من الكشف في تفسير سورة
يوسف ما نعه « وهو جاثم في مربضه اي الطائر » ومن الزمخشري جدير بان يوثق
بكلامه

الدقيقة السابعة عشرة

قد انكر بعضهم جمع برهان على برهانات وجاء في كتاب البيان والبيان للجاحظ في

الصفحة الثامنة ما نصه « ومن العلامات الطاهرة والبرهانات الواضحة فيكون انكاره خطأ وانتقاده غلطاً »

الدقيقة الثامنة عشرة

قد يخبر عن الجمع بالمفرد ولكن علي تأويل قال القرآن « كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً » انما هو ضداً وحقه ان يكون جمعاً لانه في كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم وقال القرآن ايضاً « وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام يريد ذوي جسد ووحيد الجسد لارادة الجنس كأنه قال ذوي جسد من الاجساد ومثله «وما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين» ومن هذا الباب قول القرآن ايضاً « ثم نخرجكم طفلاً » قال المفسر . طفلاً حال اجريت علي نقدير كل واحد

الدقيقة التاسعة عشرة

قد ورد في الشعر خطاب المرأة بضمير الرجال وذلك كقوله
فلا تحسبي اني تخشعت بعدكم لشيء ولا اني من الموت أفرق
وكقول حميد بن حميد يخاطب محبوبته فضل الشاعرة
تظنون أني قد تبدلت بعدكم بدلاً وبعض الظن اثم ومسكر
اذا كان قلبي في يديك رهينة فكيف بلا قلب أصافي وأهجر
ومن هذين الشاهدين تعلم انه يخاطب المرأة بضمير المؤنثة المخاطبة وضمير جمع المذكر
العاقل وهو جائز حيث يؤمن اللبس

الدقيقة العشرون

اذا كان المشكك في فن ثم شرع في فن آخر من الكلام يصدر الكلام الجديد بقوله
(اعلم) تنبيهاً على الانتقال — ذكر ذلك الزمخشري في كتابه

الدقيقة الحادية والعشرون

من سنن العرب ان يستغنى بذكر الشيء عن ذكر تقيضه قال الثعلبي العبدى
ولا تهدي مواعيد كاذبات تمر بها رياح الصيف دوفي
اراد رياح الصيف والشتاء فاجتزأ بواحد منهما ومثل ذلك قول النوان « سراويل
تفيكم الحر » لم يذكر البرد وهي نقي الحر والبرد فترك البرد اجتزاءً بذكر الحر

الدقيقة الثانية والعشرون

من التراكيب المستفيضة الواردة عن البلغاء ما تقدر فيه الجملة بالمفرد . من ذلك

قولهم ما ترى لنا أنهر ب ام نقيم والتقدير ما ترى لنا الحرب ام الاقامة . وهذا لم اجد من تعرض لذكره . نعم قالوا في باب ام المتصلة انها تقع بين جملتين في تأويل المفرد نحو قول القرآن « سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون »

على أنهم لم ينفهوا على ان الجملة تسبك بمصدر الاعم الاحرف المصدرية
الدقيقة الثالثة والعشرون

قد رأيت من الادباء من ينكر استعمال صار بمعنى حصل وهذا خطأ جل به نقص العلم فحي تأتي بمعنى حصل ومن تتبع كتب اللغة يراها واردة بهذا المعنى في عدة مواضع من ذلك ما جاء في مادة (وق ع) ونصه « وقع في ارض فلاة صار فيها »

الدقيقة الرابعة والعشرون

ان اكثر الأدباء يرون قول العامة بقي فلان بفرد بد خطأ وصوابه « بيد واحدة » والحال انه عربي فصيح فقد جاء في اخبار دجيل في كتاب الاغانى فخلف ان لا يبيعها (اي الحلة) او يعطوه بعضها ليكون في كفته فاعطوه فردكم اي كفا واحداً وقد ورد هذا في غير الاغانى من كتب البلغاء

الدقيقة الخامسة والعشرون

لم أر من نص على ان حيث تقع في مقام التعليل مع انها وردت للتعليل في كلام البلغاء كالزخشي والبيضاوي قال الاول « والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لأهلهم معدون » وقال الثاني وما ضررتكم بالكفران الا الله -كم حيث حرمتوها مزيد الانعام » وهي في كلام هذين الامامين بمعنى لان

الدقيقة السادسة والعشرون

اذا جاز في لفظ مراعاة اللفظ ومراعاة المعنى فان روعي احدهما في جملة جاز ان يراعى الآخر في أخرى . قال في صورة الحجر « وما تسبق أمة أجلها وما يستأخرون » وقال غلاق بن مروان وهو من شعراء الحماسة

فاضحت زهير في السنن التي مضت وما بعد لا يدعون إلا الاشياء

الدقيقة السابعة والعشرون

اذا قيل لا اشجع من عمرو ولا أجبن من خالد ولذلك يشبه بهما كل متناه في الشجاعة وكل متناه في الجبن يكون المراد ان كل مناه في الشجاعة يشبه بعمرو وكل متناه في الجبن يشبه بخالد - لا ان كل متناه في الشجاعة يشبه بخالد ولا كل متناه في الجبن يشبه بعمرو

خلاقاً لما ياري فيه من يدعون التعمق في علم العربية وإنما هم واقفون عند ظواهرها
وتعزياً لهذا اروي لك ما بين لك الامر كالصبح قال البيضاوي في تفسير سورة يوسف
« وذلك لان الله عز وجل ركب في الطباع ان لا احسن من الملاك كما ركب فيها ان لا افج
من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن واقبح بهما انه يريد ان كل متناه في الحسن
يشبه بالملك وكل متناه في القبح يشبه بالشيطان

بيروت

سعيد الخوري الشرتوني



المقارن

الفروق

للعرب كتب كثيرة في الفروق افردوها في التأليف وقد ذكر منها صاحب كشف الظنون رسالة في فروق الاصول وأخرى في فروق فروع الحنفية للكرائسي النيسابوري المتوفى سنة ٧٧٤ وغيرهما الشيخ الكرايسي السمرقندي اتوفى سنة ٣٢٢ وثانية اسمها فروق الكرايسي المسمى بتلخيص الغريب ورابعة سيف فروق فروع الشافعية لابن سريج وأخرى للجويني ولابن النقاش والترمذي (٢٥٥) وللأرموي (٧٧٢) قال ذكر الاسنوي في مطالع الدقائق ان المطارحة بالمسائل ذوات المأخذ الموثقة المتفقة والاجوبة المختلفة المفرقة من مآثر افكار العلماء وقال قد رأيت لاصحابنا في هذا المعنى تصانيف منها ما هو موضوع لهذا المعنى بخصوصه ومنها ما هو مشتمل على اعم منه فن الاول كتاب الجمع والفروق لابي محمد الجويني ومنه كتاب الوسائل في فروق المسائل بمجلد ضخم لابي الخير سلامة بن اسمعيل بن جماعة المقدسي ومن الثاني كتاب المطارحات لابي عبد الله القطان ظفر به الرافعي ونقل عنه في كتاب الغصب ومنه المسكت بالسبب المهمة والثناء المنة لابن عبد الله الزبيري ومنه بالمعاينة لابي العباس الجرجاني وهذا الباب واسع جداً اشتمل على الفث والسبعين اهـ

ومن جملة المخطوطات التي حوتها خزانة كتب السيد عبد الباقي الحسيني مخطوط فيه اربع رسائل ومن اولها بكتاب التوكلي يذكر فيه ما ورد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية والمندية والتركية والسنسكريتية والفبائية والسريانية والعبرانية والرومية والبربرية وغير ذلك لجلال الدين السيوطي والثانية الاحاديث الثمانية المنقبة من نوادر

الاصول العالية لابي الفيا البونيمي وبليه حسن التميم بدار التميم للطلابوي وبليه
المنخب من كتاب الفروق لابي هلال العسكري . وليس على المجموع كتابة يعرف منها
تاريخ كتابته الا ان الفاهر من خطه وورقه انه حديث وربما كانت الرسالة الاخيرة
منه في الفروق اقدم من الثلاث الاولى لانها مكتوبة بخط خفاف عن الخط الاول
ولم يذكر فيه اسم صاحبها والغالب انه تركي كتب على حاشية الصفحة الاولى ما نصه :
« الفرق بين الاسامة والاسد ان الاسد اسم للجنس والاسامة علم للجنس . الفرق بين علم
الجنس واسم الجنس ان علم الجنس موضوع للاهية المشتركة واسم الجنس موضوع للأفراد
جليي » وقال على الحاشية « الانسان والفرس والبقرة فانها علم للحقيقة المشتركة بين المذكور
والموث شرح » وفي آخر الرسالة : « تمت (؟) الكتاب بمون الملك الوهاب . »
وبذلك يتدل على عجمية الكاتب والمختصر واليك الرسالة برمتها :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين اما بعد حمد الله والصلوة والسلام على رسول الله
صلى الله عليه وسلم محمد وعلى سائر رسل الله وملائكته المقربين والرضى عن الصحابة
والتابعين فهذه شذرة علفتها من كتاب الفروق لابي هلال العسكري رحمه الله
الفرق بين الاختصار والابحاز ان الاختصار هو الفاوكة فصول الالفاظ من كلام
مؤلف سبق حدوثه من غير اخلال بمعانيه والابحاز هو الكلام على قلة اللفظ وكثرة
المعاني

الفرق بين الاطناب والاسهاب ان الاطناب بسط الكلام لتكثير الفائدة والاسهاب
بسطه مع قلتها فالاطناب بلاغة والاسهاب عي^(١)

الفرق بين المحال والممتنع على ما قاله بعض العلماء ان المحال ما لا يجوز كونه ولا يتصور
مثل قولك الجسم اسود ايض في حالة واحدة والممتنع ما لا يجوز كونه ويجوز تصوره
في ام مثل قولك للانسان عش ابدآ

انفرق بين الانكار والجحد ان الجحد اخص من الانكار لان الجحد انكار الشيء
الظاهر لقوله تعالى بآياتنا يحجدون والانكار لشيء خفي لقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم
ينكرونها لان النعمة قد تكون خافية ويجوز ان يقال الجحد هو انكار الشيء مع العلم به
لقوله تعالى ومجدوا بها والانكار لا يكون مع العلم

^(١) وفي المامش الاختصار فيما اذا كان اللفظ والمعنى قليلا والاختصار فيما اذا كان
اللفظ قليلا والمعنى كثيرا

الفرق بين الزور والكذب والبهتان ان الزور هو كذب قد حسن في الظاهر ليحسب انه صدق بخلاف الكذب واما البهتان فهو مواجهة الانسان بما يكرهه
الفرق بين الاقتراف والاختلاق ان المفترى يقطع بالكذب ويخبر به والختلاق يبتدئ كذباً ويخبر به

الفرق بين الاقرار والاعتراف ان الاقرار فيما قاله اداه معافي اخبار عن شيء هماض وهو في الشريعة جهة ملزمة للحكم وقل بعضهم الاعتراف كالاقرار وقال ابو هلال يجوز ان يقر بالشيء وهو لا يعرف انه اقر به ويجوز ان يقر بالباطل الذي لا اصل له ولا يقال لذلك اعتراف انما الاعتراف هو الاقرار الذي صحبته المعرفة بما اقر به مع التزام له ولهذا يقال اعتراف بالعمى ولا يقال اقرار بها فكل اعتراف اقرار وليس كل اقرار اعترافاً ولهذا اخبار اصحاب الشروط الاقرار لانه اعم وتقبض الاعتراف الجحد وتقبض الاقرار الانكار

الفرق بين الشكر والحمد ان الشكر هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للحم والحمد هو الذكر الجليل على جهة التعظيم ويجوز ان يحمدا الانسان نفسه على امور جميلة بآتيها ولا يجرز ان يشكرها فالاعتماد في الشكر على ترجييه النعمة وفي الحمد على ما توجبه الحكمة وتقبض الحمد والدم وتقبض الشكر الاكثار ولا يجوز ان يطلق الحمد الا لله تعالى
الفرق بين الحمد والمدح ان الحمد لا يكون الا على احسان بخلاف المدح
الفرق بين الجزاء والمكافاة والمقابلة ان الجزاء لا يلزم فيه المساواة بخلاف المكافاة والمقابلة وعورض بقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الآية

الفرق بين الثناء والثناء على ما قال بعضهم ان الثناء بتقديم الثاء يكون في الخير والشر والثناء بتقديم النون لا يكون الا في الشر والصحيح ان الثناء وهو الاول لا يكون الا في الخير وما استعمل في الشر والثناء وهو الثاني يكون في الخير والشر
الفرق بين السب والشتم ان الشتم توبيخ امر المذموم بالقول والسب هو الاطتاب في الشتم والاطالة فيه

الفرق بين الشتم والسفه ان الشتم قد يكون حسناً اذا كانت المذموم يستحق الشتم والسفه لا يكون الا قبيحاً

الفرق بين القم واللوم ان اللوم على الفعل الحسن والقم لا يكون الا على القبيح
الفرق بين العتاب واللوم ان العتاب هو يكون على تضييع حقوق المودة والصدقة بخلاف اللوم

الفرق بين المستقيم والصحيح والصواب ان كل مستقيم صحيح وليس كل صواب صحيح مستقيماً

الفرق بين المستقيم والصواب ان الصواب اطلاق الاثباتة الى الحسن والمستقيم هو الجاري على سنن وان كان قبيحاً

الفرق بين الخطأ والغلط ان الخطأ من يقصد الشيء فيصيب غيره واما الغلط فهو وضع الشيء في غير موضعه

الفرق بين اللحن والخطأ ان اللحن في القول فقط والخطأ في القول والفعل

الفرق بين العهد والعهد ان العهد ادخ من العهد

الفرق بين العهد والميثاق ان الميثاق يؤكد العهد وقال بعضهم العهد بين اثنين والميثاق من احدهما

الفرق بين الوعد والعهد ان العهد ما كان بشرط قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم الاية ان لا يخرج من الجنة ما لم يأكل من الشجرة بخلاف الوعد ويقال نقض العهد واخلف الوعد

الفرق بين التفسير والتأويل قيل ان التفسير هو الاخبار عن افراد آحاد الجملة والتأويل الاخبار بمعنى الكلام جملة وقيل التفسير افراد ما ينظمه ظاهر النزول والتأويل اخبار بفرض المتكلم وقيل التأويل استخراج معنى الكلام لا على ظاهره بل على وجه مجاز او حقيقة

الفرق بين الشرح والتفصيل ان الشرح بيان المشروح واخراجه من وجه الاشكال الى التجلي والظهور ولهذا لا يستعمل الشرح في القرآن والتفصيل هو ذكر ما تضمنته الجملة على سبيل الافراد ولهذا قال الله تعالى ثم فصلت من لدن حكيم ولم يقل شرحت الفرق بين التقسيم والتفصيل ان في التفصيل معنى البيان عن كل قسم بما يريد ذكره فقط والتقسيم يحتمل الامرين والتقسيم بفتح الميم والتفصيل بفتح الميم

الفرق بين القرآن والفرقان ان القرآن اعم وفرقان هو الفارق بين الحق والباطل والمؤمن والكافر

الفرق بين السلام والتحية ان التحية اعم من السلام

الفرق بين العام والمبهم ان العام يشتمل على اشياء والمبهم يتناول واحد الاشياء بعينه الفرق بين فحوى الخطاب ودليل الخطاب ان فحوى الخطاب باللفظ كقوله تعالى

ولا نقل لما أف ودليل الخطاب هو ما علق بصفة الشيء او عدده او حاله او غايته ونحوها
الفرق بين البيان والفائدة ان البيان لمعرفة غيره والمعرفة لنفسه (٩)
الفرق بين القراءة والتلاوة ان التلاوة لا تكون الا لكتلين فصاعداً والقراءة تكون
لكلمة واحدة

الفرق بين المنازعة والمطالبة ان المطالبة تكون بما يستوف به المطلوب والمنازعة لا تكون
الا فيما ينكره المطلوب

الفرق بين المسألة والشيء ان المسألة عامة في كل شيء والفتيا سؤال عن حادثة
الفرق بين بلى ونعم ان بلى لا تكون الاجواباً المتقدم من جموده كقوله تعالى: أأست
يربكم قالوا: بلى. اما نعم فلا تكون الا للاسفهام بلا جحد وكقوله تعالى: فهل وجدتم ما
وعد ربكم حقاً قالوا: نعم

الفرق بين الوصوسة والفرع ان الفرع الاغواء بالوصوسة واكثر ما يكون عند الغضب
الفرق بين الدلالة والامارة ان الدلالة ما يؤدى النظر فيه الى العلم والامارة ما يؤدى
النظر فيه الى الظن

الفرق بين الاستدلال والدلالة ان الدلالة ما يمكن الاستدلال به والاستدلال
فعل المستدل

الفرق بين النظر والاستدلال ان الاستدلال طلب معرفة الشيء من جهة غيره
والنظر طلب معرفته من جهته ومن جهة غيره

الفرق بين النظر والتأمل ان النظر هو ما ذكرناه وتأمل هو النظر المؤمل به معرفة
ما يطلب ولا يكون الا في مدة فكل تأمل نظر وليس كل نظر تأملاً

الفرق بين النظر والبديهة ان البديهة اول النظر يقال عرفته على البديهة اي في
اول احوال النظر

الفرق بين البديهة والروية ان الروية على ما قال بعضهم آخر النظر والبديهة اوله
انفرق بين النظر والفكر ان النظر يكون فكراً ويكون بديهة والفكر ما عدا البديهة
الفرق بين التفكير والتدبر ان التدبر صرف القلب بالتدبر في الامور والتفكير تصرف
القلب بالنظر في الدلائل

الفرق بين الانتظار والترجي ان الترجي انتظار الخير خاصة ولا يكون الا مع الشك
واما الانتظار والتوقع فهو طلب ما يقدر ايقاعه

الفرق بين الانتظار والترصص ان التربص طول الانتظار
الفرق بين الخاطر والنظر ان الخاطر مرور معنى بالقلب بمنزلة خطاب مخاطب وعند
بعضهم انه كلام يحدثه الله تعالى او الملك في سمع الانسان فاذا كان من الشيطان سمي
وسواساً وعورض بالآخرس فان له خاطراً ولا كلام له
الفرق بين الذكر والخطر ان الخطر يكون ابتداءً وبكون عن عزوب والذكر لا يكون
الا عن عزوب

الفرق بين العلم والمعرفة ان المعرفة اخص من العلم لانها لا تكون الا مفصلة والعلم
يكون مجملاً ومفصلاً قال بعضهم : ولا يوصف الله بانه عارف قال المؤلف وليس كما قاله
الفرق بين العلم واليقين ان العلم معرفة الشيء على ما هو به او اعتقاده واليقين هو
سكون النفس بما علم وبهذا لا يجوز ان يوصف الله باليقين ويقال اليقين لا يزال بالشك
وقل ان يقال العلم لا يزال بالشك

الفرق بين الشعور والعلم ان الشعور النظر الدقيق الموصل للعلم والعلم اعم
الفرق بين المعرفة الضرورية والالهام ان الالهام ما يبدو في القلب من المعارف
بطريق الخيرة فيعمل وبطريق الشر فيترك والمعارف الضرورية اربعة عند المأهدة
وعند التجربة وعد الاخبار المتواتر وعند اوائل العقل

الفرق بين العالم والمحقق ان المحقق هو المتطلب حق المعنى حتى يدركه ولهذا يقال
ان الله محقق وقيل التحقيق لا يكون الا بعد الشك بخلاف العلم
الفرق بين العلم والعقل ان العقل هو العلم الاول الزاجر عن التبجح وكل من كان
زاجره اقوى كان اعقل ولهذا لا يوصف الله تعالى به وقال بعضهم العقل الحفظ بقا
عقلت الدرام اي حفظتها ومن هذا الوجه يجوز ان يقال الله تعالى عاقل اي حافظ الا
انه لم يستعمل

الفرق بين الذهن والعقل ان الذهن هو تقيض سوء الفهم وهو عبارة عن وجود
الحفظ لما يستعمله ولا يوصف الله تعالى به والعقل ما تقدم

الفرق بين الفطنة والذهن والعلم ان الفطنة هي التنبيه على المعنى وضدها الغفلة ويجوز
ان يقال ان الفطنة ابتداء المعرفة من وجه غامض وكل فطنة علم لا كل علم فطنة
والذهن ما تقدم

الفرق بين الفطنة والذكاء ان الذكاء تمام الفطنة وفي الذكاء معنى زائد عن الفطنة

الفرق بين الفطنة والحذقة ان الحذقة هي سرعة الحركة في الامور واصلاها الحدة والتناهي فلما كان الله تعالى لا تنامي معلوماته لم يميز ان يوصف بالحذقة والفطنة ما تقدم

الفرق بين الالهي والوذهي ان الوذهي هو الخفيف الطريف مأخوذ من لدغ النار وهو سرعة اخذها من الشيء والالهي هو الفطن الذكي الذي تبين له عواقب الامور بادنى لمحة اي لوح له

الفرق بين الفريجة والطبيعة ان الطبيعة ما طبع عليه الانسان اي خلق والفريجة فيما قال المبرد ما خرج من الطبيعة من غهد تكلف وقولم ماء قراح اي لم يخاطه شيء وللارض الذرة لا تثبت قرواح والشجرة اذا جاوزت الدهر قرواحة والقرس القارح القدم السن واما القرخ في الجلد والقرحة شبيهه

الفرق بين العلم والفقه ان الفقه هو العلم بمقتضى الكلام على ما تأمله بخلاف العلم ولهذا لا يقال ان الله تعالى تفقه لانه لا يوصف بالتأمل

الفرق بين السمع والاصغاء ان السمع هو ادراك السمع والاصغاء طلب ادراك الفرق بين السمع والاستماع ان الاستماع هو الاصغاء للسمع لفهم بخلاف السمع ولهذا لا يقال ان الله تعالى يستمع

الفرق بين العلم والادراك ان الادراك موقوف على اشياء مخصوصة وليس العلم كذلك والادراك يتناول الشيء على اخص اوصافه وعلى الجملة فالعلم يقع بالمعوم ولا يدرك الا الموجود والادراك طريق من طريق العلم ولهذا العلم قوته وضعفه بالمدرك والرابة هي الغم

الفرق بين الاحساس والادراك على ما قاله بعضهم انه يجوز ان يدرك الانسان الشيء وان لم يحس به كما يدركه يصره وينقل عنه فلا يعرفه وقال اهل اللغة لما اشعرت به احسنت به اي ادركته بحسك وفي القرآن: فلما احسوا بأسنا وفيه: فحسبوا من يوسف واخيه اي تعرفوا باحساسهم وقال بعضهم الحس هو اول العلم ومنه قوله تعالى فلما احس عيسى منهم الكفر اي علمه من اول وهلة ولا يجوز ان يقال الانسان يحس بوجود نفسه

الفرق بين العلم والاعتقاد ان العلم اعم فلا يلزم من العلم الاعتقاد بخلاف عكسه الفرق بين العلم والحفظ ان الحفظ هو العلم بالسموعات ودون غيرها من المعلومات الا

ترى لا يقال حفظت ان زيدا في البيت ولا يقال للعلم بالمشاهدات حفظ ويجوز ان الحفظ هو العلم بالشيء حالاً بعد حال من غير تحلل جهل او نسيان ولهذا سمي حفاظ القرآن حفاظاً ولا يوصف الله بالحفظ لذلك

الفرق بين الذكر والنبه ان الذكر هو العلم بالحادث بعد النسيان بخلاف النبه الفرق بين العلم والاحاطة ان الاحاطة كالدائرة سر كل وجه تجري في معنى العلم ومعنى القدرة وقد جاء لفظة الاحاطة في القرآن كثيراً منه قوله تعالى وكان الله بكل شيء محيطاً وقد احاط بكل شيء علماً والله محيط بالكافرين والعلم مانقدم الفرق بين المعروف والمشهور ان المشهور هو المعروف عند جماعة كثيرة والمعروف هو المعروف ولو عن واحد

الفرق بين العلم والمادة ان العلم اعم والشهادة اخص الفرق بين الشاهد والمتشاهد ان المتشاهد للشيء هو المدرك له رؤيته وقيل رؤية او سمعاً وهو في الرؤية اشهر ولا يقال ان الله لم يزل مشاهداً لانه يقضي ادراكاً بجهل والشاهد هو يقضي ذلك

الفرق بين الشاهد والحاضر ان الشاهد للشيء يقضي العلم بخلاف الحاضر لا ترى انه يقال حضره الموت لاشاعده الموت ولا يصح وصف الموت بالعلم الفرق بين الاعلام والاخبار ان الاعلام التعريض بما علم به والاخبار اظهار الخبر علم به او لم يعلم

الفرق بين العلم والامانة ان العلم معرفة الشيء واعتقاده على ما هو به على سبيل الثقة والتقليد قبول الامر من لا يؤمن عليه الغلط بلا حجة

الفرق بين النسيان والسهو ان النسيان انما يكون عما كان والسهو يكون عما لم يكن يقال نسيت ما عرفته وبهذا قال سهوت عن السجود الذي لم يكن يقال النسيان عن ذكر والسهو عن ذكر وعن غيره

الفرق بين السهو والغفلة ان الغفلة تكون عما لا يكون والسهو عما يكون وفرق آخر وهو ان الغفلة تكون عن فعل الغير ولا يجوز ان يساه عن فعل الغير

الفرق بين النوم والاعماء ان الاعماء هم من مرض فقط والنوم سهو بمحدث من فتور جسم الفرق بين الظن والحسبان ان قول بعضهم ان الظن ضرب من الاعتقاد والحسبان ليس به اعتقاد

الفرق بين الريبة والتهمة وكلاهما مذمومتان ان الريبة في الانسان تورث شكاً في صلاحه مثلاً والتهمة تورث مقالاً فيه فكل مرتاب متهم وكل متهم ليس بمرتاب
الفرق بين التصور والتخيل ان التصور لا يثبت على حال وقيل التخيل تصور الشيء على اوصائه والتخيل والتصور متغايران العلم كما ان الظن والتك ينافيان
الفرق بين الحماقة والرقاعة ان الرقاعة على ما قال بعضهم حمق مع رفعة وعلو رتبة ولا يقال احمق اذا كان سيداً او رئيساً او ذا مال او جاه

الفرق بين الحياة والعيش ان العيش سبب الحياة من اكل وشرب ونحوهما
الفرق بين الحياة والروح ان الروح من قرائن الحياة والحياة عرض والروح جسم رقيق من جنس الريح وقيل هي جسم رقيق حساس وزعم الاطباء ان موضعها في الصدر من الحجاب والقلب وذهب بعضهم الى انها مبسطة في جميع البدن وفيه خلاف كثير وسمي جبرائيل عليه السلام روحاً لان الناس ينتفعون به في دينهم كالتفاعيم بالروح وبهذا المعنى سمي القرآن روحاً

الفرق بين الروح والمهجة والنفس والذات ان الروح ما تقدم والمهجة خالص دم الانسان الذي اذا خرج خرجت روحه وهو دم القلب والنفس مشتركة بقم على الروح والذات

الفرق بين الاهلاك والاعدام ان الاهلاك اعم من الاعدام فكل اعدام اهلاك وليس كل اهلاك اعداماً

الفرق بين القدرة والقهر ان القدرة تكون على صغير اقدور وكبيره والقهر يدل على كبير المقدور

الفرق بين الغلبة والقدرة ان الغلبة من فعل الغالب وليست القدرة من فعل القادر
الفرق بين القهر والغلبة ان الغلبة من نتائج القدرة

الفرق بين القادر والقوي ان القوة اخص والقدرة اعم فكل قوي قادر لا كل قادر قوي
الفرق بين القوة والشدة ان الشدة ليست من قبيل القدرة قال الله تعالى: اشد منهم قوة اي اقوى منهم وفي القرآن ذو القوة المتين اي العظيم الشأن في القوة

الفرق بين الشدة والصعوبة ان الشدة ما ذكرنا والصعوبة تكون في الافعال دون غيرها
الفرق بين الصحة والعافية ان الصحة اعم والعافية اخص

الفرق بين الصحة والسلامة ان السلامة تقيض الهلاك والصحة تقيض السقم

الفرق بين القدرة والطاقة ان الطاقة غاية مقدرة القادر واستفراغ وسعه في المقدور ولا يقال لله تعالى مطيق

الفرق بين القدرة والاستطاعة ان القدرة اعم والاستطاعة اخصر وكل مستطيع قادر لا كلة قادر مستطيع
الفرق بين القادر والتمكّن قال بعضهم منهاها واحد وبعضهم فرق والاستطاعة والتمكّن من صفات المخلوقين

الفرق بين الدوام والخلود ان الدوام هو استمرار البقاء في جميع الاوقات والخلود هو استمرار البقاء من وقت المبدأ والله تعالى موصوف بالدوام لا بالخلود
الفرق بين الدائم والسمد ان السمد هو الذي لا فصل فيه بل اتباع الشيء الشيء
الفرق بين الخلود والبقاء ان الخلود استمرار البقاء من وقت له مبدأ واصل الخلود
اللزوم

الفرق بين القديم والباقي ان الباقي هو الموجود لا عن حدوث والقديم ما لم يزل كائناً موجوداً والقديم على الحقيقة هو الذي لا اول لوجوده
الفرق بين الاول والسابق ان السابق يقتضي ان يكون ثم مسبوق والاوّل لا يقتضي
ثانياً الا ترى انك تقول هذا اول موجود ولد لفلان وان لم يولد له غيره واول عبد
ملكه حية وان لم يملك غيره وبهذا يبطل قول المحدثين ان الاول لا يسمى اول الا
بالاضافة الى الثاني

الفرق بين الحب والود ان الحب فيما يكون يوجبه ميل الطباع والود من جهة ميل
الطباع فقط

الفرق بين الارادة والرضا ان الارادة تكون الطاعة قبلها والرضا بها يكون بعدها
او معها والرضا تقيض السخط والسخط من الله تعالى ارادة العقاب فينبغي ان يكون
الرضا معه ارادة الثواب

الفرق بين الارادة والمشيئة ان الارادة لما يتراخى وقته ولما لا يتراخى والمشيئة لما
يتراخى وقتها فقط

الفرق بين المشيئة والعزم ان المشيئة تقدم والعزم ارادة بقطع بها المرید رؤيته في
الاقدام على الفعل او الاحجام عنه ويختص بارادة المرید لفعل نفسه لانه لا يجوز ان
يعزم على فعل غيره

الفرق بين العزم والنية ان النية ارادة متقدمة لتفعل باوقات والعزم قد يكون متقدماً للعزم عليه باوقات او توقت ولا يوصف الله تعالى بالنية ولا بالعزم
الفرق بين الارادة والاختيار ان الاختيار ارادة الشيء بدلاً من غيره بخلاف الارادة

الفرق بين القصد والارادة ان قصد القاصد مخصص بفعله دون فعل غيره والارادة غير مخصصة باحد الفعلين دون الآخر والقصد ايضا ارادة الفعل في حال اتحاده فقط اذا تقدمته باوقات لم يسم قصداً الا انه لا يقال قصدت ان ازورك غداً
الفرق بين المم والارادة ان المم اجراء الزمية عند موافقة الفعل وقيل المم تعلق الخاطر بشيء له قدر في الشدة والمهات الشدائد

الفرق بين الهمة والقصد ان الهمة اتساع المم وقوته فنقول فلان ذوممة وذوعزيمة
الفرق بين الغضب والغضب ان الغضب يكون من نفسه ولا يجوز ان يغضب على نفسه لان الغضب ارادة الدمر للغضوب عليه ولا يجوز ان يريد الانسان الشرر لنفسه
الفرق بين المم والحزن ان الحزن على ما فات والمم على ما هو آت نقلته من غير الكتاب المذكور

الفرق بين الغضب والسخط ان الغضب يكون من الصغير على الكبير ومن الكبير على الصغير والسخط لا يكون الا من الكبير فقط
الفرق بين العداوة والشأن ان العداوة ارادة السوء لمن تعاديه والشأن على قول بعضهم طلب المش على فعل الغير لما سبق من عداوته
الفرق بين المعادة والمخاصمة ان المخاصمة من قبل التول والمعاداة من افعال القلوب ويجوز ان يخاصم غيره من غير ممادة وان يمادي غيره من غير مخاصمة
الفرق بين الاختراع والابتداع ان الابتداع ايجاد ما لم يسبق الى مثله بخلاف الاختراع

الفرق بين الفعل والانشاء ان الانشاء هو احداث الشيء حالاً بعد حال من غير ابتداء على مثال بخلاف الفعل وقال بعضهم الانشاء الابتداء والايجاد من غير سبب والفعل يكون عن سبب وقال آخرون الفعل ايجاد بعد ان لم يكن بسبب وبغير سبب والانشاء ما يكون بغير سبب والوجه الاول اجود
الفرق بين المبدئي والمبدئي ان المبدئي للفعل هو المحدث له ولا يقدر عليه الا

الله تعالى والمبتدي^١ بالفعل هو الفاعل بعضه من غير تميمه

الفرق بين العمل والفعل ان العمل ايجاد الاثر في الشيء بخلاف الفعل

الفرق بين العمل والصنع ان الصنع ترتيب العمل واحكامه دون العمل

الفرق بين الجعل والعمل ان العمل هو ايجاد الاثر في الشيء والجعل بغير صورته

الفرق بين الاخذ والتناول ان تناول اخذ الشيء للنفس خاصة والاخذ لنفسه

ولغيره فهو اعم ويجوز ان يقال تناول يقتضي تسليم شيء بخلاف الاخذ قال الله تعالى

واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم

الفرق بين الواحد والفرد ان الواحد يقتضي الانفراد بالذات او بالصفة والفرد

نقيض الزوج

الفرق بين الانفراد والاختصاص ان الانفراد ما تقدم والاختصاص افراد بعض

الاشياء بمعنى دون غيره

الفرق بين الواحد والاوحد ان الاوحد من فارق غيره عن يشاركه في فن من

الفنون بخلاف الواحد

الفرق بين الفرد والواحد ان الفرد يفيد التقليل دون التوحيد ولهذا لا يقال لله

تعالى فريد كما يقال له فرد

الفرق بين الواحد والمنفرد ان المنفرد يقتضي التخلي والانعطاع عن الغريب ولهذا

لا يقال لله تعالى المنفرد بالنون كما يقال متفرد بالناء المتخصص بتدبير الخلق وغير ذلك

كما يختص به من صفاته وافعاله سبحانه وتعالى

الفرق بين الواحد والوحيد والفريد ان الوحيد والفريد يقتضي التخلي عن الانبس

ولا يوصف به الا الله تعالى بخلاف الواحد

الفرق بين التفرد والتوحد ان التفرد بالفضل والنبيل والتوحد بالتخلي

الفرق بين الوحدانية والوحدة ان الوحدة التخلي والوحدانية تقتضي نفي الاشكال

والنظراء ولا يستعمل في غير الله تعالى ولا يقال لله تعالى واحد من طريق العدد

الفرق بين الواحد والاحد ان الواحد لا ثاني له والاحد لا يقبل التجزي والواحد

يختص بالصفات والاحد بالذات

الفرق بين الكل والجمع ان الكل عند بعضهم هو الاحاطة بالاجزاء والجمع الاحاطة

بالاجزاء

الفرق بين البعض والجزء ان الجزء لا ينقسم وان البعض ينقسم ويتقضي كلا والجزء يقتضي جمعا

الفرق بين الجزء والسهم ان الجزء من جملة ما انقسمت عليه والاثنان جزء من العشرة والثلاثة ليست بجزء منها لانها لا تنقسم عليه وكل ذلك يسمى سهمًا كما قال بعضهم

الفرق بين الشبه والمثبه ان الشبه اعم والمثبه اخص
الفرق بين المثل والنظير ان المثلين ما تكافأ في الذات والنظير ما قل نظيره في حسن افصاله

الفرق بين الصفة والهيئة ان الصفة من قبيل الاسماء وانما لها في المسميات وليست الهيئة كذلك

الفرق بين الجنس والنوع ان الجنس اعم من النوع والصفة
الفرق بين الحظ والقسم ان كل قسم حظ وليس كل حظ قسمًا
الفرق بين النصيب والحظ ان النصيب يكون في المحبوب والمكروه والحظ لا يكون الا في المحبوب

الفرق بين الرزق والغذاء ان الرزق اسم لما يملك صاحبه الانتفاع به فليس كل ما يتغذى به الانسان رزقًا كالمسروق ليس هو رزقًا للشارق اذ لو كان رزقًا له لما ذم عليه والرزق ما ينتفع به يدخل الحرام والا لزم انه لو عاش عمره بالحرام لم يكن له رزق واما الدم عليه فامر آخر

الفرق بين البر والصلة ان البر يكون بسعة الفضل وبلين الكلام وبالليني بجهل (٩)
القول والفعل والصلة المواصلة بافضل

الفرق بين البر والخير ان البر لا يكون الا عن قصد والخير عن قصد وسهو
الفرق بين الغنيمة والفيء ان الغنيمة امم لما اخذناه من اموال المشركين بقتال والفيء ما اخذناه من اموالهم بغير قتال اذ سبب اخذه الكفر
الفرق بين القرض والمدين ان القرض يستعمل في الدين والتفد بخلاف الدين فكل قرض دين ولا كل دين قرض

الفرق بين السحاء والجود ان الجود كثرة العطاء من غير سؤال والسحاء ان يلين الانسان عند السؤال

الفرق بين الكرم والجود ان الجود ما ذكرنا والكرم علي وجوه فيقال الله تعالى كرم

اي عزيز وهو من صفات ذاته ومنه قوله تعالى ما غرك بربك الكريم اي العزيز الذي لا يغلِبُ والكريم الحسن في قوله تعالى من كل زوج كريم ومثله وقُلْ لهما قولاً كريماً اي حسناً والكريم بالفضل في قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم اي افضلكم ومنه قوله تعالى ولقد كرّمنا بني آدم اي فضلناهم والكريم ايضاً السعيد في قوله عليه الصلاة والسلام اذا اتاكم كريم قوم فاكرموا اي سيد قوم ويجوز ان يقال الكرم اعطاء الشيء من طيب نفس قليلاً كان او كثيراً هذا كلام هذا الكتاب وفي كتب الفقه اشياء غير ذلك فلتراجع

الفرق بين الكرم والابثار ان الايثار بذل الشيء مع الحاجة اليه بخلاف الكرم والجود والسخاء

الفرق بين الشح والجبل ان الشح الحرص على منع الخير والجبل منع الحق
الفرق بين العمد والسيد ان السيد المالك والعمد يقتضي القوة على الاصوب
الفرق بين سيد القوم واكرم ان سيدهم هو الذي يلي تدبيرهم وكبيرهم هو الذي يفضلهم في العلم والدين والشرف

الفرق بين مالك ومالك ان مالك يفيد مملوكاً وملاك لا يفيد ذلك لكنه الامروسة
القدرة على ان امالك بيان اوسع من الملك لانك تقول الله مالك الملائكة والارض والجن
الفرق بين مالك ومليك ان المليك يقتضي المباينة مثل سميع وعليم ولا يقتضي مملوكاً
الفرق بين العظيم والكبير ان الكبير الذي ليس فوقه احد وقد يكون من جهة الكثرة ومن غير جهة الكثرة ولذلك جاز بان يوصف الله تعالى بانه عظيم ولم يوصف سبحانه بانه كبير فقط وقد يعظم الشيء من جهة الحسن ومن جهة التقديس وفرق بعضهم بين الجليل والكبير بان قال الجليل في اسماء الله تعالى هو العظيم الشأن الذي يستحق الحمد والكبير من يستحق صفة الحمد والاجل من ليس فوقه من هو اجل منه

الفرق بين الاله والمعبود ان الاله هو الذي يحق له العبادة فلا اله الا الله وليس كل معبود يحق له العبادة الا ترى ان الاصنام معبودة والمسيح معبود ولا يحق لها ولاله العبادة

الفرق بين قولنا الله وبين قولنا اله ان قولنا الله اسم لم يسم به غير الله تعالى اله على جهة الخطاء واما قول الناس لا معبود الا الله اي لا يستحق العبادة الا الله
الفرق بين قولنا يحق له العبادة وقوله يستحق العبادة ان قولنا يحق له العبادة يفيد

عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ يَصِحُّ أَنَّهُ مَعَهُمْ وَقَوْلُنَا يَسْتَحِقُّ بِفَيْدِ أَنَّهُ قَدْ أَنْعَمَ وَاسْتَحَقَّ
الْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِنَا اللَّهُ وَقَوْلِنَا اللَّهُ أَنْ قَوْلُنَا اللَّهُ اسْمٌ وَقَوْلُنَا اللَّهُ نَدَاءٌ أَيْ يَا اللَّهُ
الْفَرْقُ بَيْنَ النُّصِيرِ وَالْوَلِيِّ أَنَّ الْوَلَايَةَ قَدْ تَكُونُ بِاخْتِلَاصِ الْمَوَدَّةِ وَالنُّصِيرَةُ تَكُونُ
بِالْمَعُونَةِ وَالنُّقُوبَةِ وَلَا تَمُكِّنُ النُّصِيرَةَ مَعَ الْوَلَاءِ

الْفَرْقُ بَيْنَ الْحُكْمِ وَالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَالتَّقْدِيرِ أَنَّ الْحُكْمَ الزَّامُ قَدْ يَكُونُ عَنْ خُصُومَةٍ وَقَدْ
فَصَلَ الْأَمْرَ عَلَى الْأَحْكَامِ عَمَّا يَنْقُضِيهِ الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ وَالنَّضَاءُ وَالْفَصْلُ الْأَمْرُ التَّامُّ (?) وَأَمَّا
الْمُقَدَّرُ فَهُوَ عَلَى مَا قَالَهُ بَعْضُهُمْ وَجُودُ الْقَوْلِ عَلَى مَقْدَارِ مَا ارَادَهُ وَلَا يَسْتَمِلُ إِلَّا فِي الْأَعْمَالِ
اللَّهُ تَعَالَى وَأَمَّا التَّقْدِيرُ فَيَسْتَمِلُ فِي أَعْمَالِهِ وَأَفْعَالِهِ عِبَادَهُ
الْفَرْقُ بَيْنَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ أَنَّ الرَّأْفَةَ ابْلَغُ مِنَ الرَّحْمَةِ

الْفَرْقُ بَيْنَ الضَّرِّ وَالْبُؤْسِ أَنَّ الضَّرَّ يَكُونُ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ الْمَقْصُودُ بِهِ وَالْبُؤْسُ لَا
يَكُونُ إِلَّا مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُ

الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَفْصَرَةِ وَالْإِسَاءَةِ أَنَّ الْإِسَاءَةَ قَبِيحَةٌ وَالْمَفْصَرَةُ قَدْ تَكُونُ حَسَنَةً نَحْوُ الْمَفْصَرَةِ
بِالضَّرْبِ لِلتَّأْدِيبِ وَالتَّعْلِيمِ

الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِهْمَالِ وَالْإِنْظَارِ أَنَّ الْإِنْظَارَ مَقْرُونٌ بِمَا يَقَعُ فِيهِ النَّظَرُ وَالْإِهْمَالُ فِيهِ (?)
وَقِيلَ الْإِنْظَارُ تَأْخِيرُ الْعَبْدِ لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِهِ وَالْإِهْمَالُ تَأْخِيرُهُ لِتَسْهِيلِ مَا يَشْكُلُهُ مِنْ عَمَلِهِ
الْفَرْقُ بَيْنَ السَّرْعَةِ وَالْمَجَلَّةِ أَنَّ السَّرْعَةَ التَّقَدُّمُ بِمَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَقَدَّمَ فِيهِ وَهِيَ مَحْمُودَةٌ
وَتَقْضِيهَا مَذْمُومٌ وَهُوَ الْإِبْطَاءُ وَالْمَجَلَّةُ التَّقَدُّمُ بِمَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَقَدَّمَ فِيهِ وَهِيَ مَذْمُومَةٌ
وَتَقْضِيهَا مَحْمُودٌ وَهِيَ الْآثَاءُ وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: وَجَلَّتْ إِلَيْكَ رَبِّ تَعَالَى فَأَهْ بِمَعْنَى أَسْرَعَتْ
الْفَرْقُ بَيْنَ الْهُدَايَةِ وَالْإِرْشَادِ أَنَّ الْإِرْشَادَ إِلَى الشَّيْءِ هُوَ التَّنْظِيرُ إِلَى إِلَهٍ وَالتَّسْنِيفُ لَهُ
وَالْهُدَايَةُ هِيَ التَّمَكُّنُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ

الْفَرْقُ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ أَنَّ الصَّلَاحَ هُوَ اسْتِقَامَةُ عَلَى مَا تَدْعُوهُ الْحِكْمَةُ فِيهِ
الضَّرُّ وَالنَّفْعُ وَالْخَيْرُ أَعْمُ وَأَفْعَالُهُ كُلُّهَا خَيْرٌ

الْفَرْقُ بَيْنَ الصَّلَاحِ وَالْفَلَاحِ أَنَّ الصَّلَاحَ مَا يَتِمُّكَ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ أَوْ يَخْتَصُّ بِهِ مِنْ
الشَّرِّ وَالْفَلَاحُ نَيْلُ الْخَيْرِ وَالنَّفْعِ الْبَاقِي

الْفَرْقُ بَيْنَ الْفُسَادِ وَالْقَبِيحِ أَنَّ الْفُسَادَ هُوَ التَّغْيِيرُ عَمَّا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحِكْمَةُ وَالْقَبِيحُ مَا
يُزْجَرُ عَنْ الْحِكْمَةِ

الْفَرْقُ بَيْنَ الدِّينِ وَالْمِلَّةِ أَنَّ الْمِلَّةَ اسْمٌ لِمَجْلَةِ الشَّرِيعَةِ وَالدِّينَ اسْمٌ لِمَا عَلَيْهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِهَا

الفرق بين العبادة والطاعة ان العبادة غاية الخضوع ولا تكون الا لله والطاعة الفعل الواقع على حسب الارادة ويكون للخالق والمخلوق
الفرق بين الدين والشريعة ان الشريعة هي الطريق والدين ما يطاع به المعبود ولكل منا دين وليس لكل مناشريعة

الفرق بين الاجابة والقبول ان القبول يكون للاعمال والاجابة للدعوية
الفرق بين الحلال والمباح ان الحلال هو المباح بالشرع والمباح لا يعتبر فيه ذلك الشيء في السوق (?) مباح لاحلال والحلال خلاف الحرام والمباح خلاف المحظور
الفرق بين الاسلام والايمان ان الايمان طاعة الله الذي يأمن بها المقاب على خدما والاسلام طاعة الله تعالى التي يسلم بها من عقاب الله هذا كلامه في هذا الكتاب وليس فيه فرق بينهما والفرق مشهور في مظانته في كلام القائلين بالفرق
الفرق بين الفسق والفجور ان الفسق هو الخروج من طاعة الله تعالى بكبيرة والفجور الانبعاث في المعاصي فلا يقال لصاحب الصغيرة فاجر

الفرق بين الظلم والجور ان الجور خلاف الاستقامة في الحكم والظلم قيل ضرر من حاكم او غيره فهو اعم وقيل وضع الشيء في غير محله وقيل نقصان الحق والجور العدول عن الحق

الفرق بين القبيح والفاحش ان الفاحش الشديد القبح ويستعمل في الصورة فيقال الفرد قبيح الصورة لا فاحش الصورة ويقال فاحش القبح فاحش الطول اي جاوز حد الاعتدال مجاوزة فاحشة والقبيح ليس كذلك

الفرق بين الحرام والسحت ان السحت مبالغة في حقيقة الحرام فيقال حرام سحت لا سحت حرام وقيل السحت الحرام الظاهر لان كل سحت حرام لا كل حرام سحت ويجوز ان يقال السحت الحرام الذي لا بركة له

الفرق بين الاثم والخطيئة ان الخطيئة قد تكون من غير عمد ولا يكون الاثم الا تعمداً

الفرق بين الاثم والذنب ان الاثم لغة التقصير والذنب ما يتبعه النثم وقولهم للصبى اذنب مجاز

الفرق بين الوزر والذنب ان الوزر ما يثقل صاحبه ومنه قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي والذنب ما تقدم

الفرق بين العدل والفسط ان القسط هو العدل الظاهر البين والعدل قد يخفى
الفرق بين الندم والتوبة ان التوبة اخص من الندم فكل توبة ندم ولا كل ندم
توبة اما الحديث اندم توبة اي معطها كالسج عرفة

الفرق بين الاستغفار والتوبة ان الاستغفار طلب المغفرة والتوبة الندم على الخطيئة
والانقلاع عنها والعزم على ترك العود ولا يجوز الاستغفار مع الاصرار
الفرق بين التأسف والندم ان التأسف يكون على الفائت من فعلك وتعمل غيرك
والندم من افعال القلوب يشعل بفعل التادم وغيره

الفرق بين العفو والغفران ان الغفران ينفي اسقاط العقاب ونيل الثواب ولا
يستحقه الا المؤمن ولا يستعمل الا في الله تعالى ويشتمل في غيره شاذاً قليلاً والعفو
يقضي اسقاط الآدم والندم ولا ينفي نيل الثواب ويستعمل في العبد والمراد من
العفو والغفران محو الذنوب

الفرق بين الغفران والستران الغفران اخص فيجوز ان يستر عنه ولا ينفه
الفرق بين الصفح والغفران ان غفران ما ذكرناه والصفح التجاوز عن الذنب
الفرق بين الاحباط والاكفان الاحباط بطل الحسنة بالسيئات والعكس برضه
الفرق بين الثواب والعوض ان عوض يكون على فعل المعوض والثواب لا يكون
على فعل المثيب والثواب يقع مكافأة على الحقوق والعرض يقع على جهة المساعدة
الفرق بين الثواب والاجر ان الاجر قد يكون قبل الفعل المأجور عليه بخلاف
الثواب والثواب قد اشتهر في الجزاء على الحسنة والاجر يقال كذلك ويقال على معنى
الاجرة على الانتفاع

الفرق بين العذاب والالم ان العذاب اخص من الالم فان العذاب هو الالم المستمر
والالم مستمر او غير مستمر

الفرق بين الالم والوجع ان الوجع اعم من الالم
الفرق بين العذاب والعقاب ان العقاب بنى عن استحقاق والعذاب يجوز ان يكون
باستحقاق وبغير استحقاق

الفرق بين البلاء والنعمة ان البلاء يكون ضرراً ويكون نفعاً والنعمة لا تكون
الا عقوبة وشدة وتسمى النعمة بلاء والبلاء لا يسمى نعمة

الفرق بين الخوف والخشية ان الخوف يتعلق بالمكروه ومنزله والخشية تتعلق بمنزلة

المكروه ولا يسمى الخوف من نفس المكروه خشية
الفرق بين الخوف والافتقار ان الافتقار تخويف مع اعلام موضع المخافة وان لم
يعلم لم يكن انذره

الفرق بين الخوف والفرع ان الخوف ما ذكرناه والفرع ما فاجأه الخوف عند هجوم
عارض او صوت ونحوهما وهو ازعاج القلب بتوقع مكروه عاجل

الفرق بين الخوف والوجل ان الخوف يكون من متعدد والوجل من غير متعدد ومنه
قوله تعالى : الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم

الفرق بين الخجل والحياء ان الخجل معنى يظهر في الوجه ارتداداً بقوة ويجوز ان
يكون الخجل عما كان والحياء عما يكون

الفرق بين الرجاء والطعم ان الرجاء هو الظن لوقوع الخير كالامل والخشية والخوف
ضدهما والرجاء لا يكون الا من سبب والطعم ما يكون من غير سبب ولهذا مدح الرجاء
وذم الطمع

الفرق بين اليأس والقنوط ان القنوط اشد مبالغة من اليأس

الفرق بين الكبر والجبروت ان الجبروت ابلغ من الكبر

الفرق بين العجب والكبر ان العجب بالشئ شدة السرور به والكبر اظهار عظم الشأن
وهي العزة والسلطنة

الفرق بين الخشوع والخضوع ان الخضوع فعل يرى فاعله وان الخضوع له فوجه
واعظم منه والخشوع يكون في الكلام خاصة لقوله تعالى : وخشعت الاصوات للرحمن
وقيل هما من افعال القلوب

الفرق بين التواضع والتذلل ان التذلل اظهار العجز عن مقاومة من يتذلل له
والتواضع اظهار قدرة من يتواضع له - واء كان ذا قدرة على المتواضع ام لا

الفرق بين التذلل والتذلل ان التذلل فعل المتضع به وهو ادخال نفسه في الحكم
والتذلل المفعول به الذي من اجل غيره

الفرق بين الخضوع والتذلل ان الخضوع ما ذكرناه والتذلل الانقياد كرهاً ونقيضه العز

الفرق بين الذل والاهانة ان الذل ما ذكرناه والاهانة ان يجعل كالصغير لا ينأى به

الفرق بين الذليل والمهين ان الذليل ما ذكرناه والمهين هو المستضعف

الفرق بين الحقير والصغير ان الحقير من نقص عن مقداره المعهود والصغير يكون

بالإضافة الى من هو اكبر منه

الفرق بين اليسير والقليل ان القليل يقتضي نقصان العدد والبسر ما يشتد تحصيله او طلبه ولا يقتضي نقصان العدد

الفرق بين الكثير والوافر ان الكثيرة زيادة العدد والوفور اجماع اجزاء العدد حتى بكل جمعه

الفرق بين الجم والكثير ان الجم هو الكثير المجتمع والكثير قد يكون عن مجتمع الفرق بين العبث واللعب واللهو ان العبث ما خلا عن الارادة والارادة حدوثه واللهو واللعب يتناولهما غير ارادة حدوثهما وقيل اللعب عمل للذة لا يراعى فيه داعي الحكم كعمل الصبي واللهو لعب واللعب قد يكون ليس بابو

الفرق بين المزاح والاستهزاء ان المزاح لا يقتضي تحقير من تمازحه بل ابتناسه والاستهزاء يقتضي تحقير من يستهزأ به

الفرق بين الاستهزاء والسخرية ان السخرية تدل على فعل شيء يشق منه السخرية بخلاف الاستهزاء

الفرق بين المزاح' والمزل ان المزل يقتضي تواضع المازل لمن يهزله بين يديه بخلاف المزاح

الفرق بين المزاح والمجون ان المزاح ما ذكرنا والمجون صلابة الوجه وقلة الحياء الفرق بين الحيلة والتدبير ان الحيلة ما أحيل به عن وجهه فيجلب به نفع او يدفع به ضرر والتدبير هو اصلاح امره او امر من يلوذ به وقد لا يكون حيلة الفرق بين الكيد والمكر ان المكر كالكيد الا انه لا يكون الا مع الفكر والكيد اقوى من المكر

الفرق بين الحيلة والمكر ان من الحيلة ما ليس بمكر

الفرق بين الغرر والخداع ان الخداع يستتر به وجه العداوب ليوقعه في مكره والخطر ركوب المخاوف رجاء بلوغ المراد

الفرق بين الحسن والبهجة ان البهجة حسن نفرح به القلوب والحسن لا يقتضي ذلك الفرق بين الحسن والجمال ان الجمال ما يحمد من الافعال والاخلاق وكثرة المال

وليس هو من الحسن في شيء

الفرق بين الجمال والبهاء ان البهاء بهارة المتأخر بخلاف الحسن

الفرق بين التمام والكمال ان التمام اسم للجزء والبهض الذي يتم به الموصوف بأنه تام والكمال اسم لاجتماع ابعاض الموصوف

الفرق بين البشاشة وطلاقة الوجه ان البشاشة اطلاق السرور عند اللقاء سواء كان اولاً وآخرأ وطلاقة الوجه خلاف العيوس والعيوس تكره الوجه عند اللقاء
الفرق بين الطهارة والنظافة ان الطهارة تكون في الخلقة والمعاني والنظافة لا تكون الا في الخلقة واللباس لا في المعاني

الفرق بين القبيح والوحش ان الوحش الهزيل والقبيح في المنظر ويجوز ان يقال الوحش هو المنتهي في القباحة

الفرق بين السرور والفرح ان السرور لا يكون الا بما هو نفع او لذة على الحقيقة وقد يكون الفرح بما ليس بنفع ولا لذة كفرح الصبي بالرقص مثلاً
الفرق بين الغم والحزن ان الغم هو التفكير في ازالة المنكروه واجتلاب المحبوب والغم معنى لنقص القلب منه لوقوع ضرر كان او يكون او يتموه

الفرق بين المبوط والنزول ان المبوط نزول يعقبه اقامة بخلاف النزول
الفرق بين المحض والمخالص ان المحض الذي لم يخالطه شيء والمخالص هو المختار من الجملة كالتذهب المعنى

الفرق بين اخمد النار واطفاؤها ان الاخمد يدعمل في الكثير والاطفاء في القليل
الفرق بين النجم والكوكب ان الكوكب اسم للكبير من النجوم والنجم علم على الثريا في صغيرها وكبيرها

الفرق بين الزلزلة والرجفة ان الرجفة الزلزلة العظيمة الشديدة ولهذا سميت زلزلة الساعة رجفة

الفرق بين الرجوع والاياب ان الاياب هو الرجوع الى منتهى القصد والرجوع يكون لذلك او لغيره

الفرق بين المحق والاذهاب ان المحق يكون الاشياء الكثيرة ولا يكون في الشيء الواحد بخلاف الاذهاب ومنه قوله تعالى: يتق الله الربا ينجح ثواب عامله لقوله تعالى: ويربي الصدقات اي ثوابها

الفرق بين المكوف والاقامة ان المكوف هو الاقبال على الشيء والاحساس فيه ومنه الاعتكاف والاقامة لا تقتضي ذلك

الفرق بين الدنو والقرب ان الدنو لا يكون في مسافة بين شيئين والقرب عام في ذلك وفي غيره فيقال قلوبنا تنقارب ولا يقال ننداني ويقال قرب بقلبه وان كان بعيداً الفرق بين الوسط والبين ان الوسط يضاف الى الشيء الواحد وبين يضاف الى شيئين فصاعداً نقول قدمت وسط الدار لا قدمت بين الدار وبين القوم والوسط يقتضي اعتدال الاطراف ولهذا قيل الوسط العدل في قوله تعالى: وكذلك جعلناكم امة وسطاً الآية الفرق بين الذوق والطعم ان الذوق ملازمة يحس بها الطعم وادراك الطعم يتبين من ذلك الوجه يقال ذقته فلم اجد له طعماً

الفرق بين الركون والسكون ان الركون الكون الى الشيء بالجليلة والاتصاف والسكون خلاف الحركة وانما يستعمل في غيره مجازاً

الفرق بين التابع والتالي ان التالي فيما قال بعضهم هو التالي وان لم يتدبر بتدبير الاول والتابع انما هو المتدبر بتدبير الاول

الفرق بين قوله مالك لا تفعل كذا وبين قوله لم لا تفعل كذا ان لم لا تفعل كذا م لانه قد يكون محال الى غيره ومالك لا تفعل بحال يرجع اليه

الفرق بين النار والسعير والحريق والحجم ان السعير هو النار الملتبته والحريق النار الملمة المحرقة والحجم نازلي ذر وجمر نلي جمر

الفرق بين النور والضياء ان الضياء ما يثبيل آخر النور

الفرق بين الطرفة والمشي ان الطرفة نفيداه ماء قليل والمشي يفيد انه مستقذر

الفرق بين الصب والسكب ان السكب هو الصب المتتابع والصب يكون دفعة واحدة

الفرق بين التبديل والابدال ان التبديل نفي ما قال بعضهم تغيير الشيء عن حاله والابدال جعل شيء مكان شيء

الفرق بين الخوان والمائدة ان الخوان لا يسمى مائدة الا اذا كان الطعام عليها وان لم يكن عليها طعام فهو خوان

هذا آخر ما اشتملنا من هذا الكتاب وصلى الله في سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وفي غيره

الفرق بين المارة والتمثلة ان المارة الاعلاء بتأيسر والتمثلة المدعاء بالخبر لمرء بعد ما علم به

ولهذا لما نزل الله توبه كتب من ذلك وصاحبيه ذهب اليه انبت يرفبشره فلما دخل المسجد جاء

الناس فمؤوه الفرق بين الحياء والاغضاء ان الحياء رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع

كرهه او ما يكون تركه خيراً من فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان بطبيعته اه

رسائل الانتقاد

كلمة للناس

بينما كنت في خلال العام الفارط أرسل رائد الطرف في بعض المخطوطات العربية القديمة
عثر على كتاب صغير الحجم جميل الخط عتيقه فتأملت فوجدته مؤلفاً من تونس معدود
من البلغاء . واذ كان لي ولوع شديد بالاطلاع على ماثر الادباء من بي وطني تملقت
رغبتي بتعريف هذا التصنيف . بيد اني لما أخذت اتلو رشيقي معانيه واحل دقائقي
مبانيه وجدت نقصاً فادحاً بين اوراقه افسد عقد جملة فحل لي من ذلك قلق عظيم .
ثم بعد مدة وقعت في فهرست القسم العربي من مكتبة الاسكوريال بجزيرة الاندلس
على اسم مقالة تحت عدد ٥٣٦ منسوبة الى ابي عبد الله محمد بن شرف القيرواني فانجلي
خاطري وبادرت في الحال لطلب نسخة منها من بعض زملائي المستشرقين . فلما وافقتني
صورتها وطابقتها بما لدي عاودني مرورى الاول وقوي عزمي اذ كانت القطعة
الاندلسية مطابقة للقسم الاول من النسخة التونسية بزيادة ما نقص . فاسرعت حينئذ
الى النسخ وانتمت هاته بذلك حتى كمل والحمد لله ما كنا نرغبه وهو ما تقدمه اليوم
لقراء الكرام .

ومن المناسب ان نذكر شيئاً عن الاصلين اللذين اخذنا عنها . فالاول وهي النسخة
التونسية تشتمل على ستين صفحة شرقية بلوح من شكل خطها انها من القرن السابع
لكنها صعبة القراءة لانطاس الاحرف ودثور كتابتها دع عنك ما لحق الورق من العث
الذي اهلك جانباً وافرأ منها .

اما القطعة الاندلسية التي اكملنا بها ما ضاع من التأليف فهي تحتوي على ثمانين
صفحة صغيرة الحجم اندلسية الخط قديمة النسخ كما يتبين ذلك من التاريخ الذي وضعه
بعض المطالعين في الصفحة الآخرة حيث قال : « طالعه في موفى سنة خمس وخمسةائة »
وبهذا يستدل على ان هاته القطعة كتبت زمن المؤلف مدة اقامته بالاندلس (حوالي
سنة ٤٥٥) او قريباً من عهده . ومهما كان الحال فهي أقدم من اختها التونسية الا
انها أخصر ولا تشتمل الا على المقامة الاولى

و بلوح لي ان مؤلفنا قصد بتدوين هذه الرسائل .معارضة « كتاب العمدة » الذي وضعه زميله ومعاصره الحسن بن رشيقي القيرواني كما ستبينه في ترجمته . الا ان الرسائل المعارض بها كانت أطول وأكثر مما وجدناه . وأوردناه هنا . يؤيد ذلك ما جاء في سياق كلام ابن شرف في مقدمته للجلس الاول حيث قال : « فاقمت من هذا النحو عشرين حديثاً » فالظنون انه يقصد بالحديث مجالسه مع الاستاذ الموهوم الذي سماه « ابا الريان » كما اختلف الحريري في مقاماته . شخص الحارث بن همام واخترع الحمداني عيسى بن هشام . فعسى ان يساعدني الحظ بالعثور على بقية هذا التأليف النفيس ان كان في عالم الموجودات .

وقد احترمت في الاستنساخ الطريقة التي اتى عليها الاصل في الرسم وضبطه الا ما نهيت عليه اسفل المتن مع التعاليق

ولما كان الاعتراف بالمعروف فريضة وجب علي ان ارفع شكري الخالص للكتاب البليغ والباحث المدقق اخينا في الله محمد بدر الدين اتندي النعساني الذي اعانني بعلومه الثيرة لازالة بعض مشكلات النسخة التونسية كما أقدم عبارات ووادعي الى العالم المستعرب المتمكن صديقي الاستاذ كارلو نالينو الذي اسعفني بالحصول على صور القطعة الاندلسية وهو لا يزال يفيدني باشاراته العلمية وفكره الصائب فجزيا عني خير جزاء والله ولي توفيقى به اهتدي واليه اتنب

حسن حسني عبد الوهاب

تونس

ترجمة المؤلف^(١)

فيغ أبو عبد الله محمد بن ابي سعيد بن احمد بن شرف الجذاي القيرواني نحو سنة ٣٩٠ من احدي البيوتات الشريفة القادمة مع الجيش العربي الفاتح والقيرواني اذذاك زاهية زاهرة بالعلوم رافلة بالمعارف والفنون فروى المعقول والمقول عن افاضل ذلك المصري الحسن القابسي واخذ الفنون الادبية من اساتذتها كابي اسحاق ابراهيم الحصري القيرواني ومحمد بن جعفر القزاز وغيرهما حتى برع فيها واجاد فالحقه حينئذ المعز بن باديس الصنهاجي امير افريقية بديوان حاشيته لما رأى فيه من الدكاء والنجابة . وهتاله النقي ابن شرف بجماعة من الكتاب البلغاء والشعراء الطرفاء الذين كان يجمعهم

(١) اقتبسنا هذه الترجمة بتصريف من تأليفنا « الادب والادباء التونسيين » الذي

هو منا على نشره قريباً بحوله تعالى

ديوان الملك مثل علي بن أبي الرجا، الكاتب رئيس قلم التحرير والمراسلات وأبي علي الحسن بن رشيق صاحب المممة ومحمد بن حبيب القلانسي وغيرهم . وطبيعي أن وجود ابن شرف في مثل هذا الوسط دعاه إلى تبني الوجهة التي سب عليها وقوي شاطئه إذ كان أولئك الأدباء الأجلاء يتسابقون في التقرب «نظمهم» ونثرهم إلى الأمير رغبة في المطايا المائلة والهبات الطائلة . وحصل عن هذا التنافس والنزاح حركة فكرية أدبية لم تر أفر يقية مثلها في عصر من عصور السلطنة الإسلامية وصارت القيروان كعبة العلم التي يجج إليها العلماء من جميع أصقاع المغرب حتى من الأندلس . وقد خصص المعز لصحبه من بين هؤلاء الزعماء المتقدمين ابن شرف هذا وابن رشيق فكان يلتفت تارة إلى الأول وأخرى إلى الثاني وجرى بسبب ذلك بين هذين الأدبيين مناقشات ومهاجات رسمها كل منهما في رسائل مستقلة ومعامات متنوعة لم يصل إلينا منها شيء فيما نعلم

حكى ابن تترف المترحم له في كتابه «إبكار الأفكار» قال : «استدعاني المعز بن باديس يوماً واستدعى أبا علي الحسن بن رشيق الأزدي وكنا ندأعربيه حضرته وملأزمي ديوانه فقال : أحب أن نضعاً بين يدي قطعتين في صفة الموز على قافية الفين . فصنعتنا حالاً من غير أن يقف أحدنا على ما صنعه الآخر فكان الذي صنعه

يا حبذا الموز وأسماده	من قبل أن يخذله الماضغ
قد لآن حتى لا يجس له	فالتم . لآن به فدارع
سيان قلنا ما كل طيب	فيه والامشرب صائـ

والذي صنعه ابن رشيق

موز مربع أكله	من قبل مضغ الماضغ
فأكل ذاك كل	ومشرب لسائغ
فالتم من لين به	ملآن مثل فارغ
يخال وهو بالغ	للحلق غير بالغ

فأصرنا للوقت أن نصنع فيه على حرف المال فعملنا ولم ير أحدنا صاحبه ما عمل فكان ما عملته

هل لك في موز اذا	ذقناه قلنا حبذا
فيه شراب وغذا	يريك كالماء القذى

لومات مَن تلذذا به لقييل ذا بذا
وما عمله ابن رشيق

لله موز لقييد يعينه المستعيد
فواكه وشراب به يداوى الوقيد
تري القذى العين فيه كما يربها التبيد

قال ابن شرف : فانت ترى هذا الاتفاق لما كانت القافية واحدة والقصد واحداً .
ولقد قال من حضر ذلك اليوم ما ندري مَن نجب أمن سرعة البديهة أم من غرابة
القافية أم من حسن الاتفاق »

وحكى المؤلف المترجم له أيضاً في كتابه المذكور قال : « استغلانا المعز يوماً وقال
أريد ان تصنعا شعراً تمدحان به الشعر الرقيق الخفيف الذي يكون على سوق بعض
النساء فاني استمته وقد عاب بعض الضرائر بعضاً به وكلهن قارئات كاتبات فاحب ان
ارهن هذا وادعي انه قدّم لاحتج به على من عابه وآسى به من عيب عليه . فانفرد
كل منا وصنع في الوقت فكان الذي قلت :

وبلقسية زينت بشعر يسير مثل ما يهب الشحيح
رقيق في خدجة رداح خفيف مثل جسم فيه روح
حكى زغب الخدود وكل خد به زغب فعمشوق ملج
فان بك صرخ بلقيس زجاجاً فن حلق العيون لها صروح

وكان الذي قال ابن رشيق

يعيون بلقيسية ان رأوا لها كما قد رأى من تلك من نصب الصرحا
وقد زادها التزغيب لها كمثل ما يزيد خدود الغيد تزغيبها ملحا
فانتقد المعز على ابن رشيق قوله يعيون وقال : « أوجدت لخصمها حجة بأق بهض
الناس عابه » فانظر ما اللطف هذه المناصلات وما أحل هذه الحكايات ولولا خوف
الاطالة لزدنا من هذه طرقاً تروق الخاطر .

واستمر ابن شرف على خدمة المعز الى ان زحف عرب الصعيد من هلايين ورياح
وغيرهم واستولوا على غالب القطر التونسي بمد ما خربوه ودمروه واضطر الامير المعز
الى ترك القبروان امام تلك القبائل المتوحشة (سنة ٨٤٤٩ هـ) وفر الى المهديّة واتخذها دار ملكه
وقد تبعه اليها شعراؤه وحاشيته . وفي خلاه القبروان يقول ابن شرف من قصيدة رثائه

بعد خطوط خطبت مهجتي وكان وشك البين أمهارها
 ذا كبداً أفلاذها حولها وقسمت الغربة اعشارها
 اطفالها ما سمعت بالافلا قط فمادت الافلا دارها
 ولا رأت ابصارها شادئاً ثم جلت بالبحر ابصارها
 وكانت الافار آفاتها فمادت الافاق استارها
 ولم تكن تعلو سريراً علا الا اذا وافق مقدارها
 ثم علت فوق عشور الخطا ترمي به في الارض احجارها
 ولم تكن تلحظها مقلة لو كحلت بالشمس اشغارها
 فاصبحت لا تنتفي لحظة الا بان تجمع اشعارها

وأقام ابن شرف مدة بالمدينة مع زمرة شعراء الملك يخدم الامير المزمع وابنه تميا الى ان رحل عنها قاصداً جزيرة صقلية لما سمع عن كرم اميرها واليها لحنه رصيفه ابن رشيق وقد قدمنا انه كان وقع بينهما بالقيروان ما وقع بين جرير والفرزدق او بين الخوارزمي وبيدع الزمان . فلما اجتمعا بصقلية تسامحا واقاما بها زمناً ثم استعاض يوماً ابن شرف رفيقه علي جواز الاندلس فالتد حينئذ ابن رشيق البيهقي المشهور بين بين الخاص والعالم

مما يزهديني في ارض اندلس سماع مقتدر فيها ومعتضد
 القاب سلطنة من غير مملكة كالمهر يحكي انتفاخاً حولة الاسد

فاجابه ابن شرف بديهة

ان ترمك الغربة في معشر قد جبل الطبع على بغضهم
 فدارهم ما دمت في دارهم وارضهم ما دمت في ارضهم

واجتاز ابن شرف وحده الاندلس وسكن المرية وغيرها وتردد على ملوك طوائفها كالعباد ما ببليّة وغيرهم وبهذه المدينة . لاخيرة كانت وفاته سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ مسيحي) وخلف ابناً يدعى ابا الفضل جعفراً كان ادبياً مجيداً ايضاً اورد له العاد سيف خريرته وانفتح في فلانده قصائد وفصولاً تشهد له بطول الباع .

اما آليف محمد بن شرف فكثيرة على ما نقله الينا المؤرخون فمنها كتاب «ابكار الافكار» جمع فيه ما اختاره من نظمته ونثره وهو انفس مصنفاته (مفقود وقد يوجد منه شيء في بعض كتب الادب) . ومنها كتاب «اعلام الكلام» به نخب وملح (مفقود ايضاً) . ثم «رسائل الانتقاد» والمظنون انه ألفها بعد هجرته القطر التونسي

كما يستفاد من سياق كلامه في مقدمتها . وغيرها من هذه المصنفات الادبية النفيسة
وما نحن نأتي هنا على منتخبات ثرو شعر من كلام محمد بن شحرف ليرى القاري
براعة هذا المؤلف الجليل ومكانته من الادب

فمن نظمته في الشوق الى بلاده القيروان بمدة اقامة بالاندلس

يا قيروان وددت اني طائر فاراك رؤية باحث متأمل
يا وشهدتك اذ رأيتك في الكرى كيف ارتجاع صباي بعد اكمل
واذا تجدد لي أخ ومثام جدت ذكر أخ حليل أول
لا كثرة الاحسان تنسي حسرتي هيهات تذهب عني بمعمل
لو كنت اعلم ان آخر عهدهم يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل
وله في شكوى الزمان

انني وان عز في نيل المني لاري حرص الفتي حانز يدت كمي المدم
نقلدتني الليالي وهي مدبرة كأنني صارم في كف منهزم

وانشد في المعنى

عتاباً عسى ان الزمان له عني وشكوى فكشكوى الانت له القلب
اذا لم يكن الا الى الدمع راحة فلا زال دمع العين منه ملامسك
وقال ايضاً

وما بلوغ الاماني في مواعدها الا كأشعب يرجو وعد عرقوب
وقد تخالف مكتوب القضاء به فكيف لي بقضاء غير مكتوب
ومن شعره في الحكم قوله

احذر محاسن أوجه فقدت محاسن أنفوس ولو انها أقمار
سرج تلوح اذا نظرت فانها نور يضيء وان مسست فانار
وقوله

لا تسأل الناس والايام عن خبر هما يثانك الاخسار تطفيل
ولا تعاتب علي نقص الطباع أحياناً فان بدر السما لم يعط تكيلا
لا هو يسينك من أمر نصيبه فأنه قد يحجب التصيب تسهلا
مع من جفاك ولا تبخل بسلامته واطلب به بدلاً أن رام تبدلا
وصيد الارض داراً والورى رجلاً حتى ترى مقبلاً في الناس مقبولا

وله

إذا صحب الفتى سعد وجد تحامته المكاره والخطوب
ووفاه الحبيب بغير وعد طفلياً وناد له الرقيب

وله أيضاً

ياثاوياء في معشر قد اصطلى بنارهم
ان تبك من شرارهم على - يدي شرارهم
أو نوم من أحجارهم وانت في أحجارهم
فما بقيت جارم فني هوام جارم
وارضهم في ارضهم ودارم في دارم

ومن كلامه في التنزل قوله في ليلة أنس

ولقد نعمت بليلة حمد الحيا
جمع المائتين المصلي وانزوى
والكاس كاسية التميمص كأنها
هي وردة في خده وبكأسها
مني اليه ومن يديه الى يدي
بالارض فيها والسماء تذوب
فيها الرقيب كأنه مرقوب
لوناً وقدرا معمم مخضوب
تحت القناني عجمد مصبوب
فاشمس تطلع بيننا وتغيب

وقوله أيضاً

قامت تجر ذبول المصب والخبر
تخطو فتولي الحصان حليها بنذل
تلفتت عن طلائع وسنان واشتمت
ماله للعين نوم بعد ما ذكرت
تساقط العلل من فوق الفجور به
عن واضح مثل نور اروضه المطر
ليلا سمرناه بين الضال والسمير
تساقط الدر في اللبائ والثر

وله من خمرية سمية

خليل النفس لا تخلي الزجاجة
وجاهر في المدامة من يرآني
امط عنك الكرى والليل ساج
وهات علي اهتمام الروح راحا
إذا جحر الدجى في الجو ماجا
فما فوق البسيطة من يداجي
ودعد نلبس الظلاء ساجا
يعيد هموم النفس لها اقتراجا

إذا مرينها انتقد احمراراً صبينا المشتري فيها مزاجا
 وله بكيت دماً والقاصرات سوافر فلاحت خدود كلهن موزد
 وقد وقف الواشون في كل وجنة على محضر فيه المدامع تشهد
 وله يقول لي العاذل في لومه وقوله زور وبهتان
 ما وجه من احبته قبلة قلت ولا قولك قرآن
 وقال قل للعدول لو اطلعت لي الذي عانيت، أعناك ما يعنيني
 أنصدي أم للغرام تردني وتلومني في الحب أم تغريني
 دعني فليست معاقباً بجنايتي اذ ليس دينك لي ولا لك ديني
 وقال فيمن اسمه عمر

يا أعدل الناس اسماً كم تجور على فؤاد مضناك بالمجران والبين
 أظنهم سرقوك القاف من قر فابدلوها بعين خيفة العين
 وله ايضاً

غيري جنى وأنا المعاقب فيكم فكأنني سبابة المتندم
 وقال يمدح استاذہ الكاتب اما الحسن علي بن أبي الرجال

جاور علياً ولا تحفل بمحادثة اذا ادرعت فلا تسأل عن الأسئل
 اسم حكامه المسمى في الفعال فقد حاز العليين من قول ومن عمل
 فالماجد السيد الحر الكريم له كائنات والعطف والتوكيد والبدل
 زان الملا وسواه شأنها وكذا تميز الشمس في الميزان والحل
 وربما عابه ما يفخرون به يشتمن الخصر ما يهوى من الكفل
 سل عنه وانطق به وانظر اليه تعجب ملء المسامع والافواه والمثل
 ومن نظم في انواع شتى : قال في العود

سقى الله ارضاً أنبت عودك الذي زكت منه أغصان وطابت مفارس
 تنفي إليها الطير والعود اخضر وغنت عليه الغيد والعود يابس
 وقال في الدرهم والديار

الاربشي وفيه من أرف اسمه نواه لنا عنه وزجر وانذار
 فتنا بديار وحمنا بدرم وآخر ذا م وآخر ذا نار
 وقال من قصيدة في وصف سيف

ان قلت نارا أئندى النار ملهمة أو قلت ماء أيرى الماء بالشرر
وله من أخرى

وقد وخطت أرواحهم مفرق الدجى فبان باطراف الأسمه شائبا
ومن ثره ما كتبه مستعطفاً على محبوس في دين :

قد حكمت ! جن الاشباح . وهي سجون الارواح . فأمنن علي ماشئت منها بالسراح .
فالجلس نزاع الارواح . والعلة أخت الة لمة . وكلاهما فقد . ومهر للخطوب وقد . وانما
بينهما نفس متصاعد . وأجل متباعد . فالخلق منهما ما أجلت بما عجلت . وقد اخبرنا الدين .
الى يوم الدين .

ومن منشور كلامه في « أ بكار الأفكار » :

لما في عمر الامس . وطني سراج الشمس . لاحت بروق الثغور اللوامع . وجلجت
رعود الاوتار في المسامع . وبعث محارق وابن جامع . فلم يزل ذلك دابنا . ما أفلح
سحابا . حتى مسأنا جمعة . وكلنا نقول بالرجعة

وله في القرابة : الوجه بين اقاربه . كالوادي بن مذنبه . نجمين ماء . وتطلبين غلاء .
وفي المدواة : كم قاطعتك من راضعك . وقابحك من مالحك . وناققتك من وافقتك .
وناصبك من صاحبك . وحادك من وادك .

في انواع شقى : الجود أنصر من الجنود — من بخل بجماله . سمح بعرض آله — البازل
كثير العاذل — الكريم كثير الغريم — احذر الكريم اذا افتقر . والاثم اذا اقتدر —
احذر التي اذا أنكر . والذكي اذا فكر — المثل احد المتعين . والياس احد الصعين —
العشق احد الرقين . والسواحد العتقين — رث الكلام احد السفاحين . وموالة
القبل احد النكاحين — جميل الرد احد الجودين . وبقاء الذكر احد الخلودين — طول
الجود احد القبرين . وبقاء الشتاء احد العمرين — بش النصير التقصير — الخمار
خامر — من كثر فجره . وجب هجره — من كرمت خصاله . وجب وصاله — سحابة
صيف . وزيارة طيف — الوسيلة جناح النجاح — رب عين اذا رأت زنت — لاکرم
بن حرم — المستلم أحزم من المتسلم .

هذا ما قصدنا ايراده هنا على ان ما جئناه من كلام هذا الاديب البارع هو اطول
من ذلك وقد لاقينا صعوبات حمة في نظم ما تشئت اذ لا يوجد تأليف يحوي تراجم
فضلاء الفطر التودعي والله المسئول الاعانة
ح . ح . ع

بسم الله الرحمن الرحيم
رب أعن برحمتك

قال ابو عبد الله محمد بن مشرف القيرواني هذه احاديث صنعتها مختلفة الانواع .
مؤلفة في الاسماع . عرييات الموائم . غريبات التراجم . واختلفت فيها اخباراً
فصيحات الكلام . بديعات النظام . لها مقاصد طراف . واسانيد طراف . وروق الصغير
معناها . والكبير مغزاها . وعزوتها الى ابي الريان الصلت بن السكن من سلامان ^(١) .
وكان شيقاً همماً في اللسان . وبدراً تمكاً في البيان . قد بقي احقاباً . ولقي اعقاباً . ثم القته
الينامن باديته الازمات . واوردة . علينا العزمات . فامتنعنا من عدا بمرأ جارباً . وقدحنا
من فهمه زنداً وارياً . وادرنا من بره طرفاً . واجتنبنا من ثمره طرفاً . ونحن اذ ذاك
والشباب مقبل . وغفلة الزمان تهتل . واحتذبت فيما ذهبت اليه . ووقع تعريضي
عليه . من بث هذه الاحاديث ما رأيت الاوائل قد وضعته في كتاب كليله ودمته ^(٢)
فاضافوا حكمه الى الطير الحوائم . ونطقوا به على السنة الوحش والبهائم . لتعلق به
شبهوات الاحداث . وتستعذب بسمره الفاظ الحداث . وقد نجا بهذا الفخوسهل بن
هرون ^(٣) الكاذب في تأليفه كتاب النمر والشمل وهو شهر الحكايات . بديع المراسلات .

(١) سلامان (بفتح اوله) ماء لبني شيبان على طريق مكة الى العراق وبه مات
نوفل بن عبد مناف . قال حاتم :

اذا حال دوني من سلامان رملة وجدت توالي الوصل عندي أبداً

(من « معجم ما استعجم » لابي عبيد الله البكري ج ٣ ص ٧٧٦ طبعة غوتنغن سنة
١٨٧٦) . وفيما يظهر لنا ان ابن شرف اختار سلامان الذي هو اسم منزل لبني شيبان
تذكراً للقبيلة التي ينسب اليها احد اساتذته ومحبيه ابو الحسن علي بن ابي الرجال
الشيباني رئيس قلم الاشاء في دولة المعز بن باديس الصنهاجي كما ذكرناه في ترجمة المؤلف
(٢) كتاب كليله ودمته وضعه بيدبا الحكيم الهندي باللغة البهلوية ثم ترجم الى
الفارسية ومنها عربه عبد الله بن داؤدة بن المنقفع (١٠٩ - ١٤٥ هـ) على عهد ابي جعفر
المنصور العباسي .

(٣) ابو عمر سهل بن هارون بن راهبوت الدستيساني اصله فارسي وانتقل الى
البصرة واتصل بخدمة المأمون فتولى رئاسة خزانة الحكمة ببغداد وكان حكماً فصيحا

ملج المكاتبات . وزور أيضاً بديع الزمان الحافظ الحمذاني وهو الاستاذ أبو الفضل أحمد ابن الحسين^(١) مقامات كان ينشئها بديها في أواخر مجالسه وينسبها إلى راوية رواها له بسميه عيسى بن همام وزعم أنه حدثه بها عن بليغ يسميه أبا الفتح الاسكندري وعددها فيما يزعم روايتها عشرون مقامة إلا أنها لم تصل هذه العدة البتة وهي متضمنة معاني مختلفة . ومبنية على معاني ثقي غير مؤلفة . لينتفع بها من الكتاب والمحاضرين من صرفها من هنزل إلى جد . ومن ند إلى ضد . فاقمت من هذا النحو عشرين حديثاً أرجو^(٢) أن يتبين فصلها . ولا تقصر عما قبلها . ولعمري ما اشكر من نفسي . ولا أثني على شيء من حسي . الا ظفري بالاقبال مما حاولته على ما أضرمته نيران الغربة من قلمي . وثقله من هتات الفتن من لي . وقطعت أحوال البر والبحر من خواطري . واضعفت الوحشة والوحدة من غرائزي وبصائري . لكن نية القاصد وسعة المقصود . أعانا ذا الود على اتخاف المودود . والله أسأل توفيقاً . ينهج لنا إلى الرشد طريقاً .

فنها

قال محمد^(٣) وجاريت أبا الريان في الشعر والشعراء . وتنازلهم في جاهليتهم وإسلامهم^(٤) واستكشفت عن مذهبه فيهم ومذاهب طبقتهم في قديمهم شاعراً شعوبياً المذهب شديد التعصب على العرب . وله مصنفات كثيرة تدل على بلاغته وحكمته منها كتاب « قله وعفوه » وكتاب « نصمه وعصره » عارض بها كليله ودنة في أبوابه وأمثاله وزاد عليه بحسن الظلم . أما كتاب « النمر والشلب » الذي نسب إليه ابن شرف هنا فلم تقف على ذكره في تأليفه .

(١) بديع الزمان توفي سنة ٣٩٨ ومقاماته تبلغ أربعائة كما ذكره إبراهيم المصري القيرواني في كتابه « زهر الآداب » حيث قال « ان الذي سبب للبديع تأليف مقاماته هو أن رأى أبا بكر بن الحسين بن دريد قد أغرب باربعين حديثاً ذكر أنه استنبطها من يتابع صدره وأنقجها من معادن فكره على طبع العرب الجاهلية بالفاظ بعيدة وحشية فعارضه البديع باربعائة مقامة ٠٠٠ » إلا ان المتداول الآن بين الناس خمسون مقامة فقط طبعت بمصر وغيرها والمطلعون ان في عصر ابن شرف لم يصل إلى افرقية سوى عشرين منها^(٥)

(٢) بالأصل - أرجوا - (٣) من هنا فقط تبتديء النسخة الاندلسية -

(٤) وبالنسخة الاندلسية: في ذكر أهل النظام . وتنازلهم في الجاهلية والإسلام -

وحدثهم^(١) فقال له مرآة^(٢) أكثر من الاحصاء واشعارهم ابعد من شقة الاستقصاء .
فقلت لا اعتبك^(٣) باكثر من المأثورين . ولا اذكر راءك الا في المذكورين^(٤) مثل
الضليل والقتيل . ولبيد وعبيد . والتوايح . والعهود^(٥) . والاسود بن يعفر . وصخر النفي^(٦)
وابن الصمة دريد . والراعي عبيد . وزيد الخليل . وعامر بن الطفيل . والفردق وجريز .
وجميل بن ممر وكثير . وابن جندل . وابن مقبل . وجرول . والاخلط . وحسان في
هجائه^(٧) ومدحه . وغيلان في ميته وصيدحه . والمهذلي ابي ذؤيب^(٨) ومهم ونصيب .
وابن حلزة الوائلي . وابن الرقاق العاملي . وعنترة العبسي . وزهير المري^(٩) . وشعراء فزارة .
ومفلح بن زراره . وشعراء تغلب وبثرب . وامثال هذا النمط الاوسط كالرماح .
والطرماح . والطربس والدميني . والكعبت الاسدي . وحמיד المهلالي . وبشار
العميلي . وابن ابي حفصة الاموي . ووالبة الاسدي . وابن جبلة الحلبي . وابي نواس
الحكمي . وصريع الانصاري . ودعبل الخزاعي . وابن الجهم القرشي . وحبيب
الطائي والوليد الجعفي . وابن المعتز الهادي . وعلي بن العباس الروي . وابن رغبان
الحمصي . ومن الطبقة المتأخرة في الزمان . المتقدمة في الاحسان . كابي فراس بن
حمدان . والمتنبي بن عبدان . وابن جدار المصري . وابن الاصف الحنفي . وكشاجم
الفارسي . والصوري الحلبي . ونصر الخبزدي^(١٠) . وابن عبد ربه القرطبي . وابن
هاني الاندلسي . وعلي بن العباس الايادي^(١١) . التونسي . والقسطلي قال ابو الريان لند
سميت مشاهير . وابقيت الكثير . قلت بلى : ولكن ما عندك فيمن ذكرت . قال : اما
الضليل^(١٢) مؤسس الاساس . وبنياته^(١٣) عليه الناس . كانوا يقولون اسيلة الخلد

(١) هذه الجملة مفقودة من النسخة الاندلسية — (٢) بالنسخة الاندلسية : عدد
الشعراء . — (٣) وبالنسخة التونسية : اعتنك وهو الاولى — (٤) من ولا اذكر الى المذكورين
مفقود من النسخة الاندلسية — (٥) بالنسخة الاندلسية : المعنى — (٦) بالنسخة الاندلسية :
ومن سواء من انمي — (٧) بالنسخة الاندلسية : في اهاجيه — (٨) بالنسخة التونسية : وابو
ذؤيب المهذلي — (٩) بالنسخة التونسية : المزني وهو ايضا صحيح — (١٠) بالنسخة التونسية :
الخبزدي — (١١) بالنسخة الاندلسية : الايادي وعلي بن العباس الايادي هذا من
فحول الشعراء التونسيين خدم بشعره الامراء العبيديين او اسطال القرن الرابع وكان معاهم راء
لابي الفاسم محمد بن هاني الاندلسي (١٢) الضليل هو اسرو القيس بن حجر الكندي حامل
لواء شعراء الجاهلية — (١٣) بالنسخة التونسية : بذاته —

حتى قال أسيلة مجري الصبح . وكانوا يقولون تامة القامة وطويلة القامة وجيدة وتامة
 المنق واشباه هذا حتى قال بعيدة مهوى القرط ^(١) وكانوا يقولون في الفرس السابق
 يطبق الغزال والتظلم وشبهه حتى قال قيد الاوابد ^(٢) ومثل هذا له كثير . ولم يكن قبله
 من فطن لهذه الاشارات والاشارات غيره فامتثلوه بمد . وكانت الاشعار قبل
 سواذج . فبقيت هذه جدداً وتلك نوايح . وكل شعر بعد ما خلاها فغير رائق النسيج .
 وان كان النهج واما طرفه فلو طال عمره . لطال شعره . وعلا ذكره . ولقد خسر
 باوفر نصيب من الشعر . على ايسر نصيب من العمر . فحلاً ارجاء ذلك النصيب
 بصنوف من الحكمة . واوصاف ^(٣) من علو الهمة . والطبع معلم حاذق . وجواد سابق
 واما الشيخ ابو عقيل فشعره ينطق بلسان الجزالة . عن جنات الاصاله . فلا تسمع له الا
 كلاماً فصيحاً . ومعنى مبيتاً صريحاً . وان كان شيخ الوقار . والشرف والفخار . لبادئات
 في شعره وهي دلائله . قبل ان يعلم قائله . واما العباسي ^(٤) فنجيد في اشعاره . ولا كملقه
 فقد انفرد بها انفراد سبيل . وخبر في وجوه الخيل . وجمع فيها بين الحلاوة والجزالة .
 ورقة الغزل وغلظة البسالة . واطال واستطال . وامن السامة والكلال . واما زهير فاي
 زهير . بين لهوات زهير . حكم فارس . ومقانات الفوارس . ومواعظ الزهاد .
 ومعتبرات العباد . ومدح بكسب الفخار . ويبقى بقاء الاعصار . ومعاتبات مرة تحسن .
 ومرة تحشن وتارة تكون هجواً . وطوراً تكاد تمود شكر . واما ابن حنزة ^(٥) فسهل الحزون . قام
 (١) لم نعثر في شعر امرئ القيس على هذه الجملة ولا التي قبلها . واول من استعمل لفظ
 القرط في نظمه هو عمر بن ابي ربيعة حيث يقول :

بعيدة مهوى القرط اما لتوفل ابوها واما عبد شمس وهاشم
 كما ان الاخطل هو اول من وصف الخلد بالسهولة وذلك في قوله :
 اسيلة مجرى الدمع اما وشاحها نجار واما الجبل منها فما يجري
 « ٢ » إشارة الى قول امرئ القيس :

وقد اغتدى والطير في وكناتها بمنجود قيد الاوابد هيكل

وهذا البيت يعد من ابتداعات امرئ القيس ومخترعاته

« ٣ » من هنا ابتدئنا القصة بالنسخة التونسية فاقمنا ما ضاع من النسخة الاندلسية

« ٤ » العباسي هو حنزة بن شداد « ٥ » هو الحارث بن حنزة بن مكروه بن يزيد

اليشكري البكري احد شعراء الجاهلية المحيدين

خطيباً بالموزون . والمادة ان يسهل شرح الشعر بالثر . وهذا اسهل السهل بالوعر . وذلك مثل قوله :

أبرموا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لم ضوضاء ^(١)

من مناد ومن مجيب ومن تعه هال خيل خلال ذاك رضاء

فلما اجتمع كل خطيب ناثر . من اول وآخر . بصفون سفرأ . نهضوا بالاسفار . وعسكراً تنادي بالنهوض الى طلب الثار . ما زادوا على هذا ان لم يتقصوا منه . ولم يقصروا عنه . وسائر قصيدة . في هذا السلك شكاية وطلاب نصفه . وعتاب في عزة وانفة . وهو من شعراء وائل . واحد اسنة هاتيك القبائل . واما ابن كثوم فصاحب واحدة بلا زيادة انطقه بها عن الظفر . وهزه فيها جن الاثر . فقه تمت رعوده في ارجائها . وجمعت رحاه في اثائها . وجعلتها خلب قبائها التي تصلي اليها . وملتها التي تمتد عليها . فلم يتركوا إعادتها . ولا خلعوا عبادتها . الا بعد قول القائل :

ألمى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كثوم ^(٢)

على انها من القصائد المحققات . واحدى المعلقةات . واما النابغة زياد فاشعاره الجياد لم تخرج عن نار جوانحه حتى تنامي نضجها . ولا قطعت من منوال خواطره حتى تكاثف نسبها . لم تهملها مبيعة النجاب . ولا وهاء الاسباب . ولا لوم الاكتساب . فشعره وسائط سلوك . وتيجان ملوك . واما النابغة الجعدي فبقي الكلام شاعر الجاهلية والاسلام واستحسن شعره افصح الناطقين . ودعاه له اصدق الصادقين . وكان شاعراً في الانقطار والثناء . قصير الباع لشرفه . عن تناول الهجاء . وكان مغلوباً فيه . في الجاهلية . وطريد لبلى الاخياة . واما المشي باجمعهم فكلهم شاعر . ولا كيمون بن قيس شاعر المدح والمجاء . والياس والرخاء . والتصرف في الفنون . والسعي في السهول والحزون . نفق

« ١ » البيتان من معلقته المشهورة التي مطلعها :

آذنتنا بينها اسماء . رب ناه بعل من النواء

يقال انه ارتحلها بين يدي عمرو بن هند في شيء كان بين بكر وتغلب بعد الصلح وكان يفتده من وراء سبعة سنور فامر عمرو برفع الستور عنه استخساناً لها . وتروى أجمعوا بدل أبرموا .

« ٢ » قائل البيت مجهول واتبه ابن قتيبة بيت آخر هو :

يفأخرون بها مذ كان اولهم بالرجال لشعر غير مسوم

مدحه بنات الحلق وكان في فقر ابن المذلق وابكى مجره علقمة^(١) كما تبكى الأمة
 واما الاسود بن يعفر فاشعر الناس اذا ندب دولة زالت اوبكى حالة حالت او وصف
 ريعاً خلا بعد عمران او داراً درست بعد سكان فاذا سلك هذا السبيل فهو من
 حشو وهذا القبيل كهمرو وزيد وسعد وسعيد واما حسان فقد اجثت بواكر غسان
 ثم جاء الاسلام وانكشف الاطلاق فجاحش عن الدين وناضل عن خاتم النبیین
 فشعر وزاد وحسن واجاد الا ان الفضل في ذلك لرب العالمين وتديد الروح
 الامين واما دريد بن الصمة فصمة صم وشاعر جشم وغزل هرم واول من تنزل
 في رثاء وهزل في حزن وبكا فقال في معبد اخيه قه يدهته المشورة يرثيه :

ارث جديد الحبل من ام معبد^(٢) وهي من شاجيات الدوائج وباقيات المدائح
 واما الراعي عبيد فجل على وصف الابل فصار بالراعي يعرف ونسي ماله من الشرف واما
 زيد الخيل فخطيب سجاعة وفارس شجاعة مشغول بذلك عماماه من المسالك واما عاصر
 ابن الطفيل فشاعرهم في الفخار وفي حماة الجار واوصفهم لكريمة وابعثهم لحيد شيمة
 واما ابن مقبل فقديم شعره وصليب نجره ومغلى مدحه ومغلى قدحه واما جرول
 فغيث مجاؤه شريف ثناؤه صحيح بناؤه رفع شعره من الثرى وحط من الثريا
 واعاد بلطفه فكره وثانة شعره قبيح الالقاب فخرأ ببقى على الاحقاب ويشوارث
 في الاعتقاب واما ابو ذؤب فشدید اسر الزعر حكيمه شغله فيه التجريب حديثه
 وقديمه وله المراثية النقية السبك المتينة الحبك بكى فيها بنيه السبة ووصف الحمار
 فطول وهي التي اولها امن المنون ورثيه تنوجع^(٣)

واما الاخطل فبعد من سعود بن مروان صف لهم مرآة فكره وظفروا بالبديع
 من شعره وكان باقة من حاجاه وصاحقه من هاجاه واما الدارمي همام^(٤) فجوهر

« ١ » هو علقمة بن علاثة هجاء اعشى ميمون دفاعاً عن عاصر بن الطفيل بآيات طالعها :

علقم ما انت الى عاصر التا . قض الاوتار والواتر

« ٢ » قال ابن النكلي : لا اعلم مرثية اولها نسب الا قصيدة دريد بن الصمة (عمدة :

باب الرثاء) .

ارث جديد الحبل من ام معبد بعافية قد اخلفت كل موعد

« ٣ » وبقية البيت : والده ليس بمعتب من يجزع

« ٤ » الدارمي همام هو الفرزدق الشاعر المشهور

كلامه . واغراض سهامه . اذا انفخر بملك ابن حنظلة . وبدارم في شرف المنزلة .
 واطول ما يكون مدى اذا تطاول اخيار جرير عليه بقليله على كثيره . وبصفيره على
 كبيره . فانه يصادمه حينئذ بحر ماد . ويقاومه بسيف حاد . واما ابن الخطمي^(١)
 فزهدي في غزل . وحجري في جدل . يسبح اولاً في ماء عذب . ويطمح آخرأ في صخر
 صلب . كلب مناجمة . وكبشر مناطحة . لا تنفل غرب لسانه مطاولة الكفاح . ولا تدمي
 هامته مداومة النطاح . جاري السوابق بمطية . وفاخر غالب بعطية . وبلانته بلاغته
 الى المساواة . وحملته جرأة . على الجسارة . والناس فيها فريقان . وبينها عند قوم
 فريقان . واما القيسان^(٢) وطبقتهما طبقة عشقة . توفة . استحوذت الصبابة على
 افكارهم واستفرغت دواعي الحب معاني اشعارهم فكلهم من غول بهواه لا يتعداه
 الى سواء . واما كثير فحسن الانسب . فيجده لطيف العتاب مليحه شعبي الاعتبار
 قريحه جامع الى ذلك رقائق الطرفاء . وجزالة مدح الخلفاء . واما الكميث والرماح
 ونصيب والطرماح فشعراء معاصرة ومتناقضات ومفاخرة . فتصيب امدح القوم
 والطرماح اجماع . والرماح انسبهم نسباً والكميث اتبهم تنبيهاً . واما بشار بن برد
 فاول المحدثين وآخر المخفرمين ومن لحق الدولتين عاشق سمع وشاعر جمع .
 شعره يفتق عند ربات الجبال . وعند غول الرحائب فهو يلين حتى يستمطف .
 ويقوى حتى يستنكف . وقد طال عمره وكثر شعره وطأ بحره ونقب في البلاد
 ذكره . واما ابن ابي حفصة^(٣) فمن شعراء الدولتين ومن حظي بالثمتين ووصل الى
 الغنى بالصليتين وكان درب المعول ذرب المقول والمد شعراء ونخب فصحاء .

(١) ابن الخطمي هو جرير بن عطية بن الخطمي التميمي الشاعر المشهور المتوفى سنة

١١٠ . وكانت بين جرير هذا والغزدق مهاجمة وتناقض مثبته بتأليف خاص

(٢) اولهما : قيس بن الملوح مزاحم بن قيس العامري المشهور بمجنون ليلى واشعاره
 فيها متداولة بين الناس . وثاني القيسين هو قيس بن ذريح الكناني رضيع الحسن
 ابن علي بن ابي طالب توفي في حدود ايام عشرين للهجرة . وغالب اشعاره في معشوقته لبني
 بنت الحباب

(٣) هو ابو اسحق مروان بن ابي حفصة سليمان بن يحيى بن ابي حفصة يزيد من
 الشعراء المجدين والفحول المتقدمين ولد سنة ١٠٥ . وتوفي عام ١٨١ بغداد وله نوادر
 كثيرة تراجع بمعاجم التراجم

واما ابونواس . فاولـ الناس في خرم القياس وذلك انه ترك السيدة الاولى .
ونكب عن الطريقة الخلى وجعل الجد هزلا والصعب سهلا فهلّل المسرد وبلبل
المتضد وخلخل المنجد وترك الدعائم وبني على الطامي والعائم وصادف الافهام قد
نكالت واسباب العربية قد تخالخت وانحلت والفصاحات الصحيحة قد سئمت وملت .
فقال الناس الى ما عرفوه وعلقت نفوسهم بما القوه فتهاذوا شعره واغلاوا سحره .
وشغفوا باسخفه وكلفوا باضعفه وكان ساعده اقوى ومراحه اضوا لكنه عرض
الاتقى واهدى الاونق وخائف فشهر وعرف واغرب فذكر واستعارف والعوام
تختار هذه الاعلاق واسواقهم اوسع الاسواق فشرابي نواس نافق عند هذه
الاجناس كاسد عند انتقد الناس وقد فطن الى استضعافه وخاف من استخفافه .
فاستدرك بنفسه طرده طرفا حد الاسان وحدوده وهو محدود في كثرة التظاهر على
من غرض منه بالحقى الظاهر ليس الاخفة روح المجون وسهولة الكلام الضعيف
المنحون على جمهور العرام لا على خواص الانام واما صريح " فكلاه مرصع ونظامه
مصنع وجملة شعره صحيحة الاصول ، مصنعة الفصول قليلة الفصول واما العباس بن
الاحنف فعتزل بهواه وبمجزل عما سواه دفع نفسه عن المدح والمجاء ووضعها بين
يديه هواه من الدناء قدرق الخفف كلامه وثقت قوة الطبع نظامه فله رفة
الشاق وجودة الخذاي واما دعبل فديد مقبل اليوم مدح وغدا قدح يجيد في
الطريقتين ويسى^١ في الخليقتين وله اشعار في العصبية وكان شاعر علماء وعالم
شعراء واما علي بن الجهم فرشيق القهم راشق السهم استوصل شعره الشرفاء ونادم
الخلقاء وله في الغزل الرصافية وفي المتاب الدالية ولولم يكن له سواهما لكان
(١) صريح الغواني لقب لشاعرين الاول القطامي واسمه عمير بن شيثم ابن اخت
الاخطل سمي بذلك لقوله :

صريح غوان راقن ورقه لئن شب حتى شاب سود الذوائب
والثاني وهو الذي قصده ابن ثرف هنا هو مسلم بن الوليد الانصاري من شعراء
الدولة العباسية لقبه الرشيد بصريح لقوله :

هل العيش الا ان تروح مع الصبا وتمدو صريح الكاس والاعين النجل
ومولده مسلم بالكوفة ووفاته سنة ٢٠٨ هجرية وهو فيما زعموا اول من قال الشعر
المعروف بالبديع

اشعر الناس بها واما الطائي حبيب فشكاف الا انه يصيب ومتعب لكن له من الراحة نصيب وشغله المطابقة والتجسس حب ذلك اويس جزل الماني مرصوص الماني مدحه ورتاؤه لا غزله ومجاؤه طرفا تقيض وخطبا ساء وحضيض وفي شعره علم جم من النسب وجملة وافرة من ايام العرب وطارت له امثال وحفظت له اقوال ودويان، مقرو وشعره متلو قال ابن بسام اما صفته هذه لاني تمام فنصفه لم يثن عطفها حمية ولا تعلقت بذيلها عصبية حتى نوسمها حبيب لا تغذها قبله واعتمدها ملة فالام من ادب وان اوجع ولا سب من صدق وان افزع واما المجتري فلفظه ماله شجاج ودرر رجراج ومعناه سراج وهاج على اهداء منهاج يسبقه شعره الى ما يجيش به صدره يسر مراد ولين قياد ان شربته ارواك وان قدحته ارواك طبع لا تكلف بعينه ولا العناد يثنيه لا يمل كثيره ولا يستكلف غزيره لم يهف ايام الحلم ولم يصف زمن الهرم واما ابن المعتز فلك النظام كما هو ملك الانام له التشبيهات المثلية والامتناعات الشكلية والاشارات الشعرية والبارات الحمرية والتصاريف الصنوفية والطرائق الفنية والافتخارات الملوكية والمئات السلوية والغزل الرائق والعتاب الشائق ووصف الحسن الفائق

وخير الشعر اكرمه رجالا وشر الشر ما قال العبيد^(١)

واما ابن الرومي^(٢) فشجرة الاختراع وثمره الابتداع وله في الهجاء ما ليس له في الاطراء فقم فيه ابوابا ووصل منه اسبابا وخلع منه اثوابا وطوق فيه رقابا يبقين اعمارا واحقابا يطول عليها حسابه ويمحق بها ثوابه ولقد كان واسع العطن لطيف الفطن الا ان الغالب عليه ضعف المريرة وقوة المرة واما كشاجم فخكيم شاعر وكاتب ماهر له في التشبيهات غرائب وفي التأليفات عجائب يجيد الوصف ويحققه ويسبك المعنى فيرققه ويروقه واما الصنوبري ففصح الكلام غريبه مليح التشبيه عجيبه مستعمل لشواذ القوافي يفضل كدرتها عجايب فهمه الصوافي فيجول وتلدق وتمذب وترق^(٣) وهو وحيد^(٤) جنسه في صفة الازهار وانواع الانوار وكان في بعض اشعاره

(١) البيت للفرزدق هجا به نصيبا وقد يروى : اشرفه رجالا عوض اكرمه رجالا

(٢) هنا ينتهي النقص الذي بالنسخة التونسية

(٣) بالنسخة التونسية : فيل ويدق ويعذب ويرق

(٤) بالنسخة التونسية : جيد جنسه

بخالف وفي بعضها يتشاجع وقد مدح وحجا ونثر^(١) وشرجبا وأعجب شعره وأطرب
 وشرق وغرب ومدح من أهل إفريقية أمير الزاب جعفر بن علي^(٢) منفق سوق^(٣)
 الآداب فوصله بالف دينار بعثها إليه مع ثقات التجار^(٤) وأما الخبززي^(٥) فخلج
 الشعر ما جئته رائق اللفظ بآئنه كثيرة محاسنه صحيحة اصوله ومعادنه رائقة
 البزة مائلة إلى العزة تسليه عن الحب الخيانة ويروقه الرقاء والصيانة وله على خـونة
 خلقه وصعوبة حلقه اختراعات لطيفة وابتداءات ظريفة^(٦) في الفاظ كثيفة وفصول قليلة
 الفضول نظيفة حتى أن بعض كبراء الشعراء اهتموا بشيء من مبادئه واحتضن طرفاً^(٧)
 من معانيه وهو من معاصريه فقل من فطن لمراميه وأما أبو فراس بن حمدان
 ففارس هذا الميدان أن شئت ضرباً أو طعننا أو اظكروه حتى ملك زمانا وملك اناؤكان
 اتعر الناس في المملكة واترهم في ذل الملكة^(٨) ولها الفخريات التي لانه ارض والامريات
 التي لاناقض^(٩) وأما المنفي فقد شغلت به اللسن وسهرت في اشاره الميون الاعين
 وكثر الناسخ لشعره والآخذ لذكره والغائص في بحره والمنقش في ذره عن جهانه^(١٠)
 ودره وقد طال في الخلاف وكثر عنه الكشف وله شيمعة تفلو^(١١) في مدحه وعليه خوارج
 تنعابا في جرحه والذي اقول ان له حسنات وسيئات وحسناته أكثر عدداً واقوى مدداً
 وغرائب طائرة وامثاله نائرة وتلمه فسيح ويمزه صحيح يروم فيقدر ويدري ما يورد ويصدر
 قال أبو الريان^(١٢) هذا ما عندي في شعراء المشرق وقد سميت لي من متأخري شعراء

- (١) بالنسخة الاندلسية: مر بدل نثر - (٢) هو أبو علي جعفر بن علي بن أحمد
 ابن حمدان أمير الزاب من أعمال إفريقية ومؤسس مدينة الميالة بالمغرب وقد حاربه
 الأمير بلكين الصنهاجي صاحب القيروان واستظهر عليه ففر جعفر إلى الأندلس وبها
 قتل سنة ٣٦٤ هـ ولأبي القاسم محمد بن هاني الشاعر الأندلسي في جعفر المذكور مدائح
 فائقة تراجع في ديوانه - (٣) بالنسخة التونسية: سلم عوض سوق - (٤) من بعثها
 إلى التجار مفقود بالنسخة الاندلسية - (٥) الخبززي ويروي أيضاً الخبزأرزي هو أبو
 القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن ميمون الأعرابي البصري المتوفى سنة ٣١٠ (٦) بالنسخة
 الاندلسية: طريفة - (٧) بالنسخة الاندلسية: طرقات عوض طرفاً - (٨) بالنسخة
 الاندلسية: الملك عوض الملكة - (٩) بالنسخة الاندلسية: نهاض - (١٠) بالنسخة
 الاندلسية: حمائم (١) بدل حمائم - (١١) بالنسخة: تغلو (١٢) من قال أبو الريان
 إلى فاما ابن عبد ربه مفقود من النسخة الاندلسية

المغرب من الممري لا يبعد عن معاصرهم ولا يتصرعن سابقهم فلما ابن عبدربه القرطبي وان بعدت عنك دياره^(١) فقد عاقتنا اشعاره ووقفنا على اشعار صوته الانية وتكفيرات توبته الصدوقة ومدائح الروائية وطاعته في البياية وهو في كل ذلك فارس ممارس وطاعن مداعس واطلعنا في شعره على علم واسع ومادة فهم مضي ناصع ومن تلك الجواهر ناعم عقد وتركه لمن يجمل بعده واما ابن هاني محمد الاندلسي ولادة القيرواني وفادة وافادة فرعدي الكلام مردي النظام^(٢) مثنى المباني غير ممكن المعاني يحفو بسط باعن الاوهام حتى تكون كنقطة النظام الا انه اذا ظهرت معانيه في جراحة مبانيه رمى عن مخيق يوتر في البقي وله غزل قفري لا عذري لا يقع فيه بالطيف ولا يتغم فيه^(٣) بقير السيف وقد نوه به ملك الزاب وعظم شأنه باحزل الثواب وكان سيف دولته في اعلاء منزلته من رجل يستمعين على صلاح دنياه بفساد اخراه لرداة غلته ورقة دينه وضعف بتيته ولو شغل لم تضق عليه^(٤) معاني التعر حتى يستعين ثلثها بالكفر واما القسطلي^(٥) فشاعر ماهر عالم بما يقول تشهد له العقول بان الآخر بالمرس المقدم في النهر حاذق^(٦) بوضع الكلام في مواضعه لا سيما اذا ذكر ما صابه في الفتنة وشكا ما دهاه في ايام المحنة وبالجملة فهو اشعر اهل مغربه في ابعد الزمان واقربه واما علي التونسي فشعره المورد العذب ولفظه اللؤلؤ الرطب وهو يجتري الغرب بصف الحمام فيروق الانام وبشيب فيعشق ويحب ويمدح فيمنح أكثر ما يمنح

هذا ما عندي في المتقدمين والمتأخرين على احتقار المعاصر واستصغار الجاهل .
فخاش لله من الاوصاف بقلة الانصاف للبعيد والقريب والعدو والحيب قلت :
يا ابا الريان^(٧) أكثر الله مثلك في الاخوان ووقاك محذور الزمان ومرور الحدثن فلقد

(١) بالنسخة التونسية : وان بعدت عنا ذكره — (٢) من مثنى الى كنقطة النظام

مفقود من النسخة الاندلسية

(٣) بالنسخة الاندلسية : يشبع بدل يشفع — (٤) بالنسخة التونسية : عنه بدل

عليه — (٥) القسطلي هو ابو عمر احمد بن محمد بن دراج القسطلي الاديب المطبوع المتوفى سنة ٤٢١ هجري والقسطلي نسبة الى قسطلية إحدى الولايات بجزيرة الاندلس

(٦) بالنسخة الاندلسية : يوقم بدل يوضع — (٧) من قوله أكثر الله الي محذور الزمان

مفقود من النسخة الاندلسية

سبكت فها وحشيت علما^(١)

قال محمد قلت لابي الريان في مجلس عقيب هذا المجلس يا ابا الريان لقد رأيت لك نقداً مصيباً ومرمى عجيباً ولقد ارجى في ان اتال من نصيبا قال النقد هبة الموالد . وفيه زيادة طارف الى تالك ولقد رأيت ظمأ بالشعر ورواة له ليس لم نقاد في نقده ولا جودة فهم في رديه وجيده وكثير من لا علم له بفطن الى غوامضه والى مستقيمه ومتناقضه قلت انا شديد الرغبة الى فضلك في ان تسهمني من ميزك وعقلك ما استهدي بسراجي على مستقيم منهاجه فاقت من سرائره على بعض ما اوقفت واعرف من مفاخره ومعانيه جزءاً مما عرفت قال نعم اول ما عليه تعتمد واياه تعتقد ان لا تجعل بامتحان ولا باستقباح ولا باستبراد ولا باستملاح حتى تنعم^(٢) النظر وتستخدم الفكر واعلم ان العجلة في كل شيء موطن لزلق ومركب زهوق فان من الشعر ما يملأ لفظه المسامع ويرد على السامع منه قعاقع فلا يركع تماخذه مبناه وانظر الى ما في سكونه من معناه فان كان في البيت ساكن فذلك المحاسن وان كان خالياً فاعده جساماً باليا وكذلك اذا سمعت الفاظاً مستعملة وكلمات مبتذلة فلا تجعل باستضعافها حتى ترى ما في اضعافها فكم من معنى عجيب في لفظ غير غريب والمعاني هي الارواح والالفاظ هي الاشباح فان حسناً فذلك الحظ الممدوح وان فجع احدهم فلا يكن الروح قال: وتحفظ عن شينين احدهما ان يحملك اجلال القديم المذكور على العجلة باستحسان ما تسمع له والثاني ان يحملك اصغارك المعاصر المشهود على التهاون بما انشدت له . فان ذلك جور في الاحكام وظلم من الحكام حتى تمحص قولها فحينئذ تحكم لها او عليها وهذا باب في اغتلاقه استصعاب وفي صرف العامة وبعض الخاصة عنه اتعاب وقد وصف تعالى في كتابه الصادق تثبت القلوب بسيرة القديم ونقارها من الحديث الجديد فقال حاكيها لقولم انا وجدنا آباءنا على أمة وقال لن نعبد الا ما وجدنا عليه آباءنا وقد قلت انت :

(١) هنا تنتهي النسخة الاندلسية وفي آخرها ما نصه : « نجزت المقامة باسمها والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد خاتم النبيين وعلى اخوانه من الانبياء والمرسلين وسلامه اه » ثم عقب ذلك بخط غيره « مقوط » طالعته في موفى سنة خمس وخمسمائة « وعليه فتكون النسخة الموجودة الآن باسبانيا كتبت قريباً من عهد المؤلف (راجع ترجمته بالمقدمة) (٢) تنعم مثل تمنع

أغري الناس بامتداح التقديم وبذم الجديد غير ذم (١)
ليس الا لانهم حسدوا الحسبي ورفقوا على العظام الرميم
وقلت في هذا المعنى :

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً ويرى للاولائل التقديماً
ان ذاك القديم كان جديداً وسيغدو (٢) هذا الجديد قدماً
فلا يركك ان تجري على مباح الحق في جميع الخلق فيه قامت السموات والارض
وبه احكم الابرام والنقض وسأمثل لك في ذلك مثلاً واملاً اسماءك، قالوا وفهمك
عدلاً واعتدالاً
ينبع



مخطوطات ومطبوعات

حاضر الاسلام ومستقبله

تأليف الأستاذ مونت من كلية جنيف (سويسرا) طبع على نفقة المكتبي بول كونر
بياريز ص ١٥٧

M.E. Montet . De l'Etat présent et de l'avenir de l'Islam.
Librairie Paul Geuthner, Paris

في رجال العلم في الغرب فئة قليلة تجردت نفوسهم عن الغايات فاذا اصدروا حكمهم
على امر يصدرونه اقرب الى الصحة احياناً اكثر من تربوا تربية القرون الوسطى
وتشبهوا بافكار اهلها او نزعوا منزلاً سياسياً فصارت اقوالهم واقوالهم تصدر وهي ترشح
من مادة سياسية دولتهم . ومن اهل تلك الفئة الفاضلة الاستاذ مونت من جامعة جنيف
في سويسرا التي ست محاضرات في حاضر الاسلام وماضيه باللغة الفرنسية في «كوليج
دي فرانس» بباريز وهي دار العلم العامة ونشرها في كتاب ارسل البنا لبدي رأينا فيه
فراًنا ان تلخص اقواله اولاً ثم نعقب عليها اذا وجدنا داعياً قال في المحاضرة الاولى في
الابحاث الاسلامية واحد ، نفوس اهل الاسلام وان اشار دينهم ان فرنسا والمانيا

«١» اورد البيهتين العلامة الشريشي في شرحه الكبير لمقامات الجريري «ج ١
ص ١٢» وروى : اولع بدل اغري والحديث بدل الجديد ومالوا عوض رفقا
وقوله «ذم» اصلها «غير الذم» كما انه اورد لفظ «ورقوا» في البيت الثاني
والاحسن عندي ان تقرأ «فرقوا» «٢» بالاصل : سيفقدوا

وبريطانيا العظمى وهولاندة هي الدول التي لها علاقة كبرى بالمسلمين لان لها في مستعمراتها ملايين منهم تابعين لها وان طبائع الحكومات الخاضعين لها تختلف باختلاف طبائعهم فيمكن ارجاع المسلمين المحكوم عليهم في آسيا وافريقية الى ثلاثة اقسام كبرى المنود والمالايو والافريقيون وانه يؤثران بتكلم على المسلمين الخاضعين لفرنسا بنوع خاص ولا يتعرض لمسلمي الهند وجاوه وسومطرا الا بالعرض

المسلمون البربر يخشعون في طبائعهم عن مسلمي العرب او الفرس او الهندو او
الصينيين او المالايوكا تخلف النصرانية اذا نظر اليها نظراً اجمالياً لانها تختلف باختلاف
طبائع اهلها بحسب الاقاليم اوروبية كانت او اميركية او افريقية او آسيوية
اذا نظر الى البلاد الاسلامية من حيث مجموعها يتأتى ان يقال له الاسلام في الجملة منتشر
في جزء عظيم من قارة آسيا وجزء متله من قارة افريقية وفي بلاد عظيمة جداً من
ماليزيا ودع عنك النازلين من اهل الاسلام في قارتي اوربا واميركا وعدوم فيها لا
يستهان به

واذا جئنا نحصي عدد المسلمين كان افرنسا في افر بقية منهم ٢٣٦١٠٨٦٠٠٠ وربما بلغ المسلمون تحت علم انكلترا ٦٨٦٠٠٠٠٠٠٠٠ وتحت حكم هولاندة ٣٨٦٩٣٨٠٠٠ منهم زهاء ثلاثين مليوناً في جاوة والمسلمون في الصين ثلاثين مليوناً اما سائر بلاد الاسلام فليس لها احصاء يستمد عليه الا مصر ويدهم فيها ١٠٦٣٦٩٦٠٠٠٠ وسكان المملكة العثمانية ٢٤ مليوناً القسم الاعظم منهم مسلمون وفي ايران تسعة ملايين وفي مراکش مثلهم او اقل او اكثر فيبلغ عدد من يتبعون الاسلام في العالم من ٢٠٠ الى ٢٥٠ مليوناً . ولم يقف الاسلام عند حد البلاد التي انتشر فيها بل تعداها الى غيره شأن انا صبيت فيه زيتاً اكثر مما يسع ففاض على جوانب الآية

انتشر الاسلام بسرعة منذ اول ظهوره وقبيل في الاديان التي شابهته ونبث دعوته الى اليوم مثله وان النجاح الذي صادفه منذ انتشاره قد كان داعياً الى القول في اسبابه خطأ اذ عجب الناس كيف انتشرت سلطة محمد واصلاحه خارج جزيرة العرب وقال القائلون ولا يزالون يقولون ان الاسباب الداعي الى انتشار الدين الاسلامي تد كان منبهاً من اسباب زمانية كانت من طبيعة محمد والخلفاء الاول وقبل كل شيء دعت اليها القوة وقوة السيف ولكن الواقع قد كذب هذا الظن اذ لم ينظر الناظرون الى الاسباب الخفية التي نشأت منها سرعة انتشار الدعوة الى هذا الدين

لا شك عندي بان مبادئ الإصلاح الاسلامي كانت بداءة بدء دينية صرفة . فكان محمد رسولاً على نحو ما عرف المبرانيون رسلاً مثله فقام باعتقاد خالص واثق على الوثنية وتوخى ان ينقذوا ابيه من دين يبري سخيـف وان يخرجهم من حالة سفيـة الاخلاق والمدنية منخطة كل الانحطاط . فلا مجال الى الشك اذاً في اخلاصه وحماسته الدينية التي كانت متشبعة بها نفسه وفكره فقام يدعو بعواطفه الى اصلاحه في مكة ثم في المدينة

ولما نقل مركز اصلاحه الى يثرب لم يلبث عنصر جديد ان يتضم الى ارادته الإصلاحية وهذا العنصر هو الامور الوطني العربي والفكر الذي اخذ يسري في عقله بتوحيد بلاد العرب توحيداً سياسياً فنتجاً بعد ذلك فكر الإصلاح الديني الى فكر جمع كلمة القبائل العربية تحت سلطة دينية وسياسية واحدة ومن هناك نشأت جرثومة مزج السلطين الدينية والمدنية اللتين تجلي امرهما في الحضارة الاسلامية وكانت سبب عظمتها ومجدها كما ان بذلك يعل سبب انحطاطها وخرابها وبهذا ساغ ان نميز بين انتشار الدعوة الاسلامية باديء بدء ووعظ القرآن والهداية الدينية وبين الفتح الحربي وتوحيد سياحة العالم العربي . وهذا التمييز الاسامي الجوهرى لا يفجأ به انسان يجرب في دروس التاريخ الديني فان مؤرخي الإصلاح الذي نام به لوثيروس وكلفن شاهدون بما كانت للسياسة من السهل في نشر المذهب البرتستانتي . وحقاً ان كبار المصلحين في القرن السادس عشر كانوا ارباب وجدانات واخلاق ونوابغ في الدين من الطراز الاول ولكن جذبهم تيار السياسة في عصرهم فعملوا على ان يديروه بحيث يوافق رغائبهم الدينية

وان في تاريخ البابوية امثلة لا تقل عن ذلك في الظهور والدلالة على الصلة الشديدة بين النشوء البشري بين المصالح الروحية والمصالح السياسية والاعتبارات الدينية والاعتبارات العملية والمادية

ولقد ذهب بعضهم مذاهب اخرى في تأويل هذه القضية المعروفة في سرمة انتشار الاسلام لاول امره وارى ان من السائئين من اوغلوا في تعليل الاسباب على حين يكفي كما يبين ان تعتبر الاسباب الذاتية الاعتيادية في حياة كل مجتمع بشري فقال بعضهم ان القوة في انتشار هذا الدين نشأت من طبيعة هجرة العنصر العربي الذي كان يبحث عن مخرج يخرج اليه من ارضه لان بلاده كانت خيفة لا تكفيه وزعم آخرون ان السبب

في انتشار النصر العربي والهجرة التي انتهت في القرن السابع للميلاد بنشر الاسلام في جزء مهم من بلاد الشرق كان مبعثاً من بطل التبدل في بلاد العرب وفقاً من السنين فكان من نتيجة ذلك التبدل جفاف تلك التربة الجزيرة التي تعادل بمساحتها ثلاثة ارباع مساحة اوربا اما نحن فنخشى كثيراً ان يكون هذا التغير الاسامي في المناخ لا يصل بنا الى اوقات عريقة في القدم قبل ان عرف التاريخ .

اوجزنا الكلام على هذه الاسباب في انتشار الدعوة الاسلامية لاول عهد الهجرة لان هذا الدين ما برح ينتشر الى اليوم والعمالان الجمهوريان فيه على الدوام هما اللذان اوردهما اولاً وما انتار الاسلام في القرن العشرين الا ناشئاً من اسباب منها الديني ومنها السياسي والاقتصادي والاجتماعي

فالاسباب الدينية اذا بحثنا فيها كان علينا بادي الرأي ان ننظر فيما اذا كان للاسلام كما للنصرانية مبشرون فاننا نرى النصرانية تنتشر في الخارج بواسطة جمعيات التبشير وعوامل منفردة في المذهب البروتستانتي والمذهب الكاثوليكي بواسطة الرهبان . ولت شعري هل في الاسلام شيء يشبه هذا فالجواب لا ونعم

ففي افريقية مثلاً اناس من المرابطين هم دعاة تبشير حقيقيين وهناك طرق دينية اخذت على نفسها نشر الدين الاسلامي على ان الاسلام ينتشر بنفسه بواسطة المسلمين انفسهم لان كل مسلم في البلاد الوثنية داعية دين بمجد ذاته . المسلم على الجلة مؤمن مخلص في ايمانه وربما كان ذلك لانه قليل التعلم او كثير الجهل ومن خصائص الاسلام ان يستولي على المعتنق به فيكون مأخوذاً به قلباً وقالباً واثقاً كان ثمة من المسلمين الفاترين الذين قلما يهتدون بمثل هذه الامور الا ان الحمية خلق اسامي فيمن يدينون بالاسلام . واني اكرر ان في مطاوي المسلم احياناً شيء يشبه المبشر فهو يدعو الى دينه كما كان يعمل الانجيلي والودودي في القرون الوسطى يدعو الى دينه وهو متوفر على تجارته او عامل في صناعته والفرق بين هؤلاء الدعاة الملاحدة قديماً وبين المسلمين اليوم هو ان الاولين كانوا يستعملون سرّاً هذه الطريقة في بث معتقدهم لان الحاجة كانت تضطرهم الى التقية فراراً بانفسهم من الظلم فيجبون كتبهم الدينية في متاعهم وخرايط بضائعهم اما الاسلام فينتشر من نفسه بواسطة القوافل التي ترحل في البلاد الوثنية والفتشية ودعاة الاسلام فيما عرفوا به من الغيرة يعمدون الى ذرائع مختلفة تناسب كل حال بحسب الاقطار والشعوب التي يثبون دعوتهم بين اهلها والوسائل الاجتماعية والاقتصادية دخل كبير في

الاسباب الدينية التي يمدون اليها

وهكذا نرى الدعاة المسلمين قد انشأوا قرى سكنها المهنتون الى دينهم من المحدثين في الاسلام ولطالما انتفعوا من القحط الذي كان يلقي بجمراته في اصقاعهم كما حدث في وانكيا على شاطئ زنجبار ليظهروا دينهم في مظهر الحق والاحسان وكم من مرة اعتنقوا الرقيت لينشروا معتقدهم كما وقع في واداي فان قافلة من العبيد واصلها من واداي قد اطل اليها يد النهب اهل البادية على حدود طرابلس الغرب ومصر فاشترام سيدي محمد بن علي السنوسي وعلمهم في زاوية التعليم الضروري واعتنقهم واذ ايقن بعد بضع سنين غناهم في بث الدعوة اعدام الى وطنهم لينشروا فيه على نشر الاسلام

وان دعاة المسلمين في الاقطار المتقدمة والشعوب المستنيرة ليحرون في دعوتهم على غير هذه الطريقة فيتمخون بملم من علم وتعليم راق الى نيل الخطوة من الرؤساء وبواسطتهم يؤثرن في الرأي العام ويسكنون عن بعض العادات المألوفة في ذلك القطر ويتفائلون عن بعض الادهام الدينية والاحتفالات الوثنية فهكذا ترى المسلمين في الصين وقد فتحت في وجوههم جميع الاعمال فيها لا ينشئون مساجد اعلى من سائر العباد ولا يضيفون اليها منارات ويوصون اهل الملتهم ان لا يقطعوا عن الاختلاف الى مواطنهم في اعيادهم التي لها صبغة دينية وطنية وهم عندما يقومون بالوظائف العامة يقومون بالفروض الدينية التي عينها القانون واذا حاوروا الهذبن من غير اهل دينهم يظهرون لهم الاسلام بانه دين الفطرة يتألفي تقاليد الاجداد مجرد عن الزوائد والامور المستحدثة التي علفت بمذهب كونفوشيوس

والمدرسة هي احدى العوامل الفعالة في نشر الدين ايضا فالمسلمون على الجملة عند ما ينزلون ويتوطنون في بقعة جديدة يصرفون اول عنايتهم في انشاء مسجد ويجعلون بجانبه مدرسة وينظر الى المسلم في بلاد زنوج الوثنيين في افريقية بانه ارقى من غيره وبذلك يخفف الى التعلم في مدرسته ابناء الوطنيين يريدون ان يصبحوا مثله معلمين مهذبين منظمين وترى المرأة عند قبائل النازلة بين النيل الازرق واعلى البلاد الممتدة من شمال سطح بلاد الحبشة ارقى بعقلها من الرجل ولذلك يخدع دعاة الاسلام تعليمهم والاعتماد عليهم في بث الدعوة على نحو ما يفعل السنوسية بالزنجيات في طوبو . وهذه الطريقة في الدعوة قد اشهرت هناك في حين ان تعليم المرأة في البلاد الاسلامية مزهود فيه على الغالب

وينشر الاسلام بالزواج ايضا فالمسلم يتزوج على اهرن سبب باسراء من غير عنده
كالعصر الافريقي او العصر الصيني او غيرهما على حين المسلم في الصين يتزوج عن
رضى من امرأة من بنات بلاده ولكنه يحاذر ان يزوج بئانه من الصينيين غير المسلمين
وينشر الاسلام ايضا باستراء ابناء الوثنيين يربونهم على الدين المحمدي وقد
شاهد في الصين اناس من احمسين يتعاون بالمال عشرة آلاف طفل في ايام قحط
حدث في شائع تونغ لم يبق فيها ولم يذر

واذا اعتبرنا الاسلام من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية نراه ولا سيما في افريقية
قوة اسمى من غيره وواسطة للنجاح من الطراز الاول وذلك ان الاسلام كالعصرانية
لم يخرج عن كونه عبارة عن مدينة ذات اصل قديم انتشر انتشاراً طويلاً وانت عليه
ادوار في النشوء بعيشة وكتب له ان بلغ في الشرق وفي الغرب اوج مجده وهو اذا
اخط الآن وتراجع فلم يبرح له وجود . وكانت هذه المدينة في افريقية حيثما دخلت
اسمى من غيرها من حيث الوجهة الادارية والاقتصادية ومن الوجهة العقلية والاخلاقية
والدينية ولما قال احد الباحثين اننا اذا قايسنا مجموع النتائج في بت النصرانية في
افريقية وبث الاسلام لا من حيث العدد فان عد من دانوا بالنصرانية ثلاث بالسيبة
للمسلمين بل من حيث التأثير العقلي والاخلاقي والاجتماعي في الجماعات والافراد
المهتدين يقبل اننا بلا شك ان الاسلام اسبق في هذا المعنى

فالاسلام بما فيه من مكانة اذا كتبت له الغلبة في الشعوب الافريقية ولا سيما
في الزوج فذلك لان فيه خاصية تلائم الهوب الافريقية ولا سيما السود منهم
فللاسلام بعض الاوضاع الاساسية المناهضة مع الحالة الاجتماعية في الزوج واعني
بذلك تعدد الزوجات والرق وسداجة الحياة الظاهرة في اهل الاسلام وان هذه السداجة
في الاسلام هي قوة فيه هي قوة في التجنس تؤثر في الزوج قوة شخصية في تربية النفس
بالنفس وتمكين الارادة والشجاعة في قلب كل من وان به ان هذه السداجة غريبة
مدعشة لعمر الحق هي تطبيق حياة السداجة التي بدعو اليها ارباب النظر السامي من
اهل النصرانية في اوربا وافريقية

ومن جملة الاسباب التي دعت الى انتشار الاسلام احوال سياسية نضت على القبائل
وعلى الافراد ان يحفظوا مراكزهم بالاسلام وكان ذلك قبل ان نلتهم دول اوربا بالفعل
تلك الاقطار قبلت قبائل الزوج الاسلام لتحفظ حياتها لما في الاسلام من الادارة

والنظام ويستقلوا في حكومات لم. مستقلة ذات نظام اجتماعي حي راق وبهذه الوسيلة انتشر الدين الاسلامي في بلاد كثيرة من افريقية الرسمى والغربية وان في تاريخ حياة المامي ساموري اكبر دليل على ما للمصلحة السياسية من الدخل في بث الدعوة للاسلام فقد كان هذا الرجل قبل الاستيلاء على مدينة كانكان بحسب اغراضه السياسية فهو وثي لاول امره ثم دان بالاسلام لما اتصل بصوري ابراهيم احد اتباع محمد ومؤسس مملكة تيديان الذي استقل واحتفظ بمدائن كونييا وكونوما وتوروكوتو وكابادوكو وبعد حين عاد الى الوثنية حتى اذا نشبت حرب كونييا عاد فدان بالاسلام وقد جرى على تعلم المرباط ديارو من فتاح جالون والقاعمان من اهل الطريقة القادرية الذي جاء عقيب ارشاد الحاج عمر فوطن في تلك البلاد في مدينة اسمها لينكو ومنذ ذاك العهد ساعده « القاعمان » في جميع حملاته وباقتراحه المني على ساموري بعد فتح كانكان لقب المامي

وهذا المأرب السياسي الذي حمل الوائيين من الافريقين على انخال الاسلام قد اتت عليه الدول الاوربية اذ لم يجد الزنوج داعياً بعد ان فحخت كل من فرنسا وانكرا مملكتيهما الافريقيتين ان يعمدا الى هذه الطرق . ندخول الاوربيين الى افريقية حال دون انتشار الاسلام وبقاء الوثنية في الزنوج في مراكزها وربما عاد بعض الوثنيين بعد انخال الاسلام الى سابق دينهم كما وقع لجماعة اسلم من قيس وموننكه او ماركا دانوا بالاسلام واستوطنوا حوالي سنة ٨٣٠ في تنالي ماما كو واغتصوا وتأثلوا بما استرقوه من العبيد الذين توفروا على حراثة اراضيهم . ولما احتل الفرنسيون تلك الجهات وابطل الرقيق ولاسيما في سنة ١٩٠٥ و ١٩٠٦ عاد اولئك العبيد الى مواطنهم الاصلية فاضطر اولئك الجماعة ان يغادروا المدينة وينزلوا القرى ليحرثوها بانفسهم . والغالب ان عدداً عظيماً منهم عادوا الى الوثنية وهناك امثلة اخرى للردة وهي كما تقدم مبينة عن سبب سياسي كالسبب الذي دعا الى انخال الاسلام فالمصلحة الواحدة ظهرت في الوجهتين انخالفتين واعني بذلك المصلحة حفظ حقوق عتصمهم وامتيازاته

والظاهر اليوم ان الدواعي السياسية سيف افريقية لا تعمل لمانيه نشر كلة الاسلام الا من حيث الوجهة المحلية الصرفة وهكذا في الجماعات الوطنيين من غير المسلمين حيث ترى مسلمين من اصل غريب واحياناً كثار العدد ولم سطوة حقيقية لذلك يصعب على نفوسهم ان تخضع راضية لمطالب الرؤساء وقد نجد من اولئك الزعماء من يدين بالاسلام

علناً باراً وما ذلك الا دليل على سمو مكانة الاسلام من حيث هو دين ومن حيث هو ذريعة للمدينة

وقصارى ما ينتج من الحوادث التي عرضناها والاحصاءات وطرق الدعوة والاسباب المتنوعة في اسلام من لم يدن بدين الاسلام ان هذا الدين ينتشر ويرتقي وان له المكان السامي بين الاديان التي يبشر بها دعايتها وينشرها رعاتها . وليس للاشلة في الردة عن الاسلام وزع كلمته التي ذكرناها سوى شأن ضعيف وهي لا تمنع الاسلام كالتصراية ان تكون منذ قرون في دور دائم من الرقي والنجاح

ولا بعد ان يأتي يوم تحدث فيه امور لا يتيسر لنا التنبؤ بها مثل اسباب نشر الاسلام التي اشرنا على ذكرها فيكون منها انتشار هذا الدين انتشاراً فوق العادة بحيث يجعل في هجوم الاسلام على بعض الاصقاع من الكرة لي نحو ما حدث في تاريخ الاسلام ومها يكن من هذه الظواهر في المستقبل فالاسلام ليس واقفاً في آثاره من حيث هو دين بل لا يزال ابداً يزيد بعدد متخليه والمتدينين به . يروي ان عقبة بن نافع لما صار في جنده سنة ٦٢ للهجرة (٦٧٨) الى اقصى المغرب بعد ان جاز بلاد مراکش بلغ شاطئ "بحر الظلمات" قفز على جواده وسط امواج البحر فاصابت المياه صدر حصانه فوقف وهتف قائلاً « اللهم رب محمد اني لو تحمل امواج هذا البحر لسرت الى الافطار المتناثية ابجد اسمك في مملكة ذي القرنين اقاتل عن الدين واقضي على كل من لا يؤمن بك »

يبد ان الاسلام قد حقق من الاعمال اكثر مما طمحت اليه نفس هذا القائد الجبار الذي قال ما قال اتفاقاً فالاسلام قد تجاوز البحار وطاف الافطار ناشراً رسالة محمد

هذه هي المحاضرة الاولى من الكتاب وهي نموذج صالح منه وقد تكلم في المحاضرة الثانية على اصل الاسلام وما طرأ عليه من البدع والاحاد والمذاهب وفي المحاضرة الثالثة على الاولياء وفي الرابعة على الطرق الاسلامية والتصوف وعملها الاجتماعي والسياسي وفي الخامسة على مذهب البائية والبهائية وفي السادسة على مستقبل الشعوب الاسلامية ولبل الى المناحي الحرة في الدين وقد ختم المحاضرة الاخيرة بطلب اتحاد العالم الاوربي مع العالم الاسلامي وان يحسن الاوربيون الى المسلمين ويحسنوا علاقتهم في الصناعات والتجارة قال : الاسلام من حيث هو دين قوة اديية فاول شرط في هذه الصلات الحسنة احترام الدين الاسلامي احتراماً مطلقاً وقد اخذ هذا الدين يعرف احسن من ذي قبل حق المعرفة في اوروبا بفضل ما نشره بعض العلماء وبعض

السياح فإن خبرة الباحثين وسدج الزائرين للبلاد الاسلامية حربة بالنظر وكثير من السياح قد لاحظوا مثل ما لاحظت فقالوا ان احسن منقذ للاوربي في الاصقاع الاسلامية التي يقل اختلاف المسيحيين اليها ابيه التي نفل راحتهم فيها هو احترامهم للاسلام وليس من الضروري الا في احوال خاصة ان ينتحل المخالفون لدين الاسلام بل يكفي بان يكونوا احراراً للاسلام او بعبارة ابسط محترمين لشعائر هذا الدين . وكمن سائح في البلاد الاسلامية سمع على اساليب مختلفة ما كان قاله ساطعان حائل الى المأسوف عليه هو بر « انت مسلم في بلادى » وبعد ان من الاتان بين المسلمين والاوربيين بل بين المسيحيين والمسلمين تيج ولا تلك نتائج حسنة قد ظرت تبشيرها الآن فان اتحاد الارادات الحسنة في اوربا وارص الاسلام يسهل ولا جرم بالتدريج ودخل كثير من الزهوب الاسلامية في تيار المدنية الحديثة . وعساني بهذه المباحث الحقيرة اكون قد حملت حجراً فوضعت في اساس البناء الذي اقيم لوقائق الحق بين المسلمين والاوربيين بل بين المسلمين والمسيحيين

والمقنيس يقول بارك الله بكل من تخط يده في اقرب الامم بعضها من بعض خصوصاً متى كان قصده كما هو الظاهر من عبارات الاستاذ مونتة خدمة الانسانية والاجتماع لا خدمة سياسة مخصوصة ولا فكر خاص

التعليم في مصر

وحظ المسلم والاقباط منه

للشيخ علي يوسف طبع بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر (ص ٤١)

لو كان كل المفكرين من الكاثوليك والعالمين لا يدونون الا ما يعلمون ولا يقدمون الا الى ما يتقنون لما ظهر عوار مؤانف ولما بدت مقاتل منشي وباحث . وامامنا الآن كراسة في التعليم بمصر لمدير سياسة المؤيد اقدم الجرائد الاسلامية وارفاقا في القطر المصري وهي خطبة القاها في المؤتمر المصري الاول اجاد فيها كل الاجادة لانه دعم كلامه بالارقام والكتابة بالدليل المحسوس يقرها ارائق والمخالف فقد قال ان البعثات العلمية التي نقلت العلوم والمعارف من اوربا الى مصر وكانت لها اعظم عمل في تكوين مصر الحديثة بدورها الجديد كانت اسلامية محضة ليس بينها الا نحو عشرين طالباً من الارمن والروم والسرريين والاحباش وثلاثة من الاقباط وهو لاء كانوا طلاب وظائف لا ناشري علوم ومعارف ولكن في هذا العهد الاخير قد توجهت رغبات

الاقباط كالمسلمين الى حجرة الاوطان في طاب العلوة والمعارف وان لم يبلغوا سبعة هذا العدد سبأوا بضائ شأوم في رغبة العلم في مصر . فقد بلغ عدد الطلبة المصريين الى سنة ١٩١٠ بفرنسا وسويسرا والمانيا والبلجيكا وانكلترا وايطاليا واميركا والاساتنة وبيروت على نفقة آباءهم ٦٨١ طالباً زبائفة هذا العدد الى البعثة المرسلة من قبل الحكومة يكون عدد جميع البعثات العلمية المصرية الحاضرة خارج القطر المصري ٧٤٠ طالباً . واذا شئت ان تعرف مقدار عدد الاقباط في البعثات العلمية الموجودة الآن في القارات المختلفة سواء على نفقة الحكومة او على نفقة آباءهم فانهم لم يبلغوا خمسين طالباً اكثر من نعيم في كلية بيروت وكثير من تالهم على نفقة الحكومة فنسبة الاقباط الى المسلمين في البعثات العلمية الحاضرة كالم التكاثر ٧ في المئة

وبلغ عدد الذين تخرجوا من مدرسة الحقوق الخديوية التي كانت اسمها مدرسة الاسن والادارة حتى الآن ٦٥٥ طالباً عدد المسلمين منهم ٤٩٨ وعدد الاقباط ١٥٧

ولم يدخل الى مدرسة الطب التي أنشئت سنة ١٨٢٤ احد من الاقباط الا في سنة ١٨٨٨ وحاصل شهادتها منهم حتى الآن ٦٦ طبيباً ومن المسلمين ٣٢٧ طبيباً ومن غيرهم من المسيحيين ٢٦ وأنشئت مدرسة دار المهندسين سنة ١٨٣٤ فلم يدخلها قبلي الا في سنة ١٨٩٦ بلغ التخرجون فيها ٣٦ مهندساً مقابل ١٤٨ مهندساً ولم يخرج في مدرسة المعلمين الخديوية وكان اسمها قديماً مدرسة قلم الترجمة سوى اربعة اقباط فقط مقابل ٨٣ من المسلمين وكذلك قل عن مدرسة المعلمين التوفيقية فانها من سنة ١٨٨٨ حتى الآن لم يخرج منها سوى ١٨ معلماً قبطياً مقابل ٨٨ معلماً من المسلمين وتخرج في مدرسة دار العلوم الخديوية ٤٢٢ استاذاً مسلماً ولا يدخل هذه المدرسة الا المسلمون ويوجد منهم اليوم في مدارس الحكومة بين نظار مدارس ومدرسين ومفتشين ومديري كتابات ٢٩٤ شخصاً والباقيون في سائر فروع الادارة والاعمال

قل والفضل بكل الفضل في ارتداء مدرساها من الموظفين الكبرى التي قام بها المسلمون وقد احتوا ادماماً مدة قرن كامل سواء كان في جلب انوار المدنية والعلوم والمعارف من الخارج او في تأسيس المدارس وتنظيمها وتعليم ابناء مصر العلوم المختلفة في الادوار المتعاقبة مع اشتغالهم بالتأليف وترجمة الكتب النافعة وانهم الآن اسانذة

المدارس النافعون المقيضون على النافذة المصرية بركة العلوم والتربية ولم يشترك الاقباط في اداء هذه الوظيفة السامية مع المسلمين بل كانوا عالة عليهم اولاً ثم تلامذة لهم في العهد الاخير وكان مجموع التلامذة المسلمين في مدارس الحكومة الابتدائية والثانوية والخصوصية والعالية سنة ١٩٠٠ بالغاً ٥٩٨٤ تليداً ومجموع الطلبة الاقباط فيها ١٥٥٥ وبلغ عدد الاولين سنة ١٩٠٥ في تلك المدارس ٧٩٨٩ وعدد الآخرين ٨١٥ وبلغ عدد الاولين سنة ١٩١٠ ١١٠٣٨ تليداً وعدد الآخرين ٢٢٥٦ وبلغ عدد المكاتب الاهلية التي شرط لها واقفوها ان تعلم اولاد المسلمين فامسكت الاقباط في تعليم اولادهم تسامحاً منها — عشرين مدرسة فيها ٤٩٤٢ تليداً بينهم ٩١٢ قبطياً وبلغ مجموع تلامذة المسلمين في مدارس الاوقاف وكتابتها ١٨٨٧ تليداً بينهم ٢٤٢ من الاقباط مع ان هذه المدارس هي من اوقاف المسلمين . وختم خطابه بعد الادلة التاريخية والشواهد التي تدل على بعد غوره في المسائل المصرية الحاضرة بطلب فصل جميع المدارس الاهلية ومدارس الاوقاف عن نظارة المعارف وجعلها ادارة قائمة بذاتها يراعى فيها تنفيذ شروط الوقيين وابطال تعليم الدين المسيحي من جميع مدارس الحكومة لانه لا يجوز تعليم غير الدين الرسمي فيها كما هو المتبع في الممالك المتقدمة . فثمى الشاه الاطيب على غيره المؤلف على بلاده وعساه يقف قلبه على الخوض في مسائلها فقط فالاستئثار بالزبايا كلها ضرب من ضروب المحال والاخصاء في الموضوعات افضل واشرف مادام قول « لا ادري » نصف العلم وكل من تجاوز محيطه وانقدر الذي لقته من العلم والمعرفة سواء كان في الصحافة او في غيرها من فنون التأليف والتعليم يوشك ان يعثر في كل خطوة فيخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهذا ما لا نرضاه للقائمين بانهاض هذا الشروق النعس من كبوته وتعليمه التعليم النافع والادب الرفيع

زراعة القطن

تأليف احمد افندي الالفي طبع بمطبعة المقطم بمصر سنة ١٩١١ ص ١٤
من الماملين افكرين من فائشة مصر وواف هذا الكتاب وضعه على هذا الاسلوب المبتهكر في زراعة القطن ومتاومة آفاته وتحسين انواعه وذكر فيه جميع ما تجب معرفته لهذه الزراعة المباركة وتجويدا والانتفاع بها وقد دل ان زراعته في انظر المصريه بدأت نحو سنة ١٨٢١ م وما زال ينشر ويشيع حتى بلغت الآن المساحة المزروعة منه اكثر من مليون وستائة الف فدان محصولها في المواسم الجيدة نحو سبعة ملايين وربع

ملين قطار وموسط ثمن القطن غالباً نحو اربعة جنيهات الى خمسة فيقدر ايراد البلاد منه سنوياً نحو ثلاثين مليون جنيه او تزيد وان القطن المصري اجود واعلى جميع اقطار اميركا والهند والصين لا يذانيه الا قطن جزيرة سي ايباند باميركا ولكن محصول هذا لا يزيد عن نصف مليون قطار وكان الوجه البحري مستأثراً الى ما قبل بضع سنين بزراعة القطن لان الري الصيني عام فيه اما في الوجه القبلي فكان قاصراً على حيز محدود والوجه البحري كناية عن مديريات مصر الواقعة الى شمال القاهرة وهي البحيرة والغربية والدقهلية والشرقية والمنوفية والقليوبية والوجه البحري عبارة عن المديريات الواقعة جنوبي القاهرة وهي الجيزة والفيوم وبني سويف والميناء واسيوط وجرجا وقنا وأسيوط . والشهير من اصناف القطن المصري الميت غنفي والاشموني والياتوقش والعباسي والنوماري . والكتاب فانض بالفوائد الغزيرة لا يستغني عنه من يجب زراعة هذه الشجرة المباركة لانه حوى جميع ما يحتاج الى معرفته للنجاح خصوصاً وهو نافع لانباء سورية من يريدون اليوم تعلم زراعة القطن ولا سيما ن اهل فلسطين فتحثهم على اقتناؤه للارتفاع به فهو كتاب مادي عملي ليس فيه ما لا يفهم من الاصطلاحات الفنية وهذا من بعض حسناته

الواجبات

تأليف سامي افندي يواكيم الرامي طبع في المطبعة السورية في سان پاولو البرازيل سنة ١٩١١ ص ١٧٤

احسن المؤلف وهو من ادباء الجالية السورية نزلاء اميركا الجنوبية في وضع هذا التأليف اللطيف فافاض في واجباتنا نحو نفوسنا وفي بيوتنا وواجبات الاناء نحو والديه والاخ نحو اخيه والرجل نحو اخيه والرجل نحو زوجته والزوجة نحو رجلها والوالدين نحو اولادهم وواجباتنا نحو اقاربنا واصدائنا وعارفنا واعدائنا والجنس بهجه عام والجماعات وهذا هو الباب الاول وسماه بالواجبات العامة اما الباب الثاني فهو في الواجبات الانفرادية نحو واجبات التلميذ والعلم والصحابي والطبيب والمحامي والمؤلف الحاكم والمحكوم والجندي والتاجر والزارع والصانع والمستأجر والكتاب اخلاقي وعظمي حري بالاشارة ان تطامنه وتسفيد منه بتدبير فشكر المؤلف الفاضل

الصاحبي

تأليف احمد بن فارس نشرته المكتبة السلفية في القاهرة ص ٢٤٠
كتاب في فقه اللغة ومنن العرب في كلامها جمعه ابن فارس احد ائمة اللغة في

القرن الرابع من تصانيف من تقدمه فكان له فيه كما قل اختصار بسيط او بسط مختصر او شرح متكل او جمع منفرد وفيه من الفوائد الغزيرة ما يجدر بكل طالب ادب ان يدارسه المرة بعد المرة . وقد اجاد الاثر كل الاجادة باحياء هذا التأليف النفيس نقلاً عن نسخة صحيحة بخط الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركي الشافعي احد حفاظ اللغة في العهد الاخير وقدم له ترجمة حافلة للمؤلف واحاد طبعه بحيث استحق شكر العلم والآداب

مدنية العرب

في الجاهلية والاسلام

تأليف محمد افندي رشدي طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م
(ص ٢٠٠)

البحث في مدينة العرب من اصعب الموضوعات واوسعها لان ملان النقل قليلة وما يوجد منها لا يتيسر لكل طالب وفي مصر منها الشيء الكثير لذلك كنا نأمل ان يكون هذا الكتاب اوسع مادة واصح استشهاداً فقد اقتصر المؤلف على المبتذل المعروف وكان لديه في دار الكتب المصرية مادة واسعة يتأني الاستقاء منها ليحيى مصنفه لا نقا بشأن العرب ومدنيتهم العظيمة . بيد ان الكتاب اشبه بالكتب التي يراد بها نشر شيء من المعلومات بين العامة فكأنني بسميها الفرديس *Ouvrages de vulgarisation* فقد تكلم المؤلف على العلوم التي عرفها العرب واهتمامهم بالسياحات والتجارة واسواقهم وعاداتهم وصفاتهم وحكمهم وحكمتهم العملية ونقل رسائل المشاهير في السياسة والرياسة والم بتأليف الوزارة والذوري والدواوين وختمه بمقال في اسباب انحطاط الامم وبالجملة فنشكر المؤلف لاهتمامه وغيره ونرجو ان يعود الى كتابه فيضيف اليه من كتب العرب التي بحثت في مدنيتهم ومنها المطبوع في اوربا ما تكون به الطبعة الثانية من هذا المصنف تامة حافلة بالبحث والتدقيق

كتب ورسائل ومجلات

« لقطة العجلان » تأليف الامام بدر الزركشي شرحه الشيخ جمال الدين القاسمي

« دروس الصرف والنحو » للشيخ محي الدين الحياط يشتمل القسم الاول على اوليات

الصرف واوليات النحو

« الدروس العربية » للشيخ مصطفى الفلاييني وهو القسم الاول منه في النحو

« التعليم الادبي » لجرجي بك ديمتري مرسى القسم الاول منه في الاخلاق والآداب
« خديجة ام المؤمنين » تأليف عبد الحميد افندي الزهراوي وهي قصة حقيقية
تاريخية اجتماعية

« الجوهر المحبوك في نظم السلوك » للسيد علاء الدين علي الملقب بعلمان الحسيني
الحوي من اهل القرن العاشر

« واقعة السلطان عبد العزيز » تأليف احمد صائب بك وتعريب محمد توفيق
افندي جانا

« نظام الجهاد في الشريعة الاسلامية القديمة » تأليف المسوكولوزيو
Les lois de la guerre dans l'ancien droit musulman par S. Colsio.

التقرير السنوي الاول لجمعية تهذيب الفتاة السورية في بيروت والشويفات
برنامج جمعية السيدات والاوانس الكاثوليكيات لتجهيز البنات العرائس الفقيرات
في دمشق

خلاصة جمعية ترقى الآداب الوطنية في يافا لسنة الثامنة
« المدرسة » مجلة فنية تصدر في تونس للسيد عبد الرزق الطاطمي مدرس الفنون
بالخلدونية فيها لمخص دروسه ودروس اخوانه من اساتذة هذه المدرسة في التاريخ
والجغرافية والعلوم الرياضية والحكمة العائدية والكيمياء والتاريخ الطبيعي الى غير ذلك
من الابحاث المفيدة

« العروس » مجلة نسائية علمية ادبية صحفية فكاهية لها حيتها، لآتسة ماري عجمي
تصدر في دمشق مرة في الشهر وهي المجلة النسائية الوحيدة في سورية نكتبها كاتبة
لا مكاتب

« العريس » مجلة علمية ادبية اجتماعية فكاهية شهرية لمنشئها نسيب انتدي محمود
شهاب ووديع انتدي نصار وفاضل انتدي الجمل تصدر في حمص وفيها شيء من تاريخ
ذاك الرادي وآثاره ونقائش اولام ادبائه

المقبر

بين بلاد الاراميين والفينيقيين (١)

وادي المعجم واقليم البلان

يفزع المشتغلون بعقولهم الى الفلاة يروضون افكارهم كلما آتسوا من نفوسهم مللاً وتعباً رجاء ان يخفف عنهم ما نالهم فيعاودون اعمالهم بنشاط أكثر ومضاء اوفى واوفر . وعلى هذه السنة جرى كاتب هذه السطور فركب العربى من دمشق بعد ظهر الخميس في ١٣ ربيع الثاني ١٣٢٧ (١٣ نيسان غربي ١٩١١) فاصداً الى قطننا صكر قضاء وادي المعجم فبتنا فيه ليلتنا على مثل ما كان النهار صعباً عطالة ورياحاً نكباء وزعازع واعاصير وكنا نود لو نخلص من القد الى راشيا ولكن حالت الثلوج المتراكمة في سفوح جبل الشيخ دون الامنية ففقدنا العزم على زيارة القنيطرة حاضرة الجولان اولاً ثم نقصد الى جبل عامل ونجعل راشيا (٢) خاتمة المطاف

وعلى هذا ركبنا خيلاً من القد قاصدين اقليم البلان ومنه الى الجولان في يوم انقطعت امطاره ولم تنقطع رياحه وذارياته وبعد ان سرنا سباعين في شعاب وهضاب بلغنا قرية بيتنا ونخطيناها لنجتاز نهرها الى كفر حور ولكن عجز حمار مكارنا عن قطع المخاضة اذ لا جسر يبر عليه بين القريتين وصادف ان كانت عصارات ثلوج جبل

(١) نشرنا الثاني مقالات التالية في جريدة القنيس اولاً وقد اعدنا فيها النظر ثانية الآن ونشرناها ٥٠٠ تحفظ

(٢) يرى بعضهم ان ترمم « ريشيا » لا « راشيا » وهذا الرسم اقرب الى الاصل السرياني ويقولون ريشيا الوادي نسبة لوادي سكن كايقال ريشيا القرية بالقرب من حاصبيا « ريشيا القفار »

الشيخ قد كثرت عصر ذلك اليوم فاضطررنا الحال ان نعود ادراجنا الى بيتنا نقضي فيها الليل عسى ان تخف مياه نهرها من الغد فنشأ نف السهر

ويعنى بيتنا بالسريانية بيت الدير وقيل بيت الماء وكل منعى من اسمه نصيب وهكذا فعلنا ونحن نضحك من حكم الاقدار في هذه الديار وكيف ادى ماء النهر وعدم الجسر الى تخلفنا ليلة في الطريق . ثم استضحكنا لان حمار المكاري لم يستطع العبور وانا ورفيقي كيف نسير وحدنا ونهتدي الى ما تنقصه من البلاد بدون دليل فقلنا: يا سبحان الله كم من حمار يقطر وراءه بشراً فيؤخرهم عن السهر هذا الحال في حمار حروان فكيف اذا كانت حمراً كثيرة في صور بشرية

ليس في هذا الوادي والاقليم يستحق الذكر من الامور التاريخية والاثرية فقد سكت التاريخ عن ذكر حالته في الازمان القديمة كما سكت عن كثير من اقاليم الشام فوادي المعجم واقليم البلان ليس لما ذكر في تواريخ القرون الوسطى اللهم الا ما كان من ذكر نهر وادي المعجم الاعظم المسمى نهر الاعوج والمعروف سبغ التوراة باسم فرفر^(١) او فرفار او فرفور

وهذا النهر يتكون من عدة عيون ومسابل تنبعث من سفوح جبل الشيخ منها عين في بيت جن ومن ينبوع آخر اسمه المذبح ودام الشرايط وادي الدعامية وعين الطموسية وعين الطيبية وهما جود تلك العيون تحسن ماءه كما يحسن ماء عين الفيجة مياه نهر بردى بالخذلاط بها وهكذا تجري اليه عشرات من العيون ومنها نهر بيتنا وعيون عرنة ويسقي نهر الاعوج او فرفر كثيراً من قرى وادي المعجم القحطاني وام قرى هذا القضاء قطنا والجديدة وعرطوز وجونية وكوكب والمظمية وداريا وصحناها والاشرفية والخيارة وسبينة وسبينات وبلاس والتدم وكفرسوسة والمزة والمجدية وذالنون وام القصور والدير علي والكسوة وزاكية وزغبر وحرجلة والمقيلية وشورى والطيبية والخرجة والبوضية ومرجانة والحسينية والاشرفية والعباسة وحوش النفور وحوش مرانة وبراقي وغان الشيخ وسعسع وكناكر ودير ماكر وشقنعب وبوبضان وماعص وسبسة والثمانية والحناجي والزربية والمبارية وغيرها من الاحواش والمزارع

اما وادي المعجم القوقاني المعروف باقليم البلان فهو قرى سفوح جبل الشيخ او ما يقرب منها وطول هذا الاقليم نحو عشرة ساعات وعرضه نحو سبع ساعات يحده جنوباً الجولان وشمالاً وادي

المعجم والدياس وراشيا وشرقاً وادي المعجم القحطاني أيضاً وغرباً إلى الجنوب حاصبيا وام قراه عيسم وهي اول الاقليم على نحو ساءتين من قطنا ومن قراه عين البرج والقلمنة وبيتيا وكفر حور وبيت ساير وحينة وبقعسم وعين الشعرة وريمة وعمرنة ودريل وبيت جن وحرنة وخربة السوداء وحضر ومحيطة وترنجة وجبنا الخشب ومقروصة وحلس وبرقش وكفر فوق وصوجة ورضوان واميلودورين والبيجاج والمجورة ورأس العين ورخلة وبعفور واقليم البلان متوسط بزرعته المكثرة ثلوجاً وجليده واهويته على العكس في وادي المعجم القحطاني فان تربته اخصب وتجد فيها الاشجار المثمرة اكثر . وفي بعض قراه الى اليوم عاديات ونواويس تدل على عمران قديم زاخر وان الآراميين والرومانيين واليونانيين سكنوا هذه البلاد فعمروها ولا تزال اسماء بعض بلاد الانام سريانية الى اليوم وقد خلفوا فيها آثاراً صبرت على كرا الليل والاروما برحت ثم عن حضارة وذلك مثل آثار بيتيا وكفر حور وكفر فوق بيتيا وقد شاهدنا في ارض كفر حور اربعة اهراس عظيمة نقرت في الصخر على صورة هائلة تدل على انها مدائن اغنياء وامراء لا مقابر فلاحين فقراء وفي كل قرية نواويس لا تقبل عن هذه بمكانتها وقد طمست الانام معالمها فلم يعلم اسم بلاتها

والنفوس قليلة في هذين اقليمين (وادي المعجم واقليم البلان) لا تزيد في الاحصاء الرسمي عن خمسة عشر الف نسمة هذا القرى الملحقة بحل دمشق مثل الزرة وكفر سوسة وداريا وصحنابا والاشرفية وبلاس ومع ان البلاد تؤوي مائتي الف واكثر ترس الهجرة ايضا الى اميركا نقل نفوسها سنة عن سنة وسكان هذه البلاد اخلاط بمذايعهم فيهم المملوكون السنية ومسيحيون روم وكاثوليك وبروتستانت ودروز والدروز اكثرهم مضاء واقداماً على العمل ويلبهم المسيحيون ثم المملوكون فكان هؤلاء يحكمهم من المفاخر ان تكون حكومتهم منهم ولذلك جعلوا اعتمادهم عليها وكان عليهم ان يعولوا على تماسكهم وفضائل جيرانهم في اعتمادهم على انفسهم .
 ذكر قرن النزلة غداة اليوم في بيتيا وشادينا الصديق الشيخ عبد الرحيم الباطلي يروى في حديقته بيت ابي حمد قول الشاعر المنطبق على ما نحن فيه من جمال الموقع وطرب النفس بالطبيعة .

الروض مقبل الشبهة موفى
 نثر الندى فيه لآلئ عقهده
 نخل بكاد غضارة يهدق
 فالزه منه متوج وعنطق

وارتاع من مر النسيم به ضحى
ومرى شعاع الشمس فيه نالتي
والفصن مياس القوام كآفة
والطير ينطق معرباً عن شجوه
غرداً يغني للفصون فينشئ
والنهر للامراح وهو مسال

كان اليوم الثالث معتل النسيم صافي الاديم فحمدنا ليرحق وصلنا الى قرية جياتنا الخشب
آخر عمل وادي العجم فبشنا في بيت مربوط على ان نعود السير من الغد ولكن عاد الجو
فاضطرب وهبت الريح زحزحاً وكثر تهطل الامطار والبرد حتى ذكرنا نيسان بكانون
ثم زاد قلق الطبيعة حتى استيقظنا صباح اليوم الثاني وجبل الشيخ قد لبس حلة انصع
بهاضاً من التي كان مكنسها في اليوم الماضي وركبنا الى التنيطرة ورفقتنا البابي
يردد قول العفيف التلمساني

رياض بكها المزن فعي يواسم
واودعت الانواء فيهن سرها
بيت الندى في افقها وهو ناثر
كأن الافاعي والشقيق نقابلا
كأن بها للرجس الغض اعياناً
كأن للال الغضب فوق غدورها
كأن غناء الورق الحان معبد
كأن نثار الاحس تحت غصونها
كأن ثماراً في غصون تودوست
كأن القطوف الدانيات مواهب

وناحت لغير الحزن فيها الحمام
فمت عليهم من الرياح التواسم
ويضحي لي اجيادها وهو ناظم
خدود جلاهن العجا ومبام
تبه منها البعض والبعض قائم
اذا اضطربت تحت الرياح اراقم
اذا رقصت تلك القدود الترام
ذئابير سيف وقت وقت دراهم
لمارض خفاق النسيم تمائم
ففي كل غصن ماس في الدوح خاتم

الجولان

الجولان كورة عذيمة من كور الشام تعد من بلاد حوران يحدها من الشرق نهر
العلان ومن الغرب بحيرة طبرية والاردن الاعلى (الرقاد) ويفصلها نهر اليرموك^(١)

(١) سماه بلين هيروماكس (Hieromax) وفي التلمود يارموش وسماه العرب
الشريعة او شريعة المناذرة نسبة لقبيلة المناذرة التي نزلت فيه

عن بلاد عجلون من الجنوب وذر الحاصباني بالقرب من بازاس وجبل الشيخ من الشمال وتسمى هذه المقاطعة بالعبرانية كولان (Golan) كما يطلق هذا الاسم أولاً على مدينة اسرائيلية مقدسة من بلاد باشان نزلها قبيلة منسى وهي اليوم مدينة صحم الجولان بعينها قرية على كيلومترين شرقي نهر العolan وعلى سبعة كيلومترات من الشمال والشمال الغربي من زيزون ولا يزال فيها بعض آثار وخرائب منها برج مربع علوه ١٥ متراً وبالقرب منه بناء جميل يظن انه كان كنيسة وقد اقام فيها ادمون روتشيلد الامرائيلي الفني الشهير مستعمرة للامرائيليين .

وكانت الجولان (Gaulanitiide) تمتد الى شريعة المناذرة وتعد من بلاد بئرا او العربية الصخرية ومن جملة مملكة فيليبس^(١) وبلاد الجولان ذكر قليل في تاريخ العرب نزلها الحرث الاعرج الفسافي^(٢) كما كان الحرث بن ابي ثمر بن الاهيم ملكاً بالاردن ولعل علماء الآثار يوقعون في المستقبل الى الظفر بعاديات لسان في الجولان كما ظفروا بقليل منها في حوران ولا سيما في جبل بني هلال^(٣) الذي كان يعرف قديماً بجبل الزيان لكثرة مياهه ويعرف اليوم بجبل حوران او جبل الدروز لان الفساسة ملكوا هذه الديار وبسطوا سلطانهم ايضاً على دمشق قبل الاسلام وافتتح الجولان شرحبيل ابن حسنة وورد ذكرها في شعر حسان بن ثابت بقوله :

قد عفا جامم الى بيت راس فالجوابي فحارث الجولان

ووردت في شعر ابي نواس في مدحه الخصب بن عبد الحميد العجمي المرادي امير مصر من قصيدة يصف بها طريقه من بغداد الى مصر

رحلنا من عقر قوف وقديدا	من الصبح مفتوق الاديم شهير
فما نجدت بالماء حتى رأيتما	مع اشمس سيف عيني اباع تغور
وغمرن من ماء النقيب بشربة	وقد حن من ديك الصباح زمير
ووافين اشراقاً كذائس تدمر	وهن الى رعن المداخن صور
يوئمن اهل النواحين كأنما	لها عند اهل القوطيين ثور
واصبين بالجولان يرضخن صخرها	ولم يبق من اجراحهن شطور
وقاسين لبلاد دوزيسان لم يكد	سنا صبحه للناظرين بنهر

(١) دليل فلسطين وسورية ايدكر ودليل الارض المقدسة مسترمان

(٢) تاريخ ابن واضح (٣) تقويم البلدان لابي الفدا

واصبح قد فوز من نهر فطرس وعن عن البيت المقدس زور
طوال بالركبان غزاة هاشم وفي الفرما من حاجهن شغور
ولمات فسطاط مصر اجارها على ركبا ان لا تزال بحير

قاعدة الجولان اليوم القنيطرة وكانت صغيرة جداً قبل ان ينزلها مهاجرة الجراكسة والداغستانيين منذ زهاء ثلاثين سنة وقد كانت في القرون الوسطى قبل عهد الدولة العثمانية قاعدة البلاد (١) قرية خان « ولا ندري اخان اربنية او خان الدوير » تارة والشقراء اخرى والجولان اليوم او قضاء القنيطرة هو ثلاث نواح ناحية الشقراء وهي عبارة عن مجدل شمس وجباتا الزيت وبانياس وعين قنية وعين فيت وزعورة ومغور الشباعة والنجر وخان الدوير ومزارع الفضل هذا ما كان منها الى جبل الشيخ اقرب. وناحية الجولان وفيها ترى الجركس واهمها الصورة وعين الزيران والصرمان والغشنية وعشيرة التركان ومزارعها وعشيرة الموادجة والمخارة وجبا وخان اربنية وعشيرة الويسية والقصيرين والجعاتين والدياب وارضها البطيحة ومزارعها ونعيمات الطاعة ولهذا المشائر مزارع وقرى تطلع فيها وتزرع واغلب تزولها في المضارب ومساكنهم للفلاحين وايواء الماشية فقط. والناحية الثالثة ناحية الزوية وامقرها فينيقي والعال وكفر الما والشجرة وكوبة وبيت الزا ومعربة والمناظرة

وبقدرون اليوم مزارع الجولان وقراها كلها بضو مائة وستين مزرعة وقرية فيها اراض جيدة في الجبلية وتجد حبوبها في الاكثر في السنين التي تغل امطارها اما في سني الري الكثير فانها تغرق فيتنا تشكو الاقاليم المجاورة الشرق ثمن الجولان من الفرق ولذلك تصلح اراضيها لتربية الماشية كثيراً ولا تغالي اذا قلنا انها الاقليم الوحيد الذي يصلح لهذا الغرض كما يصلح « جقور اووه » اي سهل الحوات في ولاية اطنة من بلاد الاناضول او الروم كما كان يسميها العرب

وحمة الفلاح في الجولان ضعيفة لأنه في الاكثر لا يملك ارضاً له، يضع سنين ليتوفر على زراعتها بل ان الاراضي مشاعة بين اهل البلد الواحد فيتنا يزرع هذه القطعة تراه من قابل تنزع منه وتعطى لغيره وهكذا لا يشاهد الرقي في الزراعة الا في مزارع الجراكسة اذا اختص كل فرد منهم باراض تناسب حاله وشأنه فاصلحها ما ساعدته مادته وقوته وخدمها على مثل ما نخدم الزراعة في البلاد التي هاجر منها اي بلاد الروس

اليوم وبني البهوت بالحجر والقرميد وغرس الاشجار وعاش في الجبلية احسن من عيشة سكان البلاد الاصليين خصوصاً وان المهاجرين بناب عليهم الاقتصاد بحيث لا تعهد عندهم المضافات المفتحة الابواب لكل قادم كما هي عند سكان هذه الديار من العرب واكثرهم يعرفون دخلهم وخرجهم . ولوسار الجولانيون الاصليون على هذه الطريقة لحدوا شهرهم ولما افتقر الاغنياء منهم بهـ مرافهم اسرافاً لا يعد من انكرم في شيء وبعبارة اوضح لا بعد فضيلة (١)

وبلاد الجولان متحة الرقة يقل سكانها بالنسبة لعظم بقعتها ويكني ان اراضي الفضل وهي من جملة عمل هذه البلاد تمتد من المنصورة قرب القنيطرة جنوباً حتى بانياس شمالاً وشرقاً الى جياتا الخشب وغرباً الى الحولة ولا يطوفها الراكب بالسيد المتدل في اقل من ثلاثة ايام . غلاتها جيدة وفيها بعض الاشجار المثمرة والكروم وكثير من الغابات اجتزناها من القرب من مركز القضاء الى ارض بانياس في زهاء اربع ساعات فرأينا فيها صورة مصغرة من مناخ سورية رأينا فيها الربيع والصيف او الصيف والشتاء في آن واحد . واميرها وهو اليوم محمود الفاعور مالك هذه الاراضي كلها اذا شتا في ارضه بالقرب من الحولة يشق في حرارة كحرارة الربيع واذا اصطاف بصطاف في الارض القحطية واذا ارتفع يرتفع في واسط حيث بني قصره على مثال قصور الاغنياء وهذا الامير حاكم مطلق في عشرينه عرب الفضل المولفة من نحو ٥٠٠ ايت كما قال لي احد افرادها ولا يشاركه في حكمها سوى شيخ الموادجة وبعض التجارة وم عبارة عن ١٨٠ بيتاً يملكون جزءاً صغيراً منها ومن عشائر الفضل المعجامة والربيع والفاعور ويجمعها كلها اسم الفضل وكلهم رحالة او : قلوبون ولا يمكن رحلتهم في ارضهم لا يتعدونها الى القامية كما يرحل عرب بني صحر والروالة مثلاً واميرهم يدفع ما على اراضيهم من الاعشار الخفيفة وجماعته معقون من الخدمة العسكرية ليسوا مع اميرهم كصاحب ارض مع فلاحيه على ما هي عليه الحال مثلاً في الفوعة والمرج وقلون ووادي العجم والجولان يخدمون ارضه ويقاسمهم غلاتها على الخمس او الربع بل هو الحاكم المتحكم

(١) لو لم تكن في هذا القرن الذي يسميه الانفرنج قرن النور لذكرنا ما ذكره الشيخ عبد الغني البابلي الصوفي الاديب دمشق من افراد القرن الثاني عشر في رحلاته الى الروم والقدس والحجاز فقدملاً ما باخبار البائع التي نحرها له من نزل عليهم فاكل هنياً مريناً ولكن لكل قرن لسان خاص به وكل فن في فن على قدر ما سقاه السائق

في أموالهم ودمائهم وأعراضهم يأخذ ما يشاء منه وينفق في وجوه مراقبه والتوسعة على ضيفائه . واهل الجولان مسلمون على الاكثر واپس فيها سوى ثلاث قرى في آخر عملها اسمها عين فيت وزعورة ونجر سكانها نصيرية

وساطان العدل في هذه البلاد ضئيل بحيث لا يرى حتى بالمجهر والمكبرة لفساد اخلاق الاملين على الاكثر ولان الحكومة لا تختار على الغالب لولاية اعمالها سوى من قلت كفاءتهم في الجملة . قال لي احد فضلاء القنيطرة : لقد رايت مدير الحكومة في قضائنا منذ نحو ثلاثين سنة فلم اراها الا تقذف علينا باحط عملها على الاغاب فاذا اتفق ان نولى العمل الاكفاء المستقيمون لا تطول مدتهم فيفارقوننا ليخلفهم من لا يرجعون الى عقل في احكامهم ولا الى عدل في نظامهم هذا ماسمته وحققته من مجموع حوادث نقلت لي اما المعارف فلا تجد لها في القضاء عيناً ولا اثرأ ويكني بان يقال في وصف مدرستيها الامير يتين ان الاولاد يضررون معلمهم ويبحثون بلحيته وعمامة ولكن مادامت ادارة المعارف تفضل من يعرف كلمتين من التركية على الكفو من المدرسين ممن لم يسعدهم الحظ بتعلمها من ابناء العرب ومادامت مقلة من رواتب المعلمين هيئات ان تجد احسن من هذه العابقة لتعليم ابناء البلاد وعندنا ان الجهل المطبق خير من هذا التعليم الناقص الذي لان الفلاح الامي لا يجده مرتزقاً لامن ارضه ومانيته اما الفلاح الذي تعلم هذا الاسلوب فشكر نفسه عن الزراعة جهلاً منه وغروراً ولا يحسن عملاً اللهم الا اذا كان خيال درك او بواباً او حراساً

بين قوم هذا حالم انشأ صديقنا احمد حمدي افندي الداغستاني مطبعة في القنيطرة سماها مطبعة الجولان فمضى ان يصادنه من التوفيق ما خادن بعض قرى سورية او بليداتها التي انتفعت من نعمة الحرية في عهد الدستور فتفتحت مطابع وانشأت جرائد او مجلات ونجحت في عملها على الجملة

الحولة

بننا القيلة السادسة في بائياس آخر عمل الجولان وحققنا ان تعد من الحولة اذا نظرنا الى تقسيمها الطبيعي وبائياس بالقرب من تل القاضي حيث ينبع نهر الاردن او مدينة دان القديمة وبها آثار مهمة للصليبيين وغيرهم من الاسلام وبالقرب منها حصن الصيبية (١) وهذا الحصن هو القلعة المشرفة عليها في رأس جبل وبينهما نحو نصف ساعة قالوا في

وصف بانياس انها مدينة قديمة حصينة كثيرة الحدائق وهوؤها وبني وثوابها كذلك وبها مياه غزيرة وآثار لليرنان قديمة وقال ابو القدا (١) بانياس اسم لبلدة صغيرة ذات اشجار محضات وغيرها وانهار وهي على مرحلة ونصف من دمشق من جهة الغرب بميلة الى الجنوب والصيبة اسم قلعتها وهي من الحصون الثمينة قال العزيزي ومدينة بانياس في لحف جبل الثلج (جبل الشيخ) وهو مطل عليها والثلج على رأسه كالحمامة لا بعدد منه صيفاً ولا شتاء وقال ابن جبير (٢) في وصف بانياس انها مدينة صغيرة ولها قلعة يستدير بها تحت السور نهر يفضي الى احد ابواب المدينة وله مصب تحت ارجاء وكانت بيد الافرنج فاسترجعها نور الدين ولها محرث واسع في بطحاء متصدة يشرف عليها حصن للافرنج يسمى هونين بينه وبين بانياس مقدار ثلاثة فراسخ قال وعمالة تلك البطحاء بين الافرنج وبين المسلمين لم في ذلك حد يعرف بحد المقاسمة فهم يتشاطرون القلة على استواء ومواسيهم مختلطة ولا حيف يجري بينهم فيها

وخرائب بانياس على ما اتناها من حوادث الايام ولا سيما الزلازل تدل على عظمة من استولوا عليها ومياها غزيرة لغاية لوتوفرت العناية باخراج الصخور والردوم من طريقها لتضاعفت كيتها ولما كانت ثقل عن مياه بردى والافرنج كلام طويل في عمران هذه القرية الحاضرة اليوم والمدينة العظمى اسم فقد قالوا ان اسمها مطابق للاسم اليوناني (Panéas) الذي كان يطلق على هذه المدينة والكورة باجمعها سميت بذلك لمغارة اختصت بعبادة بان (Pan) وهي تحت منبع الاردن وقد انشأ فيها هيرووس معبداً على اسم اغسطس وانجز ابنه فيليبس بناء هذه المدينة وسماها فيسرية فيليبس تمييزاً لها عن قيسارية فلسطين وقد سماها هيرووس اغريبيا الثاني وسماها نيرونياس وهو اسم اطلق عليها مدة قليلة من الزمن وكان فيها منذ القرن السادس اسقفية تابعة للكرسي الانطاكي واستولى عليها الصليبيون لما فتحوا هذه البلاد وهي قلعة الصيبة التي لم يبق اليوم منها سوى انقاضها وذلك سنة ١٢٩٠ او ١١٣٠ م عند ما حاولوا فتح دمشق وقد قال احد شعرائها في وصف غارتهم

بسطي نهر داريا امور ما تواتينا
واقواماً واسفك الد ما في جلق دينا
اتانا مثا الف عديداً اوزيريدونا

(١) تقويم البلدان (٢) في رحلته

فبعضهم من اندلس وبعض من فلسطين
ومن عكا ومن صور ومن صيدا وتبثيا
اذا ابصرتهم ابصر ت اقواما مجانينا
تخلطهم وقد ركبا قطائرها حراذينا
وبين خيامهم ضموا خنازير والقراطينا
ورايات وصلباننا على مسجد خاتونا

واستولى على بانياس تاج الدين يوري صاحب دمشق سنة ١١٣٢م واعيد الاستيلاء عليها سنة ١١٣٩ واستولى نور الدين على المدينة لا على القلعة سنة ١١٥٧ ثم انقذها بودوين الثالث احد ملوك الصليبيين وعاد نور الدين فاستولى عليها سنة ١١٦٥ ودك السلطان الممظم حصونها ومعالمها وذلك بعد ان استولى الفرنج على تلك القلعة من سنة ١١٣٩ الى ١١٦٤ واكثر ما فيها الى الآن من الكتابات العربية من القرن السابع والاطلال من قلعتها من اجمل مناظر سورية لانها تشرف من جهة على قسم من بلاد الجولان وارض الحولة وبلاد الشقيف وبلاد الاردن

والحولة بحيرة قال بعضهم انها المعروفة في الكتب المقدسة بمياه ميروم (Meyrom) هكذا يسميها الرومان واما اليونان فيسمونها سمخونيس واسمها عند العرب الحولة او الملاحة او بحر بانياس قال ابن فضل الله واما بلاد صفد فحدها من القبلة النور حيث جسر الصنبرة من وراء طبرية ومن شرق الملاحة الفاصلة بين بلاد الشقيف وبين حولة بانياس وبهم من هذا ان الملاحة هي غير بحيرة الحولة وهي حوض من الماء على شكل زاوية الا قليلا يجري منها الاردن عمقها من ٣ الى ٥ امتار وفيها طيور مائية كثيرة كالبط ونحوه ويكاد لا يدخل اليها من جهة الشمال لكثرتها وكذلك لكثرة النبات المعروف بالبردي الثابت على ضفافها ولا سيما الضفة الشمالية ويتألف من السهل في شمالي البحيرة حوض كبير منظم في الجملة عرضه نحو ساعتين ومعظم هذا الوادي العميق يحجري على الاكثر على بطائح وتسوة الصحة هناك ولا سيما بعد جفاف قليل من تلك البطائح التي تغطيها عدة قري

وحُدود الحولة قبله الطريق الفاصل من نمران الى جسر بنات يعقوب الى قطانة والتليل ومن الغرب الجاهونة والملاحة والخالصة ويمتد الى آبل القمح وشمالاً مزرعة المارية وجسر صربد المتصل بمزرعة حلتا والغروية ومغور الشباعة وبانياس من

سفع جبل الشيخ وشرقاً هين فيت وخرابة السمن والمنقزة والغرابة والدردارة هذا اجمال عن بلاد الحولة وقد ذكر المقدسي في القرن الرابع ان الانليم المتوسط الهواء اوسط سورية من الشراة الى الحولة فانه بلد الحر والنيل والموز والخبيل ولوجفت الحولة على نحو ما يسعي بعضهم بتجفيفها وهو سهل يمكن لا حيت بها عشرات الالوف من الدوغمات قابلة لزراعة البقول والخضر تكفي اهل سورية في فصول السنة الاربعة بل سورية ومصر وغيرهما ولا سيما في فصل الشتاء لمكان الحرارة الطبيعية في تلك الاراضي وكثرة خصبها المربع وشمسها التي لا تكاد تغيب

كأن شعاع الشمس في كل غدوة على ورق الاشجار اول طالع دنائير في كف الاشل يضمها لقبض وتهوى من فروج الاصابع فمضى ان تصح العزائم على هذا العمل فيرفع في صحة السكان وثروتهم بل صحة البلاد المجاورة وثروة سورية عامة وكما فيها من خيرات لو حسن الانتفاع بها اكفينا مؤونة الفقر والمجرة

جبل عامل

لم اجد تحديداً صحيحاً في كتب العرب لهذا الجبل المسمى اليوم بمضه ببلاد بشارة او بلاد الشقيف او بلاد المناولة (١) فقد قال ابو الفدا (٢) ان جبل عامله من الاماكن المشهورة وهو يمتد في شرقي الساحل وجنوبه حتى يقرب من صور وعليه التقيف الذي استرجعه الملك الظاهر بارس من ايدي الافرنج وكانت رعاياه في حكم الافرنج وفي شرقيه وجنوبه جبل عوف «عجلون» وقال ايضاً (٣) واما بنو عامله فهم ايضاً من القبائل البائية التي خرجت الى الشام عند سبيل العرم ونزلوا بالقرب من دمشق في جبل هناك يعرف بجبل عامله فمن عامله عدي بن الرقاع الشاعر

قال في المشترك شقيف ارنون بين دمشق والساحل بالقرب من بانياس وارنون اسم رجل والشقيف المذكور معقل حصين والشقيف ايضاً شقيف تيرون بكسر المشنة الفوقية وسكون

(١) المناولة قيل انه مشتق من تولى اي اتخذ زلياً لانهم تولوا آل البيت عليهم السلام ابي اتخذهم اولياء واتبعهم فصاغوا منها اسم الفاعل متولي فحرفت حتى صارت متوالي وقيل انهم كانوا يقولون للعولي «مت وليا لامي» فصاغوا منها كلمة متولي ثم صارت متوالي واسم المناولة خاص بشيعة جبال عامل ولبنان وروابط فقط والقاب انه حديث لا يرجع الى اكثر من قرنين (٢) في جغرافيته (٣) في تاريخه

المتانة التحتمية وضم الراء المهمل وواو ونون قال وهي أيضاً قلعة بترب صور بالساحل . وقال في شقيف تيرون انها قلعة منيرة ناقلة عن صفت (عغد) على مسيرة يوم في سمت الشمال والشقيف ايضاً شقيف ارنون وهو في سمت الجبال عن شقيف تيرون وشقيف ارنون بعض مغارة منحوتة في الصخر وبهذه له سور وهو حصين جداً

والاصح ان بلاد الشقيف (١) من مقاطعات جبل عامل الثلاث وهي بلاد الشقيف وبلاد إشارة واقليا الشحار والنفاح ويسمى جبل عامل او عاملة وجبل الخليل (٢) وهو البلاد الواقعة في نواحي قلعة الشقيف سمي بعائلة القضاية وهي ام الحارث بن عدي الدسي نذوب قبيلته اليها نزلوا الزمام مع بني جذام ولحم وغسان وشقيف تيرون هي المعروفة اليوم بقرية نجاتي حدود جزين «Casale de Jexin» من اعمال لبنان وفي شقيف ارنون او ارنولد نسبة لارنولد من ملوك الصليبيين شي من ابناء الصليبيين

والغالب ان هذين الشقيفين كان يسمى احدهما بالشقيف الكبير وهو شقيف ارنون (٣) وكان له بر وله وال كما كان لغيره من البلاد المشهورة ، قال ياقوت (٣) : الشقيف كالكمف اضيف الى ارنون اسم رجل اما رومي واما افرنجي وهو قلعة حصينة جداً في كهف من الجبل قرب بانياس من ارض دمشق وبينها وبين الساحل وشقيف تيرون وهو ايضاً حصن وثيق بالقرب من صور

وقال شيخ الرتبة «٤» جبل عاملة عامر بالكروم والزيتون والخروب والبطم واهله رافضة امامية وجبل جيع «جباع» كذلك اهله رافضة وهو جبل عال كثير المياه والكروم والفواكه وجبل جزين كثير المياه والفواكه وقلعة شقيف تيرون قلعة حصينة على جبل عال ولها عمل ولها نائب ولم يحكم عليها منجنيق وجبل تبين «Doron» وله قلعة ولها اعمال وولاية واهلها رافضة امامية وقلعة هوزن وهي على حجر واحد ولها عمل . وبعد تبين خمس ساعات عن صور الى الشرق الجنوبي وبها قلعة بناها هيوست ادمير صاحب طبرية سنة ١١٠٧ م وحوصرت وجرت فيها مواقع الى ان فتحها صلاح الدين وانت ترى ان شيخ الرتبة فصل هذا الجبل الى جبال وذلك في القرن الثامن ولعله كان يعرف كذلك في عهده ومن المحقق ان قلاع هونين وتبين والشقيفين ارنون

(١) دواني القطوف (٢) العمرين بالمصطلح الشريف (٣) معجم البلدان

(٤) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر

وتتبرون داخلية في جبل عامل وكم قلمى صلاح الدين بن ايوب في فتحها من الشدائد وقد مر الرحالة ابن جبلة في اواخر القرن السادس بجبل عامل فصار من بانياس الى قرية تعرف باليسة «ميس» بمقربة من حصن هونين فيات فيها ثم رحل من الغد فاجتاز في طريقه بين هونين وتبنة بواد ملتف الشجر واكثر شجره الرند بعيد العمق كأنه الحندق السحيق المهورى تلقى حافته ويشعق السماء اعلاه يعرف بالاسطبل لوجلته المساكرا ذات فيه لا ينبغي ولا مجال لسالكه عن يد الطالب فيه المبطاليه والمطلع عنه عقبتان كوثودان فحجب منه فجازه فشيء منه يسيراً وانتفى الى حصن كبير من حصون الافرنج يعرف بتبين وقال عنه انه موضع تمكيس القوافل ووصف كيف اخذ الافرنج من قائلته المكوس .

وقال بعض المتأخرين (١) ان جبل عامل يقال له بلاد بشارة نسبة لاحد حكامها في القرون الوسطى قيل انه من الامراء بني معن وقيل هو بشارة بن مقبل القحطاني وكل ذلك لم يبق عليه برهان والذي يدور على اللسان ان مركز امارته في قرية زبطين من اعمال صور حيث لا تزال الآثار الفخمة فيها تدل على ذلك والارجح (٢) ان بلاد بشارة نسبت الى حكام الدين بشاره من امراء الدولة الايوبية ونقسم بلاد بشارة الى قسمين : امة الشمالية ونهايتها في الشمال نهر الاول *Boostrenus* » ويفصلها عن الجنوبية نهر الليطاني وبشارة الجنوبية ونهايتها في الجنوب نهر القرن وكانت بلاد بشارة غامرة تقسم الى ثمانية مقاطعات اربع في بشارة الجنوبية وهي تبين وهونين وقانا ومعركة ويتألف منها الآن قضاء صور وقضاء مرجعيون وثلاث في بشارة الشمالية وهي الشقيف والشومر والتفاح المعروفة الآن بتاحية جباع ويتألف من الثلاث الآن قضاء صيدا والزلفة مقاطعة جزين الداخلية في قضاءها من جبل لبنان

وقد كان بعض الجغرافيين « ٣ » يعد مدينة صفد من جبل عامل كما توسع بعض المتأخرين في تحريمه وكادوا يدعون فيه جبل الرمان واقصى حدود مرجعيون والذي عليه العرف المقبول ان جبل عامل يحده « ٤ » - جنوباً نهر القرب الجاري شمالي

(١) المقنط م ٣٦ ص ٤٢٥ المتأولة او الشيعة في جبل عامل للتشيخ احمد رضا

« ٢ » المقنط م ٣٧ ص ٧٤١ الامير شكيب ارسلان « ٣ » معجم البلدان « ٤ » الشيخ

سليمان ظاهر

ترشيحاً من بلاد عكا واختلطوا في الزيب هل هي داخلة في جبل عامل ام لا وشرقاً ارض الخيط « ١ » والاردن والحولة وقسم من جبل لبنان وشمالاً نهر الاولي وبذلك تدخل صيدا في جبل عامل وغرباً البحر الرومي ويقسم الى قسمين كما مر بك آنفاً شمالي وجنوبي فالقسم الاول يسمى ببلاد بشارة الشمالية والقسم الثاني ببلاد بشارة الجنوبية وطوله ١٨ ساعة وعرضه يختلف من ٤ الى ٨ ساعات نزله بنو عاملة فنسب اليهم الا ان هذه التسمية اليوم بجبل عامل او بني عاملة معروفة بين الخاصة في الاكثر اما العامة فيطلقون عليه اسم بلاد بشارة ولا سيما قضاء صور وكان بنو عاملة نزولوا الحولة كما تفرقوا في الجبل وكما نزل الفسائيون في حوران والشام والمناذرة في العراق

وقد كانت حاضرة البلاد تدعى بادي بده وهونين وقلعة الشقيف ثم تراجع عمرائها بما سطا عليها من المحن والاحن وكوائن الزمن وخلفتها جباع وغيرها والبطية اليوم اكبر بلد في الجبل وهي قاعدة البلاد الوسطى سكانها نحو خمسة آلاف نسمة والمدينة الثانية بنت جبل فيها نحو هذا القدر من السكان وهي على ثماني ساعات من البطية وثلاث ساعات من صفت والثالثة جوية في قضاء صور وتندر قرى جبل عامل بنحو ٣٠٠ قرية في قضاء صور ١٢٧ قرية وفي قضاء صيدا ١٤٧ وفي قضاء مرج عيون ٥٤ فاذا حذفنا بعض القرى التي لا تدخل في عامل ولا سيما قرى المرج والحولة كانت قرى الجبل كما قلنا وهي نحو ثلث قرى جبل لبنان كما ان اهلها نحو ربعهم ولكن اين لبتان بعمرانه من عامل

مرنا من باتياس الى البطية سبع ساعات في جبال شاهقة وعرة ولكنها مكللة بالخضرة نضرة للغابة وقطعنا الجسر الممتد في نصف الطريق على نهر الليطاني^(٢) الذي ينبع من ارض كركك نوح في البقاع ثم تصب اليه عين وانهار وهو يمتد من ذيل جبل لبنان حتى يمر بجبال مشغرا وقد مر بها اهلين كثيرة ثم يمر بالجرق ثم بالشقيف ثم يعظم هناك ويمر فينصب في البحر الرومي قرب صور وعلى نحو ساعة ونصف من صور يمر بمدفن اسمه النبي قاسم فيسمى القاسمية وهو من اعظم انهار الشام ولا سيما في الشتاء والربيع

وقد كان فكر بعضهم ان يحوجه الى وادي الزبداني ليضمه الى مياه نهر بردى

« ١ » قال شيخ الرتبة والخيط وهو قطعة من النور الاعلى شبيهة بالعراق في الارز والطير والماء السخن والزروع المنجية « ٢ » شيخ الرتبة

والفيحة فيسني دمشق وغوطتها وبلاد مرج الصفر منها ولكن ثبت له ان مجراه اسفل من دمشق فلا يركبها وكذلك يحاول اهل النبطية ان يجلبوا منه قسماً ببعض الآلات الرافعة يجعلون ماء في انابيب من حديد لتدخل بآدم في طور المدن من حيث استقاء الماء على نحو ما فعلت بيروت ودمشق وحيدا وهو يكلف بضعة عشر الف ليرة وكان فيهم وهم فاعلون

وكذلك يفكر جماعة من مهندسي الافرنج في تحويل مجراه قبيل مصبه بساكنين ليسقوا بمائه الاراضي المستطيلة على شاطئ البحر بين اقصى حدود جبل عامل وارض صور من جهة صيدا ولو فعلوا لاتي عملهم بفوائد مادية لم والبلاد ولما ذهبت تلك المياه بدون فائدة وغدا الساحل من صور الى صيدا والمسافة بينهما اربع ساعات في المركبة فكدائن دمشق باشجاره ومزروعاته الصيفية

ويقدر ان المهاجرين من عامل بخمسة عشر الف مهاجر دع عنك من قعدوا مدينة بيروت وغيرها من شبانه فاشتغلوا في الحولة وطلأ الاحذية وغيرها من المهنة الشاقة الراجحة ولا يقل عددهم فيما حسب عن نصف هذا القدر فيكون بذلك قد فارق الجبل من ابنائه نحو السبع اذا فرضنا ان سكانه مئة وثلاثون ألفاً على ما قدره بعض العارفين ومع هذا فلا تجد انحطاطاً في زراعته ومن ام غلاتهم الدخان «التوتون» يزرعونه في الصيف بعلا فيجود من وراء الغاية كجودته في جبال السكام «الكلبية» والتربة حمراء على الاكثر ويزرعون المزروعات الصيفية كالبقول وبعض الخضر فتتموكلها بدون سقيانموأ مدعشاً وزراعتهم الشترية احسن من كثير من الاراضي الجبلية في سورية وكانت الزراعة تراجعت في القرن الحادي عشر «لما اخذت سورية تلتهب بالنفن واشتغل الفلاح بالحروب عن النظر في زراعته فنضب معين الثروة وعاد اكثر الاراضي مهملات بوراً وبعد ان كانت الاراضي الزراعية منتعة الارعاء في بلاد بشارة اصبحت على طول المدة حراجاً واسعة ومراعي الا بعض الاراضي المجاورة للقرى والمزارع»

وسكان الجبل شيعة امامية وليس بينهم سنة الا النادر جداً وبعض المسيحيين ممن اتجأوا الى اهل البلاد ابام حوادث لبنان منذ ٥١ سنة دع عنك من في صور وحيدا من السكان الاصليين وهذا الجبل مبعث التشجيع في بلاد الشام ومنهم قسم في جزين والمثن والبيرون وكسروان من لبنان وبلاد بعلبك وكان علماءهم اوفقهاؤهم يدرسون في مدارس مهمة كانت لهم في هذه الديار مثل مدرسة جباج التي خرجت جلة فقهاءهم

وادبائهم عرفناهم بكتبهم واعمالهم ومدارسهم وعينانا وجزين ومشغرا والشقراء وكل هذه المدارس الدينية درست اليوم حتى اضطر الفوم ان يرسلوا ببعض ابنائهم الى النجف في العراق ليدون العلوم الدينية عن ائمتهم هناك وبعد ان بقضوا بضع سنين يعودون وقد حفل وطابهم بما ثقفوه من مدرسة النجف التي هي للشيعه بمثابة الازهر للسنة . واني ليسوء في ما سمعته من تعصب بعض هؤلاء الفقهاء على المدينة الحديشة تعصباً ما كنت اخال صدوره ممن يدرك من الحياة في الامم فقد نقل لي ان بعضهم محرمون الى اليوم قراءة الصحف لانها تنصر بالدين يزعمهم وتشغل عن الآخرة حتى ان القحة بلغت بعضهم ان حرم على المنبر قراءتها وجاهر بائمن من يؤازرها فاضطر كثير من ضعاف العقول ان يقطعوا اشتراكاتهم بالجلات والجزائد ليعيشوا بدون نور الامايرسله عليهم مشايخهم من خفت وطأتهم والله الحمد بعد الدستور وكانواع الاعيان فيما مضى يعرفون لم الفقير ويمتعون دمه ولا راحم ففس القانون الاساسي من الخساق بعض الشيء وتوسك تلك البقية من لمطة الجامدين من رؤساء الدين ان تذهب كأمس الدابر اذ ليس في متن الاسلام ولا في حواشيه وشروحه ما يقال له سلطة دينية . وفي الحال التي انتهى اليها المسلمون على اختلاف مذاهبهم عبرة لمن اتقى السمع وهو تهيد .

تراجع العلم الديني في عامل وكان ابطال امتحان طلبة العلوم الدينية ايام عبد الحميد من جملة الاسباب واسكن البلاد ما حات ولا تخلو من مفكرين وعلمين ممن يعتبرون الاءور بمقاصدنا و ينظرون الى النافع من حيث هو وقد كاد اعيان البلاد ينزعون تلك التقاليد التي وضعها الجامدون من الامتناع عن الاختلاط بالمخالف ولا سيما اذا كان من غير اهل الاسلام ومنهم اليوم من يبعثون باولادهم الى المدارس العالية في بيروت وفي صيدا وكأني بهم وهم يرسلون ابناؤهم غداً الى الغرب ليستقوا العلوم من مصادرها كما فعل اخوانهم المسلمون في بيروت ودمشق وبعليك وحاصبا ولو بعثوا من ناشئتهم لتلقي شؤون الدنيا بمثل العدد الذي يبعثون به الى العراق لثقلت مسائل الدين اذا لا أصبح عامل ارقى بمجموعه من اجناب وما لبث ان عنه يبعيد .

ولسائل ان يسأل ما ذا كانت عاقبة سلطنة الرؤساء في المروثوسين هنا فالجواب انها علمت الكثير منهم الاحتيال وشهادة الزور والاستهتار بالشعائر سرراً . اخلاق تجدها في كل مغلوب على امره ارتضى غير قانون العقل دستوراً . ولا يفهم من هذا ان جبل عامل اختص بذلك من دون سائر بلاد الشام فان هذا القطر متساو في اخلاقه الا قليلا

ومنى تعلم انناؤد ولو التلميم الابتدائي لانت القارئين وانكاتبين لا يزدبون في قرية من قرى عامل على عدد الانامل ينزعون ايديهم ولا جره من ايدي اولئك الذين قضى عليهم نكد الطالع ان يكونوا كالميت بين يدي الفاسل يحركونهم بحسب ما تملي الاهواء النفسية .

هذا اجمال عن بلاد عامل بقي ان نقول ان الحكومة اخطأت في تقسيماته الادارية فجلت مراكز الحكومة في اقاصي تخومه وتركت اواسطه بدون وازع جلست الاقضية في صور وصيدا ومرجعيون وانشأت من النبطية وتبنين مديريتين والمديريات ضعيفة السلطة بالنسبة للاقضية والالوية في مديرية النبطية مثلاً ٤٣ قرية فيها من السكان نحو ٢٥ ألفاً افلا يجدر بها ان تكون قضاء برأسه وهكذا لو نظرت في التقسيم الماضي لرأيت غير معقول والجليل يحتاج لبضع مديريات وبضعة اقضية لتحسن طرق جبايته ويكون للحاكم قوة تحول دون التعادي بد ان الامن موفور فيه حصراً بعد الحملة الخورانية التي سرت منافعه الى اقاليم سورية عامة رتحت القوم بانتباه حكومة الدستور لكل مشاغب ومنقضى مجازيها جل الخروج عن الطاعة ولو جمعت الاسلحة من جبل عامل واللكام لاستراحت سورية باجمعها آخر الدهر ان شاء الله .

ورحاًوتنا انت ! ود الى هذا الجبل سكانه المهاجرون او سوادهم الاعظم على الاقل وقد تهذت عقولهم التهذيب الغربي في الجلة فعمرون رباعه وبقاعه على نحو ما عمر اللبنانيين بلادهم ويندروا فيها من المال في الطرق المحمّدة ما يعود عليهم وتلى جبالهم واوديتهم المحبة الصافية الرفاهية والراحة يعمرونها كما يعمر الصهيونيون القرى التي نزلوها من ارض فلسطين والجليل فقد مرّ بنا مكاربنا بقرية المطلة في اقصى حدود الحولة وهي جماعة من الامم رائيليين فرأيناها بتنظيمها كقرى اوربا فهلا رأى السكان مجاورهم وتلدوم في مرافق الحياة والشؤون النافعة

صيدا وصور

ما الروض الارض باكره السحاب ولا نسيم الصبا عطر بالشبح والملاط ولا مجامع الانس ولقاءه الاصحاب ولا العافية في بدن ذي اسقام واوصاب ولا التضارة في حدود الغنّيات الكماب ولا تزبد العندايب وائنين العود والرباب ولا نيل الالاماني بعد طول التطلّاب ولا رنات الاوتار تلين لها الصم الصلاب ولا كشف غوامض المسائل بعد ان خفيت عن طالبيها الاحقاب — ما كل هذا باجل من نزول صيدا في نيساننا وابارها

وقد طرزت ضواحيها وحواشيتها وترفت بالرقصات المطربات اعطاف شاديها وتفتت اطيافها في اشجارها وتفتت انوارها بين ازهارها وفاح اريج تربتها الزكية وتسلسلت سواقها النقية فتمخت الارجاء بماء ازاهيرها وورودها فكانت بهجة النفوس وريحانة الارواح

اتبعها من طريق صور وكنت قصدت هذه من النبطية قاعدة جبل عامل والمسافة بين النبطية او النابطية وصور سبع ساعات في طريق صعب في الجبلية وليس في صور ما يستحق ان يذكر سوى تاريخها القديم اما حالتها الحاضرة فاشبه بقربة وسط جزيرة تفصل مع البر مال وهي محصورة ضيقة وبلغني ان نفوسها لا يتجاوزون سبعة آلاف نصهم من المسيحيين والنصف الآخر مسلمون وتجارها ضعيفة جداً وزراعتها متوسطة وقد ذكر القدماء بان صور هي التي اوجدت فن الزراعة وغرس الكرم

كان اسمها في القديم دونه اليوم ميناء همبورغ ومرسيليا ولندن ونيويورك ومن مينائها وميناء صيدا سافرت سفن الفينيقيين واستعمرت شواطئ البحر الرومي حتى بلغت مضيق جبل طارق بل تجاوزته في بحر الظلمات الى ان بلغت الجزائر البريطانية واستعمرتها واقامت فيها مصانعها ومتاجرها على حين لا ترى اليوم الا قوارب حقيرة ومراكب شرعية صغيرة لا تدل على عظمة ولا تشع الا بفقر ومسكنة

أصبح ان صور التي لا تصدر الآن الا قليلاً من القطن والدخان كانت فيما مضى (١) تصدر الى بلاد العالم المدني السكر والخرز والزجاج والخروط والمعمولات وعسل جبل عامله وارجوان صيدا (٢)

أصبح ان هذه القرية الصغيرة الضيقة النطاق الكثيرة الدور والمنازل والخوانيت كانت ذات طبقات ست وسبع وثمان ويحلب الفينيقيون الماء في قوارب لفاههم وهي مركز حكومة فينيقية التي كان طولها خمسين فرسخاً وعرضها نحو عشرة فراسخ يقصدها اصحاب النواحي المستقرين الذين يحكون انفسهم بانفسهم لفض المصالح المشتركة فكانت منذ القرن الثالث عشر ام مدن فينيقية ضاقت على اهلها فأقيمت مدينة جديدة قبالتها وأسس تجارها مستعمرات في البحر الرومي كله لان زراعتها لم تكفهم أسسوها لبيصبوا الفضة من مناجم اسبانيا وبلغ العالم القديم وكما أسسوا مثل قرطاجنة مدناً لا تزال انقاضها شاهدة بعزها العائز ولذلك كان تاريخ صور وصيدا عبارة عن تاريخ العالم القديم ؟

(١) جغرافية المقدسي (٢) تاريخ الحضارة لسنو يوس نوريب منشي المقدسي

أصبح أن ملوك آشور حاولوا مرات الاستيلاء على صور أي مدينة الصخر فردوا عنها خائبين لحصانتها ولم تخضع لسلطانهم إلا بعد العناء الطويل محتفظة بإدارتها الأصلية وأن بخت نصر بعد أن حاصرها فاشتد في حصارها ثلاث عشرة سنة أخطر أن يعقد مع صاحبها ابتوبعل معاهدة وأن أهلها قدموا للفرس أساطيل مهمة ولذلك كان أول هم للأسكندر المقدوني أن يضرب على عظمة صور حتى تكف عن مد يد المعونة لأعدائه الأكاسرة ؟

أصبح أن القسم القديم من هذه المدينة المسمى بالتيروس *Palætyros* كان يمتد من نهر القاسمية في الشمال إلى رأس العين في الغرب أي على مسافة ساعتين ليس فيها الآن إلا رمالاً، وبعض الزروع البسيطة وأن الاسكندر جعل عاليها سافلها أي بني بانقاضها بين البر والجزيرة سده الغرب وطوله خمسمائة قدم وعمقه سنون وأن حصاره لما دام سبعة أشهر وقد أجرى إليها الماء^(١) وأنها مد هذا الحصار المهك بسبع عشرة سنة تعاضت على اتيفوس على عهد البطالمة خمسة عشر شهراً وأنها كانت على أوائل انتشار النصرانية أم مدن فينيقية وأولاهها بالتقدم وظلت إلى القرون الوسطى من المواني التي صعب على الفاتحين أخذها ولو لم يذأ اختلاف بين ملوك الطوائف لما وجد الصليبيون سبيلاً إلى الاستيلاء عليها سنة ١١٢٤ م ولقد حاصرها الملك الناصر صلاح الدين يوسف فكانت عليه صعبة المثال ولما سقطت عكا بأيدي المسلمين اضطروا لإخراج إلى الرحيل عنها بعد أن احتلوها ١٦٧ سنة أقاموا بها بعض الأبراج في البحر لا يزال بعض انقاضها بادياً وحكمها الأمير نجر الدين المعني وعقبه حاول انقضائها من كبوتها وإذا نظرت إلى البلاد رأيته تشقى كما تشقى العباد وتسعد

أصبح أن عكا وصور وهما الآن فرستان حقيرتان جداً من مواني الشام كان لما من المكانة في القديم ما لم تحز بيروت بعضه اليوم مهما بلغ من مجدها البحري وأن صور كانت هي وعكا ميناء دمشق وسائر مدن الداخلية منها صدر التجارات وترد الواردات وهما مقصد السياح من الشرق إلى الغرب وبالعكس ؟

قال ياقوت : أن صور مشرفة على بحر الشام داخلية في البحر مثل الكف على الساحل محيط بها البحر من جميع جوانبها إلا الرابع الذي منه شروع بابها وهي حصينة جداً ركنة لا سبيل إليها إلا بالخذلان وهي معدودة في الإسلام من أعمال الأردن

بينها وبين عكة ستة فراسخ وهي شرقي عكة . وذكرها شيخ الروم من جملة العجائب فقال : ان البحر الرومي منها رمية شتاب وهي مربعة البناء من خارج وهي مربعة من الداخل وعمق الماء الى اسفل ثلاثة واربعون ذراعاً بالكبير ويخرج منها ماء كثير وجريته فرسخين يجري الى المعشوفة ياتي انصاعاً ومزدردات ، وروى ابن فضل الله : ان صور كانت ولاية في القرن الثامن وفيها كنيسة بقصدها ملوك من البحر فلها لا يزال عليها الرقة . وم على هذا بأنونها مبالغته ثم يقصوف فيها ما ارادوا ثم بصرفون ولعل تلك الكنيسة هي كنيسة اللاتين التي يقال انها من بناء الملك قسطنطين وقال البكري (١) ان السفن كانت تسلك من الاسكندرية الى ابي قير فديساط فبحيرة ثيس ثم الى جزيرة دبقوا وهي التي تصنع فيها الثياب الدقيقة ثم الى تيردار مجاس (؟) ومنها الى غزة ففلاحة الواردة فعقلان فقيسارية فيانافراس الكرمان (لعله رأس الكرمل) فحيفا فمكا فصور وهي داخل البحر وهي ساحل بيت المقدس ثم الى صيدا ثم الى بيروت ثم الى طرابلس الخ . وانت ترى اليوم ان من هذه المواني السورية ما لا تقف عليه المراكب مثل عقلان وقيسارية وصور وصيدا فسبعان محول المالك قري وجاعل المجاهل معالم

وقال الشريف الادريسي بان صور كانت مرسى يدخل اليه من تحت الفنطرة وعليه سلسلة تمنع الراكب من الدخول قال ابن سعيد : صور التي لا يرام لحصار من جهة البر وقد حفر الافرنج حولها حتى اداروا بها البحر قال العزيزي وبين صور وعكا اثنا عشر ميلاً وفتحت في سنة تسعين وستائة مع عكا وخربت وقد نقل معاوية اليها والى عكا قوماً من فرس بعلبك وحمص وانطاكية سنة ٤٢ وكانت خراباً يوم مر بها ابن بطوطة (٢) سنة ٧٢٦ وبخارجها قرية معمورة سكانها من التوزة (٣) قال ان بابها الذي للبحر بين برجين عظيمين وبنائها ايس في الدنيا اعجب واغرب شأنها كذا مر بها ابن جبير قادماً من عكا فاجتاز في طريقه على حصن كبير يعرف بالزاب « لزيب » وهي مطلّة على قري وعمائر متصلة وعلى قرية مسورة تعرف باسمكندرونه وقال في وصف صور :

مدينة يضرب بها المثل في الحصانة لا تلي لطلالها يد لماعة ولا استكانة قواعدها الافرنج مفرغاً لحادثة زمانهم وجعلوها مثابة لآمانهم هي انظر من عكة سككاً وشوارع

(١) كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (٢) راجع رحلته

واهابا اليين في الكفر طبايع واجرى الى بر غرياه المسلمين شتائل ومنازع فخلاتهم .
 اسبح ومنازلهم اوسع وافسح واحوال المسلمين بها اهن واسكن وعكة اكبر والحق .
 واما حصانها ومنعتها فاعجب ما يحدث به وذلك انها راحه الى باين احدها في البر والآخر
 في البحر وهو يحيط بها الآن من جهة واحدة فالذي في البر يقضى اليه بمد ولوج ثلاثة
 ابواب او اربعة كلها في ستائر مشيدة محيطة بالباب واما الذي في البحر فهو مدخل
 بين برجين متيدين الى ميناء ليس في البلاد البحرية اعجب وضعا منها يحيط بها سور
 المدينة من ثلاثة جوانب ويحيط بها من الجانب الآخر جدار معتود بالحصن فالسفن
 تدخل تحت السور وترسي فيه وتعرض بين الرجين المذكورين سلسلة عظيمة تمنع
 عند اعتراضها الداخل والخارج فلا مجال للمراكب الا عند ازالتها وكي ذلك الباب حراس
 وامنا لا يدخل الداخل ولا يخرج الخارج الا على اعيان فشان هذه الميناء شائن
 عجيب في حسن الوضع والمكة مثابا في الوضع والصفة كما لا تحتمل السفن الكبار حمل
 تلك وانما ترسي خارجها والمراكب الصغار تدخل اليها بالصورية اكمل واجمل واحفل .
 قال وهاتان المدينتان عكة وصور لا بساتين حولها وانماهما في بسيط من الارض افيع
 متصل بسيف البحر وانفوا كما تجلب اليهما من بساتينها التي بالقرب منهما ولها عمالة
 متسعة والجبال التي تقرب منها معمورة بالضياع ومنها تجبي الترات اليهما وهما من
 غر البلاداه .

وقال ابن خردادبة " وسواحل جنود دمشق عرفة طرابلس وحبل وبيروت
 وصيدا وحصن العرفند وعدلون وسواحل حند الاردن صور وعكا وبصور صناعة
 المراكب اي المسلحة (الترانة) وفي زهرة المضايق : من اسكندرية الى مدينة صور
 خمسة عشر ميلا وهي مدينة حسنة على ضفة البحر ومن صور الى طبرية يومان كبيران
 ومنها الى عدلون وهو حصن منيع على البحر ومنه الى صيدا عشرة اياما وبين صور
 وصرفند يقع نهر ليطلة « ليماني » ومنبعه من الجبال ويقع هناك في البحر ومن صور
 الى دمشق اربعة ايام وذكر ياقوت في المشترك ان صور اشتهر مدينة بساحل بحر الشام
 واحصنها واحسنها انتقلت في ايام عمر بن الخطاب وبقيت في ايدي المسلمين الى سنة
 ١١٨ في ايام الامراء فآخذها الفرنج

هذا كلام الافرنج والعرب في صور وقد بلغنا فيها ليلة انقضت فيها النفس انتباها

لم يعرض لها سيف أحقر القرى التي مررنا بها في رحلتنا ومن الغد ركبتا المركبة الى صيدا في اراض مزروعة وجداول منسابة والمسافة اربع ساعات وليس في الطريق من اثر الا بقايا انقاض الصرقد وتعرف قديماً باسم الزاربات (Zarpath) وعدلون Ointhropozia ومغارة اسمها مغارة البراز يرشح الماء من اعلى صخر منها المتجمع من مياه المطر فيشرب منه الرعاة حيث يلجأون في الشتاء ويعتقد بعض العامة ان كل مرض جف لبنها وانقطعت درتها تستشفى بما يرشح من قطرات الماء فيدر لبنها ولم يبق دليل على ذلك في الحس كما لم يبق حتى الآن دليل على الاستشفاء بالاماكن المباركة وبعض المعابد ومحال النسك وما النذور التي ينذر بها بعض عامة المسلمين من السنة والشيعة والرحال التي يشدون منها القاصية الا من باطل السعي ومخلفات القرون الوسطى لا يؤيدها نقل ولا يقول بها عقل

وفي الطريق الى صيدا بعض نواويس ومسلات منها ما هو يوناني ومنها ما هو فينيقي ومنها ما هو مصري كما تجد احواضاً وقبوراً ومعاصر زيت وانقاض معابد وغيرها والمهم بما كان هنا وفي صيدا نقله علماء الآثار الى متحف الاسنانة او متاحف اوربا سراً ومدخل صيدا بجدرانها الانيقة مدخل المدن الكبرى وان لم يتجاوز نفوسها الخمسة عشر الفا ولذا رجح بعضهم ان الفينية بين اختاروها لجمال بقعتها وجبال جزين والريحان وعامل مطلقة عليها اطلال الاب على ابنة او العاشق على مشوقه

وكيف لا يهبح الابصار رؤيتها وكل روض بها في الوشي صنعها
انهارها فضة والمسك تربتها واغز روضها والدر حصباها
وللهواء بها لطف يرق به من لا يرق وتبدو منه اهواها
ليس النسيم الذي يهفو بها سحرأ ولا انتشار لآلي الطل انداه
وانما ارج الد استنار بها في ماء ورد فطابت منه ارجاه

اختلف المؤرخون في صور وصيدا وايهما كانت اكبر وانغم على عهد الفينية بين ويقول استرابون ان صور اقدم مدن فينية واعظمها بعد صيدا وقد جعل صور العبقة على مسافة نحو خمسة كيلومترات ونصف من صور الحديثة اما بلين فيقول ان المدينة القديمة والحديثة متصلتان ببرزخ احدهما مع الاخرى ومحيطها ٢٧ كيلومتراً اما المدينة الاصيلة فمساحتها زهاء اربعة كيلومترات

غفر الباحثون بنقود فيها رسم انطوخوس الرابع قبل المسيح بمئة وثماني وستين او

سبع وستين سنة كتب عليها انها ضربت في صور أم الصيدونيين ووجدت أيقونة اخرى كأنها رد على هذه الدعوى مكتوب عليها « الصيدونيون مذلون صور الكاذبة » وهكذا تنازعت صور وصيدا شرف التقدم كما تنازعت مدينة صرند (صرقت) التي بناها اهل صيدا على ١٥ كيلومتراً ونصف جنوبي صيدون على الناطي ومعناها سبك المعادن من صرف العبراني اي ذوب

يبدأ التاريخ ناطق بان صيدا وان سبقت الفينيقية بتأسيس المستعمرات منذ عهد عريق في القدم فأنشأت هيبون في نوميديا وقرطاجنة في شمالي افريقية فقد سبقتها صور فيما بعد وتبين ان صيدا كانت من عمل صور حتى كانت صيدا تعرف باسم « صور صيدا »^(١) وظلت صيدا مستقلة في شؤونها الداخلية وكان لها حتى على عهد الرومان مجلس شيوخ وحاكم اكبر كالذي كانت لنبهة الجمهوريات اليونانية . ولم يشتهر الصيدونيون بأنهم والصور بين اساتذة العالم في تجسم البحار بل اشتهروا ايضاً بأنهم اساتذة ايضاً في علم النجوم والرياضيات

خربت صيدا سنة ٣٥١ ق م عقيب انتفاضها على ملك فارس وقتل وحرق فيها ٤٠ الفا وفتحت ابوابها بنفسها للفاطميين اليونانيين ثم استولى عليها الرومان وكان يطلق عليها اسم « قائدة المراكب » و « أم القرى » و « المستعمرة السامية » وافتتح المسلمون صيدا سنة ٦٣٧ و ٣٨ م بدون مقاومة وقامت على عهد الصليبيين احوالاً ووفعت مالا سنة ١١٠٧ حتى رفع الصليبيون عنها الحصار الا ان بودوين الاول عاد فاستولى عليها سنة ١١١١ وبعد وقعة حطين ذلك السلطان صلاح الدين اسوارها سنة ١١٨٧ م ثم عاد الصليبيون فاستولوا عليها سنة ١١٩٧ واستخلصها منهم الملك العادل وخربها سنة تلك السنة فأعاد الافرنج بناءها سنة ١٢٢٨ فخربها المسلمون سنة ١٢٤٩ ثم حصنها سان لوي سنة ١٢٥٣ وابتاعها فرسان الميكلين الصليبيون وهاجمها المغول سنة ١٢٦٠ فجعلوا عليها سافلها ثم وقعت في ايدي المسلمين ودك الملك الاشرف حصونها .

ولم تنهض صيدا من كبوتها الا في القرن السابع عشر على عهد الامير نجر الدين المعني احد امراء الدرروز الذي جعلها مقر ولايته ونشط الاوربيين على نزولها حتى ازهرت تجارتها واقام فيها قصرآ له وخانات للتجارة وكان بعضهم من اهل طوشكانيا في ايطاليا وبعضهم من الفرنسيين وجلبت تجارة الحرير اليها ثروة هائلة وظلت المدينة

منقدمة في تجارتها الى اواخر القرن الثامن عشر وامتدت ابالة صيدا ^(١) سنة ١٨٣٨ فتألفت من بلاد ساحل عتبات وعكا وشفا عمرو والجبل والشاغور وبلاد بشارة وطبرية وصفد والامرة وتوابعها من القرى والعرب المحييين في ضواحيها وقد ضربت اساطيل الاوربيين المتحدة سنة ١٨٤٠ قلعة ارفاء وما زالت انقاضها بادية

وكانت صيدا مرفأ دمشق الوحيد في القرن السابع عشر والثامن عشر كما كانت في القرون الوسطى وبن دمشق ^(٢) وصيدا ستة وستون ميلا والميل ثلاثة آلاف ذراع او ستة وتسعون الف اصبع والفرسخ ثلاثة اميال او ثلاثمائة الف اصبع يقص اثني عشر الف اصبع وكانت الطريق على رواية الزيزي من صيدا الى مدينة مشغرا وهي اتره بلد في تلك الاحياء في واد في نهاية الحسن بالانتجار والانهار والمسافة اربعة وعشرون ميلا ومن مدينة مشغرا الى المدينة تعرف بكامد (الاب منها كامد اللوزقرية في غربي البقاع) فائدة تلك البلاد قديما ستة اميال ومن مدينة كامد الى ضيعة تعرف بعين الجر غنية عشر ميلا ومن عين الجر الى مدينة دمشق ثمانية عشر ميلا

ولا يعرف بالتحقيق الباني لاول لعور وصيدا والارحح ان الاولى بنيت في ايام جلعاد من صبط متسابني عمون اليهود والثانية بناها صيدون بكر كنعان وكانت مدينة صيدون اي صيدا اول ما احده كنعان ^(٣) على بضعة مراحل من جنوبي بيروت ولم تكن الا قرية للعبادير (كما يدل عليه اسمها نفسه) بناها على ماجاء في رواياتهم القديمة الآله بل (المعروف عند اليونان باسم آينور) على المنحدر الشمالي لرأس صغير يشرف بانحداف نحو الجيوب الغربي وقد كان لينها عند السلف شهرة فائقة وهي محصورة بين مخزر منخفضة متتابعة تبدي من النهاية الشمالية لشبه الجزيرة ثم تمتد بجذء الساحل على مساحة بضع مئات من الامتار والسهل المحيط به يستيه نهر جميل يعرف باسم بوسترين «نهر الاولي» وفيها كثير من البساتين الغناء الاريفة حتى اوجب هذا الموقع الطبيعي وهذا الجبل الخلفي تسمية المدينة بصيدون الزهراء وبجوارها شمالا نهر الدامور وهي تمتد جنوبا الى مصب نهر الليطاني وفيها وراء ذلك من البلاد كان في حكم العور بين

ة لوا وفي الاحتاب الحيواني التي مضت على العالم اي ايام كان الآله يعيشون بين

(١) دواني التطوف (٢) تقويم البلدان (٣) تاريخ المسيو ماسيرو تعريب احمد

زكي باشا

الباس اخنط سمحروم على القارة رسم مدينة من قصب الغاب ولماها استقر اخوه هيزعوس في بضع جزائر اقام فيها اعمدة مقدسة . وهيزعوس هذا اول بحري في العالم . وكان هذا بداً صور ثم جاء بعد ذلك ملكارت وهو عند الصور بين مثل هرقل الجبار المشهور في جاهلية اليونانيين ويؤكد كهنه هذا الرب ان هيكله بني هو والمدينة في وقت واحد وقد مضى نحو الف سنة وثلاثمائة سنة حينما زارهم المؤرخ هيرودس فعلى حسابهم يمكننا ان نقول بان مدينتهم هذه أسست في نحو ٢٧٥٠ ق م

استكانت صور وصيدا للفاتحين كما استكانت جيسل وبيروت من مدن الفينيقيين فتفرغت الى عهد رعميس الثاني احد ملوك الفراعنة لاختكار جمع تجارة مصر مع ام آسيا والبحر الابيض المتوسط وفي القرن الثاني عشر ق م حصلت على استقلالها لما ضعف امر العائلة العشرين من الفراعنة وكان خلال ذلك العهد كل من صور وصيدا عبارة عن دولة صغرى تطمح اليها انظار مجاورها بسبب ما احرزناه من توفر اسباب الثروة ولكلها قواؤها هذه الاطماع مدة بما كانت لها من الحصون والاسوار غير انهما لم يأتا لها البقاء زماناً على هذا الاستقلال فاقطع من عسقلون (عقلان) اسطول فلسطيني سنة ١٢١٠ وتلاقى بهارة الصيدونيين فدمرها تدميراً ثم اتولى على مدينة صيدون ومن نجا من اهلها فروا الى صور فتقويت بهم حتى صارت اقوى دولة فينيقية وفي ايام حيرام الاول (٩٨٠ — ٩٤٦ ق م) بلغت صور يحرها على الدرجات وانبسط سلطانها

كانت صور متفرقة في عدة جزائر يفصل بعضها عن بعض السنة من البحر ليست بالمعينة بل تغلها صخور طافية رؤوسها على صفحات الماء من جنس الصخور التي يتعذر معها اقتراب السفن في بعض المواضع من سواحل الشام فردم حيرام تلك المضائق التي تغلها مياه البحر بحصون ووردوم اقامها فاستمرت راحة المدينة ولكنها لم تكن لتنع سوى ثلاثين الى خمسة وثلاثين الفاً واقام ملوكها وتجارها قصورهم في اواخر سفيح لبنان وبقيت الجزيرة مركز الحكومة

وظلت صور راضية باداء الجزية للفاتحين حتى نشب القتال بين ملكها ايلولي « ٧٦٨ — ٦٩٢ » والملك تغلات فلازار الثالث صاحب اشور انتهت بهلاكه ووقوع صور في قبضة الاشوريين ولما سقطت يدوى عاد لصور استقلالها وفازت بدفع مجت نصر عنها بمعاونة الفراعنة الصاويين واحتملت الحصار ثلاث عشرة سنة « من سنة ٥٧٤ »

الى سنة ٥٨٧ « ولكن زفت قوتها بقتها الاهلية وفي سنة ٥٠٧ أُعيدت الى سيطرة الكلدانيين ولما سقطت بابل في سنة ٥٣٨ حصل لصور وفينيقية ما حصل لها فدخلت في قبضة الفرس من غير حرب ولا قتال

كان لكل من صور وصيدا كما كان لكل مدن فينيقية رب خاص بها « بعل » وله عشتاروت « اسطارطوس وهي آلهة انثى » وكانت البعليم والعشتاروتات تمثل قول الطبيعة والشمس والكواكب او الاغراض التي نفعها اليها نفوس بني آدم مثل العشق والقتال وكانت هذه الآلهة متوطنة في المرتفعات والشارف وفي الغابات وفي المياه وفي الاجار الخلام « بيت ايل — بيت الاله » وكانت هذه الآلهة تؤول الى زوج واحد اعلى او الى سبعة آلهة كبراء تحف باشمون الذي هو الاله الخالق وكانت عبادة هذه الآلهة غير متظلمة ومحفوفة باساليب القسوة فكان القوم يحرقون الاطفال تمجيدا لها واذا حلفوا بالانقلاب الصيني اخذوا يندبون ادونيس ثم اذا جاء الخريف احتفلوا ببعثه ونذروه ثم دخلت بعض القواعد الدينية المصرية في ديانة الفينيقيين

اخذت فينيقية عن مصر حروف الهجاء ومن الحروف الهجائية الفينيقية اشقت حروف الهجاء الاوربية . واثرت في فنونهم من صياغة ونقش ونحت وعمارة وعمل زجاج صناعات مصر تارة وصناعات كلديا تارة اخرى واشتهرت صناعة الفينيقيين عند القدماء فقد اتقنوا طرق اصطناع الزجاج وحفظوا زمانا سر تحضير الارجوان وفي الآثار التي عثر عليها في امريت اي مارات القديمة ما يستدل به ان المدنية المصرية اثرت كل التأثير في المدنية الفينيقية بل ان معاصر الزبوت ذات الاجرزة الضخمة تشبه الآثار المصرية كل الشبه وكذلك اواني الفضة والشبهان « البرونز » التي كانت تصنع في صور وصيدا تراها مزخرفة باشكال مصرية ومثلة لموضوعات مصرية وكذلك الجواهر والاساور والخناجر ودروع الخواصر والحواتم والاقراط تشبه المصنوعات المصرية فلم يكن للفينيقيين قط فنون وندنية خاصة بهم متأصلة فيهم لانهم اقتصروا في كل عصر على تقليد اعمال الامم التي تحكمهم فكانوا يقلدون الصناعات المصوبة والاشورية ايام كانت حكومة بلادهم في ايدي المصريين والاشوريين فلما حكمهم اليونان ثم الرومان حاكوا الصناعات اليونانية

وبالجملة فان صور وصيدا كانتا مدينتي صناعة وتجارة يحمل ابناءهما مصنوعاتهم ومصنوعات غيرهم الى الجهات القاصية وهم وحدهم كانوا ينقلون البضائع في البحر المتوسط

مدة قرون طويلة .

هذا ما يساعد المقام على اقتباسه من تاريخ العاصمتين القديمتين اما حالتهما الحاضرة فتأخرة وان كانت صيدا ترجع على صور كثيراً خصوصاً بمحادثتها الايقنة التي يعود عليها. منها دخل واقر لا سيما من البرنقال واليمون واللوز والشمس والموز والبلح وبني دنيا وهو شجر حديث ادخل الماطليون زراعته الى صيدا اولاً منذ نحو اربعين سنة وله طعم حلو مزويدر كبير

ان تلك البقعة التي تقدر بنصف غرطة دمشق بمساحتها في ذاك السهل الضيق الذي تطل عليه قم لبنان مغطاة بالتلوج وجبل الريحان وقومات نيجاً (١) . وصيدا سبى عمراتها اليوم صورة مصغرة من عمران بيروت وفيها من المعاهد والمصانع مثل ما في الاولى فلها مدرسة صناعة لبشري الامير كانت ومدرستان لم للذكور والانات كما فيها مدرسة للسويين واخرى للفرنسيين وثالثة للاتحاد الاميرالي ومدراس ابتدائية لجمعية المقاصد الاسلامية لا تعلق لها بجمعية بيروت المسماة بهذا الاسم ولا بجمعية النبطية التي اطلق عليها مثل هذا الاسم ايضاً وفيها مكتب ابتدائي ورشدي اميري وغير ذلك من الجوامع والكنائس كما ان فيها مزاراً يقال ان فيه شيئاً من جثة يحيى المحصور نايه السلام وهذا غير ثابت في التاريخ كما لم تثبت الدعاوي التي من قبله

وفي صيدا تصدر مجلة العرفان لمنشئها صديقنا احمد عارف افندي الزين وهي مجلة راقية خادمة للآداب العربية امتازت بمانشره لعلما جبل عامل والتجف وايران وشعرائهم وكتابهم وما ترويه من آثار العلويين وتاريخهم ولها مطبعة منقنة وهي المطبعة الوحيدة في هذه البلاد وبالنظر لقرب المسافة بين صيدا وبيروت اكتفى الصيدونيون بجرائد بيروت ولم ينشروا جرائد لهم خاصة .

«١» معنى نيجاً بالسرانية المستريحة وهذه القرية على حدود جزين ويدخل في قضاء جزين من اعمال لبنان اليوم جبل الريحان ايضاً سمي بذلك لكثرة الريحان الذي ينبت فيه كما اكد ذلك بعض العارفين ويحده جنوباً نهر ومرجعيون ونهر الليطاني وشمالاً اقليم جزين وغرباً المدينة ومزرعة سجد ونهر الزهراني من اعمال صيدا وشرقاً الليطاني وقرية مبيزون من اعمال البقاع وام قراه عرمتي وجرمق وعيشية وسكانها مسلمون شيعة ودروز ومسيحيون وفي دليل لبنان ان القرى الملحقة بناحية جبل الريحان هي عيشية وردية وزغرين عرمتي جرمق شهبيل صيرة زيد عقانة ريحانة قطرة نخلة خازن

وقد نمت صيدا شارعا طويلا لها اقامت فيه الدور والخوانيت على الطرز الجديد في الجملة اما بناء المدينة القديم فضيق بهج مثل ابنية بيروت وطرابلس القديمة اودى وامر وماؤها عذب يأتي في انابيب مثل ماء بيروت ويسقي منه في عالي البيوت وبلديتها تعني بتنظيفها اكثر من عناية بلدية دمشق وبيروت

وقصارى القول فان صيدا كما قلنا استاذنا الشيخ طاهر الجزائري تصيد القلوب صيدا وعلى رأي ابن الساعاتي وقد مر بها يوم كانت يهد الافرنج فرأى مروجاً خضراء كثيرة نباتها النرجس واتفق انه هرب بعض الاسارى من صيدا فأرسلت الخيل وراءه فردته فقال :

فه صيداء من بلد لم تبق عندي بلى دفيناً
نرجسها حلقة الفسافي قد طبق السهل والحزونا
وكيف ينجو بها هنيم وارضاها نبت العونا

مرج هبون

عدنا من صيدا الى النبطية في مركبة وذهبتا من القد في زمرة من الاخوان لزيارة قلعة الشقيف التي نسبت اليها البلاد المحيطة بها ويردعدها الى قبل الصليبيين عرفها الافرنج للمرة الاولى سنة ١١٧٩ ولما استولى عليها الصليبيون سموها الحصن الجميل وحق لهم ان يسموها كذلك لجمال موقعها المطل على نهر الليطاني المتسابة مياهه في اسفل الوادي العميق ومن الجانب الآخر بعض القرى المبتوثة في الخضرة التي تأخذ بمجامع القلوب ومن البعيد سهل مرج عيون (Merjon) الوارد ذكره في سفر الملوك وينتهي هذا المرج بجبل الشيخ ويجانبه قلعة الصبية المطللة على حولة تاناس وبلاد إشارة اوجيل عامل وفي الجنوب بلاد نفتالي الجبلية الى ضواحي صفد وعلى اليمين جبل الجرمق .

ومن قلعة الشقيف ايضا ترى قلعة هونين وفي الشمال الشرقي تصعد العين الوادي وفي اعلاه جبل الزمان منظر يملك على الانسان مشاعره فيدهش له ويتعجب ينظر الى القلعة فيراها محاطة في الجو كالعقاب تدل كل الدلالة على قدرة الانسان حتى سيفه سالف الاحقاب ويقع نظره من جهة أخرى على اجمل مناظر سورية وتمثل له هذه البلاد وما قاسته من مطامع الفاتحين وسينات الظالمين المستبدين

في هذه البقاع التي نمحتها الفطرة اسباب الصفاء والرواء تطااحت سدين كثيرة جيوش لاهل الصليب واهل الاسلام فاهلك الانسان اخاه بسائق الدين في الظاهر وسائق

المطامع الدنيوية في الحقيقة ولولا عزيمة من صلاح الدين يوسف بن ايوب نسفت
الاهواء لتجروها عن الاهواء لكانت بلادنا اليوم مدكاً لعدول اوربا او لاحداهن ولما بقيت
للاسلام والعرب كلمة تسمع في هذه الديار كما وقع لشبه جزيرة الاندلس وجزيرة صقلية
من قبل

وقلعة الشقيف كسائر قلاع القرون الوسطى في بلاد الشام من بناء كثير من الملوك
والتغلبين وامم ابنيتهما من اواخر العهد الروماني (١) ومعظمها من بناء العرب وفيها معبد
او مصلى من القرون الوسطى من الجهة الشرقية وهي محاطة من الجنوب ومن الغرب بهوة
عميقة محفورة في الصخر عمقها من ١٥ الى ٣٦ متراً ومن الجنوب فقط تتصل القلعة
بذروة الجبل ومدخلها الى الجنوب الشرقي وطولها ١٢٠ متراً وعمقها ٣٠ ومن طرفها
الشمالي بناء ناتئ طوله ٢١ متراً يتجه الى الشرق وفنائها او مصنها في الجهة الشرقية
منها عمدة نحو ١٥ متراً ومثلها الابنية الخارجية ولها انحدار يختلف من ٦ الى ٩ امتار
وقد قام على الحائط الجنوبي برجان على شكل نصف دائرة

قامت القلعة على هذا المثال بحيث اعجزت المهاجمين ويقال ان صلاح الدين لم يستطع
اخذها بالنجيق الا بضربها به من قرية القليعة في الشق الآخر من الوادي على مسافة
لا تقل عن اربعة كيلومترات وفي رواية تدور على السن اهل القرى هناك انه حاصرها
اشهرأ ولم يستل على حاميتهما الا بحيلة دبرها قروي من اهل ذلك الجوار فدعا الحامية
خارج القلعة للمأذبة اعداها لها وكانت الحامية مستأمنة له وقد انهكها الجوع حتى صارت
تأكل الفيران والجروذان فاشعروا وهم مشغولون يبطونهم الا وعسكر صلاح الدين قادمون
بطعام في زبي النساء حتى اقتربوا بهم فباغتهم بالقتل فلم ينج منهم نافع نار

والصحيح في فتحها ما قاله العماد الكاتب (٢) من ان صلاح الدين قصد الى شقيف
ارنون من دمشق ماراً بقلعة باتياس « واتى مرج عيون وخيم منه بقرب الشقيف وجمع
على من به من آلات الحصار اسباب التحويف « واقام عسكره في ذلك « المرج
الوسيع والروض الوشع » وكان الشقيف في يد صاحب صيدا ارناط فامهله ثم امهله
ولم يجد صاحب الحصن ملجأ « وتحول السلطان من مخيمه الى اعلى الجبل لمحاصرة
الحصن ورتب له عدة من الامراء الى ان تسلمه بعد ستة بحكم السلم وكانت مرجعيون
تنوافد اليها جموع المتطوعة من دمشق وحووران والمرج والفوطه قال : وفي يوم الاحد

خامس عشر ربيع الاول تسلم بالامان شقيف ارنون واستمر الحصار عليه منذ نزولنا في السنة الماضية بمرج عيون وصاحبه ارناط صاحب صيدا في دمشق لاجله معتقل وباب خلاصه دون فتح شقيقه مقفل وذلك ان الشقي في الشقيف في زاده وعزاجتهاده ومرد عليه في الحفظ مراده وخانه في البصر ارنياؤه وارتياده ونخب من الرهب فؤاده واصلد باليأس زناده وامنع عليه اصداره وايراده فسلمه على ان يسلم صاحبه ويخلص في النجاة مذا به وخرج هو ومن معه وترك الشقيف بما فيه وتركه للاسلام بما يحويه وافرج عن صاحب صيدا وصار الى صور وابس من التشريف والتسريح حجير الجبور اه وبعد صلاح الدين نزل القلعة الحامية الاسلامية وما زالت تنقلب عليها الاحوال حتى سكنها في القرن الماضي ابناء العشائر او حكام جبل عامل ولم يغادرها الا في النصف الاخير من القرن السابق اما اليوم فقد امتست زريبة ياوي اليها الرعاة بغنهم وما عنهم غادرناها عصر اليوم الخامس عشر من سياحتنا الى مرج عيون او مرجعيون كما يقال لها اليوم فاجتزنا اليها جسر الخردلة الممتد على نهر الليطاني ومرج عيون كانت مملكة من ملك اسرائيل تحيط بها حدود رحوب وقادش وخاصور وافيق اي سهل هذا المرج الذي يمتد نحو عشرة كيلومترات وعلى نحو كيلومتر من الجديدة مركز مرج عيون اليوم تل دبين وهي ربوة في السهل فيها بض خرائب تدل (١) على انه كان هناك مركز عيون وعيون هذه كانت عرصة لهجات آرام وآشور منها اخذت هذه المقاطعة اسمها وقال بعضهم ان عيون هي دبين وهي قرية على ميلين شمالي جديدة مرج عيون وعلى تل دبين آثار قديمة ذات شأن وقيل هي الخيام على ميلين الى الجنوب الشرقي من الجديدة واختلفت الاحوال على مرج عيون في الحكومات الاسلامية فكانت من اعمال صفد (٢) وسماها ابو الفدا مرج العيون بالف ولا م وسماها غير مرج عيون وهذه التسمية نشأت في الغالب للعيون الكثيرة التي تنبع من ارض الجديدة خصوصا وهي عجيبة لا تكاد تخلو قطعة ارض من عين تنبض فيها مع ان الجديدة على سطح مستوي في رأس جبل لا اتصال بينها وبين القمم العالية حيث تبتني التلوج اشهرأ كما هو الحال في قم صنين في لبنان الغربي وقم حرمون اي لبنان الشرقي والى شرق مرج عيون جبل الشيخ وقراء والى الجنوب بلاد بشارة وبحيرة الحولة والى الغرب قرى بلاد الشقيف والى الشمال جبل

المعجاني ورويات فيحة او شقيف تيرون

وعلى ميلين من الجهة الثانية عند منفرج الوادي قرية ابل ويقال لها ابل السقي تميزاً لها عن ابل القمح من اعمال مرج عيون ايضاً وفي منتصف الوادي على نفس السطح الذي قامت عليه قرية ابل قرية الخيام او الخيم . والجديد: والسقي والخيام ثلاث بلدان كأنها بلد واحد ذات ثلاثة احياء لا نفل نفوسها عن اثني عشر الف نسمة والغالب ان ابل السقي كانت بعد الاسلام مقر عمل تلك الكورة بدليل ما قاله ابن خرداذبة (١) : كورة السقي وجربتة والحولة قال ومن اخذ من ببلدك الى طبرية على طريق الدراج فن بعلمك الى عين الجر عشرون ميلاً وإلى القرعون وهو منزل في بطن الوادي خمسة عشر ومن قرعون الى قرية يقال لها العيون تمضي الى كفر ليلي عشرون ميلاً ومن قرعون الى طبرية خمسة عشر ميلاً وعد ابن خرداذبة من جملة كور الاردن كورة آبل ولعلها ايضاً هي بعينها او ابل القمح ويقول يافوت ان السقي قرية بظامر دمشق ولم يقل عن مرج عيون الا انها بساحل الشام والغالب انها لم تكن مشتهرة في عهده وان كان لها ذكر في الفتح الصلاحي

ويبع قضاء مرجعيون اليوم كثير من قرى جبل عامل وعدد قرى قضائها ٤٤ قرية منها المهم جداً بثار يخه وكثرة سكانه كبت جليل وهونين ودير مياس وميس ولا نفل نفوس القضاء عن خمسين ألفاً وربما كان المهاجرون منهم نحو خمسم وكثير منهم الذين وقفوا في اميركا واثروا ولا سيما سكان الجديدة مركز القضاء ممن لا تجد بينهم أمياً من الذكور والاناث ولا تشبهها بهذا المعنى بلدة في سورية الا الناصرة فيما اذكر لأن نفوس الطوائف النصارية على تأييد نفوذهم ودهوتهم فيها دعا كلاً منها الى فتح المدارس وتعميم التعليم مع التعاليم وقد فطر اهل هذه البلدة على الثقل المقيّد فاذا علم احدهم ابته لا يلبث جاره ان يحذو حذوه وهكذا حتى اصبح اهل القصبه واكثرهم مسيحيون متعلمين اما المسلمون فأنهم شأنهم في كل مكان مررباه : يضن الاغنياء منهم باموالهم حتى على تعليم اولادهم والفقراء على الحكومة وهيئات ان يتعلم ولد يسلمه ابواه ليعلم تعينه المعارف هذا اذا فتحت لها مكاتب في مراكز الاقضية فها هو الحال في سائر القرى التي تمر بالمشرين والثلاثين والاربعين منها ولا تجد فيها مدرسة اميرية ولذلك ترى ابناء المسلمين ينصرف غنيهم على الغلب الى الفسق والاعتداء ولا يجد فقيرهم منسأله من العيش ليتعلم فيري الماشية ويعيش في الجهل المطبق عمره .

دخلت جديدة مرج عيون بالتعلمين من سكانها في طور المدن ومثلها بمدد السكان كثير جداً في بلاد هذا القطر فهي اصفر من حرها وعرييل وداريا ودومة وجوبر من قرى غوطة دمشق التي لا تكاد تجد فيها مكتبة جيداً في الجملة ولكن اهلها على قلة عددهم ام من جميع اهل الغوطة على قرب هؤلاء من دمشق لان الفوطيين اتركوا على الحكومة فلم تعلمهم ولن تعلمهم اما اولئك فقد افضل عليهم اللاتين والروم والبرستانت فأحبوا نفوسهم بالآداب والمعارف على ما يحيطهم فاقام من اقام منهم عزيزاً وهاجر من هاجر منهم قادراً متعلماً

وبينا نجد المسلمين بأكل كيارم صفارم على ما سمعته من تلك الدعوى الغربية بين فقراء المسلمين في قرية الحيام واهليتهم الذين سلجوم فيما مضى على ما يقال اراضيهم لهجوم من الخدمة العسكرية بكنم اسماء نحو الفين منهم عن الحكومة نجد اغنياء المسيحيين يأخذون بأيدي ضعفاتهم فيفضلون على المحاريج ويعلمون الاميين وبواسون من يستحق المواصلة من البائسين ولا يحب فالعلم يدرهم والجهل يدمر.

في الجديدة تصدر جريدة «المرج» لصاحبها صديقنا الدكتور اسعد رحال وهي من جرائدنا الاسبوعية الزاخرة الرائجة وقد كان اكبر دواعي رواجها من تشييط المهاجرين من اهل المرج ولا سيما سكان الجديدة العقلاء المتورون ولا اعلم في مدن داخلية الشام جريدة اسبوعية تضاهيها بالرواج اللهم الا اذا كانت جريدة حمص التي تباع ايضاً من المهاجرين المحصين «ميج وزه زه»

وبعد فان هذا المرج بطبيعته من اجل ما وقعت عليه العين من البلاد التي عرجنا عليها في رحلتنا بسرح النظر منه ماشاء في روض بهيج لو اكثرنا فيه من زرع الاشجار المثمرة لفان غوطة دمشق واشبه سهول فرنسا وجبالها خصوصاً وأكثر دور الجديدة وابل والخيما أصبحت تنبى على الاصول الحديثة بالحجر الصلد والقرميد البديع ولكل دار حديثة تحيط بها كالملة بالقمر وما ارض المرج الا كما قال الشاعر

ارض اذا عبس الشتاء رأته	كلاية ملئت من الكافور
واذا الريح تكلمت وجناته	فديجات عطرت بهبير
واذا المصيف تلاً لآت صفحاته	نفواكه من باتع ونضير
واذا الخريف تقلعت اردانه	فمناع اقوات من المذخور
جمعت بها شئى الذى فكأنها	لقيا البشير بوصلة المهجور

وادي التيم

كتب لنا الطواف حول جبل الذبيح في هذه الرحلة ومساعدة جهاته الأربع .
وجبل الشيخ هو جبل حرمون بعينه المذكور في التوراة وسماء العرب جبل الثلج
قال حسان بن ثابت

من دون بصري ودونهاجل الثا ^ج عليه السحاب كالقصد
ويسمى أيضاً أمانة وبل حرمون وصيثون وسريون وسنير وشنير وزم بعض اصحابنا
ان السبب في تسميته هو ان شيخاً من زعماء الطائفة الدرزية سكن مغارة في
سفحه الغربي في القرن السادس للهجرة وتسمى مغارته الآن مغارة العباد واقام هناك
مع قومه السنين الطوال وبمض الاقرنح يملكون هذه التسمية بياض الثلج الذي على قمته
ويشبهه رأس شيخ اشيب . وتسمية العرب لحرمون بجبل الثلج تسمية طبيعية لان علوه
يحفظ الثلوج الى آخر فصل الصيف ولا سيما في المنحدرات العالية التي لا تعبت بها
الرياح الحارة والشمس على ما يجب وعلواً على قمته ٢٦٧٠ متراً عن سطح البحر او نحو
٩٤٠٠ قدم وطوله ثلاثون كيلومتراً او ثلاثة وثمانون ميلاً^{١١} او سبع ساعات وهو الى
الجنوب الغربي من دمشق على بعد ٣٠ ميلاً

ومن الغريب في امر هذا الجبل ان العيون المنجحة من ثلوجه تكثر جداً من شرقيه
اي من جهة وادي العجم واقليم البلان كما تنجس من جنوبيه او ما يقرب منها مثل عيون
نهر البانيامي والاردن وهو من سفوحه الغربية والشمالية ضنين باناء جداً ولا سيما من
جهات راشيا

وبعد ذوبان الثلوج في اواخر الربيع يصعد الى اعلى قمته بعض النظارة للترعة
والصيد وغالب صعودهم الى قمة اسمها قصر شبيب وفيها الى اليوم انقاض بناء ولكن
الوصول اليها يحتاج الى سبع ساعات صعوداً سواء كان من حاصبيا او من راشيا او من
احدى قرى اقليم البلان فيشهدون منه سوربة باجمعها ويرون بالمناظير والمجاهير دمشق
وكيف لا وقم حرمون اعلى جبال سورية

قدس القدماء حرمون وكان من الجبال التي يفرح اليها العباد كما تشهد لذلك المعابد
الكثيرة في جواره بل في سفوحه وقمته وكان الاسرائيليون يعجبون بعلوه ويحلمونه لانه
يجمع على ظهره وفي صدره الغيوم والسحب وقد ورد في نشيد الاناشيد كلام على

(١) المسالك والممالك

الحيوانات الكاسرة التي تسرح فيه وتمرح ولا يزال فيه الى اليوم جنس من الدب من النوع الذي يسميه الافرنج *Ursus Syriacus* وفيه انواع من الثعالب والذئاب وغروب من الطيور وبذبت فيه من النباتات ما نبت في جبال سورية عامة وتوجد فيه الكروم فوق ١٤٤٠ متراً من سطح البحر وبعد هذا العلو يطلع البلوط والملول وتلى علو ١٥٠ متراً من الكروم نبت نبات الصمغ « السراس » وعلى علو ١١٥٠ الى ١٦٥٠ يكون شجر متمر ولكنه بري وعمره يؤكل وعلى السفح الغربي من الجبل يوجد اللوز في مكان بدعى عقبة اللوزة . واللوز صنفان كما ان الحوخ الصمغ صنفان وفي الجبل نوع من الكراز والاجاص وتنت فيه اصناف اخرى من الثمار البرية وهو قاحل لا خضرة فيه الا من سفحه الجنوبي حيث نبت بعض النباتات مثل السيكران وغيره وجميع سفوح الجبل صعبة المروى غير مخصصة لقلة التربة فيها وفقدان المياه بمداياهم الربيع ولا يعد ان السفوح القريبة منه كانت في التديم مغروسة بالحراج والغابات الغناء الى الامكنة التي يساعد هواؤها على الانبات

وفي الاطراف الغربية من جبل الشيخ اي بين جبل الشيخ وجبال البقاع الشرقي اودية وتلأل لها وادي التيم نسبة الى تيم الله بن ثعلبة^(١) تفصله عن وادي الليطاني الا الى سلسلة تلأل تمتد الى عين الجرفي البقاع وتلى تلأله قرى عديدة تبلغ خمسة وعشرين قرية ومنها يتألف قضاء حاصبيا وقضاء راشيا او التيم الاعلى وقاعدته راشيا كلمة سريانية بمعنى الرؤوس والتيم الاسفل وقاعدته حاصبيا كلمة سريانية ومعناها الجرار والى اليوم لا تزال آثار معالم الفخار في حاصبيا . ويحد وادي التيم شرقاً وادي العمم واقليم البقاع ونمألاً سهل البقاع وغرباً مرجعيون وجنوباً بلاد الحولة وغرباً جبل الشيخ

وايس فيما ظفرنا به من كتب الساب اشارة تشعريجد . ابقى لمدينتي حاصبيا وراشيا قبل الحروب الصليبية والغالب انهما كانتا حصناً فقط لصد هجمات المهاجمين على المدن الداخلية على نحو ما كانت فلاح تيمين وهونين والتقيف والصية وغيرها وباس تيلاء امراء الشهابيين عليها كثر الكلام بشأنهما في التواريخ الحديثة في سنة ٥٥٧ هـ^(٢) قام آل شهاب من - يران وكانوا انبياء منذ التيم لاسلامي واصلمهم من الحجاز وزحفوا الى وادي التيم بزعامة الاميرهم محمد وكان نزولهم في بيضاء الظهر الاحمر من الكنيسة الجديدة

(١) دليل بيدكر (٢) دواني القطوف (٣) تاريخ الامير حيدر الشهابي

تلى ساعة ونصف من ريشيا الوادي وكانت هذه البلاد تحت استيلاء الافرنج ففردم آل شهاب واستنقذوها منهم في قصة يطول نرحها وكان البتولي على وادي التيم قباهم الامير ظهير الدين كرامة التوخي صاحب ثغر بيروت فانت جميع الافرنج من صيدا وصور وعكا الى حاصبيا ففردم الشهابيون على اعقابهم مدحورين ولردوا حاكم الكونت اورا و بسطوا احكامهم على هذا الوادي ثم اتصلوا لبنان وتولوا امره بعد الامراء من آل معن واستولى الشهابيون على لبنان نحو قرن ونصف وقد انصر بعض افراد من اميرتهم تحت حكموا لبنان ولم يزل اعقابهم الى اليوم مسيحيين اما من بقوا في وادي التيم فقتلوا مسلمين ومنهم اليوم طبقة متملة تنتمي الى المائت في الحكومة ولذلك غاظ بيدكر في قوله ان بني شهاب هم من امراء الدروز ولو كانوا من امراءهم ما قتلوا في وقائع الشام المشؤومة سنة ١٨٦٠ في راشيا وحاصبيا بيد الثوار من اشتقيا حوران ولبنان ايام قل ٨٠٠ من المسيحيين في راشيا و ٩٧٠ من مسيحي حاصبيا ولو لم يبع بعض الى دار السدة ثالثة رتيقة سعيد بك جن بلاط لهلكوا عن آخرهم وان معظم من نراهم ساكنين في حارة الياض اليوم في حي الميدان بدمشق هم من سلوا عن وادي التيم ولا سيما من حاصبيا وراشيا يوم تلك الوقائع المشؤومة ونزلوها ونشالوا فيها مذبح حالم

اشرنا الى هذه الوقائع والفنائ اذ لا يسوغ للمؤرخ ان يسكت عن حوادث هذه العلاقة الكبرى بمران هذه النصارى خصوصا وقد حرق في تلك الفتنة المشؤومة غابات وادي التيم ولا سيما حاصبيا وراشيا كما احرق اشجار جزين واقليم الخروب من لبنان وجباع من جبل عامل وكان المنكوبون تحصنوا فيها فشعلت فيها النيران ليهلك من لم يهلك بحد السيف واليدان

كان وادي التيم من اهم مراكز الدعوة الدرزية ولا يزال الى اليوم كذلك وفوق حاصبيا على نصف ساعة منها خلوات الياض وفيها مجمع هذه الطائفة الديني زرتهم افرات فيها معبد في الوسط مفروشا على نحو ما نقرش الجوامع والقرب من مساكن منها وقف الياض ومنها ملك خاص لاربابها يجب اهلها الانتطاع الى العبادة ومن المنتظمين لهذه الغاية في الياض تناس من وادي التيم وآخرون من الجبل الاعلى في حلب وجبال صفد وجبال لبنان وجبل حوران كما انهم المتزوج ومنهم لمجرد دم على جانب من التنسك والتشف شأن سائر العباد في معظم الامم على الغالب

وموقع البياضة جميل بطل على كثير من قرى وادي التيم وترى منه قلعة الشقيف وغيرها من بلاد مرجيمون وجبل عامل والحولة فاذا اوقدت فيها النار شوهدت الى مكان بعيد . ونحو نصف مكان وادي التيم دروز يحسنون الزراعة وهم على جانب من الاخلاق يتوفرون على اعمالهم ويحسنون عشرة جيرانهم شأن كل من يتلم من ابناء هذه الطائفة ولا سيما في لبنان . ومن لنا برجالهم ان يهبوا لتعليم اولادهم كما هب اخوانهم المسيحيون من قبل فاستفادوا وافادوا فان في ابناءهم من الصفات الحسنة العربية ما لو توفروا على تربيته وتذكيته بالعلم الصحيح لجاء منهم شعب من ارقى الشعوب العثمانية بشجاعته ومضاء وحسن ادبه وعزة نفسه وسماحته وذكائه وبمض هذه الصفات مما يفاخر به المخاضون

وايس في حاصبيا ما يستحق الذكر سوى معدن الحجر الذي كان السلطان المخلوع يستثمره لنفسه وظهرت منه فوائد مادية لاهل هذه الديار وهو اليوم مهمل اقله اليد العاملة في هذه الديار لان الناس هاجروا بالآلوف منها فاضطرت الحكومة ان تهمل هذا المعدن كما أهملت معدن صحمر في البقاع ايضا وغيره من المعادن في سورية لم تفكر في استثمارها وقد اضرم اهل الحجر باب الكروم فتصاعدت اثاره وهو يستعمل كل سنة لتزبيرها وتأييرها فلحقته الدودة من اجل ذلك وقلت مداخيله

وقد سمعت ان من قرى ريشيا قرية اسمها بيت ليا على ثلاثة ارباع الساعة من ريشيا وكنت قرأت في بعض الكتب ان بيت ليا من اعمال دمشق تضاف اليها كورة تنسب اليها فاذا صحت روايتي تكون بيت ليا وادي التيم غير بيت ليا في غوطة دمشق التي ذكرها ياقوت ورد علي من قال ان آزر ابا ابراهيم الخليل عليه السلام كان ينحت بها الاصنام ويدفعها الى ابراهيم ليبيعها فيأتي بها الى حجر فيكسرها عليه والحجر كان الى عهد ياقوت بدمشق معروفا يقال له درب الحجر قال والصحيح ان الخليل عليه السلام ولد بارض بابل وبها كان آزر يصنع الاصنام وفي التوراة ان آزر مات بخران وكان قد خرج من العراق فاقام بخران الى ان مات ولم يرد في خبر صحيح انه دخل الشام وللشعراء في بيت ليا اشعار كثيرة منها قول لحد بن منير الاطرابلسي :

سقاها وروى من النهر بين الى الفيتطين وحمورية

الى بيت ليا الى برزة دلاح مكفكفة الالوعة

والنسبة اليها بتلعي ونسب اليها خلق كثير من اهل الرواية وقال ابو بكر الصنوبري:

أمر بديرمران فاحيا	واجعل بيت لهوي بيت لها
وبهرد غلتي بردى فسقيا	لايام على بردى ورعيا
ولي في باب جيرون ثلابة	اعلمها الهوى غليبا فظيا
ونعم الدار داريا ففيها	حلالي العيش حتى صارأريا
سقت دنيا دمشق ليصطفيا	وليس يريد غير دمشق دنيا
نفيض جداول البلور فيها	خلال حدائق يبتن وشيا
مظالمة فواكهها بابي ال	حناظر في نواضرها واهيا
فمن نفاحة لم تعد خدأ	وس رمانة لم تخط ثديا

والظاهر من شعر ابن مثير والصنوبري ان بيت لها هذه والتي ذكرها الشعراء فاكثروا من ذكرها هي بيت لها القوطة وبيت لها وادي التيم ومعنى بيت لها بيت الآلهة بالسر يانية قال ياقوت بيت لها بكسر اللام وسكون الماء وياء والف مقصورة كذا بتلفظ به والصحيح بيت الآلهة

ولم يذكر ياقوت وادي التيم في مجمله بل ذكر «بيوس» وقال انها اسم جبل بالتام بوادي التيم من دمشق واباه عنى عبدانه بن سليم بقوله : لمن الديار بتولع فييوس قلنا وجبل بيوس هو الغالب فيما وراء الزبداني ومنه الآن قرية كفر بيوس وهو المعروف بوادي الحرير ووادي القرن والى هنا كان يصل عمل وادي التيم وكان هذا الوادي في القرن الثامن^(١) من مملكة كرك نوح بالبقاع وله اقليم مع ما يضاف الى الوادي المذكور ثلثمائة وستون قرية تعد من عمل دمشق

وزراعة وادي التيم ضعيفة واكثر قراء جميلة على اكمة من الارض وربما كانت نفوسه نحو ٢٥ الب نسمة فقط ١٠٠ طرة فاصعب واوعر طرق ومياهه قليلة ومتوسطة الجودة بطعمها ونفعها وقد تشع ايام القيظ فيقاسي الاهلون منها شدة وعناء

هذا وفي اليوم الثالث والعشرين من ايام رحلتنا ركبنا ورفقتي دابتين من راشيا فبعد ان اجتزنا سبل عجا او مستنقع قرية عجا دخلنا في وادي بكة وحزننا سبعة ساعات الى التكية احدى محطات السكة الحديدية بين بروت ودمشق وبالقرب من هذه المحطة شلال بردى يولدون منه الكهرباء لمدينة انجياء ومنهاركة القطار عائدین الى دمشق

(١) زبدة كشف الممالك لغرس الدين خليل بن شاهين الظاهري

ما ذارأينا في رحلتنا

نحمدنا في رحلتنا هذه من المتناقضات المختلفة ما لا نكاد نكابد بعضه لو طغنا قارئاً أوربا وأميركا وذلك رجاء أن نعود منها بفائدة نطلع عليها الأمة والحكومة وما قد كتب لنا ذلك بقدر ما سمح الوقت فرأينا أن لا نقصر بحثنا على أحوال البلاد الجغرافية والتاريخية والزراعية بل أن نتعداه إلى البحث اجمالاً في شؤونها الاقتصادية والاجتماعية والإدارية أول ما يقع عليه النظر ويسر تحقيقه الفؤاد انتشار اعلام الأمن في الكور التي جسنا خلالها بعد أن كان السائح يخاطر بروحه وماله لو أحب فيما مضى أن يطوف تلك البلاد . والأمن ولا شك حسنة من حسنات هذه الحكومة الدستورية التي نرجو بالعدل دوامها وبالمدنية الراتية احكامها ونظامها

يبد أن في هذه الكور قصوراً يلحق الأهليين وقصوراً يعود على الحكومة وأهم ما نطالب به الحكومة بعد الأمن احقاق الحق في البلدان الصغرى ليزوق الناس طعم الحكومة الحرة حقيقة لاننا لو نظرنا إلى حال الاقضية نراها وحواضر الولايات والولاية سواء من هذا الوجه لا ننتقطع شكوى الأهليين فيها . والشكوى مبيعية في الامم ومنها الحق ومنها دون ذلك

لا جدال في أن العهد الدستوري قد ادخل في الإدارة شيئاً من روح النظام شعر به في الجندية والشرطة والمالية من فروع الحكومة ولكن سائر اغروغ لم تبرح محرومة منه مثال ذلك القضاء والافتاء في الاقضية فقد طفت سبعة منها اربعة من أعمال ولاية سورية وثلاثة من أعمال ولاية بيروت واني لاستحيي ان اقول ان ارباب هذه الوظائف الا النادر ممن عصمهم الله حرماً من العلم والمعرفة والنزاهة والعاطفة الوطنية فلا دين لهم الا اخذ الاموال من غير حلها ولا شريعة الا التلاعب بالاحكام الدينية والمدنية ولا هدي الا ما توحى اليهم عقولهم القاصرة واني لأسف ان يجلسون على بساط التريفة المطهرة ورائدهم الجهل وقلة الامانة والصيانة ان يكونوا على نحو ما ذكرت . اذا عرفت هذا فقل مي غير هياب ولا وجل ان المشيخة الاسلامية لم تخرج في توسيد هذه الوظائف الشريفة عن الحد الذي كانت رسمته حكومة الاستبداد المطلقة اسى انها في العهد الدستوري لم تأت بما نحمد عليه خدمة للشريعة والقانون

القاضي او النائب في الاقضية هو الكل في الكل وربما كانت وظيفته اهم من القائم مقام لان حكم هذا لا يجوز الا في الامور الادارية والسياسية اما الاول فاحكامه تتناول

الاحكام المختلفة . فان كان ممن قلت تربيته ورق دينه والسواد الاعظم كذلك ات احكامه متناقضة سرذولة فاسدة حشوها الدرهم والدينار وسداها ولحمها تلوث الدمة وتلون القلب والا وهو النادر كان داعية من دعاة الاصلاح ومثالاً من الكفاءة تشفعها الاخلاق الطاهرة

والسبب في هذا الهزال المضي الذي اصاب حكام الشريعة في هذه المملكة انه انت ادوار كان ينظر الى المناظر الخارجية في تولية القضاة لا الى كفاءتهم الشخصية فلم يتأهل اكثرهم لها بالعمل ولم يخضعوا لنظام كما خضع سالك القائم قلمين مثلاً ولذا ترى في نفوس اكثر هؤلاء عفة وغيرة ومعرفة ما لا ترى بعضه فيما انطوت عليه جوانح اولئك الذين انبتوا نباتاً طيباً ونالوا حق الصدر بالرئى والمحابة وارتكاب ما تنكره الفضيلة وتأباه اصول الحكومات الراقية

كان احد كبار المصلحين في مصر يقول ان الاصلاح الديني في الشرق اول كل اصلاح . وما الاصلاح الديني في الحقيقة الا اصلاح عقول القائلين بالدين كالقضاة والمفتاي والحكام ولذلك كان من ام الاعمال التي تمت في مصر على عهد نهضتها الاخيرة انشاء مدرسة القضاء الشرعي حتى لا يقل القضاة الشرعيون في علمهم ومداركهم عن القضاة النظاميين ويتعب الاولون في اعداد نفوسهم ومكائهم كما تعب الآخرون ويخلص الاسلام من الوصمات التي يصحه بها الجاهلون به ليوقنوا ان الضعف اقم من المسلمين لا من الاسلام .

اما سائر موظفي الادارة في الاقضية فيرجعون على الجملة الى شيء من النظام وان كان يندرفيه العفب النزبه بحيث لا تكاد تعد صالحاً واحداً منهم في كل عشرة طالحين ويكثر استهثار احدهم وبقل بحسب ذكائه وشجاعته فان كان على شيء منها وله من يحميه في حاضرة الولاية او عاصمة السلطنة من كبار الموظفين اغرق فيما اخذ نفسه به ايمى اغراق لان حاميه يدفع عنه اذى اعديه والا لاذ بانتهى واعتصم بالراوغة والمصانعة والدهان لمن فوقه في المرتبة

هذا اجمال من حال حكومات الاقضية واصلاحها منوط في الاكثر شعبين متصرفين وولاية ممن خبروا امور الادارة بانفسهم سنين طويلة وكانوا على جانب من العلم وحسن السياسة يحسنون لغة البلاد ويعرفون طبائعها حتى لا يكتفونوا آلة بايدي فئة مخصوصة من الناس لا يكتبون الا ما يملون عليهم ولا يعارضون الا فيما لم فيه مأرب خاص .

ومنى ادرت الحكومة على الموظف الصغير راتباً يكون على حد الكفاية وسأله عن عمله وراقبته في حركاته وسكناته فقل ان نظامنا الاداري دخله الاصلاح الحقيقي والافتيق نسف في قيود الدل ونخبط على غير هدى .

كل من ينجول في داخلية البلاد يرى عياناً رداء الطارق وقلة اعمل العمران ولولا قليل من الهندسة دخلت في بناء الدور والمساكن والقرميد اللطيف الذي يزين سطوحها لا قسم من يرى تأخر هذه البلاد وما حثت بانها لم ترتق درجة واحدة في هذا القرن عن القرون الخوالي وانها كانت قبل الف والفي سنة اوسع عمراً وأكثر سكاناً مما هي اليوم .

الي الآن لا تجد طريقاً معبدة حتى بين البلدان المهمة فاذا كان الطريق الآخذ من بيروت فصيذا فصور فصيدا فالنبطية فمرجعيون لم يزل مشحناً متداعياً بعد ان صرف على رصفه بضع عشرات من الوف الليرات فاهو الحال بطرقي مرجعيون حاصياراشيا قطنا دمشق وطريق دمشق القنيطرة او قطنا القنيطرة بانياس وهي لم يصرف عليها شي وبقيت لا تصلح لمرور المواشي دع عنك الانسان

وبعد فان كنا لم نرصف طرفنا الى اليوم فأي اعمال اخرى ترجى ان تقوم بها مثل جر المياه من الحال البعيدة لسقيا الارضين وشفاه الاهلين او خزنها في خزانات وتجهيف البحيرات والمستنقعات مثل بطيعة سهل عيحا قرب ريشيا الوادي البائنة مساحتها نحو اربعة آلاف دونم وبطيعة دير العشائر في وادي النسيم ايضا وبطيعة الحولة ومستنقعات الجولان مما يؤذي صحة السكان ويؤخر عمران الارضين والبلدان .

ثم اين يد الحكومة في انماض الزراعة من كبتها باعطائها الاهلين السكك والادوات الزراعية والبذور والغراس التي تصلح وتجود في هذه الديار الطيبة بل اين يد الحكومة تعمل على الاقل على اقفه حفظ الحالة الحاضرة حتى لا تزيد البلاد خراباً فوق خرابها وان العين لتنبؤ عن النظر الى جبالنا وآكامنا الجرداء بعد ان علمنا انها كانت شجراً خضراء الى ما قبل عشرات من السنين واذا دمننا نوسعها القلع والقطع والحرق والتساق فافراً على حراجنا السلام الاخير بعد بضعة اعوام .

بلاد تكتفي لاعالة الملايين من البشر ونضييق عن هيش الالوف في نعل فتعمرها حتى تقوم حاجزاً حصيناً في وجوه من يهاجرون من السوربين الى سائر قارات الارض ولا سيما الى اميركا الشمالية والجنوبية

كنا نظن ان الهجرة لم نتناول سوى لبنان وما اتصل به من الجبال لان الجبلين انوى من غيرهم على تحمل المشاق وفطم النفس عن الراحة والرعاية ولان بلادهم فاحلة لا تخرج لهم على الجمل اكثر مما تخرج ولكن الامر على عكس هذا لان سكان السهول ايضا ممن يسهل عليهم الارتزاق من اراضيهم قد غادرونا الى ارض المهجر في طلب الرزق. كانت الهجرة مقصورة على المسيحيين اولا فتمدت الى المسلمين فنيهم وشيعيهم والى الامرائيليين والدروز والنصيرية والاسماعيلية وكانت لا تغطي لبنان الغربي ولبنان الشرقي فها قد امتدت اليوم حتى اخذت تستلب من سورية حتى سكان المدن المرفهين منها مثل اهل دمشق وحلب وبيروت وطرابلس وصيدا والقدس وتساوى ابناء هذا الوطن الواحد في مآدرة مساقط رؤوسهم الى امقاع اغنى فيها افراد ولم يزل عشرات الالوف في فقر وفاقة

يهاجرون كل يوم بالعثرات حتى كادت بعض الاقاليم تخلو من شبانها كلهم فها هذا البوق الذي نفخ في سورية من غربها الى شرقها ومن شمالها الى جنوبها حتى اسمع الصم فكاد عدد المهاجرين من ابناءنا يرهو على ثلث مليون من الشبان العالمين وظل البنات عوانس في بيوت آبائهن والنساء معطلات عن التناسل حتى نتأت من ذلك مفساد في الاخلاق لا توازيها الارباح مما كثرت والاجساد مما استطات وربت

قلت اليد العاملة بقلة الشبان في هذه الاقاليم حتى بقيت بعض الاراضي باثرة معطلة لقلة من يقوم على تمهدها وتعذر على ارباب الاملاك ان يجدوا عملة لاعمال الزراعة ولو اغلوا لم الاجور. وان اجرة البناء في وادي التيم لتبلغ الرياين ولا تجد بناء لا يعمل واجرة العامل البسيط ثلاثة ارباع الريال وقد نأتمصل على القدر الذي تريده من امثاله واجرة فاعل الحراث مع الفدان ريال ونصف وقد لا تجده ولم يكف الناس هنا بيوار ارضهم بل ان بعضهم في الحولة قلعوا بالالوف غراس التوت الجيد لانهم لا يظفرون ايام مواسم الحرير بالقدر اللازم من اليد العاملة التي تقوم عليه وآثروا ان يزرعوا اراضيهم ما امكن من القمح والشعير على غلات الحرير

كل هذا يجري في البلاد والحكومة لا تفكر في طريقة ناجمة تدفع عنها عوادي الهجرة التي كادت تسلب منها الروح. وان هذا القطر الشامي الذي لا يزيد نفوسه على ثلاثة ملايين ونصف ليعز عليه ان يفارقه نحو عشر سكانه الاقرباء ولا يأتيه من المهاجرين الا الغاملون الذين قد تعطيمهم الحكومة ارضا فيبيعونها وسكة ومحراثا فيقتلون

عنهما بئس بخص وبذاراً فياً كلونه ثم ترام يتسولون وبنيهم في شوارع البلاد مؤثرين الراحة مع الدل الشديد علي العناء مع العز الاكيد

ولقد لاحظنا في سياحتنا ان كل قرية او بلدة ليس فيها ولو بضعة من المسيحيين تكون الى الخمول والخراب اكثر من القرى التي يكثر فيها اناس من غير المسلمين وذلك لان جهور المسلمين اتكلوا في الماضي على الحكومة لتعلم وتربيتهم فما استفادوا وهيئات ان يفلح قوم يعقدون رجاءهم بين يكيغون المعارف بحسب اهوائهم ولكن المسيحيين نشطوا من عقالم بعد حادثة الستين فتعلم ارنوذكسيهم في المدارس الروسية واليونانية وبابوهم في مدارس الفرنسيس والطلينان وبرستانتيتهم في مدارس الانكليز والاميركان والالمان وهكذا حتى جاء منهم جيل راق في الجملة ارتفع عن مستوى الجيل الآخر مسلماً كان او درزياً او نصيرياً او اسماعيلياً

ومن الاسف ان القرية التي يبلغ سكانها المسلمون القلائج لا ياتهم مدرسة والقرية التي لا يتجاوز سكانها المئة مسيحي تشهد لم مدرسة ومدرستين كما لا تشهد للاولين جامعا ولا مصلى وللآخرين الكنيسة والكنيستين ثم نجد التجارة بايدي المسيحيين يزيد غناهم كل يوم بتماضدهم ومضائهم ويزيد اخوانهم المسلمون كل يوم فقر آبائهم وتكاسلهم نقول هذا ونحن على مثل اليقين بان هذا القطر كسائر اقطار العالم لا ينهض الا بنهوض السواد الاعظم من اهله وهم هنا من المسلمين وان من اكبر دواعي الاسف ان يرحل عن هذا القطر اكثر ابائنا تعلقاً ومضاء وهم المسيحيون ولورجعوا ورجع سائر مواطينهم على اختلاف مذاهبهم الى هذه الديار ليعمرها واحيوها واضطروا الحكومة بعملهم ومطالبتهم المشروعة ان تعمر لم الطرق وتعطيهم الامتيازات بالمشروعات العمرانية التي تعود عليهم وعلى البلاد بالخير والنماء ويكفي بانها تخلصها من وطأة الاجنبي والدخيل فان من الكثرة قوة وكثرة العيال احدي اليسارين

اخبار وافكار

مطبوعة بدون حبر

بالانفاق وقع اختراع هذا الاختراع كما وقع اختراع كثير غيره فقد اراد مهندس انكليزي منذ احدى عشرة سنة ان يأخذ قطعة من القود فتدحرجت على المنضدة فضغط عليها بدون اختيار على ورق ندي كان موضوعاً على صفحة من المعلن جعلت على موصل كهربائي غير منفرد فدعش لما رأى صورة القطعة قد طبعت طبعا صريحا على الورق بلون اسمر وكان الرجل ممن يحسنون معرفة الكهر بائية فالتزم بحثا علميا عن سبب هذا الطبع بالعرض فصرف عشر سنين في تطايق هذا الاختراع على طبع الحروف وقد ذكرت احدى المجلات العلمية المهمة انه قد نجح مؤخراً في اختراعه فالتزم عن الورق الندي بورق جاف بهل بمواد كيمياوية تحسلاط مع الورق عند ما يعمل وهذا الاختراع نافع جداً في طبع الكتب المهمة

عميان الاميركان

في نيويورك سبع مدارس للعيان الفتيان يقرأ فيها الفتيات والصبيان مع المبصرين نلى معلمات يلقين عليهم دروساً واحدة معينة فيسأل الاعمي والبصير على السواء ولا فرق في تعليمهم الا في الكتب والكتابة لان العمي يقرأون في كتب كتبت بحروف بارزة نلى اصول برايل وقد وقع تعديلا منذ اواخر سنة ١٩٠٩ فقربت فائدتها واصبحت ثمراتها مضمونة فربية فيتعلم الولد الاعمي كما يتعلم البصير ويشترك في الالعب الرياضية والاعمال الصناعية ويحمل على معلومات ارقى مما كان يتعلم سابقاً من مثل صنع السلال والاكياس والمكانس والجوارب كما هو الحال في مدرسة العميان في مصر بل قد اخذوا بعلمونهم ما يكونون به مستخدمى تليفون وكاتبين على آلة الاحتزال يتوصلون الى الكتابة بالة عادية والى الاحتزال بقلم رصاص بسيط وبعلمونهم الموسيقى واليياو والكنجة وغيرها من آلات الطرب فيصبحون قواماً بهذا الباب ويتمرن الفيات منهم على الخياطة ونفصيل الفساطين والاردية وعمل الازياء والطبخ . والعيان موضع عناية خاصة من الجميع فيأخذون بايدهم ويتودونهم الى يبرتهم وفي اتقوا دروسهم يكفل القوم لهم باليجاد اعمال في التجارة والصناعة ويرسلون باذكاهم عتلاً الى الكليات يأخذون من علومها ما طاب لم

بحيث يخرجون ليكون منهم موظفون . فاللهم هي للجبرين منا امبابا كذه حتى اذا
كشفت عن ابصارهم وبصائرهم يفكرون م في تعليم العمي
اعانة البائسين

كان في فرنسا في آخر سنة ١٩٠٨ ٥١٢٠٠٠ انسان محتاج للاعانة منهم
٣٥٤٠٠٠ شيخ تجاوزوا السبعين و ١٠٠٠٠٠٠٠ عليل و ٥٨٠٠٠٠ مريض مرضا عضالاً
ومعظم هؤلاء البائسين تبعث اليهم نظارة الاعمال والاحسان الاجتماعي صر بانهم الى
يوتهم وتختلف من ٥ الى ٣٠ فرنكاً في الشهر و ٣٩ الفا منهم تؤويهم في اماكن اقامتها
لم كالمستشفيات وغيرها يصرف عليهم في السنة اربعة ملايين تدفع الحكومة نصفها
والنصف الآخر جمعية الاحسان وفي فرنسا الآن ١٦١١٨ مكتباً لجمع الاحسان
غير جمعيات الحكومة تفيث زهاء مليون من السكان
-ويسرا والغرباء-

تحاول جمعية الاتحاد الوطني في سويسرا ان تحل مسألة الغرباء في بلادها لانهم
دامموها ولا سيما في البلاد الواقعة على النجوم بحيث كادت تصبح منهم في امر مريح فقد
بلغ عدد الغرباء في تلك الجمهورية الجيلة ٥٦٥٠٢٠ شخصاً وسكان البلاد
٣٤٧٥٠٠٠ اي ان في سويسرا ١٥١ غريباً من كل الف وطني سويسري وفي بعض
الاماكن يكون عدد الاجانب ٤٠ في المئة والغرباء في لوغانو اكثر من السكان الاصليين
وقد قررت الجمعية ان تعتبر سويسرا كل من يخلق في ارض -ويسرا من الاولاد
بعد الآن . ومعلوم ان لغات سويسرا هي الالمانية والافرنسية والابطالية يتكلم بالاولى
٦٩ شخصاً في المئة وبالثانية ٢١ في المئة وفي الثالثة ثلاثمائة الف شخص فقط وفيها ٦٠
الف في المئة يدينون بالمذهب البروتستانتي و ٤٢ في المئة كاثوليك
الالكحول في اميركا

في اميركا كما في اوربا جمعيات كثيرة لمقاومة المسكرات وقد وفقت احدى جمعياتها
الى ارجاع ثلثائة الف رجل فقط عن عادة تناول المسكرات القبيحة ومن الغريب ان
ثلاثين الفا منهم اسسوا لانفسهم جمعية وقاموا بتادون بالاقلاع عن الكحول وجمعيتهم
هي الجمعية الوحيدة التي كان اعضاؤها كلهم من السكيرين قبل سنين
عمران الولايات المتحدة

وافق مجلس النواب الاميركي على ميزانية سنة ١٩١٢ فكانت ٥٠٤١٢٧٤٤٨٣٠٠

فرنكاً او نحو ٢٥٠ مليون ليرة عثمانية اي نحو تسعة اضعاف الميزانية العثمانية ومن هذا المبلغ ٣٠٥ ملايين لاستهلاك الدين العام و ٧١٠ ملايين للاعمال العامة منها ٢٤٥ مليوناً لفتح برزخ باناما و ٦٣٢ مليوناً وكسر للبحرية وزهاء ٤٦٦ مليوناً للبرية . ومنذ مئة سنة لم تكن ميزانية هذه الجمهورية سوى ٤٢ مليون فرنك او اقل من مليوني ليرة عثمانية منها ١٦ مليوناً للجيش و ٨٤٥٠٠٠٠٠٠ للبحرية و ١٦ مليوناً للديون ولكن سكان الولايات المتحدة لم يكونوا نال ذلك العهد سوى سبعة ملايين نسمة فزادوا اليوم ٣ اضعافاً في مئة سنة وزادت نفقات الحكومة ثمانين ضعفاً عما كانت

حكاية العناصر

كتب جان فينور رئيس تحرير المجلة الباريزية مجيهاً في هذا المعنى جاء فيه ان اختلاط الاسن والشعوب في برج بابل ليس الا العوبة عادية للاولاد يجانب تأليف الام الحديثة فانك ترى في البودقة الواسعة التي تغلخ فيها الاوطان والشعوب الفروق الفسيولوجية نحل بسرعة مذهشة كما نحل العقول الآتية من اطراف الكرة كلها لان سهولة المواصلات ونشر التجارة بين الامم وانتشار الافكار واشتراك الكافة بها كل هذا آخذ بتقريب الاميال والحواس المدبرة للانسانية وكل يوم يكثُر اجتماع الناس ويتناول المجموع كمية اكثر من البلاد والعباد

والغالب ان قد انقضى دور القائلين بملو عنصر على آخر وانخطاط عنصر عن اخيه فان يابان قد سارت غيرها من امم الرب بعد ان عقدت المعاهدات مع شعوب مما في مقدمة شعوب الحفارة الانكليز وفرنسيس واصبحت الصين دستورية في حكومتها وستعود الى سكانها اخلاقهم الحرية فيضطر الناس الى احترام الوانهم ومعتقداتهم والزنوج سائرهم على سنة الله وبسرعة تلقى الاضطراب في نفوس اشياخ المتوهمين بالعناصر والالوان وقد ارتقى الزنوج في الولايات المتحدة منذ ستين سنة ارتقاء انسى ان اصلهم افريقي ولكن لا يجمعو سيئات جنون البشر قرونًا قرن في التعقل ولا بد ان تغل الحروب الآن بين ابناء آدم تصبغ اديم الارض بالدماء بضعة اجيال اخرى ويبقى للبلاد العظيمة من حيث حضارتها الحق ان تكون توبة لثلا تفقد في حروب الغد تراثها من الحكمة والجمال

وانا اذا اطلقنا اليوم كلمة عنصر فذلك لانها اصبحت مشابهة لكلمة بلاد او سكان البلاد فليس معنى قولنا عنصر الفرنسي انهم كلهم من اصل غالي كما يدعي بعضهم بل

قد امتزج بهم نحو ستين عنصراً وشعباً اقامت في فرنسا او اجتازت بها اجتيازاً ففهم
الاكيثيون والبالجيكيون والغاليون والليكور يون والسميريون والنوتونيون والسويقيون
والالمايون والسكسونيون والقانديون والسمريون والسبيكيون والفسكونيون
والفينيديون الذين اكثروا من المستعمرات ومن جملة مستعمراتهم مدينة نيم وهي
اجل مدنها ثم العرب والسلافيون والفينديون والشيقيون والروثيون
والاغاثيريون واليورغونديون والبلاسجيون والصلييون والتيريون والاتروسكيون
واليهود المراكشيون والانديسيون الذين زحزحهم ديوان التفتيش عن ارضهم وديارهم
ثم ان من الفرنسيين الويفريين والمغول والهونسيون والاوز والحزر والابر والكومانيون
وغير ذلك من العناصر والشعوب مثل البولونيين والهفتيين السويسريين (والايريين
(الاسبانيين) وغير ذلك وربما بعض الزوج

فوحدة الدم ليس بينها وبين ما تمتاز به امة من الصفات الاخلاقية والعقلية بل ان
امتزاج دم الشعوب بعضها ببعض تزيد في قيمة الشعوب والعناصر وما بدعيه بعضهم من
ان العنصر الالمانى كان اليوم ارق من العنصر الفرنساوى لانه حفظ في دمه شيئاً كثيراً
من اصله هو غلط وهم لان العنصر الآري والمدنية الآرية والجنس الآري لم توجد
بل هي اختراع يكفي في تزيفه بان قال بعضهم ان الآريين اتوا من الشرق وقال آخرون
من آسيا وغيرهم من الهند وآخرون من بكتريانيا وغيرهم من البلاد الواقعة بين بلاد اورال
وبحر الشمال وادعى بعضهم ان الآريين اتوا من جنوبي غربي سيبيريا وغيرهم انهم من
اواسط المانيا وغربيها وآخرون انهم من الشمال واكد غيرهم ان الآريين هم اوربيون حقاً
هذه اقوال علماء الانسان اما علماء اللغة ففهم من يزعم ان الآريين اتوا من جنوبي غربي
اوربا ومنهم من يقول بل من اواسط آسيا وغيرهم انهم من القوقاز وآخرون من بحر
البلطيق . وهكذا اختلف اولئك المتكلمون في الواف الآريين وهاجم وقاماتهم
ومدنياتهم وكيف مدنوا غيرهم وما كان عملهم واظنهم لا يزالون مختلفين في الآريين
قروناً بعد لان الاوهام كالا كاذب قد تطول حياتها ولا تأتي عليها الشدايد نهفاً

وما قيل في العنصر الفرنسي يقال في العنصر اللاتيني نلى الجملة فان الفرنسيين
والطليان والاسبان والبرتغاليين والرومانيين والارجنتينيين والبرازيليين وغيرهم من
الشعوب الاخرى في اميركا الوسطى كل هذه الشعوب ليست من اصل واحد بل تختلف
اصولها باختلاف سجناتها وما السحنات هي التي تربي الارواح بل ارواحنا هي التي

تربي سمخنا واما هيئة الرؤوس التي هي تجمع بين الشعوب وتوجد بينها رابطة القرابة بل حالتهم المتشابهة في الاستمتاع بالحياة او العذاب بها

ولقد كان يظن بعضهم انه يقتضي مرور عشرة احياء حتى يختلط شعب بآخر وتذهب من بينها الفروق ولكن مثال الولايات المتحدة امامنا لا يحتاج الى عرض فكلما كانت الامة قوية رجب صدرها وسهل عليها ان تدس فيها الصفات الاجنبية ومنذ بضعة قرون لا تجد عنصراً خالصاً من الامتزاج بغيره ولا شعوراً تألفت من وحدات متشابهة معلومة .

وما الايمان في الحقيقة ونفس الامر سوء البولونيين والادو بورتريين والفانديين وغيرهم من القبائل والشعوب السلافية وهم الذين ساعدوا على تأليف ذلك العنصر بل قد قال نيتش الفيلسوف الالماني وكان من اصل بولوني ان الجرمانيين الحقبة بين قد نزحوا الى الخارج وان المازيا الحالية هي مرحلة تقدمها العالم السلافي

ومثل ذلك يقال في الطليان فليسوا ابناء الرومان في الحقيقة بل فيهم اجناس كثيرة امتزجت دماؤها بدمائهم فقد دخل فيهم السيكانيون والبيورنيون وهم من الشعوب الافريقية والبلاسجيين ومن تفرع منهم والاتروكسيين والسلافون والسليتون واللونكبارديون والبيزانطيون والغاليون والمصريون واليونان والاسبان والصقالبة واليهود والنورمانديين والعرب والبروتون والجرمان وغيرهم من العناصر والشعوب كالعنصر السامي وغيره فاین الدم الابيطالي العرف .

وان انكلمنا على اعتزالها في جزائرها لم ننج من اختلاط غيرها بها ففيها دم زنجي ودم افريقي وفيها السرماني الجرمان والابيري دع عنك الفرنسيين والالمان وغيرهم ممن امتزجوا بالدم الانكليزي حديثاً . والاسرائيليون الذين باغفرون بطمارة دمهم لا يستطيعون الا ان يفضوا ابصارهم حياء امام الحقيقة التاريخية فقد كانوا قليلاً عددهم عندما وصلوا الى فلسطين فامتزجوا بالعرب والفلسطينيين واليهود وغيرهم من القبائل واعطوا دمهم الى كثير من الامم وناولوا منها دما حتى ان شعباً تركياً برمته اسمه الشازار قد دان باليهودية واتشربت شريعة موسى سيف العالم وادخلت في مجموعها من كل العناصر

فالشعوب كالأفراد ليست كبيرة باصولها التاريخية ولا معنى لاسمها وعددها مادام الشك يطرئ اليها والذي يهم في الامم كثرها العقلي والاخلاقي وفضائلها الفريدة التي طبعت عليها ارواحهم ونور عقولهم الذي يطوف الاقطار والامصار . وما من شعب

يسمو على آخر وينحط عنه من حيث تركيبة بل ان هناك شعوباً نقل مدنيتهما او تكثر
وتحسن المآتي اولا تحسنه في جهاد الحياة والواجب على امة تريد ان تمزج غيرها بها ان
توجه عنايتها الى افكار الاغوب وتسميل ارواحهم . وما سعي روسيا في جعل جميع
رعاياها روساً وسعي جرمانيا في جعل اهلها كذلك وسعي العثمانية في تدريك عناصرها
وكل ما تعتمد اليه هذه الدول من وسائل القضاء على القوميات الاثنية باطلة فقد
اضمحلت بوهيميا تحت السلطة النمساوية قروناً كثيرة وأخرج شعبها من عداد الاحياء
ودثرت لغتها وآدابها ولكن الدولة الضئيلة الوطنية بقيت حية تحت جبال من الرماد
ولما سكنت العاصفة عاد التشك وظهروا ذات يوم انفسهم وعنصرهم ومقاومتهم الالمانية
اكثرت من ذي قبل . وجزيرة كريت الصغيرة الباسلة التسعة ستضم عمما قريب الى
يونان على الرغم من عناد الحكومة العثمانية (?) وعمى رجال السياسة وكذلك الحال في بولونيا
وفنلندا . وان الاستيلاء على الشعوب استيلاء وحشياً قد مضى وانقضى فالواجب
استمالة القلوب واستنباع الارواح وان الامل الذي يدفن في اعماق القلوب اقوى
من طرقات المطارق على اجسامنا فالام تحيا ما دامت لا تريد الموت

الصحافة الانكليزية

زاد في الخمسين سنة الاخيرة نفوذ الصحافة البريية وقوتها في المجتمعات الحديثة
بحيث اصبحت احدى الادوات الهائلة التي ما قط استعملت لخدمة المطامع والحاجات
البشرية . فقد اصبحت السياسة والاعمال ونشر الافكار العالية والدفاع عنها وخدمة
المصالح المالية والاحتياط لها المضد العام والعامل الاكيد . فهي للتورخ الاجتماعي
بانتشارها العجيب ودخولها بكثرة في جميع اعمال الحياة الاجتماعية ذات فائدة قوية
ومن تأمل آثار الصحافة في بلد واسلوبها ومراميها يتأني له ان يحكم حكماً معقولاً
صحيحاً جداً على مميزات تلك الامة الاقتصادية والاخلاقية وعلى درجة عقولها وضعفها
وقوتها وابغائها واسترسالها وعلوها ونزولها في سلم الاجتماع . وعلى كل جريدة ان ترضي
الاميال لتجيا وتعيش وتخطب عقل قرائها وما مجموع صحافة كل امة الا اثر من آثار ترقيةها
وما من بحث أفيد واطلق بالاذهان في هذا الشأن اكثر من الارتقاء الذي حدث
في الصحافة الانكليزية فانها مثلت الاطباع والعظمة وكل ما فكرت فيه انكلترا واهتزت .
وصحافتها اسمى من صحافة منافسيها بما فيها من الحياة واتساع العمل وكال الاسلوب
وجلاء المبادي التي تديرها والبحث فيها درس لا نظير له للتورخ والصحافي . ويرجع

ارتفاع الصحافة الانكليزية الى اسباب عديدة منها ما هو آت من عنصر الانكليز وعقله ومنها يرجع الى ضرورات مادية حاضرة فالصحافة الانكليزية لا تضاهي صحافة مثلاً بمبادئها ونظمها المادي المنقطع القرن وما مثلها صحافة تشخص على ما يجب روح بلادها وتؤثر مثل تأثيرها في الفكر العام والمصالح العامة ولم تبرح منذ قرن تدبير دقة السياسة البريطانية وتوحي اليها الخطط الواجب اتباعها وان انكلترا المدينة بقيام ملكها ومجدها لرجال صحافتها لما تنبأوا به عن جرأة مستقبل بلادهم ولما فطروا عليه من الوطنية العاقلة على نحو ما هي مدينة بمجدها ورجال سياستها

ولقد كانت منافسة صحافتها على شدتها تظل دائماً الى الادب شكلاً ومعنى وما قط عمدت الى الابتذال لانها لاتراه قوة كذلك ولا ترى الثنائجة في كل حوار كانت تعرض الشيء وتقيضه بمدل يدesh كل من لا يعرف اخلاق الانكليز السياسية . وقد اجتهدت الصحافة الانكليزية زهاء قرن الى عهد ظهور الصحف التجارية بان وضعت نصب عينها في كل حال المصلحة العامة قبل المصالح كلها . ومهما كان من حالة الاحزاب التي تنسب اليها جرائمهم فديروها لا يبيعون جرائمهم من الحكومة فليس لحكومة انكلترا نفقات سرية تصرفها للجرائد ولا في نظاراتها موقوفون يعهد اليهم ان يعطوا الصحف ايضاحات فجرائد لا تنطق بلسان الحكومة ولا هي غير رسمية ولا نصف رسمية .

والفضل في ارتفاع صحافة انكلترا رخص اسعارها وقيل صدور جريدة «الديلي ميل» منذ ١٤ سنة لم يكن في انكلترا جريدة يزيد ما يطبع منها على ٢٥٠ الف نسخة ولا تباع النسخة باقل من عشرة سنيمات . وجريدتا «الديلي تلغراف» و«البال مال غازت» وهما للطبقة العالية والوسطى لم يقرب المطبوع منهما من هذا القدر وعلى ما بذلتاه من العناية ظلتا واقفتين . وجريدتا التيمس والسندارد اللتان يتمتعان ببركر ادبي راق كان يتأق لها زيادة المطبوع عنهما لو صحت عنيتهما عليه ولكنهما لم يريا حاجة ولا رغبة في ذلك فكانتا تضحكان في اعلاناتهما بقدر ما تستطيعان ولم تجدا حاجة للاستكثار من القراء ان تسماع الاذواق الجديدة او تمسك بمبادئهما وخطبتهما واذ كانت هاتان الجريدتان تصف حروفهما بالايدي وتطبعان على عدة ورقات «من ١٢ الى ٣٢ ورقة على ورق جيد قد يقع ثمنه قبل طبعه اغلى من القيمة التي يباع بها من الجمهور» لم يكن امامهما لكثرة المطبوع منهما الا الاعلانات تضحكان فيها فكما يسد به العجز في ميزانيتهما

ولما ظهرت الصحف التي تباع بخمسة سنتيات على ورق رخيص مطبوعة ومصفوفة بالآلات كاملة اتجهت الصحافة وجهة ثانية وتمدد بها الرأي العام والسياسة البريطانية وتأثرت الصحف القديمة من منافسة الصحف الحديثة كل التأثر وكانت تميل الى رأي المحافظين ويترؤفها اهل الطبقة العالية او الوسطى بخلاف الجديدة التي كانت ذات آراء متقدمة وقراء كثيرين من العامة وخلفت جريدة الديلي ميل جريدة الايكو فظهرت الصحف الحديثة في مظهر احسن من مظهر القديمة حسنة التحرير وافرة الاخبار كالصحف القديمة فلم تلبث ان احرزت ثقة السواد الاعظم وايقارها لها واقطعت الرفق من قراء منافسيها حتى عجزت ~~كثيرات~~ عن هذه عن المقاومة فانقطعت عن الصدور واضطرت اخرى مثل الديلي نيوز والديلي كرونيكل ان تتخذ الاساليب الجديدة وتمدد خطتها ونزل اثمانها فحدثت بذلك شابها واطرت الجرائد العظيمة كالتيمس والستاندارد والمورنن بوست واللوب شيئا من العناد واخذن بشهرتهن القديمة وثروتهن النالدة وذلك بفضل اخلاص قرائهن الدائم لهن ولكن التيمس والستاندارد وهما مثال التدقيق المفرط والنقايد المحسنة عادتوا تجذبها الضرورات التجارية ومالنا الى اكثير المطبوع من اعدادهما والميل بصحيفتيهما نحو الديمقراطية في ظهورها وبالصحافة الرخيصة تسربت الى الجمهور افكار جديدة نبهته الى الحياة السياسية وقوت عزيمته فصحت ارادته على الانتفاع بها فبهط نفوذ الاشراف والطبقات الوسطى القديمة وارتفع نفوذ الاشتراكية السياسية وتحطمت الاحزاب القديمة بحيث عجزت عن البقاء او كادت ودعت الصحف الجديدة الى معاضدة المحلة وبألت واهكثرت في الدفاع عن قوازين النضامين والمعونة حتى كادت تضر بمصلحة الوطن كل ذلك لتستميل قلوب القوم وتستهكث من القراء وكان في مقدمة الجرائد المسموعة الكلمة في هذا الساب الساهرة على ارضاء الجمهور بالنزول الى درجة افكاره جرائد الدايلى مايلى والدايلى اكسپرس والمورنن ليدر التي اخذت بعد قليل من صدورهما تطبع مئات الالوف

وجريدة الديلي ميل هي التي احدثت هذا التبدل في مظهر الصحافة الانكليزية وافكارها ومساحيها واسم الفرد هر مسورت يدير اليوم بنفسه او بواسطة رجاله معظم المنشروعات الصحافية سمى انكلترا ٠ بدأ مديراً لجريدة اسبوعية أسست سنة ١٨٨٨ وكانت اوشكت ان تكون الى خطر بصنيع القائمين عليها فاروشها في اقل من سنة حياة خارقة للعادة بحيث بلغ المطبوع منها ٧٨ الفا بعد ان كان ١٣ الفا وذلك بان فتح سباقا

بين القراء يتال فيه جوائز مالية كل من يوفق اليها كان كأن يضع لم سواً وهو من
يقدر كم دخل مصرف انكلا ترا من النقود المدينة والذي يجوز يكون له راتب بقاضاه
طويل حياته قدره ليرة كل اسبوع فاهتم الجمهور لهذه المسابقة وكانت النتيجة بعد اقل
من ثلاثة اسابيع ان ارتفعت البيوعات من جريدته الاسبوعية من ٧٨ الفاً
الى ٢٠٠ الف

وهكذا جرى الصحافي في كل المشروعات التي قام بها بالابداع في الالوب
والتيقظ والبذل في سبيل النجاح ولما اصدر جريدة الديلي ميل في ٤ ايار سنة ٣٩٦
لم يبع منها نسخة بل ارسلها الى الوكلاء والمال في المستودعات وكان يطبع منها كل يوم
مائتي الف على اسلوب كله مستحدث ولم يكتب له النجاح؛ بد شهر من صدور جريدته
الا لانه عرف حاجات الجمهور ورعاها فقد كان القوم قبله يتلون الجريدة ليقفوا على
رأيها في الحوادث والرحل يأخذوا منها وذلك بانهم ان تختار من المشره الى
العشرين الى الثلاثين سائياً يذولونها ولا يخشون اما اليوم فانهم يراعون الجريدة
لوقوف على ما يجري مثل الانباء الخارجية والحوادث المختلفة واخبار المحاكم والآراء
في الازياء والرياضات مما يهتم له جمهور الناس ويميل اليه أكثر من جميع المناقشات
التهكمية يريد ان يتناول معلومات بارخص الاثمان وقد نشأ هذا النشوء في الافكار من
حالة الحياة الجديدة وما تتطلبه من السرعة والمضاء ومن انتشار التعليم العام وكان
الفضل لصاحب الديلي ميل الذي لاحظ ذلك قبل غيره وعرف من اين تولى كل
الكتف فيه ففي جريدته مثال جديد من الفواصل بين الحوادث واختصار في النصوص
وقليل من الاثاء المكلف المديح وكثير من الحوادث فتقدر بنظرة خفيفة ان تطلع
في خمس دقائق على كل ما حدث ونقل في جريدته المقالات الافتتاحية وتكثر فيها
الحياة والمعلومات تلفت النظر ابدأ والمهجة اقرب الى العامة والطبعة والرسائل البرقية
والنظرات الاجمالية مختصرة على الجملة والحوادث كثيرة فالقاري يتلوها بسرعة غير
محتاج الى تأمل وغاية ما يلزمه قليل من الانتباه فجريدته ولا جرم جريدة رجل العمل
المستعجل الجريدة التي نقرأ في المركبة والحافلة والسكة الحديدية والمرء مأخوذ بحمله
وبعبارة اصح جريدته حديثة النشأة فهي تحوي جميع الاخبار التي تنشرها الصحف
القديمة بأسيسها ولكنها اجل في الاسلوب واقل كلفة على الجيوب اي ان ثمنها نصف
ثمن ارخص الجرائد القديمة

اما انجيس فقد أنشئت سنة ١٧٨٥ وهي صاحبة المقام الذي لا ياري بين صحف العالم بـسعة مواردها وكثرة اخبارها وصحتها وشدة استقلالها وحسن تلقي آرائها وكانت في اخرج ساعات انكلترا صوت هذه الدولة وفكرها وهي من حيث الماديات لا تجارى كبيرة الحجم تطبع على ورق ذي ١٦ الهى ٢٤ صفحة حجم كل منها اربعة امتار مكعبة وقد حسبوا ما يحتاجه ادارتها كل صباح من الورق فكان عرضه مترين وطوله خمسمائة كيلومتر وورقها جميل مثين وحروفها دقيقة حسنة التنسيق والوضع آية في تصحيحها وقد راى احد اللوردات على مئة جنيه بان يخرج لها خمسين غلطة فاحدق في ستة اعداد منها حتى احصى لما ثلاث غلطات مطبعية وفي ادارتها اربعون مصححاً اذا وقعت لاحد من اوفى غلطة يطرد من وظيفته ويؤكدون ان احد كبار مديريها قد اجلس في قاعة الانتظار احد وزراء انكلترا اكثر من ساعة بينما كان يفتش عن كاتب مقالة مسوؤل عنها نسي ان يضع علامة الاستفهام بيد ان قراء النيس اذا عثروا على غلطة مطبعية لا يلبثون ان يشعروا الادارة في الحال . وكثرة عناية النيس في مصادقاتها ومراعاتها التامة في نقولها وتقرير اد انشائها اصبحت المجموعة التي تنشرها ادارتها كل سنة في الاحكام الصادرة اشبه بمجموعة دالوز في القوانين لا يعتمد في التاريخ الاعليها . واسرة « ولتر » هي مالكتها وقد اصبت منذ سنة ١٩٠٨ لنقابة خاصة يرأسها احد ابناء مالكيها الأول ولكن الفرد مرمرسورت صاحب الدبلي ميل وكندي جون هما يدها العاملة وروحها المدبرة

ونجى^٤ بعد التمس جريدة الدبلي تلغراف أنشئت سنة ١٨٥٥ وشهرتها عظيمة وهي باعلاناتها اشهر جريدة في انكلترا بل في اوربا وتأثيرها الادبي والسياسي اقل من النيس ولكن اخبارها كثيرة واسعة النطاق وهي التي اشتركت مع جريدة نيو يورك هيرالد وبعث هنري ستانلي للمرة الثانية للبحث عن داود ليفنكستون الذي اهتم له انكلترا وكان من ذلك افتتاح الكونغو واصقاع البحيرات العظمى في اواسط افريقية . وجريدة المورن بوسست اول الصحف اليومية بانكلترا أنشئت سنة ١٧٧٢ وهي اساس حال النورين والاشراف تدعو الى التوسع في الاستعمار وتخالفا الدبلي نيوز وهي تدافع عن المسائل المهمة بحرية فقد دافعت عن ايطاليا ويونان وبلغاريا وارمينية وارلندا وحملت على اعدائهن حملات مفكرة وهي الصحيفة الوحيدة التي لا تنشر اخبار المسابقات والرياضات . وجريدة الدبلي كرونكل هي الجناح الايمن للاحرار والستاندرد

أسست سنة ١٨٢٧ مقبولة جداً في عاصمة الانكليز وبين الاتراف المتوسطين واشراف الارياف . وجريدة المورنن ليدر غربية مقبولة من العامة بقرية او وضعها وكثرة مكاتبها في الخارج كثرة لا تضاهيها فيها جريدة اللهم الا التيمس والدبلي تلغراف . ثم تجيء الصحف الاسبوعية التي تصدر يوم الاحد فمنها جريدة النيواوف دي ورلد وجريدة اللويد وكل منها يطبع مليوناً واربعمائة الف نسخة

بين هذه الصحف نشر صاحب الدبلي ميل جريدته فنظر نظرة بليغة فحين تقدمه فلم ير ان يسبقه في انشاء جريدته ولا في رخصتها ورأى ان اصداها قبل ميعاد الصحف مما يهيئ لها قراء كثيرين خارج لوندرا فقد كانت صحف هذه العاصمة تطبع بين الساعة الثانية والثالثة بعد نصف الليل وتساير الساعة الخامسة في القطارات فتصل الى الاماكن التي تبعد ثمانية كيلومتر عن لندرا وقت الفطور والى الاماكن البعيدة ثمانية واثنين وعشرين كيلومتراً حوالى الظهر فاكثرى صاحب الدبلي ميل قطارات خاصة لجريدته تسافر الى الجهات المختلفة فتوزع جريدته الى ابعد الاماكن قبل ان يتناول المطالعون جرائد ولاياتهم نفسها مخافة ان يكتفوا بهذه عن مطالعة الصحيفة اللندنية وكان لذلك يطبع جريدته قبل ساعة ثم قبل ساعتين من طبع رصيفاته وبذلك استغنى كثير من القراء خارج لندن عن سائر صحفها وبعض صحب الولايات وارفع معدل ما يطبع من الدبلي ميل بعد بضعة اشهر من ٢٥٠ الفاً الى ٤٧٥ الفاً ولم يلبث ان صار ٧٠٠ الف ولم تصل الى السنة الثالثة حتى بلغ المطبوع منها مليون نسخة واصبحت اليوم تطبع مليوناً ومائتي الف نسخة في حين تطبع التيمس ٥٥ الفاً فقط والدبلي اكسبرس ٧٠٠ الف والدبلي تلغراف ٣٥٠ الفاً والدبلي نيوز ٣٠٠ الف والمورنن ليدر ٣٥٠ والستاندارد ١٢٠ الفاً والدبلي ميرور ٩٠٠ الف وجريدة ابفنن نيوز وهي فرع للدبلي ميل تصدر في المساء ويطبع منها ٢٥٠ الفاً . وقد فكر صاحب هذه الجريدة في شمل انكلترا فرأى مدينة منتسرة على ثلاث ساعات ونصف من لندرا متوسطة بين بلاد ايكوسيا ونفوسها ٧٥٠ الفاً وهي مركز تجاري مهم فانتأ فرعاً لجريدته هناك فيها جميع ما في جريدته اللندنية من الاخبار والمقالات منها ما يرسله من ادرا مع البريد ومنها ما يرسله على ايمان الرق فنخرج الدبلي ميل في منتسرة في الوقت الذي تصدر فيه لندن وبذلك تسني له ان يبيع من الجريدة الثانية مائتي الف نسخة فيكون مجموع ما يبيع من الدبلي ميل ١٤٠٠٠٠٠ وقد اصدر فرعاً آخر لجريدته في باريز يبيع منه عشرين الف نسخة كل يوم واحبت

بعض منافساته ان تحذو حذوه واكتنفا لم تفلح لانه اخذ دونها المقام الاول في القاصية كما اخذه في الدانية

واغرب من هذا وذلك ان صاحب الديلي ميل اصدر فرعاً من جريدته بحروف برايل النائفة بصفتها عمياناً ويطبعونها ويوزعونها وهي للعميان فيها الاخبار السياسية وغيرها تصدر مرة في الاسبوع في ١٦ صفحة وهذه الجريدة هي لخدمة الاساية المحضة وذكرها اجل سطور في تاريخ الصحافة المصرية

وبانتشار الديلي ميل الى هذا القدر اقبل ارباب الاعلانات عليها وآثروها على غيرها ولولا ذلك ما استطاع صاحبها ان يتكبد مثل هذه النفقات واستعمل اساليب التجارة في اصطياذ المعلنين فلم يكف كثره من ارباب الصحف ان يقصد المعلنون ادارته باعلاناتهم بل اخذ يبعث برسله الى التجار يقولونهم على اعلاناتهم والاعلان في انكثرتا اهم اسباب التجارة وبدونه نقل الارباح كما قال بعضهم بل ان امتاع الصحف يوماً واحداً عن نشر اعلانات التجارة اصعب على الامة من وقوف السكك الحديدية وانقطاع الاسلاك التلفونية والبرقية ويكفي ان لندن وحدها تنفق في السنة على الاعلان فقط ملياراً ونصف مليار فرنك — انتهى ما عرناه عن المجلة الباريزية وعسى ان يكون فيه لاهل الصحافة العربية غناء فيطرسون على آثار الصحافة الانكليزية الراقية

موظفو فرنسا

الغالب ان فرنسا اكثر بلاد الحضارة موظفين ففيها الآن ٩٦/٨٥٥ موظفاً على اختلاف الطبقات واذا اضيف اليهم موظفو الجزائر وتونس وغيرهما من المستعمرات الفرنسية الذين يتقاضون رواتبهم من ميزانية تلك البلاد زاهر الموظفون من الفرنسيين مليون موظف فكان لفرنسا موظف واحد لكل ٣٨ مكلفاً يقاضون في السنة ملياراً وخمسمائة وعشرة ملايين بضاف اليها ١٠٨ ملايين رواتب رجال الملكية و ١٧٠ مليوناً رواتب العسكرية

بين القاهرة والرأس

عزم رجلان المانيان احدهما ضابط والاخر جيولوجي ان يجتازا المسافة بين رأس الرجاء الصالح والقاهرة في السيارة (اتوموبيل) والمسافة بين البلدين عشرة آلاف كيلومتر وذلك ليتأكدوا فيما اذا كان يتأتى لهذه المركبة ان تحمل ركاباً وبضائع بين جنوبي افريقية وشمالها وسيقطنان مركبة اخرى الى السيارة التي نقلهما وتكاف نفقات

انشائها مائتي الف مارك على ان الخط الحديدي الموزي به ربط تينك المدينتين احدهما بالآخرى قد تم بعضه ومؤخراً افتتح فرع من واد مدني الى سنار وقد بلغ طول مامد منه من الجنوب ١٥٠١ ميل (نحو ٢٤٠٠ كيلومتر) ، الفرع الجنوبي تسير قطاراته الآن من كيتون الى المحل المسعى سنار اوف كونفو في مملكة الكونغو الحرة اي على مسافة ٢٣١٢ ميلاً (نحو ٣٧٠٠ كيلومتر) فيبقى بعيداً عن الخطوط بعد ٢٠٦٠ ميلاً (٣٢٠٠ كيلومتر) فيكون على هذا التخطيط طول هذا الخط كله ٥٨٧٣ ميلاً منها ٣٨١٣ ميلاً قد نجزت والقطارات تغدو فيها وتروح وستجبل لها طبقة رابعة لافقراء

سكة طرابلس

احتفل في الشهر الماضي بافتتاح الخط الحديدي بين طرابلس الشام وحمص وطوله ١ كيلومترات بنصف القطار في ثمان محطات ويقطع المسافة بين البلدين في اربع ساعات وهو من الخطوط العريضة مثل بعض الخطوط الحديدية في سورية ، وبهذا الخط اصبحت كثير من مدن الداخلية في سورية مرتبطة بالسواحل فاؤل ما ربط منها يافا بالقدس ثم تبعتها دمشق بيروت فخوران ثم خط حيفا ودمشق وحيفا درعا المدينة وربطت بيروت بحلب واليوم ربطت طرابلس بحمص وما والاها

كتب الاولاد

من مقالة لاحد الدالين من الاوربيين ان كتاب الولد يجب ان يحوي شرطين رئيسين ان يعجب القاري به ويهتم له والاعجاب به يكون بما يحوي به من الصور والاهتمام له يكون بما تسميه من الموضوعات اللطيفة وهذه الصفات تحتاج لتأليف كتاب من هذا النوع الى رجل مفن ورجل كاتب وان يكون كلامهما مفطورين على معرفة مخاطبة الاولاد ولما يتوفر ذلك ، وقليل في كتب الاولاد المفيد لان الاسفار التي تجعل بين ايدي الاطفال هي في العادة سقيمة الانشاء علية التصوير كأن المؤلفين والمصورين يقصدون الى ادخال السامة على نفوس الصغار بما يكتبونه ويرسمونه على ما اتفق فالقصص التي يوردونها مملّة يريدون ان يعلموا بها بدون ان يسألوا وان يعطوا دروساً في الاخلاق والتهديب لانتشيل قلوبهم وليست سوى مواعظ وما اخرى تشبهها بحقول باثره لا تثبت فيها زهرة ولا تجدد فيها ما يبعث حماسة الشبيبة نعم هي صور مضحكة يفهمها الولد على حسب مداركه ولكنها لم تخرج عن كونها قصصاً عامية ينغم فيها الابتذال الى فساد الاحكام ، فارة لا جاذب فيها تنب قارئها اذا قرأ منها

الصحف الاولى فيمغلى عنها قبل ان يتهى . فالآداب التي يدرسها الاطفال هي ولا جرم مخالفة للتصدي منها في معظم البلاد . قلنا هذه شكوى البلاد الافرنجية من رداءة كتب الاطفال عديم وهي ما هي فاهو الحال ذاً في مدارس البلاد العربية
تجار الاميركان

لكل مخزن كبير في الولايات المتحدة مدرسة خاصة لتعليم مستخدميهما وبائعيهما تعليماً تجارياً خاصاً يدرسون في الغالب كما يدرّب الجند لان تجار الولايات المتحدة قد ايقنوا بانه يصعب ايجاد مخازن كبرى اذا لم يكن فيها نظام مدقق ولذلك يدخلون الصياف والبنات الى هذه المدرسة في الرابعة عشرة من سنهم فيعلمونهم في الصباح الحساب والانكليزية ليجيدوا التكلم بها كما يعلمونهم الافرنسية ويمرّنونهم نصف ساعة على الالعب الرياضية كل يوم لتكون حركاتهم منتظمة شأن المستخدم اللبق وفي النهار يشغلونهم في اعمال المحل واكن بدون ان يختلطوا مع الزين . وبعد تمرينهم ثلاثة اشهر على هذا النحو يبدأ بتعليمهم معرفة الاصناف التجارية وفي المساء يعلمونهم شيئاً من التعليم النظري فيدرسون مثلاً كيفية عمل البضائع ومحال عملها بحيث يستطيعون بعد ان يلقوا درسا مختصراً لمن تريد ان تتنازع زوجاً من الجوارب ويوقفونهم على علم النفس لان هذا العلم نافع لهم نفعه للتقصي والعالم . واهر البائعين المرغوب فيهم هم اهل ارلندا

التلغراف اللاسلكي

زيد في هذا التلغراف اختراع جديد مركوبي نجح بواسطة طيارة تنقل في النهار رسائل برقية كهربائية الى مسافة ٥٦٠ كيلومتراً وكانت رسائل التلغراف اللاسلكي حتى الآن لا تنقل الا في الليل خاصة وبهذا الاختراع الجديد يمكن ارسالها في كل ساعة والى كل مكان ويحل الاشكال الذي كان ناجماً من المخاطرة التلغرافية من سفينة مبحرة مع اي محطة في الشاطئ وكانت

حمى مالطة

ثبت ان هذه الحمى تنتقل في لبن الماعز وذلك لان الحكومة منعت الحامية هناك من اعطائهم لبناً حلياً في جملة الجراية اليومية . وكان ثبت ان لبن البقر ينقل جراثيم السل ولا يفيد فيه الا التعقيم الشديد

المقاس

حالة الجو «الطقس»

« الفواعل الطبيعية التي تؤثر فيها وتعدل على ما تصير اليه »

لا بد ان يتلقى قراؤنا الكرام هذا الموضوع بما يستحقه من الاحتفاء بعد ان الفتت انظارهم اليه الثلوج التي تراكت في هذا الشتاء على ربوع البلاد فسدت المسالك وسافت حيوانات البر من كهوفها وأوجارها لتشارك الانسان في ميساكنه ونشيطه اطوره شظف العيش في مكانه

وقد خيل لمن لا الملم لم بالانواميس الطبيعية ان كثرة ضرورنا قد كانت السبب لهذه الضربة الالمية والحقيقة ان خطايانا كثيرة في كل سنة فلو كانت هي الداعي لذلك لاقضي ان لانفارقنا الضربات على مر السنين

وبما لا ريب فيه ان المحسك ازمنة السماوات والارض بيده قد سن للطفية شرائع تسير بموجبها وتنتج معاً ما نشاهده من الظواهر الفلكية والتقلبات الجوية التي تختلف باختلاف اتجاه هذه الفواعل وكيفية ارتباطها معاً واجتماعها او تفرقها على ما سنينه

ومع ان العلوم والمعارف هي ومجموع اختبارات البشر لا تزال قاصرة عن ايضاح معظم ما نتوق النفس لمعرفة، مما لا يزال وراء حجاب الغيب فانها قد كشفت لنا الشيء الكثير من اسرار الطبيعة حتى صارت الميتيورولوجيا والظواهر الجوية علماً جزيل المنفعة للملاح والزراعي والتاجر وغيرهم من ارباب المهن والحرف وقد تبين من درس طبيعة الهواء والنور والحرارة وحركات الارض ومهابة

الرياح والجازبية وغير ذلك ان ثقلبات الجو وظواهره بين صحو ومطر وحر وبرد اخل خصوصاً عن اتحاد افعال السبع القوات الآتي بيانها:

(١) دورة الارض اليومية على محورها

(٢) دورة الارض السنوية في فلكها

(٣) الجاذبية التي تشد الهواء الى الارض

(٤) قوة التباعد عن المركز الناجمة عن دورة الارض على محورها وعن قوة استمرار حركة الهواء

(٥) قوات دقائق المادة المعروفة بالحرارة والنور والانفة الكيمية والكهربائية ، وقوة

الاشعاع التي تصل الينا بالاشعاع من الشمس ، وجميع الاختلافات والتقلبات الواقعة على عرض الاماكن وحركتي الارض اليومية والسنوية

(٦) فقد الحرارة بالاشعاع من الارض والهواء

(٧) اختلاف تمدد الاجسام باختلاف توزيع الحرارة في الهواء لتوقف ذلك على

مراكز القارات والاقيانوسات وعلى وجود أجخرة سهلة التكثيف كالتي تكون ممزوجة بقارات لا تنفك عنها ، وعلى التعوجين والاكسيجين اللذين يتركب منهما معظم قارة الهواء

فأدنى تنهير في هذه القوات او في كيفية عملها يحدث تغييراً في ما يحيط بنا . ويتصعب علينا التنبؤ بالدقة عن حالة الجو لاننا لا نزال نجعل ما وراء كرتنا لارضية من الفواهل . ولكننا نعلم ان قوة ما تنقل دائماً من الشمس الينا بسرعة جاذبية الثقل او النور وتغلغل الهواء المحيط بنا وبها يعلل تكون الشفق وذلك ان هذه القوة اسماء ايونس *ions* او الكترولونات *Electrons* متى تكثرت تخفف عن سيرها المستقيم حالما تغلط الهواء وترسم منحنيات لولبية الشكل . وعندما تصل هذه الدقائق ببعض الغازات من مثل الكربتون *Krypton* يستدير الغاز فيكون من ذلك نور الشفق الذي يشاهد في الاماكن القريبة من القطبة الشمالية أكثر من غيرها كأعلى اسوج وزوج وشمال كندا وغيرها

اما النجم والمطر والثلج والبرد وسائر متعلقاتها فتكون بالطريقة الآتية

تلقي الشمس اشعتها على مياه الاوقيانوسات والابحر والبحيرات وما ماثلها من المستودعات المائية فتسخن الهواء الملاصق لها واليابسة وتجف الماء فيجف ويصعد في الهواء

المشبع رطوبة الى الطبقة التي يتكون فيها الغيم . ويمتد الهواء بالحرارة ايضاً فيصعد بقوة يدفع بها الهواء المجاور له من الجهات الاربع . ومعنى هذا الدفع انه ينفق شيئاً من حرارته كلما صعد ودفع ، مما يجاوره حتى يبرد اخيراً وتغلب فيه الرطوبة فيبتدي^١ انه يشكأف يشكل الغيم او السديم . وهذا التكأف انما يتم بالتفافه حول ذرات الغبار ودقائق الالكترونات التي تقدم ذكرها فنكسى هذه الذرات بالرطوبة كما يكسى في العصف ظاهره امحريق زجاجي ملآن ثلجاً . ونرى ذلك فكلاً زاد الغبار في الجو زاد تكأف الغيم وقل المظهر الذي لا يهطل الا من اواسط الغيم او قلبه حيث الغبار قليل وذلك لان ضغط على الغيم والهواء الاعلى منه ونسب جف الغيم ان يكون مكهرباً بارداً الى درجة تكون الندى . فمن غيمة كبيرة يكونها الهواء الرطب حول دقائق المادة قد يوجد جزء صغير فقط خال من الغبار فيتمدد بسرعة كافية لتكوين ماء الماطر

ومن هذا يتضح ان اطلاق المدافع الكبيرة في الهواء اذا وصل دخانها بما فيه من الدقائق الى مساواة الغيم يحدث غيماً ويمنع وقوع المطر لان المطر لا يسقط الا من قلب الغيوم حيث يقل الغبار او يخلو شيئاً

اما اذا سقط المطر وكان الهواء بارداً جداً فانه يجمد . فاذا كان الهواء هبب من جميع الجهات لعب فيه ودوره فيسقط برداً والا فاذا سكن الهواء سقط عطياً كثف التظن وهو الثلج الذي تكسى به قمم الجبال وسائر الاماكن العالية الباردة

ولمعرفة اوقات سقوط المطر او الثلج يجب ان ندرس مهاب الرياح وعلاقة البرد من كلف الشمس ومنطيسية الارض وغير ذلك مما يصعب معرفته بالدقة

غير ان الآلات التي اخترعت حديثاً للدلالة على حالة الجو وهي البارومتر والثيرومتر اي مقياس ضغط الهواء ومقياس الحرارة كثيراً ما تدل على حدوث الامطار والزوابع بالضبط قبل وقوعها بزمان يختلف بين ١٢ و ٢٤ ساعة وما ذلك الا لتأثرها بضغط الهواء وبلغ ما فيه من الحرارة والرطوبة التي نقل او تكثرت تبعاً للقواعل العديدة الطبيعية كما يدها آتفا

فرطوبة هواء الهند مثلاً تأتي من بعد شاسع اي من جهة الجنوب الغربي للاقيانوس الهندي وهواء اورما يوتر في افريقية وهواء جنوب افريقية يوتر في آسيا وهكذا فكان الهواء ككرة مرنة ينتقل فعل القواعل على احد جوانبها الى كل جانب ولذلك فجونا عرضة للتأثر من الاعلى اي من الفلك الذي وراء حدود الهواء ومن القطبين ومن

جانبى خط الاستواء فلا يكاد بفعل فيه فاعل الا ويظهر تأثير ذلك في مجموعه . ولهذه الاسباب لا يمكننا معرفة اوقات وقوع الامطار والتلوج واشتداد الحر والبرد وغير ذلك الا اذا عرفنا تأثير جميع الفواعل والمؤثرات في اتحاد العالم . وهذا ما يسعى العلماء لرصده ومعرفته حسب ما تمكنهم الاحوال

وقد لا يمر بنا زمن طويل حتى تصير نبوات العلماء موضوع ثقة القوم فيعرف الناس جهات الرياح واوقاتها وازمان سقوط المطر والتلج بضبط يكاد يقرب من كنه الحقيقة وفي اوربا واميركا الآن معاهد خاصة فلكية تنبئ بتغيير حالة الجو انباء جزيلة النفع للانسانية . وعمما قريب تنفتح عيون الناس في آسيا فيخمنون هذه الخطة العلمية ويجارون القوم في حياتهم العمرانية

بيروت

خليل سعد



السراصرة او الزرازة

Les Censeurs

(١ تمهيد) من احسن ما يفيد اللغويين والكتاب والمربين واصحاب نادي دار العلوم تتبع الالفاظ الدخيلة في العربية ومعرفة الاصل الذي اخذت منه . فان التتبع عن هذا الامر يكفينا مؤنة وضع بعض المصطلحات الجديدة مع وجودها عندنا . هذا فضلاً عن منع كثير من الالفاظ عن التسرب الى لغة قريش الفصحى وجس مواد اللغة عن ان يعيث فيها عاث والذب عن حياضها ومناهلها الراقية وتخفيف حمل الحافظة لكثرة ما توفق في هذه الايام بنشر الصحف المختلفة الموضوعات . وخوفاً من ان تنوء باثقالها فتبعض . ولهذا فاحسن واسطة تتخذ في هذا الباب ان يسمى الى اقفاله باقرب وقت واخصر طريق يسمى في تحقيق اصول الالفاظ الدخيلة حتى تعاد الى نصاب معانيها التي وضعت فيها ويحافظ على المعاني التي نقلت اليها في لغة العرب

وقد اعتدبت في الجاني الى بعض هذه الحروف وتحقيق اصلها من ذلك كلمة « سرسور »

(٢ حقيقة اللفظة نقلاً عن اللغويين) السراصرة جمع سرسور قال في محيط المحيط : الزرزار (او الزردار) (قلت : كذا بدال مهمله قبل الالف) : البطرك (كذا . والاصح البطريق لان العرب خصت لفظة بطرك او بطريك او بترك او

بترك او بطريك بالرئيس الديني الذي هو فوق رئيس الاساقفة بخلاف الطريق فانها قد وردت عندهم بمعنى البطرك وبمعنى كبير الشرفاء من الروم والرومانيين اي بكلا المعنيين (زرارة (او زرادرة) . اه كلام المحيط وقال قزويني: الزرارة *Patriciens* (*chez les Grecs de l'empire d'Orient*) وقال فريناك: زرارج زرارة: *Patricii graecorum* ثم زاد: وفي الاوقيانس: زرارج زراورة . وفي التاج: الزرارة البطارقة كبراء الروم جمع زرزار بالكسر . وفي التكملة: الزرارة البطارقة . ولم يذكر الكلمة اللغوي الانكليزي « لين » صاحب مد القاموس . وعن اخطل ذكرها صاحب الصحاح والمصباح واساس البلاغة والنهاية ومختصرها . لا بل وصاحب لسان العرب ايضاً وهذا في منتهى العجب لان الكتاب ضخ في عشرين مجلداً وقد حوى الفاظاً دون الزرزار شأنك ومع ذلك فقد املها الا انه قال في مادة س ر ر: السرسور: الفطن العالم . وانه اسرسور مال اي حافظ له . ابو عمرو: فلان سرسور مال وسوبان مال: اذا كان حسن القيام عليه عالماً بمصلحةه . ابو حاتم: يقال فلان سرسور في سرسورتي: اي حبيبي وخاصتي . ويقال: فلان سرسور هذا الامر: اذا كان قائماً به . ويقال للرجل: سرسور: اذا امرته بمحالي الامور » اه النص . ولم ينبه على ان السرسور هو تصحيف زرزار . ومن ثم فانك لا ترى في لسان العرب اثرأ لهذه الكلمة الاخيرة بالمعنى الذي اشار اليه اللغويون

اما السرسور فقد ذكرها جميع اللغويين اصحاب المطولات قال في التاج: السرسور: بالضم . الفطن العالم الدخال في الامور بحسن حيلة وعن ابي حاتم: الحبيب . . . الى آخر النص الذي ذكره صاحب الامان . وقد نقل اصحاب دواوين اللغة كلام ابي حاتم فلا حاجة الى ايراد جميع نصوصهم الآخذين عنه عبارته هذه بدون تغيير وقد ذكرناها . واما صاحب محيط المحيط فقد غلط في قوله زرادرة بالبدال بعد الالف وانما هي بالواو قائم في التكملة: الزرارة: البطارقة الواحد زروار كما تقناه فويق هذا

ولم ينبه احد من لغويي العرب الى انها من اصل اعجمي واما الافرنج فلا اعرف منهم الا فرنكل اذ قال بانها من اصل فارسي او ارمني قال: سفير = ميسار وفيها لغة وهي سرسور والعربي اذا رأى كلتا اللفظتين: الزرزار والسرسور لا يشوق في ان يقول انها

من اصل واحد وهو : « الزور » مكررة مع تصحيف فيكون معناها : « رئيس الرئيس » اي الرئيس الكبير . لان الزور هو الرئيس وليس الامر كذلك ولا سيما الزرار لانهم شرحوها بمعنى الطريق او الكبير من الروم . فلا يمكن ان تكون الكلمة الالمانية اي لايتية وهي Censor اي سنور ثم صحفها العرب وتلاعبوا بلغاتها كما فعلوا بلغتهم فقولدت منها الفاظ كثيرة مرجعها الى واحدة . وقلبتهم التون راء هين مستفاض في كتبهم والشواهد فيه لا تعد ولا تحصى في الالفاظ العربية الفصيحة كما قالوا في ربح ساكرة : ربح ساكرة . وقالوا الزون والزور . والوكر والوكن . والمبور والمبورن (العنكبوت) وتأمرو عليه وتأسن وما فيه حدير ولا حنبر . والمركوس والمنكوس . الى غير هذه الالفاظ وعليه قالوا في سنور : سرسور . ومن العرب من كان يلقب السين زايًا منقوطة ويجعل الالف المنخفضة اي ه الاخرجة تارة الفاء وطورا واوا كما في صلاة وصلوة . وحياة وحيوة . فقالوا على هذا القياس زرار .

ولعل الاصح ان اللفظة اول ما وردت في كلامهم جاءت مجموعة بصورة زرازرة او زرازرة ثم توهموا مفردا زرار حملا على مادة عربية وكان السرسور او السنور من ولاية القضاء عند الروم وكان من وظيفته احصاء ابناء الرعية الرومانية وتقدير اموالهم وتبدير بيت المال او خزينة المملكة . ثم امتدت سطوتهم حتى بلغت شأواً بعيداً في النفوذ وشأنًا خطيراً في السلطة حتى قلد الزرازرة نقابة اشراف الروم فصارت وظيفتهم كوظيفة نقيب الاشراف عند المسلمين في ههنا هذا . بل واوغلوا في السطوة حتى قلدوا امر مراقبة الآداب وتنزيل الاشراف عن مناصبهم العليا وابعاد شيوخ المجلس الاكبر عن مناصبهم بل وربما طردوهم من المجلس طرداً لا مرد لهم اليه

وكانت هذه الوظيفة مقيدة بالبطارقة لا غير . ومن ذلك تعريف العرب للزرازرة بمعنى البطارقة . ثم لرخي عنان جوادها فقبض عليه وعلا صوته كل من كان اهلاً للعلی وان كان من السوق

على ان اصح وجه اللفظة هو « السرسور » كما جاءت في اغلب كتب الائمة الا انها وردت عندهم بالمعنى الفرعي لا بالمعنى الاصلي اي انها جاءت بالمعنى الثاني الذي انتقلت اليه في الرومية واشتهرت به في عهد صدر الاسلام لانهم قالوا في تفسيرها : الفطن العالم الدخال في الامور

وان قيل لنا : « ان سرسور هو تعريف سرسور واصل معناه الشبان فرماً . (كتاب

الالفاظ الفارسية المعربة تأليف السيد ادي شير ص ٨٩) قلنا : لا يقول هذا الكلام الا من اراد الهزء والسخرية باهل العلم والتحقيق والا اي مناسبة بين هذين المعنيين . وكيف سمي الروم صاحب مقام من اهل المراتب العليا عندهم باسم فارسي . تلك اضحوة من المضحكات المبكيات . هذا فضلاً عن ان العقل يأبى مثل هذا الوضع الغريب والتأويل البعيد السجيب ولا سيما لان جميع اللغويين متفقون على ان الزرارة هم البطارقة اي عليا اشراف الرومان . والسرارة هم الفطنون العلماء المخالون سيفهم الامور كأن العرب جعلت لكل فرع من المعنى فرعاً من اللفظ نفثاً وتمييزاً لفظاً من لفظ وهم كثيراً ما يفعلون ذلك

هذا وتأويل السرور بالمعنى الذي عقده بتأصيله اهل اللغة يوافق كل الموافقة للتأويل المختلفة التي جاءت بها لفظة *Censeur* فان هذه اللفظة الفرنسية وهي نفس اللفظة الرومية *Censor* تعني ما يأتي : (١) الذي ينتقد مسلك الناس واعمالهم . (٢) الذي ينتقد مؤلفات المصنفين وما وقع فيها من الاوهام والاعلاط (٣) احد عمال الحكومة نقيه على فخر الكتب والجرائد والمجلات وهو الذي سماه كتاب هذا العهد بالمراقب (٤) ومرسور الدروس عندهم القيم بشؤونها وبمحافظة قوانينها (٥) ومرسور المصرف (البنك) مرسور شركة تجارة وقد فوض اليه تحقيق اعمال المديرين والتقييم بشؤونها . اهـ وهذا كله يصح فيه معنى السرور على موجب ما اثبتناه اللغويون اي الفطن العالم والحسن القيام على المال العالم بمصلحته

هذا ما اردنا ايراده بخصوص اللفظة واصلها ومعناها عند العرب سابقاً ومعناها عند الافرنج في عهدها هذا . وامكان دخول مختلف معانيها في لغتنا اذ الجامعة بين شعبها موجودة عندنا ايضاً وهذا كله من متاقم الوقوف على اصول الالفاظ والبحث عن انسلالها في لغتنا . بقي علينا ان نذكر ما يتعلق بهذه اللفظة من امرها في التاريخ فنقول :

« ٣ السرور في التاريخ » كانت اقامة رتبة السرور او السنسور في الطبقة الاولى عند امه الرومان . وكان ينتخب اصحابها انتخاباً الى زمن محدود مضروب . واذا قلدها واحدهم اصبحت سلطه توازي سلطة القنصل مع ان هذه السلطة هي ابنة تلك لا غير . وكان يقام السرور في الاصل لتعداد النفوس كما يدل عليه اللفظ نفسه « سنسور مركبة من سنس *Census* والاداة الدالة على صاحبية والسنس هو تعداد النفوس » ومن بعد ذلك احدثت - بطرته الى اصلاح الاخلاق وتهذيب ضروب الجماعات وطبقاتها . ومن

ثم كان يشارف السوقة والبطارقة حتى اذا اخذوا بشي* وجب عليهم ان يزكوا انفسهم
كلما اقتضت الحال او دعاهم السرسور ان يتبينوا ما يعزى اليهم . ولم تكن وظيفة او
رتبة او منصب من مقامات الدولة الرومية الا وتخضع لسلطة السرسور او الزرازر .
ومما كان يكلف به السهر على كل ما يتعلق بالمصالح العامة كالجسور والاقنية والابنية
العامة والقناطر والمعابر الى غيرها . وكانت هذه السطوة او السلطة تلو في الشعب
الروماني بقدر ما كانت تنحط وتهوي في مجلس شيوخهم على انها لم تأخذ بالانحطاط الا
لما دب الفساد الى الامة كلها وسرى الى الخاص منهم والعام سرّاً وجهرّاً حتى فشا في
السراسرة انفسهم ولقد كان لقب الزرازر من الشرف الرفيع ما حدا بقبصر وصائر
الانبراطرة ان يتسما به ويتخذوه لانفسهم

واما في بلاد اليونان فان الزرازرة لم يفوزا بما حظي به من النفوذ زملاؤهم
الروميون فان زرازرة اثينة واسبرطة لم يقلدوا ذلك اللقب الا تقليداً اديماً ليس الا
وقد بقي الزرازر حتى في عهد بعض جمهوريات ايطالية الاخيرة كجمهورية البندقية
مثلاً ثم انقرض بانقراضها

وكان اول دخول هذا اللقب عند الرومانيين في نحو سنة ٣١٠ من تاريخ رومية اي
سنة ٤٤٤ قبل الميلاد . وكان قد لاحظ مجلس رومة الاعلى ان القناصل الذين كان
من دأبهم الاشتغال بتسيير الوفود العسكرية كانوا يستطيعون ايضاً ان يحافظوا على
اعمال الافراد الخاصة فكان اول من ارثى الى هذه الدرجة العليا اثنان من البطارقة على
ما رواه طيطس ليفيوس

*L. Papirius Mugillanus' L. Sempronius atratinus, Censui Agendo
populus suffragiis Præ fecit Censores, Abs re appellati*

وكانت مدة مقامهم بادي* بدء خمس سنوات ينتخبونهم في مجالسهم الكبرى يسمون
هذه المجالس مجلس القوامسة *Comitia* او مجلس الزرازرة *Centuriata*
فقد قال احداهم وهو ق . اسكونيوس بديانس *Q. Asconius*
Pedianus : يماذ انتخاب الزرازرة كل خمس سنوات وهذه عبارته اللاتينية .

Censores quinto quoque anno creati Solebant
الا ان هذه المدة الطويلة وسوست في صدر الذين تقلدوها ما بكدر خواطر القناصل
ويقلقها فصرها الدقطور مامرس اميليوس *Mamercus Emilius*
فانزلها الى مدة ١٨ شهراً فامتعض من ذلك الزرازرة وانتقموا من صاحب هذا الاصلاح

بحوا اسمه من قبله، وثقيده بن شداد دانعي الخراج .

وكان من اللازم في بادئ الامر ان يريد الحصول على هذه المرتبة العليا ان يكون المترشح لها من اصل شريف . الا ان هذا القيد لم يدم الا مائة سنة ثم عدل لان القناصل كانوا يؤخذون من سواد السوق فساووا اولئك بهؤلاء . ولول من أخذ من بين ظهراني الشعب هو ك . مربيوس روتيليوس *C. Marius Rutilius* فانه علا وصار دق طورا ثم رقي فصار زرزارا مع منليوس ثيلوس *Manlius Laevius* ومع الزمان سن المدير الاعظم او الدق ططور . ب . فيلون *P. Philon* سنة ٦٢٢ سنة ومما جاء فيها انه يجوز انتخاب السرصور من الرعية . والتاريخ يفيد ان ق مربيوس *Pompeius* بقى منلس *Metellus* فلما الزازرية ومما من السوق وذلك سنة ٦٢٢ من تأسيس رومة . ولم يكن من الضروري قبل الحرب القونية الثانية ان يكون المترشح ممن مارس امرا من امور القضاء الا كبر ليصبح اهلا للرزازرية بما ان طيطس ليقوس يذكر ان پيليوس ليفينيوس كراسس *Publius Licinius Crassus* لم يكن الا امير ابنية *edile* فانتخب زرزارا وحبرا اعظم . ما . الا انهم بعد ذلك العهد لم يعودوا يرقون الى هذه الرتبة الا من كان قصلا في السابق . ولم يكن يجوز لواحد ان يكون زرزارا غير مرة واحدة في حياته ان كنت ممن وقف على ما كتب ، فاليرس مكسيس تذكر انه قال عن م . روتيليوس انه من بعد ان افيم زرزارا للمرة الثانية وبخ الشعب تويحا شديدا على قلة احترامه لسن اجدادهم اذ رأوا من المناسب تقصير مدة هذا القضاء لانهم تحققوا ان من بقي يديه عنان هذه السلطة مدة مديدة يصبح قهارا عسوقا عضوخا ومن ثم غدا انتخاب الزرزار للمرة الثانية مخالفا لسن السلف وقد قال پلينيوس الاصغر ان من يوسد الزرزازرية للمرة الثانية عليه ان يأبأها حبا بالمنفعة العامة

وكان سلا ابطل الزرزازرية الى وقت الا ان اوغسطس قيصر ازالها بتاتا . وكان القيامرة يزاولون بانفسهم ما كان مترنبا على الزازرة الى عهدة اسبسيانس . وبعد وفاة هذا العاهل دثر اثر هذا القضاء المطلق حتى لم يبق منه الا الاسم . وخاول الامباطور دقيوس اذته فلم يفلح . ومن اشهر بالرزازرية « قاطو او قاطون » حتى غلب عليه لقب الزرزار وعرف به . وقد استمدنا فيما كتبناه على عدة أسفار لمدة كتاب من روم « اولاتين » وفرنسوين وانكليز .

سانتا

بغداد

رسائل الانتقاد

« تابع لما سبق »

هذا امرؤ القيس

أقدم الشعراء عصرًا • ومقدمهم شعراء وذكرًا • وقد اتسعت الاقوال في فضله
اتساعًا لم يفز غيره بمثله حتى ان العامة تظن بل توقن ان جواد شعره لا يكبو^(١)
وحسام نظمه لا ينو^(٢) • وهيهات من البشر الكمال • ومن الآدميين الاستواء
والالتدال • يقول في قصيدته المقدمة • ومعلقة المفخمة

ويوم دخلت الخدر خدر عذيرة . فقالت لك الوبلات إنك مرجلي

فما كان اغناء عن الافرار بهذا وما اشك^(٣) عفته عما ادركه من الوصمة به وذلك
ان فيه اعداداً كثيرة النقض والبغض منها دخوله متطفلاً على من كره دخوله عليه •
ومنها قول عذيرة له لك الوبلات وهي قوله لا نقال الا لخسيس • ولا يقابل بها رئيس •
فان احتج محتج بانها كانت أرأس منه قيل له لم يكن ذلك لان الرئيسة لا تركب
بعيراً بدرج او (يمو) ت^(٤) اذ ازداد عليه ركوب راكب بل هو بعير فقير حقير فان احتج
له بانه صبر على القول راجل انها معشوقة قيل له وكيف يكون عاشقاً لها من يقول لها

فثلك حبل قد طرقت ومرضعا فالحيتها عن ذي تسمائم محمول

وان المعروف للعاشق الانفراد بمشوقته واطراح سواها كالقيس بن ليلى ولبني وغيلان
بمية وحميل ببثينة وسواهم كثير • فلم يكن لما عاشقاً بل كان فاسقاً^(٥) • ثم ايجز هجوة

(١) بالاصل : يكبو (٢) بالاصل : ينو (٣) كذا بالاصل ولعله يجب ثراءتها اشد
(٤) هنا اثر اكل ارضه افسد اللفظ (٥) قاتب ابو فرج قدامة بن جعفر في تأليفه
(نقد الشعر) « . . . اني رأيت من يبيب امرأ القيس في قوله فثلك حبل (البيت)
ويذكر ان هذا معنى فاحش وليس فحاشة للمعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه كما
لا يعيب جودة النجاسة في الخشب مثلاً كدأته في ذاته » وهذا يمارض انتقاد
ابن شرف على البيت المتقدم

عليه . واستغنى عن سجنه لعينيه . اقراره باتيان الحبلى والمرضع . فاما الحبلى فقد جبل الله النفوس على الزهد في اتيانها . والاعراض عن شأنها . منها ان الحبلى علة وأشباه العلة بالاستسقاء . ومع الحبلى كود اللون . وسوء الغذاء . وفساد الفكرة . وسوء الخلق وغير ذلك . ولا يميل الى هذا من له نفس سوفي . دغ نفس ملوكي . وأعجب من هذا ان البهائم كلها لا تنظر الى ذوات الحمل . اجناسها . ولا تقرب منها حتى تضع احمالها . او تفارق فصلانها . ثم لم يكفه ان يذكر الحبلى حتى انتخر بالمرضع وفيها من التلوين بأوضاع رضيعها . ومن اعتزلها واشتغلها عن احكام اعتزالها . وقد اخبر ان ذات النائم المحول متعلق بها بقوله فالحيتها عن ذي ثنائم محول . واستمر انما ظنم ولدها لا ذئبله ولا مرضع سواها فدل بذلك على انها حقيرة وفييرة . ومثل هذه لا يصير^(١) الايمان له حمة وهذه الصفات كلها تستدركها نفس الصالحين والملوك . وقد قال ايضا في موضع آخر من هذا الباب من قصيدة أخرى

سموت اليها بعد ما نام اهالها سمو حجاب الماء حالا على حال
فقال لحاك^(٢) الله انت فاضحي ألت ترى السار والناس احوالي^(٣)
حلفت لها بالله حافة فاحر لنا ما فانا من حديث ولا صالي^(٤)

فاخبر بهذا انه حين القدر عند النساء وعند نفسه يرضاء قولها لحاك الله فحصل على لحاك الله من هذه ولك الويلات من تلك فشهد على نفسه انه مكروه مطرود غير مرغوب في مواصلته . ولا محروس على معانته . ولا مرضي بمساكلته . ثم اخبر عن نفسه انه رضي بالحزن والفجور . وهذه اخلاق لا خلاق لها . ثم أقر في مكان آخر من شعره بما يكتفه الاحرار . ولا يتم بفتحهم الا الاوضاع الاشرار فقال :

ولما ذنوب تسديتها فتوباً نسيت وثوباً أنجز

واي غر في الاقرار بالفتنة على نفسه وعلى حبه وأين هذا من قول يعقوب الخزيمي ولا اسأل ولدان عن وجه جارتني بعيداً ولا أرقاه وهو قريب

وانما سهل عليه كل هذا حرصه على ما كان ممنوعاً عنه وذلك انه كان مبغضاً الى النساء جداً . مفروكاً بمن ملك عصبته لاسباب كثيرة ذكرت . وكل من حرص على نيل شيء فتنع منه فعلاً . ادعاه قولاً . وله اشباه فيما اتاه . بدعون ما ادعاه . افكاً وزورا .

(١) بالاصل يصبو (٢) في بعض نسخ ديوان امري القيس : سباك عوض لحاك

(٣) بالاصل احوال (٤) بالاصل : حال

وكذباً وفجوراً • منهم الفرزدق وهو القائل
 هما دلياني من ثمانين قامة كما انقض بازانتم الريش كاسره
 فهذا اول كذبة ولو قال من ثلثين قامة لكان كاذباً لاتصرا الارشية عن ذلك وقد فرعه
 جرير هذا في قوله

تدليت تزني من ثمانين قامةً وقصرت عن باع العلى والمكارم
 وكان مغرمًا بالزنا مدعيًا فيه • وقد بلي بموانع تصدنه عنه • منها ما شهير به من
 النخعة بمن ساعده • والادعاء على من باعده • منها دماسته ومنها اشتهاه • والمتهور
 يصل الى شهوة يقيمها ربة • فكان يكثُر في شعره من ادعاء الزنا • واستدعاء النساء
 وهن اغلظ عليه من كبد بعير • وابغض فيه واجبي له من جرير • وخذ اطرف هؤلاء
 الاجناس • وهو سحيم عبد بني الحسحاس • اصبود في شملة • دنسة قملة • لا يواكله
 الغرثان • ولا يصاليه الصرد الريان • وهو مع ذلك يقول^(١)

واقبلن من اقصى البيوت بعدني نواهد لا يعرفن خلقاً سوايا
 بعدن مريضاً هن هيين ما به الا انما بعض العوائد دائيا
 توسدني كفاً وتحنو بمصم علي وترمي رجلها من ورائيا

فانت تسمع هذا الاسود الشن وادعاه • وتعلم ان الله لو اخل الارض • فلم يبق
 رجلاً في الطول ولا في الرض • لم يكن هذا الزئمة الزلعة عند اذراك السود ان الكبيرة
 بعير • في معر عبر • والمنوع من الشيء حريص عليه • مدع فيه • والمعد بما هوواه • كاتم

(١) هو سحيم عبد بني الحسحاس بن هند شاعر مخضرم من الطبقة الاولى توفي في
 نصف القرن الاول للهجرة وكان اسود وكلامه فصيح لانه قليل وغير مدون • واحسن
 شعره قصيدته التي اولها :

عميرة ودع ان ترحلت غاديا كفى الشيب والاسلام للراءناها
 وهي التي اقتبس منها ابن شرف الايات المارة • وقد ورد منها في كتاب الاغانى
 (طبعة مصرج ٢٠ ص ٥) القطعة الآتية لاغير :

تجمعن من شتى ثلاثا واربعاً وواحدة حتى كل ثمانيا
 واقبلن من اقصى الخيام بعدني بقية ما ابقين نصلاً يمانيا
 بعدن مريضاً هن هيين داه • الا انما بعض العوائد دائيا

له مستغن ببلوغ مناه . ودليل على ذلك ان المرقش الاكبر^(١) كان من اجل الرجال وكانت للنساء فيه رغبة . وشدة محبة . وكان كثير الاجتماع بين . والوصول اليهن وله في ذلك اخبار مروية ولم يكن في اشعاره صفة شيء من ذلك . فحسبك بذلك صحة على ما قلناه . فان قال قائل انما وصفت عن امرئ القيس عيوباً من خلقه لا في شعره قلنا هل اراد بما وصف في شعره الا الفخر . فان قال لم يرد ذلك وانما اراد اظهار عيبه قلنا فاحق الناس اذا هو . ولم يكن كذلك . وان قال نعم الفخر قلنا نقد نطق شعره بقدر ما اراد وترجم وترجم^(٢) عنه قريضه بالفتح الاوصاف فاي خلل من خلال الشعر اشد من الانعكاس والتناقض . وكل ما يخزي من الشعر فهو من اشد عيوبه قال ومن كلام امرئ القيس المخلخل الاركن . الفعيف الاستمكان . المتزلزل البنيان . قوله

أمرخ خيامهم أم عشر
أم القلب في أثرهم مخدر

وشافذ بين الخليط الشطر
وعن اقام من الحلي مر^(٣)

وهر تصيد قلوب الرجال
وافلت منها ابن عمرو حجر

فانت تسمع هذا الكلام الذي لا يتناسب . ولا يتواصل ولا يتقارب ولا يحصل منه معنى ولا فائدة سوى ان السامع يدري انه يذكر فرقة من احباب لكن ذلك عن ترجمة معجمة . مضطربة منقولة . سأل عن الخيام امرخ^(٤) هي ام عشر^(٥) وليست الخيام مرخاً

(١) المرقش الاكبر واسمه عمرو وقيل عوف بن سعيد بن مالك بنفهي نسبة لبكر بن وائل شاعر جاهلي لقب بذلك لقوله :

الدار كفر والرسوم
رقش سيف ظهر الاديم قلم

وهو احد عتاق العرب المتهورين وصاحبه ابنة عمه اسماء . وكان المرقش يحسن الكتابة الحبرية كما ورد في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة

(٢) كذا بالاصل — ٣٠. ورد هذا البيت في بعض نسخ ديوان امرئ القيس بتقديم عجز البيت على الصدر وفي بعضها بتغيير « شافذ بين الخليط الشطر » بالمصرع الآتي : « أم الطاعنون بها في الشطر » (٤) المرخ بالفتح شجر مسرع الوري يقتدح به والمرخ بالكسر الشجر الان الرقيق (٥) العشر : شجر فيه حراق لم يقتدح الناس في اجوده منه ويمحشي في المخاد ويخرج من زهره وشعبه مكر وفيه مرارة . قال ابو حنيفة « والعشر من الغضاء وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو وهو عريض الورق صعداً في السماء . وفي الصحاح « وثمرته نفاخة كنفخاة القناد الاصفر » (العرب الموارد)

ولا عشرًا وإنما عودان^(١) . فان اراد في مكان هذين الخيام فقد نقض عمدة الكلام لان مرخه وعشره اتى بها تكرتين فانشكل بذلك . وانما يجوز لو جعلها معرفة بالالف واللام والوزن لا يساعده على ذلك . ثم قال :

ام القلب في اثرهم مخدور

وليس هذا السؤال من السؤال الاول في شيء الا من بعد بعيد . واحتيال شديد . وقال بعد هذا

وشافذين الخليط والشطر ومن اقام من الحي

فاقي بكثير كلام لا يفيد الا قليل معنى . وذلك القليل لا غريب ولا عجيب . وهو كله ذكر فراق . ثم رجع الى ان هر فقيمة تصيد قلبه وقلب غيره فابطل باقامتها كل ما قال من اخبار الفراق ونقضه وجعل بكاء المتقدم لغريبي . ثم قال

واقلت منها ابن عمرو حجر

فحسن عنده ان يخبر ان الناس قد صادت هر قلوب جميعهم الا قلب حجر ابيه . وهذا من الاحاديث الركيكة والاخبار التي ما باحد حاجة اليها^(٢) . ومع هذا فقد اورد اصحاب الاخبار ان هر هذه كانت زوجة ابيه حجر فانظر ما في جملة هذه الايات من الركاكات . وقلة الافادات . فانها لا تفيد قلامة . ولا تهز ثامة . ولسنا ننكر بهذه العيوب وتزارتها . ما اقرنا له به من الفضائل وتدارتها . وسنجد من لا يصدق معاصراً . ولا يصدق على متقدم متأخراً . بني على ضعف اسسه . ويفد به من الجهل والعيب بنفسه . فاذا اعترضك من هذا النمط متعرض فاعرض عنه ودد على اخلاقه . مستقماً بخلاقه . واتبع المسلك الذي اوضحته لك

(١) قال ابن رشيق (كتاب العمدة باب التبيين) . ومن اعجب التبيين قول امري القيس . امرخ خيامهم (البيت) يقول انزلوا نجدا الذي من نباته المرخ ام الغور الذي من نباته العشر وان الاعراب يعملون خيامكم من نبات الارض التي ينزلونها فاذا رحلوا تركوه واستأنفوا غيره من شجر البلد الذي ينزلون به . . . ولا ارى الاعراب تذكر ذلك كثيراً في اشعارها

(٢) جاء في عمدة ابن رشيق (باب الاستعارة) : فمنها قول امري القيس وهو تصيد قلوب (البيت) . . . فكان لفظه هر واستعارة الصيد معها مضحكة هجينة ولو ان اباهم حجراً من فارات بيته ما اسف على افلاته منها هذا الاسف . . . لا على ان اسر القيس اتي بالخطا على جهته ولكن للكلام قرآن تحسنه وقرآن ثقبه كذكر الصيد في هذين البيتين

قال ابو الريان وفضلاء الشعراء كثير جداً ولكل سطات . وسافلك علي بعضها لعظيم المؤونة في الاحاطة بها ليس الا لاوضح بذكرها منهجاً من مناهج التقد لا حرصاً علي بنفص الفصحاء . ولا قعداً الي تهجين الصرخاء . واية رغبة لنا في ذلك وهم جرثومة فروعنا . وبهم افتخار جميعنا .

قال زهير بن ابي سلى على ما وصفناه به ووصفه غيرنا من العلو والرفعة . في هذه الصنعة . من مذهبه الحكمة . ومعلقته العلمية

رأيت المنيابخطء واءمن تصب قتمه ومن تخطي بعمر فيهرم
وقد غلط في وصفها بخبط العشواء على اننا لا نطالب بحكم ديننا . لانه لم يكن على شرعنا . بل نطلبه بحكم العقل فنقول انما يصح قوله لو كان بعض الناس يموت وبعضهم ينجو " وقد علم هو وعلم العالم . حتى البهائم . ان سهام المنياب لا تخطي شيئاً من الحيوان حتى يعمها رشها فكيف يوصف بخبط العشواء رام لا يقصد غرضاً من الحيوان الا اقصده حتى يستكمل رمياته . في جميع رمياته . وانما ادخل الوهم علي زهير موت قوم غبطة وموت قوم هرما وظنوا طول العمر انما سببه اخطاء الخية وسبب قصره اصابتها وهيات الصواب من ظنه لم يؤخر الحرم الا انها قصده فحين قصده اصابته . ولو ان الرماة تهدي كاهنتائها . ملات ايديها باقصى رجائها
وقال زهير ايضاً في مذهبه

ومن لا يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
وقد تجاوز هذا الحق الباطل وبني قولاً بنقضه جريان المادة . وشهادة المشاهدة . وذلك ان الظلم وعرة مراكمه . مذمومة عواقبه . سيف جاهليته واسلامنا . فخرض في شره عليه وان كان انما اشار في شره الى ان الظالم يرهب فلا يظلم فهذا قياس يفسد واصل ليس يطرد لكن يرهبه من هو اضعف منه وربما انتقم منه بالحيلة والمكيدة وقد يظلم الظالم من يظلمه فيكون ذلك سبب هلاكه مع قباحة السمعة بالظلم والمثل انما يضرب بما لا ينحرم وقد كانت له مندوحة واتساع في ان يقول يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم فهذا اصح واسلم لمن لا يظلم ويظلم

قال ابو الريان وقال زهير ايضاً وهو من اطيب شعره والحقه عند العامة وكثير من الخاصة فيها هنا تحفظ وتأمل ولا يهلك ذلك منهم الحق البلج قال

نراه اذا ما جئناه متبهلاً كأنك تعطيه الذي انت سائله^(١)

مدح بها شريفاً اي شريف فجعل سروره بقاصده كسروره بمن يدفع شيئاً من عرض الدنيا اليه وليس من صفات النفوس العارفة السامية والعلم الشريفة العالية اظهار السرور الى ان تهمل وجوههم وتسرق نفوسهم بهبة الواهب ولا شدة الابهاج بمطية المعطي بل ذلك عند سقوط همه وصغر نفس وكثير من ذوي النفوس النفيسة والاخلاق الرئيسة لا يظهر السرور متى رزق مالاً عفواً بلا منة منيل ولا يد معط مستطيل لانه عند نفسه اكبر منه ولان قدر المال يقصر عنه فكيف ان يمدح ملك كبير كثير القدر عظيم الفخر بانه يتهمل وجهه ويمتلي سروراً قلبه اذا اعطى سائله مالاً هذا تقص البناء ومحض المجاء والفضلاء يفخرون بضد هذا قال بعضهم ولست بمفراح اذا الدهر سرني ولا جزع من صرفه المتقلب

وانما غر زهيراً وغر المستحسن بيته هذا ما جلاوا عليه من حب العطاء وما جرت به عاداتهم من الرغبة في الهبات والاستجداء وليس كل المم تسخن ذلك ولا كل الطبايع تسلك هذه المسالك

قال ابو الريان وقال زهير ابغضاً بمدح - ادة من الناس فذمهم بانواع الذم واكثر الناس على استحسان ما قال بل اغن كلهم على ذلك وهو قوله

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السحابة والبذل^(٢)

ناول ما ذمهم به اخباره ان فيهم مكثرين ومقلين فلو كان مكثروهم كرماء لبذلوا لمقليهم الاموال حتى يستووا في الحال ويشبهوا في الكرم والحال الذين قال فيهم حسان

المختصين فقيرهم بغنيهم والمشتقين على اليتيم المرم^(٣)

(١) البيت من قصيدة طويلة مدح بها حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري واولها :

صحبا القلب عن سلى واقصر باطله وعري افراس الصبا ورواحله

(٢) البيت من القصيدة التي مدح بها سنان بن ابي حارثة المري ومطلعها :

صحبا القلب عن سلى وقد كاد لا يسلم واقفر من سلى التعانيق فالثقل

(٣) جاء هذا البيت في ديوان حسان بن ثابت (طبعة تونس سنة ١٢٨١ ص ٧٢)

على الصورة التالية :

والخالطون فقيرهم بغنيهم والتمنون على الضيف المرم

المرمل القليل المال وارمل الرجل اذا قل زاده وكما قال غيره
 الخالطين فقيرهم بفتيهم حتى يعود فقيرهم كالكافي
 وكما قالت الخرنق^(١)

الخالطين لجينهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذوي الفقر
 فهذا كله وايبك غابة المدح التي من القدح ثم استمع ما في هذا البيت سوى هذا
 من الخلل والزلل قال

عَلَى مَكْتَرِهِمْ حَقٌّ^(٢) مِنْ يَتَرْتَبِهِمْ وَتَنْدُ الْمُقْلِينَ السَّاحَةُ وَالْبَذْلُ
 فِي هَذَا الْقِسْمِ الْأَوَّلِ عِيُوبٌ عَلَى الْمَكْتَرِينَ . مِنْهَا أَنَّهُمْ ضَمِعُوا الْقَرِيبَ كَمَا قَدَّمْنَا
 وَدَعَوْا حَقَّ الزَّرِيبِ وَصَلَةَ الرَّحْمِ أَوَّلَى مَا بَدِئَ بِهِ . وَمِنْ مَكَارِمِ الْعَرَبِ حَيْثُهَا لِدَوَسِي
 أَنْسَابُهَا وَذُبُهَا عَنْ أَحْسَابِهَا وَالْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ وَمَا فَضَّلَ عَنْ ذَلِكَ فَلَا بَعْدَ ثُمَّ أَخْبَرَ
 أَنَّ الْمَكْتَرِينَ لَيْسَ يُسَمَّحُونَ بِأَكْثَرٍ مِنَ اسْتِخْفَاقٍ فِي قَوْلِهِ

عَلَى مَكْتَرِهِمْ حَقٌّ مِنْ يَتَرْتَبِهِمْ
 وَمَنْ أَعْطَى الْحَقَّ فَلَمَّا أَنْصَفَ وَلَمْ يُفْضَلْ بِمَا وَرَاءَ الْأَنْصَافِ وَالزِّيَادَةُ عَلَى الْأَنْصَافِ
 أَمْدَحُ ثُمَّ أَخْبَرَ فِي الْبَيْتِ أَنَّ الْمُقْلِينَ عَلَى قَدَرِ قُصُورِ أَيْدِيهِمْ أَكْرَمَ طَبَاعًا مِنْ مَكْتَرِهِمْ
 عَلَى قَدَرِهِمْ فِي قَوْلِهِ

وَعِنْدَ الْمُقْلِينَ السَّاحَةُ وَالْبَذْلُ

والبذل مع الاقلال مدح عظيم وايدثار والساحة اعطاء غير اللازم فمدح بشعره
 هذا من لا يحظى منه بطائل . وذم الذين يرجو^(٣) منهم جزيل النائل وهذا غاية الغلط
 في الاختيار وفي ترتيب الاشعار وزهوا غير هذا من السقطات لولا كلفة الاستقصاء
 هذا على اشتهاره بأنه امدح الشعراء واجزل الوافدين على الاشراف والامراء وسبقنا
 المتعصب له عن وضوح هذا البيان وسنذكر جميع هذا البرهان ويحمل التنقيش عن
 غوامض الخطأ والصواب استقصاء وظلما ومطالبة وهضمًا وزعم ان جميع الشعر لو طلب
 هذه المطالبة لبطل صحيحه وانعجم فصيحته والباطل الذي زعم والحال الذي به
 تكلم فالسليم سليم والكليم كليم وانما سمع المسكين ان الملح النعم ما قلت عباراته .

(١) هي الخرنق بنت بدر بن هفان اخت طرفة بن العبد لاهم وكانت شاعرة جاهلية

جليلة توفيت قبل الاسلام بنحو سبعين سنة (٢) في عدة نسخ من ديوان زهير ورد لفظ

رزق بدل حق (٣) بالاصل يرجوا

وفهمت اشاراته ولحت له وملحت لمحاه ورقفت حقائقه وحقت رقائقه واستغني فيه بلحه الدالة عن الدلائل المتطاولة وامثال هذا الكلام في استعمال النظام فتوم ان خلل الشعر وزله وضعف اركانه وناقض بنيانه وانقلاب لفظه لغواً وانعكاس مدحه مجوياً داخل فيما قدمنا من الاوصاف المستحسنة من لمح اشاراته وملح عباراته فعامل هذا الصنف بعطفك عنهم للمطف ورفعت عليهم الانف واعرض عنهم بالفكر والذكر كبراً وان لم تكن من اهل الكبر وفيما اطلعتك عليه من شعر هذين الفحلين والمنقذين القديمين ما يغني عن التفتيش على سقطات سواهما ففس على ما لم تره بما ترى واعلم ان كل الصيد في جنب الفرا^(١) قال ابو الريان ومن عيوب الشعر اللحن الذي لا تسعه فسحة العربية كقول الفرزدق

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتاً او مجلف
فرفع مجلفاً وحقه النصب وقد تحيل له بعض النحويين بكلام كالضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وكقول جرير الخطفي

ولو ولدت فقيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابا

فنصب الكلاب بغير ناصب وقد تحيل ايضاً بعض النحويين على وجه الافقاء احسن منه فاحذر هذا ومثله واياك وما يحذر منه بفسيح من العذر فكيف بضييق ضحك . قال وما يعاب به الشعر ويستعجنه النقد خشونة حروف الكلمة كقول جرير ونقول بوزع قد دببت على العصا هلا هنئت بغيرنا يا بوزع^(٢)

وهذا البيت في قصيدة من احلى قصائد جرير والملحها واجزلها وافصحها . فنقلت القصيدة كلها بهذه اللفظة وللفرزدق ايضاً لفظات خشنة الحروف كهذه تجدها في شعره قال ويكره النقاد تعقيد الكلام في الشعر وتقديم آخره وتأخير اوله كقول الفرزدق

(١) هكذا بالاصل والمثل المشهور انما « كل الصيد في جوف الفرا » كما ورد في الحديث الشريف وقد نظمه بعضهم في قوله

كل الصيد في جوف الفرا مثل يساق بغير خلاف

(٢) البيت من قصيدة في مدح بعض بني امية قيل لما وصل جرير في انشاده الى هذا البيت قال له الامير الممدوح — افسدتها بوزع

وما مثله في الناس الا مملكا^(١) ابرامة حي ابو يناسبه^(٢)

مدح به ابراهيم بن هشام الخزومي وهو خال هشام بن عبد الملك فعنى هذا الكلام ان ابراهيم بن هشام ما مثله في الناس حي الاملك يعني هشاماً ابو امه اي جد هشام لاه ابو ابراهيم هذا الممدوح فهو خاله اخو امه فهو يشبهه في الناس لا غير وهذا غاية التعقيد والتأكيد وليس تحته شيء سوى انه شريف كأبن اخيه شريف البقية للآتي

ترجمة قانون الجمعيات

— و —

شرح المختص منه

لوفتحنا قلب البشر بسكين فهوذا الشار لوجدنا في كل قلب (غاية) ولوراجعنا التاريخ من الخليفة الى اليوم لتثقت لنا الغايات وهي لم تخرج من الفكر الى حيز الوجود الا بالاتحاد والاجتماع ولو حللنا ارواح العالم الذي يحولنا من عرب وترك والمالان وروس وانكليز الخ لوجدنا ان اجتماعهم واتحادهم وتعاونهم لا يخلو من امرين : اما اخيري واما شري . ولو نظرنا بمنظار الدقة الى الحادثات الروحية لوجدنا ايضاً ان كل خير وشر هو نسبي لا قطعي ونحول ومتبدل بحسب الزمان والمكان . الخير لزيد شر لبلكر . وهكذا كل الموجودات . والى كانت مجردة او مادية او حسية او خيالية او عقلية

فلتل هذه الاسباب ربطت جميع الحكومات^(٣) المتمدنة الاجتماع والاتحاد بقوانين

(١) في رواية يقاربه بدل يناسبه وقال صاحب كتاب الصنائع البيت في مدح

هشام بن اسماعيل

(٢) كلمة حكومة تتضمن مفهوم كلمة دولة . اذا قيل دولة بقصد مبالاة (١) الملك (٢)

مجلس الوكلاء (٣) مجلس النواب (٤) مجلس الاعيان . واما كلمة حكومة فهي مخدصة اكثر لانها لا تفيد الا مجلس الوكلاء بالاستثناء ونوابه في الولايات وهذا المجلس مؤلف من اثني عشر رجلاً وهم الصدر الاعظم وهو الرئيس (٢) شيخ الاسلام (٣) ناظر الاوقاف (٤) ناظر العدلية (٥) المالية (٦) الداخلية (٧) الخارجية (٨) الحرية (٩) البحرية (١٠) البحارة والنافعة (١١) المعارف (١٢) مستشار الصدارة . ويقال لمجموع هذا المجلس عند علماء اصول الادارة القوة الاجرائية . ثم هناك فرق آخر بين مفهوم كلمة دولة ومدلول

خاصة مثل قانون الجمعيات وقانون الجماعات . وقانون التجارة وكتاب الشركة من قانون المجلة

نعم كل القوانين نبحث عما يتولد من الاجتماع والاتحاد لان موضوعها كناية عن المعاملات وهذه لا تكون بين فرد واحد مطلقاً بل على الأقل بين شخصين اذا يمكن تقسيم القوانين التي نبحث عن الاجتماعات الى قسمين الاول ما يبحث عن المعاملات المعتادة والمتكررة مثل قانون مجلة الاحكام العدلية ومنها ما يبحث عن اجتماع قسم خاص من الخلق ولكنه ايضا كالاول معتاد مثل قانوني التجارة البري والبحري وقبلما يتولد من هذا القسم ما يكدر الراحة العامة ولذلك لا تجدد لموظفي الادارة الملكية به علاقة مباشرة اما القسم الثاني فهو يبحث عن الاجتماعات التي لا تكون معتادة ومتكررة وقد يمكن ان تكون في بعض الاحاين من الامور العظيمة والمجلة بالامن العام مثل الاجتماعات التي تقع لاجل الاحتجاج على عمل من اعمال الحكومة . ولهذا وضع قانون الاجتماعات دفعا لكل محذور . ثم هناك اجتماعات منظمة ومتكررة لاستحصل امر مقرر عند المجتمعين ولما كان من الممكن ان يكون هذا الاجتماع مغايراً لسياسة الحكومة ربطته ايضا بقانون وسمته قانون الجمعيات . وهو غير قانون الاجتماع

اعتقد اعتقاداً جازماً بان هذا التذبذب الاداري المشهود الآن نابع من امرين الاول عدم حصول ملكة الادارة عند رجال الادارة والثاني جهل التسمب حقوقه وواجباته . وبعد فان القانون عبارة عن مجموعة عادات راسخة في الاذهان ولذلك لا تقبل الحكومات الاعتذار ببجمله ولكن ذلك فيما اذا كان هذا القانون مجموعة عادات الامة المكاثرة بتطبيقه لا مجموعة عادات امة اخرى لا تستطيع ان تفهمه فضلاً عن تطبيقه . ولو فرضنا الشعب شخصاً وارادنا لباسه لباس شخص آخر لمامكنه اكتساؤه ولطهر لاول وهلة بشاعة هذا اللباس المادي . وهكذا القوانين التي لا توافق مزاج الامة كلمة حكومة وهو ان معنى الدولة اعم من معنى الحكومة مثال يقال ان الحكومة العثمانية والدولة العثمانية ولكنه لا يقال دولة دمشق بل يقال حكومة دمشق . وخلاصة اسباب ذلك ان معنى الحكومة الحاكية الداخلية ومعنى دولة الحاكية الداخلية والخارجية . ودمشقي لا يوجد لها حاكية خارجية وهل يوجد لها سفير بمثل حاكيتهما الخارجية ؟ فلذلك كلمة دولة اعم من كلمة حكومة

فمن فقدان ملكة الادارة واشباع الذهن بوجوب التفريخ ونفرة الامة من هذا الحال وجهلها القانون تظهر شرارة الاختلاف وحينئذ ينسى الموظف الخدمة العامة ويصبح آلة انتقام لمن يعاكسه والامة ايضاً تقابله وهناك ما هناك والعباذ بالله

فلازالة هذه الحال ارى الحاجة ماسة كل المساس لترجمة القوانين العربية حتى تكون امتنا عارفة حقوقها مراعية واجباتها . ولما كانت الترجمة وحدها لا تكفي بالنظر لان القوانين تكون مقتصرة على الاغلب ومبينة على نظريات العلماء ومستندة على القوانين الاخرى ارنأيت ان اسرح ما اخذه محتاجاً للشرح . اقدمه اقراء المتقرب الشبر بعد الشهر

المادة الاولى الجمعية هي كناية عن اشخاص عديدين وحدوا معلوماتهم ومسايعهم لوقت غير محدود لاستحصاال مقصد معلوم غير مقاسمة الارباح

ايضاح — لو كان المقصد من توحيد المساعي استحصاال الربح لقبل للجمعيةين وقتنذ سرقة عوضاً عن جمعية

تم معنى (لوقت غير محدود) كما هو مذكور في ضمن المادة هو تفريق الجمعية عن الاجتماع . لان هذا يحصل بثقة ويزول سريعاً . سواء كان مرتباً او غير مرتب اما الجمعية فهي اتفاق اشخاص عديدين بصورة الترتيب ولوقت غير محدود لاستحصاال امر معلوم . وقصارى القول ان الاجتماع يقوم لامر وقفي مثل الاحتجاج على عمل ما او القاء محاضرة وينتهي عند انتهاء الاحتجاج او اتمام القاء المحاضرة . ويكون مرة واحدة . اما الجمعية فاجتماعاتها تدوم وتكرر

وقد مر في المتن كلمة (اشخاص عديدين) بدون تعيين العدد المطلوب . وهذه مسألة مهمة . والاخرى ان القانون ساكت عنها كل السكوت . والغالب انه تركها لاجتهاد مأموري الادارة . فلذلك نقري اقوال علماء اصول الادارة الملكية والاوامر التي تصدر من مراجعها ودلالة القوانين الاخرى

يقول بعضهم ان اجتماع ثلاثة اشخاص بدون اعلام الحكومة ممنوع وبعضهم يقول يجب ان يكون العدد تسعة وبعضهم يقول احد عشر والكل متفق على ان الحد الاعظم هو العشرون . وبعضهم يقول ان الحرس يتألف غالباً من شرطي وثلاثة انفاردرك وهو لاء لا يقدر على تفريق اكثر من ستة عشر شخصاً بالصورة الجبرية فلذلك يجب ان

يكون الحد الاعظم للمنوع قانوناً ستة عشر وما زاد فهو ممنوع ومجلة للجزاء
اما الاوامر فهي ضيقة جداً لانها تعين الحد المنوع باجتماع عشرة اشخاص حتى
ان الورقة المختومة باحد عشر ختماً ترد ولا تقبل

واما دلالة القوانين الحاضرة فتدل على ان حد الاجتماع ثلاثة اشخاص . وهذه
المادة الاولى من قانون تعطيل الاشغال نقول اذا حصل اختلاف بين العملة وصاحب
المشروع المالي فينتخب العملة من بينهم ثلاثة اشخاص للوكالة عنهم كلهم . وهذا يدل على ان لو
انتخب العملة اكثر من ذلك لما جاز اجتماعهم استناداً على المادة السادسة من قانون
الجمعيات . والمادة الثالثة من قانون الجماعات . وهناك دلالة اخرى ايضا وهي كذلك
مستفادة من قانون تعطيل الاشغال وصراحة مادته الثالثة وهي : مادام العملة ينتخبون
ثلاثة وكلاء . وصاحب العمل ينتخب ثلاثة من قبله ونظارة النافعة تعين واحداً للرئاسة اذا
يستنتج بان حد عدد الاجتماع هو سبعة اشخاص

وباليت واضع القانون عين هذا العدد واراخنا من هذه الظنون . وسد لنا باب
هذا الاختلاف الذي ربما قامت القيامة بولابة جمعاء من اجله كما نرى بان الاختلافات
نشأ من اقل الامور نفاعة ثم نغو وتكبر

سألت مرة متصرفاً عالمًا ومدققاً اسمه جمال بك عن قصد واضع القانون من هذا
السكوت وترك هذا الامر المهم مبهماً فقال لي ان القصد من ذلك هو افتراض واضع
القانون بان مأموري الادارة اذ كياهم بعيدو النظر مسرعو الانفعال ولذلك لم يرد
تقييدهم بل ترك الامر لقراستهم وهل تستطيع ان تذكر عليّ بانه قد يمكن ان يتولد
من اجتماع ثلاثة اشخاص من ارباب النفوذ المزعومين الذين لا يخجلون وديدهم ظلم
الفقير وتلويت سمعة المشرىف اذ سرار اكثر من اجتماع ثلاثمائة شخص آخرين ولهذا السبب
ترك واضع القانون هذا الامر بدون تحديد حتى يتسنى لمأموري الادارة الضرب على
امثال هؤلاء الشياطين

المادة الثانية ليس تأليف الجمعيات متوقفاً على استئصال رخصة من الحكومة الا انه
يجب اخبار الحكومة عقب تأسيس الجمعية وفقاً للمادة السادسة

ايضاح — ليس في هذا الكون شيء بلا مبداء ومنتهى مطلقاً وهذا المبدأ والغاية
يسمى حداً لما بينهما . نعم للأفراد الحرة بتأليف الجمعيات الا ان لهذه الحرة حداً وهو

عدم الاتفاق على شيء يخل بالراحة العامة او ما يمس سياسة^(١) الحكومة^(٢) وادارتها^(٣).
فلهذا يجب اخبار الحكومة بمب تأسيس الجمعية بتأليفها كما سيأتي في المادة السادسة من هذا القانون

مر في المتن انه يجب اخبار الحكومة عقب تأسيس الجمعية على كل حال ولكن القانون لم يعين هذه المدة ايضاً بل تركها لاجتهاد مأموري الادارة واما العلماء فيعينون لهذا الاخبار مدة اسبوع . وبعضهم مدة اربع وعشرين ساعة . وبعضهم قال بوجوب الاخبار حين اقتراق الاعضاء وختام المذاكرة وهذا هو الصحيح دفماً لكل طارئ وهو اقرب لمآل هذا القانون وانفع لمؤسسي الجمعية . لان المادة السادسة من قانون الجمعيات تقول انه يجب اخبار موظفي الادارة الملكية بمجرد التأسيس لها ثم معة الاخبار اوفى لمصلحة المؤسسين للجمعية اذ لو فرضنا بان الجمعية تألفت يوم الجمعة واعطي القرار بالاخبار عنها يوم الاحد واستدل البوليس على وجودها يوم السبت لجاز له منعها وجوزي المؤسسون بالجزاء المدرج في المادة الثانية عشرة من هذا القانون استناداً على دلالة المادة السادسة من المتن ان تأليف الجمعية لا يتوقف على اخذ رخصة الخ ومعنى هذا ان مأموري الادارة الملكية مضطرون ان يرخصوا بتأليف اي جمعية كانت خلا ما هو مذكور في المادة الثالثة والرابعة والخامسة . اذ هذا الاخبار المطلوب بمقتضى المادة السادسة لا يتضمن الاستئذان بل لاجل التنبيه فقط . ويجرد الاخبار يعطى للخبر علم وخبر بموجب المادة المذكورة وهذا اجباري . وهذا يتضمن الاعتراف بوجود الجمعية ولا يسوغ لمأموري الادارة التعلل باعطاء هذا العلم والخبر

المادة الثالثة ممنوع تأليف الجمعيات التي تكون مبنية على اساس غير مشروع مغايرة لاحكام القوانين الموضوعة وللآداب العامة او مؤسسة على اساس الاخلال بمحدود

(١) السياسة معاملة الحكومة مع الدول الاجنبية او معاملاتها داخلية التي لها علاقة مع تبعة الدول الاخرى او مجموع التدابير ولو كانت داخلية صرفة لماساس بمسقبل الامة
(٢) اذا قيل حكومة يجب ان يخطر على البال مأمورو الادارة الملكية وهم المصدر الاعظم وناظر الداخلية والولاة والمتصرفون والقائمقامون والمديرون والمختارون ومجلس الوصلاء

(٣) كلمة ادارة تشمل معاملات الحكومة الداخلية وهي اقل شمولاً من كلمة سياسة لان هذه تشمل الاجانب والوطنيين بعكس الادارة فانها خاصة بالتبعة الوطنيين

الدولة الملكية او تغيير شكل الادارة الحاضرة او تفريق العناصر العثمانية سياسياً وتحتوي هذه المادة على قيود ستة واليك تشريعها :

ايضاح — منع القانون تأسيس الجمعيات القائمة على اساس ستة . وابعاح جميع مقاصد الجمعيات التي هي غير داخله ضمن هذه الستة الانواع

اولاً مغايرة احكام القوانين : الارض التي لا تزرع ثلاث سنين تعد محمولة وتؤخذ من المتصرف بها ما لم يدفع بدل المثل فان دفع فيها وان لم يدفع فتباع بالمزاد من غيره بموجب المادة الثامنة والستين من قانون الاراضي فلواراد اناس تأليف جمعية لاجل منع هذا الحكم القانوني فلا يسوغ لم تأليف جمعية لهذا المقصد . وحينئذ لا يأخذون علماً وخبراً من مأمور الادارة الملكية وان أسسوها فتمنع وفقاً للمادة الثانية عشرة من قانون الجمعيات ثانياً مخالفة الآداب العامة — لا يعطى علم وخبر بموجب المادة السادسة لمؤسسي جمعية تود ترويج عادة جلوس النساء في محال القهوة . لان آدابنا الاسلامية لا تسمح بذلك وامثاله

ثالثاً العبث بمحدود الدولة هذا شيء لا مفهوم وغني عن الايضاح رابعاً الاخلال بالامن العام ولو بالواسطة الطلاق عندنا شرعاً جائز فلو فرضنا انه تألفت جمعية لمنعها لا تنفي منعها لان مثل هذه الاعمال تؤدي الى كسر خاطر المسلمين وبالنتيجة ربما تؤدي الى الاضرار بآمنهم عقاباً . فاذا ادى تأليف الجمعية والحالة هذه لاخلال الامن العام مباشرة او بالواسطة فهو بالحكم سيان في نظر مأموري الادارة خامساً تغيير شكل الحكومة الحاضرة : وهذا ايضا ممنوع لانه ليس من خصائص الجمعيات بل من خصائص المجالسين

سادساً تفريق العناصر : وهذا ايضا ممنوع وغني عن التشريح المادة الرابعة . نوع تأليف الجمعيات السياسية المؤساسة على اساس القومية والمعنونة بعنوان الجنسية

ايضاح — الكلام هنا من شأن المبعوثين ولذلك امر به بدون ان انظر فيه المادة الخامسة يجب ان لا تكون سن من يود الالتحاق باحدى الجمعيات اقل من عشرين عاماً وان لا يكون محكوماً عليه بجناية او محروماً من الحقوق المدنية ايضاح — هذه المادة تبحث عن شروط من يود ان يكون عضواً لاحدى الجمعيات وهي ثلاثة :

الشرط الثاني - ن لا يكون محكوما عليه بجناية والقصد من هذا الشرط الترهيب من الافعال الجبائية لان القوانين هي كناية عن نظم للاخلاق والجناية هي الحبس في الكورك مؤقتا او مؤبداً والحبس في احدى القلاع والنفي المؤبد والحرمات من المأوريات والسقوط من الحقوق المدنية

الشرط الثالث - وضعت ايضا للقصد السالف الذكر والحقوق المدنية كناية عن (١) الحرمان من الاستخدام في الحكومة (٢) ان يكون محروما من الحقوق البلدية مثل عدم استخدامه امر رسمي في بده اذ عدم ملئه او عدم ابناء صمته «٣» ان لا يكون ممكلا «٤» ان لا يستخدم في تحقيق امر من الامور «٥» ان لا تذل له مهادة «٦» ان لا يكون وصيا «٧» ان لا يعمل السلاح . وهذا بموجب المادة الثالثة والحادية والثلاثين من قانون الجزاء

الشرط الاول -- هذا داري خرقا من ان تكون الجمعيات مجمع اولاد . المادة السادسة تأييد جماعات خفية ممنوع منع باتا . وعد تأسيس جمعية من نوعها يجب في الحال اعطاء بيان لا يظن انه كناية في مروق ولا كرم امور ملكي خارجها محتويا على عنوان الجمعية ومقصدها ولى مركز ادارتها واسم المكفين لادارتها ومهمتهم ونسبتهم ومحال امامتهم ويجب ان يكون هذا البيان مختوما ومضيا . وحينئذ يعطى علم وخبر بمقابل هذا البيان . ولا بد من ربط نسختين مختومتين بختم الجمعية الرسمي لهذا البيان ثم بعد اخذ العلم والخبر يعلن مؤسسو الجمعية وجودها ويجب لى الجمعيات اخبار الحكومة عن التعديلات التي يجريها بنظامها الاساسي اوفيا يتعلق بهيئة ادارتها او محل اقامتها واما حكم التعديلات والتعديلات تجاه شخص ثالث فهو معتبر من يوم الاخبار بهذه التعديلات والتعديلات للحكومة ويجب قيد هذه التعديلات والتعديلات في سجل خاص لايارزه عند كل طلب يقع من مأموري العدلية والملكية

ايضاح -- الجمعية الخفية هي التي ليس معها علم وخبر من مأموري الادارة سواء كان في الاستانة او في الولايات لان المصلحة الوطنية ايضا صحت اليوم ولاية كسائر الولايات . ولها وال يقوم مقام ناظر الداخلية

يجب ان يحتوي البيان اولا على عنوان الجمعية لنفوذ حكم المادة الرابعة . وثانيا على مقصدها وهذا لاجل مراعاة المادة الثالثة . وثالثا على مركز ادارتها وهذا لاجل التفتيش وفقا لحكم المادة الثامنة عشرة ورابعا على اسم الاعضاء وصنعتهم ومحل اقامتهم

وهذا أيضاً لمراقبة احوالهم ولتنفيذ احكام المادة السادسة والثانية اي مراقبة الحكومة لكل ما يجري بداخل المملكة وخامساً على سبختين من نظامها الاساسي لابقى واحدة عند مأمور الادارة والاخرى عند مأموري الشرطة . والعلم والخبر لاجل دفع الشبهة بانها جمعية - فنية .

المادة السابعة يجب ان يكون لكل جمعية هيئة ادارة مؤلفة من شخصين على الاقل واذا كان لها شعب ينبغي ان تكون لها هيئة ادارة في مركز كل واحدة منها . ثم يقتضي مسك دفتر عند كل هيئة لاجل قيد (١) هوية اعضاء الجمعية وتاريخ دخولهم اليها « ٢ » مقررات هيئة الادارة ومفاوضاتهم وتبليغاتهم « ٣ » وقيد واردات الجمعية ونفقاتها بحسب الافراد . ويقتضي ابراز هذا الدفتر لمأموري المدلية والملكية عند كل طلب

المادة الثامنة للجمعية التي تتألف وفقاً للمادة السادسة الحضور للحاكم بصفة مدعي ومدعى عليه بالواسطة « راجع المادة التاسعة » واما واردات الجمعيات فهي بطع النظر عما تمدها به الحكومة ولا كتابة عن الحصة النقدية التي يدفعها الاعضاء المشروط عدم تجاوزها الارعة والمشرين اربعة سنوياً ثانياً الحبل الخاص بادارة الجمعية واجتماع اعضائها ثالثاً بمقدار ما يلزمها من الاموال غير المنقولة لاجل مقدها وعملها هذا يجب ان يكون وفقاً للنظامات الخاصة بمثل هذه المسائل وممنوع عمل الجمعيات بالاموال غير المنقولة عما ماذكر

ايضاح - كل حرف من هذه المادة مبني على قصد اداري وسياسي بعيد بأن واحد ولا تسمح لي حالتي الجهر به الآن

المادة التاسعة بنوب عن الجمعية في المجالس والحاكم كاتبها العام او مديرها ومراجعتهما هذه ينبغي ان تكون تحت توافيعهم وباستدعاء عليه طابع ثم يجب تعيين هوية مثل هؤلاء الاشخاص في نظام الجمعية الاساسي

ايضاح - ذكر في المادة السادسة انه يقدم للحكومة نسختان من النظام الاساسي فاذا كان هذا المدير او الكاتب غير مستوف للشروط اللازمة والمذكورة في المادة الخاصة يرد ولا يقبل

المادة العاشرة يسوغ لاعضاء الجمعيات الانسحاب منها في كل وقت شاؤوا ولو كان عكس ذلك مشروطاً في نظامها الاساسي بشرط ان يكون المنسحب ادى جميع ما عليه

من التفاسيط ولا سيما تفاسيط السنة الحالية

ايضاح — لو فرضنا جمعية ذات نظام يحتوي على مادة تقييد بعدم جواز انسحاب الاعضاء منها حتى الممات واراد احد اعضائها الانسحاب منها جاز له ذلك لان هذا الشرط لغو بموجب هذه المادة ولكنه من المتحتم عليه دفع ما تعهد به بتلك السنة المادة الحادية عشرة — ومع ادخال الاسلحة النارية والجارحة لحل اجتماع الجمعيات وحفظها فيها ومع هذا يجوز وحود بعض اسلحة الصيد والسيوف الصغيرة لاجل التعليم بشرط ان يكون للضابطة خبر بذلك

المادة الثانية عشرة — الجمعيات التي لم تواف وفقاً للمادة الثانية والسادسة ولم تقدم بياناً للحكومة لاجل الاخبار والاعلان تمنع ويجازى مؤسسوها وهيئة ادارتها وصاحب محل الاجتماع ومستأجره بالتغريم من خمس ايات الى خمسة وعشرين ليرة . واما اذا كانت هذه الجمعيات مؤلفة لاجل المواد المضرة والمدمرة والمدرجة في المادة الثالثة والمصرح بمجزائها في قانون الجزاء فيكون الجزاء حينئذ وفقاً لذلك القانون .

ايضاح — كل جمعية ليس معها علم وخبر من الحكومة فهي حفية لان اعلان وجود الجمعية لا يجوز قبل اخذ العلم والخبر الذي يعطى بمقابلة البيان المتضمن لتفصيل احوال الجمعية ومقاصدها اذ بمجرد الاستعلاء عن مثل هذه الجمعية يشترع رجال الشرطة بمراقبتها وعند ما يتحققون وجودها تمنع ومعنى المنع هو الاختيار اولا بالكلام ثم الجبر على كل حال اي يمنع البليس الداخلين اليها فان امنعوا فيها ونعمت وان لم يصغوا اليه فيمنعهم بالقوة فان قابلوه بالضرب يقابلهم وان شربوا السلاح فيشهر هو السلاح ايضاً والحاصل معنى المنع رفع الفعل المذموم عنه قانوناً على كل حل ولو ادى لازهاق الارواح . والبوايس غير مسؤول عن عمده الى القوة في الحظر . وقد ذكر جزاء المواد المدرجة في المادة الثالثة من هذا القانون في الفصل الاول والثاني من قانون الجزاء . فمن اراد الوقوف عليه فليراجعه هناك . وهذا الجراء المدرج في هذين الفصلين من قبيل الجنائيات .

اما الجزاء التقدي المدرج في متن هذه المادة فهو خاص بالجمعيات التي يكون متصدداً مباحاً وحسناً والسبب في ذلك التهاون الواقع بعدم اخبار الحكومة وفقاً للمادة السادسة فاذا لم يقدم للحكومة بيان يتضمن كيفية تأسيس الجمعية فالجزاء محقق سواء كانت القصد مشروعاً او غير مشروع الا ان هناك فرقاً معاً وهو ان كان القصد

حسناً فالجزء تقدي خفيف وان كان شيئاً فالجزء جسماني وشديد
المادة الثالثة عشرة - يخالف احكام المادة السادسة عما يتعلق باعلان الجمعية والاخبار
بها واحكام المادة الرابعة والخامسة والسابعة والتاسعة بفرم بجزء تقدي من ليرتين
الى عشرة واذا تكرر الحال فيجازى بضغني الجزء ومن يبقى الجمعية التي منعت طبقاً
للمادة الثانية عشرة او يؤسسها ويديرها مجدداً فيجازى بالتغريم من عشر ايرات الى خمسين
وبالحبس من شهرين الى سنة وهكذا من يقدم محلاً لاجتماع اعضاء الجمعيات
الممنوعة فيجازى بنفس الجزء

ايضاح - تشرح هذه المادة الجزء الخاص بمن يخالف بعض مواد هذا القانون
اما من يخالف مندرجات المادة السادسة التي تبحث عن كيفية الاخبار بالجمعية والاعلان
بها فجزاؤه مصرح به في المادة الثانية عشرة واما من لم يخبر الحكومة بالتعديلات والتبديلات
التي تجريها الجمعية وفقاً للفقرة الاخيرة من المادة السادسة او من لم يقيد هذه التعديلات
والتبديلات في سجل مخصوص او من يمتنع عن اراز هذا الدفتر للمأموري العدلية
والمملكة فيجازى بحسب هذه المادة الثالثة عشرة . وهذا هو معنى القيد المدرج في
المتن اي (ما عدا ما يتعلق بالاخبار عن الجمعية) وما سوسه هذا فهو يستلزم الجزء
بموجب المادة الثانية عشرة لا بموجب هذه المادة

واما مخالفة المادة الخامسة والرابعة والسابعة والتاسعة فيكون بموجب هذه المادة
تنبيه : هذا بعد ان يفرقهم البوليس فيجازون بهذا الجزء . واما ان خالفوا البوليس
واصرروا على عدم التفريق فيجازون بجزء من يخالف اوامر الحكومة والبوليس معذور
باستعمال جميع انواع القسوة

المادة الرابعة عشرة - اذا انفسخ عقد جمعية برضى اعضائها واختيارهم او انفسخت
بموجب نظامها الاساسي او منعتها الحكومة فتعطي اموالها الى من تقرره هيئة الجمعية
العامة فيما اذا لم يكن في نظامها الاساسي صراحة بذلك . واما ان وجدت صراحة تعرف
كيفية تقسيم الاموال فيعمل بموجب هذه الصراحة . واما اذا كانت الجمعية منمت بالنظر
لموافقة قصدها لندرجات المادة الثالثة فتصادر الحكومة اموالها

المادة الخامسة عشرة الاندية تعد جمعيات

ايضاح - يجب على كل ناد ان يوفق جميع اعماله على هذا القانون
المادة السادسة عشرة اعتباراً من تاريخ اعلان هذا القانون يجب على كل جمعية

ان تعطي للحكومة بياناً وان تعلن وجودها في خلال شهرين وفقاً للمادة الثانية والسادسة
ايضاح -- نشر هذا القانون في ٣ آب سنة ١٩٢٥ اذاً فاعتباراً من ٣ تشرين الاول
عام ١٩٢٥ تجازى كل جمعية ليس معها علم وخبر من الحكومة وفقاً للمادة السادسة وتعد
خفية ومنوعة وذلك بموجب المادة الثانية عشرة

المادة السابعة عشرة لا تعتبر الجمعيات خادمة للمنافع العامة ان لم يصدق عليها
شورى الدولة . ويصدق على ذلك من قبل الدولة . ولهذا الجمعيات اجراء جميع
المعاملات الختومية التي لم يسمها قانونها الاساسي . ويجب قيد الاسهام التي تكن باسم
حاملها في دفتر الجمعية وتسمى اسمها . ولا يسوغ للجمعية قبول الاموال التي يوصى بها
ونهب اليها بدون رخصة الحكومة . المال غير المنقول الذي يهدى للجمعية ويظهر بانه
غير لازم لقيامها بواجباتها يباع ويعطى لصندوق الجمعية ويجب التصريح بالمدة التي سيبيع
بها في قرار قبول هذا المال غير المنقول من قبل الجمعية

ايضاح -- معنى التصديق من قبل الدولة هو الاقتران بالارادة السنية ولو قيل في
من المادة من قبل الحكومة لكان التصديق بذلك الامر السامي اي من قبل الصدار الاعظم
لان تمثال الحكومة الصدارة وتمثال الدولة مقام السلطة العظمى . وقد مررت في المتن
كلمة (اموال) والمال قسمان : منقول وغير منقول والجمعيات اذاً متنوعة عن قبول جميع
الوصايا والهبات على الاطلاق سواء كانت منقولة او غير منقولة بدون رخصة الحكومة .
والدليل على ذلك ان كلمة اموال ذكرت في المتن مطلقة بدون قيد والمطلق يجري على
الكمال والتعميم وسبب الترخيم بذلك من قبل الحكومة مبني على مقاصد ادارية وسياسية
ثم تقدير لزوم المال غير المنقول والموصى به او الموهوب للجمعية فهو للحكومة ايضاً بموجب
هذه المادة . وهذا تابع ايضاً لاجتهاد مأموري الملكية لحكم ادارية . ويجب على
الجمعيات التي تقبل مثل هذا المال ان تصرح بقرار قبوله مدة يحدده وفقاً لمنطوق هذه
المادة . وان لم تفعل فلا تجري لها معاملة في اقاليم الطابو

المادة الثامنة عشرة للضابطة حق التفتيش على الجمعيات والاندبة . ويجب ان
يكون محل اجتماعهم مفتوحاً لزيارة الضابطة في كل وقت . ويجب على مأموري الضابطة
ايراز ورقة من مأموري الملكية تفصّل امرهم بالدخول لحل اجتماع الجمعيات
ايضاح -- قيل في المتن انه يحق للضابطة التفتيش على الجمعيات في كل وقت ليلاً
ونهاراً . لان كلمة كل وقت مطلقة تشمل جميع الاوقات . اما من قانون الجزاء والدخول

للمساكن بعد الساعة الواحدة ليلاً فلا يمتد به هنا من وجهين الاول هو ان هذا القانون صدر بعد ذلك والثاني ان قصد قانون الجزاء المساكن الخاصة والتصد هنا معلوم من سياق الكلام بان هذا التفتيش ليس لمساكن اعضاء الجمعية بل لحل اجتماعهم المادة التاسعة عشرة ناظر الداخلية والعدية مأثوران باجراء هذا القانون ٢٩ رجب عام ١٣٢٧ و ٢ آب عام ١٣٢٥ انتهى

ايضاح — من العادة ان توضع مادة في آخر كل قانون تبين المرجع فيه وهذه المادة تدل بان اجراء هذا القانون من وظيفة مأموري الداخلية والعدلية . منع الجمعيات الخفية والتفتيش عليها ومراقبتها من شأن مأموري الداخلية وتطبيق الجزاء على من يخالف هذا القانون من وظيفة رجال العدية

حسني عبدالمهدي

بيروت



مختصر تاريخ

الطباعة والصحافة التركية العثمانية

— ١ —

الطباعة

اول كتاب طبع بالحروف العربية كتاب الادبية السبعة طبع سنة ١٥١٤ ميلادية في (فانو) من اعمال ايطاليا . وطبع القرآن الكريم في ايطاليا ايضا على يد رجل يدعى دبسكيا سنة ١٥١٨ ثم طبعت كتب مهمة بالحروف العربية بين سنة ١٥٨٥ وسنة ١٥٩٠ في مطبعة قصر كبير يقال البابوي التي كانت أسست في زمن البابا سكنوس الخامس وقد كان (ميخائيل زمرمان) النمساوي الذي كان أسس مطبعة كبيرة في فيينا اوفد رسولا الى سورية لدرس الحروف العربية وبعد عودته صنع قوالب لهذه الحروف وطبع عليها في سنة ١٥٥٤ تعريب بعض مزامير من الزبور

وفي خلال سني ١٥٨٩ — ١٦١١ اوصى (فرذ. واسافاري دوبروف) سفير فرنسا في الاسطانة على بعض قوالب حروف علي قاعدة النسخ والتعليق فاستعملت هذه القوالب في باريز لطبع مقدمة كتاب نشر في ثمان لغات وبقي هذا الشكل من الحروف مستعملا

بحث

في نوع من البديع

البديع فن جليل وركن من أركان البلاغة لا يستهان به وإن توم كثيرون خلافه . ولكنه مني يقوم ضما في النظر في الصناعة الشعرية ركبو فيه متن الشكف وقصروا مضم على : لم انواعه بلا مراعاة ما تقتضيه الصناعة من المقتضيات وأهمها إبراز المعاني في قوالب يصح أن يسمى بها النظم شعراً قترام إذا غفروا بإبداع البيت شيئاً منه ضربوا صفحاً عما عداه ولم يبالوا بعد ذلك بملوا أو انحطاط حتى كاد هذا الفن يكون مقصوراً على هذا الضرب من النظم وأصبح فيما نراه فيه من المهانة عند البلغاء

ومن العيوب المزرية بقدره . زحم الغث بالسمين من انواعه وادراجهم فيه ما لا يصح أن يكون نوعاً بديعاً أو ما هو جدير بأن يعد من المقجمات لا من المحسنات بله . خطبهم في بعض التعارض والحطأ في الاستشهاد وادخل بعض الانواع في بعض بحيث أصبح في حاجة كبرى الى تهذيبه وتخليصه من تلك الشوائب

وأنا ذاكر في هذه البذة رأياً عن لي في نوع منه وضعه ابن المعتز وسماه بتأكيده المدح بما يشبه الذم ودعاه . بضم بالمدح في معرض الذم وآخرون بالثني والجلود والتسمية الاولى اولى لسلامتها من الاعتراض ولكونها أوضح دلالة على النوع . وقد قسمه علماء البديع الى قسمين قسم عرفوه بانه نفي صفة ذم ثم استثناء صفة مدح وقالوا انه افضل القسمين واستشهدوا عليه بقول النابغة الذبياني

ولا عيب فهم غير ان سيوفهم بين فلول من قراع الكتاب

وبقول من يقول زيد لا عيب فيه سوى انه يكرم الضيف . والقسم الثاني عرفوه بانه اثبات صفة مدح ثم استثناء صفة مدح اخرى نحو انا افصح العرب بيد في من فريش ونحو قول النابغة الجعدي

فنى كملت اخلاقه غير انه جواد فما بقي من المال باقيا

وكلامنا في القسم الاول فقد اطلت النظر فيما كتبه علماء هذا الفن قديماً وحديثاً فظهر لي انهم تساهلوا في تعريفه فادام التساهل الى الخلط بين شواهد كائى . والذي استبان لي ويستبين لكل متأمل ان بينها فرقاً واضحاً يقسم به النوع الى نوعين . وليان ذلك تقول ان استشهدهم بيت النابغة الذبياني استشهد صحيح مطابق تمام المطابقة لاسم

النوع الذي اختاره واحده لان وصف سيوف القوم بانها مقلولة مثالومة لا يشك احدني انه عيب يذمون به ولكن لما كان سببه قراهم للكتائب دل على اقدامهم وشجاعتهم وكثرة مبادرتهم الضراب بانفسهم فصار مدحا لم وصح القول بان الشاعر أكد مدحه بما يشبه الدم لانيانه بتلك الصفة المذمومة المقرونة بما يصرفها الى المدح ولا يخفى حسن هذا الاسلوب البديع على من نهل من حياض العربية وتذوق بلاغتها . بخلاف استشهادهم بقول القائل لا عيب في زبد سوى الكرم وبقول القائل :

ولا عيب في هذا الرشا غير انه له معطف لدن وخذ منم

فليس في شيء من المطابقة لامم النوع كما يظهر لي ولا يصح عدما مع الشاهد الاول من نوع واحد وانما ادام الى هذا الخلط تساهلهم في التعريف كما قدمنا لانه قولم نفي صفة ذم ثم استثناء صفة مدح شامل لذين الضربين من الاستشهاد اما في الثاني فظاهر لان الكرم والمعطف اللدن والخذ المنم المستثناء من صفة الدم المنفية كلها صفات مدح واما في الاول فلأن الصفة المستثناء وهم فلول السيوف وان تكن صفة ذم فقد حوات الى صفة مدح ايضا فصح بذلك عدم الاستشهاد بهما على نوع واحد اشمول التعريف لما مع ان الفرق بين الضربين لا يخفى على ذي بصيرة . ولزيادة التوضيح نقول ان الضرب الثاني من الاستشهاد ليس فيه من تأكيد المدح بما يشبه الدم سوى الاسلوب الذي صيغت به شواهد فقط لان ذكر الاستثناء بعد نفي صفة الدم موه لا يثبت شي مما من الدم فلما استثنى القائل صفة مدح محضة كانت موهما للنوع بأسلوب وان لم يأت به على حقيقته

والذي اراه في حل هذا الاشكال ان يقسم هذا النوع الى نوعين نوع يسمى بتأكيد المدح بما يشبه الدم ويقال في تعريفه انه نفي صفة ذم ثم استثناء صفة ذم مقرونة بما يصرفها الى المدح او استثناء صفة مدح محولة من ذم او غير ذلك بما يودي معناه وقد ظهر لي ان القرينة الصارفة قد تكون لفظية كما في بيت النابغة الذبياني لان قوله من قراع الكتائب قرينة دالة على عدم ارادة الدم او تكون معنوية كما في قول القائل

ولا عيب فيكم غير ان ضيوفكم تعاب بنسيان الاجبة والوطن

فان جعلهم ضيوفهم بنون احبتهم واطنانهم عيب ولكن لما كان سببه كثرة الطانهم واكرامهم ايام صار مدحا وهو غير مصرح به بل مفهوم من سياق البيت .

(النوع الثاني) يسمى بأهلام تأكيد المدح بما يشبه الدم ويقسم الى قسمين قسم

يقال في تعريفه بأنه نفي صفة ذم ثم استثناء صفة مدح محضة ليس فيها شائبة ذم ويستشهد عليه بنحو قولم لا عيب في زيد سوى الكرم ونحو قول القائل

لا عيب فيه سوى مكارمه التي نسبت لحاتم بخل كل بخل

والقسم الثاني يقال في تعريفه بأنه اثبات صفة مدح ثم استثناء صفة مدح أخرى خاليتين من شائبة ذم ويستشهد عليه بقوله عليه الصلاة والسلام انا افصح العرب بعد ابي من قریش وبهت التابعة الجمعي المنقذ ونحو قول القائل :

وغلي ثنياه الصحاح كما ترى من الریق يروها الرضاب المبرد

وقد حاز اشئاث البها غير انه له مقلة كحلا وخذ موزد

وقول البدع الممذاني

هو البدر الا انه الجوز اخرأ سوى انه الضرعام لكنه الويل

وانما جعلنا هذين القسمين لنوع واحد لانها كما ترى من نط واحد وليس فيما بينهما من الفرق ما يدعو الى جعلها نوعين . اما اصحاب البديعيات فقد وثقت على عشرين بديعية فما وجدت بين ناظميها من نته لما ذكرت بل استنقوا جميعهم من بحر واحد ولم يأتوا بغير ايهام النوع الا صني الدين الحلبي حيث قال

لا عيب فيهم سوى ان التزيل بهم يسألون عن الاهل والاوطان والحشم

وهو مأخوذ من قول القائل المتقدم

ولا عيب فيكم غير ان ضيوفكم تعاب بنسيان الاحبة والوطن

وكذلك الشيخ ابن المقري في قوله

لا عيب فيه سوى تسليط قمته على العدا ومواليه على النعم

فانه قال في شرحه ان تسليط النعم عيب ولكنها لما كانت على الاعداء كانت مذمومة

احمد تيمور

القاهرة

وعندي فيه نظر والله اعلم

مخطوطات دار الطباعة

نهج البلاغة

لامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه وعلى آله السلام جمع الشريف الرضي
وشرح عن الدين المدائني المعروف بابن ابي الحديد المجلد الاول
والثاني والثالث طبعت بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى
بمصر على نفقة اصحابها مصطفى افندي الباني
واخويه بكرى افندي وعيسى افندي

ابلق كلام عربي بعد الكتاب العزيز والاحاديث النبوية كلام رابع الخلفاء كرم الله
وجهه جمعه الشريف الرضي وشرحه ابن ابي الحديد المعتزلي طبع مرتين في فارس على
الحجر فكان السقم يغلب عليه وطبعته دار الكتب العربية الكبرى هذه المرة بالقاهرة
طبعة حسنة جعلت الاصل بحرف غليظ مشكولا والشرح بحرف وسط والشرح هو كما
قال شارحه « بسط القول في مرجه بسطا اشتمل على الغريب والمعاني وعلم البيان وماعساه
يشبهه وبشكل من الاعراب والتصريف واورد في كل موضع ما يطابقه من النظائر
والاشياء تراء ونظما وذكر ما يتضمنه من السير والوقائيم والاحداث فصلا فصلا و اشار الى
ما ينطوي عليه من دقة ثقي علم التوحيد والعدل اشارة ضعيفة ولوح الى ما يستدعي الشرح
ذكره من الانساب والاميال والنكت تلويحات لطيفة ورحمه من المواعظ الزهيدة الدينية
والحكم النفسية والآداب الخلقية ووضح ما بومي اليه من المسائل النفيسة »
الى غير ذلك مما كان حربيا ان يقال فيه انه دائرة معارف وآداب اسلامية فيه من
تاريخ الصدر الاول ما يأخذ بمجامع القلوب ويغني عن تغليب عشرات من المجلدات
ومع هذا فقد جاء الكتاب كله (اربع مجلدات) في زهاء اثني صفحة من القطع الكامل
فتشتي على طابعيه بنشره في هذه البلاد وتسهيل مقتنائه على طلاب الآداب ونحث على
اقتنائه اذ لا يحمل بمكتبة ان تكون خالية منه وفي مأمولنا ان نكتب ميمنا ضافيا
في هذا السفر النفيس عدد نجار طبعه

تاريخ آداب اللغة العربية

الأبجد حرمي فندي زيدان طبع في - اغلال بمصر سنة ١٩١١ من ٣٢٠ - اول
لم تبرح المادة التي طبعت من كتب العرب نزرة بالنسبة لما يقتضيه تأليف كتاب في

هذا الموضوع الجليل باللغة العربية ولكن رصيفنا صاحب الهلال استعان بما طبع من كتبنا في الشرق والغرب وبعض ما كتبه الافرنج عن آدابنا بالانكليزية والفرنسية والالمانية فجاء هذا الجزء «يشتمل على تاريخ اللغة العربية وعلومها وما حوته من العلوم والآداب على اختلاف موضوعاتها» وتراجم العلماء والادباء والشعراء وسائر ارباب القرائع ووصف مؤلفاتهم واما كن وجودها او طبعها. وهذا الجزء خاص بعصر الجاهلية وعصر الراشدين والعصر الاموي اي من اقدم ازمته التاريخ الى سنة ١٣٢ هـ. وهو منسقى مبوب مفهرس على طريقة حسنة وقد وجدنا له كلاماً في تفصيل كلام شاعر على شاعر كنا نود ان يمزوه لاهل هذا الشأن ممن كتبوا كتبهم في عصر نضارة اللغة وكانوا هم شعراء مطبوعين بالطبع كما رأينا المؤلف قال بما لم يقل به ائمة التاريخ والنفث من رواة الاخبار من ان الاسلام (المسلمين) ابادوا مكاتب الفرس ومصر وكما ارادوا هدم ايوان كسرى واهرام مصر (ص ٥٦) والمعروف الثابت عند المحققين من علماء العرب والافرنج ان نسبة احراق مكاتب الفرس ومصر للمسلمين فرية اقترأها خصوم الفاتحين ودسوها حتى تلقفها من لم يكن لم عهد بتصحيح الاخبار والمعروف من هدم المسلمين لاهرام مصر ان المأمون احب ان يعرف ما في داخله فأمر بنقب جهة واحدة منه خدمه للتاريخ والآثار لا عملاً بمبدأ الخراب والدمار والا فان في بعض عصور الظلم قد دكت الجوامع والمدارس ايضاً وكثيراً ما نقض بنية جامع مشهور لتوخذ انقاضه الى جامع آخر في بلد آخر او قطر آخر وهذا لا ينسب للاسلام بل للجاهلين من المسلمين وان شئت فقل للمخربين من المتغلبين. وما نظن احداً من المحققين قال بان الاسلام كان السبب لشكاثر الشعراء العشاق (ص ١٤٠) لانتشار التسري وركون القوم الى الرخاء حتى اذا نضج المدنية الاسلامية تحول ذلك الى التهلكة والتخنت وكذلك قوله (ص ٢٤٠) ان التشبيب هان على المسلمين بعد عهد اخلفاء الراشدين مع ان المعروف ان التشبيب موجود في الجاهلية والاسلام ولكن اخبار الجاهلية كلها لم بنا:نا وربما كان في مخطوطات بعض مكاتب الغرب والشرق شذرات منها تجولنا كثيراً من الغوامض اذا اردنا الاستقصاء في هذا المعنى والا فالحكم المبرم بقليل رأينا على كثير مما لم نره قد يؤدى الى ركوب متون الاغلاط. وعلى كل فنشكر صدقتنا المؤلف ونتمنى له التوفيق الى اتمام كتابه

التاريخ الكبير

لحافظ ابي القاسم بن عساكر عني بتريده الشيخ عبدالقادر بدران طبع بمطبعة

(روضة الشام) بدمشق سنة ١٣٢٩

لم يبق احد خرب بمعرفة تاريخ الاسلام الا وتشوق كثيراً لنشر كتاب الحافظ ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ في تاريخ دمشق وقد صحت عزيمة الشيخ عبدالقادر بدران من فضلاء دمشق على نشره فنشر منه الى الآن ١٢٨ صفحة محذوفة التكرار والاسانيد وحذف اسانيد الاخبار في محلها ونقع الحوادث حسب الامكان وبين مراتب الاحاديث التي رواها المؤلف في الحاشية وكنا نود لو يوفق الناشر الى نشر هذا السفر الكبير وهو في ثمانين مجلدة صغيرة على الاسلوب الذي كتبه المؤلف وان كان هو بأسلوب المحدثين اشبه منه بأسلوب المؤرخين او ان يظهر الناشر بمختصر من المختصرات التي اخنصرها به بعض ائمة هذا الشأن ولكن الحمى تقصر عن ذلك مثل هذه الغاية البعيدة الآن ولعل انتشار الكتاب على هذا المثال يشوق ابناءنا واحفادنا في مستقبل الايام الى نشر ما قاله ابن عساكر بالحرف على اننا نشكر الناشر والطابع عنايتهما وحرصهما على خدمة تاريخ اقدم مدن العالم الاسلامي ونعني بها دمشق الفخيمة

رسائل مختلفة

(السفر المفيد في العالم الجديد) والدليل التجاري لآبناء اللغة العربية والشعوب المختلفة في العالم اجمع تأليف الدكتور نجيب طنوس عبده اللبناني في ٦٧٦ صفحة كبيرة الحجم مع الرسوم وفوائد مختلفة عن البلاد ولاسيا اميركا الشمالية (الفتوى في الاسلام) تأليف الشيخ جمال الدين القاسمي وقد طبعت في الاجزاء الاول من مجلد السنة السادسة من المقتبس وجردها المؤلف مع تقديم فهرس لها بين فوائدها

(ديوان البحري) الجزء الاول منه ضبطه بالشكل الكامل وعلق حواشيه رشيد افندي عطية الاديب اللبناني وهو في ٤٠٠ صفحة كنا نود ان لا يسقط الناشر طائفة قليلة من آياته لان من شروط الامانة ان تنشر الكتب على علانها وان يشير الشارح الى بعض ما ربما لم يشرحه لانه توقف فيه ولاسيا في اسماء البلدان والاماكن

(برنامج جمعية النداء الخيري بدمشق) هذه هي احدها الجمعيات الخيرية التي أسست في هذه الحاضرة في السنة الماضية - وقد كان دخلها ٢٢٢٣٥ قرشاً و٣٥٠ بارة

صرفت منها على تعليم اولاد الفقراء واعطاء المحاويج ١٥٩١٥ والباقي احتياطي
(البيان السنوي) للكلية الاسلامية الثانية في بيروت لعامها السابع عشر فيه
نظام هذه المدرسة الراقية ومنزعا في التربية والتعليم واعمالها وكيفية الالتحاق بتلامذتها
الى غير ذلك مما يدل على تدرجها في مدارج الارقاء والبناء ستة فسة
(الصهيونية) ملخص تاريخها وامدادها حتى سنة ١٩٠٥ انجيب افندي نصاروما
جاء في دائرة المعارف الاسرائيلية عن مسألة الصهيونيين شفعها المترجم بما قاله في هذه
المسألة الحيوية في جريدته (الكرمل) في حيفا
التقرير السنوي السابع لجمعية تهذيب الشبية السورية في بيروت وهي الجمعية الخيرية
التي تجمع المال لتهذيب الفتيان والفتيات بقطع النظر عن مذهبهم ولها فرع نسائي وكان
مجموع دخلها سنة ١٩١٠ ٥٥٦٦٣ غرشا ومجموع خرجها ١١٠٢٦ غرشا وبلغ مجموع
من علمتهم حتى الآن ٤٤ فتي و٢ فتابين صرفت عليهم من الفروش ٤٥٩٠٢ وذلك
مدة سبع سنين .

اخبار وافكار

حرق مكتبة الاسكندرية

كتب بعضهم مقالة في جريدة التمس ايد فيها قول من قال
ان عمرو بن العاص احرق تلك المكتبة بامر الخليفة عمر بن الخطاب معتمدا على
ما قاله جرجي افندي زيدان في كتابه تاريخ مصر الحديث فرد عليه المستر بطلمو وولف
كتاب (الفتح العربي لمصر) داخضا تلك التهمة . وقد نشرت التمس رده في عدد
٢٥ حزيران الماضي قال : غريب ان يتحدث الناس من جديد بحرق عمرو بن العاص
لمكتبة الاسكندرية وان ينشر مثل ذلك في جريدة كبيرة الشأن كجريدة التمس
وعندي انه لا يمكن ان يكون الكاتب قد بحث في المسألة من وجهها العلمي والتاريخي
فانه لو فعل لعرف ان الحجة التي يحسبها براهين جديدة على صحة قوله ليست بجديدة
ولا يركن اليها في بحث هذه المسألة

وقد عقدت في كتابي (الفتح العربي لمصر) فصلا طويلا على هذا المبحث واظهرت
فيه بالادلة البينة ما يأتي :

١ - ان قصة حرق مكتبة الاسكندرية نشرت في الكتب الاوربية بعد الفتح العربي
بمئسمائة سنة وناشروها هم عبداللطيف وجمال الدين وابو الفدا والمقرئزي . ولا شك
ان ابا الفرج اقتبس روايته عن عبد اللطيف . وبست هذه الحقيقة اكتشافاً جديداً
بل هي امر قديم معروف

٢ - ان تعليل الحادثة يخرجها عن الجدل والصحة

٣ - ان بطل الحادثة هو بوخنا فيليونوس وهذا مات قبل الفتح العربي بكثير
من السنين

٤ - كان في الاسكندرية مكتبتان . همتان احدهما مكتبة المتحف والثانية مكتبة
السميرايوم . ولا بد ان تكون الرواية تشير الى احدهما : فالاولى اتلفت في الحريق
الذي احده بوليوس فيصر قبل الفتح العربي باربعة مئة سنة . واما الثانية فيظهر من التاريخ
انها اما ان تكون قد نقلت قبل سنة ٣٩١ قبل المسيح او اتلفت وخربت في ذلك التاريخ .
وعليه لم يكن سيف الاسكندرية مكتبة في سنة ٦٤٢ بعد المسيح ولم يوجد ذكر للمكتبة
في كتب القرن الخامس والسادس والسابع مطلقاً

٥ - لو كانت المكتبة موجودة في زمن الفتح العربي لكان نقلها بسهولة ممكنة في
مدة الهدنة التي أعطيت قبل تسليم الاسكندرية وفقاً لمادة في المعاهدة تسمح بنقل
الاشياء الثمينة وكان طريق البحر يومئذ مفتوحاً

٦ - واخيراً لو ان المكتبة نقلت او اتلفت لما كان مؤرخ ذلك العصر العالم
جون فيكيو اغفل ذكرها وسكت عن حادثتها كل السكوت

وعلى ذلك فنحن في المجلة المصرية (جرجي اخندي زبدان) لم يكتشف الا ما كان
ظاهراً معروفاً . والكاتب لم يدرج في اعمدته الا اعترافاً بجمل ليس فيه ادنى برهان
في علم التاريخ . اه فليتأمل

تريية النظر

ذكرت احدى الجلات العلمية ان اهمال النظر في المدارس الابتدائية والثانوية في
اوربا بلغ مبلغاً لم يستطع معه أكثر التلاميذ ان يعرفوا بمجرد النظر تقدير مسافة او قياس
او وزن . ولكن الولايات المتحدة اخذت في مدارس المعلمين تدريس هذا الداء فتعلم
التلاميذ ان يقيسوا ويزنوا بعيونهم وقد رأى الاساتذة ان الاولاد لا يتصورون طول
المئة متر تصوراً حقيقياً فضاروا يترنوم عليها بعد درس الحساب فيخرج الاساتذة

بتلامذتهم الى التزهة عقيب الفرس في طريق ركزت في كل عشرة امتار منها علامة ثم ترفع العلامة ويشار الى الاولاد ان يضعوا العلامات بالنظر ومن احسن وضعها في اماكنها يعطى مكافأة وهكذا تقدر الابعاد العالية على هذه الصورة فيضعون وتدأ من اعلى الى اسفل ويتفنون في تقدير الابعاد العالية . اما الثمرن على معرفة الاوزان فهو صعب أكثر من ذلك لان وزن الاشياء لا يمكن تقديره من حجمها ولكن الاستئدة رأوا ان يبدأوا بتمرين الطلاب على الاشياء الثابتة مثل تقدير وزن الحديد او الخشب او غيرها ثم ينتقلون بهم الى امور اخرى وعلى هذه الصفة يكون التليذ درس ولعب مسل يشغل الذهن وقد تنفق المعلمون على الاعتراف بان هذه الطريقة قد ادت الى احسن النتائج في تربية النظر

المطاط

لما اخترع ما كنتوس سنة ١٨٠٣ الرءاء الذي لا ينفذ اليه الماء واشتهر به كان مقدار ما يستخرج من المطاط ١٢٠ طناً في السنة وما زال يكثر المستخرج منه حتى بلغ هذه السنة ٨٠٠٠٠ طن وقد توصل جان ديوفسكي البولوني الى استخراج ١٠ الى ٢٠ في المائة من المطاط من صمغ اسمه جلتونغ Jelutong

وهذا الصمغ يتكون على نبات ينبت في جزائر مالايو يستخرج بسهولة ويثن قليل بحيث بات الرجاء بعد المعال التي أنشئت لاستخراج المطاط من هذا الصمغ ان تنزل اسعار المطاط كثيراً وتجاري ما يستخرج منه من مملكة الكونغو

بن اوربا واميركا

تنوي سويسرا ان تؤسس مؤتمراً دولياً للنظر في انشاء خط حديدي يقرب المسافة بين جنوبي اوربا وجنوبي اميركا بحيث يجعلها خمسة ايام وذلك بانشاء خط حديدي بعد جبل طارق على الساحل الغربي من افريقية قاصداً الى دكر متيهاً بياتورس بحيث يصل الانسان الى برنامبوك في ثلاثة ايام بدون ضباب ولا جليد كما هو الحال في بحر الظلمات وتكون المسافة بين جبل طارق ودكر ٢٢٨٨ كيلومتراً والى باتورس ٣٠٠٠ كيلومتر ولا تكلف نفقات الكيلومتر كبير امر لان اجرة العملة رخيصة جداً في تلك الاصتاع وبذلك يصل الراكب بعد ذلك براً وبحراً من اوربا الى برازيل في خمسة ايام وتنتفع اوربا ومراكش ومستعمرات انكلترا وفرنسا في افريقية وبرازيل وتقتصر المسافة بين الكونغو وجنوبي افريقية وكذلك المانيا تستفيد من مستعمرتها

الاف بقية ولكن هذا المشروع يحتاج الى رأس مال كبير حتى ينقل العملة والادوات وتتمياً اسباب المياه للشرب وغير ذلك

الزواج في الغرب

أكثر البلاد تزوجاً بلاد المجر فان معدل المتزوجين كان سنة ١٩٠٨ - ١٩ في الالف وكان سنة ٨٩١ - ١٧ في الالف وفي المانيا زاد عدد المتزوجين زيادة قليلة بعد سنة ١٨٩٠ ونهض معدله في إيطاليا من ١٥ الى ١٦ ١/٢ في الالف وفي فرنسا من ١٥ الى ١٦ وفي انكلترا الى ١٥ وارنفي في ايرلندا من ٩ الى ١٠ في الالف ونزل معدل الزواج في يابان من ١٧ في الالف الى ١٦ سنة ١٨٩٣ وشاع الطلاق فيها حتى كان ٣٢٥ طلاقاً في كل الف زواج وبعد سنة ١٩٠٧ بلغ معدل الزواج عندها ١٨ في الالف وما زال عدد الاولاد غير الشرعيين يكثر في العالم ولا سيما في يابان وكذلك في فرنسا والمانيا وقل المالك باولادها غير الشرعيين انكلترا وهولاندة

نهضة الجمال

في جميع بلاد الحضارة اليوم تنتشأ جمعيات ومنقديات ومناحف للبقاء على الجمال وانهاضه من كبوته في المحال التي لا اثر له فيها فمن جمعيات لوقاية المناظر الجميلة القديمة وابقاء رونق المدن والقرى والساكن على حالها ومن جمعيات لابعاد البشاعة عن مناظر المدن والاهابة بها الى الجمال ومن اخرى لتنشيط الهندسة والنقش وغيرها لتجويد لعب الاولاد حتى تنربى فيهم ملكة الجمال والشعور به وفي انكلترا وفرنسا تذاشد المدن كالحداثات بتزيينها ومن معارض تقام للصناعات النفيسة ومن جمعيات لتنشيط زواج جميلات الصورة من النساء بمجملها من الرجال ليكون الجمال والكمال في اولادهم صنوين ومن جمعيات تعنى بتحسين الجنس البشري في باريز جمعية تسعى الى تقض عهود الزواج التي يكون منها اولاد نافسون في خلقهم مشوهون في تراكيهم وهكذا يدعون الى الجمال ويعلمونه ناشئهم اي عملاً لنا في الشرق مثل ذلك

ادبيات يابان

كتب أحد الباحثين من الانكليزان المرأة اليابانية كانت ممتازة بقريحتها الادبية منذ عهد بعيد فكانت منذ القرن الثامن مشهورة بمعرفتها معنى الحياة وسهولة التعبير بلغة ادبية مختارة ولكن لم يكن ينطق وجود النساء الكاتبات ولا ينطق وجودهن الا في قصور الملوك ثم جاء دكتور هيان (٨٠٠ - ١١٨٦) فكان العصر الذهبي للمرأة اليابانية

وقد ارتقى تسع نساء الى عرش الملك فامتزن بحكومة عاقلة متسامحة فكان بلاط الملك مهيئاً بتعلم فيه النساء وتهذيبن والظاهر ان احسن التأليف الادبية التي نشرت في ذلك القرن قد خطتها انامل النساء ثم اتى دور بدر فاضمحت دولة الآداب وكذلك الحال من سنة ١٦٠٨ - ١٨٦٧ فقد اطفأت في خلالها حياة المرأة العقلية . وظهرت المرأة اليابانية من سبائها الى منذ اربعين سنة ونهضت للتعليم نهضة الشمر الجبر في سنة ١٨٧١ بدأت النهضة النسائية بذهاب الفتيات اليابانيات يتعلن في امير كافتشات عن ذلك حركة مهمة بحيث بلغ عدد الطالبات اليوم ٣٢ الفا ومعظمهن يدرسن الآداب . وفي يابان عدد كبير من الجرائد والمجلات يشارك النساء في تحريرها كل المشاركة ولهن مجلة سمينها مجلة القرن العشرين جعلتها لسان حال الحزب الراقى من النساء يطالبن فيها لبنات حواء بالحرية وحق الانتخاب . وزعيمة ادبيات يابان اليوم البارونة ناكاجيما وهي كاتبة سياسية معتبرة

النصرانية والوثنية

حكمت يابان على رجل اسمه كوتوكو بدعوى انه من الفوضيين فقام انصار الحرية وقعدوا قائلين ان بعض رجال الدين بدأ في مقتله كما كان لم في مقتل فرير المصلح الاسباني . قالت المجلة الباريزية : ليس كوتوكو كصوره خصومه بل هو كاتب واخلاقي وكثابه الاخير الذي سماه « نسخ المسيح » قد احدث رنة كبرى بين الطبقة المستنيرة في يابان وكان المؤلف عدواً للنصرانية يحاربها العدا . ولذلك عاداء المرسلون من جميع الطوائف . وهو من تلامذة المصلح الياباني ناكاشون وتأليفه الاخير في نفي مجي المسيح ذهب فيه مذهب الاستاذ دروس ولم يعمد الى التقذف في كتابه بل جعله سفر علم وبحث واستنتاج فيه ان المسيح (عليه الصلاة والسلام) لم يثبت ظهوره في التاريخ وحث مواطنيه ان لا يتخلوا عن دين بوذا وكنفوشيوس ليدبتوا بمذهب أسس على الوهم والوثنية (كذا)

مميزات المجانين

عني اثنان من الاطباء بالمقابلة بين المجانين من الرجال والنساء وبين العقلاء من الجنسين ثبت لها بعد ان نظرا في ستمائة شخص ان طول المجانين قصير في الاغلب وكذلك النصف الاعلى منهم يختلف اعضاء النصف الاسفل فانها عادية في مئة رجل عاقل وجدا ان الرجلين كبيرتان ٥١ مرة وصغيرتين ١٨ بخلاف ارجل المجانين فان في

٥٥ رجلاً كبيرة ٢٤ رجلاً صغيرة وبالعكس في المرأة في مئة امرأة عادية ٥٢ ذات ارجل صغيرة و ٢٣ ذات ارجل كبيرة وفي مئة معنوة ٥٤ كبيرات الارجل و ١٨ صغيراتها وروؤوس الرجال العاقلين اقل طولاً في الاكثر منها في المجانين والمرأة العاقلة تمتاز على الجملة بطول الرأس بخلاف المعنوة فانها صغيرة مستطيلة ومعظم رؤوس الرجال العاقلين قليلة العرض بخلاف المجانين فانهم عريضوها اما النساء العاقلات فيمتزبن اجمالاً بعرض الرأس المتوسط او بكبره والمعنوهات بصغر عرض الرأس والمعنوهون والمعنوهات كبار الآذان .

التمثيل بباريز

بلغت مداخيل دور التمثيل في باريز سنة ١٩١٠ ٥٧ مليون فرنك اي بزيادة عشرة ملايين عن السنة التي قبلها وكانت الزيادة اولاً للادورا ثم للادورا كوميك ثم للكوميديا الفرنسية ثم للادوربون ثم لتغيرها من دور التمثيل المدهشة المتقنة

العاملون في الامم

نشرت وزارة العملة الانكليزية احصاء بالعملة في جميع البلاد المتقدمة فكان عدد العاملين في النمسا ٥١ ونصف في المنة وعدد في فرنسا ٥١ وربع في كل مئة و ٥٠ في ايطاليا و ٤٦ في البلجيك و ٤٤ في المانيا و ٤٥ في انكلترا و ٣٥ في الولايات المتحدة

الجلد الصناعي

اخترع منذ سنين احد البايكيكين جلداً صناعياً وثبت الآن غاؤه في مسابقة اللجنة الزراعية في مدينة ترني من ايطاليا ونال مخترعه الجائزة وهذا الجلد عبارة عن غمس قماش من القطن بمواد دهنية زلاية دافضة والاحذية التي تصنع به تقاوم كالجلد الطبيعي ولها مرونته وطول صبره والحذاء المعمول من هذا الجلد الصناعي يكلف مع اجرتة اربعة فرنكات و يباع بستة عند التجار وهونافع للفقراء والعملة خاصة

صرعى الحروب

ذكر بعضهم ان الحكومات نقل في المادة معلوماتها عن الحروب ونتائجها المدهشة وهكذا لا يعرف الا قليل من كثير ممن فقدتهم فرنسا في الثورة الاولى وتأسيس حكومة نابليون ففقدت كانت جنود نابليون اوريا مثلاً فاجتازت المانيا و بولونيا وهولاندا واسبانيا وصوب سراو البرتغال وايطاليا وكرواسيا وروسيا وترك في ساحة الوغي مئات الالوف من الاشلاء فهلك من الفرنسيين في حرب اسبانيا التي دامت خمس سنين ٤٧٣ الف

وفي حرب روسيا ٣٨٠ الفاً ولا يعلم بالتحقيق عدد من هلك في معركة وانزلو ومن المحقق ان الجيش العامل كان مليوناً وثلاثمائة الف من الفرنسيين هلك معظمه . كل هذا ونابليون لا يهتم بمن يهلك حتى قال له مترنيخ السيامي النمساوي ذات يوم : ماذا تعملون متى هلك هؤلاء الشبان « فاجابه نابليون : لا ادفع فلساً لاجل حياة مليون من البشر » وقال نابليون لنابليون احد قواد فرنسا . ان حملة روسيا قد اسنلت من رجالي ثلثائة الف رجل هذا خلا من قتل من الالمان . قال من ننقل عنه ان فكر الفتوح — بقطع النار عن الحروب المدنية والدينية وحروب الاستقلال — كان زمناً طويلاً العامل الوحيد في الحملات العسكرية وقد نسي الناس في الغالب ما صاحبها من الفظائع التي لا تقع فيها ولا يحصى منها ولم تعلن للجمهور مخافة ان يقطع تأثير الحكومات فيهم . وقد قالوا ان التاريخ يعيد نفسه وانا ارى ان التاريخ لم يعرف على حقيقته حتى يرد ونشره بين الناس جلياً مسلاً بالروايات الاكيدة اعظم نال في بوق السلام بين الانام . قلنا اما نحن فلا نعلم باي وجه يغالي بعضهم في تكبير نابليون في العيون باعماله وهو الذي قتل من قتل من البشر وكلف قومه لا اقل من ثلاثة ملايين من الرجال الاقوياء ومثلهم من سائر الامم او اكثر ولكن اصار الملكية في فرنسا وفي مقدمتهم رجال الدين يوهون على العقول اينفروا الناس من حكم انفسهم بانفسهم وتكون لهم السيطرة على الارادات والنفوس لم ينزل به سلطان

مجلة فريدة

بدا لرجل كاتب ومصور من اهل قرية في جوار سبرنجفيلد من اعمال ولاية ايلينوا في الولايات المتحدة ان ينشي لاهل قريته مجلة خاصة بهم فريدة في اسلوبها ورسومها وشعرها ونثرها وكلها مما خطته براعته ورشته فأصدر منها عدداً واحداً وطبع منه سبعمائة نسخة بقدر عدد سكان القرية يريد بها ان يعلم اولئك الفلاحين ذوق الفنون والآداب ومن جعلتها الزهر . يعلم به ويهذبهم وقد كانت الصور التي صورها في هذا العدد كأنها ناطقة تشكلم وتعلم مشفوعة بقصص تشرح مكانتها فيها ما يمثل صورة شيطان الرذيلة خضع لسلطان المرأة المريية ولطفها الساحر . ومن الصور التي صورها صورة قارب جذبه التيار في عرض البحر فترق قلوبه وتلاعبت به الامواج والرياح من كل جانب يشير به الى قرية تقاذفتها الالهواء من فساد اخلاق وشرب مسكر وغير ذلك من الموبقات وهناك رسوم احتفالات ومواكب نشر الشعب اعلامها وقد كتبوا عليها

مواعظ ونصائح في عمل الخير وحفظ الصحة وحن التدبير وقد زاد المحلة رونقا شعر صاحبها الذي يذبه الشعور ورأى ان نشر مثل هذه الصحيفة أفيد ابني قومه من موعظة يسمعونها في ابرشيتم فيطير صداها في الفضاء
الاستقلال المادي

نشر احد رجال المجر كتابا في حالة المجر الاقتصادية قال فيه ان السبب في ارتقاء هنغريا في مادياتها قلقتها الدائم على استقلالها عملاً بقول ذلك الوطني المجري الكبير : « ان كل ما تسلبنا اياه الشدة يتيسر للزمان المسالم والاحوال الموافقة ان تعيده اليها ولكن الحقوق التي تقضى عنها بصمتنا نفقدها الى الابد بدون ان نأمن رجعتها . » وعلى هذا شعر المجر يون عن ساعد الجد واعادوا قاحل ارضهم حدائق غلبا وحقولاً ممرعة وتلك المراعي التي يضل فيها الغنم اصبحت الآن تربي قطعاناً من البقر بحيث زاد عددها مليون رأس منذ عشر سنين وان بلاد المجر كانت وما زالت بلاداً زراعية وستظل كذلك ومن الارض تستخرج اعم موارد ثروتها على انها بفضل جهد الافراد والحكومة بلغت في الصناعات ساءوا بعيداً يحسدها عليه ارقى الامم بحيث قدر صناعها بثلاثة وعشرين الفا من اصل عشرين مليوناً سكان المجر كلهم وقد جاوز محصولها السنوي ملياري فرنك فقدرت الزيادة في ثمانين سنين بمخمسين في المئة فله ما يعمل الجد والعلم المادي ولا غرو بعد هذا اذا كان للماديات تأثير قوي في المعنويات .

الصين الجديدة

قلق الاوربيين لتهضة الصين الحديثة فمن قائل ان الخطر منها يوشك ان يتناول الاوربيين قريبا ومن قائل بان ذلك بعيد الآن وقد انتدبت الجمعية الجغرافية في باريز علماً ثقة ليدرس الحالة في بلاد الصين وعاد فكتب كتابا في هذا الشأن قال فيه ان الخطر الاسفر ليس قريب الوقوع كما يدعي بعضهم وان اليوم الذي يقوم الصينيون فيه ويقولون « آسيا لآسيا » بعيد وحي حان يحق الخطر بالاقرب فالاقرب من الاوربيين (اي الفرنسيين في التونكين) كما وقع لبنان في استيلائها الى كوريا . محاولتها الاخذ بمخناق منشوريا قال وارث السواد الاعظم من ابناء السماء ليحافظون على التقاليد القديمة كل المحافظة يقدسون اجدادهم ويتبنون بخطوط صعبة يستحيل ان تنتشر بوسطها مدنية وربما كان الافرنج النازلون في بلاد الصين السبب الاعظم في كره الصينيين للغربيين على نحو ما جرى في ثورة البوكسر سنة ١٩٠٠ فثار البلاد على

الاجانب بدون استثناء وهذه العداوة المتأصلة هناك تعجل في نشوء الصين وما هو يبطئ كما يظن فقد سنين قليلة كانت تمنع الصين من انشاء سكك حديدية ثم أعطت امتيازات لانس من الاجانب وعادت فابتاعت منهم ما مدوه من الخطوط لئلا تكون لهم حجة في بلادها ونظامها العسكري حديث العهد وهو سائر سير نجاح واوريا تحسن صنعا اذا عاقت ارتفاع الصين في الجدية لا كما تعمل الآن فيقدم تجارها لها ما تريد من عدة برية وبحرية من احسن الانواع .

اكبر سد

ينون الآن على نهر المسيسيبي باميركا في شلال الرهبان بين مونتروز وكنكوك اعظم سد في العالم يحوي خزائنا تدأ منه قوة ذات ١٥٠ الف حصان وطول هذا السد ١٤٠٠ قدم وسعته ٤٣ وعالوه ٣٧ وهو من الحجر ويكون طول الخزان ٥٦ كيلومترا وسعته الوسطى كيلومترين

الاكتشافات المقبلة

ذكرت مجلة ادلة الترفي ان اديسون المخترع الاميركي المشهور مقتنع كل الاقتناع بأن حجر الفلاسفة الذي شغل كثيراً من المفكرين بالكيمااء القديمة لتحويل المعادن الى ذهب سيكتف في المستقبل فيستطيع الانسان ان يسك نقوداً ودنانير على ما يشاء من الحجارة والمعادن وبذلك يختل نظام الحالة المالية في العالم وانه لا يمضي زمن حتى تخترع ادوات زراعية تحرك بالكهربائية بقوة خارقة للعادة فتحث الارض وتسلفها (تسوقها) وتبذرهما وتقلع حشيشها وتسقيها وتحصدتها وتكديسها وتدرسها وان الفلاح في المستقبل سيكون عالماً بالانبات وطبيعياً وكبائياً وتكون ادوات ابن الارض في الايام المقبلة عبارة عن سلسلة مفاتيح ومحركات كهربائية

قال ولا ينبغي القرن الا ويحل الفولاذ محل الخشب في صنع اثاث البيوت . فقد كان القرن التاسع عصر الورق فاذا انتهى القرن العشرون لا يبق للورق من اثر ولا يعرف بماذا نصر الصرر اذ ذاك ولا على ماذا تطبع الصحف والمجلات اما الكتب فهو يرى انها ستطبع على اوراق من معدن النيكل على نخانة واحد من خمسة من الالف من المليمتر .

الاسر السويدية

ملك الاسرة في السويد عبارة عن ارض زراعية او بيت بمديقة ينشأ في جوار

القرى بحيث لا يتجاوز هذا الملك ١٥ الف فرنك ويتأقى احداث هذا الملك بمعاونة الحكومة او بمعاونة شركات أسست لهذا الغرض فالحكومة تقرض مالاً لمن يريد ان يقضي ملكاً من هذا القبل بفائدة ٣ في المئة وكسراً وتقرض الشركات بفائدة ٤ في المئة وقد كان لاحدى الشركات الى آخر سنة ١٩٠٩—١٩١٠ فرعاً من فروع مصارفها واعضاؤها ٥٤٩٠ عضواً اقرضت ٢٢٩٧٣٠٥ كوروناً تعاون الافراد على الاغناء وترفع الشقاء عن الفقراء وهذا من افضل ماسمع في باب التضامن الاجتماعي
سكر جديد

استخرج سكر جديد من جذع الخيزران الابيض ويوجد فيه بكثرة وقد سمي
فرباسكوس VERBASCOS

LE-SOJA حبوب السوجا

السوجا نبات يزرع بكثرة في آسيا الشرقية ولا سيما في منشوريا ويحمل الى اوربا اخضر او جيوياً او حلويات وقد بلغ المحمول منه في السنة الاخيرة زهاء مائتي الف طن ويستعمل اليابانيون هذا النبات في تغذية الحيوان والانسان . وخبز السوجا يحتوي على مواد مقوية اكثر من خبز الحنطة واقل مادة نشوية منه وفيه من المواد الدهنية عشرة اضعاف ما في خبز الدقيق وينفع خاصة المصابين بالبول السكري

نواب الامم

كندا اقل الامم نواباً في مجلس نوابها ٢١٤ نائباً والمجلس النيابي العثماني ٢٧٤ نائباً واليابان ٣٦٩ نائباً ولولايات المتحدة ٣٩١ ولامانيا ٣٩٦ ولاسبانيا ٤٠٦ ولروسيا ٤٤٢ ولايطاليا ٥٠٨ ولنمسا ٥١٦ ولفرنسا ٥٩٤ والمجلس العموم في انكلترا ٦٧٠ ولكننا لا ندرى اي المجالس النيابية احسن عملاً

الجراحة في بابل

اكتشفوا في حفريات حديثة في ارض بابل اكتشافاً له مكانة سامية في تاريخ الاجتماع وهو عبارة عن حجر كتبت عليه كتابة يرد تاريخها الى نيف واربعة آلاف سنة وفيها ذكر لاجور الجراحين وقد جاء في هذا الاثر ان اجور الاعمال الجراحية كانت معتدلة بالنسبة لهذه الايام . فكان الجراح يتناول اجرة الساق المكسورة نحو ثمانية فرنكات ونصف واجرة قلع السن او الفرس ٣ فرنكات وثلاثة ارباع واجرة العملية الجراحية بالمضغ ١٥ فرنكاً . وكانت العقوبات التي تحمل بفير الماهيين من الجراحين فاحشة

جداً فاذا اساء الجراح القيام بعمله جراحية تقطع يده .
مكتبة لندرا

من افيد الطرق في اعارة الكتب لنشر المعارف ما جرت عليه مكتبة لندرا من اعارة الكتب الى من يشاء الى حيث يشاء على ان يردّها او لا يردّها اذا شاء وفي اي وقت شاء وقد جربت هذه الطريقة منذ قام بانشاء المكتبة كارلايل العالم الانكليزي المشهور فاشفرت عن نجاح اكيد بعد سبعين سنة من انشائها لانه قلما يضعف لهذه المكتبة كتاب واذا ضاع فانها تستعير عنه في الحال غير آسفة عليه لان كتبها غير نادرة ولا تجليدها نفيس والذين يفضلون على هذه المكتبة بعض الملوك والافراد والعلماء المشاهير وقد كان ما لديها من المجلدات سنة ١٨٤٣ - ١٥ الف مجلد فاصبح الآن مئات الالوف .

افريقية الجديدة

كتب احدهم في مجلة الطبيعة ان تغييراً كبيراً طرأ على افريقية منذ خمس وعشرين سنة وذلك بانصال الحط الحديد من رأس الرجاء الصالح الى القاهرة حتى كانت سنة ١٩١٠ ويرد تاريخ استعمار افريقية الى سنة ١٨٢٠ ايام اكتشفت معادن النحاس في كبرلي وقد اتفق الذين اغتروا منها معظم اموالهم في عمران الترنغال وردوسيا وتسهيل السبل الى بلوغ الكونغو البلجيكية من جهة الجنوب والدور الثاني في استعمار الاستعمار الافريقي يرد الى سنة ١٨٨٧ عند ما اكتشفت مناجم الذهب في ويتواتر ساند التي هي اليوم اعظم مناجم العالم ولا تنس معادن القدير والفحم الحجري والحديد في بلاد الترنغال وامتد الحط الحديدي من الرأس الى القاهرة فبلغ ردوسيا وكثرت بذلك صادرات الذهب منها ومضى وصل الحط الى كاتانغا سهل استخراج النحاس والمأمول ان تجاري افريقية بما يستخرج من نحاسها بلاد اميركا كما جاريتها بالمستخرج من ذهبها ولكن من الاسف العظيم انه كله يستخرج لغير ابناءها .

مدرسة الضعفاء

قام جماعة من الجنس اللطيف تحت رئاسة الآتسة روزلا سب سنة ١٩٠٩ في مدينة بوسطون باميركا وأسس في احدى حدائق المدينة حديثة للاطفال المصابين بضعف في القوى كقصر الدم وغيره . ولما رأت ادارة المعارف نجاح المدرسة والفوائد التي تنجم عنها اوعزت الى اللجنة بان تربط مدرستها بمدارس الشعب وعينت لها الدكتور هارينكوتون

مستشاراً صحياً في لجنة ادارة المدرسة واما المدرسة فهي كناية عن حديقة واسعة بجانبها عدة غرف يلتقي اليها التلامذة اذا تعكر صفاء الجو وفي احدى تلك الغرف يحضر طعام التلامذة وبرنامج المدرسة اليومي كما يأتي :

الدقيقة	الساعة	
٤٥	٨	(١) اجتماع التلامذة في المدرسة
١٠	من ٩	رحلة صغيرة خارج المسمور
٣٠	الى ١٠	«
«		(٢) اشغال هادئة كالفناء ومحادثات
٣٠	١٠	قصص تتعلق بحفظ الصحة وغيرها من
«	الى ١١	«
٠٠	١١	(٣) العاب جسمية كالكرة والعدو والقفز من
«	الى ١٢	«
٠٠	من ١٢	(٤) تمثيل روايات
«	الى ١٢	«
٣٠	من ١٢	(٥) تناول الغذاء
«	الى ١	«
٣٠	من ١	(٦) قيلولة
«	الى ٣	«
٠٠	من ٣	(٧) رقص
«	الى ٣	«
٣٠	من ٣	(٨) العاب عقلية مثل الفزاز
«	الى ٤	وممحيات وغيرها
٠٠	من ٤	(٩) طعام خفيف
«	الى ٤	«
١٥	٤	(١٠) الانصراف الى بيوتهم
«	٤	«

وكل اسبوع يستجمون مرة ويركبون مرة في سفن في البحر لاستنشاق الهواء والتلامذة صبيان وبنات تختلف سنهم بين السادسة والعاشرة وجلهم من عائلات لقهرات

واما الطعام الذي يتناولونه في المدرسة فمؤلف من الخبز والزبدة والسكك والبيض والبقول والفواكه واللبن وشي من الحلويات في بعض الاحيان وفي هذه السفة فخص التلامذة ووجدوا ان اجسامهم قوية وعقولهم غمت وشعورهم سما فلاغرابة في ذلك لمن امعن في البرنامج السالف الذكر لان المدرسة لم تهمل اجسام التلامذة كما انها لم تهمل عقولهم وشعورهم . اهـ ملخصاً عن جريدة السورثي الابريكية .

تصوير الكتب

اخترع احد البلجيكيين آلة تصوير يأخذ بها ما يشاء من الكتب والاوراق التي يراد حفظها دون ان تشغل محلاً فسيحاً فهي تنقل الصحيفة الى جزء من اربعين من حجمها الاصلي وسيكون لهذه الآلة شأن في نقل المخطوطات النادرة

مستقبل الاولاد

قام في ليربول في انكلترا جماعة وأسسوا جمعية غايتها مساعدة الصبيان والبنات بعد خروجهم من المدرسة في الحصول على عمل بضمن لهم مستقبلهم وهي تبذل جهودها لمنع الاولاد من الاستخدام في الاعمال المحدودة التي لا تحتاج لانتاج فكر كتوزيع الرسائل البريدية والبريدية او ان يكونوا مستخدمين في احدى الحوانيت وهي تبحث في ميل الولد فتضعه في محل يوافق ميله

رفي الصين الصناعي

مما يدل على رقي الصنائع الحديثة في الصين ان حكومتها صنعت بعد الآن ما تحتاجه من المعدات الحربية كالاسلحة وغيرها في معامل في بلادها قوة الماء في سويسرا

من المحقق ان سويسرا تستعمل قوة الماء لتحريك آلات المعامل اكثر من كل البلاد بالنسبة لسعة ارضها فالقسم من البلاد الواقع في جبال الالب يستعمل الآن قوة ١٦٢٠٠٠٠٠٠ حصان وهو يزاد في استعمال هذه القوة سنة عن سنة ففي سنة ١٩٠٨ كانت ما انشاء من الآلات يحتاج الى قوة ٤٠٠٠٠٠٠ حصان واما في سنة ١٩١٠ فقد كان ما انشاءه من الآلات يحتاج الى قوة ٧٠٠٠٠٠٠ حصان لادارتها .

العمي والحرف

أنشي معرض في مدينة نيويورك تحت رعاية جمعية مساعدة العميان فيها لاظهار ما يمكن ان يقوم به من فقد حاسة النظر من الاعمال النافعة فافتتح المستر تافت رئيس

الولايات المتحدة المعرض مع جماعة من اركان البلاد واعجبوا بما قام به العمي من الاعمال كالضرب على الموسيقى والتجارة وحياسة المكائس والسال وتفيد الفرش والكي والكتابة المختزلة والكتابة كى الآلة الطابعة الى غير ذلك من الصناعات اليدوية . وكان محل اعجاب المتفرجين تمثيل فصل من رواية لصوص مدينة البندقية لشكسبير الشاعر الانكليزي قام بتمثيلها جماعة من معهد العميان في بنسلفانيا فتقدم عدد من البنات ورقصن برشاقة باهرة وتقدم بعض الصبيان بالعباد رياضية اجتهدت لها قلوب الحاضرين وهم ايضا فاندو البصر كما خوانهم . عن جريدة المراقب الاميركية

محصول الذهب

بلغت قيمة ما استخرج من الذهب في العالم كله سنة ١٩١٠ — ٤٥٥,٨٣٢,٠٠٠ ريال اميركي و يقدر محصوله في عشر السنين الاخيرة بثمانية اضعاف ما استخرج سنة ١٩٠٠ .

المطالبات بمحقوقهن

كثير من النساء في لندرا يطالبن المساواة بالرجال في حق الانتخاب وقد ابين ان يعدن انفسهن في دفتر النفوس اذ بهن ان ليس للحكومة حق في عدهن من سكان البلاد لانه لا يسمح لمن بحق الانتخاب وحاولن الحرب في وجه مأمور النفوس يوم الاحياء .

كبر القدم والرياضة

وجد احد معامل الاحذية الكبيرة في الولايات المتحدة ان معدل قياس احذية النساء التي اشتغلها في السنة الاخيرة كان $5\frac{1}{2}$ بينما كان معدل قياس ما صنعه منذ عشر سنين $4\frac{1}{2}$ وبعد البحث وجد ان سبب الزيادة كان انتشار الالعاب الرياضية بين النساء في تلك البلاد وان معدل طولهن ووزنهن قد زادا زيادة ظاهرة .

هرباً من الثلوج

ستنشي^٤ احدى نركات السكك الحديدية في الولايات المتحدة نفقاً تحت جبال السير انهوادا ويكون طول ذلك النفق ستة اميال يكلف ١٠٤,٠٠٠,٠٠٠ ريال وذلك هرباً من الثلوج التي تعلم الخط فيمتنع القطار عن السير بضعة ايام وقت الشتاء فمسي ان تعتمد شركة حديد بيروت — دمشق الى احتذاء هذا المثال فتحفر النفق في حمانا بجبل لبنان فقد حالت الثلوج في هذا العام خمسة واربعين يوماً دون سير القطارات



المقنن

البكتيريا

البكتيريا او الباشلوس او الميكروبات كانت حديثة الوضع للدلالة على الاحياء الصغيرة التي كشفها مؤخراً المجهري المسمى بالميكروسكوب وهذه الاحياء ليست حيوانات كما يتبادر الى الذهن من تسميتها بالاحياء بل نباتات في متعش الصغر فلا ترى بالعين المجردة لان منظمها خال من الكلوروفل اي المادة الخضراء التي تتلون بها النباتات فضلاً عن تنافسها في الصغر حتى لا يمكن لاحد الناس بصراً ان يرى اكبرها بدونه ان يستعين بالآلة المعظمة او المجهر وهي الميكروسكوب او المجهري الذي ظهر الى عالم الوجود في القرن الماضي . ولذلك فالعلماء الذين عاشوا قبل القرن التاسع عشر لم يعلموا شيئاً عن عالم الاحياء هذه التي اصبح درسها الآن علماً قائماً برأى كثير الفوائد للانسان والحيوان من قبل الوقاية الصحية والفوائد الزراعية على ما سيجي في هذه المقالة التي ضمناها زبدة ابحاث العلماء ذوي الاختصاص حتى سننتها الخاضرة صفة البكتيريا وماهيتها وانتشارها — هي احياء نباتية ذات خلية او حوصلة واحدة شغافة اللون غالباً ، مستديرة او اسطوانية او مستطيلة الشكل تبعاً لانواعها، تنمو بالانقسام الذاتي فتنماز على غيرها بفقد القوة التناسلية العادية وينجو جراثيمها من التواء . ومعدل قطر حجم جراثيمها الحوصلية نحو جزء من الف من المليمتر . والمبلمتر جزء من الف من المتر

وهي قديمة العهد جداً كما تدل على ذلك آثارها في الاحافير المتحجرة في عصر تكون الفحم الحجري وما قبله . وتوجد في البرك والانهر والبحار ، وتكثر في المراحيض وكوم الزبل ، وفي التراب ، وحيث تلتقي المواد المضيوية فتتغنى ، وفي جميع السوائل كالدم

واللبن والبيرو والماء على أنواعه ، وفي المواد الغذائية الجامدة كاللحم والخمير وغيرهما . وكل مادة من هذا القبيل اذا غلت مدة معرضة للهواء تتناهبها البكتيريا وتثوالة فيها بسرعة وكثرة هائلة . ولذلك فهي منتشرة في كل مكان تحت سطح الارض وعليه وفي الهواء وداخل الاجسام الحية . فهي عالم يعاشرنا ويعد بملايين الملايين ولم نكن نعلم عنه شيئاً بذكر حتى اواسط القرن الماضي

ويقل انتشار هذه الاحياء في الاعالي والبلدان المفتوحة الجوانب خصوصاً في الشمال حيث نقل جداً بالقرب من القطبة الشمالية او تعدم نباتاً . ويأتي منها هواء البحر والاقیانوسات لانه في قلبه كثيراً ما يلامس الماء فيلقبها فيه ولذلك فهو الهواء البحر اقل نقلاً للمرض والعدوى به . وكلما ارتفعنا في الجبال قل وجودها حتى تكاد تنفقد على علو ٦٠٠ متر فافوق ذلك . ولهذا السبب تنسب مناعة اهل الجبال على بعض الامراض كاللحم الاصفر وغيره مما لا تنقل ميكروباته المحمولة على ذرات الفبار التي تقل جداً في هواء الاماكن المرتفعة

وتعيش الميكروبات على الحيوانات في درجات مختلفة من الحرارة . والنبات اقل ملاءمة لنموها لما فيه من السوائل الحامضة . الا انها تكثر ايضاً في الجذور والاغصان ذات القدد تحت الارض وفوقها . وهي تكثر في القناة الهضمية الاحي حيث تجتمع المقرزات الحامضة لان الحامض عدوها ولذلك يحسن معاطاته في اوقات انتشار الوبئة . وقد عني بعض العلماء مكانة كبرى على استعمال اللبن الرائب لما فيه من الحامض حتى نسب طول الحياة الى طول استعماله غذاء

تولد الميكروبات ونموها وفعلها - تتولد الميكروبات بالانقسام الذاتي فتتخذ اشكال انواعها المتعددة بين مستدير وسمي وخيطي الخ . والمعتاد ان يكون انقسامها عرضاً لا طولاً فتتشق كالبراءة اذا نصفناها بالثقي طولاً

وقد امنحن بعضهم سرعة تولد هذه المخلوقات الصغيرة فزرع حو بصلة خويطية منها في مرق الساعه ١١ صباحاً وكانت اشبه شيء بنقطة ترسم برأس ابرة فتضاعفت بعد ساعه بالانتفاخ وافرخت عند الساعه ٣ ١/٢ بعد الظهر وصارت عشرة اضعاف حجمها الاصلي عند الساعه ٨ ١/٢ فاتخذت شكلاً مستطيلاً معقداً وعند نصف الليل كانت قد بلغت ١٢ عقدة كل منها حو بصلة مستقلة . وبعد ذلك بدأت تنقسم عند ثلثها الاعلى انقساماً جانبياً بشكل قضبان دقيقة

وهذا الانقسام كثيراً ما يحدث في بعض الأنواع بعد نصف ساعة من زرعها وما يشتق منها يعود فينقسم أيضاً بمثل هذا الوقت فيبلغ عدد ما يتولد منها في ٢٤ ساعة ملايين الملايين كما لا يخفى على الحساب . وبعد هذا الايضاح نعلم شدة الخطر جلياً من كثرة تولد الميكروبات الضارة داخل الجسم . بمثل هذه السرعة . ولا يكون على الجسم خطر منها الا اذا كانت من الأنواع التي تترك في الدم مفرزات او بقايا سامة اي لا تلائم بطبيعتها طبيعة الدم لاختلاف مادته عن مادتها اختلافاً عظيماً

اما فعل البكتيريا في الجملد والاحياء فعلى غاية الشأن . لانها هي التي تخمر الجبين واغلر وائلر وسائر المشروبات وتعديل المواد السائلة من دم وماء فتفسد وتنفع بها كيفية هذا التعديل وهي التي تفتت الصخور وتسحل وجه الارض وتساعد على نمو النبات وحياة الحيوان بل قد عددهم اضعافاً مضاعفة لجميع الكائنات العنصرية . واليك اخص فعلها في الحيوان والنبات والجملد

فعلها في الحيوان — ام افعال الميكروبات بالنظر الى حياة الحيوان ما تحدثه من المنفعة والضرر . فهي تفيد الحيوان من اوجه عديدة لا يتسع ارقام ليرادهاها بالتفصيل ويكفي لتقدير نفعها مكانة وجودها في الماء الذي نشرب . لانه اذا خلا منها بالتطهير صار ضاراً واذا خلت مياه اي نبع خلواً تالماً منها اتقلبت سمماً نافماً كما يعلم ذلك من اختصار الينا بيع الشديدة الصفاء في بعض انحاء العالم فانها تضرر اثار بها ضرراً بليغاً اذا انثني منها وجورد الميكروبات

وقد ثبت بعد امتحانات باستور ان لا حي يتولد من غير الحي ولذلك فلا يفسد اللحم ولا تختمر السائلات على انواعها الا بفعل هذه الميكروبات ومفرزاتها . فهي التي تهيئ لنا ما نتمتع به من المشروبات الخميرة كالخمر والبيرة واللبن الرائب والجبن والزبدة وغيرها مما لا يحيط به العدد . فلوفرنا فقد هذه الميكروبات فجأة لا تقلبت احوال المعيشة انقلاباً يهولنا نصوره . لانها هي التي يتم بها اسقامها الاختمار والتفنن وديع الجلود وتخضير النيل والنبغ وسائر ما له اتصال برغد العيش خصوصاً انتماء الزرع كما سيجي . فمعظمها نافع لدوات الحياة

غير أن بعضها يفرز في الدم مادة سامة فيمرض او يهيئ للمرض . وقد ثبت الآن ان جميع الامراض وفي جملتها القروح والبثور وغيرها مسبب عنها . ولا نستثنى من ذلك الا بعض الملل الناجمة عن فعل حيوي ثبات ضارة

وبعد كشف كيفية فعل هذه الميكروبات صار من السهل شفاء الجراح بحفظها سليمة من الفساد وما الفساد الا فعل هذه المخلوقات الصغيرة في الدم . فكل ما يميتها من الادوية والمقاير يسمى مطهراً لانه يمنع افسادها للدم وميكروبات الامراض تختلف كثيراً في شكلها ومدة حياتها . فمنها ما هو ضمي الشكل كيكروب الكوليرا ومنها ما هو يضيوي او مستدير او غير ذلك . وبعضها لا يعيش بضعة ايام كيكروب الكوليرا الذي علم انه يموت بعد اسبوع من ولادته او اقل من ذلك . وغيره كيكروب الخناق او الدفتيريا قد يعيش سنة كاملة . وميكروب السل يعمر ابناً وتساعد المواد الحامضة على الفتك بالناس ليس لان الحامض يلائم طبيعه بل لانه يهدم جدران الخلايا الرئوية المسلوكة كلما أعادتها التغذية المقوية الى حالة كلية . ولذلك فلا يجوز للسلول تناول الاطعمة الحامضة مطلقاً . واذا اقتصر على الاغذية القلوية ساعد الطبيعة على شفاؤه

فعلها في النبات — في التربة انواع من البكتيريا لا تعيش الا على المواد النباتية كما انه يوجد غيرها مما يعيش على المواد المعدنية . فميكروبات النبات تتناول من الهواء المادة الكربونية فتمثلها احيي تهمها وثقثات بها فتفصل بذلك النيتروجين وتبته في جذور النبات . ومنها انواع تحل الماء والهواء الى عناصرهما فتسهل على النبات الاختداء بما يلائمه من هذه العناصر

وما يستحق الذكر من افعالها ان بعضها يعمل عكس عمل الآخر فيشكلون من هذه الاعمال دورة في تكييف المواد الغذائية تشبه الدورة ثنائية التي تتم بتبخير الشمس لمياه الابحر وغيرها فتصعد المياه الى الجو حيث تتعقد مطراً يعود الى الارض فيتبخر ثانية ويصعد ثم يعود وهكذا . وعلى هذا المنوال تحول انواع البكتيريا المواد النشادرية في التربة الى نيترات نباتية يتناولها الحيوان بعد تحولها الى بروتيد ثم تعيدها البكتيريا الى نشادر ثم الى نيترات وهكذا كان ييدها قياد العناصر الغذائية تصرفها طبقاً لتواميس حفظ الوجود

وفي التربة نوع من البكتيريا الخيطية الشكل تدخل اهداب جذور النباتات القرنية كالقول السوداني وتخترق نسيجها فتشله فتكون عقداً او غدداً تنمى بها البكتيريا . وهذا هو سر تولد البطاطا وسائر الاثمار التي تحت الارض والغدد المصيبة في السديان . وهي التي تنخر قصب السكر وغيرها .

وقد عني المان بتربية الانواع البكتيرية التي تخصب بعض النباتات وسموها بكتيريا النتروجين لكثرة ما تقدمه من هذا العنصر لتغذية النبات . ويرى غيرهم غيرها مما يحسن به نمو الورد والقمح والقطاني والخضر وغير ذلك فتفعل فعل السماد «الزبل الطبيعي»

وطريقة استعمالها انهم يربون انواع البكتيريا في مادة تلائم نموها ثم يتقنون بهذه المادة البذار او يذرون منه في التربة المراد زرعها فيقبل الزرع إقبالاً غريباً . وفي أكثر عواصم اوربا واميركا الآن مستودعات لبعم هذا اللقاح البكتيري فاعلى المزارعين عندنا الا ان يخذوا حذو مزارعي البلدان الراقية فيستفيدون ويفيدون البلاد

فعلها في الجباد — اي المواد غير الآتية . من البكتيريا انواع انما تعيش على الجباد كالصخور والمعادن على اختلاف اجناسها فيكون لها المكانة المهمة في بنائها وهدمها مما يشبه الدورة المسائية المذكورة آنفاً . فبكتيريا الكبريت مثلاً تقفل هذا الفحل بثوليدها الكلكتسيوم الذي تحوله الى تجسيم ثم الى كبريت ثم تحله وتبيده سيرته الاولى . ويقال مثل ذلك عن بكتيريا الفخور والحديد وسائر المعادن . وتعد التربة لتكون صالحة لان يفشي منها النبات ولان يفشي من هذا الحيوان ثم تعود مفرزات هذا وبقياءه الى التربة . فهي اول ممثل لا قدم اشكال الحياة المجهزة بقوة تحول عادات الحياة الى اشكال حيوية . ولذلك فلها المقام الاول في انشاء الحياة على سطح كرتنا الارضية حتى عدها بمضهم اول جرثومة حية في الوجود كان لها شأن واي شأن على وجه البسيطة

وفوق ذلك كله قد اتفق انبا هي التي تحدث الحرارة بشدة حركاتها عند تضيق التبيغ بعضه فوق بعض وعند تكويم القطن والبن الخ حتى لقد تحدث اشتعال بعض هذه المواد اذا ساعدتها حرارة الطبيعة

وهي التي يضي بها سطح البحر لانه انوكسد الهيدروجين المنفصر في الماء كما توكد الكحل في الخمر فيقلب حلاً

خلاصة — نحن عاثون في وسط هوالم خفية عن النظر تدعى البكتيريا او الميكروبات . ومعظمها نافع للانسان بما يحدثه من التغيرات المفيدة في الجوادم والسوائل . ويمكن اتقاء الضرر منها بتلقيح الجسم بسم مخفف منها كصل الدفتيريا ولقاح الجدري وغيرهما . وان هذه الاحياء تعيش في درجات متفاوتة من الحر والبرد . فبعضها يعيش في قلب الثلج وبعضها يتي حياً في حرارة تبلغ أكثر من مئة درجة بمقياس ستيفراد ولذلك يجب اتقاؤها بالحيلة الصحيحة التي قاعدتها الذهبية «احفظ بدلك وحسن شغلك»

ولنا في أجسامنا من كريات الدم البيضاء خير واثق من كثير من الميكروبات الضارة
 لان هذه الكريات تبتلعها فتفتح انتشارها وتولد الدم بمفرزاتها
 وقد علم ان التعب والجوع الشديد والتعرض للبرد جميع هذه تقلل مناعة الجسم
 فتزيده تعرضاً لفعل البكتيريا السامة . وان الحوامض تخفف فتكها بكريات الدم الحمراء .
 وبعض الناس يمتنعون على بعض الامراض لعدم وجود إغنة كيميائية بين خلايا اجسامهم
 وبين سم البكتيريا وهذا هو السر في نجاة الكثيرين من فعل الاوبئة في حين وقوع
 غيرهم فريسة لها

ويقال اجمالاً ان درس طبائع البكتيريا واخص احكام لقوة الانسان في كثير من
 الحالات من حسنات النصف الاخير من القرن الماضي الذي فتح باباً واسعاً للتوغل في
 البحث البكتيري الذي لا بد ان ينتهي الى كشف حقائق نافعة تدهش العقول بما تحدثه
 من الانقلاب في سير العمران وترقية حياة الانسان .

خليل سعد

بيروت

آيات العادات

يقف الناظر في دواوين الادب ومجاميع الشعر والاعبار على آيات غامضة المعنى
 بشكل عليه فهمها يسميها علماء الادب بآيات المعاني . وقد هنوا قديماً يجمعونها وتدوينها
 وشرح معانيها وتفسير مستغلقها الا ان يد الضياع تلاعبت بتلك المؤلفات فلم يصل اليها
 منها الا القليل ولم تقف على هذا النوع من الشعر الا مبعثراً مفرقاً في تضاعيف الاسفار
 المختلفة . اذكر انني كنت اراجع مرة في شرح القاموس مع الامير محمود سامي باشا
 البارودي فرأيت بنا قول القائل

فوردت مثل الباني الهزاهز تدفع عن اعناقها بالاعجاز

فلم يتكشف لنا معناه مع اطالة الروية واجهاد الفكر الا بعد ان سألنا عنه استاذنا
 الامام الشنقيطي رحمه الله فقال هذا من آيات المعاني يذكر ابلا وردت غديراً كالسيف
 الصقيل في الصفاء وقوله تدفع عن اعناقها الخ يعني انها كثيرة الالبان بمنزلة الضروع
 وضروعها في اعجازها فاذا نزل الضيوف بصاحبها قرام من لبها فأغنى ذلك عن نحرها
 فتكون دفعت عن اعناقها باعجازها قال ونظام الرجز (اعيت على مقصدنا والرجاز) انتهى

وقد عثرت على ضرب آخر من الشراب لم يكن من هذا النمط فهو منه قريب
رأيت ان اجمع ما تيسر لي منه واسميه (بابيات العادات) وهي آيات ظاهرة اللفظ
والمعنى الا انها غامضة من جهة القصد والمرمى فلا يفهم مراد قائلها الا بمعرفة عادة من
عادات العرب او مزعم من مزاعمهم بني عليه البيت كقول الخنساء في رثاء اخيها معاوية
فلا والله لا تسلاك نفسي لفاحشة اتيت ولا عتوق
ولكني رأيت الصبر خيراً من التعلين والرأس الحليق

فليس في الفاظ البيتين لفظ غريب غير مفهوم كما ان معناهما ظاهر في غاية الوضوح
وانما الاشكال في مرادها بالتعلين والرأس الحليق فاذا عرفنا ان العادة كانت عند
نساء العرب اذا اصبن في حميم ان يحلقن رؤوسهن وتأخذ الواحدة منهن تملين في يديها
تصفق بهما وجهها زال عنا الاشكال واستبان لنا القصد . وفي معنى بيتي الخنساء
قول عبد مناف بن ريع الهذلي

ماذا يفير ابقي ريع عريلا لا ترقدان ولا بوئسى لمن رقدا
كلتاها أبطنت احشاؤنا قصباً من بطن حلية لا رطباً ولا نقدا
اذاناً وب نوح قامتاً ضرباً اليما بسبت يلعب الجلدا
وهو نوع مستخلص من الشعر لم ارم اعتنوا يجمعدهم بآيات المعاني . فنه قول زهير
ابن ابي سلى

ومن بعض أطراف الزجاج فانه يطمع العوالي ركب كل لهزم
الزجاج بالكسر جمع زج بالضم وهي حديدة تكون في ساقلة الرمح واللهزم السنان
ويكون في عاليته وظاهر المعنى ان من ابى الصلح ذلكته الحرب او من لا يقبل الامر
الصغير اضطر الى قبول الكبير والبيت مع صلاحه لهذا المعنى فانه ينفعن شيئاً آخر من
عاداتهم وذلك ان الفتيين من العرب كانتا اذا التقتا في القتال سددت كل واحدة
منهما زجاج الرماح نحو صاحبتها ثم يسمى الساعون في الصلح فان اجبا الا التادي سمى
القتال قلبت كل واحدة منها الرماح واقتلتا بالاسنة
(ومن آيات العادات) قول النابغة الذبياني :

فبت كاني ساورني خشيلة من الرقش في انيابها السم ناعم
يسهد من ليل التام سليمها لملي النساء في يديه قعاقع
السلم الملدوخ فانت عادتهم كما في لسان العرب وشرح الديوان ان يضعوا في ابدي

المهدوخ شيئاً من الحلي لثلاث بنام فيدب السم في جسده فيقتله ومثله قول الآخر
فبت معنى بالهموم كأنني سليم نفي عنه الرقاد الجلاجل
قلت وغرب تقارب بعض العادات عند الامم فقد حكى لي شيخ من من الجراكسة
ان من عاداتهم في بلادهم انهم لا يدعون الجريح بنام لثلاث يموت علي زعمهم فيعملون
حوله من يقرع علي طست او قدر من النحاس ليوقظه كلما اغشى ولا يزالون يتناوبون
ذلك حتى يتم شفاؤه .

(ومن آيات العادات) قول الربيع بن زياد في مالك بن زهير العبسي
من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار
يحيد النساء حواسراً يندبته يلطمن اوجههن بالاسهار
فان مراده ان من كان شامتاً مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا وهن علي هذه
الحال ليعلم اننا اخذنا بثأره فلا يشمت به وذلك لان العرب كانت تندب قتلاها بعد
ادراك الثأر وقد حكى التبريزي اقوالاً اخرى في البيتين نخرجهما عما نحن فيه .
(ومنها) قول الكيت

احلامكم لسقام الجبل شافية كما دماؤكم تشفي من الكلب
جاء في معاهد التنصيص قال ابن الاعرابي : كانت العرب تقول من اصابه الكلب
او الجنون لا يبرأ منه الا ان يسقى من دم ملك فهو يقول ان ممدوحه ارباب العقول
الراجحة ملوك واشراف ومثله قول القاسم بن حنبل من شعراء الحماسة
بنات مكارم وأساءة كلم دماؤهم من الكلب الشفاء
وقد حكى التبريزي في شرحه نحواً مما حكاه ابن الاعرابي ثم قال وقيل في دوائه
ان تشرط الاصبع الوسطى من يسرى رجل شريف ويؤخذ من دمه قطرة علي قمرة
فيطعم المعضوض فيها وقيل انه يسعط به انتهى . ومثله قول عبد الله بن الزبير
(بفتح الزاي وكسر الباء) الاسدي في عبده بن زياد

من خير بيت علماء واكرمه كانت دماؤهم تشفي من الكلب
وقول عبده بن قيس الرقيات
عاودني النكس فاشتفيت كما تشفي دماء الملوك من كلب
وقول ابن عباس الكندي ابني أسد في قتلهم حجر بن عمرو
عبيد العصا جثمت بقتل رئيسكم تريقون تامورا شفاء من الكلب

التامور هنا الدم • وكلهم اقتصروا على ذكر الكلب وقد جمع الفرزدق بينه وبين الجنون فقال :

ولوتشرب الكلبى المراض دماءنا شفتها وذو الخبل الذي هو أدلف
وذكر الجنون عامم بن فرية الجاهلي فقال :

وداويته : يا به من بحنة دم ابن كهال والنطاسي واقف
وقلده دهرأ تميحة جده وليس لشيء كاده الله صادف

صادف بمعنى صارف • قال الجاحظ وكان اصحابنا يزعمون ان قولهم دماء الملوك شفاء من الكلب على معنى ان الدم الكريم هو الثأر المنيم وان داء الكلاب على معنى قول الشاعر :

كلب من جس ما قد مسه وافانين فؤاد مختبل

وعلى معنى قولهم (كلب بضرب ججاج ورقاب) فاذا كلب من النيطز والغضب فأدرك ثأره فذلك هو الشفاء من الكلب وليس ان هناك دماً في الحقيقة يشرب ولولا قول عامم ابن الفرية (والنطاسي واقف) لكان ذلك التأويل جائزاً انتهى كلامه • قلت وقد نظرف البحتري فقال يعني من انتصد واخرجه مخرج هذا الزعم عند العرب

ليهنك البرء مما كنت تألمه وليهنك الاجر عقبى صائب الوصب
لئن فصدت ابتغاء البرء من سقم فقد ارقن دماً يشفي من الكلب

(ومن آيات العادات) قول القائل :

ولا عيب فينا غير عرق لمعشر كرام وانا لا نخط على النمل

النمل هنا جمع نملة وهي قرحة تخرج في الجسد ولولم يكن البيت مبنياً على عادة لم لما كان معنى لا يفخاره بأنه ممن لا يحيطون على تلك القروح ولكن مراد الشاعر اننا لمنا نجوس نتزوج الاخوات لزعم العرب ان ابن الجهمي اذا كان من اخته وخط بيده على النملة ابرأها كذا في كتابات الجرجاني وذكر صاحب اللسان والعلامة ابن القيم في كتابه الفوائد المتوق الى علوم القرآن وعلم البيان ان ذلك من زعم الجوس انفسهم • قلت لا مانع من ان يكون انتقل منهم الى العرب فاعتقدوه واضافوه الى مزاعمهم في الجاهلية كما انتقلت لبعضهم اشياء من التمجس عن الفرس •

(ومنها) قول سبرة بن عمرو القمصي

انسى دفاعي عنك اذ انت مسلم وقد سال من ذل عليك فراقر

ونسوتكم في الروح باد وجوهها يُخاف اسماء والاماء حرائر
وذلك لان الحرائر كن في مثل ذلك الوقت يتشبهن بالاماء في كشف وجوههن
ليزهد فيهن فيأمن السبي كما في شرح الحماة للتبريزي وقال — ايضاً في تفسير قوله
عمرو بن معد يكرب

لما رأيت نساءنا يفحصن بالاماء شدة
وبدت ليس كأنها بدر السماء اذا تبدى

ان المعنى برزت كاشفة عن وجهها كأنها قد ارسلت نقابها ودل على هذا بقوله
كأنها بدر السماء اذا تبدى وانما فعلت ذلك اما للتشبه بالاماء حتى تأمن السباء او لما
تداخلها من الرعب انتهى . قلت وليس من هذا ما انشده الاثنانداني في كتاب معاني
الشعر لذي الخرق الطهوي او لغيره

ولما رأين بني عاصم ذكرن الذي كن أنسبته
فوارين ما كن حصرنه واخفين ما كن ابدينه

لان معناه كما فسره انهن نساء قد سبين قسرين الحياء وابدين وجوههن فلما رأين
بني عاصم ايقن انهن قد استنقذن فراجعن حياءهن فسترن ما كن ابدينه انتهى .
(ومنها) قول عنترة

تركت جريرة العمري فيه شديد العير معتدل شديد
فان هراً فلم انقث عليه وان يفقد فحق له الفقود

يريد تركته وفيه سهم شديد العير والعير الثاني وسط النمل والبيت الثاني بني علي
عادة كانت لم وهي ان الرجل منهم كان اذا رمي بسهم واراد سلامة الرمية منه رقى
سهمه واذا اراد الاهلاك لم يفصل ذلك
(وهي) قول بكشة اخت عمرو بن معد يكرب

ارسل عبد الله اذ خان يومه الى قومه لا تنقلوا لم دمي
ولا تأخذوا منهم افالا وابكرا واترك في بيت بصمده مظلم

البيت الاول مخروم وصمده مخلاف من مخالفات اليمين والمعنى ان هذا المرثي ارسل
يقول لقومه بلسان الحال لا تأخذوا بدل دمي عقلاً اي دية وتتركوني في قبر مظلم تريد
بذلك تحريضهم على اخذ الثأر ولا يفهم من ظاهر قولها بيت مظلم الا حكاية الحال لان
القبر لا يكون الا مظلماً ولكن الامر ليس كذلك بل هو مبني على ما كانوا يزعمون ان

قبر المقنول لا يزال مظلماً حتى يثأروا به فان فعلوا اضاء .

(ومنها) قول جرير يرثي قيس بن ضرار

اعلم انهمال الدمع ليس بمتته عن العين حق يضمحل سوادها

وُحَقَّ لقيس ان يباح له الحلى وان تُعقر الوجناء ان خف زادها

وهو مبني على عادة لم وهي ان الرجل كان اذا مرَّ بقبر رئيس وهو في صحبة احب ان ينوب عن المتبور في الضيافة واذا لم يساعده من الطعام ما بدعو الناس اليه عقر نافته اكراماً له . ولما قتل ربيعة بن مكدّم كان لا يمر بقبوره احد من العرب الا عقر عليه دابة او بعيراً حتى مر به شيخ كبير فقال لا اعقر فاقني ولكن اريه مكان ذلك ورثاء بقوله :

لا يبعدن ربيعة بن مكدّم وسقى الفوادي قبره بذنوب

نفرت قلوب من حجارة حرة بنيت على طلق اليمين وهوب

لا تنفري ياناك منه فانه شرّيب خمر مسعر لحروب

لولا الفار وبمدخرق مبهمة لتركتها تحجو على العرقوب

فكان اول من ترك العقر عليه

(ومنها) قول الحطيئة

قد ناضلوك وسلوا من كنانتهم مجدّاً تليداً ونبلاً غير انكاس

قال التبريزي في شرح الحماسة اراد بالمجد التليد ان الشجاع منهم كان اذا امر فارساً مذكوراً فمّن عليه جزّ ناصيته وجعلها في كنانته . وفسره ابن ابي الاصبع في كتابه بديع القرآن تفسيراً آخر فقال معنى هذا اليت لا يعرفه الا من عرف ان عادة العرب اذا امنوا على اسير اعطوه نبلاً من نبلهم عليها اشارة تدل على انها لا ولتلك القوم لا تزال في كنانته فقال الحطيئة لهذا الممدوح الذي عناه بهذا المدح ان هذا لما فاخروك سلوا من كنانتهم نبلك التي اعطيتها لم حين مننت عليهم تشهد لك بانهم عفاؤك فكان هذا مجدّاً تليداً لك لا يقدرّون على جمده ثبته لك هذه النبل التي ليست بانكاس يعني الصائبات التي لا تنكس اذا ناضلت بها عن العرض وهذا غاية المدح للممدوح ونهاية الهجاء لعداء اذا خبرناهم مع معرفتهم بفضلهم بناخرونه بما اذا اظهروه اثبت له الفضل عليهم وهذا غاية الجبل منهم والغبارة انتهى كلامه .

(ومنها) قول صميم عبد ذي الحنظاس

فكم قد شققنا من رداء منير ومن برقع عن طفلة غير عانس
 اذا شقَّ برد شق بالبرد برقع دواليك حتى كئسا غير لابس
 جاء في شرح شواهد الجبل ان العرب كانت تقول ايما امرأة احبت رجلاً فلم يشق
 برقعها وتشق في رداءه فسد ما بينها انتهى . ويروى (اذا شقَّ برد شق بالبرد مثله)
 وحكوا ان العرب كانت تزعم ان المتحابين اذا شق كل واحد منهما ثوب صاحبه دامت
 مودتهما ولم تفسد .

(ومنها) قول عمر بن ابي ربيعة

أهيم بها في كل ممسى ومصبح واكثر دعوها اذا خدرت رجلي
 لانهم كانوا يزعمون ان الرجل اذا خدرت رجله وذكر من يجب او دعاه ذهب
 خدرها . ومثله لجبل

وانت لعيني قرة حين نلتني وذكرك يشفيني اذا خدرت رجلي
 (ومنها) قول الاعشى

وبأمر الميموم كل عشية بقت وتعلق فقد كاد يستنق
 روى الثعالبى في فقه اللغة بنين بدل قت . والميموم فرس كان للثعالبى بن المنذر
 والسبق في الدواب بمنزلة الخنعة في الانسان وليس في ظاهر معنى البيت ما يستحسن بل
 قال فيه بعض من لا يعرف عاداتهم ان القيام على الفرس والاهتناء بعلقه حتى يكاد
 يقضم ليس مما تمدح به السوقه فضلاً عن الملوك ومراد الشاعر وراء كل هذا لانه بناء
 على عادة كانت لملوك العرب وذلك انه بلغ من حزمهم ونظرم في العواقب ان احدم
 لا يبيت الا وفرسه موقوف بسرجه ولجامه بين يديه قريباً منه مخافة عدو يفجوه او
 حالة تصعب عليه فكان للثعالبى فرس يقال له الميموم يتعاهده كل عشية وهذا مما تمدح
 به العرب من القيام بالخليل وارتباطها باقية اليوت كما في العقد الفريد . وقد ذكر
 الاعشى الميموم ايضاً في قوله

او فارس الميموم يتبعهم كالحلق يتبع ليلة البير
 يعني بفارسه الثعالبى وقال ليبد

والحارثان كلاماً ومحرقت والثعالبى وفارس الميموم
 (ومنها) قول الشاعر

كفك الله يا عصم بن لائي حبال بني ابيك وم صيام

إذا مروا بمجيزك لم يعرجوا ولو غطى سبيلهم الظلام
عيام أي شهاوى إلى اللبن ومجيزك يعني بنواحيك جمع جيزة بالكسر . وكان
من عادتهم أن الرجل كان يحمل حبلاً ويسترفد عشيرته فإذا أعطى التاة والحاشية من
الأبل ربطها بالحبل كذا في معاني الشعر للاشتانداني والبيت أقرب لأبيات المعاني منه
لأبيات العادات .

(ومنها) قول الآخر يصف حمراً

يلوي مجامع لحيه فكأنه لما تخط في السحيل نقيب

نقيب أي منقوب الحنجرة وكان من عادة العرب إذا اشتد الزمان تقبوا حنجرة
الكلب أو غلصته ليضعف صوته فلا يسمع الضيف صياحه فشبّه نيق هذا الحمار
بصياح الكلب النقيب . وفي اللسان أن ذلك كان يفعله الجلاء من العرب لثلا
يطرقهم ضيف باستماع نباح الكلاب . وانشد الاشتانداني في معاني الشعر
تجاوبن إذ بركن واللبل غاسق تعاوي منقوبات حي محارب
وقال في نفسه منقوبات الكلاب كانوا إذا اشتد الزمان تقبوا لسان الكلب
لثلا يسمع نباحه يقول فهذه الأبل كأنها منقوبات يصف ابلاً معيبة فهي توغرغاء
ضعيفا .

(ومنها) قول الآخر

تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجمت من الأصغاء ليتار واحد

فظاهر معناه أنه لتدة شوقه إن في الحي أكثر التلفت نحوه حتى وجعته عنه .
ولكن الراغب الأصغائي في محاضراته حمله على عادة كانت لهم وهي زعمهم أن المسافر
إذا خرج فالتفت لم يتم سفره قال فالتفت له لأنه كان عاشقاً فأحب أن لا يتم سفره ليرجع
إلى من يحب .

(ومنها) قول بشر بن أبي خازم (دخاء المعجمة والزاي)

تظل مقاليت النساء بطأنه يقنن الأياق على المرء مئزر

المقاليت جمع مقالات بالكسر وهي التي لم يبق لها ولد . والبيت مبني على ما كانت
العرب تزعم أن المقالات إذا ولدت رجلاً كرمياً قتل غدرًا عاش ولدها كذا في اللسان
(ومنها) قول متم بن نويرة في أخيه مالك

لقد كفن المنهال تحت ودائه فني غير مبطلان العشيات أروعا

وكان المتهال قتل ما نكأ والرداء هنا السيف وكانت العادة عند العرب اذا قتل الرجل منهم رجلاً مشهوراً وضع سيفه عليه ليعرف قاتله كما في اللسان .
(ومنها) قول القائل

فقات لها عين انجيل تعيفا وفيهن رعلاء المسامع والحامي
انشده الجاحظ في البيان والتهيين والفصيل بفتح فكسر الفعل الكرم وانشد ايضا
وهب لنا وانت ذواتنا نثقا فيها عين البران
وانشد ايضا

فكان شكر القوم عند المن كئي الصحيحات وفقى الاعين
وكلها مبنية على عادة كانت لم ذكرها الجاحظ وهي انهم كانوا اذا باغت ابلم الفاء
فقوا عين الفحل فان زادت فتوا عينه الاخرى قال فذلك المفقأ والمعنى . وفي مادة
(عى) من اللسان قال الازهرى وقرأت بخط ابى الهيثم في قول الفرزدق
غلبتك بالمفقيء والمعنى وبيت المحتبي والخانقات

قال نحر الفرزدق في هذا البيت على جرير لان العرب كانت اذا كان لاحدهم الف
بغير فقاء عين بغير منها فاذا تمت الفان عماء وأعماء فافتخر عليه بكثرة ماله قال والخانقات
الرايات انتهى ما في اللسان . نلت اذا كان معنى البيت على ما فهمه ابو الهيثم كانت
الصواب ان يكون المفقأ بصيغة اسم المفعول لا بصيغة اسم الفاعل . وقد روى البيت في
مادة فقأ (بالمفقيء والمعنى) بالنون ونقل المصنف عن الليث ان العرب كانت في الجاهلية
اذا بلغ ابل الرجل منهم الفاقفا عين بغير منها وسرحه حتى لا ينتفع به ثم حكى عن
الازهرى ان معنى المفقيء في هذا البيت ليس على ما ذهب اليه الليث وانما اراد الفرزدق
قوله لجرير

ولست ولو فقات عينك واجدا أبالك ان عد المساعي كدارم
انتهى . قلت القول ما ذهب اليه الازهرى لما سيرد عليك والظاهر ان الذي حمل
الليث على ان يفهم في المفقيء ما فهم كونه المعنى بطلق على حمل كانت اهل الجاهلية
ينزعون مناسن فقرته اي حروفها وبنقرون مناسمه لئلا يركب ولا ينتفع بظهره يفعل
فذلك الرجل منهم اذا بلغت ابله مائة ليعرف انه عمي . فظن الليث ان الفرزدق اراده
يحمل المفقيء عليه وكان وجهه على ما فهم ان يرسم ايضا بصيغة اسم المفعول كما قدمناه .
والصواب في معنى البيت ما ذكره صاحب اللسان في مادة (عى) نقلا عن ابن سيده

ان مراد الفرزدق بالفقيه يته في جرير المتقدم ذكره ومراده بالمعنى (ضبط بكسر
التون) قوله له

تعنى يا جرير لغير شيء وقد ذهب القعائد للرواة
فكيف ترد ما يعان منها وما يجبال مصر مشيرات

ونقل عن الجوهرى ان مراده بالمعنى قوله

فانك اذ تسعى لتدرك دارمًا لأنك المعنى يا جرير المكلف
قلت وعليه يصح ضبط المعنى في بيت الفرزدق بالفتح . قال واراد بالمعنى قوله
بيت زرارة محتبٍ بفنائهِ ومحاشع وابو الفوارس نهشل
لا يحتبى بفناء بيتك مثلم ابدأ اذا عد الفعال الافضل
واراد بالخلفات قوله

واين يقضى المالكان امورها بحق واين الخلفات اللوامع
اخذنا بأفاق السماء عليهم لنا اقرأها والنجوم الطرالع

اي غلبتك باربع قصائد منها هذه الايات وعلمى هذا لا بعد البيت من آيات
العادات وانما اطلت الكلام فيه لانه كان صبيًا لخلاف استطار شرره بين بعض الادباء
بمصر

(ومن آيات العادات) قول آدم مولى بلعنبر

وان اراد جدل صعب أرب خصومة ثقب اوساط الركب
اطلعت من رقب الى رقب

من رجز بقوله لابنه انشده الجاحظ في البيان والتبيين . وقد يسأل لم كانت هذه

الخصومة ثقب الركب فالجواب نه كان من عادتهم اذا تخاصموا جشوا على الركب
(ومنها) قول عتبنة بن يميز المازني من شعراء الحماسة

ومستبح بان الصدى يستنبيه الى كل صوت فهو في الرجل جانح
فقلت لاهلي ما بغام مطية وسار أضافته الكلاب الدواجم
فقالوا خرب طارق طوحت به متون الفياق والخطوب الطوارج

وهذا مبني على عادة وهي ان الرجل من العرب كان اذا ضل وتخير في الليل فلم

يدر اين البيوت اخرج صوته على مثل النباح فتسمعه الكلاب وتظنه كلبًا فتنبج فيستدل
بنياحها ويهتدي الى المكان . ومثله ما انشده ابو علي الثعالبي في اماليه

ومستنجح بات الصدى يستنجه قتاه وجوز الليل مضطرب الكسر
رفعت له ناراً ثقبوا زنادها تليح الى الساري هلم الى قدري
وانشد ايضاً في معناه

ومبدئ لي السعناء بيني وبينه دعوت وقد طال السري فدعاني
يعني كلاً أنجح له فتبح فاهتدى به فكأنه دعاه بنجاحه . والآيات في هذا المعنى
كثيرة لا فائدة من سردها في هذه العجالة . وفي معنى استنجح ايضاً كلب الرجل
يكلب من باب ضرب واستكلب انشد ابن سيده في المختصر على الاول
وداع دعا بعد ما اقترت عليه البلاد ولم يكلب
وانشد صاحب اللسان على الثاني : ونبح الكلاب استكلب :
(ومنها) قول لبيد

ولقد حميت الحي تحمل شكني فرط وشاحي اذ غدوت لجامها
الفرط بضمين الفرس المتقدمة السريعة والمعنى انني توشحت بلجام هذه الفرس
وهو مبني على عادة ذكرها التبريزي في نسر الحلفاء وهي ان الفران كان احدهم
يتوشح بلجام فرسه ليكون ساعة يفرع قرباً منه وتوشحه اياه ان يلقيه على عائقه ويخرج
منه بده . ومنه قول زياد بن حمل من شعراء الحماسة
ليست عليهم اذا يغدون اردية الاجياد قسي النبع والجهم
(ومنها) قول القائل

قلبت ثيابي والظنون تجول بي وترمي برجلي نحو كل سبيل
فلأيا بلاي ما عرفت جليتي وابصرت قصداً لم يصب بدليل
لان عادتهم كانت اذا ضل رجل منهم في فلاة قلب قيضه وصفق يديه كأنه
يومي بهما الى انسان يزعمون انه ان فعل ذلك اهتدى . هذا ما تبسر لي جمعه الآن
فان ظفرت بشيء بعد ذلك الحقته به .

احمد تيمور

القاهرة

الشرطي والورق

اللغوي اذا عثر على لفظه ووقف على اصلها ومعناها ومأناها بقر عيناً ويطيب نفساً ويثلج صدره كأنه وقع على كنزتين . ومن اغرب الامور ان المستشرقين يذلون شطراً صالحاً من اوقاتهم لتتبع معرفة اصول جميع الكلم السامية ولا سيما العربية . ولا ترى من 'بناء العرب' ر يعني بمثل هذا الامر . واذا رايت نفراً يكتبون في هذا الموضوع من الناطقين بالصاد فلا ترام يخرجون عما جاء في كتب الاجداد الاولين ولا يوردون من الكلام الا ما نقله الحلف عن الساب بدون ان ينتقدوا كلام القائل ولا ينعموا النظر فيه اذا كان مصيباً في رأيه هذا او غلطاً فترى كتبنا اللغوية الحديثة لا تخرج عن كتب الاقدمين ولو تقدم هذا العلم عند باحثي الافرنج من اللغويين المستشرقين تقدماً عظيماً وظهر بمظهر النور في الدياجي .

فالى متى نبقى في هذه الحالة المفرغة في قالب الجلود او الخرد او الركون ؟ الم يحسن الآن الذي نكسر فيه قيود الامر والرق ونطلق نفسنا من هذه السلاسل الضخمة التي بقيت اراسفين فيها الى يومنا هذا ؟ بلى . لقد حان بل لقد فات الوقت كما نالتنا في امور جم ونحن في غفلة عنها وذحول .

على ان بعض كتاب العصر اخذوا يتابعون علماء الغرب من الموالين باللغات الشرقية في ابحاثهم وآرائهم ومذاهبهم وهجوا بحارونهم واي مجازاة حتى كادوا يفوقونهم في بعض الابحاث . بيد ان بعضهم قاموا بقلد ونهم تقليداً اعشى حتى انهم اذا رأوا ان غريباً قال بقول لم يعد الشرقي يتجاسر على مخالفة رأيه فلنا منه ان الافرنج اذا اوتروا القوس اغرقوا فيها ولا يتركون لمن ينزع فيها من هدم منزلاً كما لا يقولون له منزلاً . وهذا هم ظاهر لكل ذي عينين اذا ما اراد ان يتروى في الامر ادنى ترو .

هذا ولنا نحن عدة شواهد اثباتاً لقولنا هذا . وهي وان كان بطول مردها جميعاً الا انه لا يحذر بنا ان لا نذكر منها بعضاً اثباتاً لقولنا واضهاراً للحق . فهذه كلمة شرطي او شرطة فان اللغويين قد ذهبوا فيها مذاهب . فمنهم من قال بانها عربية فصحي ومنهم من انكر اصلها وهذا وجاعة ذكرت انها من معدن رومي او لاتيني ومنهم من خالف هذه الآراء . وها نحن ذا نورد بعض الشواهد .

قال في القاموس : « الشرطة بالضم واحد الشرط كشرط وهم اول كتيبة تشهد

الحرب ونهباً للموت وطائفة من اعوان الولاية م وهو شرطي كثير وجنبي . سموا بذلك لانهم اُعلموا انفسهم بعلامات يعرفون بها . ٨٠ . والى هذا الرأي ذهب السيد المرتضى . فزاد على ما سبق : قاله الاصمعي . وقال ابو عبيدة : لانهم اُعدوا (اي اعدوا انفسهم لذلك واعلموا انفسهم بعلامات) . وبمثل هذا القول قال صاحب لسان العرب بل . وجميع اصحاب المعاجم اللغوية بدون ان يشذ واحد منهم . وتأبههم في ذلك لغويو الافرنج اصحاب المعاجم العربية الافرنجية كزوليوس وفريتاغ وفريزسكي ولين وغيرهم .

علّي ان هذا الرأي لا يمكن ان يتسك به اللغوي . والسبب هو : لو كان الحرف مأخوذاً من الشرط لقالوا فيه « شارط » كصابط مثلاً من الضبط . او « مشطر » كالتزم . او نحو ذلك من المشتقات الدالة على الفاعلية لا شرطي بضم ففتح او بضم فسكون بل وكيف قالوا الشرطة . فلا شك ان اللغوي المتبحر حقائق الاصول ودقائق الفصول لا يقنع بهذا القول غير المعقول . فعي ولا جرم لمن الالفاظ الدخيلة وقدا تابه لها المستشرقون . واول من ذهب الى هذا الرأي فرنكل الالماني صاحب كتاب الالفاظ الارمية في اللغة العربية اذ قال : والاحسن اني احب ان يقول علماء العربية انها كلمة مصرية يونانية من *Cohor* او لعلها اليونانية (*Chorthe* =) وتأثره في ذلك الاب لامنس السوسي في كتاب الفروق اذ يقول : « من المحتمل ان يكون مهرباً عن *Cohor* مثل كردوسة » .

قلنا : وهذا ايضا لا يمكن ان يكون صحيحاً لان هذه اللفظة الاجنبية ان كانت مصرية يونانية او رومية محضة فهي لا تدل الا على طائفة او جماعة من العسكر او الجند ولا ترد بمعنى المفرد . والحال ان صح هذا الكلام عن الشرطة فلا يصح عن الشرطي فيجب ان تكون اللفظة الاصلية المتقولة عنها مفردة ليصح فيها التعريب او النقل عنها بصورة المفرد . وهذا يصح اذا قلنا انها تعريب اليونانية (*Stratiwthe*) وبالفرنسية (*Stradiot*) او (*Estradiot*) وهي بمعنى الشرطي العربية كما ان الشرطة هي تعريب (*Stratia as*) ويواد بها كتيبة الزحف او الجيش الزاحف الذي به الحرب وينهباً للموت . او من (*Stratos*) بمعناها

ومن هذا القبيل كلمة ورق والرقعة المراد بهما الدراهم المضروبة . فقد قال الفيروزبادي : الورق مثله . وككتف وجبل : الدراهم المضروبة ج اوراق ووراق كالرقعة .

وزاد صاحب التاج : قال ابن سيدة : وربما سميت الفضة ورقاً . يقال اعطاء الف درهم رقة لا يخالطها شيء من المال غيرها . وقال ابو الهيثم : الورق والرقعة : الدرهم خاصة . وقال شمر : الرقة : العين ويقال هي من الفضة خاصة . ويقال الرقة الفضة والمال . عن ابن الاعرابي الى آخر ما هناك من الكلام الدال على ان الورق عديم من الاصل العربي الفصحى الصريح حتى انه لم يخطر على بال لغويي العرب انها دخيلة في لسانهم . وتابعهم في ذلك لغويو الافرنج ايضا اصحاب المعاجم العربية ولم يرتابوا في عجمتها او في عربيتها اذ قلدوا العرب في اغلب الاحيان عند نقلهم المعاجم الى لغتهم .

واول من تابع لعجمتها في العربية فرنكل اللغوي الالماني المذكور اذ ذكر انها من الارمية (يرق) او من الحبشية « رئة » . قلت : وفي كلا اللغتين لم ترد اللفظة في الاصل علي ما يدل انها بهذا المعنى في اول وضعها بل يحتمل ان اللغتين اخذتا هذا المعنى عن العرب انفسهم .

ومن قال بعجمتها ايضا الاب لامنس السوعي في كتاب الفروق ص ٢٦٠ في الحاشية وهذا نص كلامه : « وفيه (اي الورق بمعنى الدرهم المضروبة) ثلاث لغات أخرى (كذا والاصح اربع لغات اخرى) : ورق . ورق . ورق (وزد عليها : ورق ككتف) ولا احسبه عربيا ولم يوجد في الكلام القديم . « اه . (كذا ولوتروى . انما قال هذا القول . لان لفظة الورق وردت في شعر ثمامة السدومي وفي الحديث وفي شعر خالد بن الوليد وفي كلام كثيرين من الاقدمين عند مطالعة دواوينهم .) اما الصحيح عندي ان الورق من الفارسية تعريب « پره » بياء فارسية مثلثة رقيقة في الاول ثم راء . وفي الآخر هاء غير منقوطة . ويقال فيها ايضا ياره بمعناها . ويراد بها مطلق القطعة وتخص بقطعة الفضة المضروبة كما هو معنى البارة عندنا قبل خمسين سنة . ثم عوض عن البارة الفضية بارة نحاسية وبقي الاسم عليها وان تغيرت المادة التي اخذت منها .

هذا وانت تعلم ان الهاء الفارسية في الآخر تنقل الى القاف او الكاف او الجيم او الهاء في العربية . وقد صرح بذلك اغلب اللغويين كما في بابونج وبرذعة وبورق ونيزك واصلها بابونه وبرزه وبوره ونيزه واما الباء المثناة التهجئة الفارسية فتكون اما رقيقة . واما مخجمة واما رقيقة ومخجمة معا فان كانت رقيقة فتنتقل الى الواو بالعربية

او الباء الموحدة التحتية كما في بابوج وو'شق اصلها بابوج ويأشبه واذا كانت مفخمة فتكون فاء في العربية كما في فارس واصفهان وان كانت بين المفخمة والمرفقة فهي تكون تارة بالباء وطوراً بالواو واخرى بالفاء مثل قبان فيقال فيها قبان وقفان . قال الاصمعي : قفان : قبان بالباء التي بين الباء والفاء اعربت باخلاصها فاء وقد يجوز اخلاصها بباء لان سيويوه قد اطلق ذلك في الباء التي بين الفاء والباء (ا ا ج في قفف) ومعنى قفان كل شيء : جماعه واسنة قصاء معرفته .

وعليه قالوا في برة . ورق . وفي پاره : بارة . لكن لما توهم العرب ان الورق مشتق من ورق بل وانها مصدر ورق اجازوا فيها الوجه من فقالوا فيها ورق ورقة كما قالوا وعدة .

واغرب من هذا انهم جمعوا رقة على رقين كما قالوا في ارة : ارين . وقوم من العرب توهموا الجمع مفرداً فوزنوه على فعمل بفتح الاول فقالوا : الرقين وفسروه بالدرهم والرقم ولعل الرقم ورد بهذا المعنى ايضاً تحييفاً للرقين بالتون وهم يكثررون مثل هذا الابدال في آخر الالفاظ كقولهم : الاعم والالين . الغيم والغين . اسود فاتم وقاتن . الحزن والحزن . البنان والبنام . القم والقمن . ومثل هذه الالفاظ تعد بالآلاف . فانظر حرصك الله كيف يتلاعب العرب بالالفاظ وكيف تنسع اللغة عندهم . وكيف يبعد مجرى الكلام عن ينبوعه ومصدره ويكاد ينسيك الاصل الذي أخذ منه . كل ذلك من الاسرار الغامضة يتلذذ بالاطلاع عليها كل من له ذوق بهذه اللغة الشريفة البعيدة الغور

واذ قد اطلمت على اصل لفظة الورق ولمي انها من الفارسية علمت علم اليقين ان معناها كل قطعة من قطع المسكوكات كما تقول بالفرنساوية *pièce de monnaie* ثم اطلقت على دراهم الفضة او على مطلق الدراهم ان فضية او ذهبية او نحاسية بشرط ان تكون قطعة معدن مضروب لا غير .

هذا ما اردنا ايراده في هذا الباب ولما عدا شواهد من هذا القبيل

ساتنا

بفداد .



رسائل الانتقاد

تابع لما سبق

قال أبو الريان ومن شر عيوب الشعر كلها الكسر لانه يخرج عن نفعه شعراً
وايس مما يقع ان نُعت بشاعر . فاما الاقواء . والايطاء . والسناد . والاكفاء^(١) .
والزخاف . وصرف ما لا يتصرف فكل ذلك يستعمل الا ان السالم من جميع ذلك اجمل وافضل
قال ومن عيوبه المذمومة مجاورة الكلمة ما لا ياسبها ولا يقار بها مثل قول الكهيت
حتى تكامل فيها الدل والائب^(٢)

وكما قال بعض الآخرين في رثاء

فانك غيبت في حفرة تراكم فيها نعيم وحرور

وان كان النعيم والحرور من مواهب اهل الجنة فليس بينها في النفوس تقارب . ولا
لفظة تراكم مما يجمع بين الحرور ولا النعيم . ومثله قول بعضهم

والله لولا ان يقال تنبرا وصبا وان كان النصابي اجدر

لأعاد نفاح الخدود بنفسجاً لثمي وكافور الترائب عنبرا

فالنفاح ليس من جنس البنفسج لان النفاح ثمرة والبنفسج زهرة . وقد أجاد في
جمعه بين الكافور والعنبر لانهما من قبيل واحد . ولو قال

لأعاد وردنوجتين بنفسجاً لثمي وكافور الترائب تنبرا

لأباد الوصف . واحسن الرصف . لكون الورد من قبيل البنفسج . فهذا النوع
فانقذ . وهذا الشعر فاعتمد

قال أبو الريان ولغضلا المولدين سقطات مختلفات في اشعارهم اذا كرك منها في
اشياء لتسندل بها الى اعراضك لا لطلب الزلات . ولا لاقفاء الديات . كان
بشار تديان طبقات شعره فيه مد كبرها . ويهبط قليلا كثيرها . وكذلك كان حبيب
ابن أوس الطائي فاذا سمعت جيدها كذبت ان رديها لها . واذا صح عندك ان ذلك

(١) قال الخليل : الاقواء ان يكون بعض القوافي مرفوعاً وبعضها منصوباً وبعضها
محذوفاً . والاكفاء ان يكون بعض القوافي على حرف وبعضها على حرف آخر . والانطواء
اعادة القافية من غير اختلاف المعنى (كتاب خاص الخاص طبعة تونس ص ٥٩) .

(٢) وبكتاب الصنائع : خود تكامل فيها الدل والشنب

الردى لها اقسمت ان جيدها اغيرهما . قال وما يعاب من الشعر الافتتاحات الثقيلة
مثل قول حبيب اول قصيدة

من عوادي يوسف وصواحيه فمزما تقدم ادرك الا أو طالبه

ومثل قول ديك الجن اول قصيدة

كأنها يا كأنه "خلل الخلة وقف الملوكة اذ بغيا

فابتدأ هو وحبيب بمضمرات على غير مظهرات قبلها وهو ردى قال ويعاب ايضا
الافتتاحات المتطير بها . والكلام المضاد للعرض كابتداء قصيدة ابى نواس التي انشدها
الفضل بن يحيى بن خاله البرمكي يهينه ببنياته الدار الجديدة فدخل اليه عند كالمها وقد
جلس للهناء والدعاء وعنده وحوه الناس فأنشده

أربع البلى إن الختوع لبادي " عليك وإني لم أنذك وداديه

فتطير الفضل من ذلك ونكسر رأسه ونناظر الناس منهم الى بعض ثم ادى نغم الشعر بقوله

سلام على الدنيا إذا ما تقدمت بقي رملك من رائحين وغادي

فكمل جملته ونغم خطاه وزاد القلوب المتوقعة للخطوب سرعة توقع . واضاف للنفس
المتوجعة بذكر الموت شدة ترجع . وأراد ان يمدح فهجأ . ودخل ليسر فهجأ قال
وقريب من هذا ما وقع للدي في اول شعر أشده كافورا

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب الخبايا ان يكن امانيا

فهذا خطاب بالكاف بفتح ولا سيما في اول لقية . وفي ابتداء واستعطاف ورقية .
وفي هذا البيت غير هذا . العيوب سنذكره بعد

ووقع مثل هذا من فحج الاسئفاح في عصرنا وذلك ان بعض الشعراء انشد بعض
الامراء في يوم المهرجان فقال :

(١) قال أبو هلال العسكري (كتاب الصناعتين) لما نظر ابو العميش سيف

قصيدة ابى تمام

من عوادي يوسف وصواحيه فمزما تقدم ادرك الشار طالبه

استرذل ابتداءها فاسقط القصيدة كلها حتى صار اليه ابو تمام ووقفه على موضع

الاحسان منها فراجع عبد الله بن طاهر فأجازه

(٢) روى ابن رشيق في العمدة — ما كأنه بدل يا كأنه — (٣) جاء في ديوان

ابى نواس : البلاء عوض البلى . ولياد بدل لبادي —

لا نقل بشرى ولكن بشريان وجه من أهوى ووجه المهرجان^(١)
 فأمر باخراجه واستطار بافتتاحه وحرمة احسانه قال ابو الريان ولو كان هذا الشاعر
 حاذقاً لكان اصلاح هذا الفساد ابسر الاشياء عليه وذلك بان يعكس البيت فيقول
 وجه من أهوى ووجه المهرجان اي بشرى هي لا بل بشريان
 قال ويقبح جداً الاتيان بكلمة القافية معجمة لا ترتبط بما قبلها من الكلام وانما
 هي مفردة لحشو القافية كقول بعضهم

فلنفت المنى برغم اعاديك وابقائك سالماً رب هود^(٢)
 فأنت ترى غثاثة هذه القافية والله تعالى رب جميع الخلق وكل شيء فخص هوداً
 عليه السلام وحده اضعف نقده وعجزه عن الاتيان بقافية تليق وتحسن
 قال ويقبح ايضاً الجفاء في النسب على الحبيب والتضجر بعده . وعظيمة العتاب
 على صده . كقول ابي نواس

أجارة بيتينا ابوك غيور وميسور . ابرجى لديك . خير^(٣)
 فان كنت لاخلأً ولأنت زوجة فلا برحت منا عليك ستور
 وجاورت قوماً لا تزاور بينهم ولا قرب الا ان يكون نشور
 فلم اسمع باوحش من هذا النسب . ولا أخـن من هذا التشبيب . وذلك قوله ان لم تكوفي
 لي زوجة ولا صديقة فلا برحت منا ستور للتراب عليك ولا كان جارك . ما عشنا نحن
 الا الموقى الذين لا يتزاورون ولا يتواصلون الى يوم النشور نلّي ان كلامه يسهل عليه
 بانه شاك وانما المعروف في اهل الرقة والظرف . والمعهود من اهل الوفاء والعطف .

(١) ورد عجز البيت في كتاب الصناعتين هكذا : غرة الداعي ووجه المهرجان
 وقائل البيت ابو مقاتل انشده الداعي فواجهه الداعي ضرباً ثم قال — هلا قلت :
 ان نقل بشرى فعندي بشريان

(٢) قائل البيت ابو عدي القرشي ورواه قدامة (نقد الشعر ص ٨٩) :

ووقيت الخوف من وارث والى وابقائك صالحاً رب هود

(٣) هذه الابيات من قصيدة فريدة مدح بها ابو نواس الحبيب بن عبد الحميد
 العجمي ثم المرادي امير مصر . وقد يوجد بعض اختلافات في روايتها منها في البيت
 الثاني : خلاً وهو الصديق او صاحب بدل خلاً . وروحة بدل زوجة . ودوني
 عوض منا — وفي البيت الثالث : وصل بدل قرب

ان يقدوا احبابهم بالنفوس . من كل مكروه وبوس . فأين ذهبت ولادته البصرية
وأدابه البغدادية . حتى اختار الغدر على الوفاء . وبلغت به طباعه الى اجفاء الجفاء .
فاعلم هذا واياك ان تعمل به

قال ومن عيوب الشعر السرق وهو كثير الاجتناس . في شعر الناس . فمنها
سرقة الفاظ . ومنها سرقة معان . وسرقة المعاني اكثر لأنها اخفى من الالفاظ . ومنها
سرقة المعنى كله . ومنها سرقة البعض . ومنها مسروق باختصار في اللفظ وزيادة في
المعنى وهو احد المسروقات . ومنها مسروق بزيادة الفاظ وقصور عن المعنى وهو اقبحها .
ومنها سرقة محضة بلا زيادة ولا نقص والفضل في ذلك للمسروق منه ولا شيء للسارق
كسرقة ابي نواس في هذه القصيدة التي ذكرناها عن ابي الشيص بكاله .
قال ابو الشيص

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
فسرقة الحسن بكاله فقال

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن يصير الجود حيث يصير^(١)

فهذا هذا على ان بيت ابي الشيص احلى واطيع ومع حلاوته جزالة . وقد ذكر
عن الحسن انه قال ما زلت احسد ابا اليص على هذا البيت حتى اخذته منه وسرقة
المعاصر سقوط عنه . وبهذه القصيدة يناضل اصحاب الحسن عنه ويخاصمون خصمائه
مقرين بان ليس له افضل منها . ولا لم الى سوى هذه القصيدة معدل عنها . فقص
بفهمك واعمل فكرك على ما وصفناه من ابواب السرق ما وجدته في اشعار لم اذكرها
يظهر لك جميع ما وصفناه . ويبدو لك جميع ما رسمناه قال وما يقع في عيوب الشعر
وبغفل الشاعر عنه ويجوز له الامر فيه لصغر جرم العيب وسلامة اللفظ الذي احتجب
فيه ثم يكون ذلك سبب غفلة النقاد ايضا عنه . مثل قول المتنبي

كنى بك داء أن ترى الموت شافيا

فضع هذا الكلام على انه انما شكاه داءه ووصفه بالعظم فماد شاكيا نفسه وجعلها
اعظم الداء لانه اراد كنى بدائك داء فغلط وقال كنى بك داء فصار كنى بالسلامة

(١) قصيدة ابي الشيص التي طالعها هذا البيت تعد من ابلغ ما قيل في التشبيب

(٢) ورد عجز البيت في نسخة خطية من ديوان ابي نواس على هذه الصورة :

ولكن يسير الحمد حيث يسير

داء فالسلامة هي الداء يريد طول البقاء سبب لفناء . وقال الله تعالى وكفى بناحسين
فأله هو اعظم شديد فجعل المتنبي نفسه اعظم الداء . ولم يرد الا استعظام دائه واصلاح
هذا الفساد . وبلوغه الى المراد . ان يقول

كفى بالنابا ان تكن امانيا وحسبك داء ان ترى الموت شافيا

فيعود الداء المستعظم كالرادر وتزول خشونة ابدائه . وشدة جفائه . اذ خاطب الممدوح بالكاف
فجعله داء عظيما في اول كلمة سمعته . وقد نادى بخواص الناس وكثير من هوامهم في مثال هذا
المكان فهم يقولون عند مخاطبات بعضهم بعضا بما يخشون ذكره قلت الابد ويا كذا او كذا للابد
ومن عيوب هذا القسم ايضا ان قائله قصد الى سلطان جديد والى مكان يحتاج
فيه الى التظيم والتفخيم وقد صدر عن ملك نوه به أعني سيف الدولة وأغناه بمد فقره
وشرفه ورفعته . وأدنى موضعه . فورد على كافور هذا في مرتبة شريفة . وخطة منيفة
فجعل بجعله يصفه في اول بيت لقيه به انه في حالة لا يرى منها النية . او يرى النية اعظم
أمنية . وعلم كافور بذلك ووصول أخبار الناس اليه انه في حالة خلاف ما قال وانه
كفر النعمة من الذم عليه . وأراه ان جميع ما عمله به من الجاه الواسع . والفنى القاطع
حقير لديه . صغير في عينيه . فعلم كافور في هذا الوقت انه ممن لا تزكوله به الصنيعة
وان عظمت . ولا تكبر في عينيه المواهب وان جسمت . ولم يكن في خلق كافور من
الصبر على اتساع البذل . ولا من الرغبة في اهل الآداب والفضل ما عند سيف الدولة
من ذلك فزهد فيه بمد رغبة وعمله بالقليل . وشاوقه بالجزيل . ورأى المتنبي ان الاسود ليس
له في قلبه من الحب والقرب ما له عند سيف الدولة فلم يدل عليه ولا كثر من التعتب والعتاب
ما يعطفه عليه فاضاع وضاع . وكان يتوقع الايقاع . واكثر ان الذم تم . ثم نجاه ركوب ظهر
الحرب وأقبل يعترف لسيف الدولة بالذنوب . وكان لحظه وشعره شريفيين . وعقله ودبته
ضعيفين . ومع ذلك فسقطانه كثيرة الا ان محاسنه أكثر وأوفر . والمرء يهجز لا المحالة .
وكان يميل الى تعقيد الكلام ويعتمد على علمه بجمه فيقول من ذلك ما يصف به نائنه
فتبت تستد مستدا في نيبا اسادها في المهمة الانتضا

ويقول في المدح

أني يكون ابا البرية آدم وأبوك والثقلان أنت محمد

ويقول في بيت آخر من قصيدة أخرى يمدح بها واليت لا يتعلق بشيء مما قبله
فيما يظهر ولا فيما بعده بشيء

كانك ما جاودت من ان جوده عليك ولا قاومت من لم تقاوم
ومثل هذا كثير وهذه الاجناس من ايات وان ظهرت معانيها بعد استقصاء .
وأطاعت غوامضها بعد استعصاء . فهي مذمومة السلك وان اطلعت منها على اجزى الافادة
فكيف اذا حصلت منها على السلامة بلا زيادة . وكان ايضاً يغفل عن اصلاح اشياء من
كلامه على قرب ذلك الاصلاح من الفهم . مثل قوله يرثي أخت سيف الدولة
يا أخت خير أخ يا بنت خير أب كناية بها عن اشرف النسب
نجمل يا أخت خير وبنت خير كناية عن اشرف النسب والكناية لا تكون الا
لعل تتسع فيها التهم لان الكناية ستر وتعمية فما بال شرف النسب يورى عنه تورية
المعائب . ويكتفى عنه والتصریح به من المفاخر والمناقب . وقد غفل عن اصلاح هذا
بلفظ فصيح . ومعنى صحيح . قد كاد يبرز من الجنان . الى طرف اللسان . وهو لو فطن اليه
يا أخت خير أخ يا بنت خير أب غنى بهذا وذا عن اشرف النسب
قال ابو الريان وهذه الجملة التي أثبت لك فيها ما دخل على الشعراء المجيدین من
التقصير والغفلة والنلط وغير ذلك كافية ومغنية عن ايراد سوى ذلك وان لقيتها
بجودة بحث وصحة قياس . لم تمنح الى كشف عيوب اشعار الناس . ولعل قائلاً
يقول مال على هؤلاء وترك سوام لميله على من بكت . ولتفضيله من عنه سكت . فقل
لمن قال ذلك الامر على خلاف ما ظننت لم أذكر الا الافضل فالأفضل . والاشهر فالأشهر .
اذا كانت اشعارهم هي المروية . فالحجة بهم . وعليهم هي القوية . فقد نقلت على من يبلي عليهم .
الى يبلي بالحق اليهم قال ابو الريان فاما نقد المستحسن فتمثيله لك يعظم ويتسع لكثرة فلا يستعنا
ايراده ولكن ما سلم من جميع ما اوردها فهو في حيز السالم . ثم تتسع طبقات الجودة فيه .
واحسن منه ما اعتدل مبتناه . واغرب معناه . وزاد في محمودات الشعر على سواء . ثم يمدح
الادون فالادون بمقدار انحطاطه الى حيز السلامة . ثم لا مدح ولا كرامة
قال محمد فقلت لله درك يا ابا الريان فما البين جانبك . وما أقرب غائبك . وما المحم
طالك . وما اسعد صاحبك . فقال انجح الله مطالبك . وقضى مأربك . وصنى من
القذى مشاربك . وبث في الحواضر والبوادي مناقبك

تمت المقامة المعروفة بمسائل الانتقاد

بلطف الفهم والاقتصاد

والحمد لله أولاً وآخراً وصلاته على نبيه سيدنا محمد وآله وسلامه

نفس المرأة

انصرفت افكار الباحثين الى درس طبائع المرأة ومميزاتها الجنسية وخلاتها الخاصة على اثر ما كانت من نهوض المرأة لبارادة الرجل في ميدان الاقتصاد وتشوقها بمد ذلك الى مشاركته في الحقوق السياسية فتوفر على هذا البحث جماعة من العلماء الاعلام عنوا بتحقيقه وتجرده مما لصق به من خرافات الاقدمين واوهامهم جارين على أسلوب علمي لا يدع مجالاً للظن والشبهات المائعة بأراء الاقدمين والسادة على الحقيقة ستاراً من الغلو ينهض بالمرأة الى مستوى الملائكة او يحطها الى دركات الجحيم ومن الغريب اننا لانجد باحثاً تصدى للموضوع الا زعم انه بين حقيقة المرأة وكشف عن اسرار نفسها على ان معظمهم جهلوا طبائعها الاصلية وخواصها المميزة فجاءت بحاشم مزعة فاسدة المقدمات والنتائج ولم يفرق بعضهم بين صفاتها الخلقية وبين الصفات العارضة التي اكتسبتها في احوال خاصة

وربما اتفق لعلماء النفس ان رأوا المرأة في حال الضعف او الخوف او الاحتيال او الرياء فزعموا ان هذه الصفات من طبائعها الخلقية وانتقلت هذه المزاج الى الاخلاف في الاجيال المتوالية فهي لاتزال تستدكف او تعجب اليوم بطبائع في المرأة انت عليها سنة النشوء والارتقاء فبدلتها او محتها . ولقد مررت على المرأة عصور وهي بعيدة عن الحياة الفكرية والعملية تراءى على الطاعة العمياء لوليها فكانت اشبه بالاطفال غير ان الزمان تغير والمرأة تبدلت وبقي معظم علماء النفس واقفين عند الآراء القديمة يحسبونها رقيقة غاية حياتها خدمة الرجل

تملصت المرأة من اسرار الجود وشاركت الرجل في الحياة العملية وتركت في زوايا القرون صفاتها القديمة وتخلقت باخلاق جديدة فلا تصح فيها آراء المثاليين في اعتبارها ولا المفرقين في امثالها

ولا بد للباحث ان يتساءل هل للمرأة صفات نفسية خاصة بها تميزها عن الرجل وما هي تلك الصفات الجنسية التي لا يؤثر فيها مركزها الاقتصادي والاجتماعي ؟

يقول علماء الحياة باختلافات جوهرية بين الخليتين اللتين تشكل الحياة من انهماكها وان شروها الحياة متوفرة في الخلية الذكرية اما الانثوية فهي حادثة حديثة الاختلاف

بقوتها العضوية وهذه الصفات تبدو آثارها في الاحياء وكما ارتقى الجنس البشرى كانت الخواص الجنسية اوضح اثرًا فتركيب المرأة وطبائعها تميل بها الى السكون والدعة والراحة بينما ترى الرجل جلدًا على مشاق الحياة يتجشم الاخطار ويخوض غمار الجهاد ويرى كل ما حوله يدفعه الى المجازة والاقدام

واذا سلطنا بآراء علماء الحياة والنفس انضج لنا سبب تخلق المرأة باخلاقتها الخاصة واشغالها في المجتمع مركزها الخاص فللرجل الحرب والجهاد والمغامرة والنشاط والحزم والمرأة اللطف والصبر والهدوء الا انها تشتد في بعض الاحيان فتفوق الرجل حزمًا ومضاء وقد يوقد الرجل نار الثورة فتسمى في اخمادها وتهدة روعه ويحملها ميلها الى السكون النفسي على الاعتصام بمجمل الدين وهي اقل اقدامًا على الجرائم من الرجل لما تتطلبه من تضحية القوى الجسدية والعقلية ويزم علماء النفس ان المرأة ضعيفة المدارك مما يحملها على الاستسلام لعواطفها فهي غريبة عن الحرب والعلم والفنون وصنرى فيما يلي فساد مزاجهم في هذا الصدد

سار علماء النفس والحياة على اسلوب واحد في ابحاثهم فأدت بهم الى نتائج متشابهة فقالوا ان المرأة اليوم هي ذات المرأة في القرون السالفة ويتبين لك خلل آرائهم من عرضها على احوال الحياة الحقيقية واذا تتبعنا ارتقاء العالم الحيواني وضح لنا المناقضة بين آراء الباحثين في المرأة وبين حالتها الحاضرة على اتم اشكالها

المرأة الحاربة - - - - - لتتقدم الى البحث في احدى صفات المرأة التي قالوا بها من الجبن وصغر النفس ونفذ هذه الصفة اساسًا لمبحثنا فقد اجتمعت آراؤهم على ان المرأة لا تصلح للقتال والدود عن الوطن فلما ارتفع صوت النساء المطالبات بالحقوق دافعها المنكرون عليها بقولهم انها لا تستطيع مشاركة الرجل في الحرب والذب عن حياض الوطن على انا اذا اتعمنا النظر وجدنا هذه الصفة عارضة لا جوهرية وليست هي من صفاتها الخلقية التي لا تتغير فتساه الحبش يقاتلن مع ازواجهن جنبًا الى جنب راكبات على الجمال او الخيل ومتملذات سلاح الرجال ولا يتقنع عنهم شجاعة واقدامًا وصبرًا على المشقات ويقول الرحالون ان النساء يتدربن على فنون القتال فينشأن شديداً القوى وقد اكتبتهن ممارسة الحروب بطشًا لا ينصف به سوى شجيمان المناقاة .

ويقول تاميت ان جيوش البريتونيين القدماء كانت تزحف الى القتال والنساء في طلبتها ويقول مومسن بمثل ذلك عند الالبيين فقد كانت نساؤهم يقتنن

الحصون ويقتلن زرافات في الهجوم

وأكد جماعة من السياح ان النساء الامازونيات القاطنات على ضفاف نهر الامازون يشاركن الرجال في القتال ويفتذن بلعم البشر ويقهر آخرون مثل ذلك عن نساء الموركتيس والكواي موراس

وذكر ارثن ان نساء الانثيل يترسن بالفنون الحربية حتى يضارعن الرجال ولقد قامى كولبوس الامر من بأس نساء الامازون الهنديات وفي اميركا الجنوبية يتناقلون اخباراً كثيرة عن وجود النساء المحاربات

وشاهد الرحالة ستانلي مقاتلة النساء في بلاط منزا ملك الاوغندا فعنده نساء من الامازون يتقلدن الحراب الطويلة وتزحف نساء الفراتوتو الافريقيات مع الرجال في الحرب

وفي الداهومي جيش من الامازونيات مؤلف من صنفين احدهما الصنف العامل وعدده ثلاثة آلاف والاخر المستحفظ يدعى في ابان الحاجة ويخضع لنظامات حربية شديدة ويتعردن احتمال الجوع والعطش وغيرها من المشاق ويجبرن على مقاساة الآلام صابرات ويتميزن بالشجاعة والبأس فاذا اثار اليهن الملك اقبحمن الاخطار وخضن الفصمات وقد شاهد احد رؤساء البشريين سنة ١٨٦١ مشهداً ملاً دهشة وعجباً تقداص الملك النساء الامازونيات ان يقبحمن حواجز علوها متزان وعمر ضهاسته اعمار وكانت الحواجز من النباتات الذائكة يؤلم لسمها فتشمت سوق المقاتلات العارية غير انهن ثبتن اي ثبات فتقدمت الفرقة الاولى ومازالت تجهد حتى اعبت فوقفن منهوكات يائسات ولكن الملك صاح بهن ونظر اليهن نظرة دفعت فيهن تياراً كهربائياً فعادون المهجوم بهالة نادرة حتى ظفروا بما اردن

وعند هياج البولونيين سنة ١٨٦٣ تزيت نساؤهم يزي الرجال وابلين في المعارك بلاء حسناً فاصبحت شجاعتهن مضرب المثل وسارت باحادثهن الركبان وتقررت منهن الآسنة ويستاقو بشو بالبأس والجلد حتى اصبح لها مجد حربي لا يقل عن مجد اعالم الرجال ان صيد الحيوانات الكاسرة ليس اقل خطراً من خوض المراك ونساء القتر الصيديات يصعبن ازواجهن في صيدها ونساء الروس والبولونيين يشاركن بعولتهن في صيد الدببة والدئاب والغازير البرية غير عابئات بما في ذلك من المهالك ولا يسع الباحثين بعد ذلك الا ان يسلموا معنا باستطاعة النساء القتال ولا سيما في

الحروب الحاضرة وقد اصبح معظم الاعتماد فيها على الحذر والتيقظ والحكمة في وسع المرأة ان تشارك الرجل في الدفاع الوطني ولا تقل عنه جلدًا واقدامًا لولا ان ذلك يعوتها عن واجباتها المنزلية وانجاز وظيفه الام

قابلية الانفعال في الجنسین . — كتبت الوف من المجلدات في بسيكولوجية المرأة تراوحت بين الاعراق في تعظيم « الشبيدة الابدية » وامتيان « عدوة الرجل القديمة » ولم ينبه مؤلفوها انهم رسموا خطأً لصورة المرأة في عصر او عصور ساقطة واغفلوا وصف امرأة اليوم والفد فرماها بعضهم بكل شائنة وقال الآخر انها ادق احساساً وارق شعوراً من الرجل ومن ذهب هذا المذهب الفيلسوف اوغست كوت فقال « تؤثر الموارث الطبيعية في المرأة بسهولة وشدة » وقد برهن على ذلك علمنا نفر من الكتاب وترى انفعالها واضحا في جميع العصور فانها تقطب جبينها وتغضب وتحتقر ويؤلها الاضطراب وتلقاها عواطفها فهي في ذلك اقرب الى الطفل منها الى الرجل وسرعة التأثر في المرأة تجعلها طورا ارق وطورا اقسى من الرجل ثم ان الفواعل يزول اثرها من نفسه لانه عرضة لاختلافاتها فالخزن بعقب السرور والبشر ينلوا الامسى كما تنوالى السحب في الساء ولكن طبيعة المرأة الساكنة اذا لامستها الفواعل تركت فيها اثرا بصعب زواله فترى عواطف الحب والبغض والرحمة والقسوة ارسخ في المرأة مما هي في الرجل

على اننا نرى الرجل في بعض اطواره لا يقل عن المرأة في الاستسلام للعواطف ويرجع ذلك الى احوال البيئة والاخلاق الشخصية لا الجنسية

الحب ريجان حياة الرجل غير انه حياة المرأة ذاتها ولكن الاتقل العواطف في الرجل فعلها في المرأة ؟ قال لا كوردير في كتاب بعث به الى احدى صديقاته « يخطئ من يقول ان الرجل يعيش بالعقل والمرأة بالعواطف فالرجال يحبون ايضا بالعواطف الا انها راقية تنزل لديهم منزلة العقل »

وبعض علماء النفس يتكرون على المرأة هذه المزية ويعزون اليها نقصا يناسب شواعرها كافة ويصفونها بتطرف يسير بها الى قمة المجد او يهبط بها الى دركات التناثر فهي مفردة في الحالين والانانية والغيرة على اشد ما عند المرأة لاث فطرتها التائرة ترمي بها الى الغايتين المتناقضتين

وخالف هؤلاء نفرا دعوا انها ولعة بالاعتدال مخولة عليه بما لها من سكون الطبع فهي ثابتة في اعمالها وافكارها تقاوم الفواعل التي ربما اخرجتها عن بينمها اقتضاتها الاوثون

ينكرون عليها حتى الحكم لأنها تطاوع في ذلك عواطفها وحماستها الخرقاء
ويوافقهم الآخرون على هذا الرأي مستندين في ذلك على مقدمات أخرى فهم يقولون
ان اخلاق المرأة للسكون يبطل كل ارتقاء اجتماعي

تلك هي آراؤهم المختلفة باختلاف وجهة النظر تبتك ان هذه الخواص ليست جنسية
وانما هي شخصية واذا عاش الرجل في بيئة تشبه بيئة المرأة لا يلبث ان يتخلق بهذه
الاخلاق لان قابلية التأثير لا حد لها وهذه الصفات انما هي نتيجة احوال المحيط

ذكر هيرت سبنسر ان المرأة تفوق الرجل قوة في البلاد التي يمثل اهلها بالامري
وقبيلة الداكوتاس تدفع الشيخ الى النساء يتلذذن بتعذيبه ويقول ما كسب دي كامب
ان النساء اثناء ثورة الكومون فتن الرجال فظاظة وشراسة

ومع عاطفة القسوة يتلأأ الختان الانثوي فقد عطفت نساء البرابرة على الرجالين
واظهروا لهم ضروب اللطف والرفقة واتفق على ذلك مشاهير الجوابين كستانلي ولفنستون
وغيرهما

والباحث المنصف يجد للنساء مواقف مشهودة في الاخطار وعوارف محمودة في تسكين
ثورة الرجل فدخول بعضهن في صفوف الثوار لا ينسيتا بنات جنسهن ممن بعين السكينة
في النفوس لحفظ لمن التاريخ صفحات مجيدة

المرأة والديانة - رقة شعور المرأة جعلتها متدبنة في جميع العصور والشعوب وهي
امسح تلبية لدعاة المذاهب فيجد هوؤلاء بين النساء مؤمنات عظصات كان لمن في ثبات
الديانات ونشرها تأثير شديد

خضوع المرأة المتمدن لسلطة الرجل سهل عليها الاعتقاد بعناية الهية غامضة فهي لا
تزال تقارع انواع المشاق في التماس مصدر الرحمة الازلي وينبوع السلام الابددي
وادى بها ذلك الى الاعتقاد بتفوق كل من يسودها وكيف لا تعتقد باله اعلى وهي
تنوقع منه المكافأة على ما تفجسه من المصائب في هذا العالم فهي مسوقة الى التدين
لا من ميل فقط بل من حاجة وتربيتها الاتكالية زادتها اعتصاماً بالايان لانه
يقول باله قادر يحبها ويرعاها

وهي لا تشعر بخوف الله فقط بل تشغف بحبه وتبتهل اليه في التوازل الشداد
فيترك الظلمات المطيقة بها نور رجاء بتضربه حبشها وكما قلت مطالبتها في الحياة زادت
استمسكاً بهمل الدين وكثيراً ما تفتليها اضطرابات دينية تذهل صوابها

ولا يجوز لنا الاغضاء عن ان الرجل هو الذي اوجد في المرأة تلك الفطرة ودعا الى الدين فأجابته مذهبة شأنها في الخضوع لما تعتقد به العظيمة والتفوق فهي تتلقف من افواه الاحبار مبادئ الدين وتستعذب سلطته لانه يمنحها غبطة دائمة ويمشي آملها بحياة مستبلة فهو جميع آلامها الحاضرة فلم يخطر لها قط ان ترغب عن ذلك الجمال القنان والأمل المتلائي

وعلمنا ان تفرق بين الديانة والتدين فشعور الرجل بالدين يختلف عن شعور المرأة بذلك الدين وبين التقي والتقية والاخ والاخت اتباع المذهب الواحد اختلاف جنسي في الايمان وتلازم المعجزات المعابد واجدات في الصلاة غبطة ونعياً ومن في ذلك اقرب الى الرجال الطاعنين في السن منهم الى اخواتهن في ريعان الصبا وكلما تصقق الباحثون في درس هذه العاطفة عند المرأة وجدوها منبعثة عن المركز الذي تشغله في المجتمع الحاضر فهي اقوى استمساكاً بمجل الدين واشد خضوعاً للعقائد والافكار - صفات للمرأة افادتها اباحا حالتها الاجتماعية والادبية وتلك العاطفة الدينية ليست سوى نتيجة اعمال الرجل في الوف من السنين

هل المرأة ارق شعوراً من الرجل . — منذ خمسين سنة قام جدال بين علماء النفس على المخطاط احساس المرأة فذهب لومبروزو وتلامذته الى ضعف شعورها وخالفه في رأيه مانتكيزا ومن تابهه ويتطوي في هذين المبدأين العاملين نظريات ثانوية لا تكاد تخصى وانما نشأ ثنائهم عن اقتصار الباحثين على بعض الموضوعات المحدودة واوسع مجال الاختلاف ان التجارب انجزت في ممالك مختلفة وبما لا ريب فيه ان البيئة وطرز المعيشة تأثراً في الشعور فالبرابرة اقل شعوراً بالالم من المتحدين وهو لا متفاوتون ايضاً في شعورهم فان ابناء الطبقات العالية المترفين ممن القوا الرفاهية واناقة العيش بشعرون بالالم فوق شعور المزارعين ومتى علمنا ذلك لم يسعنا ان نعوذ التفاوت في الشعور الى الجنسية بل الى احوال الحياة التي تفرق بين الجنسين

قلنا ان بين العلماء اختلافاً كبيراً على ارتقاء حواس المرأة وانحطاطها وقد استشهد القائلون بانحطاطها على زعمهم بانها لا تستطيع التمييز بين انواع الخمر المختلفة وذلك يشير الى ضعف حاسة الذوق ويقولون مثل هذا في سائر حواسها فيفتد المراضون بحججهم قائلين انما اعجز المرأة التمييز بين صنوف الخمر لانها لا تدمنها كالرجال والمدمنات منهن يضارعن في ذلك ارق الرجال

أما شدة احساسها بالآلم فيفسر كثرة الآلام التي تنتابها ويقول مانتكيذا ان شعورها به اضعاف شعور الرجل ويذهب مرجا الى ما يناقض ذلك فيقول ان المرأة سريعة الانفعال كالطفل فندري العبرات عند اقل طاري وتبدو على عيها علامات الآلم غير ان مظاهر الآلم ليست هي ذاته والتبرية ونسق الحياة شأن خطر في الشعور فان النساء الكثيرات الامتزاج بالرجال اللواتي يمارسن حياة العمل يصبح دمعهن عصياً فيجلدن على احتمال المصائب والافواج ويتصلبن على لقاء الخطوب ويقول لومبروزو ان ضعف حواس المرأة نعمة تكبرى على المجتمع إذ يسهل عليهن تحمل آلام الحمل والوضع

سبب الانفعال ٠ — نعود في ذلك الى آراء الفيسيولوجيين فقد برهنوا ان لتسقي معيشة المرأة اثرآ في جسمها ونفسها لان حياتها المتزلية واقتصارها على انجاز الواجبات العائلية قلل من مناعة جسمها وخفض من مضائها ونشاطها وقال بان «نمو المواطن الرقيقة حيث يضعف النشاط على ان مرعة الانفعال لا تعود الى تركيبها العضلي بل تعزى الى فقر الدم الناشئ عن قلة التمرين فالتساء العاملات اقل تمرضاً للانفعالات التي تشكك عيش غيرهن من النساء وقد قال احد الباحثين ان امرأة العصور القديمة تختلف كل الاختلاف عن امرأة اليوم

ولا ريب في ان دخول النساء في الحياة العامة واساليب تهذيبهن التي تبدلت كان لها اشد اثر على حيانهن المعنوية فكلما تحككت المرأة بالرجل فقدت صفاتها الانثوية فهل يأتي يوم تضمحل فيه خواصها المميزة ؟ ان ذلك بعيد الاحتمال استبحار العمران وانهتسار التمدن يخففان من الم المرأة الناتج عن الامومة فهل يوحى ان بقوا على هاتيك الافواج حتى بلاشياها ؟ والذي نراه ان الامومة كانت وسيكون لها الى الابد شأن

الحب والجمال المعنوي ٠ — ان ما تخسره المرأة مادياً ترجحه معنوياً وهذه الامومة تكبدها الآلم لا تطاق الا انها تحبها ارق الصفات التي يمتاز بها الجنس البشري وهي الحب والحنان فالمرأة في سهرها الدائم على طفلها وعنايتها به يرتقي شعورها بالحنانة والمطف

في حب الامهات تسطع اسمى عاطفة في الوجود ويزدهر رجاله لاحد له نقره عين الانسانية ويتفجر ينبوع هذا الحب في كل مكان فيدمر على كياننا آثاراً لا تمحي ٠ ولا

بضمحل حب المرأة الا بانقراض آخر رجل فارتباطها بوجودنا يحملها على حفظ العهود وصيانة المواثيق ويحق للمرأة ان تفتخر بوظيفتها الاجتماعية فان الامومة هي مصدر الفضائل والحبة الغيرية التي يحيا بها المجتمع الانساني . وهذا الحب الشديد الذي يفصل بينها وبين الرجل ليس الا ليسواها في الحياة الاجتماعية مكانة اسمى من مكانته . اذا اعيا تكافل الجنسين دون مساواتهما في العظمة واشتركا في مقاساة الآلام

كذب المرأة ٠ — نتمو على شجرة حياة المرأة في احوالها المختلفة فروع تخيل للرائي انها المميزات الفارقة بين الجنسين وكثيراً ما يمر بها المفكرون غير محفظين بالاسباب الطارئة التي جعلت بعضها نضيراً زاهراً يستهوي العيون مرآة والاخر ذوايا جافاً ينبوعه البصر على اننا اذا بدلنا بيئة الشجرة تلاشت الفروع الدابلة ولو احاطت بالمرأة صروف الرجل لكان لها فضائله ورذائله

وما وجدنا اعجز من رأيي من يأخذ على المرأة اعتلافاً باسباب الرياء وهي سلاح الضعفاء في النزاع الحيوي ولا بد لنا من كلام يزيد الغضبة وضوحاً ونحن نرى علماء النفس على اتفاق في هذا الحكم الذي يشمل المجتمعات الانسانية من ارقاها الى ادناها فاذا قضى على الضعيف ان ينازع القوي مال الى المراوغه والكذب وذلك شأن المرأة فكما تخرج موقفها لجأت الى الافك والبهتان ذوداً عن نفسها ويقول سبنسر « ان الكذب يوافق كل حالة اجتماعية قائمة على دعائي القوة والخوف قوة السائدين وخوف المسودين قوة واقتداراً » غير ان الفلاسفة والمتشرعين وعلماء النفس والشعراء والقصاصين اغضوا عن مصدر الشر وجعلوا الكذب صفة غريزية في المرأة ومشى على هذا المذهب الشارعون فحرموا المرأة حق الشهادة زاعمين انها اقل صدقاً من الرجل فادى ذلك الى اضطرادها في هذا السبيل وما كان ذلك الا ليزيد تعاسة الرجل فشقاؤه ورياءها متلازمان والآلام التي يكبدها اياها نفسد نظام حياته العائلية فالمرأة عنصر يخل في حياة الرجل وفي وسع ان يظهر ذاك العنصر او يفسده

نفت في روعها انها لم تخلق الا لارضائه فتوسلت الى هذه الغاية بوسائل مملوكة واضطرت ان تصنع لسترا الطوارعي التي تلم بها فتذهب بروعة جمالها ومالت الى استغوائه بهرجتها فتزينت وتبرجت وتخبرت جملاً عذبة تسردها عن غير شعور وزاغ بها هذا التصنع عن طبيعتها واكسبها صفات مستنكرة حتى سهل عليها بتوالي الازمان صكمت عواطفها والتظاهر بما لا تحس به فاصبحت تصرخ اذا مستها شوكة وثمالك اذا

استغرق الالم وجودها والتمست من الرجل ان يحميها لانها رأتة يجبل الى المرأة الضعيفة ثم ضعفت فيها ملكة اللقد والتميز باعمال تثقيفها فاصبحت تنظر الى المحسوسات نظراً مزوئراً وتفسرها على غير حقيقتها ولم يشهر الرجل الا والمرأة قد تبدلت فبات ينصكر الصفات التي افادها ياها واهوال الافك يبعث كل العث في المجتمع حتى اصبح دعامة الحياة العامة كذب الرجل . — لا ننكر ان المرأة اند رياء من الرجل غير انه ليس بفالقد هذه الصفة وانما الفرق في الكمية لا في الكيفية وقد تكذب المرأة وتداجي فلا تجرم داجاتها على الهيئة الاجتماعية ما يجرمه بهتان الرجل من الويلات فما يسم وجودنا من الشواهر السكاذبة ويباعد بيننا وبين الغبطة يظهر لا بين الافراد فقط بل بين الاجناس والاهوب وما السلم المسلح سوى ا كذوبة هائلة نفذت الى جميع الضمائر فن التهذيب العام والخاص وعلاقات الطبقات الاجتماعية ومبادئ الحكومات والمدل وتحديد حقوق الوطنيين وواجباتهم تنولد تلك الافة المائلة في هذه البيئة التي نعيش فيها وهذه الدوافع غدت وسيلة الخداع والوطنية مدرجة المنافع الذاتية والتزوير عنصران جوهران للحياة فالسلطة الفردية تستعين بالقول — ان حق الملك من حق الله والديمقراطيون ينادون بوجود المساواة وكلا الفريقين نازع الى القبض على الساطة ولم يكتف مدعو الزعامة بادخال السم في الحياة العامة حتى جاعروا بذلك غير خجلين وقد افترت الانسانية على الهيبات والادبيات فيينا ترى التعاليم الدينية تقضي علينا بمحبة القريب نجد المتدينين يتنازعون وينقارعون والشعوب تنطاحن في مضمار الجهاد

والصنائع من ارقاها الى ادناها مدعوة بالافك والتزوير وهؤلاء السياسيون يأتون ضروب النفس والرياء ويرتقون المناصب على سلم من المواعيد التي يستحيل تحقيقها وكلما قام مصالح لمناهضة البهتان رموه بضعف الوطنية وكل ذلك من عمل الرجل وحسبنا بما تقدم دليلاً على مبلغ الرجل من الافك مما حمل المرأة سيف دورها على اقتفاء آثاره مسوقة بضعفها الطبيعي وعجز منتها فاقصرت على الاكاذيب البسيطة وافرط رفيقها في البهتان

يستحب الرجل في شريكة حياته الرقة والخضوع شأن كل كائن قوي فيزيها في عينه وداعة الورقاء ومحبيه اليها القوة والرجولية ومها بلغ من اخلاقه فالمرأة مدعوة الى مجاراته على اهوائه احتفاظاً بمحبته وصيانة للنوع الانساني فلم يكفها في ذلك جمالها ورقتها بل سعت الى استرضائه فغالبت فطرتها توسلاً الى بلوغ هذه الغاية وما توقفت عند حد

التبرج والدل بل اتخذت مظهرًا مذهبًا ملائمًا لميوله فتأصل حب الاسترخاء في نفسها حتى غدا لها طبيعة ثانية واثرت فيها الوراثة والانتخاب الطبيعي حتى حسبت ارضاء الرجل الغاية الكبرى من حياتها وارتاح الرجل الى تلك المظاهر مأخوذًا بما فيها من الروائع اغلاظة فالتفت ربه الزهر عما فيه من السم الزعاف واستنفدت المرأة مجهودها في استمالة ولو شوهت تكويتها المعنوي فاصبحت كثيرة الجمالة قديرة على كتمان عواطفها ونظامها بالابتسام والعاصفة نشور في داخلها لتلقي على نفسها ستارًا وخادعت شريكها بقولها وحر كائنها وابتساماتها فبرهن ذلك على انها لم تخسر طبيعتها الانسانية في عصور العبودية والرقى فهي تأفك لتحفظ مزيتها الانسانية مما يدل على ثباتها وصلابتها ومقاومتها للماساها الرجل من الحيف والضغط

تعاقبت القرون وتأثير الاحوال الخاصة يعمل في نفس المرأة حتى جعل لها سمعة خاصة فطوت في ارضاء الرجل جميع غايات حياتها الدنيوية غير عابثة بما يسومها من ضعف فضيلتها ولكن مرونة النفس البشرية لا نهاية لها وفيها استعداد تام للرقى المعنوي فلما زالت الصروف التي تبدل من وجدانها نشطت للحرية واستعادت ما فقدته من المواهب وخرجت الشعوب النخطة من بيتها المظلمة لتضارح ارقى الشعوب مدنية ويكني لمحو تأثير عشرين قرنًا عقبان او ثلاثة اعقاب فهذه قبائل الماوريس كانت منذ قرن واحد ساردة في ظلمات الجهل فما فتح لها باب المدنية حتى ضربت فيها بسهم وافر ونساؤها اليوم لسن دون النساء الانكليزيات وزنوج الولايات المتحدة عدوا منذ مائة عام بين احط الشعوب الافريقية وقد بلغوا اليوم شأواً بعيداً في الحضارة وشغلوا مركزاً رفيعاً في عالمي الاقتصاد والاجتماع

وكان يحق لنا اليأس من المستقبل لو ان الانسان استغرق في سبيل الاسلاف واضاف الى النقائص الموروثة ما تنتجه العصور بتواليها غير ان النفس مرنة ومرونتها تنص الرجا بالمستقبل والمرأة في ذلك على مستوى الرجل فتبدل تهذيبها ومركزها الاجتماعي تستعيد الصدق احدى صفات السادة وتهجر الرياء وهو تركة عصور العبودية وعلى هذا المتوال يتغير مجموع الافات الانثوية لان نفوسنا تكيف على ما بلانهم شروط البيئة فلم يخلف الرجل ولا المرأة كاذبين او صادقين فاذا مزج الهمتان حياتنا لم يكن الا عجب الصلات التي ربطت الجنسين

بعض الملاحظات - - تنبث في المرأة خاصتا الفهم والملاحظة لتكتشف مقاصد

الرجل وتعمل على بلوغها فاكسبت من بينتها فضائل خاصة كما استفادت نقائص خاصة واصبحت قادرة على التخلص من المآزق والنظر في اعماق نفس الرجل لمعرفة مظاهر الضعف فيها فعرفت كيف تلتطف بكلماتها العذبة الآمنة وتبيع اشواقنا واصبحت مداهنتها اوضح اثرأ واشد فعلاً واستطاعت لشخص شخصيتها ان تمتزج بشخصية الرجل اذ لا يمتنع من الانقياد الى الغير سوى وثوقنا بالقوة واعتمادنا على الذات اما المرأة فقدت هاتين الخاصتين واستغرقت في حياة الرجل واصبحت العنصر الجوهرى لسعادتنا وشقاينا

ثم ان نفسها الساكنة جعلتها يسر انفعالا فحبها وبغضها واعجابها فوق ما يشعر به الرجل على ان الايام لا بد ان تخفف من هذه العواطف

مالت المرأة الى الزم ذلك الشعور المبهم العقيم ووجدت من تهذيبها ما تنزع بها هذا المنزع فولت بقراءة الروايات وشغلت جل افكارها في الحب لانها تحبها كحب وعكفت على مطالعة الافاصيص الغرامية فصبحت لها كالحب مصدر عواطف لا يذهب غير ان انصرافها الى القصص اخضع فيها ملكة الذكاء

التصورات الحية - - - - - الى الرجل في دوره الى الغرام وما وجد اجمل من حديثه وقعا في نفس المرأة فصيح للحكايات الخيالية الشأن الاكبر في حياتنا وهي غير جديرة بالنظر وغدا القصصيون من رجال ونساء قادة الانسانية يضعون دعائم مستقبلها واشتغل الناس بالالوهام والاحلام عن الحقائق الثابتة ولعل مؤرخا ينشأ في القرن الثلاثين ينظر الى ولوعنا بالخيال هازنا بما ندميه من الرقي العقلي وربما اوقفنا في مستوى المصريين القدماء الذين عبدوا الكوائن المخططة فلا يبعد عن الحقيقة هو ان نحن ذانرى المرأة مشغوفة بالروايات مستميلة اليها الرجل وقد استغرق الحب وجودهما وقربا على مذبحه اعظم الفحايا

حياة المرأة الضيقة الحدود التليدة الواجبات جعلتها تنألم لادنى مظاهر الحياة ومضى رأينا شدة حب المرأة وكرها حكمة ان العاطفتين اقوى فيهما امامها في الرجل والشجرة المنفردة في عرض البرتحيل للراني انها اكبر مما هي

اثبت الباحثون ان وجوه الشبه بين نفس المرأة والطفل اوفر مما هي بين نفسي المرأة والطفل والرجل وقد يفوق الرجل في بعض المزايا ويخط عنه في غيرها شأن المرأة فركزها التاريخي عند جميع الشعوب اكسبها بعض الصفات الفاضلة وافقدها اكثر منها

اطاعت الرجل واصبحت مصدرا فراحه ومسرته فلم تقو على مضارعة في الفكر والخيال

خواص تقربها من الولد حتى وصفها بعضهم بقوله انها رجل غير كامل الا انها تسطيع في دورها ان تعزو الى الرجل ذلك القلب ولقد يكون الطفل في حالة نموه احد ذهنًا وافر ذكاء من الرجل إذا تراجع في سلم التشوُّع وهو على الاطلاق اطهر منه قلبًا وقل امتامًا

الارتقاء العقلي لا يجري على خط مستقيم فينض بنا طوراً الى اعلى الذرى ويحطنا نارة الى اعلى المهاوي وهذه المميزات التي تفصل بين الرجل والمرأة ليست سوى نتيجة عوارض طارئة تزول بزوالها ومهما يكن من موقف المرأةزاء الرجل فهو اثر من آثار المركز الذي وجدت فيه خلال عصور متوالية فهي كما وصفوها رجل ناقص لانها امرأة غير كاملة ومما يميزنا انها لم تخسر في عصور العبودية ذرة من القوة المضوية فيعجزها فقدانها عن استعادة مركزها وقل تغير في شروط حياتها العقلية والخلقية يمكنها من استرجاع الصفات التي اضاعتها

ان نجاح المرأة في عصرنا الحاضر ينش في نفوسنا آمالاً ناضرة وبما ان ارتقاء الرجل قائم بارتقاء المرأة يحق لنا الوثوق بمستقبل الانسانية الزاهر . اهـ عرباً بتصرف من مقالة لجان فينو في المجلة الباريزية دمشقي : جرجي الحداد



ابن زيدون^(١) وابن جهور

هذه رسالة ذي الوزارتين ابي الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون الخزومي الاندلسي القرطبي (٣٥٤ - ٤٦٣) كتب بها الى رئيسه ابي الوليد بن جهور من ملوك الطوائف بالاندلس توفي عام (٤٤٣) يستعطفه بها لما كان في اعتقاله (٢) بامولاي وسيدي الذي ودادي له واعتادي عليه واعتدادي به ومن ابقاه الله

(١) (المقتبس م) ص ٤٤٩ و ٤٨٦ و ٤٨٤

(٢) لابن زيدون رسالتان فريدتان في أسلوبهما ضمنهما كثير من الامثال العربية والاشارة الى وقائع تاريخية مهمة

احداها الرسالة التي كتبها الى الوزير ابي عامر بن عبدوس يسخر به فيها وجعلها من رسائل ولادة بلث المسكين في الاموية الاندلسية المشهورة ولقد نشرها جمال الدين بن

ماضي حد العزم واري زند الامل ثابت عهد النعمة .

اذا سلبني اعزك الله لباس انعامك وعطيتني من حل ايتاسك واظمأتني الى برود
اسعافك ونفقت بي كف حياطةك وغضضت عني طرف حمايتك بمد ان نظر الاعمي
الى تأميلي لك وسمع الاصم ثنائي عليك واحس الجمد باستنادي اليك فلا غرو فقد
يفص الماء شارب، ويقفل الدواء المستثنى به ويؤتي الحذر من مأمنه وتكون منية انتمني
في امتنته « والحين قد يسبق جهد الحريص »

كل المصائب قد تمر على الفقى ونهون غير شمانة الحساد
واني لا تجرد واري الشامتين « اني لريب الدهر لا انضضع »
فاقول : هل انا الايد ادماها سوارها وجبين عض به اكليته ومشرقي الصقه بالارض
صاقله وسميري عرضه على النار مثقفه وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول
فقسا ليزدجروا ومن يك حازما فليقس احيانا علي من يرحم
هذا العتب محمود عواقبه وهذه النبوة غمرة ثم نفي هذه التكمة « صحابه صيف عن
قليل تقشع »

ولن يربني من سيدي ان ابطأ صحابه او تأخر غير ضنين غناؤه فابطأ الدلاء فيصا
املاؤها واثقل السحاب مشيا احفلها وانقع الحيا ما صادف جدبا والذ الشراب ما
اصاب غليلا ومع اليوم غد ولكل اجل كتاب . له الحمد على اعتباله ولا عتب عليه
في اغفاله

وان يكن الفعل الذي ساء واحدا فانعاله اللاتي سررت الوف
واعود فاقول : ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك والجبل الذي لم يأت من ورائه
حلمك والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك والتحمل الذي لم يف به احتمالك .

نبأته المصري الكاتب الشاعر المعروف (٦٨٦ — ٧٦٨) شرحا سماه شرح الصيون في
شرح رسالة ابن زيدون وهو مطبوع في مصر

والرسالة الثانية كتبها الى ابي الوليد بن جهور (وهي المنشورة في هذا الجزء)
وشرحها الاديب المؤرخ صلاح الدين الصفدي (٦٩٦ — ٧٦٤) شرحا سماه تمام
المتون في شرح رسالة ابن زيدون وقد وقفنا على نسخة مخطوطة من هذا الشرح (ومنه
جردنا هذه الرسالة) في خزنة صديقنا السيد عبد الباقي الحسني الجزائري والكتاب
يقم في نحو مائتي ورقة كتب عام ١٢٥٦

لا اخلو من ان اكون بريئاً فاين عدلك او مسيئاً فاين فضلك

الا يكن ذنب فعلك واسم او كان لي ذنب فضلك اوسع
حنانيك قد بلغ السيل الزبي وتاني ما حسي به وكفى وما اراني الا لو امرت بالسجود
لا آدم فاييت واستكبرت وقال لي نوح اركب معنا فقلت ساوي الى جبل يعصمني من
الماء وامرت ببناء صرح لعلي اطلع الى اله موسى وعكفت على العجل واعتديت في
السبت وتعاظيت فعقرت وشربت من النهر الذي ابتلي به جيوش طالوت وقدت الفيل
لابرهة وعاهدت قريشاً على ما في الصحيفة وتأولت في بيمة العقبة ونفرت الى العير
بيدر وانخذلت بثلث الناس يوم احد وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة وجئت
بالافك على عائشة الصديقة وأنفت من اماراة أسامة وزعمت ان خلافة ابي بكر كانت
فلته ورويت ربحي من كتيبة خالد ومزقت الاديم الذي باركت يد الله عليه وضجيت
بالاشمط الذي عنوان السجود به وبذلت لقطام

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المسمم
وكتبت الى عمرو بن سعدان جميع الحسين وتمثلت عند ما بلغني من وقعة الحرة
ليت اشياخي يدر علموا جزع الخرج من وقع الاسل
ورجعت الكعبة وصلبت العائذ على الثانية لكان فيما جرى علي ما يمحتمل ان يكون
نكالا ويدعى ولوعلى المجاز عقابا

وحسبك من حادث بامرئ نرس حاسديه له راحمين
فكيف ولا ذنب الانميعة اهداها كاشع ونبا جاء به فاسق وهم الهازون المشاؤون
بغيم والواشون الذين لا يلبثون ان يصدعوا العصا والغواة الذين لا يتركون اديما صحيحا
والساعة الذين ذكرهم الاحنف بن قيس فقال : ما ظنك بقوم الصدق محمود الا منهم
حلفت فلم اترك انفسك رية وليس وراء الله للمرء مذهب

والله ما غششتك بعد النصيحة ولا انخرفت عنك بعد الصاغية ولا نصبت لك بعد
التشيع فيك ولا ازمعت بأساً منك مع ضمان تكلفت به الثقة عنك وعهد اخذه حسن
الظن بك فقيم عبث الجفاء بأزمتي وعاث المقوق في موافقي وتمكن الضياع من وسائلتي
ولم ضاقت مناهي واكدت مطالبي وعلام رخصت من المركب بالتعليق بل من النتيجة
بالاياب واني غليني الغلب ونخر علي العاجز الضعيف ولطمعتني غير ذات سوار ومالك لم
تغم مني قبل ان اقترب وتدركني ولما امزق ام كيف لا تنضم جوانح الا كفاء

حسداً لي على الخصوص بك وثنقطع انقاس النظراء منافسة سيف الكرامة عليك وقد
زائني اسم خدمتك وزهاني ومم نعمتك وابليت البلاء الجميل في سمالك وقت المقام
المحمود في بساطك

الست الموالي فيك ضر قصائد هي الانجم اقتادت مع الليل انجما
ثناه يخال الروض منه منوراً ضحى ويخال الوضي فيه منمنا
وهل لبس الصباح الابردا طرزته بغضائك وثقلت الجوزاء الا عقداً فصلك بما ترك
واستملى الربيع الا ثناء ملاه من محاسنك وبث المسك الا حديثاً اذعته في حمامك
ما يوم حليمة بسر وان كنت لم اكسك سلياً ولا حليمت عطلا ولا وسمت غفلاً بل
وجدت أجراً وحصى فبيت ومكان القول ذاصمة فقلت وحاشا لك ان أعد من العاملة
الناصبة واكون كالدبالة المنصوبة « تضي للناس وهي تحترق » فلك المثل الاعلى وهو
بي وبك اولى ولعمرك ما جهلت ان صريح الرأي ان تقول اذ بلغني الشمس ونبا في
المنزل واصفح عن المذامع التي تقطع اعتاق الرجال فلا استوطي العجز ولا اطمنن الى الغرور
ومن الامثال المضروبة خاسري ام عامر واني مع الحرقه بان الجلاء - بلاء والنقلة مثله

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى مصارع مظلوم مجراً ومسحبا
وتدفن منه الصالحات وان يسيء يكن ما اساء النار في رأس كبكبا

عارف بان الادب الوطن لا يضي فراقه والخليط لا يتوقع زبالة والنسب لا يحنى
والجمال لا يحنى ثم ما قران السعد للكواكب ابهى اثرأ ولا اسنى خطراً من اقتران غنى
النفس به وانظامها نسقا معه فان الحائر لما الضارب بسهم فيهما « وقيل مام » ابنا
توجه ورد منهل يروحط في جناب قبول وضوحك قبل ازال رحله وأعطى حكم الصبي
على اهله

وقيل له اهلا وسهلا ومرحباً فهذا ميت صالح ومقيل
غير ان الوطن محبوب والمثأ مأروف والذيب يحن الى وطنه حنين النجيب الى عطنه
والكرم لا يبخو ارضاً فيها قوابله ولا ينسى بلداً فيها مراضمه قال الاول
احب بلاد الله ما بين منيع الى وسلمي ان يصوب سحائبها
بلاد بها حق الشباب قمائي واول ارض مس جلدي ترابها
هذا الى مغالاتي بعقد جوارك ومنافستي بلحظة من قربك واعتقادي ان الطمع في
غيرك طبع والنبي من - والله عنا والبدل منك امور والموض لنا

واذا نظرت الى اميري زادني ضنا به نظري الى الامراء
كل الصيد في جوف الفراق وفي كل شجر نار واستجد المرخ والغار فما هذه البراءة
من يتولاك والميل عمن لا يميل عنك وهلاك هواءك فيمن هواء فيك ورضاك فيمن
رضاء لك

يا من يمز علينا ان نفارقهم وجدنا ناكل شيء بعدكم عدم
أهيك ونفسي من ان أشيم خلبا واستطر جهام واكرم غير مكرم واشكو « شكوى
الجريح الى المقبال والرخم » فما أبست لك الالندر وحركت لك الحوار الالحن
وزنتك الا لانام وسريت اليك الا لاحمد السرى لديك وانك ان سنيت عقد اسري
تيسر ومتى اعذرت في فك اسري لم يتعذر وعلمك محيط بان المعروف ثمة النعمة
والشفاعة زكاة المروءة وفضل الجاه تعود به صدقة

واذا امرؤ اهدى اليك صنعة من جاهه فكأنها من ماله
لعلي التي المعصي بذراك وتستقر في النوى في ظلك واستأنف التأدب بادبك والاحمال
علي مذهبك فلا اوجد للحاسد مجال لحفلة ولا ادع للقادح مساخ لفضلة والله مبسرك من
اطلائي بهذه الطلبة واشكاي من هذه الشكوى بصنعة يصيب منها مكان المصنع وتستودعها
احفظ مستودع حسبا انت خليق له وانا منك حري به وذلك يده وهين عليه .
ولما نوال غمر هذا النثر وانسقت درره فبز طيف غلوائه وجر ذيل خيلائه عارضه
النظم ما يحيا بل كايده مداها حين اشفق من ان يعطفك استعطافه وتقبل بنفسك
الطافه فاستحسن المائدة منه واعتد بالقائدة له وما زال يستكد الدهن العليل والخطار
الكييل حتى زف اليك منه عروسا مجلوة في اثوابها منصوعة بجليها وملابسها
وبعد ان اورد القصيدة ^(١) قال :

هاكها اعزك الله بسطها الامل ويقبضها الخجل لما ذنب التقصير وحرمة الاخلاص
فهب ذنباً لحرمة واشفع نعمة بنعمة ليتأتى لك الاحسان من جهاته ويسلك الى الفضل
من طرفاته دمشق محمد رشدي الحكيم

مخطوطات وكتب

تاريخ يعقوبي

مجلدان في ٩٤٠ ص طبع بمطبعة بريل في لندن سنة ١٨٨٣

من جملة الكتب العربية التي نشرها الاساذ هونسا احد علماء المشرقيات هذا السفر النفيس لابن واضح من اهل القرن الثالث للهجرة وقد عني بطبعه عناية اخوانه المشتغلين باحياء آثار الشرق الاسلامي فجاء وافيًا بالمرام ساداً ثغرة مهمة في تاريخ الاسلام وقد وثقه باختلاف النسخ وشفه بفهرس لاسماء الرجال وفهرس باسماء البلدان التي ورد ذكرها في متن الكتاب ليتيسر الانتفاع به على الطالب في الحال . والنسخة التي غفر بها الناشر نافعة من اولها وفيها نقص من بعض فصولها لايجول دون الانتفاع منها بدأ فيها المؤلف بذكر شيث بن آدم وبعد ان ذكر عني عادة اكثر مؤرخي العرب تاريخ الانبياء تعرض للكلام على ملوك الاسرائيليين وملوك الموصل وبنو ملوك بابل والهند واليونانيين والروم وفارس وملوك الجربي والصين ومصر من التبط والبربر والافارقة والحبشة والسودان ومملكة اليجة وملوك اليمن وملوك الشام وملوك الحيرة من اليمن وحرب كندة وادبان العرب وحكامهم وازلامهم وشعرائهم واسواقهم وبهذا ينتهي المجلد الاول ويبدأ المجلد الثاني بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام وتاريخ الاسلام وخلفائه الى ايام احمد المتصد على الله بعارة سهلة موجزة . واليك مثالين من الكتاب تعرف بها طريقة ابن واضح قال في اسواق العرب :

« كانت اسواق العرب عشرة اسواق يجتمعون بها في تجارتهم ويجمع فيها سائر الناس ويأمنون فيها على دنائهم واموالهم فيها دومة الجندل يقوم في شهر ربيع الاول وروساؤها غسان وكلب اي الحيين غلب قام ثم المتمر بهجر يقوم سوقها في جمادى الاولى تقوم بها بنو تميم رعط المنذر بن ساوى ثم صحار يقوم في رجب في اول يوم من رجب ولا يحتاج فيها الى خفارة ثم يرتحلون من صحار الى ريا يشترم فيها الجاندي . وآل الجاندي ثم سوق الشجر شجر مهرة فيقوم سوقها تحت ظل الجبل الذي عليه فرهود الربي ولم تكن بها خفارة وكانت مهرة تقوم بها ثم سوق عدن يقوم في اول يوم من شهر رمضان يشترم بها الارباء ومنها كان يحمل الطيب الى سائر الاقاني ثم سوق

صنعا يقوم في النصف من شهر رمضان بعشرهم بها الالباء ثم سوق الراية بمحضرموت ولم يكن يصل اليها الا بجفارة لانها لم تكن ارض ملكة وكان من عز فيها يز وكانت كندة تحضر فيها ثم سوق عكاظ بالي نجد يقوم في ذي القعدة وينزلها قريش وصائر العرب الا ان اكثرها مضر وبها كانت مفاخرة العرب وحملاتهم ومهادناتهم ثم سوق ذي المجاز وكانت ترنحل من سوق عكاظ وسوق ذي المجاز الى مكة لحجهم وكان في العرب قوم يستحلون المظالم اذا حضروا هذه الاسواق فسموا المحلين وكانت فيهم من ينكر ذلك وينصب نفسه لنصرة المظلوم وانزع من سفك الدماء وارتكاب المنكر فيعمون الفداة المحرمين فلما المحلون فكانوا قبائل من اسد وطى وبني بكر بن عبدمناة ابن كنانة وقوم من بني عامر بن صعصعة واما الفداة المحرمون فكانوا من بني عمرو بن نجيم وبني حنظلة بن زيد مناة وقوم من هذيل وقوم من بني شيبان وقوم من بني كلب بن وبرة فكان هؤلاء يلبسون السلاح لدفعهم عن الناس وكان العرب جميعا بين هؤلاء تضع اسلحتها في الاشهر الحرم . . . وكانت العرب تحضر سوق عكاظ وتلي وجوهها البراقع فيقال ان اول عربي كشف قناعه ظريف بن غنم الصبيري ففعلت العرب مثل فعله . .

اما المثال الثاني فنقتبس منه بعض الجمل فقط دلالة على حربة المؤلف وردا على من يقول ان مؤرخي بني العباس اضطرتهم السياسة ان يحملوا على بني أمية ارضاء لبني هاشم مع ان من اوائلك المؤرخين من طعنوا الطعن المبرح بالعباسيين انفسهم وهم معاصرون لهم كل ذلك بفضل الحرية التي تمتع بها العلم في القرون الاولى لبني العباس قال المؤلف بعد ان ذكر طرفا من سيرة المتوكل على ما هي معروفة ومن قبض عليهم واستصفى اموالهم من عماله . وفي هذه السنة امر المتوكل بلبس اهل الدمة الطيالة الصلية وركوبهم البغال والحير يركب الخشب والسروج التي فيها الاكرو ولا يركبون الخيل والبراذين وان يصيروا على ابوابهم خشبا فيها صور الشياطين . وقال : وامر المتوكل في هذا الوقت ان لا يستعان باحد من اهل الدمة في شيء من عمل السلاطين وان تهدم الكنائس والبيع الهدنة ومنعوا من العبادة وكتب بذلك الى الآفاق . ولعل مادعا المتوكل الى تشديد الوطأة على اهل الدمة الانتقام منهم عما كان يأتيه ملوك الروم من غزو الاطراف فقد ذكر ابن واضح في ترجمة المتوكل ايضا انه لما وجه عبيسة بن اسحاق الضبي لم يتم فيها الا شهوفا حتى اتاها الروم على ذميلة في خمسة وثمانين مائة فقتلوا خلقا من المسلمين

واحرقوا ألفاً واربعمائة منزل وسبوا من المسلمات ألفاً وثمانمائة وعشرين امرأة ومن نساء
القبط ألف امرأة ومن اليهود مائة امرأة واخذ السلاح الذي كان بدمياط والسقط
وتهارب الناس ففرق في البحر نحو الفين واقاموا يومين وليلتين ثم انصرفوا . ومع هذا
وجه « طاغية الروم » يرسل وهدايا وكانت يسيرة فبعث اليه باضعافها .

وترى من خلال السطور ان المؤرخ يكاد يصرح بسوء حالة المتوكل خصوصاً في
مخطئه على بعض عماله وتعذبهم وما قاله فيه : وبني المتوكل قصوراً اتفق عليها اموالاً
هظماً منها الشام والعروس والشباز والهدبع والغريب والبرج واتفق على الرج ألف ألف
وسبعائة ألف دينار . قال وعزم المتوكل على المسير الى دمشق ووصف له يرد هواثها وكان
محروراً فكاتب الى محمد بن احمد بن مدي يأمره باتخاذ القصور واعداد المنازل وكتب
في اصلاح الطريق واقامة المنازل والمرافد وصار من سر من رأى يوم الاثنين لعشر
بقيين من ذي القعدة سنة ٢٤٣ وتزل دمشق يوم الاربعاء لثمان بقيين من صفر سنة ٣٤٤
فتزل تلك القصور فاقام ثمانية وثلثين يوماً وبلغه عن بعض الموالي من الاتراك امر
كرهه فخص عن دمشق الى العراق ولم يسافر في ولايته غير هذه السفرة الا في زهرة
ولم يرف في سفرته هذه شيئاً ولا نظر في مصلحة احد واصابت الشام كله زلازل حتى
ذهبت اللاذقية وجبله ومات عالم من الناس حتى خرج الناس الى الصحراء واسلموا منازلهم
وما فيها واتصل ذلك شهراً من سنة ٢٤٥ وانتقل المتوكل الى موضع يقال له الماحوزة
على ثلاثة فراسخ من قصر سر من رأى وبني هناك مدينة سماها الجعفرية وحفر فيها نهراً
من القاطول ونقل الكتاب والدرارين والناس كافة اليها وبني فيها قصرأ لم يسمع بمثله
وذلك في المحرم سنة ٢٤٦

وما رواه المؤلف في سيرة المأمون وحريته . وعلمه ان بشر بن الوليد الكندي قاضيه
يفتداه كالف قد ضرب رجلاً قرف بانه شتم ابا بكر وعمر وامانه على جبل فلما قدم
المأمون (بغداد وكان متغيباً عنها في الشام) احضر الفقهاء فقال اني قد نظرت في قضيتك
يا بشر فوجدتك قد اخطأت بهذا خمس عشرة خطيئة ثم اقبل على الفقهاء فقال : انيكم
من وقف على هذا قالوا وما ذاك يا امير المؤمنين فقال : يا بشر بما ائت الحد على هذا
الرجل قال : بستم ابي بكر وعمر قال : حضرك خصومه قال : لا قال : فوكلك قال :
لا قال : فلما كن ان يقيم حد القرفة بغير حضور خصم قال : لا قال : وكنت تأمن ان
يهب بعض القوم عصاة يبيطل الحد قال : لا قال : فاما كلور بن ام مسلم بن قال : بل

كافران قال : فيقام في الكافرة حد المسئلة قال : لا قال : فهبك فقلت هذا بما يجب
لاي بكر وعمر من الحق افيشهد عندك شاهدا عدل قال : قد زكي احدهما قال : فيقام
الحد بغير شاهدين عدلين قال : لا قال : ثم أفت الحد في رمضان فالحدود تقام في شهر
رمضان قال : لا قال ثم جلده وهو قائم فالحدود يقام قال : لا قال : ثم شجته بين
العقابين فالحدود يشيع قال : لا قال : ثم جلده عريان فالحدود يعرى قال : لا قال ثم حملته
على جمال فاطفته فالحدود يطاف به قال : لا قال : ثم حبسته بعد ان افت عليه الحد
فالحدود يحبس بعد الحد قال : لا قال : لا يرافي الله ابوه باثمك واثارك في جرمك
خذوا عنه ثيابه واحضروا المحدود ليأخذ حقه منه فقال له من حضر من الفقهاء : الحمد
لله الذي جعلك عاملاً بمحقوقه عارفاً باحكامه نقول الحق ونعمل به ونأمر بالعدل وتؤدب
من رغب عنه ان هذا يا امير المؤمنين حاكم اجتهد في رأيه فاخطأ فلا نفصح به بالحكام
وتهتك به القضاء فامر به فحبس في داره حتى مات اه .

والكتاب كله فوائد غزيرة يشف عن علم صاحبه ونشره فيا حبذا لو صحت العزائم
في الشرق لاعادة طبعه على صورة احسن تسبيلاً لاقتنائه لان معظم الكتب التي
نشرها علماء المشرقيات قعدوا بها فائدة بلادهم او فكراً خاصاً لهم ولذلك يقللون من
النسخ المطبوعة منها ما امكن بحيث يتعذر على ابن الشرق اتياعها لغلاء اثمانها بالنسبة
لما ألف من رخص الكتب في بلاده وكثيراً ما يتطلبا فلا يظفر منها بنسخة لانها
تفقد في مدة قليلة ولا يصل خبرها الى الشرق الا وتكون قد نفدت او كادت .

تقويم البلدان

قلنا غير ما مرة ان علماء المشرقيات من الفرنسيين قهصروا في العهد الاخير عن
الحاق برصفائهم من الالمان وان ما ينشرونه اليوم من الكتب العربية دون ما كان
اسلافهم ينشرونه في النصف الاول من القرن التاسع عشر وكتاب تقويم البلدان
تأليف السلطان الملك المؤيد عماد الدين اسمعيل صاحب حماة اكبر شاهد على صحة
هذا القول فقد طبعه في باريس بدار الطباعة السلطانية سنة ١٨٤٠ الميسور بنود
والبارون ديمسلاان بمناظرة سلفستر دي سامي شيخ المستشرقين في فرنسا الذي افضل
كثيراً على العرب والعربية بما نشره من آثار السلف .

وتقويم البلدان في الجغرافية العامة كما يفهم من اسمه عظيم الفائدة من وجوه اقلها ان
المؤلف كان من بعد الطبقة الراقية بين علماء القرن الثامن مدقق في كل ما خطه يده من

الصفحات فهو في ملوك الطوائف المتأخرين بعلمه وفضله بمنزلة المأمون من خلفاء
العباسيين .

غفر الناشر ان من كتابه هذا بنسخة صححت على المؤلف وكتب عليها بقلمه بعض
التعليقات او هي نسخة المؤلف فجاءت والعناية قد بذت بها من اصح ما طبع علماء
المشروعات

اعتمد المؤلف على ما كتبه ابن حوقل والادريسي وابن سعيد وعلى كتابي العريزي
واللباب ونقل عنهم حتى في جغرافية بلاده وكان ابو الفدا طاف سورية ومصر وقسماً
من بلاد العرب من الحجاز وبلغ اغرات فعد كلامه ثقة فيما كتبه والغالب انه تحدى
بطليموس في تقسيماته الجغرافية قال في مقدمته : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله حمداً يليق بجلاله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وبعد فاني طالعت الكتب
المؤلفة في البلاد ونواحي الارض من الجبال والبحار وغيرها فلم اجد فيها كتاباً موفياً
بغرضي فمن الكتب التي وقفت عليها في هذا الفن كتاب ابن حوقل وهو كتاب مطول
ذكر فيه صفات البلاد مستوفياً غير انه لم يضبط الاسماء وكذلك لم يذكر الاطوال ولا
العروض فصار غالب ما ذكره مجهول الاسم والبقعة ومع ذلك لا تحصل به فائدة تامة
وكتاب الشريف الادريسي في المسالك والممالك وكتاب ابن خرداذبة وغيرها وجميعهم
حذوا حذو ابن حوقل سيفتقد التعرض الى تحقيق الاسماء والاطوال والعروض واما
الزيجات والكتب المؤلفة في الاطوال والعروض فانها عريضة عن تحقيق الاسامي وعن
ذكر صفات المدن واما الكتب المؤلفة في تجميع الاسماء وضبطها مثل كتاب الانساب
للسمعاني والمشارك لياقوت الحموي وكتاب مزبل الارتياب عن مشبه الانتساب وكتاب
الفصل كلاهما لابي المجد اسمعيل بن هبة الله الموصلي فانها اشتملت على ضبط الاسماء
وتحقيقها من غير تعرض الى الاطوال والعروض ومع الجهل بالاطوال والعروض يجهل
سمت ذلك البلد فلا يعرف الشرقي منها ولا الغربي ولا الجنوبي ولا الشمالي

ولما وقفنا على ذلك وتأملناه جمعنا في هذا المختصر ما نفرق في الكتب المذكورة من
غير ان ندعي الاطالة بجميع البلاد او بغالبها فان ذلك امر لا مطمع في الاطالة به
فان جميع الكتب المؤلفة في هذا الفن لا تشتمل الا على القليل الى الغاية فان اقليم
الصين مع عظمتها وكثرة مدنها لم يقع اليها من اخباره الا الشاذ البادر وهو مع ذلك غير
محقق وكذلك بلاد البلغار وبلاد الجرجس وبلاد الروس وبلاد السمرق وبلاد

الاولى (الادلاح) وبلاد الفرنج من الخليج القسطنطيني الى البحر المحيط الغربي فانها بلاد كثيرة وممالك عظيمة متسعة الى الغاية ومع ذلك فلك اسماء مدنها واحوالها مجهولة عندنا لم يذكر منها الا القليل النادر وكذلك بلاد السودان في جهة الجنوب فانها ايضا بلاد كثيرة لجنوس مختلفة من الحبش والزنج والنوبة والتكرور والزيلع وغيرهم فانه لم يقع اليينا من اخبار بلادهم الا القليل النادر وغالب كتب المسالك والممالك انما حققوا بلاد الاسلام ومع ذلك فلم يحصوها عن آخرها ولكن كما قيل ما لم يعلم كله لا يترك كله فان العلم ببعض خير من الجهل بالكل وقد جمعنا في هذا المختصر ما تفرق في كتب عديدة على ما سنقف عليه ان شاء الله عند ذكرها وحذونا في تأليفه حذو ابن جزلة في كتاب تقويم الابدان في الطب وسمينا كتابنا هذا تقويم البلدان ٥١ .

بدأ المؤلف بذكر الارض والاقليم السبعة والابحار والاطوال والخلجان والجميرات والانهار والجبال قال في الكلام على ترتيب كتابه : اما ترتيبه فانه مجدول على وضع التقاويم وقد ذكرنا فيه الاقليم الحقيقي والاقليم العربي في يمينين والمراد بالاقليم الحقيقي احد الاقاليم السبعة المتقدم ذكرها والعربي كل ناحية او مملكة تشتمل على عدة كثيرة من الاماكن والبلاد مثل الشام والعراق وغيرهما . نال وقد جعلنا في الجدول بيتا لضبط الاسماء فان في هذه الاحامي اسماء انجمية لا يهتدى اليها بغير ضبط وكذلك سيف الاسماء المشهورة اسماء قد غيرتها العامة تارة بتغيير الفحة الى الكسرة او الضمة وبالعكس وتارة بزيادة الحروف في الكلمة وتارة بالتنقيص مثل ما يقولون في تبريز توريز وتستر شستر ومثل ما يقولون ادمر بضم الداء وهي بالفتح فلذلك احتجنا الى ضبط الاسماء وذكرنا في الهامش من فوق ونحت كلاما على ذلك الاقليم وتحديدده وذكر بعض مسافاته ونحو ذلك واما ترتيب الاماكن وتقدم بعضها على بعض في الذكر فانه امر لم يتبنا لتأنيده ترتيب يرضينا فبينا فيه ابن حوقل وابتدأنا بجزيرة العرب لكون بيت الله الحرام وقبر نبيه عليه افضل الصلاة والسلام فيها .

ومع ان مؤلفنا اعتذر بتعذر الوصول الى اخبار بلاد الافرنج فقد ذكر منها جملة سالحة فذكر منها مملكة بوليه على بحر الروم عند فم جون البنادقة من غرييه وهي تقابل مملكة الباسيلسة التي من البر الآخر وملك بوليه كان يقال له في زمانه الريدشار وذكر بلاد فلقرية والمر (المورة) والمفجوط وفرنس والتسقاله (ايطاليا) واستبري والروس وفرنسة والهامية وذكر مدينة باريز فقال : مدينة باريس قاعدة فرنسا وهي ثلاث قطع

كما هي مدينة الباب فالوسطى التي في الجزيرة لفرنسيس سلطان الفرنج والجنوبية لمجد
والشمالية لسائر قوامسهم وتجارهم ورعيتههم وذكر عن ابن سعيد بلاد الباشقردوم
ترك جاوروا اللبانيين على عهد متواتق وهم مسلمون من جهة فقيه تركاني نصرهم بشرائع
الاسلام واكثر عمارتهم على نهر دوما وعلى جنوبه قاعدتهم قرأت وهي مما دخله النثر
وغربوه واهلكوا اهل وفي شرقها بلاد الصنقر (البحر) اخوة الباشقرد نصحروا المجاورة
اللبانيين ولم يدائن وعمار على النهر الكبير مستحجة وقاعدتهم مدينة تربوا وذكر بلاد
التبردية وجنوة وبيزة والبندقية ورومية وبرشان (قاعدة امة البرجان) قال فيها
وكان لهم شهرة وبأس في قديم الزمان فاستولت عليهم الالمانية وابادوم حتى لم يبق
منهم احد ولا بقي لهم اثر وذكر مدن اثينية وقسطنطينية وتسمى بوزنطيا وماقدونية
وصحبي وايزو وطرنو وبلاد (بلغار) وطلوزة قال ابن سعيد وفي شرقي بردال مدينة
طلوزة يقال ان صاحبها الفرنجي في الجبال التي في شماليه وشرقيه ما ينيف على الف حصن
وهو قريب من صاحب فرنسة والنهر في جنوبها يصعد منه مراكب البحر المحيط اليها
بالقصدير والنحاس اللذان يجلبان من جزيرة انكطرة وجزيرة ارندة وتحمل على الظهر
الى ترونة ومنها تحمل في مراكب الفرنج الى الاسكندرية وذكر مدينة مرشيلية ومدينة
سبقلوا في شمالي جبل جرواسيا قال فيها نقلا عن ابن سعيد انه يصنع فيها السيوف
الالمانية المشهورة ولها معدن حديد يجلبها ويقال ان في مكان منه معدن حديد مسموم
يصنع منه السيوف والخناجر لا يبيع المالك اكتسابها لغيرهم وفي شرقها وسمت عرضها
مدينة نفسين (هصن ٢) وهي مخصوصة بالماء المائنة وحكائهم وذكر عراز ولوشيرة
وسبتقو ومشقة وبرغاذما ومن هذه المدن ما دثر الآن او تغير اسمه .

وقصارى القول ان كتاب ابي الفدا من اصدق كتب الجغرافية العربية التي ألقت
في القرون الوسطى وكأنها ألقت في هذا القرن لم يفيض صاحبها الا فيما علم فكان حجة
ثبتا في كل ما روى تكاد لا نقرأ له خرافة ينكرها طبعك وننافي ارتقاء العصر الحاضر
فياحبذا لو سحت ممة احد لطبعه فان نسخه فقدت ولا تكاد توجد الا في مكاتب
الخاصة ودور الكتب العامة



اخبار وافكار

بدائع الصنائع
والمرأة المسئلة في العصور المتقدمة

تكلمت في الجزء العاشر من المجلد الخامس على كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ويستم فضل الكتاب وماله من المكانة عند المشتغلين بفقه الامام الاعظم فأحييت ان تحف قراء المجلة بترجمة المؤلف وترجمة استاذه وبنت استاذه زوجته فاطمة الفاضلة فانها انموذج مما كانت عليه الامة الاسلامية من العناية بتربية النساء

قال الفاضل محمد عبدالحى الكنتوي الهندي في طبقاته المسماة بالفوائد البهية في تراجم الحنفية في صفحة ١٥٨ : محمد بن احمد بن ابي احمد ابو بكر علاء الدين السمرقندي صاحب تحفة الفقهاء استاذ صاحب البدائع شيخ كبير فاضل جليل القدر تفقه على ابي المعين ميمون المكحولي وعلى صدر الاسلام ابي اليسر البرزوي وكانت ابنته فاطمة الفقيهة العلامة زوجة علاء الدين ابي بكر صاحب البدائع وكانت تفقهت على ابيها (وحفظت تحفته) وكانت زوجها يخطي قترده الى العوالم وكانت الفتوى تأتي فخرج وعليها خطها وخط ابيها فلما تزوجت بصاحب البدائع كانت تخرج وعليها خطها وخط ابيها وخط زوجها . اهـ

وقال في الكتاب المودوم بمدينة العلوم (وهو من البقية الباقية من نفائس مخطوطات مكتبة المدرسة العثمانية بجلب) ومنها (اي من كتب الحنفية) كتاب التحفة للشيخ الامام محمد بن احمد بن ابي احمد الامام علاء الدين السمرقندي وهو الذي تزوج الكاساني ابنته فاطمة وشرح تحفته وفاطمة هذه كانت تنقل المذهب نقلاً جيداً وربما ترد فتوى زوجها الكاساني ويرجع هو الى قولها وكانت الفتوى أولاً تخرج وعليها خطها وخط ابيها السمرقندي ثم كانت تخرج بخطها وخط زوجها الكاساني وكانت في يدي فاطمة سواران (باعتهما) وعملت بالثمن الفطور كل ليلة بالحلاوى واستقر ذلك الى اليوم ولهذا سميت تلك المدرسة بالحلاوية اهـ (لم يزل هذا اسمها وهي من آثار نور الدين الشهيد عمرها سنة ٥٤٤)

وقال في الفوائد البهية ايضا في صفحة ٥٣ : ابو بكر بن مسعود بن احمد علاء الدين

ملك العلماء الكاساني صاحب البدائع شرح تحفة الفقهاء اخذ العلم عن علاء الدين محمد السمرقندي صاحب التحفة عن صدر الاسلام ابي اليسر البزدوي وعن ابي المدين ميمون الكهولي وعن مجد الائمة السرخسي وله كتاب السلطان المبين في اصول الدين وتفقه عليه ابيه محمود واحمد بن محمود الغزنوي صاحب المقدمة الغزنوية مات في عاشر رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة ودفن بظاهر حلب عند قبر زوجته فاطمة ابنة صاحب التحفة الفقيه العالمة والدعاه عند قبرهما مستجاب قال الجامع قال علي القاري هاته مصنف البدائع الكتاب الجليل والسلطان المبين قيل ومياه المتمد في المعتمد ومن شعره

صبت العالمين الى المعالي بصائب فكرة وعلومه
ولاح بحكمتي نور الهدى في ليل بالضلال لهدمه
يريد الجاهلون ليطفؤه وبأبي الله الا ان يتمه

وتفقه علي محمد بن محمد السمرقندي وقرأ عليه معظم تصانيفه وزوجه شقيقة ابنته فاطمة وقيل ان سبب تزويجها انها كانت من حسان النساء وكانت حفظت التحفة لابيها وطلبتها جماعة من ملوك بلاد الروم ولما صنف صاحب الترجمة البدائع وهو شرح التحفة وعرضه على شيخه ازداد به فرحاً وزوجه ابنته وجعل مهرها منه ذلك ففعلوا في عصره شرح تحفته وتزوج ابنته وارسل صاحب البدائع رسولا من ملك بلاد الروم الى نور الدين محمود بحلب وكان قبل ذلك قدم الرضا السرخسي صاحب المحيط الى حلب فولاه نور الدين الخلاوية واتفق عزله فولاه نور الدين الخلاوية فتلقاء الفقهاء بالقبول . وقال ابن المديم سمعت ضياء الدين الحنفي قال حضرت الكاساني عند موته فشرع في قراءة سورة ابراهيم حتى بلغ قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) فخرجت روحه ودفن عند زوجته داخل مقام الخليل بظاهر حلب والدعاه عند قبريها مستجاب ويعرف عند الزوار في حلب بقبر المرأة وزوجها انتهى قلت ان الاشعار التي نسبها اليه وقد نسبها حسن جلبي في حواشي التلويح الى الحكيم عمر الخيام والله اعلم . ونسبته الى الكاساني بالكاف ثم الالف ثم السين المهملة ثم الالف ثم التون بلدة وراء الشاس ذكره السمعاني وقد يقال في نسبة الكاساني بالمعجمة بدل المهملة وفي مشيبه النسبة للذهبي فاسان بلد كبير بتركستان خلف سجون واهلها يقولون كاسان وكانت من محاسن الدنيا خربت باستيلاء الترك عليها ومنها العلامة علاء الدين الكاساني من ائمة الحنفية بدمشق (صوابه بحلب) ايام الملك نور الدين اسمعيل

وقال العلامة ابن عابدين في حاشيته على الدر المختار في اوائل باب الطهارة مانعه : هذا الكتاب (اي البدائع) جليل الشأن لم ار له نظيراً في كتبنا اه
وقد أكثر العلامة المذكور في حاشيته من النقل عنه والمنع لما يرى انه حينما يأتي بالنقل عنه يكون قد آذن بالانتيان بما فيه فصل الخطاب في المسائل المختلف فيها .

فكتاب بلقب المؤرخون صاحبه بملك العلماء ويشهد فيه العلامة ابن عابدين هذه الشهادة ويكون عمدته في حاشيته التي عليها العول في عصرنا هذا يدل دلالة واضحة على عظم فضل مؤلفه وجلالة قدره وغزارة مادته ومع هذا الفضل والعلم الزاخر كانت زوجته فاطمة ربما روت فتواه ورجع هو الى قولها ولا ريب انها لم تقدم على ذلك الا حينما آنت من نفسها انها ضاعته في العلم وبلغت مبلغه في الفضل

وحسبنا هذا دليلاً على ما وصلت اليه المرأة المسئلة من الرقي في تلك العصور وقايس ايها القاري بين امثال هذه الفاضلة وبين المرأة المسئلة في عصرنا هذا وقل لي رعاك الله هل يوجد اليوم في مشارق الارض ومنارجها امرأة مسئلة حازت من العلماء هذه الدرجة وقل لمؤلاء العلماء القائلين بتعريم تعليم المرأة الكتابة ا كان صاحب التحفة السمرقندي الذي هذب ابنته فاطمة وعلمها ما علمها جاهلاً بالحكم الذي يعلمه هؤلاء

فهل لنا ان نأخذ من ترجمة هذه الفاضلة درس عظة يوقظنا من سباتنا ويبعثنا من اجداث خمولتنا ويرشدنا الى النهوض الى تعليم بناتنا واجباتهم الدينية وحوالجتهم الدنيوية لنحيي في الدنيا حياة طيبة ونعيش في الآخرة عيشة راضية .

حلب محمد راغب طباع

(ننبه) علم مما تقدم ان بدائع الصغائر هو شرح تحفة الفقهاء لكن المتصفح للكتاب لا يرى فيه المتن البتة وذلك لانه شرح على طريقة المتقدمين اي انه اتى الى كل بحث من ابجاث التحفة فوسع دائرته وجعله فصلاً ومزج المتن مع الشرح مزجاً لا يمكن التفرقة بينهما الا لمن يرى التحفة على حديثها فالتكتاب عبارة عن فصول متتابعة

تجدد ايطاليا

كتب احدم في المجلة مقالة تحت هذا العنوان قال فيها ما محصله : كلما خرقوا جانباً من جبال الالب ينزل على ايطاليا يذوع من الخصب والمال وبنينا تجد العجز مستعجلاً في ميزانيات المائيا وانككترا وفرنسا ترى ميزانية ايطاليا يزيد دخلها على خرجها فزادت تجارة ايطاليا الخارجية منذ اواخر القرن التاسع عشر بقوة عجيبة لم نضاهها به التجارة المالية ولا

تجارة الولايات المتحدة . نمت تجارة اميركا ٨٥ في المئة والمانيا ٨٤ وفرنسا ٥٠ وانكلترا ٤٠ اما ايطاليا فقد زادت ٩٩ في المئة . ومدينة ميلان معهد المقدمين من المالبين كما هي معهد دعاة الاشتراكية التحمسين ولكنهم يراعون النظام في حركاتهم ومطالبهم وما قط امرقوا دماً حراماً او اغتصبوا مالا حراماً فالاشتراكيون على جرائمهم والماليون كذلك ويكفي ان مدبني تورين وميلان قد اقدمتا على صنع السيارات (الاتوموبيل) قبل فرنسا ورجتا ارباحاً طائلة

وبعد فان ايطاليا مخصبة برجالها كما هي مخصبة بالاعمال والواردات ومعدل نفوسها اكثر من المانيا في كل كيلومتر من بلادها ١١٧ ساكناً على حين لا يوجد في كل كيلومتر من المانيا سوى ١٠٤ اشخاص . وينسب الاجتماعيون نفوس الشعب الابيطالي المتزايد لاعتياد البكور في الزواج فقد تجد عروساً في الخامسة عشرة من عمرها وأماً في السادسة عشرة في كل خطوة تسيرها في البلاد ويقلب على العامل الابيطالي القناعة والعمل والاقتصاد وهو مولع بحب الأسرة فاذا ابتعد عنها فأنما يتعد ليكون عوناً لها ولا يفادر المهاجر الابيطالي بيته الا ليوطد دعائمه وهو ابدأ يحلم بالعودة اليه

العامل الابيطالي مثال القناعة والتوفير والصبر أعطه من الاجرة ما يموت من مثله العامل الانكليزي وتراه مع ذلك يتنصّد من اجرة جانباً في صندوق التوفير نعم ان اجرة اليد العاملة في ايطاليا رخيصة ولكن الوقود فيها قليل فتكاد لا تجد في تلك البلاد اخصية فخاً حجرياً وليست ميناء جين دون مرسيليا بتجارته فاذا كانت مرسيليا تغرف نساء دخلها البضائع لنقل منها الى غير هافان جين مصرف مهم لداخلية ايطاليا فقد وقف عليها سنة ١٩١٠ - ١٣ الف سفينة في حين وقف على مرسيليا ١٧ الفاً وكان حظ جين سبعة ملايين طن من البضائع وحظ مرسيليا ثمانية واعتصاب العملة غير مألوف كما هو مألوف في مرسيليا لان العملة يعرفون ان مصالحتهم مرتبطة بمصلحة علمهم . ولذلك يحلون بينهم شكل اشكال يقع بالحسن

قال ولقد اوشكت ايطاليا ان تموت مرتين وما لاقته من الشدائد لا يخلو من عبرة فقد ماتت للمرة الاولى عند ما دامها برايرة الشمال وجعلوا أعزّة اهلها اذلة وذلك لانها نقضت عهد وطنيتها وفسدت اخلاق ساكنيها واهملت زراعتها وأضعفت جيشها فاعادت البابوية الحياة الى رومية وبدلاً من تأليه قيصر صارت تذكر اسم الله ثم جاء دور النهضة واثت بالفتنين والشاعرين ورجال الحرب والسياسة من لوثانها . وثراجع

عمران رومية للمرة الثانية بما حدث من الفوائيل بين البابا والامبراطور حتى اذا كانت الثورة الفرنسية انتفضت ايطاليا كما انتفض العصفور بالله القطر . وفي اواسط القرن التاسع عشر نشأت تلك الثورة الوطنية التي كان من نتائجها وصول ايطاليا الى ماوصلت اليه . كانت ايطاليا منذ ستين سنة منقسمة الى ممالك حقيرة كلحم على وضم فرن مقاطعة صقلية الى رومان الى اميليا الى طوسكانيا الى يمون ومن كان يرجو ان يبدأ صناع نقد على عجن هذه الاجزاء النحلة لتوحيدها وارجاعها الى الحياة وكم من ايطالي عظيم مات وهو يفكر في هذا الامر الجلل ويرسم هذه الخطة العجيبة

ولقد تهيأ لابطاليا مثل غاريبالدي الذي قاد فتياها ومازيني الذي كانت حظوته من الشعب سلاحاً اقوى من كل سلاح وكأثور رجل السياسة الذي احيا الزراعة كما لم شعث الجبسى واقام نصاب العدل والحقى كما فاوز اوربا فجعل ايطاليا وطناً

وهكذا بني بناء الوحدة الايطالية بسرعة ومواد متينة على ارض لا تزهر ع فتوطدت دعائم هذا البناء منذ خمسين سنة وعادت رومية عاصمة ايطاليا الجديدة وميلان وتورين ونابل هي مدن العمل النافع الرافع . ولا يميزها وجين هما ولا مرء ثمران تبعث منها الحياة القوية فابطاليا عملاء بماض وهي كذلك في المستقبل ترى فيها بقايا العاديات كما تجد فيها المجددات والمبتدعات وان ارواح عظماء رجالها المفنيين امثال مبشل آخ وليوناردي قسي لتسر بما ترى الآن من معامل لومبارديا المائبة الكهربائية العجيبة والمناطيد الطائرة السابحة في الفضاء . كم من آمال تحققت في ايطاليا ففيها ارادت مملكة القياصرة ثم البابوية ان تلي السلام في العالم وفيها نشأت الخطط المشرفة في الابنية الاجتماعية والالهامات الصناعية العجيبة وكل ما ينهض بالام ويعلي مقامها قد بدأ في صور بديدة لطيفة فابطاليا من ثم معمل الكمال والخيال

المقعدون والصناعة

في كل مجتمع افراد مصابون بعاهات تمنعهم عن تعاظم كثير من الاعمال فما هي الوسائل التي يجب على المجتمع ان يقوم بها لنحوهم ؟ يجيب الانسان لاول وهلة انه يجب عليه ان يعلمهم حرفة يتحرفون بها وهذا ما قامت به المدرسة الخيرية في مدينة نيويورك من المساعدة للانتفاع من المقعدين فقد رأت بعد البحث العميق ان صنعة الصياغة اوفق ما يكون لهؤلاء المنكودي الحظ لاسباب اهمها ان هذه الحرفة لا تتطلب كثيراً القوة الجسدية وفي استطاعة الصانع ان يعمل طول النهار دون ان يضطر الى الوقوف ويطلب

صناع ماهرين في هذه الصنعة متواصل ولا يخشى عليها من تهافت المهاجرين الاقوياء فيفسدونها على اهلها كما افسدوا كثيراً من الصناعات البسيطة اذ هذه الحرفة تحتاج الى مهارة لا تنأى الا بصرف وقت غير قصير في تعلمها، فلهذه الغاية انشأت تلك المدرسة صفاً للمتعدين يتعلمون فيه هذه الحرفة تحت رعاية صانع ماهر وهم الآن يصلحون ما يدفع اليهم من العقود المجوهرات المنتشرة بالاجرة عدا عما يصيغونه ويبيعونه على حسابهم والمدرسة ستجد لهم محال في المعامل متى اتقوا تعليمهم.

نادي السجناء

كثير من الاحداث الذين يدخلون السجون لجرائم ارتكبوها ثم يخرجون منها عازمين على ان يكونوا مستقيمين في مسلكهم ولكنهم لا يجدون عملاً ساعة خروجهم ينتج لهم منه ما يقوم باودهم اذ الناس تحج عن استخدامهم لعدم الثقة بهم فيجبرون على ارتكاب جرائم اخرى طلباً للرزق فيخرجون في اعماق السجون، فلمساعدة امثال هؤلاء الاحداث أسس في بركن احد احياء مدينة نيويورك ناد ياون اليه ريثما يحصل الواحد منهم على عمل يقتات منه فعندها يترك النادي، والآن يوجد كثير ممن ساعد هذا النادي يقومون باعمال مفيدة وهم يمدونه بما لديهم من الوسائل

طهارة اللبن

قال احد فلاسفة العصر «حق لي طهارة اللبن الذي يتناوله الطفل أوكد لك سلامته» وما زال علماء العالم منذ امد بعيد يبحثون عن الوسائل لحفظ اللبن من الجراثيم المتعددة الانواع التي تضر بصحة البالغين فضلاً عن الاطفال فلهذه الغاية اخترع علماء مؤلف من وعائين الواحد ضمن الآخر الاول من المعدن والثاني من الخشب وبينهما فسحة لوضع الجليد لكي يحفظ اللبن رطباً والوعاء محكم بمر من الوعاء الداخلي أنبوب يفرغ الى وعاء آخر خارج الاثنين ذو غمر كل غمرة تشير الى كذا من الوزن فلا يشكف البائع الا لفتح انبوب يفرغ الى الوعاء المعبر ويضع فيه قدر ما يطلب الزبون ثم يلقه ويفتح انبوباً آخر يفضي الى ابريق الزبون فهذه الوسطة يكون قد حفظ اللبن من الفساد بالحر ولم يدخل اليه شيء من الجراثيم وقت المناولة

الراحة في السفر

قد فتح حديثاً في مدينة بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية نزل يسع ٣٢٠ نزيل وهو نزل حسن البناء والفرش ذو طابقين وفيه ادارة خصوصية لبيع بطاقات السفر في

السكك الحديدية فالنازل فيه لا يحتاج الى الخروج منه اذا كان يريد السفر في داخل البلاد لا يتباع البطاقة وشحن اثقاله

اصلاح زبي المرأة

اهمل النساء في ملابسهن مقننات الصحة وراعين شروط الجمال فعمدن الى المشد النساء لهقة الغصص وبرز الصدر وارتدين بروداً لا تدفع تأثيرات الطقس الى غير ذلك مما انك الاجسام واعدما لعوادي الضعف والوهن والنساء لاهيات بالمظاهر الخلافة عما وراها من التحول والسم ولما استفحل شر هذا الساء تألفت في المانيا جمعية نسائية غرضها اصلاح الازياء على ما تقتضيه شروط الصحة وانضم اليها كثيرات من علية نساء الالمان واصدرن مجلة وضعن فيها رسوم الازياء الصحية ودعت الادبيات فيها الى خلع الازياء الجديدة وفي مقدمة اولئك الكاتبات ملكة رومانيا

وصرت الحركة الى فرنسا فاهتمت مجلاتها بهذا الاصلاح ونشرت فيه الفصول الضافية وحرضت الجمعيات النسائية في فرنسا على اقتفاء اثر الجمعية الالمانية واتشترت هذه الفكرة في بلاد الانكليز فكانت الملكة اول من ابرزت الفكر الى حين العمل فاصدرت منشوراً لنساء الشرفاء صرحت فيه انها لا تقبل في البلاط الا من ارتدين باكسية واسعة عينتها لمن وانكرت الترف والفخفة على نساء الاغنياء وعسى ان نهض نساء الشرق الى مجارة اخواتهن في البلاد الراقية

السكر الآسيوي

يصطنعون في الشرق انواعاً من السكر غير معروفة في المغرب منها ما يصطنع في نيبون ويدعى سكر الرز ويسميه الاهلون ميزيام اي السكر السائل لانه غير جامد تماماً ولذلك لا يمكن تداوله في التجارة وانما يرسلون منه زجاجات محكمة السد تحتوي الواحدة منها من ٥٠٠ غرام تباع بنحو ثمانية غروش وتلك الزجاجات تحفظ السكر من الفساد ولكنها اذا استمرت مفتوحة هنيئة خسر السكر ونفث طعمه والتجار يستعملونه لاصاق الفلافات وطوايع البريد و يصطنع الصينيون نوعاً آخر من الجاورس فيسخرجون عصارة النباتات ويضعونها اياماً في اوعية صغيرة معرضة لحرارة الشمس فلتنجيز المياه ويرسب في قعر الوعاء مقدار من السكر ينشرونه على مائدة

المقابر

الاركيولوجيا

Archéologie

الاركيولوجيا كلمة يونانية معناها الكلام على العاديات او الآثار القديمة . وقد خص استعمالها مؤخراً بالبحث عن قدم الانسان وحال معيشته حتى زمن التاريخ وقبل الدخول في البحث عن تاريخ الانسان القديم لا بد من تمهيد جيولوجي لشدة علاقة موضوعنا بعلم الجيولوجيا — اي قدم العالم — فنقول :

يرى معظم علماء الجيولوجيا ان الارض كانت قديماً سديمية القوام ثم جمدت فبردت قشرتها الظاهرة بعد زمن طويل الى ان صارت صالحة لظهور الحياة عليها فظهرت (بقوة عللة الملل) منذ مئات الالوف من السنين . ويسمى زمن ظهورها بالدور الثلاثي وتلا هذا الدور الرباعي فوجد الانسان في اوائله على الاربع . ويرى بعضهم ان الانسان ظهر في أواخر الدور الثلاثي غير ان الآثار التي يعتمدون عليها لتعريفهم ليست بثبت . ثم جاء العصر الحجري الطويل المدة حين كان اسلافنا الاقدمون يستخدمون الادوات الطارانية من حجارة الصوان . وعقب هذا الزمان البرونزي فالحديد وفيه بدأت الحضارة الحقيقية ووضح التاريخ . والازمنة الثلاثة الاخيرة من اخص مباحث علم الاركيولوجيا

وتختلف مدد هذه العصور في طولها فبعضها يخطئ عشرات الألوف من السنين وبعضها كالزمان البرونزي لا يتجاوز ثلاثة آلاف سنة

وبما ان ما اكتشف من آثار الدور الرباعي لا يزال في معرض البحث والتخليص من شوائب الربب نبدأ ببيان عاديات العصر الحجري التي قد كشف للآن شيء كثير

منها . و يتبين من هذه الآثار ان الانسان ظهر على الارض منذ نحو عشرين الف سنة على الأقل ومائة الف سنة على الأكثر

العصر الحجري — هذا العصر قدم جداً سابق لآقدم التواريخ البشرية من مثل الميوزوغليفية المدونة على هياكل مصر وفي مدافنها . وانتهى على الجملة قبل المسيح بنحو ثلاثة آلاف سنة . غير ان بعض البلدان كـ مصر كانت قد تجفرت قبل المسيح بستة الى سبعة آلاف سنة وغيرها بقي الى مابعد ذلك بزمان طويل في حالة الحمجية كما يرى اليوم في سكان استراليا الاصليين وبعض اهالي جزر المحيط وغيرهم المنفصلين عن العالم المتحضر

ويقسم علماء الاركيولوجيا العصر الحجري الى عدة ازمته أضربنا عن ذكرها لتسوق الكلام عليه هنا خلواً من عرقلة التقسيم والتداخل

ويظهر من الآثار القديمة ان الانسان لم يهتد في اوربا الى استعمال المعادن الا قبل التاريخ المسيحي بالفين الى ثلاثة آلاف سنة حين بدأ استعمال البرونز وبعد ذلك استعمال الحديد (قبل المسيح بنحو الف سنة)

ولذلك فالعصر الحجري في اوربا وكثير من انحاء العالم انتهى في بدء زمان استعمال المعادن بعد ان استمر زماناً طويلاً

وقد وجدت آثار عديدة في جميع انحاء العالم تدل على ان الانسان استعمل الادوات الصوانية في محيته حيث حل في القارات الست . وسكانت هذه الادوات خشنة الملمس غير منقنة في اوائل عهد الحمجية ثم انقنت شيئاً في زمن سكن الكهوف ثم صقلت وارتقت في اواخر هذا العصر الذي تلاه زمن يسمى بالجديد وهو ما نسميه هنا بزمن العبور من العصر الحجري الى الزمن المعدني اي استعمال المعادن

وفي جملة ما عثر عليه الباحثون من البقايا الحيوانية والآلات الصوانية في كنت بيلاد الانكليز وفي بلجيوم والمانيا وفرنسا ومصر وآسيا واليابان واواسط افريقية والمكسيك وغيرها ما يدل دلالة واضحة على كيفية معيشة الانسان قديماً وعلى انواع الحيوانات المعاصرة له التي انقرض بعضها الآن كالموثر والفيل الكبير ونوع من فرس البحر هائل الجثة وكثير من الطيور التي لوراً بنا هياكلها الآن لهاك . كبر حجمها وغرابة منظرها

وقد وجدت عظام هذه الحيوانات المنقرضة بجانب ادوات الانسان في مدافنها

وكهوف. ورئي شيء من لحم بعضها لا يزال لاصقاً بالعظام
العصر الجليدي — واستدل علماء الآثار من أدلة عديدة وجدوها في طبقات
متباعدة العمق تحت الأرض وفي كهوف كلسية ان نصف الكرة الشمالي كان معتدل
الهواء في اواسط الدور الثلاثي الا ان سطح اوروبا الشمالي كان في ذلك الوقت غير ما
كان عليه في الدور الرباعي بعده . فكانت مياه الاوقيانوس الشمالي تغطي جميع
الاراضي الواقعة الآن الى الشمال من خط يمد من جنوب انكلترا الى بطرسبرج . وبعد
ذلك شخصت جبال الألب والتوقاس والكربتيان وباقي الجبال فغيرت هواء تلك
الاصقاع بما أحدثته من الرطوبة والبرد فثجلت المياه وكانت تذوب صيفاً فيتكون منها
انهر جليدية تكسح في طريقها الشواخص وتتحد المظمنات حاملة الاوحال الى ابعاد
سحيقة وجارفة الصخور تحل بها وجه الأرض . فنجم عن ذلك النواتي الصخرية والرواسب
التراية في السهول كما نشاهده اليوم . ويقدر العلماء ان عمق الجليد في الدور المذكور
المسمى بالجليدي ايضاً بلغ في جهات اسكندينايا نحواً من ستة آلاف قدم . وجعل
يقط شيئاً قشيباً في الجنوب حتى محاذة انكلترا ولكنه لم يبلغ قط جنوبها كما ظهر من
تحليل تربة الانهر الجليدية عند لندن .

والغريب انه كان يخلل هذا الدور الفارس مدد معتدلة الهواء تدل عليها بقايا
الاشجار والحيوانات المتحجرة . فتجليات كهذه لا يمكن تصورها كما هي حقيقة لعدم
وجود مماثل لها في عصرنا الثابت او القليل التغيرات

زمن سكنى الكهوف — حدث في القرن السادس عشر ان عني اهل اوربا بالبحث
عن قرن الكركدن القديم المعروف بوحيد القرن لاعتقاد عامتهم ان لهذه القرون
خاصة الشفاء من كثير من الامراض فجر البحث عنه ذلك الى اكتشاف كثير من
الكهوف والمغاور التي كان يسكنها الانسان . ووجد فيها من الآنية والادوات
الظرانية ما يكفي للدلالة على نوع معيشة الانسان في اواسط العصر الحجري . الا ان
هذه الابحاث لم تأخذ وجهة علمية الا منذ نحو قرن حين عثر على مغاور الضباع الهائلة
التي كانت تفترس المموت وفرس البحر . وكان المظنون ان هذه الآثار مشابهة لظهور
الانسان غير انهم اكتشفوا بعد ذلك كهف كنت وهو من هذا النوع فوجدوا فيه آثار
الانسان وآثار هذه الحيوانات المنقرضة جنباً الى جنب فلموا ان الانسان كان معاصراً لها
وقد ارثى شيئاً حتى انه يشبه بعض متوحشي اوستراليا اليوم . ولكنه ارقى من

متوحشي جزائر سندويج لانهم اكتشفوا على نقوش ورسوم رسما على العظام تشهد له بالتفوق حتى على بعض منطحي اهل زماننا

واني شهدت رسم الوعل والموث وغيره منتولاً عنه عظام محفوظة في مخف بريطاني فدهشت لدقة صنعها واتقان رسما انتا، نقضي له حكمة ورياسة وارتقاء عقلي مما لا يمكن ان يتم الا بعد عصور عديدة من التقدم التدريجي . ويشصف هذا الزمان بكثرة الاوهام حتى ان لعظم اوهام اوربا علاقة بسكان الكهوف

زمن الطران المصقول — بمد ان مضى على الانسان روح من الدهر وهو يستعمل الآلات الصوانية السمجة الكل الختنة الملس توصل الى صتلها وجمالها مستطيلة اكثر من سابقاتها المائلة الى الاستدارة وجعل يعني بمقالع الصوان ويبحث في الارض بقرون الحيوانات كالوعل لاستخراج افضل انواعها . وكان يستعمل المطارق من الصوان ايضاً ومن الحجارة المستديرة القاسية . وفي هذا الزمان كثرة اثار الانسان في الارض لان آثاره وجدت في معظم جهات العالم

زمن العبور من الممجية الى الحضارة — مر على الانسان نحو من الف سنة حاول فيها العبور من استعمال الحجارة الى استخدام المعادن . وكان الناس في آخر هذا الزمن قد ارتقوا كثيراً عن سابق عهدهم حتى انه وجد عند اكتشاف اميركا من بقايا الهنود وآثارهم الراقية ما يجعل سادتهم الاسبانين الفاتحين ووجدت كتابات رمزية في المكسيك لم يهتد اليها الى حل رموزها الى الآن ولسوف تحل مع الزمان فيكون من وراء ذلك أعظم فائدة للتاريخ . لان في لمكسيك شيئاً كثيراً منها فلا نقل فائدتها عن كشف رموز اللغة الهيروغليفية في وادي النيل خصوصاً لان رسومها تماثل شيئاً ما في الهند والصين وحيواناتها تشبه حيوانات هاتين المملكتين فاذا حلت هذه الرموز كانت للعلم من اثنى الكنوز

ويمتاز هذا الزمان بوفرة كوم بتايا الاطعمة من اسداف الاسماك وغيرها لان معظم المساكن كانت بالقرب من البحيرات والانهر وكان لها منافذ للنجاة الى المياه عند الوقوع في خطر من هجوم الضواري . ووجد كثير من آثار الابنية على الآكام وعلى مرتفعات صناعية محضة وحولها ركام من فضلات الماء كولات وهي اسماك وحيوانات ونباتات بعضها مطبوخ بالنار

اما في سويسرا حيث البحيرات الجميلة تحيط بها الجبال فيظهر ان الانسان هناك

سبق جيرانه في الارتقاء مستقلاً استقلالاً نوعياً فكان يبنى أكواخه على ضفافها ويبنى فضلات طعامه فيها ويبنى الحظير بفتح نوافذ الى المياه او يبنئ مسكنه في وسط الماء كما شوهد في بعض الاماكن ولذلك انصرف ايضا الى زراعة القمح والذيريم صيد الاسماك والحيوانات . وتوصل الى صنع الخزف ونسج الحصر والحبال وشي من الاثواب وكانت أهم ادواته الحجر وقرن الوعل .

ويمتاز جميع أهل هذا الزمان بإقامة ابنية مستديرة الشكل منجبة الى الشرق او الغرب او الى احد الكواكب ولها دهاليز تحت الارض . والاربع انها هياكل . وقد علم من انحراف اتجاه الشمس عن الهياكل التي كانت مخصصة لها انها بنيت منذ نحو النبي سنة قبل المسيح . وبعد هذا التاريخ بدأ استعمال المعادن في انكترامع انها كانت مستعملة في مصر وغيرها قبل ذلك .

الزمن البرونزي — كان البرونز وهو مزيج من النحاس والتنك مستعملاً في آسيا وغيرها فأدخل استعماله الى اوربا قوم من السلتيين سلالة الآر بين هاجوا اوربا من جهات مختلفة . فاستعمل البرونز اولاً في كريت قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة وفي صقلية بعد ذلك بخمسة مئة سنة وفي فرنسا بعد صقلية بنحو مئة سنة ولم يدخل الى بريطانيا حتى سنة ١٨٠٠ ق م .

وكان هؤلاء السلتيون عند دخولهم انكترامع يحرقون بعض موتاهم ويدفنون البعض الآخر . واذا دفنوا احداً وضموا معه آلة عمله وسيناً من الطعام ليتبلغ به في العالم الاسفل واما لتساؤمهم من بقاء عذته وطعامه بعد موته

ومن الغريب ان يستعمل الانسان البرونز اولاً وهو مزيج مركب مع امكانه استخراج الحديد حالاً من معدنه الاصلي . ولعل هذا المشكل يحل فيما بعد اما الآن فيظن ان الانسان وقع عرضاً على شيء من هذا المزيج فوجده وافياً بالغاية وعلم نسبة تركيبه بالاختبار وهي ١ الى ٩ فجرى عليها

وعلم ان اول معدن نحاسي عثر عليه الانسان وجده في السواقي والجداول حيث كانت اهل العصر الحجري يبحثون عن مواد صوانية ينعون منها ادواتهم . فكتب اهل الزمن البرونزي ما وجدوه منه في بوائق حجرية محفور فيها رسم القوس والسيوف وغيرها بمهارة تقضي بانجاب صناعتها اليوم . وكانت هذه الصناعة قد بدأت في مصر قبل ان يعرفها سكان شمالي البحر المتوسط .

وفي هذا الزمن كان الذهب كثيراً في ايرلندا بدليل ما صنع من الادوات المبتذلة منه . وان وفرة ما كان يستخرج منه مما يدهش ولا مثل لها الا في كوليبيا من اعمال اميركا الجنوبية . الا ان الفضة لم تكشف الا بعد الذهب بزمن ليس بقليل . واول ما ظهرت على ما نعلم في سواحل اسبانيا بجوار اناريا حيث وجد منها كثير من الحلقات التي تستعمل لتمتين المقابض الخشبية في اماكنها من تجايف الفؤوس

ومن الغريب مشابهة رسوم الادوات الحجرية في جميع انحاء العالم مما يدل على تفرق الانسان من بقعة كانت قديماً محدده الاصل

وخلاصة ما نقدم ان للانسان تاريخاً مقروءاً من هذه الادوات الصوانية والمعدنية تدل على ارتفاعه بارتقاء صنعه وتعدد ضرورها واشكالها مما لا يترك محلاً للشك في كون الانسان تدريجاً في معارج النشوء والارتقاء من الادمي العريق في الوحشية الى البشري ساكن الكهوف ومقتصر الحيوانات الى صانع الآلات البرونزية التي اجتاز بواسطتها من طور التوحش الى طور استعمال الحديد فالحضارة

وهو الآن قد ابدل العصر القديمة بعصر البخار وجعل ينتقل منه الى عصر الكهرباء . وعمما قليل نجد يأكل ويشرب ويلبس ويطير ويسبح وينام وبسائقه وبنين ويهدم ويزرع ويحصد ويطبخ ويسافر ويشهد الالعب والملاهي على الارض وفي القبة الزرقاء بمساعدة قوة الكهرباء

هذا هو متوحيش الامس ومقنصر اليوم فما عسى ان يكون انسان الغد ؟

لا ريب ان الكثير من غرائب الزمان لا يزال محجوباً للانسان ومن يعيش ير

خليل سعد

بيروت

ما ذا يقال

الطابور ام التابور

كان الكتاب يقولون دائماً « الطابور » ومنذ وقف احد اعضاء نادي دار العلوم على كلمة « تابور » في تاج العروس واذا بها بين الناس لم نعد نرى الا القليلين يكتبون الكلمة بالطاء والسبب ان ورود الحرف المذكور منصوص عليه بالتاء في التاج ولم يتعرض له بالطاء . فيستنتج ان « الطابور » عامية وبالتاء افصح

قلنا : ١ — ان تعاقب التاء والطاء وبالعكس بالعربية مما لا يحتاج الى التصريح به . فان الالفاظ من هذا القبيل تعد بالثلاث لا بالعشرات . وربما نستطيع ان نغلا نصف عدد من اعداد المكتسب بمثل هذه الكلم التي تتعاقب فيها التاء والطاء . على اننا نجتري بذكر بعضها من ذلك : القطر والفترة (الناصية) . وما استطيع وما استيع . وهرت الثوب وهرطه . وطاح وتاه . وعفت في كلامه وعفط . (لواء عن وجهه وكسره لكنته) وذهب دمه تلقاً وعلقاً وعليه فتكون تابور وطابور من هذا الباب ولا سيما لان كلتا اللفتين مشهورتان .

٢ — عدم ورود لفظة في ديوان لغة لا يعني صحتها . لان المعاجم لم تدون جميع الفاظ العرب . وحسبك دليلاً على ذلك ان المعاجم التي أنشئت في صدر الاسلام هي دون المعاجم المؤلفة اخيراً في السعة وكثرة تعدد الالفاظ . أفيسفنتج من ذلك ان ما جاء في هذه الكتب المتأخرة هو من اوضاع العوام او دون الاولى فصاحة . مع ان ما قيد ودون في أخريات هذه الازمان قد يكون اقدم عهداً مما جاء في دواوين اللغة المؤلفة في القرون السابقة .

٣ — ليست طابور محرفة عن « تابور » وانما الطابور كلمة دخيلة قديمة العهد سيف العربية ربما كانت قبل سنة ٧٣٢هـ (= ١٣٣١ م) واما « تابور » بالتاء فانها حديثة العهد لم تدخل لسان آل عثمان الا بعد سنة ١٥٦١ م (= ٩٦٩) ولم ترد في كتب العرب الا بعد شيوع اللفظة التركية بين العثمانيين . والذي استزل اهل النادي للقول بعربية اللفظة وجودها في تاج العروس بلا تنبيه على عجمتها . بيد ان صاحب التاج كثيراً ما يغفل عن اصل اللفظة . والافسائر امهات اللغة ودواوينها القديمة لاتذكرها

واما طابور بالطاء فاقد منبأ بكثير . فقد جاء في تاريخ ابن خلدون المغربي في كلامه عن اخبار سيف ذي يزن : « ولما استوثق لذي يزن الملك جعل يمتسف الحبشة ويقتلهم حتى اذا لم يبق الا القليل جعلهم خولا واتخذ منهم طوابير يسعون بين يديه بالخراب » اه و انت تعلم ان ابن خلدون ولد سنة ٧٣٢ هـ (= ١٣٣١ م) وقضى نحبه سنة ٨٠٦ هـ وقيل ٨٠٨ هـ (= ١٤٠٣ او ١٤٠٥ م) فتكون طابور وجمعها طوابير قبل استعمال ابن خلدون لها وبعد انتشارها بين العرب وقسوها في المغرب .

اذ : الطابور انصح من التابور ولو كانت كلتا الالتين دخيلة

ايقال طيارة ام مطيرة

كثر الكلام في هذا الهد عن الآلة التي اخترعها الاجانب للتخليق بها في الجو المعروفة عند الفرنسيين باسم *Aéroplane* فساها كتاب العرب « طيارة » الا ان هذه اللفظة مشتقة من طار يطير اللزوم فيكون : اما : هذه اللفظة التي يتخذها الصبيان من الورق فيطلقونها في الهواء وترفع فيه من ذاتها . واما الآلة التي يتخذها الانسان ليخلق بها صمداً فانما تتخذ لتطير الانسان وترفعه في الجو فهي « مطيرة » لا « طائرة » وبالاصل لان راكبها هو الذي يسيرها يديه . فالاصح فيها ان يقال « مطيرة » اية الآلة المطيرة لا « طيارة » لا سيما ان هذه اللفظة مخصوصة بالهنة المذكورة المشهورة نعم قد يجوز ان يقال انها طائرة او طيارة لارتفاعها في الهواء ونسبة الفعل اليها كنسبته الى صاحبها . لانه اذا اطارها ولم تطر لم يقد عمله تياراً . وعليه فكلامهما طائران في الهواء الا ان التحقيق احب الى اللغوي من إلقاء الكلام على عواهنه بدون تبصرون تدبر . ومن ثم فعندنا ان القول بأن « المطيرة » اصح من « الطيارة » سيفي هذا المعنى هو ارجح ووجهه أبين . واستعمال الكتاب لما يعني كل معنى ثان ويمنع الفكر من ان يتصور المعنى الاول المقود بتناصية الطيارة

أيقال وسط ام محيط ام حال ام بيئة ام مرنى ام مشأ

للانرج لفظه « *Milieu* » ومعناها حرفياً « الوسط او المحيط » ويريدون بها مجازاً : الوطن الذي يوافق عيشة الانسان الادبية او العملية او العمرانية » فقال كاتب يقابلها في العربية « الوطن والاقليم » وليس الامر كذلك فالوطن هو *la patrie* والاقليم هو *le pays* او *le climat* فقد يكون كل منهما وسطاً للانسان الا ان معنى الوسط اعم من هذا كما يظهر لادنى تدبر . ثم صدل عن رأيه هذا وقال

في الحال وهذا ايضا خطأ . فالحال يقابله عند الافرنج *l'état* . اما البيئة فافصح من الوطن والاقليم والحال اذا اردنا بها الابانة عما في خاطرنا من معنى الوسط والمحيط . علي ان الذي ورد عند العرب من هذا المعنى هو المربي والمنشأ . وقد وردت الاولى مراراً عديدة في مقدمة ابن خلدون . وترجمها ناكلها الى الفرنسية بلقطة *Milieu* المذكورة من ذلك مثلاً ما جاء في الفصل الذي عنوانه « ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم » من الغريب الواقع ان حملة العلم في الملة الاسلامية اكثرهم العجم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية الا في القليل النادر . وان كان منهم العربي في نسبتة فهو مجمي في لغته ومرماه ومشيخته مع ان الملة عربية وصاحب شريعتها عربي « اه » .

وهذه اللفظة قد تكررت مراراً لا تعد في هذا السفر . وقد ورد بهذا المعنى لفظة منتأ ووجه الترادف واضح .

علي اننا لا نرى سبباً لردل كلمتي « وسط ومحيط » فانها تفيان بالمراد من باب المجاز و باب المجاز واسع لم يقيداه الاقدمون بقيود من حديد ولم يضموا له قواعد غير القواعد المروفة عند جميع اهل اللغات . وعليه فان جاز الافرنج ان يقولوا بهذا المعنى « الوسط والمحيط » فلما ذا يحظر على العرب العلفظ بمثل هذه الحروف . ان هذا لما ياباه كل عاقل عارف بأداب اللغات .

بفداد

ساتسنا

الزلافة العظمى

في دمشق واعمالها

قرأت في الجزء السابع من التذكرة الكالية لجندا المرحوم الشيخ كمال الدين النزي هذه الوقعة العظمى فاحييت ان اطلم القراء عليها نعمة لتاريخنا الحديث قال :

انه في سنة ثلاث وسبعين ومائة والف سادس ربيع الاول في الساعة العاشرة من الليل قد رجفت الارض رجفة مقلقة برياح عواصف ورعود قواصف فطاشت لها المقول وحصل واليباذ بالله غاية الدهول وتخلعت السقوف وتشققت الجدران وهدمت في الشام بيوت لا تحصى وسقطت رؤوس مآذن دمشق فيها المآذنة الغربية والشرقية

في جامع بني أمية وقع منها في تلك الساعة حصة ومنازة العروس في ذلك الجامع ذهب منها شيء يسير وبقيّة منارات جوامع دمشق لم يسلم بها الا القليل وتلتها رجفات وزلازل وفي ثاني يوم من تلك الليلة ضحوة النهار رجفت الارض وتزلزلت زلزلة شديدة فسقطت من منارة الجامع الشريف الأموي الشرقية جدران الشرقي والشمالي وسمع لها صوت هائل وما من منارة بدمشق الا وهي بناؤها حتى ان منارة السليمية المحيوية بصالحية دمشق طارت منها حصة وافية وسقطت والجامع المظفرى بها ايضا ومنارة جامع سيدي والجامع المعلق وجامع حسان وجامع الامير منجك بمحلة مسجد الاقصا ومنارات الجامع بمحلة الميدان وبقيّة منارات جوامع دمشق نقصت ولم يسلم منها الا النزر القليل وقبة النسر العظمى في الجامع الشريف الأموي تشققت ووهت وتشقق الجدار الشرقي من هذا الجامع وهى وخرب أكثر دور دمشق ووقعت تلك الليلة سقوف وبيوت لا تحصى ووقعت شراريف الجامع المزبور وكان طول كل شرافة مقدار خمسة اذرع على حائط حول سقف الجامع مقدار قامة من حميم جهات الجامع الاربع بحيث ان الشخص اذا وقف على سطح الجامع لا يرى شيئا من الدور التي حوله فسقطت تلك الشراريف وهدمت بعض الاماكن المجاورة للجامع كدار بني الغزي وحجرة الخلوتية الطباقية بالخانقاه السيسائية ورمت قبو ابوانها وهذه الاماكن شمالي الجامع وفعلت ببقية جهاته كذلك وفعلت افعالا عنيفة في الاجمار وانصدع في الجامع العمود الذي تجاه باب مشهد الحيا الشريف النبوي تجاه العضادة الكبرى وبقيت الرجفات والاهتزازات لنوالى ليلا ونهارا الى آخر شهر ربيع الاول والعاس يدعون الله تعالى في اذهاب تلك الشدة التي ما عهدوا مثلها وقرأوا صحيح البخاري مرتين والقرآن العظيم مرارا وتوسلوا في رفع ذلك بكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم

وانهدم في تلك الليلة المتقدمة في بيت الشهاب احمد المني مكنان احدهما فوق الآخر فسقط الاعلى فوق الاسفل فقتل تحت الردم في الاسفل ستة انفس من اولاده وعياله جرحهم بحجة ذلك اليوم ودفنهم جملة واحدة بمرج الدحداح وثلاثة انفس آخر سقطت عليهم منارة في محلة الميدان ورجل وقع عليه هلال منارة جامع حسان فقتل ايضا . وفي تلك الليلة تزلزلت بلاد صفد فذهب أكثر أهلها قتل وقتل بها من اليهود ألف وثلاثمائة نفس وذهبت حصة عظيمة من بلاد نابلس وقتل بها خلق كثيرون وتزلزلت عكا وذهبت حصة من برجها في البحر وطبريا ودير حنا وقلعة الجندل وبلاد الشوف

وسائر بلاد الساحل الشامي كصيدا وبيروت واللاذقية وياقا وحيفا وباقي تلك البلاد الشامية ولم يبق في جبل الدروز قرية الا واصابها حادث عظيم وبلاء جسيم وتهدمت الخانات على من بها من القبول وفي دمشق قتل ما لا يحصى من الرجال والنساء والذي اصاب مسجد دمشق ما عهد مثله وهذا الزمن الذي حصل فيه هذا البلاء في البلاد في اقل من درجة نسال الله السلامة من احوال الحشر والقيامة

ووافت الناس من سائر الاقطار من الوجه الغربي والساحل يقولون لاهل دمشق احمدا الله تعالى على ما حكم به من اللطف فان الخارجين عنكم لم يسلم منهم الا القليل واغاث الله تعالى بكافل دمشق الدستور الاعظم الوزير عبد الله باشا ابن ابراهيم التميمي بجهته ومنتولي اوقاف الجامع المنار اليه شيخ الاسلام علي بن محمد بهاء الدين بن محمد مراد المرادي الحسيني النقي بندي مفتي السادة الحنفية بدمشق فبذل الوزير المصلحة في اصلاح المنارات ونقض المنارة الشرقية الهائلة التي اعجزت البنايين واهل الصنائع ان يضموا ايديهم فيها لما هي عليه من البناء الهائل المتداعي للسقوط وطلبت طائفة البنايين من النصارى اموالاً عظيمة على نقضها وان يجعلوا لذلك السقايل الهائلة من الاخشاب حولها لاجل النقض فأمر الوزير بقطع الاخشاب ونقلها للجامع فقطع شيء كثير من الفيضة الشهيرة الكائنة بالوادى بدمشق ومن غيرها ونقل الى الجامع حتى املاً خشباً واجتمع جميع نشاري دمشق لنشره قطعاً ضخماً كل قطعة سمكها مقدار ثلث ذراع او ربع ذراع وشرع البناؤون في عمل السقايل لاجل النقض حول المنارة الزبورة واستعظم طائفة البنايين من النصارى نقضها فانشد رجل من طائفة النجارين المسلمين لنقضها من غير سقالة وطلع الى رأس المنارة الى ان انتهى الى هلالها ولم ينزع من ثيابه شيئاً بل خرج بقاووقه وشيشيره وأخرج معه مطرقة وازميلاً حديداً صغيراً وصار يقلع بهما الاجار وبلقيها الى اسفل والناس ينظرون اليه من صحن الجامع ونقض في ذلك الوقت حصة من المنارة وكانت اعلا ما هي عليه الآن بخمسة وثلاثين ذراعاً واغلظ بمقدار خمسة اذرع وهلالها فوق شاش من الحجر الكبير وبذل الوزير للنجار موكناً حاضراً لما سعد الى المنارة جائزة ووعدته انه اذا تم العمل ان يقابله بالجوائز السنية واخذ البناؤون في تهية اسباب البناء من عمل الدواليب وحفر الأسس

ثم استهل شهر ربيع الثاني يوم الاربعاء في ليلة الاثنين سادس الشهر المذكور بعد صلاة العشاء بالجامع الشريف بنحو ثلث ساعة رجفت الرجفة العظمى والزلافة الكبرى

التي لم يرو ولم يبعد مثلها في سوائف العصور فصارت الجبال تمور والارض تغور والمياه تغور وبقيت بعد مكنونها تنوالى رجفات لطيفة الى ان اصبح الصباح واستمرت نحو درجتين فانخلت لها القلوب وصار الناس يبتهلون بالدعاء والتفزع لعلام القيوب وحارت العقول وطاشت الرجال الفحول وثار في ذلك الوقت الفجار والقمام واشتد في ذلك الآن الظلام وادهمش الناس في ذلك الخطب المم والمرعب المدلم الذي انمقدت له الاسن وخرست وغارت له العيون والشفاه يبست وصارت الارض تقور وتغلي مثل المرجل وانكشفت تلك الساعة عن غالب منارات دمشق بالسقوط وبالتصف والمأذنة الشرقية الأموية المنقدم ذكرها وقت الى الاسفل ولم تحوج الى فك وسقطت قبة النسر في الجامع المرقوم مع عظمها وسقط جميع الرواق الشمالي باعمدته المحككة وعضاداته وكان مشتتاً على عضادات واعمدية بين كل عمودين عضادة مبنية بالرخام وانواع الحجارة المثمنة من اسفلها الى اعلاها وسقطت المنارة الشرقية على جهة الجابع فهدمت مقدار ثلث المعازب الثلاث التي يقر بها وتشقت غالب الجدران واشترفت على السقوط فسهان الفعالي لما يريد الحي القيوم الذي لا يموت

ولم تبق قبة في دمشق الا واصابها عاهة او سقطت ولم يسلم منها الا النادر وسقط جميع جامع بلبغا مع قبة المائلة ومنارته مع ان بناءه كان في غاية الرصانة والمتانة وسقط من الخان البديع الذي بناه الوزير اسعد باشا والي دمشق ونائبها ثلاث قببات هائلة وتهدمت دور دمشق الا القليل وكثرت القتلى في تلك الليلة وتهدمت القرى التي حول دمشق وهلك بسبب ذلك من الانفس والمواشي ما لا يحصى كثرة وكان من جملة قربة التل قتل بها تحت الدم ما ينوف على خمسمائة ولم يسلم منها الا القليل وقرى الجبل كالقائمة والزبداني ووادي بردى هلك فيها تحت الهدم ما لا يعد ووقع سور مدينة دمشق في نهر عقر باحد انهار دمشق فسد سور قلعة دمشق الغربي سقط جميعه وسد نهر باتياس وسدت الطرق بالتراب والاختشاب والصخور وصارت السماء مع الارض تمور وتلف من الاموال والانفس ما لا يحيط به حد ولا يحصره عد وذهب من الاثاث والامعة والاواني الصيني وغيرها الشيء العظيم الكبير فسيح من قضى بذلك ليعلم العباد ان كل شيء هالك الا وجهه فصار الناس لا يألون الاوطان ولا يستقرون بمكان وخرج اهل دمشق جميعاً باموالهم وانفسهم وعيالهم الى خارجها ونصبوا اغياماً ونقوا مقدار ثلاثة اشهر وهم في الخارج وقد نظم في تلك الزلافة المائلة الفاضل

العالم الاديب مصطفى بن احمد بن محمد الديماطي اياتاً قال
ان ناسبت اوقات أنس نقضت لست أنسى ليالي الزلزال
اذكرنا كيف المنام بمهد وأرتنا بالعين رقص الجبال
أشهدتنا تمايلات قصور باهتزاز كحالة الاطفال

ولما عرض كافل دمشق الوزير عبد الله بن ابراهيم الشهير بالجنجي الى الابواب
العالية السلطانية بقسطنطينية المحمية حال الجامع الشريف الاموي المزبور وقلمة دمشق
وما اصابها من الانهدام وسألوا الدولة في تعميرها وكان صاحب التجنث العثماني السلطان
مصطفى ابن السلطان احمد فلما وصل الخبر اليه صدر الامر منه بتعميرها وارسل اميناً
على العمارة المزبورة احد البوابين بالاابواب العالية مصطفى بن محمد الشهير باسباخنجي
فلما وصل الى دمشق بالاوامر والاموال وذلك في سنة اربع وسبعين ومائة والالف نزل
كافل دمشق الوزير عبد الله باشا المذكور الى الجامع وحضر معه قاضي قضائنا اذ ذاك
المولى ساطع علي بن مصطفى ختن علي احمد افندي ومفتي الحنفية بدمشق ومتولي
اوقاف الجامع المزبور المولى العلامة شيخ الاسلام علي بن محمد المرادي النقشبندي وبقية
اعيان دمشق من العلماء وكشفوا عما يحتاج اليه الجامع المزبور وجمعوا المهرمين والمهندسين
وارباب الصنائع من كل حرفة تتعلق بالتعمير فامرهم المتولي على العمارة ان يشرعوا في
اعادة ما انهدم ومرمته انتهى .

محمد فهدى الغزي

دمشق

في خمسين قرناً

اليك اربعائة وخمسين حادثه كبرى من حوادث خمسين قرناً او منذ فجر التاريخ
المعروف حتى فجر القرن العشرين

« قبل المسيح »

في سنة ٣١٠٠ أسس نمرود مدينة نال

في سنة ٢٣٢٤ بدأ الكلدانيون برصد الاندلاک

في سنة ٢٢٥٥ ظهرت سلالة (الهيا) الملوکية في الصين

في سنة ٢٦٢٩ استعمر آشور بلاد آشور

- في سنة ٢١٨٨ استعمر مصر ايم مصر
في سنة ٢٠٠٠ شرع باستعمال الكتابة المسماة
في سنة ٢٠٠٠ أسس نينوس نينوى
في سنة ١٩٩٦ ولد ابراهيم الخليل
في سنة ١٩٢١ دعي ابراهيم من أور الكلدانيين الى ارض الميعاد
في سنة ١٨٩٦ ولد اسحاق
في سنة ١٨٥٦ أسست مملكة ارغوس
في سنة ١٨٣٧ ولد يعقوب وعيسو
في سنة ١٧٢٩ بيع يوسف من المصريين
في سنة ١٥٨٢ دوتن تاريخ الاربوندليين على صفائح رخامية جلبت الى انكلترا على
عهد الملكة حنة سنة ١٦٢٧ للمسيح
في سنة ١٥٧١ ولد موسى بن عمران وقضى نحبه في سنة ١٤٥٠
في سنة ١٥٠٠ ملك سيزوستريس مصر
في سنة ١٤٩١ انطلق بنو اسرائيل من مصر الى ارض كنعان
في سنة ١٣٥٢ بدأ حكم قضاة بني اسرائيل وانتهى سنة ١١٩٣
في سنة ١٢٧٣ قامت دولة الآشوريين
في سنة ١١٣٦ قام شمشون الجبار بمجزرة الفلسطينيين ومات سنة ١١٢٠
في سنة ١١٨٤ حدثت حرب ثورجان
في سنة ١١٢٥ ظهر صموئيل النبي
في سنة ١١٠٠ أسست في اله بن مملكة اشوا
في سنة ١٠٩٥ نصب شاول ملكاً على بني اسرائيل ومات سنة ١٠٥٦ ومات يوناتان
في السنة نفسها
في سنة ١٠٥٥ نصب داود ملكاً على اليهود وفي سنة ١٠٤٨ استولى على اورشليم
ومات في سنة ١٠١٥
في سنة ١٠٥٠ نصب قودرس ملكاً على اثينا
في سنة ١٠٤٨ - ١٠٠٦ ازهرت صور على عهد الملك حيرام بالصناعة والتجارة والعمران
في سنة ١٠٤٢ نقل تابوت العهد لبني اسرائيل الى اورشليم

في سنة ١٠٢٣ قام ابشالوم بالثورة
 في سنة ١٠١٢ بُنِيَ بيناء الهيكل سليمان العظيم وفي سنة ١٠٠٠ أتم الملك سليمان بناءه
 في سنة ٩٧٥ تولى رجبام اريكة الملك
 في سنة ٩٧١ تمرد عشرة أسباط من اسباط بني إسرائيل بقيادة بر بعام على الملك رجبام
 في سنة ٩٧١ استولى المصريون على اورشليم ونهبوها
 في سنة ٨٨٤ أصلح ليكرغس شرائع اسباطة
 في سنة ٨٧٨ أسست مدينة قرطجة
 في سنة ٧٧٦ بدأ تاريخ اليونان وذلك في اول عهد الملاعب اليونانية التي كانت تحدث
 كل اربع سنوات يورخون بها
 في سنة ٧٥٣ أسست مدينة رومية
 في سنة ٧٤٧ استقلت مدينة بابل تحت حكم الملك نبوخذ ناصر (يختصر)
 في سنة ٧٣٠ أخضع الملك شالما ناصر فينيقية
 في سنة ٧٢٢ استولى سرغون ملك الآشوريين على السامرة احدى اقسام الارض
 المقدسة التي هي السامرة واليهودية والجليل
 في سنة ٧٢٠ حاصر سفاريز الملك اورشليم وهلك جيشه
 في سنة ٧٠٠ تولى يوليوس عنش الملك في رومية
 في سنة ٦٨٧ حدثت حروب مسينا للمرة الثانية
 في سنة ٥٩٨ حاصر نبوخذ ناصر اورشليم وفي سنة ٥٨٦ دمرها وصيرها خراباً وفي
 سنة ٥٧٩ ق م استولى على مدينة صور
 في سنة ٥٨٦ أفلت شمس مملكة اليهود
 في سنة ٥٥٠ أسس قورش ملكة ايران
 في سنة ٥٤٠ بدأ دور فوطيفار سيد يوسف بن يعقوب في مصر ودامت مدته
 عشر سنوات
 في سنة ٥٣٩ استعمر الفينيقيون مرسيليا في فرنسا
 في سنة ٥٣٨ استولى قورش على بابل
 في سنة ٥٣٦ أعنتى قورش اليهود من السبي
 في سنة ٥٣٥ تجمد بناء الهيكل في اورشليم

في سنة ٥٢٩ مات قورش
في سنة ٥٢١ تولى داريوس (دارا) أريكة الملك في بلاد المعجم وكان أول ملوك الفرس
في سنة ٥١٥ احتفل بافتتاح هيكل اورشليم للمرة الثانية
في سنة ٥١٠ حارت كل من رومية وأثينا جمهورية
في سنة ٥٠٧ تغلب دارا الملك على مكيدونية
في سنة ٤٩٠ فاز اليونان على الفرس في معركة بارثونة وفي سنة ٤٨٠ قهرهم سيف
معركة باس

في سنة ٤٧١ بُني اسنقولس مدة عشر سنوات
في سنة ٤٦٠ جدد نحميا وعزرا بناء هيكل اورشليم
في سنة ٤٣٠ ولد ثيودوس
في سنة ٤٠٥ حطم اسطول أثينا
في سنة ٤٠٠ ولد قينوفون
في سنة ٣٩٩ مات سقراط مسموماً
في سنة ٣٨٥ ولد ديموستينس الخطيب الشهير وقضى فيه سنة ٣٣٢
في سنة ٣٨٧ رفعت أعلام السلام فوق مدينة الفلاسفة أثينا
في سنة ٣٧١ حدثت معركة ليوقرة
في سنة ٣٦٢ حدثت معركة باثينا
في سنة ٣٤٢ نشبت حرب طاحنة بين الامتين اللاتينية والرومانية
في سنة ٣٥٠ دمرت صيدا
في سنة ٣٣٨ حدثت معركة قورنية وتحرر اليونان يومئذ من ربة الاسنهداد
والاستعباد

في سنة ٣٣٤ حدثت موقعة غرينقوس
في سنة ٣٣٢ اكتسح الاسكندر الكبير مدينة صور
في سنة ٣٣١ حدثت موقعة أرييلا (أرهل)
في سنة ٣٢٤ ظهر ديوجنيس الفيلسوف
في سنة ٣٢٣ مات الاسكندر الكبير
في سنة ٣١٧ حاصر الفرطنجيون مدينة سهرافوس

في سنة ٣٢٢ انتصر ديموستينس الخطيب
في سنة ٣١٦ قام أنطيوخس بمقام اسكندر الكبير
في سنة ٣١٢ ظهر ستوقوس
في سنة ٣٠١ حدثت موقعة أنسوس
في سنة ٢٨٤ نقلت التوراة من العبرانية الى اليونانية
في سنة ٢٨١ بدأت حروب بيرهوس الساحقة
في سنة ٢٨٠ ظهر نيقراط اليفسوف
في سنة ١٣٥ ابتدأ حكم انكاييين على اليهودية
في سنة ٧٢ قام السود بثورة هائلة
في سنة ٣٠ أصبحت مصر اقليماً رومانياً
في سنة ٣٠ تولى اغسطس قيصر الحكم
« بعد المسيح »

في سنة ٤ مسيحية ولد المسيح
في سنة ٢٩ صلب المسيح
في سنة ٤٠ دعي تلاميذ المسيح مسيحين لأول مرة في التاريخ
في سنة ٦٤ حدث أول اضطهاد للمسيحيين في رومية
وثاني اضطهاد في سنة ٩٥
وثالث اضطهاد في سنة ١١٠
ورابع اضطهاد في سنة ١١٨
وخامس اضطهاد في سنة ١٦٧
وسادس اضطهاد في سنة ١٧٧
وسابع اضطهاد في سنة ٢٠٢
وثامن اضطهاد في سنة ٢٣٦
وتاسع اضطهاد في سنة ٢٥٠ في رومية وأقاليميا
وعاشر اضطهاد في سنة ٢٥٨ في رومية وافريقية
وحادي عشر اضطهاد في سنة ٣٠٣
في سنة ٣٠٦ تبوأ قسطنطين عرش الملك

- في سنة ٣٣٠ فتح مدينة القسطنطينية
 في سنة ٣٢٥ اجتمع مجلس الدول العام لأول مرة في نيقية
 في سنة ٣٨١ اجتمع المجلس المذكور ثاني مرة في القسطنطينية (فروق)
 في سنة ٣٩٤ أبطلت شريعة عبادة الاوثان
 في سنة ٤١٠ غادر الرومان بريطانيا
 في سنة ٤٣١ اجتمع مجلس الدول العام ثالث مرة في أفسس
 في سنة ٤٣٩ استولى البرابرة على قرطجة
 في سنة ٤٤٩ غزا السكوفيون بريطانيا
 في سنة ٤٥٠ اجتمع مجلس الدول العام رابع مرة في خلكدونية
 في سنة ٤٥٥ نهب البرابرة رومية
 في سنة ٤٧٦ سقطت المملكة الفرزية
 في سنة ٤٨٨ حاصر الاشروغوطيون ايطاليا
 في سنة ٥١٠ صارت باريس عاصمة الكلوفاين
 في سنة ٥٢٧ ابتدأ جستين بالملك
 في سنة ٥٣٣ توالى انتصارات بالسار بوس في افريقية ومن سنة ٥٣٦ الى سنة
 ٥٣٩ ثابته انتصاراته في ايطاليا
 في سنة ٥٥١ عرفت لأول مرة في التاريخ كيفية اصطناع الحرير في اوربا
 في سنة ٥٥٣ انتهى ملك الاشروغوطيين في ايطاليا
 في سنة ٥٦٨ ملك (لومباردس) ايطاليا
 في سنة ٥٧١ ولد محمد نبي الاسلام (وعاش ستين عاماً)
 في سنة ٥٩٥ بمث اوغسطينس برسائه الدينية الى ايطاليا
 في سنة ٦٣٧ استنقذ عمر بن الخطاب عي اورشليم
 في سنة ٦٤٠ اكتسح المسلمون الاسكندرية بقيادة عمرو
 في سنة ٦٦٨ = ٦٧٥ انهزم العرب في القسطنطينية
 في سنة ٦٨٠ اجتمع مؤتمر الدول العام لسادس مرة في القسطنطينية
 في سنة ٧١١ حمل العرب حملتهم المشهورة على اسبانيا
 في سنة ٧١٦ = ٧١٨ فشل العرب ثاني مرة في محاصرتهم القسطنطينية

- في سنة ٧٣٢ هزم (مارتل) العرب في موقعة (طورس) العظيمة
 في سنة ٧٥٢ تولى (تيبي لي ريف) عرش الملك في فرنسا
 في سنة ٧٨٧ اجتمع مؤتمر الدول العام صابع مرة في نيقية
 في سنة ٧٨٧ نزل (دانس) في انكلترا
 في سنة ٧٨٨ ظهرت (ايوين) ملكة الشرق
 في سنة ٨٠٠ توج (كارلفن) في رومانية
 في سنة ٨١٤ مات الملك المذكور
 في سنة ٨٢٧ حكم (اغبرت) انكلترا
 في سنة ٨٤١ حدثت معركة (فونتانييل)
 في سنة ٨٦٢ أسس (روق) مملكة روسيا
 في سنة ٨٧١ ظهر الفرد الاكبر ملك انكلترا
 في سنة ٨٧٥ أسس (هروله فيرهير) مملكة نروج
 في سنة ٩٠١ مات الفرد الاكبر ملك انكلترا
 في سنة ٩١١ بعت استوريا من (رولو)
 في سنة ٩١١ استحوذ الامبراطور (كونراد) على جرمانيا
 في سنة ٩٣٦ نبغ (اوئو) امبراطور جرمانيا الكبير
 في سنة ٩٤٠ ظهر لقب امير الامراء لأول مرة في التاريخ
 في سنة ٩٦٢ نصب (اوئو) امبراطور جرمانيا السابق الذكر امبراطوراً على الغرب
 في سنة ٩٦٩ = ٩٧٥ نصب يوحنا (زمسكس) امبراطوراً على الشرق
 في سنة ٩٧٣ مات (اوئو) امبراطور الغرب
 في سنة ٩٨٧ ابتدأت مملكة (كابتين) في فرنسا
 في سنة ١٠٤٠ استحوذ نورمن على جنوبي ايطاليا
 في سنة ١٠٥٥ استولى الاتراك على بغداد
 في سنة ١٠٦٥ استولى المسلمون على اورشليم
 في سنة ١٠٦٦ بدأ ملك مالوك (نورمن) في انكلترا
 في سنة ١٠٨١ حدثت موقعة (دورزو)
 في سنة ١٠٩٦ حمل الصليبيون حملتهم الاولى على الشرق

- في سنة ١٠٩٩ استحوذ الصليبيون على اورشليم
 في سنة ١١١٨ أسس الصليبيون معهد الفقه
 في سنة ١١٤٧ حمل الصليبيون حملتهم الثانية على الشرق
 في سنة ١١٥٢ نصب فريدرش امبراطوراً على جرمانيا
 في سنة ١١٥٤ بدأ ملك ملوك (بلانتيفن) في انكلترا
 في سنة ١١٧٢ زحف هنري الثاني ملك انكلترا على ايرلاندا
 في سنة ١١٧٦ انهزم الجرمانيون بقيادة الامبراطور فريدرش في (لفانو)
 في سنة ١١٨٧ استولى صلاح الدين على اورشليم
 في سنة ١١٨٩ حمل الصليبيون حملتهم الثالثة على الشرق
 وفي سنة ١١٩٥ حملوا حملتهم الرابعة
 وفي سنة ١١٩٨ حملوا حملتهم الخامسة
 وفي سنة ١٢٠٣ استحوذوا على القسطنطينية
 في سنة ١٢١٥ حاصر الملك يوحنا في انكلترا (ماغانا كارنا)
 في سنة ١٢٢٧ حمل الصليبيون حملتهم السادسة على الشرق
 في سنة ١٢٢٧ نشر جنكيز خان لواء سلطته على العرب
 في سنة ١٢٣٧ باشر المغوليون دفع الجزية لروسيا
 في سنة ١٢٤٨ حمل الصليبيون الحملة السابعة على الشرق
 في سنة ١٢٦١ استرجع اليونانيون القسطنطينية
 في سنة ١٢٧٠ حمل الصليبيون حملتهم الثامنة على الشرق
 في سنة ١٢٧٠ سقطت مصر بأيدي المماليك
 في سنة ١٢٧٣ نصب (رولف هابسبورغ) امبراطوراً على جرمانيا
 في سنة ١٢٩١ انتهت الحروب الصليبية
 في سنة ١٣٠٧ بدأت الثورة في السويس
 في سنة ١٣٠٢ حدثت معركة (كورثري)
 في سنة ١٣١٤ حدثت معركة (بانو كبرن)
 في سنة ١٣١٥ حدثت معركة (مورغرن)
 في سنة ١٣٤٦ حدثت معركة (كرمي)

- في سنة ١٣٤٧ حكم (رينزي) رومية
 في سنة ١٣٥٢ اتحدت اقاليم السويس
 في سنة ١٣٦١ - ١٣٨٩ دوخ مراد الاول آسيا الصغرى
 في سنة ١٣٧٧ علوت سلطة الباباوات الى رومية
 في سنة ١٣٩٢ اكتشف البرتغاليون رأس الرجاء الصالح
 في سنة ١٣٩٧ وقعت الملكة مرغريت على المعاهدة بين الدنيارك واسوج ونروج
 في سنة ١٣٩٨ استولى تيمورلنك على (دهلي)
 في سنة ١٣٩٩ نصب هنري الرابع ملكاً على انكلترا
 في سنة ١٤٠٢ نال تيمورلنك على الاتراك العثمانية
 في سنة ١٤١٥ حدثت موقعة (اغنكورت)
 في سنة ١٤٤٥ ارثى قسطنطين عرش الملك في بزنطية وكان آخر ملوكها
 في سنة ١٤٥٣ بسط العثمانيون سلطانهم على بزنطية اي القسطنطينية غابراً
 والاسطانه حاضراً
 في سنة ١٤٥٥ ابتدأت حروب (روزس) في انكلترا
 في سنة ١٤٧٤ بلغ ميشل انجلو أوج شهرته
 في سنة ١٤٧٩ اتحدت مملكتا فرديناند و ايزابلا)
 في سنة ١٤٨٥ حدثت موقعة (بوسورت)
 في سنة ١٤٩١ سقطت غرناها
 في سنة ١٤٩٢ اكتشف كولبس اميركا
 في سنة ١٤٩٤ حمل كاراس الخامس على ايطاليا
 في سنة ١٤٩٧ طاف القبطان قابوت شواطيء اميركا الشمالية
 في سنة ١٤٩٩ استقلت اسوج
 في سنة ١٥١٥ نصب فرنسيس الاول ملكاً على فرنسا
 في سنة ١٥١٦ نصب كاراس الاول ملكاً على اسبانيا
 في سنة ١٥١٧ نشر لوترزيم الاصلاح الديني الذي قضاه الشهيرة على الكنيسة
 الرومانية وعددها تسعون قضية
 في سنة ١٥٢٩ سمي الانجيليون بروتستانت لاول مرة في التاريخ

- في سنة ١٥٣٥ أسس (لويولا) نظام العدلية لأول مرة في التاريخ الحديث
 في سنة ١٥٥٢ وقع على معاهدة (باسو)
 في سنة ١٥٥٦ خلع كارلس الخامس
 في سنة ١٥٥٨ ارتقت اليمصبات عرش الملك في انكلترا
 في سنة ١٥٥٨ نشأ مجلس التفنيس في فرنسا
 في سنة ١٥٧١ تغلبت اوستريا على الاتراك العثمانيين
 في سنة ١٥٧٢ حدثت مذبحه القديس برنلماوس
 في سنة ١٥٨٧ قطع رأس ماري ملكة اسكتلندا
 في سنة ١٥٨٩ نصب هنري الرابع ملكاً على فرنسا
 في سنة ١٦٠٣ انضمت اسكتلندا الى انكلترا
 في سنة ١٦١٠ قتل هنري الرابع
 في سنة ١٦٤٩ قطع رأس كارلس الاول
 في سنة ١٦٥٣ ظهر كرومل الانكليزي
 في سنة ١٦٦٠ رجعت أسرة (ستورس) الملك في انكلترا
 في سنة ١٦٨٣ تغلب القائد جان سيبسكي على العثمانيين في فينا
 في سنة ١٦٨٨ بدأت الثورة في انكلترا للمرة الثانية
 في سنة ١٦٨٩ ارتقى بطرس الأكبر عرش الملك في روسيا
 في سنة ١٦٩٧ امتدت سلطة كارلس الثاني الى اسوج
 في سنة ١٦٩٩ استعمرت ولاية لوزيانا في اميركا الشمالية
 في سنة ١٧٠٢ حطم اسطول فرنسا في (فيفو)
 في سنة ١٧٠٩ اتحدت انكلترا واسكتلندا
 في سنة ١٧١٤ ارتقت أسرة (غولفس) الى العرش الانكليزي
 في سنة ١٧١٥ مات لويس الرابع عشر
 في سنة ١٧١٨ قتل الملك كارلس السابع على اسوج
 في سنة ١٧٢٥ مات بطرس الأكبر امپراطور روسيا
 في سنة ١٧٤٠ رقي فيدريك الكبير الى عرش الملك في بروسيا
 في سنة ١٧٤٤ تمت معاهدة (برسلو)

- في سنة ١٧٥٥ حدثت زلزلة في لشبونة
 في سنة ١٧٥٥ ابدأت الحروب السبع
 في سنة ١٧٥٧ حدثت موقعة (روسباك) و (ليذن)
 في سنة ١٧٥٨ حدثت موقعة (روزندوف)
 في سنة ١٧٥٩ حدثت موقعة (ميندن)
 في سنة ١٧٥٩ حدثت موقعة (كوبك)
 في سنة ١٧٦٢ ارتقت الملكة كاترينا عرش الملك
 في سنة ١٧٦٣ انتهت الحروب السبع
 في سنة ١٧٦٣ صارت كندا من مستعمرات انكلترا
 في سنة ١٧٦٥ قرر استعمال الطوابع لأول مرة في التاريخ
 في سنة ١٧٦٦ ألغى استعمال تلك الطوابع
 في سنة ١٧٦٨ نشبت الحرب بين الدولة العلية وروسيا
 في سنة ١٧٦٩ ولد نابليون بونابارت
 في سنة ١٧٧٠ حدثت مذبحه بوسطن في الولايات المتحدة
 في سنة ١٧٧٤ رُقي لويس السادس عشر الى عرش الملك في فرنسا
 في سنة ١٧٧٤ اقل الانكليز مرفأ بوسطن في الولايات المتحدة
 في سنة ١٧٧٥ بدأت الثورة سيف اميركا لاجل الاستقلال وفي السنة نفسها حدثت معركة (بنكرهل) على مقربة من مدينة بوسطن (ماس) الولايات المتحدة
 وفي سنة ١٧٧٦ حدثت موقعة (لونغ أبلند) و (توتن)
 وفي سنة ١٧٧٧ حدثت معارك (بننفتن) و (براندوين) و (جرمان ثون)
 في سنة ١٧٧٨ جرى الوفاق بين اميركا وفرنسا
 في سنة ١٧٧٨ حدثت موقعة (مونومون) سيف الولايات المتحدة
 في سنة ١٧٧٩ تم الاتفاق بين الولايات المتحدة واسبانيا
 في سنة ١٧٨٠ حدثت موقعة (كارلتن) و (كامدن) قهر فيها الاميركيون
 في سنة ١٧٨٢ انتهت حرب الاستقلال
 في سنة ١٧٨٣ اسقطت اميركا من الحكم الانكليزي
 في سنة ١٧٨٦ ثبتت الثورة سيف ولاية (ماس) الولايات المتحدة

وفي هذه السنة مات الملك فيردريك الأكبر
في سنة ١٧٨٧ عقد اشراف فرنسا مؤتمراً عاماً تفاوضوا فيه بشأن الذئب عن
سلطتهم وسلطة فرنسا الملكية

في سنة ١٧٨٨ طلب (غستيفس) الحرب مع روسيا
في سنة ١٧٨٩ عقد قواد الولايات المتحدة مؤتمراً عاماً
في سنة ١٧٨٩ بدت طلائع الثورة في فرنسا
في سنة ١٧٨٩ أنشأت كل من الولايات المتحدة دستوراً لها يربطها مع اخواتها
في سنة ١٧٨٩ رأس الولايات المتحدة جورج واشنطن وهو اول رئيس لهذه
الجمهورية الكبرى

في سنة ١٧٨٩ دكت أسس سجن الباستيل في فرنسا
في سنة ١٧٩٠ اعلنت نروج استقلالها
في سنة ١٧٩١ مات الخطيب مهرايو
في سنة ١٧٩١ تألف مجلس التشريع في فرنسا
في سنة ١٧٩١ منحت كندا الدستور
في سنة ١٧٩٢ حدثت معركة (جيباس)
في سنة ١٧٩٢ عقدت المؤتمرات في جميع الولايات المتحدة
في سنة ١٧٩٣ قطع رأس لويس السادس عشر
في سنة ١٧٩٣ اخترع حلج القطن
في سنة ١٧٩٣ اقتسمت بولندا بين روسيا وبروسيا
في سنة ١٧٩٤ جعلت (تورونو) عاصمة لكندا العليا
في سنة ١٧٩٥ طبع الدليل الجغرافي اول مرة في الولايات المتحدة
في سنة ١٧٩٥ أطلق بوناپارت سبيل الحراس
في سنة ١٧٩٦ خيم بوناپارت بسكره الجزائر في بلاد ايطاليا
في سنة ١٧٩٦ حدثت مواقع (لودي) و (اركولا) و (ربنولي) و (لافيفورتا)
في سنة ١٧٩٧ عقدت معاهدة (كابوفوميو)
في سنة ١٧٩٧ انتخب جان آدموس رئيساً للولايات المتحدة
في سنة ١٧٩٧ رفعت اعلام السلام في (توليفنو)

- في سنة ١٢٩٨ حدثت معركة الاهرام
 في سنة ١٧٩٩ أعيد طبع الدليل الجغرافي في الولايات المتحدة
 في سنة ١٧٩٩ انتصر الفرنسيين في معركة أبي قير اول مرة
 في سنة ١٨٠٠ قطع بوناپارت جبال الالب
 في سنة ١٨٠٠ هزم بوناپارت النمساويين في (مارنغو) و (هووخلندن)
 في سنة ١٨٠١ رأس تومس جفرسن الولايات المتحدة
 في سنة ١٨٠١ انضمت ايرلندا الى انكلترا
 في سنة ١٨٠٢ عقدت معاهدة (آميين)
 في سنة ١٨٠٢ أنشأ نابليون القنصلية في البلاد الاجنبية
 في سنة ١٨٠٣ تجددت الحرب بين انكلترا وفرنسا
 في سنة ١٨٠٣ اشترت الولايات المتحدة لوزيانا من فرنسا
 في سنة ١٨٠٣ استقلت سويسرا
 في سنة ١٨٠٣ أطلقت الحرية للسود في كندا
 في سنة ١٨٠٤ نصب نابليون الاول امبراطوراً على فرنسا
 في سنة ١٨٠٥ حدثت موقعة طرف الغار واوسترلتز ومات فيها القائد نلسن
 في سنة ١٨٠٥ عقدت معاهدة (برسيرغ)
 في سنة ١٨٠٦ حدثت موقعة (جينا) وقتل فيها القائد بت
 في سنة ١٨٠٧ حدثت مواقع (ايلو) و (فريبلاند) و (كوكو) بنهاغن)
 في سنة ١٨٠٧ فرت هيئة محكمة ليسبون (فرنسا) الى برازيل
 في سنة ١٨٠٨ بدأت حرب (بنسولر) وفي السنة عينها امتدت سلطة بوناپارت
 الى اسبانيا ودعي امبراطوراً عليها
 في سنة ١٨٠٩ حدثت معركة (واغرم)
 في سنة ١٨٠٩ عقدت معاهدة (سكويريون)
 في سنة ١٨٠٩ طلق نابليون زوجته جوزفين
 في سنة ١٨٠٩ حرم البابا نابليون حرماً دينياً فغضب نابليون وسجن البابا
 في سنة ١٨٠٩ هزم (ولنتن) جيوش فرنسا في معركة طرف الغار
 في سنة ١٨٠٩ انتخب (جيمس مادسن) رئيساً للولايات المتحدة
- الجزء ٩ (٧٤) المجلد ٦

- في سنة ١٨١٠ تزوج نپوليون (ماريا لوسيا)
 في سنة ١٨١١ ولد ابن نپوليون ملك روميا
 في سنة ١٨١١ حدثت موقعة (تيبكانو)
 في سنة ١٨١٢ قامت روسيا بمتاورات جيوشها الحربية ارضاً للدول المتناوئة لها
 في سنة ١٨١٢ نشبت الحرب بين انكلترا واميركا
 في سنة ١٨١٣ حدثت معركة بحيرة (ايري) و (تومس)
 في سنة ١٨١٣ حدثت معارك (لوتزين) و (فوثيريا) و (ليسك)
 في سنة ١٨١٤ نفي بوناپارت الى (الالب)
 في سنة ١٨١٤ حدثت موقعة (لاندي لين)
 في سنة ١٨١٤ حرق الانكليز مدينة واشنطن
 في سنة ١٨١٥ عاد نپوليون من منفاه وحدثت معركة وترلو ونفي الى جزيرة
 القديسة هيلانة
 في سنة ١٨١٥ نشرت رايات السلام في باريس للمرة الثانية
 في سنة ١٨١٥ نظمت المعاهدة المقدسة
 في سنة ١٨١٥ حدثت موقعة (نيو اورلينس) وكان النصر فيها حليف (جكسن)
 في سنة ١٨١٧ انتخب جيمس منرو رئيساً للولايات المتحدة وهو الرئيس الذي من
 شريعة اميركا للامهركيين
 في سنة ١٨٢٠ شبت الثورة في اسبانيا
 في سنة ١٨٢١ مات نپوليون
 في سنة ١٨٢١ بدأت حرب الاستقلال في اليونان
 في سنة ١٨٢٢ انفصلت برازيل عن برتغال
 في سنة ١٨٢٤ بوشر العمل في قناة (ولاند)
 في سنة ١٨٢٤ نصب كارلس العاشر ملكاً على فرنسا
 في سنة ١٨٢٤ مات الفورد بيرون
 في سنة ١٨٢٥ انتخب جان ادامس رئيساً للولايات المتحدة
 في سنة ١٨٢٥ قطعت لاول مرة اول باخرة المحيط الاطلنطيكي
 في سنة ١٨٢٥ هاج الشعب في كندا

- في سنة ١٨٢٦ حدثت معركة نافارين
في سنة ١٨٢٩ انتخب اندرو جاكسن رئيساً للولايات المتحدة
في سنة ١٨٢٩ ثار الشعب في كندا العليا طالباً حاكماً عادلاً
في سنة ١٨٣٠ حكم الورد (الثد) كندا السفلى
في سنة ١٨٣٠ نشبت الثورة في فرنسا للمرة الثانية
في سنة ١٨٣١ حدثت موقعة (اوسترولكا)
في سنة ١٨٣١ انفصلت بلجيوم عن هولاندا (البلجيك)
في سنة ١٨٣٢ نصب (اوغو) ملكاً على اليونان
في سنة ١٨٣٢ منحت السلطة لمجلس النواب في كندا
في سنة ١٨٣٥ قرر عتق العبيد في انكلترا
في سنة ١٨٣٥ اخترع التلغراف الكهربائي
في سنة ١٨٣٧ قامت الفتنه في كندا
في سنة ١٨٣٧ تولت الملكة فيكتوريا عرش الملك في انكلترا
في سنة ١٨٣٧ انتخب مارتن (بيورن) رئيساً للولايات المتحدة
في سنة ١٨٣٩ اتحدت كندا العليا مع كندا السفلى
في سنة ١٨٤٠ نصب فريدريك وليام ملكاً على بروسيا
في سنة ١٨٤٠ زفت الملكة فيكتوريا الى البرت سكسكوبرغ
في سنة ١٨٤١ انتخب هرسن رئيساً للولايات المتحدة
في سنة ١٨٤٢ عدلت شريعة الذرة في الولايات المتحدة
في سنة ١٨٤٤ انتقلت دائرة الحكومة في كندا الى مونتريال
في سنة ١٨٤٥ ضمت تكسس الى الولايات المتحدة
في سنة ١٨٤٥ حدث الحريق الهائل في كوبك كندا
في سنة ١٨٤٥ انتخب بولك رئيساً للولايات المتحدة
في سنة ١٨٤٦ نشبت الحرب بين الولايات المتحدة والمكسيك
في سنة ١٨٤٦ تم السلام بين الولايات المتحدة والمكسيك
في سنة ١٨٤٦ رقي فرنسيس جوزف الى عرش الملك في النمسا
في سنة ١٨٤٦ أعلنت هنغاريا استقلالها عن اوستريا

- في سنة ١٨٤٦ افتتحت عساكر فرنسا رومية
 في سنة ١٨٥١ حدث المعرض العام في لندن
 في سنة ١٨٥٢ تولى نابليون الثالث امبراطورية فرنسا
 في سنة ١٨٥٥ رقي الكسندر الثاني الى عرش قيصرية الروس
 في سنة ١٨٥٦ شبت نيران الحرب بين انكلترا والصين وبلاد فارس
 في سنة ١٨٥٧ نشبت الثورة في الهند
 في سنة ١٨٥٩ استعرت نيران الحرب بين اوستريا واطاليا
 في سنة ١٨٥٩ بدأ حكم كارلس الخامس عشر على اسوج ونروج
 في سنة ١٨٦١ اشتعلت نيران الحرب بين الشمال والجنوب في الولايات المتحدة
 في سنة ١٨٦١ رقي فيكتور عمانوئيل عرش الملك في ايطاليا
 في سنة ١٨٦١ شبت فتنة البولنديين
 في سنة ١٨٦٢ شهرت فرنسا الحرب على المكسيك
 في سنة ١٨٦٢ تولى بسمارك رئاسة النظار في جرمانيا
 في سنة ١٨٦٣ حرر المييد
 في سنة ١٨٦٣ دخلت الجنود الفرنسية الى مدينة المكسيك
 في سنة ١٨٦٤ ضمت جزائر انديان الى اليونان
 في سنة ١٨٦٤ حدثت الحرب بين روسيا واوستريا والدانمارك
 في سنة ١٨٦٦ حدثت الحرب بين جرمانيا واوستريا
 في سنة ١٨٦٧ حدثت الحرب بين انكلترا والحبشة
 في سنة ١٨٦٧ ابتاعت الولايات المتحدة الاسكا
 في سنة ١٨٧٠ استعرت جذوة الحرب بين فرنسا وجرمانيا
 في سنة ١٨٧٠ حدثت موقعة سيدان وحاصر نابليون الثالث
 في سنة ١٨٧١ رقي وليم الى عرش امبراطورية بروسيا
 في سنة ١٨٧١ صارت فرنسا حكومة اشتراكية جمهورية
 في سنة ١٨٧٣ مات نابليون الثالث في انكلترا
 في سنة ١٨٧٥ تولى الفينسور الملك في اسبانيا
 في سنة ١٨٧٦ دعيتم فيكتورزيا امبراطورة الهند

- في سنة ١٨٧٨ نشبت الحرب بين العثمانية وروسيا
 في سنة ١٨٧٨ نشبت الحرب في افغانستان
 في سنة ١٨٧٨ مات الملك عمانوئيل وخلفه الملك هيومبرت
 في سنة ١٨٧٨ مات بيوس التاسع وخلفه ليون الثالث عشر
 في سنة ١٨٧٨ تمت معاهدة برلين
 في سنة ١٨٧٨ استقلت رومانيا واتفقدو
 في سنة ١٨٧٩ حدثت الحرب بين شيلي وبيرو
 في سنة ١٨٨٠ حدثت المجاعة في ايرلاندا
 في سنة ١٨٨٠ أطلقت حرية العبيد في كوبا
 في سنة ١٨٨١ قتل اسكندر الثاني في روسيا
 في سنة ١٨٨١ بوشر بمشروع اكتشاف القطب الشمالي
 في سنة ١٨٨٢ استمرت نيران الحرب بين انكلترا ومصر
 في سنة ١٨٨٣ حدثت حرب المنود
 في سنة ١٨٩٣ شبت ثورة برازيل وارجنتين من اجل الحكم الجمهوري
 في سنة ١٨٩٤ قتل كارنو رئيس الجمهورية الفرنسية
 في سنة ١٨٩٤ تولى نيقولا الثاني عرش الملك الروسي
 في سنة ١٨٩٤ نشبت الحرب بين الصين واليابان
 في سنة ١٨٩٤ أضرب عمال معادن الفحم والسكك الحديدية في الولايات المتحدة
 في سنة ١٨٩٤ شبت الثورة في كوبا لاجل الاستقلال عن الحكم الاسباني
 في سنة ١٨٩٥ حدثت المجازر الارمنية
 في سنة ١٨٩٥ رأس فيليكس فور الجمهورية للفرنسية
 في سنة ١٨٩٦ توج قيصر روسيا
 في سنة ١٨٩٧ رأس مكنتلي الجمهورية الاميركية
 في سنة ١٨٩٧ حدثت الحرب بين العثمانية ويونان
 في سنة ١٨٩٨ حطم الاسطول الاميركي في هاافانا
 في سنة ١٨٩٨ نشبت الحرب الاميركية الاسبانية
 في سنة ١٨٩٨ قتلت البصابت ملكة أوسترياً

في سنة ١٨٩٨ حدثت حاوثة دريفوس في فرنسا
 في سنة ١٨٩٨ أكتشف الذهب في الاسكا
 في سنة ١٨٩٨ مات بسمارك
 في سنة ١٨٩٨ عقدت المعاهدة بين الولايات المتحدة واسبانيا
 في سنة ١٨٩٨ ابتدأت حرب الفيليبين
 في سنة ١٨٩٩ ابتدأت الحرب في افريقية الجنوبية
 في سنة ١٩٠٠ حدث مرض باريس
 في سنة ١٩٠٠ هجم الصينيون على دور السفارات الاجنبية في بكين عاصمة الصين
 في سنة ١٩٠٠ قتل هيومبرت ملك ايطاليا وخلقه ابنه الملك عمانوئيل
 في سنة ١٩٠٠ أعلنت الدول الغربية الحرب على الصين
 في سنة ١٩٠٠ رأس مكنتي الجمهورية الاميركية
 لنكلن نبراسكا (الولايات المتحدة)
 يوسف جرجس زخم

ام الطفل

في مشهد الحريق

ما الديار ترآسى وهي اطلال هل خف بالقوم عنها اليوم ترحال
 كانت بها السمرات الخضر زاهية واليوم لا سمر فيها ولا ضال
 ما بالها وهي انقراض مبعثرة تغبر فيهن ابكار وآصال
 هل هدّ بنيانها من فوق صاعقة او هد بنيانها من تحت زلزال
 بل قد عفّتها فلم تترك بها اثرأ ريج لها من لهيب النار اذبال
 شب الحريق بها ايلاً مشيدةً فما اتى الصبح الا وهي اطلال
 اثار النار في اطرافها وهجا من الدخان كأن النار ابطال
 حتى حكمت معركاً خرت بساحتها صرعى بيوت واموال وآمال

دار السعادة امنست من تحرقها دار الشقاء وقد ضاقت بها الحال
 ترنو الى البحر ترجو تقع غلتها لحظ المهر اذ يبدو له الآل
 نهنال كالرمل بالنيوان ادورها حتى تكاد لها الارواح نهنال
 ياريج مهلا فلا تذري الرماد بها ان الرماد الذي تذرين اموال

...

قد رحت للحي مذعوراً أيممه ولي عن الزمر الباكين تسأل
 وفي العراس ديار القوم خلوبة وفي الشوارع نسوان واطفال
 جلسن والشمس فوق الرأس دانية وللقبار بعرض الحي تجوال
 ولا خمار فيرددن القبار به ولا يقين حر الشمس سربال
 حتى وقفت وقلي كله جزع وادمعي لجج طوراً واوشال

...

ما انس لانس ام الطفل قائلة وفوق وجنتها للدمع تهطل
 اني تجردت عن دنياي حاسرة مالي سوى طفلي الباكي بها مال
 اي اسريه بعد هذا اليوم ذي جدة بعولني حيث لا زوج ولا آل
 اودي الحريق بدار كنت اسكنها وكنت من بعضها للقوت اكنال
 واليوم اصبحت لادار ولا وزر آوي اليه ولا عم ولا خال
 ان الحريق خبت نيرانه ومضت وماخبت في فؤادي منه ووجال
 يارب رحماك اني اليوم عاجزة عما دها وبظهري منه ثقال
 يارب قد ضقت ذرعاً في الحياة فما ادري حنايك ربي كيف احتال

...

وعند ما قد شجاني من مقالتيها
 دنوت منها قليلاً وهي باكية
 حتي وقفت وايناساً لوحشتيها
 وقلت يا خت لا تستيشي جزعاً
 اتجزعين اكتباً بآ بين اظهرها
 مالي اراك بعين اليأس باكية
 الست من أمة ايدي الرجال بها
 حتى لقد اصبحوا ابناء واحدة
 مستعصمين بجبل من اخوتهم
 امسى التماخذ كالحصن الحصين لم
 فاستبشري اليوم فيما مس من ظلم
 وان حقت عول في مساكنهم

... .

تلك التي قد شجنتني في مقالتيها
 فهل يصدق قومي ما ظنت بهم
 فالجود يدرك مرماه البعيد فني
 واكثر البذل حمداً ما يعان به
 يا قوم هذي سبيل العرف واضحة
 ومن تك الحال فيها لا تساعد
 الاستانة

ولم لها في نساء الحي امثال
 حتى تقوم لهم في المجد افعال
 رجب الذراعين طاق الكف مفضل
 من عضهم من نيوب الدهر اقلال
 فليض فيها بكم وخذ وارقال
 «فليس مد النطق ان لم تسعد الحال»
 الرصافي

اخبار وافكار

الكليات الاميركية

يخاف الكثيرون من التهذيب المشترك بين الجنسين ان يخرج النساء عن طورهن ورفقتهن ويفيدهن قسوة وصلابة لامتزاجهن بالذكور ولكن التجارب دلت على خطايم وفساد مزاعمهم وانتشرت طريقة التعليم المشترك في معظم الكليات الاميركية فعدد الطالبات في جامعة نيلاند ستانفورد في كاليفورنيا يتناهن الخمسمائة وقد حاولوا في جامعة شيكاغو ان يفصلوا بين الذكور والاناث في سن الطلب الاولى

ولم تحافظ على القواعد القديمة سوى كلية هارفرد فانها اصرت على ايجاد اجابها في وجوه الطالبات وفي اميركا ٣٢١ جامعة وكلية ومدرسة عالية تقبل الطلاب والطالبات على السواء بدون اقل تمييز بين الجنسين

والتعليم في الجامعات الاميركية يقسم الى ثلاثة اقسام : الاول فيه اساليب خاصة بكل من الجنسين : والثاني يشترك فيه الذكور والاناث بدون تفريق ولا استثناء : والثالث يشترك فيه الجنسان ويختص الاناث بفروع تساعدن في حياتهن المستقبلية والمدارس المختصة بالاناث هي دور الجامعات في رقيها العلمي والاليب تهذيبها وفي الولايات المتحدة الاميركية اربعمائة جامعة لكل منها رأس مال يبلغ ٥٠٠ ملاين من الريالات ولها دخل سنوي لا يقل عن مليون ريال ٠ فلا يستطيعون ان ينشؤوا جامعات اثوية تضارع الجامعات الراقية

ونرى من جهة ثانية انه اذا وضعت خطط التعليم في الجامعات بدون نظر الى الفروق الجنسية لم تجد الطالبات فيها ما يسعفن على انجاز وظائفهن الخاصة في حياتهن العائلية وقد نظر علماء الاميركيين في هذه القضية فأدخلوا دروسا كثيرة في بعض الجامعات بلقنونها للفنيات خاصة

واليك مثالا من خطة التعليم في جامعة شيكاغو :

(١) حفظ الصحة الجسدية وعلاقاته الاجتماعية والادبية

(٢) : الميجهن العمومي

(٣) : علم الحياة والبكتير يولوجيا

(٤) تدبير صحة الاطفال و ينطوي في هذا الدرس المواد الآتية : الوراثة والبيئة — ارتقاء الطفل الطبيعي والعقلي والادبي . — حفظ الصحة في سن البلوغ . — وبضاف الى هذه المواد ملاحظات عن الطفل في المدرسة واللعب والدرس وتأثير الاموال الطبيعية في ارتقائه الادبي والعقلي

(٥) : الاسرة . — باعتبار الوجهة التاريخية والفسيولوجية ويدرسون ايضاً احوال الأسرة الاجتماعية والادبية والاقتصادية

(٦) : درس في الشرائع الأكثر تأثيراً في حياة الافراد والحياة التجارية
(٧) : العلم السياسي . وفيه درس تأليف الحكومات المتحدة وظائفها وادارة المملكة ومبادئ الحقوق الاساسية

(٨) : تاريخ الصناعة ولا سيما ما يتعلق منها بالنساء
فمسألة التهذيب المشترك قد حلت في الجامعات الاميركية بحضور طالبات الدروس العالية واختصاصهن ببعض الفروع

اساليب التعليم الجديدة

تمتاز فرنسا بارتفاع مدارسها ولاسيما معاهد التعليم الحر وبصحة ان تكون في ذلك قدوة سائر الامم الا انها تقتصر بعض الاوضاع التهذيبية الحديثة التي اتخذتها المدارس في اميركا وانكلترا واسكندنياقيا

اجتذبت اميركا انتباه العالم المتقدم بلميمها المؤسس على قواعد البسيكولوجيا فجامعة كولومبيا في نيويورك وجامعة شيكاغو وفيهما معاهد خاصة لدرس هذه الطريقة واصلاح ما تظهره الايام فيها من الخلل وارتقاء خواص الطفل الادبية والعقلية يرجع الفضل فيه الى ذلك الاسلوب العملي المحض الذي يرقى بالطفل سنة ف سنة بل شهراً ف شهراً والطلبة من الجنسين ينتابون تلك المعاهد ويشتركون في تلقي الدروس وتراقب احوالهم الحمية وتطعم تجارب الاساتذة وبمحاتهم في مجلة خاصة تدعى « اخبار اساتذة الكلية » فيطبقها الطلاب والطالبات الذين سيكونون اساتذة في المدارس الابتدائية والوسطى ويصرفون جل عنايتهم الى هذه الابحاث والاختبارات التي كان لها اثر شديد في تربية الاطفال وتربية مواهبهم

اما في مدارس السويد فعم لا يلقون على الفكرة كبير امر ولا يعنون بتلقين الطلبة دروساً يستظفرونها بل يلقون اليهم مبادئ العلوم الطبيعية والجغرافية وغيرها

في شكل حكايات يرتاح اليها صغار الطلبة ويحفظون فيها مبادئ العلوم ولا يشعرون وهذا الاسلوب المتبع في التعليم يشابه طريقة الاميركان من وجوه كثيرة وقد انتشرت في ألمانيا أيضاً طريقة الاستظهار الفاشية في المدارس الشرقية وبعض اقسام اوربا وهي تؤدي الى خلاف الغاية المطلوبة فلا توسع مدارك الطفل ولا تقرر شعوره بل تؤول الى انحطاطها شيئاً فشيئاً ومتى دخل الطالب غمار الحياة العملية لم يستطع الانتفاع بما تلقى من تلك المعلومات ولا وسعه تطبيقها

والمدارس الانكليزية تنفي بتعليم الطلاب والطالبات الاشغال اليدوية وتحاول ان تكون الواسلة بين الحياة المدرسية والحياة العملية وللطرق التي تجري عليها المدارس الاميركية في التربية والتعليم مزايا اخرى وهي ان الطالبات يشتركن مع الذكور في تلقي العلوم ويتقاسمون لفتها جميعاً فتتوثق بينهم صلات لا اثر للجيل الجنسي فيها ومتى خرجن الى معترك الحياة وتفنن ازاء الرجال وقفة القادر المستقل الواثق بنفسه والمعتمد على حوله وهي خصة تمتاز بها المرأة الاميركية عن شقيقتها الاوروبية لانها اعتادت من صغرها ان تعد نفسها مساوية للرجل ثم ان وجود الطالبات يلطف من عواطف الذكور ويدمث من اخلاقهم فلا يشذ احد عن المنهج السوي خيفة من عيون رفيقاته اللواتي يراقبنه مراقبة لها في نفسه تأثير يفوق تأثير مراقبة الاساتذة

وانتشرت هذه الطريقة في شمالي اوربا اي في بلاد نروج فاكسبت النساء قوة وجلداً على احتمال مشقات العيش ومباراة الذكور في الحياة العملية ومشاركتهم حتى في الاعمال السياسية فنلن حق التصويت في انتخاب بعض المجالس ونبت منهن نساء ففن الرجال في جميع الاعمال التي تعاطينها واصبحن قدوة للنساء العاملات في الممالك الراقية

التعليم الادبي في اليابان

التعليم في اليابان علمي محض وليس الديانة اقل سلطة في المدرسة ففرنسا واليابان هما المملكتان الوحيدتان اللتان نشرتا اصول التهذيب اللاديني « العلماني » في العالم بأسره وفي اليابان فصل التعليم عن الديانة حسب شريعة التهذيب الصادرة سنة ١٨٧٢ ولا يقتصرون في المدارس العامة بل يشمل المدارس الابتدائية والثانوية حتى التي تأسستها الجمعيات الدينية إذ يحظر عليها ان تلقن التعليم الدينية وهذا العمل من التهذيب

والديانة كان القاعدة التي جرت عليها الحكومة منذ سنة ١٨٦٨ اي منذ فتحت البلاد اليابانية الاحاب

وقبل ذلك العهد لم يكن للحكومة ايسر اهتمام بالتهذيب العام بل تركته للأفراد حاشا بعض المدارس الارستوقراطية المختصة بآباء الموظفين ولم تكن الحكومة تدبر المدارس فقد نحت اليابان في التعاليم منحي المدارس الغربية منذ نشر قانون التعليم سنة ١٨٦٨ والفت فيها نظارة المعارف عقيب صدوره بسنة فلم تحجم الحكومة عن المفاداة باعز ما لديها في سبيل الارتقاء ونشر التهذيب بين ظهراني الامة وفكرة التهذيب العلماني ليست من ابتداع الحكومة الجديدة بل يجدون ما يشبهها في تاريخ اليابان القديم

فقسوس البوذيين لم يعلموا الديانة في معادهم ولا سيف مدراسهم المجاورة للهيكل والمعابد ومعظم الطلاب اليابانيين لا يزور الكنيسة المسيحية ولا الهيكل البوذي وانما ينشئهم المدارس على الآداب ومكارم الاخلاق فالتعليم في اليابان علماني محض ليس للديانة تأثير فيه والاهلون راخون بما يعقب ذلك التعليم من النتائج ولهم بكل الثقة بالاساتذة الذين يحبهم الطلبة ويحترمونهم

ليس للحكومة اليابانية ديانة رسمية ولكنها لا تقاوم الاديان بل تترك لكل فرد حرية المذهبية

الامر الملكي والتهذيب . — سنة ١٨٩٠ صدر الامر الملكي وفيه مثال للتهذيب الادبي وجب على مدارس اليابان جميعها ان تتخذاه وفيه كثير من الآراء التي تنفق مع آراء الفرنسيين وبعضهم يزعم وطنية اليابان الى ما تبثه المدارس في نفوسهم بمقتضى الامر الملكي ولكنهم واهمون في ذلك لان حب الوطن احدى طبائع الرجل الياباني والامر الملكي قسما احدهما في التهذيب العام والاخر في التهذيب الوطني واليك الواجبات التي ذكرت في الاول :

حب البنين لا بالثمن . تواد الاخوان والاخوات . اتفاق الزوجين . حفظ عهد الاصدقاء . العشرة والاعتدال . الرغبة في خير الجميع . طلب العلوم والفنون . ترقية المواهب العالية . الاشتراك في خدمة الامة والوطن . احترام الشورى . طاعة القوانين تضحية المنافع الشخصية في سبيل المملكة وهذه الواجبات تنقسم على النحو التالي : واجبات المرء لنفسه وللأسرة والمجتمع

والحكومة والانسانية فهي تطوي على جميع الواجبات ومنها نشأ فضائل الاخلاص
والشهادة والصدق والامانة والجماعة والوطنية وهذه هي حقيقة التهذيب الصالحة
لجميع الاعصر والامكنة تشمل الشريعة الادبية التي يجب ان يخضع لها العالم بأسره
والقسم الثاني يتفرع عن احوال الشعب فقد ادبتهم بأداب خاصة وغرست فيهم
نفسهم فنشأ فيهم نفوسهم

الامة اليابانية عريقة في القدم وهي تعتقد انها امرة كبيرة من اصل واحد يقوم
الملك عليها بإيالة الوالد واعتقادها هذا سبب احترامها الشديد للامبراطورية فحب
الامبراطور والوطن واحد في عندهم والميكادو يمثل الوطن
وبالنسبة اليابانيون في اكرام اسلافهم وتبجيلهم ويستمتعون في سبيل الوطن لانه بلاد
آبائهم واجدادهم ومنذ سنة وعشرين قرناً أسس الامبراطور الاول المملكة الاولى
ولم تنج من الغزاة غير ان اهل البلاد اتحدوا على القود عن حوضهم فلم يستعبدوا
للعاجزين

ولا يتيسر للمطالع ان يفهم حقيقة احترام اليابانيين للأسرة المالكة وشدة تعظيمهم
رب السرير مالم يعرف مبلغ احتفاظ القوم بذكرى اجدادهم وانساب سلاطنتهم فكل
فرد منهم يعرف آباءه الى عهد بعيد والاسرة المالكة اليوم هي نسل الحكام الذين
تعاقبوا على عرش المملكة اليابانية منذ نشأتها حتى عصرنا الحاضر وكلهم من أسرة واحدة
ولم يلقب الامبراطور بابن الله جاء لان الشعب يحسبه من سلالة الآلهة ولكن آلهة
اليابانيين اسلافهم واجدادهم فاحترامهم الامبراطور فيه شيء من واجب الدين

واول تمدن ساعده اليابانيون كان عند مجاورتهم الصينيين غير انه لم يؤثر في
الروح الوطنية شيئاً وكانت قاعدتهم في التهذيب « الروح اليابانية ثم الحكمة الصينية »
ودخلت البوذية الى اليابان في القرن السادس فكان لها في آداب اليابانيين شأن خطير
ومنذ اصلاح سنة ١٨٦٨ اطرأ على اليابان تغيرات حمة بانتشار المدنية الغربية ولكن
النفس اليابانية لم تفقد شيئاً من خواصها ومزاياها

وفي كل مدرسة اوقات معينة لآلهة المبادئ وهي لا تدرس في المعاهد الابتدائية
والوسطى بل نتمدها الى المدارس العليا والتجارية والفنية والطبية وغيرها والذات من
هذا التعليم حقل نفس الطفل ويطبعه على المبادئ القوية ويملقون عليه شيئاً جليلاً
فيقولون ان ارناء مملكتهم ونخططها منوطان به اذ ليس لهم ديانة يتأدبون بأدائها

وعند اليابانيين سنة يدعونها سنة القربان او البوشيدو وقد ذكرت فيها آداب هؤلاء وما يجب ان يتحلى به من الفضائل وفي مقدمتها الاخلاص للامبراطور وطاعته وفداء النفس من اجل الحاكم والشجاعة والاقدام ويجب عليه ان لا يرف في حياته الخوف وان يكون ابدأ على ابهة الموت في قتال خصم من اكفائه وان يجمع بين الصلابة والحزم والجودة والسخاء فيجمل الضعفاء ويحير المساكين ويستقيم في اوره وقد خسرت البوشيدو مظهرها القديم ولكنها اكتسبت شكلاً جديداً في نفوس الشعب على ان التعليم الادبي تعرضه عقبات كثر واهمها انفاق جل وقت الطلب في دراسته وتخصيه وتخير الاساتذة الكفاة عن يصح اتخاذهم قدوة في الفضائل الخلقية وكثرت التبدلات في حياة اليابان الاجتماعية بانتشار المبادئ الغربية وتأصلها واذا كانت اليابان قد اقتبست اصول العلوم الحديثة والفنون عن بلاد الغرب فان التعليم الادبي لم تنصل بها عن ذلك الوجه وانما هي تركت الاسلاف والاجيال القديمة يعرض اليابانيون عليها اشد الحرص ويحفظونها خالصة من شوائب الفساد علماً منهم ان مستقبل ملكتهم معقود بها

التعليم الاهلي

التي في نادي المدارس العليا بمصر احمد افندي فهدى القبطان استاذ التربية بمدرسة المعلمين الحديثة خطباً قال فيه :

مهما اطيننا في شرح حسنات القرن التاسع عشر فاننا لا نشك لحظة واحدة في ان نظمات التعليم التي اوجدها ستكون اما سبياً في سعادة عيش الجيل القادم ورغده او انها ستجلب عليه المصائب والحسرات . كان يلتفت في العصور المختلفة في البلاد المتقدمة بنوع خاص لتربية الافراد الذين يحكون البلاد ويديرون شؤونها في المستقبل وكان هؤلاء في العادة من نسل الحكام والاشراف وقد تكرم بعض الثيوريين من وقت لآخر فسهلوا سبل العلم لافراد قليلين من ابناء الفقراء الذين اظهروا ذكاءً عظمياً استمر الحال على هذا المنوال حتى جاء القرن الماضي فتبسط العالم المتحضر وادرك ان كل وظيفة كبيرة كانت او صغيرة وكل مهمة مهما كانت صغيرة لا بد ان يستعد لها المحترف بها وذلك الاستعداد لا يكون الا في المدرسة — واقصد بذلك الاستعداد ان يربى جسمه وخلقه وعقله حتى يصبح قادراً على امرين الاول — ان يكافح الحياة ويصير قادراً على المعيشة وسط حبال هذه الدنيا

التي هي في تعقيد كل يوم عن سابقه
والثاني — ان يقوم بوظيفته او مهنته القيام الذي يليق بالعمر الذي يعيش فيه
وبالوسط الذي هو فرد منه

فلما ادركت الامم هذه الحقيقة بدأت تكون ما اسميه نظمات التعليم الاهلية — اي
نظمات تضمن التعليم بجميع ادواره لجميع افراد الامة على اختلاف طبقاتها من غير
تمييز بين وضع ورفيع

ظهرت الاختراعات العلمية في اواخر القرن الثامن عشر واول النصف التاسع عشر فدخلت
لتحسين الزراعة والصناعة وظهر في الوقت عينه أئمة للتربية رجال رأوا ان مستقبل
بلادهم الحقيقي ليس بالزراعة والصناعة فقط بل هو بالتربية فقرروا نظريات شتى وبنوا
عليها اعمالهم وأكدوا وجوب تهذيب الرجل الذي سيكون مزارعاً او صانعاً في المستقبل
— وجوب تهذيبه من الوجهة الجسمية والاهلية والعقلية

وقد قضت نفس تلك الاختراعات الصناعية على العمال بازدياد معلواتهم حتى يصحوا
قادرين على ادارة الآلات الحديثة التي عهدت اليهم

ولا يخفى ان الرجل الذي يقضي كل حياته في تأدية عمل بسيط — نتيجة ثابتة
مدى السنين كالزراعة مثلاً — لا تأق في عليه احوال يحتاج فيها لاجهاد فكره او تمرين
قوته الاختراعية لمقاومة طارئ هو في الحقيقة لن يقع — فبالطبيعة يفقد عادة اجهاد
النفس وفي المعتاد يصبح في درجة من الغباوة والجهل اقصى ما يمكن ان يصل اليها انسان
فكأنه اشترى مهارته في فلاحته بثمن غال الا وهو فقد غرائزه الادية والاجتماعية
والحرية ولكن وا اسفاه هذه هي الحالة التي يصير اليها فقراء العمال او بالاحرى اغلب
السكان من كل أمة متقدمة — ان لم تبذل حكومتها كل جهد لمداواة تلك الحال .

وبالاختصار فان ظهور تلك الاختراعات في القرنين الماضيين سبب نتيجتين

(١) وجوب تربية الامة باجمعها تربية عامة خوقاً عليها من السقوط

(٢) تربية الافراد الذين سيناط بهم ادارة تلك الاعمال سواء كانت زراعية
او صناعية او تجارية — تربية خاصة تشمل دراسة العوامل الطبيعية التي اكتشفت وفتشذ
كانت انكثرت في اول الممالك التي ظهرت فيها الاختراعات الصناعية الجديدة آخر
الدول في تقرير التعليم العام . فقد قرره بروسيا وسكسونيا وورتمبرج في اواخر القرن
الثامن عشر وفرنسا وكان لها نظام تعليم تام بكل حذافيره ايام نابليون اما انكثرت فانها

لم تشر المدارس الابتدائية لتعليم جميع ابناء الشعب الا سنة ١٨٧٠ — وبلتمس المؤرخون لانكسار العذر في تأخيرها تعميم التعليم ويقولون ان الانقلابات الداخلية التي طرأت على دارندوتها كانت سبباً في تأخرها

اما نحن فلم نفكر في التعليم اصلاً الا منذ سنين قلائل مع ان مصر كما قال اسماعيل باننا الخديوي الاسبق هي جزء من اوربا فيجب علينا ان نجاري الزمن الذي نعيش فيه — يجب علينا ان نعمل لنشر التعليم ؛ ان طبقات الامة حتى تستنير وتسير الى الامام محزم وعزم ثابتين . يجب علينا ونحن جزء من اوربا ان نجاري اوربا تعليماً ان كنا نريد ان نجاريها زراعة وصناعة وتجارة

ولقد قال احد أئمة التربية باميركا في زمن شبه بزماننا

« نحن الآن نختبر أنفسنا في الحكم الذاتي — اي ان الامة تحكم الامة — ومن العادات المتبعة من قديم الزمان ان يكون للحكام 'وفر نصيب من التعلم اذا اقتضى ان يتعلم كل فرد من افراد شعب ديمقراطي حاكم نفسه بنفسه اذ ان الشعب هو الحاكم الحقيقي »

قال المستر روبرت لو في مجلس النواب الانكليزي عتب التصديق على لائحة الاصلاح الدستوري سنة ١٨٧٠ « الآن وقد عيننا الشعب نواباً عنه لتنفيذ اغراضه او بعبارة اخرى الآن وقد اصبح الشعب هو السيد الحقيقي فاوول واجب مقدس علينا هو ان نربي جميع - اذننا »

حارب نابليون البروسيين وكسروهم في وائمة يتنا فجمع ملكهم شتات شملهم وخطفهم قائلاً « ايها الجنود ثقوا ان الفرنسيين لم ينتصروا علينا في ساحة القتال ان انتصارهم الحقيقي كان في المدرسة »

قال ملك البروسيين ذلك اعتدافاً منه بان رقي التعليم الفرنسي وقتئذ منه في بروسيا كان سبباً في انتصار الفرنسيين على البروسيين لذلك افرغ البروسيون جهدهم في اصلاح التعليم بمملكته وحذا حذوهم جميع الممالك الجرمانية الاخرى وانضمت جميعها تحت لواء الامبراطورية الالمانية وخسنا التعليم فيها خطوات واسعة ونبع كثير من أئمة التربية في المانيا حتى جاءت سنة ١٨٧٠ فحارب الالمانيون الفرنسيين وكسروهم واخذوا منهم الازلاس والورين ولكنهم في الحقيقة لم يأخذوا هاتين المقاطعتين سيف ساحة القتال . بل اكتسبوا في المدرسة .

اني لا ارى ان حالتنا الحاضرة تسمح لنا بمجاراة ألمانيا او السويد مثلاً في برامج مدارسها الاولى اذ هذا يحتاج لمال أكثر مما يمكننا تقديمه الآن - وعدد من المدرسين الاكفاء لا يمكننا الحصول عليه الا بعد بضع سنين

فارى ان تتبع الخطة الطبيعية ونبدأ صفراً ثم نرقي مع الزمن وبعد التجارب ارا في مقتنماً بنشر التعليم بواسطة الكتاتيب في الوقت الحاضر فان المال الذي تحتاجه مثل هذه المعاهد قليل ومدارس مطلي الكتاتيب التي اخذت تنتشر في القطر ~~كثيرة~~ بتخرج العدد الكافي من المدرسين ما بين فقهاء وعرفاء فيجب علينا اذن ان يكون لدينا من الكتاتيب ما يفي بحاجة هذه الامة

ولتنفيذ ذلك يجب على كل فرد غني ان يساعد الحكومة في إيجاد مثل هذه المعاهد وزكاة المال التي هي ركن من اركان الاسلام والتي من اجلها حارب ابو بكر الصديق رضي الله عنه المرتدين من العرب هذه الزكاة كقيلة يبناء الكتاتيب

لذلك اقول ثانياً يجب على كل فرد غني منكم ومن جميع ابناء هذا القطر من حلقا الى البحر الابيض ان يقدم زكاة ماله لمواطنيه في شكل يفيد الجميع ولا ارى افيد من انشاء معاهد التعليم في الوقت الحاضر

ترمي التربية السليمة الى ثلاثة امور تهذيب الجسم والاخلاق والعقل . فالتربية الجسمية مهمة جداً اذ يترتب عليها تخرج رجال ونساء اشداء اقوياء يقدرون على القيام بواجباتهم المختلفة ولان العقل المحكم في الجسم السليم اريد ان ارى ابناء مصر في صحة تامة وعقل متين وقوام معتدل ودورة دموية منفضحة . .

اما التربية الاخلاقية فلا يشك احد في ضرورتها ووجوبها فيها وحدها يتعلم الشعب الصدق والامانة والوفاء بالوعد والاخلاص وآداب الزيارة والاكل والطريق واحترام الغير وغير ذلك

وبها وحدها نقل الجرائم على اختلاف انواعها كالسرقة والقتل وكثير من المحرمات والمنكرات

وبالتربية العقلية تهذب قوى العقل المختلفة ما بين ملاحظة وحفظ وذكر وتخييل وتفكر وبرهنة وحكم وقياس

فللعمل بموجب هذا التقسيم اقترح ان يكون برنامج التعليم بالكتاتيب كالاتي :

اولاً قراءة وكتابة ومبادئ اللغة العربية اذ هذه هي الواسطة الوحيدة للوقوف على ما يجري من الحوادث في العالم على وجه عام وبالوطن على وجه خاص . وبالكثابة تدون الكتب والتواريخ وهي الواسطة في المراسلة

ثانياً حساب . حتى يعرف الشخص دخله ومصروفه ويعرف معنى التوفير والاقتصاد في المصروف ويعرف التاجر لدفائره معنى والمزارع يدرك قيمة محصوله من القطن بالقطار والجنه

ثالثاً دروس الاشياء وتنتخب الموضوعات من الانتباه التي تحبب بالكتاب فان كان في القرى وجب ان تكون اكثر الموضوعات زراعية وان كان بالمدن فحتم ان يكون اغلبها صناعية ودروس الاشياء عظيمة الفائدة جداً اذ انها تفتح الذهن وتدعو الطالب الى ملاحظة ما يحيط به فضلاً عن كونها تعطيه معلومات مفيدة عما يحيط به من منزوعات او مصنوعات

رابعاً الخط . كي يتعود الطالب تحسين خطه ولا ارى ضرورة ابدأ لتعليم الخط الثالث بمثل هذه المعاهد

خامساً الاخلاق . وارى ان يكون اساسها القرآن . وذلك انه متى كان الدرس على احترام الوالد مثلاً وجب على المعلم ان يستشهد بالآيات الكريمة التي تأمر بذلك وهكذا في الاخلاق الاخرى

ولسنا في حاجة لان ندرس القرآن الشريف باجمعه لمثل هؤلاء التلاميذ بل يكفي منه ما يتعلق بقواعد الدين والمعاملات المختلفة وذلك هو الجزء الذي يستظهر ويلاحظ في انتخاب الآيات الشريفة احتياجات التلاميذ — فلا ضرورة لاعطائهم شيئاً عن الزواج والطلاق مثلاً في سنينهم الاولى بل هم في حاجة لمعرفة قيمة الصدق واحترام الوالدين وطاعة الله ورسوله

واري ان لا يكون العمل العقلي بالكتائب الا في الصباح فقط وبعد الظهر يتعلم التلاميذ اشياء يدوية — ففي القرى يمتنون الى الفلاحة وفي المدن يتعلمون مبادئ احدى الصنائع

اما البنات فيجب ان يتعلمن الطبخة والاشغال اليدوية ومبادئ الاقتصاد المنزلي عامة . يجب الاهتمام بتعليم الفتاة اذ انها ستكون أما في المستقبل فيجب ان نعدّها لان تكون أما صالحة . يجب ان نعلمها وتربيتها التربية الحسنة حتى تقدر هي على تربية

ابنائها الصغار قبل دخولهم المدرسة

ارسلني الحكومة المصرية لدراسة الاشغال اليدوية ببلاد السويد في صيف سنة ١٩٠٣ فدرست ما يتعلق منها بالتجارة على وجه خاص ثم بدأت اطوف البلاد السويدية لاروي نظامات التعليم بها واكتب تقريراً عنها فوزت ذات يوم مدرسة للبنات سيفي استوكهلم وكانت من ارقى مدارس البنات التي رأيتها في سياحاتي باوربا
كان لتلك المدرسة مطبخ بالقرب منها تنعلم فيه البنات الطبخ فيذهب عشرون منهن كل صباح على التناوب ويطبخن الطعام تحت مراقبة ثلاث معلمات متخصصات بهذا الفن وكانت كل فتاة مرتدية بالثياب الخاصة بالطباخت فوطة بيضاء طويلة على صدرها وقبعة صغيرة من التيل الابيض فوق شعرها

وبجوار ذلك المطبخ قاعة كبيرة للاكل وبالقرب منها مصنع للاعمال اليدوية للذكور الفقراء الذين لا نقل منهم عن اثني عشرة ولا تزيد عن ست عشرة. وكان هؤلاء الاولاد غالباً من المتشردين في الشوارع يوتي بهم اما برضام او بواسطة البوليس كي يتعلموا صناعة الصنائع التي كانت تدرس بذلك المصنع هي النجارة والحدادة وعمل الاحذية والفرش سواء كانت للشعر او لللباس او غير ذلك

تطبخ البنات الطعام وتحضره للغذاء في قاعة الاكل وترتب الموائد وتقف سيفي خدمة من يحضر لتناول ذلك الغذاء — اما الاكلون فكانوا تلاميذ ذلك المصنع المجاور — يأكلون بلا ثمن ويخدمون بلا اجر وبعد ذلك يذهبون لصنعهم لمساعدة اعمالهم — وما يخرجونه من اثاث او فرش او غير ذلك يتباهت الناس على شرائه حياً في مساعدة ذلك المعهد والتمن بكفي للامور الآتية :

(١) شراء ما يلزم المطبخ من سمن وخضر ولحم ووقود ورواتب معلمات الطباخة

(٢) شراء ما يلزم للمصنع من خشب وحديد وشعر وجلد ومشاهرات تعليمي

الصنائع

(٣) ببقى احتياطي يعطى منه ١٠ جنيهات بصفة مكافأة لكل تلميذ اقام سنتين

بالمصنع والتمن صناعة ما وحسنت في حقه الشهادة — يعطى ذلك المبلغ مساعدة له في الشروع في فتح دكان للنجارة او الحدادة او غيرها حتى لا يعود كما كان متشرداً بالشوارع وكنت عند زيارتي لذلك المعهد اتباحث مع مديره في فوائده فبعد ان ذكرت له ما تراهي لي من تلك الفوائد قال لي : « فذلك فائدة كبيرة فذلك تعلم ان التعلم

ببلاد السويد اجباري مجاني من زمن مديد فابناؤنا متعلمون وخدمتنا متعلمون فالجو الادبي في منزلي نقي طاهر والجو في المدرسة كذلك نقي طاهر — فاذا خفت على آداب وهي مثلاً فلا اخاف الا من الشارع حيث المتشردون — فهذا المصنع وامثاله يجمع المتشردين من الطرقات وبذلك يصير جميع جو المدينة نقياً طاهراً لا تسمع فيه لفظاً واحداً يمس شعورك اذ تشمئز منه تفسك وقد جرت لي حادثة اثناء وجودي بقاعة الطعام — وذلك انني رأيت فتاة تبلغ من السن نحو الرابعة عشرة ذهبية التعر زرقاء العينين معتدلة القوام يدها ممسحة بفساءه تنظف بها اواني الاكل وادواته قبل تقديمه للولاد — فذهبت لمحدثتها كي اعرف ان كانت تخدم هؤلاء المتشردين اضطراراً وخضوعاً لامر مدرستها ام ماذا ؟

وقلت لها امثلك انت يخدم هنا المشرد القذر ؟ فرمت عينها الزرقاوين وهزت رأسها في وجهي وقالت به نلمحة ورعاً كان باحتقار لي: (*Alles han intcoventsk!*) ومعناها بالعربية اما هو سويدي فشعرت بارتياح وادركت ان هذه الفتاة الجميلة تخدم هذا الولد القذر طوعاً لا كرهاً — تخدمه لانه سويدي وهي سويدي

فهي تلك اللحظة قرب مني مدير المصنع واظهر اهتماماً زائداً بمحادثتي الفتاة ولما انتهيت اخذني على انفراد وقال لي انعم من اخترت لنوحيه سؤالك . قلت: لا قال هذه حفيدة الملك — حفيدة الملك اوسكار — فدهشت دهشة شديدة ثم أفقت لنفسي مسرعاً وقلت له: ان هي الابرهان حي على تأثير حسن التربية فالترية الحقة تلطف الشعور التربية الحقة تقرب القلوب بعضها من بعض تفرس في القلوب حب الوطن والمواطنين

قررت انكثرتا ان يكون التعليم الاجباري من سن الخامسة الى الرابعة عشرة ولكن المانيا والسويد قررتاه من السادسة الى الرابعة عشرة فكان المالك الثلاث اتحدث في تحديد نهاية التعليم الاجباري ولكنها اختلفت في سن الابتداء وعندي ان يعمل بموجب نظام المانيا والسويد اذ يجب ان يترك الطفل عدداً من السنين يرتع ويمجري ويلعب ويقوى جسمه قبل دخوله في مضمار العلم حتى يكون له من الجسم وصحة المخ ما يضمن الما قيامه باعماله العقلية بدون تأثير في جسمه او اضعاف لحيته كما يحصل كثيراً للمصنفين بمن عقلية محضة — فمن رأيي اذن ان يكون التعليم الاجباري ههنا القطر من سن السادسة الى الرابعة عشرة

يتضمن التعليم الثلاث السنوات الاولى بالكتاب وبعد ذلك يجب ان ينتقل الى

المدرسة الابتدائية فيمضي بها خمس سنوات ويجب ان يكون برنامج المدارس الابتدائية على طراز يوهل التلميذ للانخراط في سلك المدارس الثانوية اذا اراد ان يشمل برنامجها شيئاً من الصناعة والزراعة ولذا يجب ان لا يتشغل تلاميذ هذه المدارس بالمواد العقلية الا في الصباح

فحق اجتمع هذان الشرطان امكن التلميذ دخول المدارس الثانوية ومنها الى المدارس العالية او الجامعة

اما اذا كان برنامجها لا يوهل التلميذ لدخول المدارس الثانوية فتكون كأننا اغلقنا باب التعليم في وجهه عقب انتهائه من دور التعليم الابتدائي وبذا نكون قد اتينا جرماً لا يفتقر

هذا فيما يخص طالبي التعليم المجاني . اما الاغنياء فعندي انه يجب ان يكون نظام تعليمهم كالألاني مدارس بسنتين الاطفال او الكندر جارتن . كما سماها موجدتها فردريك فروبل الالاني . وهي مدارس لصغار الاطفال من سن الرابعة الى الثامنة تقريباً وفيها ينظر للطفل كإنساناً صغيراً يقوم بحسن العناية والمدرسة هي في هذه الحال بستان والبستان هي المدرسة اذ ذلك التجارب على ان النساء وحدهن هن القادرات على ادارة مثل تلك المدارس — فيرى الطفل في هذه المعاهد من الوجوه الثلاثة الجسمية والادبية والعقلية وبعد ان يخرج الطفل من بستان الاطفال يجب ان ينتقل الى مدرسة ابتدائية توهله للمدارس الثانوية ومنها ينتقل الى المدارس العالية او الجامعات

اما الاختصاص في دراسة الزراعة او الصناعة فيجب ان لا يأتي الا بعد التلميحين الاول والابتدائي على الأقل حتى تضمن لذلك المزارع او الصانع مقدراً وافياً من الذكاء يوهله للقيام باعماله بفكر وروية

اما في الوقت الحاضر الذي يكثر فيه عدم الاميين من البالغين الراشدين فيجب ان نعمل عملاً آخر بجانب عملنا الخاص بالاطفال . يجب ان نسرع في اعطاء هؤلاء المساكين شطراً من التعليم يساهم على ترقية احوالهم ويمكنهم من ان يكونوا اعضاء عاملين في المجتمع الانساني بالمعنى الحقيقي .

السبتمبر اوغراف المناطق

اختراع جديد لاديسون لم يفجره بعد وانما اجرى بعض التجارب في نيو يورك فانت بتفصيل مواصفاته ويخرج المظلم ان يتغلب على ما يمتد منه من العقبات .

لغة الاسبرانتو

وضعها ذاك الطبيب الروسي لتكون كما هو معلوم اللغة التي يتفاهم بها بنو البشر وهي
تنتشر بوجه فيوماً فلجمعية الاسبرانتو الالمانية ١٩٢٢ فرعاً يبلغ عدد اعضائها ٦٠٠٠ وللجمعية
البريطانية ١٣٠ شعبة يختلف اعضاؤها بين الاربعة والخمسة آلاف . اما فرنسا فقد
سبقت عامة البلاد الى درس لغة الاسبرانتو ففيها ٢٤٠ جمعية اعضاؤها عشرة آلاف
وعدد جمعيات هذه اللغة في العالم بأسره يناهز الالف وستائة

المؤتمر النسائي السادس

اجتمع في مدينة استوكهولم برئاسة العقيلة شبان كات فافتتحت الحفلة بخطاب ذكرت
فيه انضمام بلاددين الى الاتحاد النسائي وهما سريريا وايسلاندا فبلغ مجموع البلاد المنضمة
٢٤ وقالت ان النساء في خلال سبع السنوات الاخيرة قرين من مطالبهن في خمس
عشرة امة وفي هولاندة والد ويس نلن حق الانتخاب لمضوية الكنائس وفي الدانمارك
حزن حق التصويت في المجالس العامة وفي اوسترااليا وزوج وفنلاندا وبعض اقسام اميركا
الشالية تعد النساء (منتخبات) وقد تأام عند انمقاد هذا المؤتمر جمعية للرجال الساعين
في اساعاف النساء بمطالبن

انتباه الصين

عين احد امراء الأسرة المالكة وزيراً فانقذ الناس تعيينه انتقاداً شديداً وقام
الفوضيون يهددون حتى قال المارشال فوكي النثري انه يود الانتقام للاربعمائة مليون
صيني الذين تظلمم الاسرة المالكة . على ان الصحف الصينية تطري الامير الوز ير لانه
صرح ان المواطنين في الحقوق مساواة وقد صدرت الاوامر الى رجال السياسة
والقنصليات ان يرتدوا بالملابس الاوروبية على بعض التغير فيها واصبح رجال الصين
يؤمنون بلاد اوروبا لتلقي العلوم الحديثة ولم يكونوا يجيئونها قبل ثورة البوكسر سنة
١٩٠٠ وصدر الامر بتبديل الازياء على اثر ما كان من سخرية الاوروبيين بعظماء
الصين الذين يثخصون الى ديار الغرب ولكن نهضة الصين تراقفها جميع معايب المدنية
الحديثة فالمبارزة دخلت حديثاً للبلاد وشرع الفوضيون باستعمال الديناميت

حوض البحر الميت

يشغل البحر الميت مساحة ٩٢٦ كيلومتراً مربعاً ومياهه ملأى بالخر وقد كانوا
يستخرجون من جنوبه ايام عظيمة بزنطية المرمر الثمين والرخام السابقي والكبريت

والنحاس والفحم والملح ومع هذه الثروة الطبيعية فقد اضرب القوم منذ عهد بعيد عن التعدين فيه حتى نال ملك الامتياز بذلك احد موطني الانترك وقد اوشك ان يتنازل عن حقوقه الى ماليتين امير كيين لقاء مليون ونصف من الريالات

الموت جوعاً

دل الاحصاء الرسمي على النتيجة المحزنة الآتية وهي ان ١١٩ شخصاً هلكوا في انكلترا جوعاً خلال سنة ١٩٠٩ ومنهم ٥٤ قضا نحبهم في لندن عاصمة الدولة البريطانية واكثر مدن العالم فاعتقد الكثيرون ان هؤلاء البائسين لم تسعفهم الجمعيات الخيرية بشيء

العال اليليون

من اغرب ما يشاهد في نيويورك ان مائة وخمسين الف عامل يقومون بواجباتهم ليلاً وبينهم قواد الترامواي والحوذيون والوقادون ومستخدمو البريد والتلفون وغلان المطاعم والمسارح فدار في خلد بعضهم ان ينشي ملهى يشغل من الساعة الواحدة بعد الظهر الى الرابعة والنصف لان معظم هؤلاء يودون ان يروا شبيئاً من الملاهي عند افانتم الظهر قبل العودة الى اعمالهم فانشي الملعب ونجح نجاحاً باهراً فافتنى كثيرون اثر منشئيه وقاموا باعمال اخرى من القاء الخطب والمحاضرات والاجتماعات الدينية

الفنون في الدور الحجري

بينت الحفريات التي جرت سنة ١٨٧٥ في وادي الفيزير ان الانسان في الدور الحجري كان اهرأ في الفنون فقد استطاع ان يحفر على الحجر صور الحيوانات التي عاش بينها وفي الحفرة غريرة ومهارة ومجبة وقد وجدوا اجمل تلك الرسوم في مغارة التاميرا فرأوا صور البقر والخيول الوحشية والخنازير البرية وقد رسمت بالتراب الاحمر والاسود في مظاهر مختلفة ومهارة فنية مدهشة واكتشفوا رسوماً اخرى في كومبارلس وكلها تروق النظر بدقة صنمها ومن اجمل مميزات الفن في العصور الحجرية الرسوم التي عثروا عليها في مغارة نيو فقد وجدوا الرسوم مخطوطة بالمراد هزيج من الفحم واوكسيد المنغنيز بألواناً في غيرهما من المغاور رسوماً ونقوشاً ترد الى ما قبل العصر الحجري وقد نقشت على العظم والعاج ثم انحطت هذه الفنون في العصور التالية لاسباب لا تزال مجهولة

المناطيد في الحرب

يشوقون ان يستخدموا المناطيد في آكة: اف مواضع العدو فتحقن بذلك دماء جنود الاستكشاف ويفضلون في هذه الخدمة الطيارات على المناطيد المسيرة وميزة هذه انها

تستطيع الوقوف على علو شاسع اذا كان الهواء ساكناً لتفحص الاراضي بدقة ويحاولون اليوم نقل الاثقال في المناطيد وقد استطاع المهندس بريكت ان ينقل ١٢ شخصاً وزنتهم ٦٣٣ كيلو ان قطعاً معدنية صغيرة وزن احداها خمسة وعشرين غراماً إذا القيت من طائرة تجر على علو ١٣٠٠ متر بسرعة ٩٠ كيلو متراً نفذ في الاجسام نفوذ قذائف البنادق وعشرة آلاف من هذه القطع لا وزن أكثر من ٢٥٠ كيلو

انتقال الطيور

عكف العلماء على دراسة هجرات الطيور وتمكنوا من معرفة أمور عنها على انها لا تزال محاطة بالاسرار الغامضة فلم يستطيعوا ان يفسروا كيف يجتاز بعض انواع الطيور ٣٨٥٠ كيلومتراً فيعبر الاوقيانوس الى جزائرها وهي وكيف ينقل سنونو البحر كل سنة من اقاصي الشمال الى البلاد التي حول البحر المتوسط في ذهابه واياباه نحو ٣٥٠٠ كيلومتر وقد ابدى احد العلماء ملاحظات غريبة بهذا الصدد فقال: ان هجرات الطيور بدأت بمسافات قصيرة فارتادت الارض وكانت المسافة بعد كل جربة تجربة عند ما عرفت الطيور مزايها الهجرة التي اعتادتها اما المسالك المواتية التي يفتحها النازحون فلم يقرروا عليها الا بعد ان اثبت لهم الاختبار انها امثل الطرق الى اماكنهم الصيفية او الشتوية والمزية التي جعلتهم يؤثرون تلك السبل على سواها هي انهم يجدون فيها الغذاء الكافي اثناء رحلاتهم غير مراعين في ذلك طول الطريق وقصرها قال فالقمري ذوه الرأس الاسود يعم في جنوبي الولايات المتحدة عند نهاية نيسان حتى يبلغ المكسيك ويرافقه في رحلته السنونو الاميري وفي ايار يعود الى الشمال في طرق اخرى فيتدرج قسم القمري نحو الاسكاتوا يخطف السنونو الى كرتلاندا فتزد مسافة ما يجتازه ٣٢٠٠ كيلومتر ويتقوت في رحلته بما يعرض له من الهوام الطائرة

بحيرة تشاد

ليس لهذه البحيرة الافريقية التي يكثُر الجغرافيون من وصفها خرابا غيرها من البحيرات فقد قررت بعثة بتلموا انها اشبه بمستنقع قليل العمق يمتد على مسافة واسعة ويختلف مقدار مياهه باختلاف الفصول وكية الامطار ومياه تشاد تقيع نقل فيها كلورات الصوديوم مما يبدل على وجود مصرف خفي لها تحت الارض وقد اكتشفوا بحيرة اخرى جفت مياهها وكانت قبلاً بمثابة مصب لبحيرة تشاد واقعة على بعد ٤٠٠ كيلومتر الى الجنوب الغربي و يزعمون ان هذه البحيرة كانت احدي موارد النيل

غداثر الصينيين

كان الصينيون يفاخرون بذوائبهم المسدلة على ظهورهم حتى دخلت بلادهم المدنية الحديثة فشرعوا يحزنونها ولهذا التبديل نتائج اقتصادية واجتماعية خطيرة الشأن فان الصيني كان يصرف على هندمة شعره خمس عشرة دقيقة في اليوم على الاقل وإذا حسبنا ان الرجل يجب ان يدفع للزين خمسة سانتيمات على الاقل عرفنا المبلغ الكبير الذي يقتصده الصينيون بالاقلاع عن تلك المادة ثم ان الذوائب تخلف الثوب الذي تسدل عليه فنقل مدة بقائه عشرة في المائة فاذا وفر الصيني على هذا الوجه عشرين سانتيماً في السنة اقتصدت الامة نحو مائة مليون فرك سنوياً نضيف اليها ثمن اوقات الهندمة ونفقاتها فيبلغ المجموع بضع مئات ملايين من الفرنكات فجر الغداثر في الصين عمل اجتماعي اقتصادي ترجع البلاد منه ارباحاً طائلة

مستقبل الكونفوشوسية

ارتاح اليابانيون ارباحاً شديداً الى تعاليم الديانة الكونفوشوسية وفي جميع البلاد اليابانية الكبرى يلتقون في فصلي الربيع والصيف محاضرات عن الفيلسوف الصيني العظيم فيأخذ الاساتذة البارعون يرددون فضائله ومزايا تعاليمه وتلفت حولهم الجماهير الغفيرة لتلقى عنهم العقائد كما تلقاها اول اتباعه لم يطرأ عليها خلل ولا تحريف

تاريخ الملاحة

اسم الرجل الاول الذي ركب البحر غائب في ظلمات العصور ولكننا نعرف ان الانسان افقهم البحر على جذع شجرة واستعان على التجديف بنفسه من غصونها ثم شرع يتجوزيف الجذع فبدأت الزوارق الحقيقية تطفو على وجه الغمر ثم استخدم الريح في سير السفن واقدام ما نعرف من السفن الشراعية مراكب البابليين التي اخترعتها مصر وفي مؤخرتها غرفة للريان على سطح مرتفع يمكن الريان من مراقبة السفينة ويأتي الفينيقيون بعد المصريين وقد نشروا تجارتهم البحرية في جميع سواحل البحر المتوسط وركب اليونانيون الحجج في القرن الثالث عشرة قبل المسيح وفي مراكبهم الحورية كانت نفق المقاتلة على جسر طاف ثم تحمي المراكب الرومانية وقد أصبحت اشبه بقلاع تطفو على وجه اليم مزدانة بهطع من الرخام وتماثيل محفورة واصنام من البرونز وفيها المكاتب الواحدة على نحو ما كانت عليه سفن كالينولا في سفراته على سواحل كامبانيا . ومركب التيكين صلب البناء لصعدوا فيه الى مقاومة الامواج المتضاربة في بحور الشمال ولهذا بنى الفريدي الكبير اسطولا لانكفروا

على ذلك الطرز ولكن الملاحة الحديثة في تلك البلاد تزني الى عهد تيدورس واول
باخرة اجتازت بحر الظلمات الثلاثينيك سنة ١٨١٩ بنيت في اميركا ودعيت مسافانا
ولسكن الجمهور لم يرغب في ركوب السفن البخارية ولم تزل شكوكه وخاوفه حتى كانت
سنة ١٨٣٨ فاجتازت الثلاثينيك اربع سفن تجارية كبرى بدون مساعدة التلوع
استان من خشب

اخترعها احد اطباء اليابان للقوم مقام العاجية وغيرها ولا يزال فيها بعض الغلل
غير ان المخترع يرجو ان يتداركه

الميجين العام

شرع الصينيون يفكرون في حفظ الصحة فاتخذت مراكز الامم براطورية الوسائل
الفعالة لمقاومة الطاعون وأنشئت في البلاد الادارات الصحية
جامعة باريز

يزداد عدد الطلاب في هذه الجامعة سنة فسنة وعدد الاجانب فيها يقارب عدد
الفرساويين ففي قسم الآداب يوجد ٨٠٠ اجنبي و١١٤٧ فرنسويا وفي قسم الطب
٣٥٠ اجنبيا و٣١٨ فرساويا ومجموع طلبتها ٢١٢١
موسيقى المستشفيات

أفت في باريز موسيقى خاصة بالمستشفيات تعزف لتسليه المرضى ولا سيما النافذين
منهم فأت بنتائج حسنة حملت جميع البلاد على اقتفاء اثر فرنسا في هذا الصدد فتألفت
موسيقى من نوعها في بطرسبرج عاصمة البلاد الروسية
الاتومويل في المانيا

نجحت صناعة الاتومويل في المانيا نجاحاً باهراً فزاد عدد معاملها من ١٥ الى ٨٠
في بضع سنوات وارثي ثمن المصنوعات من ستة ملايين مارك الى ثمانين مليوناً
قوة الولايات المتحدة

بات حديث الحرب شائعاً في جميع انحاء الولايات المتحدة وشرعوا يتسللون عن
مبلغ قوتها ابان الحرب فكتب كاتب اميركي قول : عندنا جيش منظم في زمن الحرب
فجيز الميليس والمتطوعين فيستدعي الاولين رئيس الجمهورية على ان الآخرين لا يجتمعون
الا بعد قرار المجلس والميليس انفسهم يقسمون الى قسمين الحرس الوطني وغير المنظم
ولنا حسب تقرير سنة ١٩١٠ جيش فيه ٨٥٣٩٢ جندياً وضابطاً وليس لنا من فرق

الخفر سوى فرقة المدفعية الساحلية والتابور يؤلف من ٨٠٠ الى الف رجل فيهم المشاة والمدفعية والفرسان وليس عندنا في زمن السلم سوى ٣٤٤٥٦ جندياً وضابطاً وبنيني لنا ان نجهز ٧٠٠٠ آخرين ليكونوا قوة سيارة ومعظم ما يبلغه عدد المجلس المنظم ١١٩٠٠٠ بين جندي وضابط اما سائر فلا يعول عليه في غمرات الحرب واذا ضممتنا اليهم المتطوعة بلغ عدد جيشنا ٢٢٤٠٠٠ ذلك ٥٣٢ مدفعاً . يقولون ان الحاجة تسن الشريعة فعلينا ان نحدث الجيوش وندعو الامة لحمل السلاح وفي الولايات المتحدة ١٦ مليوناً من الرجال تختلف اعمارهم بين ١٨ و ٤٥ فاذا دعي نصف هؤلاء للتدريب كان لنا جيش يبلغ الثمانية ملايين يزود عن بلادنا غارات الاعداء ولا ينكر ان موافقنا محصنة ولكن ثقتها الذخائر والمؤمن

جنازات المعمرين

كان قدماء المعمرين في عهد الفراعنة يعتقدون ان الاموات يسيرون الى ماوراء جبال ليبيا حيث تموت الشمس في المساء لتبعث في اليوم التالي فكانوا يشيدون اضرحتهم في الغرب ويمسبون ان الاموات ينزلون سهل عبره وفي احدى اوراق البردي المكتشفة رسم الشماثر الدينية التي قاموا بها في جنازة احدى السيدات وكانوا يحاكون الميت بحاكة عثروا على صورتها في ورقة اخرى ويضحون عن نفس الاموات

التلفون في الابداء الشاسعة

تقدمت المراسلات التلفونية تقدماً غير متناهي ونجح المكنشفون بنقل الاصوات في الابداء الشاسعة فدوا اسلاكاً تحت البحر بين ابونس كليف قرب دوفر في انكلترا ورأس كرينه في فرنسا وقد توفرت في الاسلاك جميع الشروط المطلوبة حتى انها فاقت عامة الجهازات المستعملة للمخاطبة عن بعد بحيث ويمكن استعمالها بين محطات لا تتجاوز المسافة بينها الفاً وخمسمائة كيلومتر . ويعتقدون انهم يستطيعون ان يصلوا بين لوندرا واستراخان بالتلفون فيمتاز مدن اوربا كافة ويؤكد المهندس الانكليزي انه بعد عشر سنوات تقدر شيكاغو ان تتخاطب بطرسبرج وشركات التلفون والتلفون في اميركا ترى انها بالغة يوماً بتسنى لها فيه الوصل بين شرقي الولايات المتحدة وغربيها باسلاك التلفون وتعلن انه قبل انقضاء هذه السنة يتم معظم المشروع ويسود في نيويورك ولوندرا اعتقاد بان الاكتشافات الكهربية ستجعل المخاطبة التلفونية ممكنة بين اي نقطة وثبت اليوم ان الاصوات المنقولة بالجهازات الحديثة تسمع بوضوح وجلالة

وهرفوا من التجارب ان ليس ثمة من فائدة في تليف الاسلاك بالمطاط اذا لم يكن منه اضرار وفي التليفون اسرار لا نكتشف الا تدريجاً كما هي الحال في التلفراف والفونراف والنور الكهربائي ومحركات البخار وتوفر العمال على الانفاق يذل كل يوم عقبات حجة حتى لتستطيع القول مع نابليون ان العالم ليس لديه مستقبل باريز ميناء بحرية

يفكرون اليوم بمحرق قناة بين باريز والاقويانوس ويقدرّون نفقاتها بنحو اربعمائة مليون فرنك وبالقون في منزلة هذه القناة الاقتصادية والحربية غير ان باخرة واحدة تفرق فيها ايام الحرب تسدها وتجعل المرور فيها مستحيلاً والقانون بالمشروع يهبجون رغبة الناس اليه ويضربون الامثلة ان انكسرتا حفرت قناة مانشستر والمائتا قناة كيال وان بلجيكا تدأب لتحول عاصمتها بروكل الى فرضة بحرية . ولكن هذه الافقية الاجنبية لم تكن للدول مورد غنم وفائدة لأن ارباحها ضئيلة جداً مقابل نفقاتها الفاحشة المرض في روسيا

نشر احد الاساتذة في الاكاديمية الطبية احصاء للأمراض التي تنتاب الروسيين جاء فيه انه يمرض كل سنة منهم ١٧ مليوناً اي واحد في السنة ويمحدث مليون وخمسمائة الف وفاة . اما الاصابات فمنها ستة ملايين بالامراض السارية يتوفى منها ١٢٠٠٠٠٠ واشد تلك الامراض فتكاً الجرب والملاريا والسل الرئوي وحمى التيفوس التعليم في نروج

سنة ١٨٨٥ انشيء في نروج جامعة للفعلة مدت فروعها في البلاد منذ ذلك الحين فاصبح لها سبعون شعبة ونظارة المعارف تساعد هذه الجامعة والفعلة المتخرجون فيها يتعهدونها بالهبات والاعطيات وبلغ عدد الحضور في جامعة كريستيانيا ٤٢٠٠٠ وهو عدد مفرط الكثرة بالنسبة لعدد الشعب وفي هذه الجامعات مكاتب للطلّاعة ومعامل من الطراز الاول

الجامعات في الدانمارك

الدانمارك بلاد زراعية رأى الناعون من اناسها ان يتلفظوا بنشر المعارف فيهم فانشأوا الجامعات الوطنية تلي دروسها في الشتاء فقط اذ لا يكون للزارع وقتئذ ما يجيب عليه عمله فيجدهم اليها الوف من فلاح الدانماركيين ومزارعيهم ممن يعملون صيلاً في الحقل

والمزارع فيقبلون على الطلب ويتلقون الدروس في معاهد تقوم بها جمعيات مختلفة تمدها الحكومة بالمال

وبقصدون من هذه الدروس الى تعريف العامل بوسائل تحسين الزراعة فيدروسونه الكيمياء والزراعة على الاصول الحديثة ويزودونه بالمعارف التي تفيده في حياته ولا يخلو فيها التهذيب العام

المدرسة الافرنسية في بطرسبرج

نسعى فرنسا لنشر تهذيبها في العالم بأسره فهي لم تكثف عن بقدر عليها من الطلبة الاحاط بل عمدت الى نشر مدارها في البلاد فانتأت مدرسة فلورنسة واخرى في مدريد وسيوسس لها مثيل في بطرسبرج عاصمة الروس وقد قال احد كبار الفرنسيين « ان وجود مثل هذه المدرسة في عاصمة شعب يبلغ عدده ١٦٠ مليوناً شديد الارتباط بالشعب الفرنسي يكون له نتائج جلى » فاصفت امته الى قوله ولا يلبث المشروع ان يتحقق

دور المطالعة في اميركا

سبقت اميركا سائر البلاد في اشاء هذه الدور وتآلفت الجمعيات للاكثار منها وعقد مؤتمر لها في فيلادلفيا سنة ١٨٧٦ قرر ان تنشر دور المطالعة في عرض البلاد وطولها لتهدب الشبان والعمال وكانوا لا يسمحون بدخولها الا لمن هاضم الثامنة عشرة من عمره ثم خفضوا ذلك الى الثانية عشرة فالثانية عشر فالثاني وثلاثون تلك الدور مكفوف بارشاد الاطفال الى مطالعة الكتب الاغزر فائدة لهم وقد يجهشهم الطفل طالباً كتاب قصص عن ذوي الجلود الحمراء ولا يزالون به حتى يطلب كتاباً او فرقة او جزل عائدة ولم تكثف الجمعيات بذلك بل اشأت مستودعات للكتب في الحارات المختلفة قائلة يجب علينا ان نسير الى الفتيان والفتيات ولا ننظر بحديثهم اليها . وازادت المدرسين على تسهيل المطالعة للطلاب باعارتهم الكتب التي يرغبون فيها او باشاء مكاتب صغيرة للمطالعة في مدارسهم . وما ازدهرت هذه المكاتب الا بفضل المتبرعين لها من انصار العلم والانسانية والباذرين في سبيلها مبالغ جسيمة وحسبك بهات كارنجي وغيره من كبار الاغنياء دليلاً على ما نقول وبنوا لمن بلغوا اندم مكاتب فيها جميع المجلات والصحف الصادرة في ذلك اليوم فيحيثما الشبان في اول امرهم لمطالعة هاتيك الوريقات ثم يألون المطالعة رويداً رويداً فيتشوقون الى قراءة المصنفات الناجمة الممتعة . وفي مدارس

الشعب مكاتب عامة خدمت التهذيب العام اجل خدمة وعملت على ترقية روح الشعب .
قلنا ان اغنياء الامير صكبين تمهدوا تلك الدور بالمبات الطائفة ولقد انشأ المستر
اندر و كارنجي الغني المشهور الفكا وثم ثمانية مكتبة انفق عليها ٥١ مليون دولار ونيقاً
وكلها في البلاد التي يتكلمون فيها باللغة الانكليزية فهي منتشرة في الولايات المتحدة
وكندا وانكلترا وبلاد الغال وايرلندا وايكوسيا وزيلاندا الجديدة والهند الغربية
الانكليزية واوستراليا ونياميا وافريقية الجنوبية وغيرها

مخطوطات وطبوعنا

توجيه النظر الى علم الاثر

تأليف الشيخ طاهر الجزائري طبع بالمطبعة الجمالية بمصر على نفقة احمد افندي ناجي
الجمالي ومحمد امين افندي الطنجي واخيه ص ٤٢٠

اعتاد استاذنا مؤلف هذا الكتاب ان يضع تأليفه في اكثر العلوم المختلفة التي هو امامها
المحقق بحسب المناسبات فبينما نراه يؤلف كتاباً في البيان اذا هو ينظم بدعيمة
ويشرحها وبينما هو يؤلف كتاباً في الطبيعيات اذا هو يكتب كتاباً في قصص الانبياء
وفيه رد على من طعن بالاسلام فتارة يؤلف في العقائد واخرى في النحو وطوراً في
الخطوط واحياناً في الحساب والمساحة ثم نراه يشرح رسائل ابن نباتة ويودعها من
دقيق الابحاث ما ينفع ويلذ ثم يكتب كتاباً في الالغاز والاحاجي وآخر في الادب
ثم في اللغة ثم في التاريخ ثم في التفسير وآخر كتبه هذا المصنف الجليل الفه على غير مثال
احتذاء وان كان المؤلف الامام لا يسير خطوة بدون الاحالة الى كتب الائمة واستخراج
درر مجهرهم والانتفاع بعلومهم . لا نعلم اليوم عالماً من علماء الاسلام جمع فاعى في الفنون
المختلفة مثل هذا المؤلف واجاد كل الاجادة فيما ألف واختار المناسبات لاطهار مارزقي
من علم وفضل تجارب . وقد وصف كتابه الاخير في سطر فقال : « اما بعد فهذه
فصول جليلة المقدار ينفع بها المطالع في كتب الحديث وكتب السير والاخبار واكثرها
منقول من كتب اصول الفقه واصول الحديث » ولكن ما نقله الاستاذ لا يسهل على
كل عالم ان ينظر ؛ دع عنك من دون درجة العلماء وقد ضمه انفع ما وقع عليه في

ابحاثه وما اطلع عليه من كتب السلف ومن اهم ما قرأنا فيه مقالة في الخط العربي والحركات العربية ما نظن عالماً شرقياً او غربياً يكتب ما يدانيها في التحقيق والجمع باطراف هذه المسألة مما دل على بعد غور العلامة المؤلف واصلاحه الشديد في خدمة العلم امتنع الله الاندية العلمية بثمرات فضله

المجازات النبوية

للشريف الموسوي السيد الرضي طبع بمطبعة الآداب في بغداد على نفقة سيد حسن صدر الدين من ٢٨٧

كتاب جليل يشتمل على مجازات الآثار النبوية وفيها كثير من الاستعارات البديعة ولعل البيان العربية واسرار اللغة اللطيفة وهو من افيد ما احب من آثار السلف قدم الطابع امام الكتاب ترجمة مؤلفه وناهيك به من حبر كبير من احبار الاسلام وبحر من بحور العلم والعرفان . وكنا نود لو عني الطابع بتصحيح الكتاب على احد علماء العرب في العراق ليكمل تأليفاً ووضعاً وطبعاً وشكلاً وعلى كل فله من الآداب الثناء

تاريخ التمدن الاسلامي

تأليف جرجي افندي زيدان نقله الى التركية زكي بك مغامر طبع بمطبعة فناخت في الاسنانه سنة ١٣٢٩

نشر المترجم وهو من الكتاب المجيدين بالعربية والتركية ترجمة تاريخ التمدن الاسلامي وسماه « مدنيت اسلاميه تاريخي » عني بنقله طبق الاصل بحيث لا يشعر قارئه باللسان العثماني انه مترجم ويوقن من قرأه بالعربية اولاً ثم قرأه بالتركية ان المترجم استعمل غاية الامانة في نقله فاستحق ثناء الآداب العربية ونفع بما نشر مكاتب اللغة العثمانية . وقد نشر منه حتى الآن ثلاثة اجزاء وبقي عليه الجزآن الاخيران

كتب مختلفة

رحلة فيصر افندي صباغ وقرينته العقيلة فحلا (مطران) صباغ بين الولايات المتحدة الاميركية وسورية ولبنان طبعت بالمطبعة الاولية في بيروت
العبر — نظمها ميخائيل افندي الصقال بعد حوادث سنة ١٩٠٩ في انطاكية وغيرها
من بلاد قيليقية طبعت بحلب في المطبعة المارونية
صحيفة الوجدان — هي شذرات من منظومات محمود رمزي افندي نظم من ناشئة شعراء مصر في موضوع التربية والاجتماع وتربية النساء

سمير الليلي — الجزء الثاني مصدر الثرائب الزمانية في أشهر الحوادث التاريخية تأليف
محمد أمين أفندي الصوفي السكري طبع بمطبعة البلاغة بطرابلس الشام على نفقة المكتبة الرفاعية
أرجوزة في علم القيافة — للتشيخ محمد أمين العمري المتوفى سنة ١٢٠٤ طبع
بمطبعة دار السلام ببغداد

تحذير المسلمين عن اتباع غير سبيل المؤمنين للشيخ عبد العزيز البداح الكويتي
طبع بمطبعة دار السلام في بغداد
منظومات جميل أفندي الشطي الدمشقي نظمها في أغراض مختلفة ومنها الاجتماعي
طبع بمطبعة الانصاف بدمشق

ثلاث مجلات

كان الشهر الماضي من أبرك الشهور على الآداب العربية في مصر والشام والعراق
نشأت للغة العربية في هذه الاقطار ثلاث مجلات رائقة نشرها رابها عن كفاءة بعد التخرج
في الموضوعات التي عانوها سنين فجات مجلاتهم ناضجة في الجملة من اول صدورهما فالجدة
الاولى صدرت بالقاهرة اسمها «البيان» وهي تبحث في الادب والتاريخ والفلسفة
والاخلاق والتربية والاجتماع والنقد والروايات والصحة وتدير المنزل وتعنى بنشر آثار
الغرب وآثار العرب لمنشئها الشيخ عبد الرحمن البرقوقي ومحمد أفندي السباعي وهي
شهرية في ٨٠ صفحة واشتراكها السنوي ٥٠ قرشاً مصرياً . والمجلة الثانية «مجلة
الآثار» وهي عامة المباحث شهرية تصدر عن رحلة في لبنان لمنشئها عيسى أفندي
اسكندر المألوف واشتراكها في البلاد العثمانية ريال مجيدي ونصف وفي غيره عشرة
فرنكات وهي شهرية في ٣٢ صفحة . والمجلة الثالثة «لغة العرب» وهي شهرية ادبية
علمية تاريخية لمنشئها في بغداد الاب اناس ماري الكرمل واشتراكها في الديار
العربية تسعة فرنكات وفي الديار الاجنبية اثنا عشر فرنكاً وعدد صفحاتها ٤٠ .
تصفنا الاعداد الاول من هذه المجلات المتقنة فأينا فيها ابحاثاً متممة وشذرات مفيدة
تدل على بعد غور اصحابها العالمين الباحثين وادبهم وغيرتهم على نشر الفضائل والمعارف
واكل منها ميزة تختلف عن الاخرى وكلها متناسبة في التنسيق والجمع بين ما يروق
الخاصة ولا يتبرم به العامة فسي ان تجد هذه الصحف من الناطقين بالفاضل تستفي من
الاقبال ليزيد ذلك في نموها ويضمن لها البقاء حتى تضاهي اكبر المجلات الاوربية بعون الله

المقصد

كتب اللغة الانتقادية

اختلط العرب بالاجانب بعد الفتح فأثر التباينهم بهؤلاء فيهم آثاراً سبقها التأثير في لغتهم لان اللغة وهي آلة الترجمة والتفاهم اقرب الى الانفعال من الاخلاق والعادات بل هي المدخل الى انفعال الآداب ولنا من اهتمام الامم الحية بنشر لغاتها دليل بات على ذلك ولا اريد هنا شياع الالفاظ الدخيلة^(١) وتسربها الى العربية فان ذلك انما ظهر بعد تبسط الامة في العمران ولكن أريد بذلك اللحن الذي حدث بعد الفتح او في آخرياته والعرب عرب في ازليتهم واوضاعهم وشظفهم في المعيشة فقد بدأوا يلحنون في التراكيب ثم في المفردات وانتهى ذلك بوضع علم يحفظ التراكيب من الخطأ وهو النحو وآخر يحفظ المفردات الصحيحة وهو علم اللغة وابتدأ العلماء قبل عهد التدوين ينتقدون اللحن في محاوراتهم ثم دونت اللغة ودون في اثنائها فن يصح ان يسمى (اللغة الانتقادية) وهو فرع بمعنى خاص من علم اللغة تنتقد فيه المفردات المستعملة غلطاً في كلام الخاصة والعامة فيذكر فيه المصحف والحرف والمقلوب والمستعمل في غير موضعه والتخفيف وضع حر كانه وسكناته وقد ألف في هذا الفن جماعة من اقدمهم ابو عبيدة

(١) شاع في العصر العباسي استعمال العرب والمولد شيوع الاجنبي في هذه الايام وهذا هو القصد من نسبه لذلك العصر عصر تبسط الامة في العمران لانه حدث فيه ابتداء فان كثيراً من الدخيل يرجع الى عهد احتكاك العرب بقدماء المصريين وبالفرس والهنود وغيرهم من الامم التي احتك العرب بها في الجاهلية فاقبسوا عنها مفردات غير يسيرة

ممر بن المنى اللغوي البصري المتوفى سنة ٢١١ وقيل قبل ذلك الف كتاب (ما يلحن فيه العامة) ولعله اول من كتب في هذا الشأن فاني لم أجد غيره ممن طرق هذا الباب الا اتلى منه وللإمام أبي بكر المازني المتوفى سنة ٢٤٨ كتاب بهذا الاسم ولا ياتي حاتم سهل بن محمد السجستاني العالم الشهير المتوفى سنة ٢٥٥ وقيل قبل ذلك بقليل كتاب (لحن العامة) وبهذا الاسم كتاب لابي حنيفة احمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٢٩٠ والف المفضل بن سلة الفاضل الكوفي صاحب الاستدراك على العين وكان معاصراً للفراء ومنقطعاً للفتح بن خاقان كتاب (الفاخر) في لحن العامة وبهذا الاسم ايضاً كتاب في لحن العامة لابن البلخي وكان مستوفياً في بلخ على عهد السلطان محمد السجوقي والف محمد بن الحسن الزبيدي الاشبيلي المتوفى سنة ٣٧٩ كتاب (ما يلحن فيه عوام الاندلس) ولا ياتي هلال العسكري صاحب كتاب (الصنائع) المتوفى سنة ٣٩٥ كتاب (لحن الخاصة) والف ابن باني محمد بن علي السبكي المتوفى سنة ٧٣٣ كتاباً في لحن العامة وفيه كتاب لابن هشام محمد بن احمد اللخمي المتوفى قبل السائمة

وقد انتقد جماعة من اللغويين كتب آخرين منهم فن الكتب المتقدمة وهي في موضوع انتقادي كتاب (درة القوام في اوهام الخواص) وهو الكتاب المعروف لابي القاسم محمد بن عثمان الحريري البصري صاحب المقامات المتوفى سنة عشر وخمسمائة وقيل سنة ٤٦٠ وقد اعتنى به الادباء فحشاه وشرحه واختصره وزاد عليه ورده ونظمه جماعة منهم ومن شرحه شرحاً انتقادياً شهاب الدين الخفاجي المصري صاحب الديوان المعروف وابو القاء الالوسي البغدادي صاحب (روح المعاني) وسمى شرحه (الطرة) وزاد عليه ابر منصور موهوب بن احمد الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ ملحقاً سماه التكملة واكن في لحن العامة ومن رد عليه ابن الخطاب المتوفى سنة ٦٧٠ ورد على الحريري في الدرة ايضاً ابو جعفر محمد بن عبدالله المكي اللغوي المتوفى سنة ٥٦٥

ومن العلماء النقادين ابو نعيم علي بن حمزة اللغوي البصري المتوفى سنة ٣٧٥ رد على ثعلب في الفصح كما انتصر له ابن خالويه ولا ياتي نعيم هذا ردود على جماعة من اللغويين وصنف ابو حاتم المروزي كتاب (الرد على ابي عبيدة) في غريب القرآن ولعبد السلام بن عبد الرحمن اللخمي الاشبيلي المتوفى سنة ٦٢٧ كتاب يرد به على ابن سيده صاحب المخصص المتوفى سنة ٤٥٨

ومن رجال الانتقاد في اللغة محمد الدين الفيروز بادي صاحب القاموس فقد خطأ جماعة من اللغويين منهم أحمد بن فارس القزويني اللغوي صاحب (المجمل) المتوفى سنة ٣٩٨ قان الفيروز بادي جمع عليه ألف وم في كتابه المعروف بالمجمل وذلك في كتاب مستقل وكتاب المجمل هذا يقع في جزئين كبيرين ويوجد جزؤه الاول عند احد الادباء في النجف مخطوطاً في القرن السادس على ما اظن ولا احفظ السنة ويوجد منه جزء في مكان آخر ولا اعلم أهو الاول ام الثاني ومن خطأ صاحب القاموس الامام ابو نصر اسمعيل بن حماد الجوهري صاحب (الصحاح) المتوفى سنة ٣٩٣ قان من يتصفح القاموس يجد نسبة الوم الى الجوهري في مواضع كثيرة منه والقاموس انما بني على انتقاد الصحاح والزيادة على ما فيه ثم ان الفيروز بادي يغشى ابن فارس أكثر مما يتحاشا من الجوهري على ان صاحبي المجمل والصحاح متعاصران لا يعلم ان الجوهري أجاد فيما كتب أكثر من ابن فارس ولكنه انما تناول الاول وحطه منه لتوفر الناس على مطالعة كتابه واشتهاره أكثر من المجمل فنال غرضه وهو ان نبذ القراء الصحاح واقبلوا على القاموس وهو وان كان اوفر مادة الا انه اعجمي اللهجة ثقل العبارة عكس الصحاح

وانتقد الصحاح جماعة غير الفيروزبادي منهم الامام ابو عبدالله ابن بري المتوفي سنة ٥٧٢ م في كتابه (التنبية والابضاح عما وقع من الوم في كتاب الصحاح) والقايني الاكرم علي بن يوسف القفطي مؤلف تاريخ النحاة^(١) من علماء القرن السادس كتاب (اصلاح الغلل الواقع في الصحاح) والهاشمي صاحب شرح لامية المعجم المتوفى سنة

٧٥٧ كتاب (نفوذ السم فيما وقع للجوهري من الوم) وقد انتصر للصحاح على القاموس جماعة منهم القاضي اويس بن محمد المتوفى سنة ١٠٣٧ في كتاب سماه (مرج البحرين) ومنهم ابو زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز تزيل مكة في كتاب سماه (الوشاح في رد توهيم المجد للصحاح) وقد اعتمد المؤلف في رده على مجمل ابن فارس ومختصر العين للزبيدي وعلى نسخة من نهاية ابن الاثير بخط المصنف وعلى نسخة وقت له من الصحاح خالية من التصحيف والتخريف المعارضين للذين اوها بعض المنتقدين فرد على الجوهري في بعض المواضع وقد احسن نصير الصحاح هذا في دفاعه ماشاء ولا يكاد يوجد هذا الكتاب الانتقادي على انه مطبوع وهو يقع في ١٣٤ صفحة متوسطة طبع سنة ١٢٨١ يولاق بالمطبعة الكبرى الممتازة

وقد ألف النقادون كتباً في الرد على القاموس نفسه منها كتاب (المر اللقيط في اغلاط القاموس المحيط) لمحمد بن مصطفى الشهير بدادود زاده المتوفى سنة ١٠١٧ ولدي كتاب (القول المأثور في شرح مغلط القاموس) وهو تعلية جمعها مؤلفها من حاشيتين احدهما لبدي الباسط سراج الدين البلقيني والاخرى لجمال الدين الشهير بسعدي الرومي والكتاب مبني على ايفساح بعض الجمل والمفردات وقد تذكر فيه مواضع الخلاف بين صاحب القاموس وصاحب الصحاح وغيره ويزاه عليه من المعاني في الصحاح ما قد اغفله الفيروزبادي وردت فيه بعض المواد التي ادعى اغفال الصحاح اياها الى نسخة من الصحاح مصححة وجدت تلك الالفاظ في هامشها وخط التعليق حسن متأخر وورقها جيد مذهب وصفحاتها ١٤٦ ولا احرف لها ثانية

ومن انتقد القاموس ورد عليه السيد علي خان صاحب (سلافة العصر) و (انوار الربيع) وهو احد اعلام الادب في القرن الحادي عشر فانه ألف كتاباً يمتدح في القلم سماه (الطراز) ولكنه لم يتم ويوجد جزآن منه في بعض المكتبات الخاصة في النجف وصممت صاحبه يقول انه تلج سقطات صاحب القاموس كما تتبع هذا سقطات صاحب الصحاح فهو يقول ووم (الفيروزبادي) كما يقول الفيروزبادي ووم (الجوهري) وآخر من تجرد للرد على القاموس فيما اعلم الرحوه احمد فارس صاحب الجوائب وكتابه (الجاسوس) معروف عند المتأدبين وهو من احسن الكتب الانتقادية

والمنفعة الربية في نشأتها الاخرى اي بعد انتشار الصحف اخذ بعض الكتاب ينقد الالفاظ والأساليب العامة والرسكلة الملقبة من الأجانب ومن القدم جهاداً

في ذلك الرحم الشيخ ابراهيم اليازجي فانه كتب في مجلة (الضياء) وفي غيرها تفصلاً في
الاصلاح اللغوي صحح فيها اغلاط الكتاب وانتقد لهجتهم ولكنه اخطأ في اشياء بني
علي خطم القوم فيها ولا يزال يجيء في الجرائد والمجلات شيء من الانتقاد اللغوي سواء
كان ذلك على الكتب المؤلفة او في مقالات خست بانتقاد اغايط الكتابة المصرية
والمقتبس في المجلة التي تصدر على هذا البند الصحيح الذي يبشرنا بحياة جديدة لهذه
اللغة التي امتنها اهلها وحمل الناس ثمر امانتها اعتماد ابنائها غوارب الفرقة والجهالة

ومن الرسائل التي قرأتها في اللغة الانتقادية رسالتان وقفت عليهما في مجموعة ذات
رسائل في موضوعات شتى واسم احدهما (سقطات العامة) وهي كراسة صغيرة مرتبة
على حروف المعجم وقد شذ منها بعض حرف الحمزة والرسالة غير منسوبة لاحد ولم
اجدها في كشف الظنون الا ان لهجة كاتبها تدل على انه من المتأخرين والرسالة الثانية
تقع في كراستين ونصف وهي كتابتها مرتبة على الحروف لكنها خير منها واجمع انصح
لفظاً وارصن تعبيراً ولم تنسب لمؤلف ايضاً وفي كثير من فصولها بذكر ما نصه (الزائد
من كلام ابن الحوزي) ولعل هذا هو ابو الفرج عبدالرحمن صاحب كتاب (المدحش)
الذي نشر المقتبس وصفه وخط الرسالتين سقيم حتى لا يكاد يقرأ هذا والى قراء المقتبس
شيئاً مما جاء في سقطات العامة ^(١)

فصل الحمزة

مما جاء فيه (الابوان) بكسر اوله الصفة العظيمة والناس يفخون همزته وهو لحن
اذ هو لفظ عربي كالدبيان ولكن يجوز الفتح في الديوان حكاه في القاموس

فصل الباء

مما فيه (البرية) بتشديد الراء الصحراء والجمع ابرار وتخفيف الناس راءها (عامة
العراق تشدها اليوم) غلط اذ هي بالتخفيف من برأ الله الخلق اي خلقهم (البشارة)
هي بالفتح بمعنى الجمال والاسم من البشوى بكسر الباء وضمها لا غير والناس (عامة العراق
تسكن الباء) يفخون الباء في الاسم من البشوى وهما منهم (الباكورة) هي من مخترعات

(١) يراد بالعامية احط طبقات الهيئة الاجتماعية في العلم والآداب والظاهر انه
ينبغي لنة بلاد خاصة من بلاد العرب فان بعض اللحن لا يوجد في بعض الاقطار وان
كان بعضه عاماً

العوام وليست من كلام العرب والصحيح البكر (بنيامين) هو كاسرافيل اخو يوسف عليه السلام ولا نقل (ابن يامين) وقد شاع بين الناس ابن يامين ظناً منهم انه لفظ عربي وليس كذلك بل هو اعجمي وهو غير الذي في معلقة طرفة (البلور) على وزن نور وسنور معروف فكسر الباء مع ضم اللام على ما هو المشهور لحن

فصل التاء

كما جاء فيه (التوامان) هذه اللفظة ثنية توأم يقال اتأمت المرأة فهي متأم اذا وضعت اثنين وغلط الناس انهم يستعملونه بمعنى (التوأم) اي المفرد (الترجمة) بفتح الجيم مصدر على وزن فعلة من ترجمه وترجم عنه اي فسر وما شاع بين الناس من ضم الجيم خطأ (التهجمان) يقولونه بفتح التاء وضم الجيم ولم يقل به احد من اصحاب اللغة

فصل التاء

كما فيه (الثقل) كمنب ضد الخفة ويستعمله البعض في هذا المعنى بسكون القاف وهو خطأ قال في القاموس الثقل واحد الاثقال كجمل واجمال (الثيب) يزيدون في هذه اللفظة تاء ويقولون (ثيبة) وهو خطأ لانها وردت مجردة عن التاء بلا خلاف

فصل الجيم

كما جاء فيه (جمادى الاولى والاخرى) فعلى كجالي والعوام تستعمله (لم نسمع هذا الاستعمال) بالمعجمة المكسورة ويصفونها (هذا معروف) بالاول فيكون فيه ثلاثة تحركات قلب المهملة معجمة والفتحة كسرة والتأنيث تذكيراً وكذا جمادى الاخرى يقولون فيها جمادى الآخر بلا ياء والصحيح الآخرة او الاخرى وهما معرفتان من اسماء السهور وكذا ربيع الاول وربيع الآخر في السهور واما ربيع الازمنة (يريد الفصول) فالربيع الاول باللام

فصل الحاء

كما جاء فيه (الحباب) يستعمله الأكثر في التفاحات التي تعلو على وجه الماء بضم الحاء وهو خطأ اذ هو بضم الحاء المحبة فالصحيح فتح الحاء (كتب الاخبار) هو بالحاء المهملة واشتهر بين العوام بالمعجمة لكثرة ما يرويه من الاخبار قال في الصحاح كتب

(١) في القول المأثور ما نصه قال المصنف وكتب الخبر ويكسر ولا نقل الاخبار انتهى قوله (ولا نقل) قد وقع ذلك للمؤلف صيغتين وتبيع بن طاسم بن امرأة كتب الاحبار

الحبر منسوب الى الحبر الذي يكتب به لانه كان صاحب كتب وقال صاحب القاموس ولا يسمع الاخبار (اي بالمجعة) الا في الروايات (الحيدر) هو بالحاء المهملة من اسماء الاسد والحنانون يستعملونه (هذا الاستعمال لا يعرف في العراق) بالمجعة وههنا حمل المؤلف على الناس متأففاً من الجهل والتقليد فكأنه يدعوهم لعمال مستقلين لا يضلحكم القديم ولا العادات الموروثة فقال يستعملونه بالمجعة لعدم زوال الكزازة منهم بتحصيل طرف من العلم بل ربما يسمعون الحق فلا ينتهيون لان ترك المؤلف صعب ! (الحيوان) هو بالتحريك جنس الحمار وأصله حيوان ذكره في القاموس فاسكان الياء كإفعله العامة لحن

فصل الدال

مافيه (الدعاوي) هي كهماري ^(١) جمع الدعوى وبكسر الراء خطأ (الديانة) هي معروفة فلحن بعض العوام بتقديم النون على الياء (هو غير معروف) وقولهم دنابة عن الجهل كتابة وعلى اللفظ جناية

فصل الذال

من بعض ما فيه (الاذعان) الغلط فيه من حيث يستعملونه بمعنى الادراك فيقولون اذعنت بمعنى فهمت والصحيح اذعنت له ومعناه الخضوع والذل (الاذئاب) وقع في مختصرات الصرف (الزاجر عن الاذئاب) زعموا انها الاذئاب على وزن افعال جمع ذنب بمعنى الاثم وانما الاذئاب جمع ذنب بفتح النون

فصل الزاء

جاء فيه (المريثة) هي بالتخفيف مصدر قال سيفي الصحاح رثيت الميت من باب رمى رثاء ومرثية ايضاً اذا بكيت، وعددت محاسنه قشديد الناس ياءها (وهذا شائع بين المنتهين الى الادب) لحن محض واما القصيدة فهي مرثي فيها (وبصح اطلاق المريثة عليها) (الرفاهية) هي بالتخفيف كالطواغية يقال فلان في رفاهية من العيش اي في سعة وخصب ولين والناس يلحنون (هذا اللحن شائع ايضاً) فيها بتشديد الياء

فصل الزاء

بعض ما فيه (الزعيم) هو بمعنى الكفيل قال سبحانه وتعالى (ولن جاء به حمل بمير وانا به زعيم) وفي الحديث (الزعيم غارم) فاستعمال الناس اياه على انه من الحسبان مبني على الزعم الفاسد

فصل السين

جاء فيه (السبق) من باب ضرب والناس يزدنون فيه تأثيفاً فيقولون (السبقة)

(١) لو مثل بالفتاوى لكان احسن لان الصحاري بكسر الراء موجود صحيح

فهو لمن منهم ويمكن ان يقال يجوز ان تكون التاء المرة كالضربة لكن من تنبع استعمالهم يعرف انهم لا يقصدون بها المرة بل يستعملونها بمعنى المصدر فقط فيقولون (هومنى قبيل سبقة الناس) (السحور) هو بالفتح اسم لما يتسحر به كالنبوق والصبح لما يشرب في العشاء والصبح فضم السين (وبالضم يستعملونه اليوم بمعنى السحر الذي هو قبيل الفجر) كما يفعله بعضهم خطأ (السلس) عَلى وزن كنف نقول شفى سلس اي سهل ورجل سلس اي لين منقاد وفلان سلس البول اذا كان لا يمسكه فالسلس بزيادة الياء عَلى ما هو المشهور غير سلس بل هو لمن محض (مسيلمه) تصغير مسلمة اسم للكذاب المشهور فن يقوله بالفتح ويدعي الصحة اكذب منه

فصل الثين

فيه (الشباة) هي لفظة مستعملة بين الناس ولكن لا صحة لها والصحيح الشبه بفحشين نقول بينهما شبه

فصل الصاد

فيه (الصلاحية) اخبرها اصحابنا بتشديد الياء واستعملوها لكنها من الانفاظ المحملة والمصدر هو الصلاح والصلوح

فصل الظاء

عما فيه (المظلة) بكسر اللام عَلى وزن محمده مصدر ظلم قال في الصحاح ظلم بظلم ظاناً ومظلة انتهي والناس يفتخون لامها فيقولون مثلاً ضرب اليتيم مظلة اي ظلم وهو خطأ اذ هي بفتح اللام ما تطلبه من الظالم وهو اسم ما اخذ منك

فصل العين

فيه (المحجب) شاع بين الناس بكسر الجيم وهو خطأ (المعدن) بكسر الدال مثبت الجوهر من ذهب ونحوه من عدن بالمكان يعدن اي اقام ومنه (جنات عدن) اي جنات اقامة (الاعطاف) هو جمع عطف بكسر العين بمعنى جنب الشيء والجانبان العطفان والناس يحسبونه جمع العطف بفتح العين بمعنى الاشفاق فيقولون (لا يبعد من العطف مولانا واعطافه ان يفعل كذا) (عاين) بخفيف الميم خطأ والصحيح

(١) لم ينقد فيه شيئاً ولعله يريد ان استعماله في نفس الجوهر خطأ وليس كذلك : المتنبس الاظهر انه اراد شيوع فتح داله وهو خطأ لانه كجلس ولذا قال الزبيدي في تاج المروس : وحكم كقعده وليس بثبت اه

بتسديد الميم منسوب الى العامة (العيش) هو يفتح العين وكسرها على ما شاع خطأ
لان العين اذا كسرت تلزم التاء كعبشة راضية

فصل الغين

مما فيه (الغذاء) بالذال المججمة على وزن كساء ما به نماء الجسم وقوامه هكذا فصره
في القاموس وقال في الصحاح (الغذاء) ما يتغذى به من طعام او شراب وقد شاع بين
الناس بالذال المعجمة اسماً لما يؤكل فقط ففيه غلطان (اي افعال داله وتخصيصه بالطعام)
واغنىهم يغلطون من (الغذاء) بالفتح والمد ضد العشاء بمعنى طعام الغد كما ان العشاء
بالفتح والمد طعام العشاء (الغيبة) بالكسر من الاغتيال وفتح غينها لحن اذ هي بالفتح
مصدر بمعنى الغيبة

فصل الفاء

فيه (الفراغة) هي لحن استعملوه من غير تكثير لكن الصحيح الفراغ بلا تاء
(الفلاكة ^(١)) هي من الالفاظ التي اخترعوها يستعملونها في ضيق الحال كأنهم اشتقوها
من لفظ (الفلك) فقالوا به فلاكة وهو مغلوك اي اصابه الفلك

فصل القاف

فيه (القوابل) يستعملونها جمع قابل وهو جمع قابلة لان فواعل في الصفة جمع فاعلة
الا فوارس جمع فارس على ما عرف في موضعه (القنديل) هو بكسر القاف معروف
ووزنها فعليل لا تفعيل وفتح القاف لحن مشهور

فصل الكاف

(الكراهية) هي بالتخفيف من مصادر كرهه فتشديد الياء على ما فعله البعض مما
يكرهه السمع ويجه الذوق

فصل اللام

مما فيه (اللكنة) هي بضم اللام معجمة في اللسان يقال رجل الكن وقد لکن من
باب ضرب كما ذكر في اللغة وما زلت اسمع من بعض العوام تحريف هذه الكلمة واري
بعض الناس حيارى في امثال هذه الاغاليط تارة يصيرون ولا يدرون اصابتهم

(١) اطلق على بعض الكتب المطبوعة اخيراً في مصر اسم (الفلاكة والمفلوكون)
اي الفقر والفقراء وربما هذا الوضع فيما احسب من ناسر الكتاب لا من المؤلف
والطابعون يفعلون ذلك كثيراً

ويخطئون ولا يدرون ولم لا يرجعون الى اللغة فيما أشكل عليهم حتى يخرجوا من
ظلمة النك الى نور اليقين

فصل النون

(المنبر) هو بكسر الميم لكن شاع بين العوام فتح ميم (هو كذلك اليوم) وكذا فم
ميمه (النزل) بضمين وبالتسكين ما يهبط للنزول اي الضيف والعوام يزيدونه واوا
(لعلها من اشباع الضعة) وليس النزول الا مصدراً بمعنى المبوط والحلول (النزلة)
وهي الزكام يقال به نزلة والجم نزلات والجاهلون يهرون عنها بالنزلة ويجمعونها على
النوازل (تجمع كذلك الآن) وهو خطأ اذ النزلة هي الشديدة من شدائد الدهر
نزل بالناس كما نفصح عنه كتب اللغة (النقرس) هو داء معروف وزيادة الياء على
ما هو الشائع بين العوام خطأ لان النقرس الدليل الحاذق (النكاة) بكسر النون
جمع النكة واذا ضمت النون حذفت الالف (فيقال النكت) وكثير من الناس يضمنون
النون ويثبتون الالف هذا بعض ما جاء في الرسالة الاولى ولعلني في فرصة ثانية آتي
بثانية الرسالتين

النجف

محمد رضا الشيباني

بين الفيحاء والشهباء (١)

عمران حلب القديم والحديث

كان اجدادنا يقطعون المسافة بين دمشق وحلب في تسعة ايام على الدواب وها قد
اصبحنا نقطعها في ست عشرة ساعة في القطار وهو يمر من السحاب ولو وجدت الشركة
داعياً قويا لقطعت اليوم في ساعة فيفطر الراكب في الصباح في الفيحاء ويتمشى في
حاضرة سورية البيضاء لان المسافة نقل عن اربعمائة كيلو متر يتيسر قطع الخمسين
كيلو متراً في ساعة واحدة من رياق الى حلب والخط بينهما من النوع العريض وقطاراته
منظمة اكثر من قطارات بيروت — دمشق — حوران او يافا — القدس او حيفا —
دمشق — المدينة

(١) نشرنا بضعة فصول من هذه المقالات في جريدة المنبس واذا رأينا العامة من
قرائنا تبرعوا بها عمدنا الى قطع سلسلتها قبل ايراد ثمتها وزدنا عليها ما فاتنا الا اننا به وحذنا
منها ما لا علاقة له بموضوع المجلة

اتيت الشهباء او عاصمة سورية البيضاء ^(١) لأول مرة فرأيت فيها الصورة التي كانت
 لتخليها الخيلة الا قليلاً وذلك لار القداماء والمحدثين اشبهوا الكلام عليها اكثر من
 كل بلد سواها ولان الحكومات التي توالى عليها رفعت من شأنها واعلت من بين البلدان
 ذكرها . وناهيك ببلد كان ينزله ويمدحه ويمن اليه مثل البهزي ^(٢) والمتنبي والصنوبري
 وكشاجم والمهري والخفاجي وابن جبوس والوزير المغربي وابي العباس الصغري وابي
 فراس والحلوي وابن سعدان وابن حرب الحلي وابي الفخاس وابن ابي حصينة وابن
 الحداد وابن المجني والملك الناصر وبانوت وغيرهم من رجال الادب والعلم . وما قاله
 الشعراء في مدحها يكاد يقرب مما قالوه في اختها الفيحاء فقد قال كشاجم :

ارتك ندى القيث آثارها واخرجت الارض ازهارها
 وما امنعت جارها بلدة كما امنعت حلب جارها
 هي الخلد تجمع ما يشتهي فزرها فطوبى لمن زارها

وقال البهزي

اقام كل ملك الودق رجاس على ديار بعلى الشام ادراس
 فيها لعلوة مصطاف ومرتبغ من بانقوسا وبابلي وبطيماس
 منازل انكرت لنا بعد معرفة واوحشت من هوانا بعد ايتاس
 يا علو لو شئت ابدت الصدود لنا وصلاً ولان لصب قلبك القاسي
 هل لي سبيل الى الظهران من حلب ونشوة بين ذاك الورد والآس

وقال المتنبي

كلما رحبت بنا الروض قلنا حلب قصدا وانت السبيل
 فيك مرعى جياونا والمطايا واليهما وجيفنا والذميل

اول من استوطن بقعة حلب ^(٣) بنو حام بن نوح وكانوا ينزلون من شط بغداد الى
 مصر وقد كانت فرقة منهم فيها قيل انها تسمى الكيتا فسكنت بقعة حمص وحماة وحلب .
 وسكن حلب ابراهيم الخليل ثم جاء بعده بنو آرام بن لوط من بني سام واستولوا على تلك

(١) في قاموس الجغرافية القديمة : كان القدماء يطلقون هذا الاسم على شمالي الشام

وارض كبدوكية Cappadoce وكيكيا Cilicie الشرقية

(٢) المر المختب لابن الشحنة

(٣) نسخة الانباء في تاريخ حلب الشهباء ليهوشوف الجرمانى .

البتة واخرجوا منها اولاد حام فسميت مملكة الآراميين والسريانيين وقسموها الى ثلاثة اقسام الاولى جزيرة الآرام وهي من الحابور الى الفرات والثانية المملكة الشامية وهي دمشق وما قرب منها والثالثة مملكة آرام صوبها وهي الجبول من ضاحية حلب وما قرب منها

ووصفت حلب بالشبهاء لان القادم اليها تراءى له يضاء من بعيد بخلاف غيرها من البلدان . ويقولون انها من بناء العالقة بدليل الكتابة التي وجدت على الحجر الاسود في الحائط بظاهر جامع القيقاق داخل باب انطاكية مكتوبة بالخط الميروغليفي بلغة الكيتا او الحماطين وكانت هذه الكتابة مصطلحاً عليها في ايامهم وكان اسم حلب بلقثهم هلبون وحلبة واستمرت بايديهم الى ان اتى ملوك الفراعنة من مصر وحاربوهم وملكوها منهم وهم توتمس الاول وتوتمس الثاني وسياتي ورعسيس الاول وذلك قبل التاريخ المسيحي بالفين وخمسة مئة الى ثلاثة آلاف سنة ثم استردها الكيتا منهم صلحاً واتي بعد ذلك ملوك بابل وحاربوا السريانيين وملكوها وذلك قبل التاريخ المسيحي بستائة وستين سنة وقد عثروا في قرية من قرى جبل سمعان قرب حلب اسمها كفر نابو على الصنم الذي كان يعبد البابلليون ومعنى نابو بلقثهم اله فيكون معنى كفر نابو قرية الاله وفي سنة ٨٦٠ ق م حارب شلناصر الرابع الحماطين وملك حلب في جملة ممالك من البلاد فظل ملوك الحماطين تحت سلطة البابلين الى ان اتى ملوك الهجيم واستولوا على البلاد واخرجوا البابلين منها وبقيت بايديهم الى ان جاء الاسكندر واخذها منهم فصارت مسكناً للروم اليونانيين يقولون لها خلد ولا حولها خلبن باغلاء المعجزة وكانوا يقولون لها برو بالانها فيما قيل تشبه احدى مدنتهم واعلمها عريية من قولم بريى لان الناظر الى البر من قلعة حلب يراه ممتداً امامه .

وجدد سلوقس نيكاتور احد ملوك الرومان قبل المسيح بثلاثمائة واثنين عشرة سنة باء نحو النصف من مدينة حلب وبنى القلعة وامر اليهود ان يختلطوا اليها للتجارة وقيموا بها فكثرت دورهم حتى بلغت نصف ساعة طولاً ثم استولى الروم على حلب وجعلوها كرسي ممالكهم مع سورية وانطاكية

واراد السلوقيون ان يزيدوا سيف ناء حلب ثم عدلوا موثرين لقنسرين لانها كانت اعظم والتجار يختلفون اليها اكثر فكانت تأتيها القوافل من البحر الى الفرات ومن الفرات الى البحر عن طريق قنسرين ولم يكن سيف حلب مالى قنسرين من

الصناعات وغيرها حتى ان تجار اوربا كانت تأتي اليها من السويدية في طريق انطاكية ويأتي اليها تجار المعجم من الفرات بطريق بالس (مسكنة) ولم تكن الطريق في ذلك الوقت سالكة الى حلب الا من يقصد الذهب الى منبج (هيرا بلس)

وقنسرين هي التي نسب اليها احد اجناد الشام الحسة وهي جند فلسطين وجند الاردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين والجند هنا بمثابة القيلق سيفه ايامنا بتجمع فيه الجند ويقبضون أعطياتهم قال ابن جبير: ان قنسرين بلدة شهيرة سيف الزمان لكنها خربت وعادت كأن لم تكن بالامس فلم يبق الا آثارها الدراسة ورسومها الطامسة ولكن قراها منتظمة لانها على محث عظيم من البصر صراط طولاً وقد فسر ياقوت سبب خرابها ووصف موقعها فقال انها كورة بالشام منها حلب فتحت على يد ابي عبيدة بن الجراح سنة ١٧ هـ وكانت مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العوامم وبعضهم يدخل قنسرين في العوامم وما زالت عامرة أهلة الى ان كانت سنة ٣٥١ غلبت الروم على مدينة حلب وقتلت جميع من كانت يرضها فخاف اهل قنسرين ونفروا في البلاد فلم يكن بها في القرن السادس الا خن ينزله القوافل وعشار السلطان وفريضة صغيرة وذكر ابن جبير الخانات من حلب الي قنسرين الى باقدين ان خانات هذا الطريق كانوا القلاع امتناعاً وحصانة وابوابها حديد وهي من الوثاقفة في غاية

والعوامم^(١) حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وانطاكية وقصبتها انطاكية كان قد بناها قوم واعتصموا بها من الاعداء واكثرها في الجبال فسميت بذلك وربما دخل في هذا ثغور المصبية (Moboueste) وطرسوس (Antradua) وتلك النواحي ولم تزل قنسرين وكورها مضمومة الى حمص حتى كان زمان يزيد بن معاوية فجعل قنسرين وانطاكية ومنبج وذواتها جنداً فلما استخاف الرشيد افراد قنسرين يكورها فصيرها جنداً وافرد منبج ودولوك ورعيان وقورس وانطاكية وتيزين وما بين ذلك من الحصون فساها العوامم لان المسلمين كانوا يعتصمون بها فتعصمهم وتمنعهم من العدو اذا انصرفوا من غزاهم وخرجوا من الثغر وجعل مدينة العوامم منبج واسكنها عبد الملك ابن صالح في سنة ٧٣: فبنى فيها ابنية مشهورة ذكرها التميمي في مدح سيف الدولة فقال:

لقد اوحشت ارض الشام طراً صلبت ربوعها توب الهباء

نفس والمواصم منك عشر فيوجد طيب ذلك في الهواء

جدد الملك كيرويس الشروافي ما انهدم من سور حلب وقت حرب الصميم وعمر بالقرب من باب انطاكية يتكا النار لانه كان ممن يعبدونها فاشتعلت حلب اذ ذلك على اربعة انواع من الديانات وهي اليهودية والنصرانية وعبدية الاوثان وعبدية النار ثم دخل الاسلام وكانت حلب في المذاهب الاسلامية تختلف باختلاف الدول عليها شأنها. في ذلك شأن دمشق فتارة توالي عليها واصحابه واخرى توالي غيره

ولما اراد بدر الدولة ابو الريح سليمان ابن عبد الجبار بن ارنق صاحب حلب بناء اول مدرسة للناحية في هذه المدينة لم يمكنه الحليين اذ كان الغالب عليهم حينئذ التشيع وكان اهل حلب كلهم سنية حنفية حتى قدم شخص الى حلب فصار فيهم شيعة وشافعية وهو الشريف ابو ابراهيم الممدوح

وقد اتى صلاح الدين يوسف بن ايوب وخلفاؤه على التشيع في حلب وكان المؤذنون في جوامعها يؤذنون بحمي على خير العمل وحاول السلجوقيون الاتراك مرات القضاء على التشيع في هذه الديار فلم يوفق لذلك الا الملك الناصر صلاح الدين كما ضرب على التشيع في مصر وكان على اشدّه فيها على عهد الفاطميين بحيث لا يكاد عالم مصري يصرح بمذهبه اذ ذلك ولا يزال الى اليوم اثر من آثار التشيع باديًا على حائط صحن المدفن الذي في سفح جبل الجوشن بظاهر الشهباء وفيه ذكر الائمة الاثني عشرية وكان حكم بني حمدان وهم شيعة من جملة الاسباب التي نشرت التشيع في حلب وجوارها وابتدأت حكومتهم سنة ٣٣٣ هـ وانقرضت سنة ٣٨١ وفي سنة ١٤١١ ظهر في حلب قوم يقال لهم الراوندية خرجوا بحلب وحيران وكانوا يزعمون انهم بمنزلة الملائكة وصعدوا تلال بحلب فيما قالوا ولبسوا ثيابًا من حرير وطاروا منه فكسروا وهلكوا

ولقد كان حلب كما كان لغيرها من امهات المدن الاسلامية عاصمة وشدة في التعصب على المخالفين ويمد في سيئات الجالدين فاليهم على الشهاب السهروردي الحكيم الالهي العالم فقد حاورهم فبزم في حضرة صاحب حلب الملك الظاهر غازي^(١) بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف فلم يروا واسطة لاهلاكه احسن من الاستشفاع بوالد مليكهم فكتبوا اليه محضراً وبالغوا في طاعة امر السهروردي حتى صدر الامر الى الملك الظاهر بقتل هذا الفيلسوف فاختر ان يلقي الله بمنع الطعام والشراب وعنه وهلك في قلعة

حلب وقبره فيها بلغني معروف الى اليوم ناعياً على الدهر تلاعب اولئك المتلاعبين بالدين والمتعصبين لاهواء نفوسهم زارياً على عصور الظلمات ولو كره السفسطانيون عاداً ذلك سبباً لصلاح الدين وان كانت اعمال هذا كلها حسنات وابامه غرراً محجلات . قضى السهروردي ولم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره . ومثله من حكم قضت عليه اهواء معاصره . ولو عمر للملا الدنيا علماً وعقلاً

وبعد فقد كان شأن حلب في العهد الاسلامي شأن سائر مدن الشام دخلت في حكم بني أمية وولياها عاملهم ثم انتقلت الى ابيدسيه بني العباس وولياها صالح بن علي سنة سبع واثلاثين ومائة فنزل حلب وابتنى بها خارج المدينة من شرقها قصرأ بقربة يقال لها بطباس بالقرب من النخيب وآثارة باقية ذكرها الجعزي وغيره في اشعارهم وقد كان جماعة من بني أمية اختاروا المقام بناحية حلب وآثروها على دمشق ومنهم هشام ابن عبد الملك انتقل الى الرصافة *Sergiopolis* وسكنها واتخذها منزلاً لصحة تربتها ومنهم عمر بن عبد العزيز اقام بخماره واختارها منزلاً ومنهم مسلمة بن عبد الملك سكن بالناحورة وابتنى بها قصرأ بالحجر الصلد الاسود

وما زال عمال بني العباس يتولون من امر حلب ما يتولون من سائر بلاد الخلافة حتى ولي المعتصم أثناس التركي الشام جميعاً والجزيرة ومصر وجاء القرامطة حلب سنة ٢٩٠ فقاتلهم اهلها ودخل الاخشيدي حلب وائسد اصحابه في جميع النواحي وقطعوا الاشجار التي كانت ظاهر حلب كانت كثيرة جداً وقيل انها كانت من اكثر المدن شجراً . قال ابن الخطيب : وكانت حلب كثيرة الاشجار وكان موضع بانقوسا (احد احيائها اليوم) اشجار كثيرة كما ذكر ابن الملا في تاريخه ايضاً فقد كان الاخشيدي اذا نزل حلب يقطع اشجارها ويحارها فاذا اخذها ورجع الى مصر جاء سيف الدولة بن حمدان وفعل ذلك الفعل وتكرر ذلك مهما حتى في ما بها من الشجر ولذلك لما امر الملك المؤيد شيخ بنسقيف قصر القلعة امر ان يقطع له من الاخشاب من بلاد دمشق فقطعت وجيء بها الى حلب في غاية الطول ونهاية الغلظ وقيل ان بعض الاخشاب المذكورة كانت من بعلبك ولما جاء الصليبيون حلب سنة ٥١٨ اخذوا يقطعون اشجارها من جملة ما اتوه من تحرقها . وحدائقها المشجرة اليوم قليلة ليس بينها وبين ضخامة المدينة نسبة

وتشرب حلب من نهر قوبيق وهو نهر ينبعث ^(١) على ستة اميال من دابق ثم يجري الى

حلب ثمانية عشر ميلاً ثم الى قنسرين عشرين ميلاً ثم الى المرج الاحمر اثني عشر ميلاً ثم يصب في بحيرة المطبخ وذلك في زمن الشتاء وقال ياقوت ان مخرجه من قرية تدعى سبتات وقيل ان مخرجه من شاذر قرية على ستة اميال من وابق ثم يمر سيفه رساتيق حلب ثمانية عشر ميلاً الى حلب ثم يند الى قنسرين اثني عشر ميلاً ثم الى المرج الاحمر اثني عشر ميلاً ثم يفيض في اجمة هناك فن مخرجه الى مغيضة اثنا عشر واربعون ميلاً وماؤه اعذب ماء واسمعه فيها قال ياقوت الا انه في الصيف ينشف فلا يبقى الا زور قليلة واما في الشتاء فهو حسن المنظر طيب المخبر وقد وصفه شعراء حلب بما الحقوه بنهر الكوثر ومن امثال عوام بغداد يفرح بفلس مطلي من لم ير دبناراً وقد احسن القيسراني في وصفه قوله :

رأيت نهر قويق فسادني ما رأيت
فلو علمت وأسقيت ماءه مارويت
ولو بكيت عليه بقدره ما اشتفيت

واسم قويق القديم شالوس^(١) وصوب تسميته بقويق ان رجلاً من رؤساء عشائر التركان في القرن الرابع للهجرة اسمه قويق انا انشأ لهذا النهر عدة سدود ليجري جرية حنة فاطمى اسمه على النهر من ذاك الحين وارباب الرقاعة يسمونه ابالحسن وهو يجس اليوم من قرية اسمها چاغديغن من اعمال عينتاب ويجري الى قرية تبعد عن حلب ثلاث ساعات اسمها حيلان ويصب نحو ثلثه الى حلب تجري اليه فيه عدة ينابيع وجداول من قضاء عينتاب وكليس وينضم اليه نبع عين التل وعين البيضاء المنجستين من جوارحاب وفي الشتاء تجري بقاءه الى خان طومان وتل طومان من اعمال جبل سمعان وتكون من مياهه بحيرة تجف بحجارة الصيف .

قال ابو فراس :

الشام لا بلد الجزيرة لذي وقويق لا ماء الفرات مثائي
وايت مرتين الفؤاد يبيع السوداء لا بالركة البيضاء

ويرى بعضهم ان نهر الساجور الذي كان اجراء ارغون الى حلب ليزيد به نهر قويق اذا اضيف الى ماء قويق تخصب اكثر ضواحي حلب . واصل نهر الساجور من عينتاب وتجتمع اليه عيون آخر من بلاد تل باشر ثم ينتهي الى الفرات ويصب فيه ويرى

آخرون ان خير ذريعة لتكثير ما حلب اختطاع ترعة من الفرات وهو من حلب على ١٨ ساعة ولا يمنع انخفاض مجراه عن الانتفاع به في حلب على علوها وكيف كان الحال ففي زاد عمراء الشبهاء يفكر ابتواؤها في تكثير ماثها

وبعد فقد كانت الحرب سجالات بين سيف الدولة ابن حمدان والروم منذ استقرت له ولاية حلب سنة ٣٣٦ الى حين وفاته سنة ٣٥٦ فكان يفرز ويوزع ويغزو فتحرب حلب ثم تمر واستولوا عليها سنة ٣٥١ وحرقوا المسجد وعاث فيها بالقتل والنهب والسبي وبعد تسعة ايام رحل عنها ولم تكن حكومة سيف الدولة مباركة على حلب بقدر ما صورها شعراؤه الذين كان يصدق عليهم هباء ليقطع السنتهم ويشغلهم عنه ومن جملة ما قرأناه من مظالمه ان ابا الحصين علي بن عبد الملك الرقي ولي قضاء حلب وكان ظالماً فاذا مات انسان اخذ تركته لسيف الدولة وقال: كل من هلك فليسيف الدولة ما ترك

استولى الروم على معظم البلاد المجاورة كعرش واذنة وطرسوس الا ان حلب لم يشولوا عليها وكذلك استولى الصليبيون على كثير من عملاتها مثل انطاكية والسويدية ولم يقدر بودوين احد ملوكهم ان يستولي عليها سنة ١١٢٤ م وما زالت حالتها حال بلاد الشام على عهد الدولة الايوبية حتى وافاها التتر وحاصروها سنة ٦٥٨ حصاراً شديداً وقتلوا من اهلها كثيراً وقتل هولاء اهل حارم عن آخرهم وسبي النساء وخرب اسوار قلعتهما عن آخرها وجاء قازان التتري سنة ٦٩٩ فحاصر حلب وخربها وقتل واسر كثيراً من اهلها وجاء تيمورلنك سنة ٨٠٣ واجرى في حلب ما اجراه في دمشق من الفظائع والنهب والقتل والسبي وفي سنة ٨٦٣ وقع الطاعون بحلب فاحصي من مات بها وبضواحيها فارب على مائتي الف انسان وكادت تخرب بالفتن الالهية سنة ٨٩٦ عن آخرها كتب ابن بطلان الى هلال بن المحسن الصابي في نحو سنة ٤٤٠ هـ سيف دولة بني مرداس حلب فقال انها بلد سور بحجر ايض وفيه ستة ابواب وفي جانب السور قلعة في اهلها مسجد وكنيستان وفي البلد جامع وست بيع وبيارستان صغير والفقهاء يفتون على مذهب الامامية وشرب اهل البلد من صهاريج مملوءة بماء المطر وعلى بابها نهر يعرف بقويق يميد في الشتاء وينضب في الصيف وفي الوسط دار علوة صاحبة الپحتري وهو بلد قليل الفواكه والبقول والنبذ ومن عجائب حلب ان في قيسارية البر عشرين دكاناً للوكلاء يبيعون فيها كل يوم متاعاً قدره عشرون الف دينار مستمر ذلك منذ عشرين سنة والى الآن وما في حلب موضع خراب اصلاً اه

قلنا وقد اشتهرت حلب في عامة ادوارها باتساع تجارتها لوقوعها في طريق القوافل وتوسطها من بلاد الروم والجزيرة والعراق والشام ولذلك لم نخط صناعة البزاة الاقمشة حتى في ايامنا هذه كما انشطت في معظم بلدان الشام لان لها من بلاد الروم مصارف تنفق فيها سلمها وبعثت اهل الروم الخير في تجارة الشباه فلا يعاملون غيرهم للآلاف والمائة وذكر المقدسي ان من التجارات التي كانت تحمل من حلب القطن والشباه والاشنان والمغرة

قال ياقوت ولاهل حلب عناية باصلاح انفسهم وتبذير الاموال فقلما ترى من ناشتها من لم يقبل اخلاق آبائه في مثل ذلك فلذلك كان فيها بيوتات قديمة معروفة بالثروة واثرونها ويحافظون على قديمهم بخلاف سائر البلدان . هذا ما وصف به الحليون منذ نحو سبعة قرون وهي اخلاق لم ترح متسلسلة في اعقابهم الى يوم الناس هذا ولذلك صح ان يقال ان الحليين اغنى من المماليك والبيرونيين والحمويين والحسينيين والطرابلسيين والنايليين والمقدسين والمكاويين واليافاويين والحيفاويين

وصف ابن حوقل^(١) مدينة حلب في القرن الرابع فقال انها مدينة جند قنسرين وكانت عامرة جداً غاص بها اهلها كثيرة الخيرات كان لها سور من حجارة لم يقن عنهم من العدو شيئاً فخرّب الروم جامها وسبى ذرارعي اهلها واحرقها وكان بها قلعة غير طائفة ولا حنة العارة فلجأ اليها قوم من اهلها فنجوا وهلك بها من المتاع والجهات للفرار واهل البلد وصبيها وقتل من اهل سوادها ما في اعداته ارماس من سمعه ووهن على الاسلام واهله وكان لها اسواق حسنة وحمامات وفنادق ومحال وعمراس فسيحة وهي الآن كالماسكة ولم تزل اسماهم في الاغذية وجميع المأكول قديماً واسعة رخيصة وعليهم الآن للروم في كل سنة قانون يؤدونه وضريبة تستخرج من كل دار وضيفة معلومة وكأنهم معهم في هدنة وليست وان كانت احوالها متاسكة وامورها رضية بحال جزء من عشرين جزءاً مما كانت عليه من قديم اوقاتها وسالف ايامها

ووصف ابن جبير حلب في القرن السادس فقال : ان هذا البلد موضوعه ضخم جداً خفيف التركيب . بديع الحسن واسع الاسواق كبيرها متصلة الانتظام مستطيلة تخرج من سمات صنعة الى سمات صنعة اخرى الى ان تفرغ من جميع الصناعات المدنية وكلها مسقف بالخشب فسكانها في ضلال وارفة فكل سوق به تقيد الابصار حسناً وتستوف

المستوفز تعجباً واما قيساريتها فحديقة بستان نظافة وجمالاً مطيعة بالجامع المكرم لا ينشوق الجالس فيها مرأى سواها ولو كان من اراقي الرياضة قد اتصل الصباط خزانه واحدة وتخلها ترف ختبية بدبعة النقش وثقت كلها حوائث فجاء منظرها اجل منظر وكل سمات منها بتصل بباب من ابواب الجامع المكرم

وقصارى القول فان عمران حلب القديم شبه عمرائها الحديث الا قليلاً ومن اعظم ما يجعل الشبه كثيراً بين ادوارها المختلفة ذاك الحجر الابيض المتين الذي يبنى الحلييون به بيوتهم وحوائثهم وخاناتهم وتكاو تظن الشوارع والمارات والمسالك قطعة واحدة لانها كلمة باطلة معموله من صنف واحد من الحجارة تنبسط له النفس بخلاف الحجر الاسود الكثيب المستعمل في البناء بدمشق وحمص وغيرها

وقد اصاب حلب من مقوضات دعائم العمران في القرون الاخيرة ما اصاب غيرها من بلدان سورية ومنها الزلازل والادبثة التي انتشرت فيها عتية استيلاء السلطان سليم العثماني عليها سنة ٩٢٢ بعد وقعة دامت ست ساعات بين جنده المؤلف اذ ذاك من ثمانين الفا وثمانمائة ^(١) مدفع وجند الغوري الجركسي سلطان مصر والشام الذي كان ضعيف التدبير قليل النظام وذلك في مكان يعرف بمرج دابق على بضع ساعات من حلب ونهض الحلييون ففتحوا ابواب مدينتهم للفتح بزعمه خيرهم بك والي حلب من قبل الجراكسة كما تلقاه اهل دمشق كذلك لان الناس كانوا سموا في مصر والشام من حكم الجراكسة وعلقوا الآمال الطويلة بدولة ابن عثمان الفتية القوية وقد اتولى السلطان سليم على مليوني ذهب ومهات كثيرة كان اذخرها الغوري في خزانه حلب ليقوى بها على محاربة العثمانيين والاستيلاء على القسطنطينية منهم فعجل الله باهلاك الغوري وانقض الناس من حوله وابقى السلطان العثماني البلاد على حالتها الاولى من حيث الادارة في حلب وخطب فيها له لاول مرة ملقباً بمخادم الحرمين الشريفين

والظاهر مما في ايدينا من تواريخ حلب انها لم ترتفع ارتقاء محموداً على عهد العثمانيين بعد ان كانت في عهد العباسيين تضاهي بعظمتها بغداد والموصل على قول شيخ الربوة وكان جيش الانكشارية (بيكي جري) وغيره من اكبر ادوات التخريب يسفوت العمران ولا نسف المصائب السماوية ولم ينتظم ما امر بمحكمة الاقطاعات والنهب الا عندما جرى تأليف الولايات على التسق المعارف اليوم في السلطنة سنة ١٢٨٣ هـ

فدخلت الحكومة في طور قليل من النظام واصبحت الحال تحسن باحسان الولاة الذين يتولونها فاذا كانوا اعفة قادرين على الادارة يزيد عمران حلب والا فيقف او يتممهم ومن ساعد على عمرانها الحديث وتنظيمها وفتح الشوارع الجديدة فيها على الاصول المدنية جميل باشا ورائف باشا

ويكفي في تقدير غنى حلب في القرون الوسطى والقرون الحديثة ايراد دخلها من الجباية والشور وغيرها والمقابلة بينها . هذا مع غلاء النقود اذ ذاك ورخصها في الايام الاخيرة . فقد كان ارتفاع حلب (١) سنة تسع وستائة في الايام الظاهرية دون البلاد الخارجة عنها والضياع والاعمال ستة آلاف الف وتسعمائة الف واربعاً وثمانين ألفاً وخمسمائة درهم وذكر ابن شداد تفصيل هذه الارتفاعات من الزكوات والشور وضرائب البقول والفواكه والخليل والجمال والبقر والغنم والرقيق والصناعات والغلات والخطب والقمم والخبث والحديد والذهب وغير ذلك من الحكورة والموارث وغيرها فكانت في بعض النسخ ٧٤٣٠٥٠٠٠ درهم

وقال ياقوت (٢) وسافرة ما يد مانكها في ايام الملك العزيز من المشرق الى المغرب مسيرة خمسة ايام ومن الجنوب الى الشمال مثل ذلك وفيها ثمانمائة ونيف وعشرون قرية ملك لاهلها ليس للسلطان فيها الا مقاطعات يسيرة ونحو مائتين ونيف قرية مشتركة بين الرعية والسلطان وهي بعد ذلك تقوم برزق خمسة آلاف فارس مزاحمي العملة موسع عليهم . قال الوزير الاكرم ابن النعماني وزير صاحبها لياقوت الحموي: لولم يقع اسراف في خواص الاسراء وجماعة من اعيان المقاريد لقامت بارزاق سبعة آلاف فارس لان فيها من الطواشيبة المقاريد ما يزيد على الف فارس يحصل للواحد منهم في العام من عشرة آلاف درهم الى خمسة عشر الف درهم ويمكن ان يستخدم من فضلات خواص الاسراء الف فارس وفي اعمالها احدى وعشرون قلعة يقام بذخايرها وارزاق تحفظها خراجاً عن جميع ما ذكرناه وهو تجلة اخرى يسيرة ثم يرتفع بعد ذلك كله من فضلات الاقطاعات الخاصة بالسلطان من سائر الجبايات الى قلعتها حباً وخجوباً ما يهارب فيه كل يوم عشرة آلاف درهم وقد ارتفع اليها في العام الماضي وهو سنة ٦٢٥ من جهة واحدة وهي دار الزكاة التي يجبي فيها العشور من الافرنج والزكاة من المسلمين وحق البيع سبعة مائة الف درهم وهذا مع العدل الكامل والرفق الشامل بحيث لا يرى

فيها متظلم ولا منظم وهذا من بركة العدل وحسن النية ٨٠٨ وقد بلغ دخل حلب سنة ١٣٢٢ شرقية من غريبة الاملاك والبدل العسكري والاغنام والجمال والاعشار وغيرها ٤٠٦٤٠٨٦٤ غرشاً صحيحاً ودخل لواء حلب كله ٢٩٤١٦٧٠٤١٦ غرشاً وبلغ دخل ولاية حلب كلها في تلك السنة ويدخل في ذلك لواء آمرعش واورفة ٤١٦٣٢٢٦١٠٧ قروش صحيحة انفتت الحكومة على جندها وموظفيها وغير ذلك ٦٦٧١٠٦٣٤٤ غرشاً هذا مع ان الجباية لهدنا فاحشة والضرائب متعددة أكثر من الادوار السالفة . ويقدر يوم قيمة الدراهم اليوم بثلاثة قروش صحيحة

غنى حلب ولغتها ومعاهدها وتدليها

لما كانت حلب في طريق قوافل الهند اصحبت ممتازة بموقعها منذ القديم بين البلدان ومعدودة قاعدة شمالي سورية وقد كان الافرنج ولا يزالون فيها اكثر عدداً مما هم في دمشق لانها اقرب منفذ لاتصال الشرق بالغرب فكان تجارهم بأنسها من ثمر السوبدية يقرعون مع اهلهما ويقايضون محمولاتهم بمحولاتها ومحصولات الشرق ولا سيما الهند وفارس والعراق

وكانت فرنسا والبندقية ^(١) اول البلاد الاوربية التي انجرت مع حلب واقامت معها الصلات المهمة والمكاتب التجارية ثم جاء الانكليز في القرن السادس عشر وتلام المولانديون ولا يزال الافرنج فيها الى اليوم يقرعون من عدد اخوانهم نزاله يهوت وبعضهم تناسلوا في حلب وارثانوا وتأثلوا وعدوا كأنهم من اهلهما . وقد كان البنادقة يتجرون بالبهار ياخذونه من حلب بكميات وافرة كما كانوا يجلبون منها الشب والقطن

وام ما اصاب حلب من الزلازل زلزلة سنة ١١٧٠ م على عهد نور الدين محمود بن زنكي فقام يرمعها وقلمتها وقد اصبحت يزلازل مدمرة في قرون مختلفة وآخرها زلزال سنة ١٨٢٢ الذي خرب به ثلثها وزلزال سنة ١٨٣٠ وانهضت حلب على عهد حكم ابراهيم باشا المصري من سنة ١٨٣١ الى ١٨٤٠ م اذ قد جعلها مسكراً له

لا يتجاوز سكان حلب في التعداد الرسمي ال ١٣٠ الفاً وزعماء كانوا في الحقيقة نحو ١٨٠ ثلثهم او اكثر من المسلمين والباقون روم ويهود وارمن وموارنة وكاثوليك وبرتشتات ولكل طائفة من الطوائف الغير الاسلامية عدة مدارس ابتدائية .

والمسيحيون متشبعون بالعربية أكثر من اخوانهم المسلمين لانهم أكثر عراقة في التعلم بفضل مدارس الطائفة والافرنجية . اما المسلمون فان المتعلمين منهم يتعلمون على الطريقة التركية يعيشوا حالة على التوغل ولذلك ترى الشعور العربي يقل في حلب مع ان اهلها كلهم يتكلمون بالعربية اللهم الا بضع مئات من الاتراك الاناضوليين الذين ينزلونها للتجارة او الموظفين الذين يأتونها لخدمة الحكومة

وليس للمسلمين مدارس اهلية راقية والمدارس التي تصنع المأمورين هي المدرسة السلطانية وكانت اعدادية من قبل فقلبوا اسمها كما قلبوا اسم كثير من اسماء المكاتب الاعدادية في امهات المدن العثمانية والمكتب الرشدي العسكري ومكتب الصنائع وفيها ٩٢ كتاباً ومدرسة ابتدائية اميرية و ٣٩ مدرسة لغويين المسلمين و ٣٢ مدرسة دينية وبعضها عامر و ٣ مكاتب للانات و ٧ خزائن كتب عامة كان فيها ١٦٠٠٠ منزل ونحو ٨٠٠٠ دكان ومخزن و ١١٧ خاناً و ١٠٦ احياء و ١٦٩ جامعاً و ١٨٢ مسجداً و ١٩ نكية وزاوية و ٤٠ حماماً و ٢١ كنيسة وديرًا و ٤ بيع و ٢٩ طاحون ماء و ١٢٨ طاحوناً على الدواب و ٣٠٠٠ نول و ١١٢ فرناً و ٨ مدايق و ٢٧ معمل متاديل وزهاء ١٠٠ قهوة و ١٢ معمل صابون و ٥٠ خمارة و ١٨٨٥ حديقة

وحلب يمزج بين البلاد العربية والتركية وعلى نحو اربعين كيلومتراً من شمالي حلب يقل المتكلمون بالعربية وتصبح البلاد تركية محضة وان كان من اقصية حلب التربة من لا يعرفون غير التركية من الفلاحين اسكنتهم الحكومة هناك مهاجرين من بلاد بعيده . فمعظم اقصية لواء حلب يتكلم اهلها بالتركية كما ان اهالي لواء اي اورفة ومرعش يتكلمون بالتركية وبعض المشائر في لواء مرعش يتكلمون بالكردي وفي بعض الاقصية جراكسة يتكلمون بالجر كسية وهم مهاجرون وبعض السكان في بعض الاقصية من التركان والعرب

ويمكن ان تلخص من ذلك ان جهات الغرب من حلب كلم اعرب وهي عبارة عن اقصية ادلب وحارم وجسر الشغور ما عدا بعض قرى من اعمال حارم سكانها جركس وسكان العمق اكراد ومن الشمال من حلب الى قبيل كليس عرب وتكلم بعض قراهم بالتركية والعربية ومن كليس الى اورفة فصاعداً كل السكان اتراك ومن الجهة الشرقية جميع السكان عرب وكل قضاء الباب في الشرق الشمالي من حلب عرب وفيهم قليل جداً من التركان والأتراك والاكراد والجرأكسة وكل قضاء منتهج جركس نزولهم حديثاً

وفهم عرب وقضاء الرقة عرب وقضاء المعرة في الجنوب عرب كله . ويقال ان اهالي قضاء عينتاب يتكلمون بالتركية وقضاء كابس وان تكلم اهل المركز بالتركية فان النواحي يتكلم اهلها بالعربية والتركية والكردية

واهل قضاء اسكندرونة يتكلمون على الاكثر بالتركية والارمنية واهل انطاكية منهم من يتكلم بالتركية ومنهم من يتكلم بالعربية فيصح ان يقال فيهم ان تركيهم تعرب وعربيهم تترك واهالي ادلب كلهم عرب وكذلك اهالي حارم وفي بعض قرى هذا القضاء مهاجرون من الاتراك والجرس والتاتار واهالي قضاء ييلان يتكلمون بالتركية واهل اقضية المعرة والباب وجبل سمعان واهالي مركز قضاء جسر الشغور وناحية المضيق عرب وناحية اردو اتراك واكثر اهالي قضاء منبج من مهاجري الجراكسة واهل قضاء الرقة عرب واهالي قضاء حران منهم من يتكلم بالعربية ومنهم بالكردية .

هذه هي اللغة الغالبة على حلب واعمالها وليس اليوم في هذه المدينة ما يستحق الذكر من اعمال العمران سوى بناياتها الجديدة التي اقيمت الاقليلاً على مثال ابنية الامم الراقية مفردة بعضها عن بعض ليقظها الهواء واشمس بعيدة عن الطرق العامة لان السكان من عاداتهم اليوم ان يؤخروا بناء بيوتهم وحوالياتهم ما امكن ويعطوا فضل اراضيهم للشارع حتى يكبر بحسب الخريطة التي تريد لها البلدية ولذلك نجد الاحياء الجديدة مثل العزيزية والجبيلية فحجة عريضة كأنها بنيت في يوم واحد او هي لرجل واحد وكان من ذلك ان صرفت واردات البلدية القليلة وهي لا تتجاوز السنة آلاف ليرة مسانحة على تنظيف المدينة وتطهيرها وتنويرها

ولقد كنا نود ان نرى في الشهباء نهضة علمية راقية لما عرف في اهلها من الذكاء والمضاء والحساب لا نقول ولكن رأينا الخاصة الذين يرجي منهم ان يسيروا في المقدمة مداعلين بخويصة انفسهم ومن كان على خطتهم من المتأدبين وأهيم النيل من الكبراء وارباب النفوذ والثراء ممن يتوفرون على احنات الفقراء واجتبان الصغراء والبيضاء وربما صح اكثر هذه الشكوى ولكن لا حيلة فحين العجزوا بالحكومة وعرفوا كيف يصرفونها على ما يشاؤون . وعندنا ان يترك الطعن جانباً ونحارف الطبقة المستهدفة الى الطبقة القابضة على زمام البلاد من الاعيان المومنين ليتسنى بذلك النهوض بالشعب المسكين وثقيف عقول الناشئة وما دام الاختلاف مستحكماً بين المنورين والمومنين فالغرباء يحدون سبيلاً الى التلاعب وينطبق ذلك مع رغائبهم

نحن نعتقد انه ربما كان من ارباب اليسار من جمعوا ثرواتهم الطائلة من طرق غير مشروعة في حكومة عبد الحميد وقبله ولكننا نعتقد ان منهم من جمعوها بالاتفاق كأن نتوالى سني الجذب — والخطب قلما يدوم سنين كثيرة في حلب وعملها — فبأنها الفلاح باكيًا شاكيًا الى ذلك الوجه يثقل له عن كل ما يملك من عقار وارض ليعوله وعياله ويدفع عنه الضرائب والعشور التي يتعذر عليه جدًّا في غير سني الخير ان يقوم بها حق القيام

وسواء جمع ارباب اليسار ما يملكون بالطرق القانونية المشروعة او من السحت البحت وارهاق الفلاح والعبث بمصلحة الفقير فان من ملك ملك ومن هلك هلك وليس من وسيلة الآن لنزع ما ملكوها من ايديهم فالأحجى ان تحسن سياستهم في الجلمة للانتفاع من اموالهم تصرف على اعمال الخير وانشاء الكتاتيب والمدارس • وما نظن اكثرهم الا قاتمين من الطبقة المستتيرة بالسكوت عما مضى • وماتم في الغابر هو ولا جرم نتيجة ضعف الحكومة وفادها ولو عرفت منذ القديم كيف تحسن سياسة الرعية وتدفع الناس بعضهم عن بعض لما اختلف النظام ولرضي الخاص والعام •

نحن نعلم ان اموال الاغنياء هنا بل وفي كل مكان تصرف على الاكثر فيما لا يرضى عنه الادب والاخلاق وان ابنا الطبقة الوسطى امضى عزائم واجمل اخلاقًا ولكن ليست المهارة في النقد من بعيد بل المهارة بدخول المجتمع واصلاح ما امكن من مفسده ومهلكاته • ان في التباعد جفاء وفي الاجتماع حسن تفهم وكم من عدو لك يتحكك به ينقلب على الزمن صديقًا وكم من صديق يكون بائعًا لك عنه عقودًا •

ان ما رأيناه من حلب وهي ما هي من عظمتها وغناها وما نقل لنا وشهدناه من تنوع ضروب القصور والملاهي فيها ابكنا على قاعدة من ام قواعد الشام وكم عظيم من كهوف الاسلام ودعانا الى ان ننسب القصور للعالمين والجاهلين على السواء فلا يخلص من تبعة هذا الاخلال طافل والفوم يلحق العالم قبل ان يتال الجاهل

قاله لو صرفت حلب ربع ما تنفقه في سبيل اللهو والموبقات على المعارف والآداب الراقية لاصبحت في بضع سنين ذات مدنية راقية • وبعد أليس من العار ان تكون نابلس في فلسطين وهي مشهورة بانتماسها في حماة الجبال وصغيرة بعدد نفوسها اقرب الى التعلم من حلب دخل من ابنا اعيانها بضعة وعشرون ليدرسوا في مدارس الاساتذة العالية وبضعة قصودا ديار الغرب ولا نرى الا هذوا قليلًا من الحليين يقصدون

الاستانة ليجرؤا في مدارسها ليجي منهم اتكالون من عباد الوظائف وبيد الحكومة ولا نرى في الغرب من ابتائهم سوى اثنين او ثلاثة فقط وبهذا نرجو النهوض وتوسل باسباب الارتفاع

أليس من العار ان يكون بلد يبلغ بمساحته ضعف مساحة دمشق وفي غناه التجاري من ام المدن التجارية في البلاد العثمانية وفي طيب مناخه من اجود البقاع وفي مضاء سكانه مثلاً مشهوراً ثم لا تشهد فيه صحيفة عربية واحدة تصدر باسم رجل مسلم من اهلهما يعرف طرق الاصلاح ويحسن المطالبة به . ولا مدرسة ابتدائية اهلية تعلم ابن الفلاح والتاجر والصانع ما يلزمه في دينه ودينه ولا نادياً ولا جمعية ولا شركة ترفع في التعارف والتعاطف والتكافل .

ان معظم البلاد استفادت من نعمة الدستور فهبت لتعلم وتفكر في الاصلاح ولكن حلب على ما ظهر لنا في مؤخرة البلدان التي لم تدرك حتى الآن ما يراود بالحربة . ان تلك الطائفة التي تعز اليوم باموالها وبنينها اسبيح عليها زين تدمرهم وماجمت ومن جمعت لم ان لم تعالج ذلك الضعف المميت بقوة العلم والاخلاق ويستخلف ربنا غيرها في ارضهم بمن يصلحها شأنه في خليقته منذ دحى الارض ورفع السماء

قلعة حلب

اصاب الآثار القديمة في هذه المدينة ما اصاب آثار غيرها من البلدان فلم يبق منها الا انقاض تنبئ بمغلاء السلف في تجويد البناء واخكامه ومن ام هذه العاديات قلعة حلب فهي الغم ماسية الديار الحلبية من القلاع بنيت وسط المدينة على اكمة ربما كانت صناعية ويحيط بها خندق عظيم كان القدماء يملأونه ماء ليمتدد الوصول اليها الا من مدخلها وهذا من احسن ما يتصور العقل ويقال ان مدينة بروا *Bereaa* اي حلب القديمة كانت كلها مبنية في هذه القلعة وقد تعاورتها الايدي بالبناء في قرون مختلفة وظلت مسكونة الى سنة ١٨٢٢ م ايام خربت بالزلازل

يسير الداخل الى القلعة على جسر بديع اقيم فوق الخندق فيبلغ برجاً خارجاً جعل في واجهته انواع من نوافذ الحديد البديع قيل انه من عهد الملك الظاهر لما وجد شيف مدخله من كتابة تاريخها سنة ٦٠٥ مع بعض الآيات الكريمة وقد بذل بعض علماء الآثار قدراً وافراً من المال لقطع تلك النوافذ واخذ حديدتها واحجارها الى متاحف اوربا فلم تقبل الحكومة ولا تزال تحظر السخول الى القلعة الا برخصة لانها جعلت فيها مستودعاً

لبعض المهمات العسكرية وفيه دليل القاعة المتعرج عدة كتابات ونقوش بارزة على الحجر ومنها صورة نمرين على يمين الباب ويساره من اجل ما زيرت ايديهم الناقشين على العصور فاذا دخل المرء من الباب وجد ساحة وآثار عدة شوارع وركام من الانقاض بعضها انقاض جامع ومأذنة وأخرى انقاض اروقة وأخرى محال لرصد العدو وفي الوسط صهيح كبير يستقي منه الى اليوم ماء عذب والغالب انه من ماء المطر . والنظر الى حلب من قلعتها يدرك عظمتها ويقبلى له بها الفسيح البديع ولا سيما زمن الربيع وقد اكنت السهول والجبال بحلبها السندسية

قال ابن الشحنة اول من بنى قلعة حلب سلوقس الديلمي بنى مدينة حلب وهي على تل مشرف على المدينة وعليها سور محكم البناء وفي وسطها بئر ينزل اليها بمائة وخمس وعشرين درجة قد هندست تحت الارض ويقال لها الآن ساطورة وكان بها دير للنصارى ويقال ان في اساسها ثمانية آلاف عمود ولما ملك كسرى حلب بنى بها مواضع ولما فتحها ابو عبيدة في ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه رم اسوارها لانها خربت بسبب زلزلة كانت اصابتها قبل الفتح فاخرت اسوار البلدة والقلعة

ولما استولى تغفور ملك الروم على حلب سنة ٣٥١ امتنعت عليه القلعة ولم يكن لها يومئذ سور محكم ومن ذلك الوقت اهتم الملوك بمارة القلعة وتحصينها فبنى سيف الدولة وابنه سميد الدولة وبنو مرداس وعماد الدين اق سنقر وابنه عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود وابنه الملك الصالح ولما ملك الملك الظاهر غياث الدين غازي حصنها وحسنها وبنى بها مصنعا للآه وغارن للغلات وبنى سفح تلتها بالحجر المرقلي واعلى بها الى مكانه الآن وبنى على الباب برجين لم يبن مثلها قط وجعل لها ثلاثة ابواب حديد ولما تسلم التاتار القلعة اخربها واخرب اسوارها واخذ ما كان بها من الذخائر والزردخانات والمجانيق ولم يبقوا بها مكانا للسكنى واستمرت خرابا الى ان جددت عمارتها في ايام الملك الاشرف خليل بن قلاوون ولما اتى التمرلنك اخرب اسوار البلد والقلعة واحرقها واستمرت خرابا الى ان جاء الامير سيف الدين جكم نائبا من قبل الملك الناصر فرج برقوق فأمر ببناء القلعة واكرم الناس بالعمل في الخندق وازال التراب منه حتى انه عمل بنفسه واستعمل وجوه الناس بحيث كان الامراء يحملون الاجار على ظهورهم

هذا اجل تاريخ لهذه القلعة البديعة اكبر قلاع سورية واحما الى القرن العاشر . وما نظن العثمانيين جددوا فيها شيئا بعد الى يومنا هذا وقد وصفها ابن جبير في رحلته فقال

ومن كمال خلاصها المشترطة في حصانة القلاع ان الماء بها نابع وقد صنع عليه جبان فها ينبعان ماء فلا تخاف الظأ ابد الدهر والطعام يصير فيها الدهر كله وليس في شروط الحصانة ام ولا آكد من هاتين الخلتين وبطيف بهذين الجبين المذكورين مسوران حصينان من الجانب الذي ينظر للبلد ويعترض دونها خندق لا يكاد البصر يبلغ مدى عمقه والماء ينبع فيه وشأن هذه القلعة في الحصانة اعظم من ان تنتهي لي اوصفه وسورها الالهى كله ابراج مننظمة فيها العالامي النيفة والقصاب المشرفة قد تفتحت كلها طيقانا وكل برج منها مسكون وداخلها المساكن السلطانية والمنازل الرفيعة الملوكية اهـ . وهذا اخصر وصف للقلعة زمن عزها وعمرانها ايام كان بها « يقرب المثل في الحسن والحصانة لان مدينة حلب في وطاء من الارض وفي وسط ذلك الوطاء جبل عال مدور صحيح التدوير مهندم بتراب صمغ به تدويره والقلعة مبنية في رأسه ولها خندق عظيم وصل بحفره الى الماء وفي وسط هذه القلعة نصل الى الماء المعين وفيها جامع وميدان وبساتين ودور كثيرة »

وما احرى هذا الحصن بقول المجتري من قصيدة يصف بها ايوان كسرى :

لو تراه علمت ان الليالي	جعلت فيه مأتماً بعد عرس
وهو بنيك عن عجائب قوم	لا يشاب البيان فيهم بلبس
ليس يدري اصنع انس لجن	سكنوه ام صنع جن لانس
عمرت للسور ودهر آفصارت	للتعزية رباعهم والناسي
فلها ان أعينها بدموع	موقفات على الصباة حبس
ذاك عنددي وليست الدار داري	باقتراب منها ولا الجنس جنسي

زراعة حلب

ليس في ظاهر حلب من الحدائق الانيقة ما يبلغ نحو عشر ما في ظاهر دمشق على كثرة الماء وجودة التربة هنا . اما في اعمالها فتنبت أكثر الحبوب وتجد معظم الثمار ولولا قلة الري التي تحدث بعض السنين بقلة الغابات وتدرجها نحو الفناء وما يكثر في ارباضها من الجراد في معظم السنين لكانت زراعتها كزراعة بلاد دمشق وأكثر ومع هذا فان اقضية دمشق لا تعادل اقضية حلب في زيتونها قال المهلب وتجلب من كور حلب وضياعها ما يجمع جميع الغلات النفيسة فان بلدة معرة مصرين وجبل السماق بلد التين والزيتون والزبيب والفسق والسماق والحبة الخضره وقال ابن شداد وفي بعض ضياع حلب ما

يجمع عشرين صنفًا من الغلات . وقال ابن الشحنة ومما اختصت به حلب ما ورد
التصبيبي الذي يستخرج بالباب من اعمالها فانه لا يوجد في الدنيا . ما مثله بحيث لا يقار به
شيء مما يجلب الى الديار المصرية من الشام مع ان الجلوب من دمشق عند المصريين
في غاية العظمة بحيث يصفه اطباؤهم للرضى فيقولون ما ورد شامي . وقال ياقوت
ويزرع في اراضيها القطن والسمسم والبطيخ والخيار والدخن والكروم والذرة والشمش
والثين والتفاح عذبا لا يسقى الا بما المطر ويجي مع ذلك رخصا غصا رويًا يفوق ما
يسقى بالمياه والسج . وقال ابن حوقل ان ما حول معرة نسرين من القرى اعذا ليس
بجميع نواحيها الا جار ولا عين وكذلك اكثر ما بجميع جند قنسرين اعذا ومياهم
من السما وقال ابن جبير في بلاد المعرة وهي سواد كلها بشجر الزيتون والثين والفسقى
وانواع الفواكه ويتصل التفاف بساتيه وانتظام قراها مسيرة يومين وهي من اخصب
بلاد الله واكثرها ارزاقا

ويصدر من حبوبها اليوم ^(١) الحنطة والشعير والارز والقطن والحمص والعدس
والبقلاء وبذر الكتان والابنسون والسمسم والخردل والكررة اليابسة والماش والقصب
والدخان وغير ذلك ومن الثار الفستق الجيد في اقصية حلب وقلمة الروم وعينتاب
ويجود الزيتون كل الجودة في اقصية حلب وادلب وكليس وحارم وعينتاب وانطاكية
وجسر الشفر وتريب ويجود الليمون والبرتقال بين انطاكية واسكندرونة وفي حلب
والباب يجود الرمان وفي اريحا الكرز والوشنة كما يجود في حلب واعمالها انواع الثار
والبقول على اختلاف فروجها

ويجود التوت في اقصية انطاكية واسكندرونة وبيلان وحارم بكثرة فيكون منه
حرير جيد وفي اقصية الولاية ولواء مرعش مثل اقصية جسر الشفر وانطاكية وبيلان
وكليس واسكندرونة وقلمة الروم من اعمال اورفة تخرج غابات كثيرة كالبلوط والردار
والصنوبر والعفص والدفلى وغيرها وفي جبال البستان تخرج على اطراف الانهار والجداول
اشجار برية من الحور والصفصاف وفي السهول عرق السوس في داخل الولاية يكثر
الثين والعناب والاحاص والدراق وفي السواحل الليمون والبرتقال والكماد والطورنج
ويكي دنيا وفي هذه الولاية يكثر البصل والثوم ويجود البطيخ الاحمر «الجبس» من
وراء العقيل وتزرع البطاطا في بعض الانحاء كما ان الكماء تستخرج من باديتهما وسهولها

هواء حلب وصحتها

يبلغ ارتفاع حلب خمسمائة متر عن سطح البحر وبالنظر لتعرضها لحرارة الشمس من جهاتها الأربع وعبث الرياح التي لا يحول دونها حائل من الأشجار أو غيرها كان بردها شديداً وحرها على تلك النسبة فهو أؤها أقل اعتدالاً من هواء دمشق يزيد في ذلك قلة مياهها في الدور كما هي في دور الفيحاء المشهورة بقاعاتها واحواضها . هواء حلب جاف معتدل للغاية ولولا بناء منازلها بالبحر لضافت انقاس سكانها أيام القيظ وقد تبلغ درجة الحرارة الأربعين أو أكثر بالميزان المثوي وقد نزلت الحرارة في الشتاء الماضي إلى تحت الصفر بخمس وعشرين درجة .

ومع ذلك تجد لاهل حلب رجالاً ونساء من صحة الاجسام ونفسرة الوجوه ما لا تكاد تجد مثله في معظم البلاد الداخلية من سورية . قال المهلبى وأما اهل حلب فعم احسن الناس وجوهاً واجساماً والاعلى على الوانهم الدرية والحمرية والسمرة وعيونهم سود وشمل . قلنا أما البياض الناصع فهو كثير للغاية ويزيده رونقاً في بعض النساء تلك الحبة التي تخرج على الاعلى في الوجوه وتترك أثراً في الحدود بحجم الريال يزيد روتها رونقاً وحسناً

وهذه الحبة يقال لها في هذه البلاد حبة حلب وهناك يقال لها حبة السنة وليست في الحقيقة خاصة باهل حلب بل يشترك فيها سكان الشرق حتى بلاد فارس . واختلف العلماء في تعليلها فقال قوم 'انها تخرج لخاصية في ماء حلب ولو صحت هذه النظرية' (١) لكان اهل عنتاب وروم قلعة (قلعة الروم) وبيرجك (البيرة) واورفة (الرها) وخر بوت وديار بكر والموصل ودير الزور وبغداد ناجين منها والحال انها تصيبهم كما تصيب الحلبيين حذو القذة بالقذة . وقال قوم انها منبثة من الماء ولو كانت الامر كذلك لانتفى من ذلك ان تطلع في سكان القرى البعيدة ساعتين عن حلب على انك لا ترى لها فيهم أثراً

واغلب الاطباء على انها من الامراض السارية ودليلهم على ذلك ان ابراهيم باشا المصري لما قدم حلب كان في حملة رجل من قرية بشامون في لبنان فأصيب بالترحة المذكورة وقبل ان يبرأ منها عاد الى بلاده فمضى بها اهل قريته ويقال انها لا تزال الى اليوم موجودة ويقال لها الحبة الشامونية

والحقيقة ان امر هذه القرحة لم يبرح سرّاً غامضاً على الاطباء ومرضاً جليداً يصاب به الاطفال في الطفولية وبعض الغرباء الذين ينزلون حلب في الكبر ويقبضون فيها سنة وقد ينجون منها واهراضها عبارة عن بثور تظهر في اي طرف كان من اطراف الجسم ويكون في الوجـ اواليد او الرجل غالباً حتى اذا شفيت بدون ان ينشأ عنها وجمع ترك آثاراً وندوباً بيضاء، ويصاب بها الغرباء والوطنيون على السواء كما يصاب بها الكلاب والقطط وكثيراً ما تخرج بعد ان يغادر المرء البلاد بزم من

متنزعات حلب

تتغير اسماء المتنزعات كما تتغير اسماء البلدان بتغير الازمان فن متنزعات حلب القديمة «اشمونث» قال ياقوت انها عين في ظاهر حلب في قبلتها تسمى بستاناً يقال له الجوهرى واهـ فضل منها شيء صب في قويق ذكره منصور بن مسلم بن ابي الخرجين يشوق حلب ايا سائق الاطعان من ارض جوتن سلت ونلت الخصب حيث ترود الى اين عنها تشف ما يـ من الجوى فلم يشف ما يـ عاج وزرود هل العوجان الغمر صاف لوارد وهل خصبته بالخلوق مدود وهل عين اشمونث تجري كغفاتي عليها وهل ظل الجنب مديد اذا مرضت ووت بان نوابها لها دون احوال الأساة برود ومن جرب الدنيا على سوء فعلها يعيب ذميم العيش وهو حميد اذا لم تجد ما تنفيه فخص بها غمار السرى ام الطلاب ولود «بابلا» قرية كبيرة بظاهر حلب بينها نحو ميل وكانت عاصمة آهلة في ايام ياقوت قال الوزير ابو القاسم بن المغربي

حن قلبي الى معالم بابـ للاحنين الموله المشفوف
مطلب اللهو والهوى وكناهيـ خرد العنين والظباء المهف
حيث شطافويق مسرح طرفي والاسامي مؤانسي واليني

«بطيـاس» قال ياقوت اهل حلب كالجحمة بن على ان بطيـاس قرية من باب حلب بين النيرب وبابلا كان بها قصر لعملي بن عبد الملك بن صالح امير حلب وقد خربت القرية والقصر قال البختري

يا برق اسفر عن قويق فطرقي حلب فأعلى القصر من بطيـاس
عن مثبت الورد المعصر صبغه في كل ضاحية وعجني الآس

ارض اذا استوحشت ثم اتيتها حشدت علي فاكثرت ابناسي
وقال ايضا

نظرت وضمت جانبي التفانة وما الذفت المشتاق الا لينظرا
الى ارجواني من البرق كلما نمر علوي السحاب تعصفا
بضي غماما فوق بطياس واصحا ببض وروضات بطياس اخضرا
وقد كانت محبوبا الي لوانه اضاء غزالا عند بطياس احورا

« تل ماسح » قرية من نواحي حلب ذكرها امروء القيس في شعره

بذكرها اوطانها تل ماسح منازلها من برعيمس وميسرا
« جوشن » جبل مطل على حلب في غربيها في سفحه مقابر ومشاهد الشيعة وقد أكثر
شعراء حلب من ذكره جداً فقال منصور ابن مسلم بن ابي الخرجين النخعي الحلبي
من قصيدة

عسى مورد من سفح جوشن نافع فاني الى تلك الموارد ظمآن
وما كل ظف ظنه المرء كائن يحوم عليه للتحقيقة برهان
وقال ابن منان الخفاجي

يا برق طالع من ثنية جوشن حلبا وحي كريمة من اهلها
واسأله هل حمل التسم نجية منها فان هبوه من رسلها
ولقد رأيت فهل رأيت كوكفة للبين يشفع مجرهما في وصلها

قال الخفاجي ومن هذا الجبل كان يحمل النحاس الاحمر وهو معدنه « حربنوش »

قرية من قرى الجزر من نواحي حلب قال حمدان بن عبد الرحيم الجزري

الاهل الى حث المطايا اليكم وشم خزاي حربنوش سبيل

« دابق » قرية قرب حلب من اعمال عزاز بينها وبين حلب اربعة فراسخ عندها

مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان اذا غزوا الصائفة الى ثغر المصيصة وبقر بها قرية

اخرى يقال لها دويق قال عيسى بن سعدان الحلبي

ناجوك من اقصى الحجاز وليتهم ناجوك ما بين الأحص ودابق
أمفارق حلب وطيب نسيمها ينيكم ان الرقاد مفارقي
والله ما خفق التسم يارضكم الا طربت من التسم الخفاق
واذا الجنوب تخطرت انفاسها من سفح جوشن كان اول ناشق

« الدارين » هو رضى الدارين بحلب ذكره عيسى بن سعدان الحلبي في مواضع من شعره فقال :

ياسرحة الدارين اية مسرحة مالت ذوائبها علي تحننا
ارسي بواديك الغمام ولا عنا نفس الخزي الحارثي وجوشنا
أمنفرين الوحش من اياتكم حباً بظيكم اسك او حسنا
اشتاقه والاعوجبة دونه ويصدني عنه الصوارم والقنا

وقال الاعشي :

وكأس كمين الديك باكرت خدرها بفتيان صدق والنواقيس تضرب
سلاف كأن الزعفران وعندما يصفق في فاجودها ثم يقطب
لها ارج في البيت عال كأنه الم به من بحر دارين اركب
« دير حشيان » بنواحي حلب من العواصم ذكره حمدان بن عبد الرحيم فقال :

يا لهف نفسي مما اكابده ان لاح برق من دير حشيان
وان بدت نفحة من الجانب ال غربي فاضت غروب اجفاني
وما سمعت الحمام في فنن الا وعلت الحمام فاجاني
ماء منضت مذغت عنكم بدلاً حاشا وكلاما القدر من شاني
كيف سلوي ارضاً نعمت بها ام كيف انسي اهلي وجيراني
لا خلق رغن لي معالمها ولا اجنني انهار بطنان
لكن زماني بالجزر اذكركني طيب زماني به فابكاني

« ديرومانين » يعرف أيضاً بدير السابان وهو بين حلب وانطاكية معل على بقعة تعرف بسرمد وهو دير حسن كبير وكان خراباً في القرن السادس وآثاره باقية وفيه بقول الشاعر :

الف المقام بدير رومانينا للروض الفا والمدام حزيننا
والكأس والابريق يعمل دهره وتراه يميني الآس والنسرينا

« دير عمان » بنواحي حلب وتفسيره بالسريانية دير الجماعة قال فيه حمدان بن عبد الرحيم الحلبي :

دير عمان ودير سابان هجن غرامي وزدن اشجاني
اذا تذكرت منها زماً قضيته في عرام ريماني

ومرّ ابو فراس بن ابى الفرج البزاعي فقال مرتجلاً :

قد مررنا بالدير دبر عمانا ووجدناه - داثراً فشجانا
ورأينا منازلنا طولاً دارسات ولم نر السكنا
وارثنا الآثار من كان فيها قبل تغنيهم الخطوب عيانا
فبكينا فيه وكان علينا لا عليه لما بكينا بكنا
لست أنسى يادير وقفنا فيه لك وان اورثني النفسيانا
من اناس حلوك دهرنا غلوا لك وامسوا قد عطلوك الآثانا
فرقتهم يد الخطوب فاصبح ت خراباً من بدم اسيانا
وكذا شيمة الليالي تميت الـ حي مننا وتهدم البنيانا
حرباً ما الذي لقيناس الدهر روما ذا من خطبها قددهانا
نحن في غفلة بها وغرور وورانا من الردي ما وورانا

« دير مرقس » من نواحي الجزر قال حمدان بن عبد الرحيم يذكره :

الاهل الى حث المطايا اليكم وشم خزامى حربوش صليل
وهل غفلات الدهر في دير مرقس تعود وظل اللهب فيه ظليل
اذا ذكرت لقاءها النفس عندكم تلاقي عليها وجدة وهويل
بلادها اسمى الهوى غير انفي اميل مع الاقدار حيث تميل

وذكر ان الشحنة في تاريخ حلب طرقاً صالحاً من متزهات حلب فقال انها كثيرة
فنها ما يقصد في ايام الاحياء والمواسم ويسوي فيه الخصاص والصام كباب المقام داخلاً
وخارجاً يجعل فيه فيالات ^(١) وتعمل فيه انواع الفنون وتعقد به الخلق لارباب الصنائع
وبساع فيه انواع المآكل وكذلك خارج باب النهر وخارج باب الفرج الى ارض المائين
والجدية وخارج باب النهر وظاهر بالقوسا وظاهر باب قنسرين ماداً الى جسر الانصاري .
واما ما يقصد في سائر الايام والاوقات التي تخطر للتلذذين فأولها من جهة القبلة الابيض
ثم مرج الخالدي وعين مباركة وعين اشمويث وهي المعروفة بعين اشمول وارض بطياس
والسعدى وهو قضاء فياح تجري فيه انهر مشجة من نهر واحد بجافتها مروج خضر
وبها من الزهر المختلف ما لا يلفه الوصف ثم الجوهرى وهو بستان قديم وصفه الشعراء والبلغاه
ومنها الانصاري وجسراه المعروف احدهما بمقل ابن رافع والفيض وجندبات وزاوية عباس

(١) الفيال بالكسر والفتح لمبة للصبيان يجثون الشيء في التراب ثم يقسمونه

ويقولون في ايها هو

ومنها ارض الخواي وطواحين السلطان وشهد الزراير وبستان شمس لولو وجبل
جوشن والقلاوت وجسر الطواشي وبستان البقعة وبستان العجمي والكهف وبستان
الجزيرة والحيشي وقمصر ومرجة القرايين وجسرباب انطاكية وجسرباب الجنان
وجنينة المهندار المعروفة آخر وقت باين شجيج وبستان الوزير وجهرة الانكليس ومنها
بايلي وهي قرية قريبة متصلة ارضها بارض بانقوسا بها عدة جواسق وبحرات وجنينات
وغير ذلك . ومنها قربنيا وجبل النخعي والمزايزة والميدان الاخضر ومشهد سيدي فارس
وقسطل الحاجب وبمادين ومرجة اغليك وارض باصفراء وعين التل والارض المسماة
بالجوز سميت به لشجار جوز عظام كثيرة الظل على شاطئ الهر ممتدة الى حيلان وحوش
البدوية وهو مكان فياح على نثر من الارض بنبت فيه الشيع والقيصوم والقرنفل
والصعبر ومنها الخناقية والكتف الازرق والارض المجدة وجورة الاسقف التي بها
بستان التصبي وتجاه مرج السلحولية ثم جنينة عبيد والناهورة وارض الحلبة ورأس
الطابق والنهريات وهي مسافة يومين من اول المسيلة الى تل السلطان .

وللعنوري الشاعر قصيدة طويلة في وصف بعض متزهات حلب وقراها

القرية جاء فيها

حبذا البآت باء آ	ت فوق ورباها
بانقوساها بها	بالحى المياه حين باها
ويا صفرا وباب	لا وبأ (?) مثلي وقاها
لاقلي صحراء نافر (?)	قل شوقي لا فلاها
لا سلا اجيال باسا	حين قلبي لا سلاها
وياسلين فليب	خ ركابي من بفاها
والى باشقلاشا	ذو التناهي ينفاي
وبعاذين فواها	لبعاذين وواها
بين نهر وقتاة	قد تلتها وتلاها
ومجاري برك يجل	وهمومي مجتلاها
ورياض تلتني آ	مالنا في ملتقاها
زاد اعلاها علوا	جوفنا لما اعلاها
وازدعت برج ابي الحبا	رث حسنا وازدهاها

واطبت مشرف الحمى من اشتياقها واطباها
 وارى المية فازت بكل نفس يئنها
 اذ هو اي العوجان السالب النفس هوها
 ومقيلي بركة الله بل وصيات رحاها
 بركة تربتها الكا فور والدر حصاها
 كم غرافي طربي حي ثنائها لما غراها
 اذ تلا مطبخ الحية ثاب منها مشنواها
 بمروج اللهب القوت غير لنا في عصاها
 ومجننى الكاملي ا- تنكمت نفسي منهاها
 وغرت ذا الجوهرى ال- حزن غيثا وغراها
 كلا الراموسة الح- ناء ربي وكلاها
 وجزى الجنات بال- عدى بنعمى وجزاها
 وفدى البستان من فا رس صب وفداها
 وغرت ذا الجوهرى ال- حزن محلولاً غراها
 واذكروا دار السلبا نية اليوم اذ كراها
 حيث عجا فحوها اليه من تباري سمع براها
 وصفا العافية الم- سومة الوصف صفها
 فهي في معنى اسمها حذو وكفهاها
 وصلاسطعي واحوا في خليتي صلاها
 وردا ساحة صهره جي على سوق رداها
 وامزجا الراح ماله منه اولا تمزجاها
 حلب بدر دجى اذ جمعها الزهر قراها

للرحلة صلة



قانون الجماعات

وشرح المنفص منه

ابنت في جزء سبق ان القوانين التي تبحث عن افعال الناس الناشئة من اجتماعاتهم تقسم الى قسمين : قسم له اساس بالامن العام رأساً وآخر بالواسطة وقلت ان افعال الناس المجموعة التي قد تخل بالامن العام تظهر في مظهرين . الاول دائمي والآخر مؤقت والقانون الذي يبحث عن الاجتماعات الدائمة قانون الجمعيات وقد مررت ترجمته وشرح شرحاً اجمالياً . واما القانون الذي يبحث عن الاجتماعات المؤقتة فهو قانون (الجماعات) وهو موضوع بحثنا اليوم .

هذا القانون كناية عن (١١) مادة فقط . وهو مأخوذ عن القانون الصادر سنة فرنسا عام ١٨٨١ وكثير الشبه به . وقد نشر في ٢٠ جمادى الاولى عام ١٣٢٧ موافق ٢٧ ايار سنة ١٣٢٥ . حقيقتاً حوادث ٣١ آذار المعلومة .

المادة الاولى — الميثانيون احرار في عقد الاجتماعات العامة بلا سلاح . وبشرط الرعاية للمواد الآتية فلا حاجة لاختذ الرخصة .
ايضاح — اعلن واضع القانون حرية الاجتماع بهذه المادة بكل صراحة . لان هذا حق من حقوق الامة الطبيعية متولد من حرية الكلام وحرية تعاطي الافكار وحرية اتحاد الآمال .

الاجتماعات قسمان (١) سياسي (٢) وغير سياسي وكلاهما جائز . والدليل قول واضع القانون (الاجتماعات العامة) كما مر في المتن بدون قيد

وهنا نجد بيتنا وبين فرنسا فرقاً مهماً يجب انظر . وهو ان قانون الاجتماع الفرنسي يمنع الاجتماعات لاجل الانتخابات . واما قانوننا فيجوزها كما هو مستفاد من اطلاق هذه المادة . اي ان قانون الاجتماع الفرنسي لا يسوغ الاجتماع الا للمرشحين والمنتخبين فقط . واما قانوننا فهو مطلق الحرية للمرشحين والمنتخبين ولكل ناظر

ثم مر في معنى المادة كلمة (الميثانيون احرار) فيفهم من هذا بان الاجانب ممنوعون

من الاستفادة من هذا الحق . لان لكل كلمة مفهومين : مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة . فان ذكر احدهما يستدل على ان الآخر غير مقصود وغير مطلوب . فقول واضع القانون هنا (العثمانيون) يدل بانه قصد اخراج غير العثمانيين من مدلول هذه الكلمة . ومن هنا يستدل بانه لا يسوغ لغير العثمانيين الاستفادة من حق الاجتماع .

يقول بعض علماء اصول الادارة الملكية ولا سيما الاستاذ ضيا بك يجوز عقد الاجتماع من قبل الاجانب نزلاء بلادنا بشرط ان لا يتدخلوا بالسياسة المحلية . واما هذا العاجز فيرى ان هذا القول من قبيل التوسع الفكري وليس من التفسير القانوني . لان القانون حصر هذا الحق بالعثمانيين حصراً بينما بقوله (العثمانيون احرار) بدون تقييد بشيء آخر .

اما اذا قيل بان هذا حق لكل الافراد طبعي لا يجوز نزعه من الاجانب . فاقول بان القوانين توضع في الاصل لاجل تحديد كل حق يشمل ظهور اقل ضرر منه . وناميك بما يقول له الاجانب حق وم منفردون وحينئذ احكم كما تشاء على ما يمكن حدوته منهم وم مجتمعون . فهذا السبب ارى الاكتفاء بصراحة القانون اوفق للاحتياط والتبصر بعواقب الامور . واما ان قيل : اما يسوغ لهم الاشتراك مع العثمانيين في اجتماعاتهم ؟ -- فقول ايضا لا يجوز لان القانون وحساب العواقب هكذا يقضيان لان اقل امر يحدث في اثناء الاجتماع ربما احدث اعظم المشاكل مع الدولة التي ينسب اليها هذا الاجنبي . ولذلك كان اتباع ظاهر القانون اوفق واسلم وانفع . ولا سيما اذا كان الاجتماع سياسياً فعدم قبول الاجنبي فيه من اضر الضروريات لا علاقة له به مطلقاً .

مر في المتن ايضا كلمة (بلا ملاح) فاذا كان المجتمعون مسلحين علناً او سراً فهذا الاجتماع ممنوع . اما ان كان شخصان او ثلاثة من بين هذا الجمع الغير مسلحين فيجب على هيئة الادارة تجريمهم من صلاحهم واذا امتنعوا فيعد الاجتماع مسلحاً وينع .

مر في المتن ايضا بان الاجتماع غير متوقف على اخذ اذن من الحكومة . نعم لا يجب الاستئذان لذلك الا انه لما كان من الممكن وقوع ما لا تحمد عتياه اثناء الاجتماع اشترط واضع القانون بعض الشروط على مسبي الاجتماع حفظاً للامن العام . وهذه الشروط مدرجة في المادة ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ كما سيأتي بيانه .

١ المادة الرابعة - قبل الاجتماع يجب تنظيم بيان يتضمن يوم الاجتماع وساعته

ومحل وقوعه وان ينفى من شخصين احدهما متوطن في محل عقد الاجتماع وان يكونا
نائلين حقوقها المدنية والسياسية على شرط ان يصرحا باسميهما وشهريتهما وصفتيهما
وعملهما اقامتهما

ابضاح — . الاجتماع غير منوط باذن الحكومة . الا انه يجب اخبارها بوقوعه
لاجل اتخاذ التدابير اللازمة خوفاً من وقوع ما يكدر الحاضر ولاجل منع الاجتماعات
الغير الجائزة قانوناً بمقتضى المادة ٣ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ من هذا القانون

قيل في المتن (يجب تنظيم البيان قبل الاجتماع) . وهذه المدة يجب ان تكون
(٤٨) ساعة . تتمكن الحكومة من جلب قوة عسكرية كافية من المحال الاخرى ان لم
يوجد هناك عسكري . اما فرنسا فجملت هذه المدة (٢٤) ساعة . بالنظر لكثرة
المواصلات هناك وسهولة جلب العسكري .

مر في المتن ايضا ضرورة بيان (يوم الاجتماع وساعته ومحل وقوعه) وهذا ايضا
ضروري . تتخذ الحكومة التدابير اللازمة بالوقت المعين خوفاً من اجراء الاجتماع قبل
ان تتخذ الحكومة التدابير الاحتياطية .

وهكذا قيل في المتن (يجب ان ينفى من شخصين احدهما متوطن في محل عقد
الاجتماع) فاذا انفى البيان شخصان احدهما متوطن في البلد الذي سيقع الاجتماع فيه
والثاني من بلد آخر فهو جائز بنظر القانون . وقصد واضع القانون من كلمة (محل)
البلاد والقصبات والقرى .

مر في المتن (نائلين حقوقها المدنية والسياسية) واليك البيان :

الحقوق المدنية — . هي ان يكون غير ساقط من هذه الحقوق وهي مذكورة اجمالاً
في المادة ٣١ من قانون الجزاء ومدرجة في الصفحة (٦٥) من مقنن هذه السنة في
شكل خلاصة الخلاصة

الحقوق السياسية — . هي الحقوق التي تؤهل المرء للاشتراك في ادارة المندكة .
مثل حق انتخاب المبعوثين وحقوق التوظيف في دوائر الحكومة والعسكرة الخ .
ثم يجب ان يصرح هذان الرجلان اللذان سيمضيان اليان باسميهما وشهريتهما
وبجهيمع علامتهما المميزة ليسهل علي الحكومة البحث عنهما عند الاقتضاء .

المادة الثالثة — . يعطى البيان في استاتبول لناظر الضابطة وفي المحققات للولاية
والمتمصرين والقائمقامين والمديرين . ويجوز اعطاء البيان يؤخذ بمقابلته علم وخبر .

وان يعطى علم وخبر فلقدي البيان تنظيم ورقة ضبط وامضاؤها من شخصين من الحاضرين بكونان من الحائزين على الشروط المدرجة في المادة الثانية . وحينئذ يسوغ عقد الاجتماع . ويجب التصريح باليوم والساعة التي سيقع الاجتماع فيها في العلم وخبر وورقة الضبط . اما الاجتماعات التي تقع بلا علم وخبر وورقة ضبط فهي ممنوعة . ويجازى مرتبو الاجتماع بالحبس من اسبوع الى شهر او بالتغريم بجزء تقدي يختلف بين الثلاث لبراث وخمس عشرة ليرة

ايضاح — (ورد بان البيان يعطى باستانبول لناظر الضابطة) . اما وقد اصبحت استانبول ولاية كسائر الولايات فيجب والحالة هذه اعطاؤه للوالي بها . ثم اذا امتنع مأمور الادارة عن اعطاء علم وخبر في مقابل البيان فعلى مقدمي البيان تنظيم ورقة ضبط تبين امتناعه . ويجب ان يمضى هذا الضغط من رجلين آخرين غير مقدمي البيان . وبهذه الصورة تكون ورقة الضبط محتوية على اربعة امضات . اثنان مدعيان واثنان شاهدان لاجل محاكمة المأمور . وجزاء من يمنع عن اعطاء هذا العلم واخبر قطع راتب شهر لاول مرة واذا تكرر فيطرد من مأموريته وفقاً للمادة (١٠٢) من قانون الجزاء .

العلم وخبر لا يتضمن الترخيص بل يتضمن الاستخبار من قبل من هو مكلف بحفظ الامن العام . اي ان معنى البيان الاخبار ومعنى العلم والخبر وثيقة لاجل عدم الانكار في المستقبل . حتى اذا ما وقع محظور من الاجتماع وسئل عنه مأمور الادارة الملكية واراد الانكار وادعى بانه لم يعلم بوقوع الاجتماع ليجتنب التدابير اللازمة يقال له ان المجتمعين قد اخبروك وهذا العلم والخبر دليل على ذلك اذا انت متهاون ولهذا انت جدير بالجزاء هذا هو سر لزوم اعطاء البيان والعلم والخبر لا غير . لان الاجتماع غني عن الاستئذان لكونه حقاً من الحقوق الطبيعية . اما الاجتماع الذي يقع بدون اخبار الحكومة بتاتاً فهو ممنوع . اي ان لبوليس الحق في فضه اولاً بالكلام ثم بالتهديد ثم بالاكراه ثم ان الضرب والجرح والقتل الذي يقع من مأموري الضابطة اثناء ايفاء وغلانهم يؤدي الى المعذرة بموجب المادة ١٨٩ من قانون الجزاء العام وقانون البوليس والجندرية الخصوصيين وعلى هذا ففي كلمة (ممنوع) فسخ الاجتماع بكل التدابير حتى تصل الى قتل من يخالف امر البوليس . وهذا الاخير غير مسؤول عن هذا القتل بالنظر لما هو مصرح به في المادة المذكورة من قانون الجزاء .

وبعد تفريق المجتمعين يجازى المرتبون بالجزاء المدرج في متن المادة المذكورة آنفاً .
المادة الرابعة — • يجب ان تمر ثمان في واربعون ساعة بين اعطاء البيان وعقد الاجتماع .
مر سبب هذا اعلاه في شرح المادة الثانية .

المادة الخامسة — • يجب ابضاح سبب الاجتماع والمقصد منه في البيان .
ابضاح — • حتى يتسنى للحكومة منح الاجتماع الغير القانوني ولالجل التبصر في مقدار
المسكر الذين يجب ارسالهم للحفاظة ولالجل ارسال مأمور خاص لحل الاجتماع لانظاره
عليه وحتى اذا ما خرج عن الموضوع يفسخ الاجتماع الخ
المادة السادسة — • الاجتماعات ممنوعة في الحال المكشوفة والقرية مقدار ثلاثة
كيلومترات من سراي السلطان المعظم ومن دائري المبعوثان والاهيان اثناء انعقاد
المجلس العمومي .

ابضاح — • مر في المتن كلمة (مكشوفة) ومعناها ان الاجتماع يقع اما في محال
مكشوفة او في محال مغلقة اي ذات سقف وباب . ومثال الاول الساحات والعراس
ومثال الثاني القهواي ودور التمثيل والاندية . لما ذا ؟ لان من الاجتماعات ما يجب
اجراؤه في محل مغلق كالخاضرات العلمية . لان هذه لا تلقى على قارعة الطريق .
ومنها ايضاً ما هو واجب اجراؤه في المحال المكشوفة كالاحتجاج على عمل ما يخالف
القانون صدر من الحكومة او من شركة ما ولما كانت هذا شاملاً لجميع الاهلين غالباً
فبالضرورة يجتمعون في الساحات والعراس على الاكثر . فلهذا السبب اصاغ واضع
القانون كلا النوعين من الاجتماعات .

واستثنى منها ما يقع في الحال المكشوفة القريبة من سراي السلطان المعظم ومن
مجلس المبعوثان والاهيان اثناء انعقاد المجلس العمومي مسافة ثلاثة كيلو مترات اي
ثلاثة آلاف متر .

كذلك قيل في المتن (سراي السلطان) والقصد من هذه الجملة سرايه في استانبول
لا القصور العامة في الملحقات . لان كلمة (همايون الملصقة بسراي في الاصل التركي
اي سراي همايون) نفيد التخصيص بسرايه الخاص .

اعرف واليا بمن ظلمهم الحظ واجلسهم على عرش الولاية اراد منع احتجاج على عمله
وذهب لتفسير (سراي همايون) بدار الحكومة . وبعد التبا والتي اقتناء بحقيقة المسألة
قيل في المتن ايضاً (اثناء انعقاد المجلس العمومي) ومعنى هذا ايضاً اذا لم يكن

المجلس العمومي اي مجلس المبعوثين والاعيان منمقدين فالاجتماع جائز بالقرب منهما ولو بمسافة اقل من ثلاثة كيلومترات .

وهكذا يستفاد من كلمة (المحال المكشوفة) بان الاجتماعات التي تقع في المحال المغلقة في القرب من السراي السلطاني ومن المجلس ولو كانا منمقدين فهي غير ممنوعة ايضاً ثم قيل في اول المتن (ممنوعة) وقد مر معنى المنع القانوني في شرح المادة السابقة فالاجتماع المنزع اذ (١) هو الذي يقع في المحال المكشوفة القريبة من سراي السلطان مسافة ثلاثة آلاف متر (٢) التي تقع في المحلات القريبة من مجلس الاعيان والمبعوثين على مسافة ثلاثة كيلومترات اثناء انعقاد المجلس العمومي . اما الاجتماعات التي تكون في محال مستورة فهي جائزة ولو كانت على مقربة من سراي السلطان والمجلسين المادة السابعة — لا يسوغ الاجتماع في الطرق العامة المعدة للروور والعبور . واما زمان الاجتماع فهو من طلوع الشمس الى غروبها في الاماكن المكشوفة .

ابيضاح — شرح الاجتماع ونظر اليه من قبل علماء فن تدبير المملكة بنظر حق طبيعي لانه مؤد الى نفع عام وخاص . اما اذا وقع في الطرق العامة فن الحق انه يعطل المارين والعايرين ويعوق سير التجارة ويخل بحرية ارباب الصنائع وسائر المسالك الاخرى . ولما كان دره المفسدة اولى من جلب المنفعة وفقاً للمادة الثلاثين من قانوننا العام اي مجلة الاحكام منع هذا الاجتماع الذي يقع في الطرق العامة . لكي لا نكون جلبنا ضرراً محسوساً جلب نفع موهوم .

هذا هو سبب الفقرة الاولى الادارية من هذه المادة .

واما الفقرة الثانية فهي تبين وقت الاجتماع . فكما ان الاجتماع يقع في المحال المكشوفة والمستورة فهو محتمل الوقوع في الليل والنهار ايضاً . زمان الاجتماع في المحال المكشوفة من طلوع الشمس حتى مغربها . واما في المستورة فيجوز دوامه ليلاً ايضاً كما انه يسوغ عقده في منتصف الليل او في اوله او آخره . لان المحافظة هناك سهلة جداً . لا سيما والمحال المغلقة هي اما قاعة خاصة دار تمثيل او قهوة كبرى . وهذه الايضاحات مستنبطة من مفهوم المخالفة لقيود هذه المادة والتي قبلها .

المادة الثامنة — يدار الاجتماع من هيئة مركبة على الاقل من ثلاثة اشخاص . وعلى هذه الهيئة الاعتناء بحافظة الانتظام ومنع ما يخالف القانون والاهتمام بعدم الخروج عن موضوع البيان وعدم ايراد الخطب المخلة بالامن العام والآداب العامة وعدم

التفوه باقوال تكون من قبيل التشويق لابقاع الجرائم . وان لم تعين هذه الهيئة من قبل ممضي البيان فيجب انفاها من المجتمعين . واذا وقع فعل يخالف المادة السابعة وهذه المادة فالنتجة توجه على هيئة الادارة وقبل تأليفها فالنتيجة على ممضي البيان .

ابضاح — . يجب ان يكون الثلاثة الاشخاص الذين يؤلفون الهيئة الادارة حائزين على الشروط الثلاثة المدرجة في المادة الثانية من هذا القانون . لانه لا فرق بين هيئة الادارة وممضي البيان ابداً . لا سيما وهو مجاز للحكومة توجيه تبة الاجتماعات على ممضي البيان كما هو مذكور في متن هذه المادة .

هيئة الادارة مكلفة بواجبات ستة واليك بيانها بمثال :

اولاً — المحافظة على الانتظام : لان التشتت يفسح افقاً المتنترة من الاجتماع وهي مثل تعارض الخطباء والمصراخ وكل ما يخل بالسكون المطلوب . الاجتماع المنتظم هو الذي يخطب به الخطيب والناس تسمع له والذي لا يتكلم به احد سوى الخطيب . فاذا عارض الخطباء بعضهم وظهر لكل واحد منهم حزب يؤيده فهناك يعد الانتظام مختلاً يحتاج لمداخلة هيئة الادارة .

ثانياً — منع ما يخالف القانون : اذا ترك احد ارضه الاميرة ثلاث سنين متوالية معطلة تمد محولة ويؤخذ من صاحبها الاصلي (بدل المثل) عنها وان لم يدفع هذا فهوخذ منه وتباع بالزاد من غيره . هذا ، يؤيد في المادة (٦٨) من قانون الاراضي . فلو اراد خطيب يخطب بعكس هذا لما جازله ويجب هنا ايضا مداخلة هيئة الاجتماع الادارية ويجب عليها منعه . وهكذا جميع القوانين بلا استثناء . اما من رأى اعوجاجاً في القوانين فعليه ان ينبه مرجمها بلائحة خاصة او بواسطة الجرائد وهذا مشروط بأن يكون تصديق القانون التصديق الرسمي .

ثالثاً — — عدم الخروج عن موضوع البيان : مثلاً لو قيل في البيان بأن هذا الاجتماع هو لاجل الاحتجاج على حكومة اليونان فقط فلا يجب الخروج عن ذلك ويجب المنع ان حصل احتجاج على حكومة الجبل الاسود لان البيان كان عبارة عن الاحتجاج على اليونان لا غيره . وقس عليه البواقي .

رابعاً — الامن العام : غني عن الايضاح

خامساً — الآداب العامة : لو اراد الخطيب استعمال اليد او احدى المشروبات الاخرى اثناء خطابه فيمنع من ذلك . لان آدابنا الاسلامية تضرطها التهتك بالتمكرات .

وهنا يضاً يجب على الهيئة الادارية ان تتدخل بالامر .

وهذا الامر يشمل الغير المسلمين ايضاً . نعم يسوغ لهم استعمال المشروبات المسكرة ولكن فيما كن خاصة لاعناً لان الآداب العامة الوطنية (وهي اسلامية بالنظر الاكثرية) لا تجيز ذلك بنة والقصد من الآداب العامة مراعاة العواطف لا غير . وهل يجوز لغير المسلمين عقلاً ومنطقاً جرح عواطف اخوانهم المسلمين اكثرية المملكة باستعمال المشروبات علناً ؟ كلا . اذن يجب منع الخطيب الغير المسلم ايضاً ان اراد استعمال البيرا او الكونياك على منبر الخطابة العلني . وهم يحلون هذا تقليداً للدوريين . اما آدابنا فلا نستطيع ان نهضم هذا بوجه من الوجوه . ولذلك منع واضع القانون هذا وامثله وبهذه الصورة حفظ الآداب العامة من طرود الغلل عليها :

وهذا لا يحجز حرية الانسان حر في بيته يفعل ما يشاء ويشرب ما يشاء .
سادساً - عدم التفوه بأقوال تشوق الى ارتكاب الجرائم : وهذا ايضاً غني عن الايضاح .
هذه الامور الستة واجبات الادارة يجب الانتباه لها واذا حصل تهاون بها فالجزاء محقق بموجب المادة العاشرة من هذا القانون .

قد يمكن ان لا يبين الشخصان اللذان يضيان البيان اسماء هيئة الادارة لاسباب عديدة . فاذا ما وقع مثل هذا الحال . وجب على المجتمعين انتخاب ثلاثة اشخاص من بينهم قبل كل شيء وتعريف الحكومة عنهم واذا لم ينتخب احد لهيئة الادارة فتوجه التبعة على ممضي البيان والجزاء يكون بموجب المادة العاشرة .

المادة التاسعة - . يرسل من قبل الحكومة الى محل الاجتماع مأمور ملكي او عدلي ولهذا المأمور ان يوجد في المحل الذي بعده . مناسباً . وله ان يفسخ الاجتماع اذا طلبت هيئة الادارة ذلك او وقت منازعة ومجادلة تحل بالضغط والربط

ايضاح - اذا قبل حكومة يجب ان يحضر على البال رؤساء الادارة الملكية اي المختار والمدير والقائم مقام والمتصرف والوالي وناظر الداخلية والصدر الاعظم .
واذا طلبت هيئة الادارة فله ان يأمر البوليس والجنדרمة فسخ الاجتماع .

قيل في المتن (منازعة ومجادلة) وهذان قسمان قولي وفعلي . فان كانت قولية فلا يسوغ له المداخلة بدون طلب من هيئة الادارة واذا حصل ما يخالف القانون فتوجه التبعة على هيئة الادارة والفاعلين . اما اذا كانت المنازعات والمجادلات فعلية فله ان يتدخل حين نفسه لا يفسخ الاجتماع . وهذا مستبعد من قول القانون لان المنازعة ومجادلة

بالضبط والربط) والاخلاق بالضبط والربط لا يكون بالقول مطلقاً .

اما اذا اتى احد المجتمعين بشي يعارض الآداب او تكلم بكلام يحل بالامن فعل الهيئة الادارية ان تراجع الأمور الخاص وهو يمنع هذا الرجل من عمله وكلامه وينظم ضبطاً وودعه للعدلية لاجل مجازاته بموجب المادة العاشرة . وان لم تراجع الهيئة الادارية الأمور فتكون الهيئة مسؤولة ايضاً . وان عدلها من الأمور خاطره ولم ينظم ضبطاً بها فيجازى هو ايضاً بقطع راتب شهر جزاء نهاونه . وفقاً لقانون الجزاء لالهذا القانون .

المادة العاشرة — يجازى من يخالف احكام هذا القانون بالحبس من ٢٤ ساعة الى اسبوع او بالتغريم بنجزء نقدي من ٢٥ غرشاً الى ليرة . بشرط ان لا تخل احكام القوانين الاخرى بحق من باتون بالجرائم الاخرى

ايضاح — لو ضرب احد آخر اثناء الاجتماع فيجازى جزاء الضرب العادي المدرج في قانون الجزاء ولا يكتفى بهذا الجزاء الجزئي المحرر في هذه المادة . وهذا الجزاء خاص بمن يخالف هذا القانون المؤلف من احدى عشرة مادة فقط فلو صرح مثلاً احد المجتمعين اثناء الاجتماع فيجازى بهذا الجزاء لانه اخل بانتظام الاجتماع . والحاصل ان هذا القانون لا يعارض قانون الجزاء العام بثنائاً

المادة الحادية عشرة — ناظر الداخلية والعدلية مأموران باجراء هذا القانون . في ٢٠ جمادى الاولى ١٣٢٧ و ٢٧ ايار ١٣٢٥ .

ايضاح — الداخلية والعدلية ابداً كحفظ الصحة والطب . فكما انه قبل المرض تراعى قواعد حفظ الصحة ولا يراجع الطبيب الا بعد وقوع المرض فأمرور الداخلية والبوليس والجنندرية يتخذ كل انواع الاحتياطات ويتخذ جميع التدابير لاجل منع كل عمل يخالف هذا القانون . واما ان حصل خلاف فمناك تبتيدي وخليفة مأموريه العدلية . اي خليفة العدلية تبدأ حيث تنتهي خليفة رجال الداخلية .

هذا هو قانون الاجتماع منتهى وشرحا وقد استندت في شرحي له على اربع مسائل^(١) اقوال علماء أصول الادارة الملكية^(٢) وعلى دلالة القوانين الاخرى^(٣) وعلى الاوامر الصادرة من المراجع العليا^(٤) اقوال علماء اصول الفقه والمنطق . ونشرت الى ذلك فيما رأيت لذلك داعياً ؟

وبعد ترجمة المتن وشرحه كما مر ارى الحاجة ماسة لبيان اقوال علماء فن تدهير المملكة بحسن الانجتماعات على طريق^(٥) الامجاز الزائد ليكون القاري^(٦) على بصيرة تامة واليك البيان:

يقول العلماء لهذه الاجتماعات الاجتماعات العامة *Réunion publique* ويقسمونها الى اقسام عديدة: ^(١) اجتماع شامل ^(٢) واجتماع خاص ^(٣) دينوي ^(٤) ديني ^(٥) مشروع ^(٦) غير مشروع ^(٧) مهياً *Organisée* ^(٨) غير مهياً او مشوش *Attroupenent* . ونبحث الآن في تعريف كل قسم من هذه الاقسام على وجه الابداع .

الاجتماع الشامل — الذي يسوغ لكل الناس الاشتراك به سواء كان باجرة او مجاناً مثل الاشتراك لاجل سماع المحاضرات العلمية والسياسية والصناعية
الاجتماع الخاص — الذي لا يوغ الاشتراك به لغير الدهوين مثل الضيافات
مانواعها . وهذه حرة عندنا بدون قيد وشرط .
الاجتماع الديني — هذا يكون لمقاصد عديدة تارة سياسية واخرى اقتصادية
ومرة علمية وثانية تجارية .

الاجتماع الديني — هو من قبيل الاجتماع بالجموع والكائنات . لاقامة الشعائر
واستماع النعائم . وهذه الاجتماعات ايضاً غير تابعة بصور وشروط قانونية
الاجتماع المشروع — ما كانت موافقاً للقوانين . واما الغير المشروع الغير الموافق
للقوانين الاخرى

الاجتماع المهياً — الذي يكون مبنياً على نية معلومة وقصد محدود معين
الاجتماع المشوش — هو الذي يكون من قبيل التصادف او التشويق الوقفي .
فقانون الاجتماع الذي ترجمته وشرحته بهذا العدد من مقبضتنا يبحث عن الاجتماعات
الشاملة والدينية والمشروعة والغير المشروعة والمرتبة . ولم يتدخل قط في الاجتماعات
الخاصة والدينية والمشوشة قطعاً . ولا بد ان نثني الحكومة لهذه الاقسام الثلاثة الاخيرة
وتضع لها قوانين تقيتها عنها أسوة بجميع الدول المتقدمة ووقاية لحال الامة من تشويشات
المشوقين الضالين المضلين ومن سوء تفسير رجال الادارة صيغة الحظ والانفاق . فان
تسعة اعشار تذهبنا الاداري ناشئ في الامر الحق من هؤلاء الضالين ارباب النفوذ ومن
جهالة من يقال لم آملون

اخبار وافكار

الاسفنج

لا يعرف العلماء حتى الآن فيما اذا كان الاسفنج يعد من الحيوان مع انه ايضا مشترك مع النبات كما لا يعرفون كيف يتغذى فهو يتناول غذاءه من منافذه ولكن ما هي ماهية هذا الغذاء الموزع على نصاب المدل وهذا من المجولات ايضا .

وان الاسفنجة المعتدلة تبلغ ١٨ سنتيمتراً في اربع سنين واهم مصايد الاسفنج في سورية وبحر الادرياتيک وعلى شواطئ تونس . وقد اخذت اميركا ولا سيما شواطئ فلوريدا تخرج الاسفنج منذ مدة ايضا ويحيى هذا الصنف من كوبا وجزائر براهما . ويستخرج الاسفنج على صور مختلفة واكثرها استعمالاً ما يوصون عليه في اعماق تختلف من ١٠ الى ١٥ متراً فيزعون هذا الحيوان من الصخر الذي علق فيه ومنهم من يستعملون اجراس الفواصة فيتراكض كلاب البحر فلا يتقيها الغائص الا بان يتملوت فتكف عنه لان كلب البحر لا يقترب من الجثث الهامدة . وقد عني الدكتور مور بزراعة الاسفنج بدون ساق وهو انقى من غيره من الانواع وطريقته ان يقطع الحيوان قطعاً قدر كل واحدة خمسة سنتيمترات مربعة ويركزها الى اوتاد مغموسة بماء البحر فتكبر هذه القطع ويصبح وزنها خمسة وعشرين ضعفاً عما كانت عليه وذلك في خلال ثمانية عشر شهراً .

العصر الحجري

لم تدثر اجناس البشر التي كانت معروفة في العصر الحجري النريقي في القدم فان قبائل اواسط اوستراليا تمثل آخر بقاياها . فقد باد قدماء التاسمانيين الذين كانوا فرعاً من تلك القبائل ولم يتحقق اصل قرصان اندمان (ارنجيل في خليج بنفالا) واحتفظ اهل اوستراليا بسحناتهم وصفاتهم وهم قوم رحل مختلفة لهجاتهم بعيدون عن كل مدنية احط خلق الله في المعارف وصحة الاجسام ينزلون رمالاً لا ينبت فيها غير الموصج يعيش رجالهم بالصيد بالحرايب والنساء يقعلن جذوعاً ويهتجن عن الديدان بتغذين بها . وكلهم من اكلفة البشر لا يعرفون الثياب يسترون عوراتهم بزناير بسيط واذا اكلوا انساناً من البيض الضالين في احصاعهم يأخذون قمعة يجعلونها على رؤوسهم واحذيته وجواربه في ارجلهم علامة على الكبرياء والعظمة . ومساكنهم عبارة عن اكواخ من الاحصان

لا يعرفون المعادن الا منذ زارهم بعض ارباب الرحلات وليس لهم آنية في مساكنهم ولا يحسبون الا على اصابعهم الى الصف الاول من الاعداد لا يتعدونها الى اسكندر ولكنهم ماهرون في رسم بعض الصور على الحجارة وفي تزيين اتراسهم بيد ان حذقهم في هذه الصناعة احط من حذق اهل عصر الوعل في اوربا الغربية . ويقول العالم الاخصائي في احوالهم ان سكان استراليا الوسطى الاصليين جاؤا من اختلاط بين زنوج بابوان وجنس من الخلق ارقى من الجنس القوقازي امتزج الجنس معاً منذ الزمن الاطول ايام كانت استراليا جزءاً من قارة آسيا

السماك الاحمر

كان الغرييون يتسلون بتربية السمك الاحمر كما تتسلى به في سورية يحصله في بواطي وزجاجات وتغير مائه اليوم بعد اليوم وقد عدلوا العهدنا عن تربته ولم تبق الا جزيرة صقلية تألف تربته فيعملون فيها غدراناً مساحتها مئة متر مربع تفصل الواحدة عن اختها حواجز وسدود تفصلها بعضها عن بعض قليلاً وهي قليلة العمق يعملون ماء الاحواض على حرارة ٥٠ درجة ولا يفتأون يغيرون عنها الماء ويلونونها بان يضعوا في الماء شيئاً من الحديد والعطان (قشر البلوط المحرق للدبغ) والعفص وطعامها من الحوام والدم المحمد وبقايا اللحوم والشعير به نفو ونشكاثر ويكثر في تلك الاحواض من الذكور اكثر من الاناث . ويقال ان السمك الاحمر قد يستغني عن الغذاء شهراً كاملاً

صناعة الفنادق

سهمت سويسرا غيرها من بلاد الغرب والشرق بان كانت افضل البلاد بفنادقها وتزلما التي تجلب السياح اليها بمئات الالوف كل سنة وتربح منهم الارباح الطائلة وليس في هذا الشرق العربي اليوم من يحذو حذوها من البلاد غير جبل لبنان فاذا تم له ما ينبغي من دواعي الاصلاح وتوفرت في فنادقه وقصوره اسباب الراحة مع الاقامة وعدم الاشتطاط في الطلب وامتدت فيه كل الطرق المعبدة وعشرات من كيلومترات المخطوط الحديدية ايضاً يصبح في آسيا بمثابة سويسرا في اوربا . وان بلد الفنادق اي سويسرا بل الفندق الاكبر في الغرب لم يصل الى ما وصل اليه الافضل العلم والمدارس وربما يجيب ابن الشرق اذا قلنا له ان صناعة الفنادق يتعلمونها هناك في المدارس تعليماً نظرياً وعملياً ولذلك سبقوا غيرهم من سائر امم اوربا الذين لم من بلادهم ايضاً ارض

طيبة ومناظر جميلة ولكن ليس لم ١٠ تعداد السويسرين في جلب قلوب السائحين ولا يكفى اليوم في النزول ان يعرف صاحب الفندق تقديم الطعام الجيد الطبخ بواسطة طهاته ولا ان يحسن اللقاء والتشجيع ويش في وجه تزيله بل عليه أمور أخرى كثيرة تستدعيها المدينة ولا يتعلمها الا من دخل مدارس سويسرا او لاسيا مدرسة لوزان الفندقية . فإحدى احدى ارباب الفنادق في سورية ان يبعث باحد اولاده يتعلمون فيها ليطرس غيره على آثاره وتفنن البلاد فوائد كلية من دنابر السائحات والسائحين

سجون النساء

نادت ليزابت فري في اوائل القرن الماضي باصلاح سجون النساء فلم يتيسر في اميركا اجابة طلبها الا في العهد الاخير فأنشأت بعض الولايات المتحدة الشرقية سجوناً لتنفيذ اليها الشمس مضادة نية طاهرة مستوفاة من حيث الصحة وجعلوا الفئات على السجينات من النساء يعنين باسرها من كل العناية ويحبين اليهن اذ رأت اميركا ان السجن وحده كاف في اصلاح النفوس فلا ينبغي ارهاق المسجون بل تعليمه بالقراءة والمطالعة ولذلك ترى العناية بصحة السجينات الادبية وصحة الجسم بالغة حدها من النية فيجتمع السجينات في اوقات الراحة في مكتبة حوت انفع الكذب لمن يطالعهن وما يصرفن فيه اوقاتهن زراعة البقول وغيرها فلا يخرجن من السجن الا وقد تطهرت نفوسهن بالمطالعات والتمن تربية البقول والازهار وبذلك تم للحكومة ما أرادت من انتشار صناعة الحدائق بفضل جودة التربة والتربة في تلك الولايات . فتى يكون في هذا الشرق القريب سجون كهذه للرجال والنساء

الكليات الروسية

نقول احدى المجلات في روسيا ان حالة كلياتها اليوم اشبه بساحة وغى غداة القتال والنزال فان سيطرة الاساتذة ان لم تكن زالت فقد تضعفت كثيراً واغفل مستقيم في صفوف الطلبة لان السياسة منذ زمن متاماً عظيماً في حياة الكليات مما هو مضر بالغاية المطلوبة من هذه المعاهد . ومن العجب أن تساعد الكليات على نمو هذه الافكار واذا قد ضعفت سياسة التطرف في هاتيك المدارس اخذت الحكومة تدخل فيها مياسة حزب اليمين وذلك بانشاء جمعيات تكون بحجة جمع شتات الطلبة آلة لبث الدعوة الارتجاعية اى العودة الى سياسة الحكم المطلق فالواجب العدول عن الاعتصامات لانها لم تثر ثمره ما لتلك البيوت العلمية ولطالما اضررت بمن يأتونها والحكومة تعمد اليها لتخلص

من الاسانذة والتلامذة الذين عرفوا باستقلال الارادة والفكر . واخلاصة فان روسيا
تمو بكليانتها من حيث الفكر السياسي نحو تقديس الحكومة المطلقة والماتيا نمو بكليانتها
نحو تقديس الحكم المقيد تحت رعاية الامبراطور وشتان بين الامبراطورين
والامبراطورين .

الزحافات ذات الدف

كان علماء المظهورات (*L'espaleontologistes*) يدعون بان اعظم
الزحافات ذات الدف في ولاية واكونا وغيرها من الولايات المجاورة في اميركا الشمالية
ولكن البحث في معطورات افريقية النباتية وغير ذلك ابان تقويض هذا الزعم . فقد
اكتشفت في الطبقات الجيولوجية في جنوبي افريقية من سهل كارو العظيم في مستعمرة
الرأس معطورات لها شبه عظيم آثار الزحافات الاميركية الاولى وأيد احد اسانذة
الماتيا هذا القول وقال ان في افريقية الشرقية الاماتية جبلاً اخرجت من صدره بقايا
حيوانات تشبه هذه . وكان كارنجي المثري الاميركي اهدى مخف برلين حيواناً سموه
ديلودو كوس زعم انه اكبر زحاف في الارض ولكن تبين ان في المستعمرة الاماتية
الافريقية ما هو اضخم منه جثة يبلغ طوله مترين و ٤٥ سنتيمراً على حين لا يبلغ طول
حيوان كارنجي اكثر من متر و ٨٢ سنتيمراً وطول اعظم فقرة من عظمه من ناحية عنقه
٦٢ سنتيمراً في حين ان مثلاً في الحيوان الافريقي متر و ١٨ سنتيمراً وعظم العضد في
الاول ٩٢ سنتيمراً وعظم العضد في الثاني يتجاوز المترين ورأس الزحاف الافريقي صغير
بالنسبة لحجم جسمه

الهجرة الايطالية

لم يهاجر منذ سنة ١٨٦٦ الى ١٩٠٨ اقل من ٥٨١٣٤٦٠ مهاجراً ايطالياً اي ما يعادل
مجموع سكان الجمهورية الفضية او سكان الجزائر وقد كان المهاجرون عرضة لتلاعب
الصوص والمحتالين عندما ينادرون ببلادهم فيتلاعب المتلاعبون بعقولهم واكثرهم من
ضعاف العقول بالطبع فانتبهت الحكومة الايطالية والشعب الايطالي للامرا وألفت
جمعيات كثيرة في امهات مدن اميركا الشمالية والجنوبية لاستقبال مهاجري الطلاب
والسير بهم في الطرق الموصلة القرية الى احتياز المال والعيش الخفسال وهكذا تم لم
ذلك . وللسور بين على ضعفهم في تلك الاجتماع جمعيات من هذا القبيل وكانت ضئيلة
ولكنها تخدم الهجرة والمهاجرة .

السرطان البحري

لما كان السرطان البحري في أميركا أكبر من السرطان الاوربي مرتين اصبح الطلب عليه كثيراً والرغبة فيه ولا سيما للتقريب أكثر مما يصاد منه . وقد عمدت أميركا الى تخمينه بالطرق الصناعية الكثيرة فلم تفلح وقضت بان يكف عن صيده ولو بضع سنين فلم يسمح لها خصوصاً وان كثيراً من الاسماك الكبرى تسطو عليه عند ما يكبر واذا كان صغيراً فأبناء نوعه يأكلونه ولو لم يكن قليل الامراض لفتي منذ زمن طويل . وكان هذا النوع في أميركا ضعفي ما هو عليه اليوم وزن الواحدة منه من خمسة الى ستة كيلو نباح بالواحدة اما اليوم فيباع بالوزن . ونوعه يقل كما يقل عندنا السمك البحري والنري لان الصيادين يصيدونه في الغالب بوضع قذائف من الديناميت تقتل كباراه وصغاره والحكومة تمنع ذلك ولكن منها جبر على ورق

الاقتصاد في الوقت

من اعظم ما يتكو منه ارباب الصحف كثرة ما يرد عليهم من المقالات الثافهة والمبارات الساقطة لا يعرف ذلك الا من يعانيه ولذلك كثيراً ما يضطرم الوقت الى عدم اتمام قراءة ما يعرض عليهم فيدركون ضعفه لاول وهلة فيوفرون بذلك اوقاتهم . وقد شعر ارباب المطابع والمجلات والجرائد في أميركا بهذا الامر فأصبحوا اذا ألقيت الى احد الطابعين رواية ليراها هل تصلح ام لا ينظرون الى اسم مؤلفها فان كان من له شيء من الشهرة تدفع قصته الى من يقرأها وتكلف قراءة قصة مؤلفة من مئة الف كلمة خمس ليرات فاذا جرى في كل قصة تأتية على هذا النحو يخسر كثيراً لان قيمة الساعة التي يمسرها قارئ القصص في ادارته نصف ريال فاذا كانت القصة من قلم من يجدر ان يقرأ كتابه تدفع الى امين سر المحل وساعته تساوي اثني عشر فرنكاً فتأمل

الحملات

عادة الاستحمام قديمة جداً ورد ذكرها في اساطير الاقدمين ويقال ان البطل هر كول اليوناني استمتع بما استمتع به من القوة والعضلات المفتولة لاعتياده الاستحمام بالمياه فاشتهرت حملاته ودعي كثير منها باسمه . وكذلك ديان وايزون المشهورتين في الاساطير اليونانية فانها حفظا صحتها بل جعلتا لها بالمياه قوة زادت عن القوة المعتادة عشرة اضعاف . ولقد كان القدماء يعتبرون الماء البارد دواء ينفع في كل الادواء ذكرت ذلك التوراة و اشارت اليه في مواطن كثيرة . وكان للبرانيين حملات منذ العهد الاقدم وهي ولا

جزم ضرورية لم لحرارة الجو في البلاد التي نزلوها وقد فرض موسى الاستحمام ولا سيما على التساقط وكان المصريون يرون الاستحمام من الواجب وكذلك الاشوريون على ما تراه الى اليوم فيما أخرج من آثار بلادهم من بقايا الحمامات وجميع أم الشرق ترى الوضوء فرضاً دينياً ومنها ديانة ماني وزردشت والاسلام . وكانت الحمامات في يونان على اختلاف انواعها بحرية او نهريّة عامة للكل يستحم فيها من يريد والرشاش من الامور العادية في يونان وكان لرومية حمامات فاخرة فيها أنواع الراحة من حجر للتعريق واخرى للتسديد وغيرها للتبريد واخرى لذلك والتفمير . وكانت هذه الحمامات ولا سيما حمامات افرسيا ودوبوكسين وكاراكالا تنفع جد النفع وكثير من الرومانيين والرومانيات كانوا يستحمون في نهري الكبر واثون وكثيراً ما كان حكام رومية *Pea Censeurs* يطلقون السنتهم في انكار اختلاط الرجل بالنساء وكان في القرون الوسطى في الغرب حمامات على اختلاف انواعها وفي القرون الحديثة أدست عليها تعديلات جسيمة هذا ما ناله احدى الصحف الافرنجية اما حمامات الشرق فقد اشتهرت شهرة فائقة ومن احسنها اليوم حمامات دمشق فيما نحسب وان كانت تحتاج شيء من مراعاة قواعد الصحة كأن يرجع اربابها عن استعمال المنطس يغوص فيه مئات كل يوم وفي بعضهم من الامراض الجلدية وغيرها ما تمكن مرابته وتفضل المناشف كل مرة فلا يعطى لزيد ما نشف به بدن عمرو وفي ذلك من الضرر ما لا يخفى على ايّيب محله فقد صار من المثل عندم ان الشيء القلافي مبدول كقوطة الحمام من بدن الى بدن

الحاضرات والمسامرات

اصبحت الحاضرات والمسامرات في الغرب من الامور الطبيعية الشائعة في مجتمعاته فالحاضرون درجات وكذلك الحضور ومنهم المجيد ومنهم الوسط ومنهم العاطل والنكل في الاغلب يصنف لم تحسبنا ويستمع لما يقولون استحسنوا او تصبروا او تأدبا ويثنون عليهم في الجرائد . وهذا العلم يحتاج الى قابلية لدنية وطبيعة كسبية ولا يجيد فيه المجيدون الا بالتدريج والاستعداد للاجادة متوقف على معلومات موعة وأدلة لم تعرف وتفاصيل غريبة جديدة والارتمجال يصعب فيها فالواجب ان تعين لما خطة وجميع تجمل على نظام خاص . ويختلف المدخل والمخرج منها باختلاف الموضوعات والاحوال . وعلى الحاضرين ان يتبين استحسن سامعيه له من النظر الى عيونهم فان رآهم فرحين عرف ان لكلامه تأثيراً فيهم . وفي فرنسا والمانيا وانكلترا واطاليا تلي الحاضرات بدون للاحق فلا؟

تكلم المتكلم سمع السامع اما في اليابان فان التأثير جعلت على صورة يشخص فيها المحاضر محاضراته او مسامراته تشخيصا يلزم سامعيه ويضجهم كأن تجعل نافذة تحت رجله فتفتح وتبطله فيفتني عن الانتظار ويأخذ الحضور يقهقهون وفي افرقية الوسطى يتبع الخطيب خطابه بمحركات متتابعة ويقف على ساق واحدة ويده اليمنى مسندة الى ركبته الخفية والبسرى فوق رأسه وهذا من ادوات الاقتناع والتأثير في ذهن السامعين من الزوج وحالة الحضور الضحك لما فيها من التصفيق واشارة اليدين وفحة الافواه والاشداق

اصلاح اجتماعي

الثام في مدينة الله آباد من مدن الهند مؤتمر مثل فيه كثير من اعضاء الجمعيات الراقية الهندية فقرر المؤتمر ابطال زواج الاولاد لان الصبيان كثيراً ما يخطبون بعض اقاربهم وهم بين الثامنة عشرة والرابعة عشرة فلا يلبثون ان يتزوجوا ممن فيهم ضعف لا تدر على مقاومة الطاعون ولا التعط فحدد المؤتمر سن الزواج وجعلها ١٦ للبنات و ٢٥ للرجال وقرر ايضا ابطال الزواج الامن طبقات مخصوصة لان طبقات الهنود تعد بالثلاث وكل طبقة يفرض عليها ان لا تزوج الا من اهل طبقتها فاذا وقع تطبيق هذين القرارين جاء من الهنود نسل قوي نشيط . وفي مملكة ترافسكور وهي من الممالك الهندية المستقلة يقضى ان لا تكون سن الزوج اقل ثلثي عشرة وسن الزوجة ست عشرة .

علم

قالت احدى المجلات الايطالية ان الحكومات تشابه منذربعين سنة فاذا ما نظرنا الى التعليم العالي في الامم على اختلاف قاراتهم نراه يثبت من ٢١٨ مدرسة كلية و ١٨٩ مجمعا علميا جامعا و ٤٣٤ مجمعا علميا غير جامع و ٣٩ مجمعا علميا (اكادمية) و ١٣٦٣ جمعية علمية منتشرة في الاصقاع المختلفة ومنها اوستراليا وآسيا التي تهب من سباتها وافريقية التي تلتفت من قبور الغلطات . ولكي ندر سرعة هذه الحركة يجب علينا ان نعتبر بان المانيا قد ارفقت عدد اساتذتها في المدارس العليا من سنة ١٨٨٢ الى ١٩٠٨ من ٢٠٩٥ استاذ الى ٣٢٤٢ وانفسا من سنة ١٨٨٥ - ١٩٠٧ من ٨٠٨ الى ١٣٠٨ وسائر البلاد تجتهد هذا الحد في ارتفاعها وكذلك الحال في زيادة عدد المتعلمين ورجائنا اكثر من بجزء المعلمين عدد كان لفرنسا مثلاً سنة ٢٩٠٧ - ٧٨١ طالبة في الآداب والعلوم

من الفرنسيات و ٨٠٦ من الاجنبيات اما سائر الفروع فقد كان دارسوها في فرنسا ٣١٦٠ طالبة منهم ١٦٦٦ من الفرنسيات والباقيات اجنبيات وكان لالمانيا في سنة ١٩٠٨ ٤٥٣ طالبة المانية و ٦٧ اجنبية في الفلسفة ومجموع الطالبات في الفروع الاخرى ١١٣٢ منهم ١٠٥٩ غير المانيات ولهولاندة ٥٠٦ طلبة ولرومانيا ٤٤٠ وهكذا كثر الميل الى التعليم المالي اكثر من زيادة عدد السكان

الاستعمار الالماني

التي احد اساتذة كلية مونيخ ومدير المدرسة التجارية العالية خطاباً في السياسة الاستعمارية الالمانية قال فيه : ان المانيا دخلت ميدان الاستعمار منذ خمس وعشرين سنة في زمن تزايدت فيه الهجرة من بلادها ايام هاجر ٥٤٠ الفاً بين سني ١٨٨٠ — ١٨٨٣ و ٨٧٥ الفاً بين سني ١٨٨١ — ١٨٨٥ وكان قد مضى نصف قرن على المانيا وابلوطها ينتشرون في الارض . وادعى دعاة الاستعمار انهم كانوا يستفدون الهجرة بتحويل وجهة المهاجرين نحو البلاد التي يحقق عليها العلم الالماني : فقد رجحت المانيا من سنة ١٨٨٤ — ١٨٨٥ الى سنة ١٩١٠ مليونين ونصف مليون كيلومتر مربع كان فيها سنة ١٩١٠ — ٢٠٠٧٤ رجلاً من البيض يدخل فيهم الجند ورجال الشرطة وهم ١٣٦٦٢ رجلاً و ٣٣٣٧٢ امرأة و ٣٠٧٥ ولداً فاذا اخرج منهم الاجانب بقي من هذا العدد ١٦٠٠ الماني فقط . وليس للاماني اليوم حاجة للاراضي الجديدة ينزلها الفاضل من بينهم كما كانوا قبل خمس وعشرين سنة فقد زاد عدد سكان المانيا من ٤٥ مليوناً سنة ١٨٨٢ الى ٦٥ مليوناً سنة ١٩١٠ وكانت يبلغ معدل المهاجرين مساندة ١٧١ الفاً سنة ١٨٨١ — ١٨٨٥ فلم يتجاوز معدله سنة ١٩٠٦ — ١٩٠٩ اكثر من ٢٦٨٩٣ ويستدل على ان الالماني يجد ما يعمل اليوم في بلاده وان عدد الرحلة قد زاد في ربع قرن من اربعة ملايين الى ثمانية ملايين وسدس وعدد عملة التجارة من ٧٠٠ الف الى مليون وتسعمائة الف وكان عدد الاجانب في المانيا في اواخر القرن التاسع عشر ٤٨٤٤٢٣ فاصبح ١٠٠٧١٧٩ سنة ١٩٠٥

وناجم فستفاليا والاعمال الزراعية الكبرى واعمال البناء كلها تحتاج الى عامين في المانيا ليجيئها العملة من النمسا ومن روسيا بحيث بلغ عدد العملة فيها من غير انائها ٥٨٥٠٠٠ في سنة واحدة . والمانيا تستخرج من مستعمراتها المواد الاولى اللازمة لها في صناعاتها التي يعمل في صنعة القطن وحدها ثلثاثة الف من الالمان ومع هذا فان

ما تصدره مستعمراتها اليها بلغ في السنة الماضية ٧٠ مليون مارك اي واحداً في المئة من مجموع الواردات الالمانية فلا تصدر مستعمراتها مثلاً أكثر من ٨٠٠ الف مارك من القطن في حين يساوي قطنها اللازم لها ٥٣٢ مليوناً وليست المستعمرات الالمانية كلها صالحة الآن لسكنى البيض فاذا حذفنا مستعمرات المانيا في الجنوب الغربي من افريقية بلغت مساحة مستعمراتها ١,٨٠٠,٤٠٠ مليون مربع منها ٥٦٦ فقط يعمل فيها ٧٠ الف زنجي ويشارك الاوربيون في استثمارها واستثمارها وسكان مستعمرات المانيا كلهم ١٤ مليوناً يصيب كل فرد من اهلها خمسة ماركات من الصادرات في حين يصيب الفرد في جامايك ٤٨ ماركاً وفي ترينيداد ١٧٥ ماركاً . وقد انشأ الالمان في مستعمراتهم ٢٥٢٦ كيلومتراً من الخطوط الحديدية و ١٤٦٨ كيلومتراً آخذون بانشائها . والصعوبة في مستعمرات الالمان ان العيش على البيض متعذر ولذلك ترام يضطرون الى الزواج من بنات البلاد السود فياً في اولادهم خلاسين وقد يكون فيهم عيوب آباءهم هذا مع ان العامل الاوربي يقبض عمالته زهاء خمسة ماركات والعامل الوطني لا ينال نصف اجرته الا بشق الانفس . وقد اساءت المانيا بسياستها العسكرية التي جرت عليها مع الزواج فابادت المرووس العصاة عن بكرة ابيهم ليحل محلهم البيض هذا والفرقية قليلة بسكانها واراضها محتاجة لاستخراج كنوزها الى ايد عاملة قد يتمتع جلبها من اوربا لرواة المناخ لان اوستراليا قد جلبت من انكلترا ٧٦٠ الف انكليزي أعطوا جوائز عن عملهم اراء في استثمارها فكانت باعثة لهم على التوطن في البلاد . وحيثما يكثر السكان في افريقية يكتفي الاوربيون بالتجارة مع الوطنيين . والمدنية الاوربية تقرض الزوج فقد بلغ عدد من يموت من العملة السود في الترنسفال ٢٨ في المئة نصفهم بامراض الكبد كما يهلك كثير منهم ومن غيرهم بمرض النوام الذي يحار به الغريوت ليتغلبوا على فتكاته بادويهم فيفيدوا الانسانية والامور الاقتصادية .

وقد تبين بالاختبار ان سياسة الاستثمار التي ترمي الى ملاحظة مصالح الوطنيين وتغني بتكثير سوادهم هي نافعة من حيث الوطنية وراجة من حيث المالية فالعمل الاجباري لا ينتج وماقط كانت له ثمرات كالعمل الحر المطلق — انتهى عن مجلة الاقتصاديين الفرنسية

نتائج الحروب

نشرت مجلة ادلة الترفي مجيلاً قالت فيه ان الافكار العامة في اوربا اليوم اختلفت

كثيراً في تصور معنى الحرب والسلام عن سنة ١٨٨٠ وكثير العاملون للسلام والقائون به والداعون اليه فانه اذا نظر الى الصلات الاقتصادية بين الأمم نرى ان الحروب لا تدوم كثيراً لان الغالب يخسر كالمغلوب او اكثر . وما الباعث الرئيسي للفجاء في الشعوب الاوربية الا كثرة السكان والشدة في تحصيل الرزق فالانسان مصرف لآخيه الآخر ولذلك كان العيش في البلجيكي وسويسرا اشق مما هو في جرمانيا لكثرة نفوس هذه . وما تاريخ القرون الغابرة الا فتوح طويل بطي لا استحصال الخبز وهو الى الآن غير مضمون الحصول للناس كلهم . اننا نسكن كثرة من القرب المحل مساحتها ١٢٦ مليون كيلومتر مربع وفيها نحو ١٥٠٠ مليون من البشر والاراضي الى عهد قريب كانت موزعة توزيعاً غير معقول على السكان . اننا نسكن على هذه الارض ويسكن معنا انواع من الحيوانات وما قط رأينا ابناً الجنس الواحد منها يأكل بعضها بعضاً ويفترس احدها الآخر . وللأسراع بالانتفاع من هذه الارض في حاجتنا وجب ان يكون الشرط الاول فيها ان يتفق جمهور العاملين من البشر . ان العقل يرشدنا الى ان جهادنا عبارة عن التغلب على المصائب والمصائب الطبيعية لا احداث امور من مثلاً طبيعية . علينا ان نحفر اقنية ونغرق جبالاً لا ان نقيم سدوداً كسدود الصين . ولذا وجب ان تزال تلك الحدود المصنعة ليعيش الناس العاملون عملاً عاملاً والاستعباد العسكري واستنزاف ميزانيات الدول في الاتفاق على الجيوش مما من اكبر دواعي الضعف فان المدينة الاوربية تنفق في السنة عشرين ملياراً من الفرنكات في هذه السبيل فنذ سنة ١٨٧٠ انفق الغرب مبلغ خمسمائة مليار بلا طائل فلو أبطلت الحروب منذ اربعين سنة لاستطاع البشر كلهم ان يأكلوا كما يريدون اليوم

ايظن الظان ان البشر يرضون بعد بان يعمل المره ساعة كل يوم زيادة حتى يقف الملوك وروساء الجمهوريات يستعرضون الجيوش ايام الاعياد الوطنية فقد ادرك الناس اليوم ان الحرب ليست الا جنابة وهي حماقة ورقاعة . ليس الجهاد في الحياة بين الاخ واخيه بل بين الانسان والطبيعة بذلها كما يشاء ليكون مقامنا في هذه الارض مقبولا محموداً . وللوصول الى هذه الحياة يجب نزع فكر الحروب من العقول وذلك بوجوه كثيرة اولها تربية الاطفال والبالغين . فاذا فكر كل انسان كما يفكر كاتب هذه المقالة ننقلب الحال عما قريب . على ان العالم سائرون الآن للسلام وان كان على طريقة برهة فالسبيل الى ذلك ان يحدد حمل السلاح بحيث يؤول ذلك الى نزع بالتدرج وان

يتحد التجانسون من الشعوب اتحاداً سياسياً فيتحده سكان الغرب من اوربا اي الفرنسيين والانكليز ونجد الممالك البلقانية ونجد الممالك الوسطى اي النمسا والمانيا وتعقد معاهدات التحكيم بكثرة . لا جرم ان الامم اليوم يقترب بعضها من الآخر بما ينشؤون من العهود ويعقدون من الوفاقات ويجهعون عليه من السباقات والمؤتمرات والزيارات ولكن الطريقة الناجمة في ذلك ان يكون لمحكمة لاهاي الصلحية يد اقوى في ابقاف كل امة عند حد معين من التسامح وذلك بان يقاطعا كل الامم على السواء فاذا وقع خلاف بين المانيا وفرنسا وكانت الاولى معتدية يعلن عليها الدول كلهن المقاطعة فلا تلبث ان تعوذ الي رسلها في ثلثي واربعين ساعة على الاكثر فقد قاطع الصينيون اليابانيين والاميركانيين وقاطع العثمانيون النمساويين بتدبير افراد منهم فكم تكون المقاطعات الدولية عظيمة اذا صدرت عن الحكومات مباشرة

طرابلس وبرقة

يصدر هذا الجزء . والحرب البرية البحرية يطلغي اوارها بين جيوش الدولة العلية ودولة ايطاليا لاعتداء هذه على طرابلس الغرب العثمانية بدون مسوغ دولي معقول وبهذه المناسبة رأينا ان ننقل للقراء شيئاً من وصف تلك البلاد وتاريخها فنقول:

طرابلس هي القسم الشرقي من بلاد البربر يحدها من الشمال البحر الرومي ومن الشرق لواء بنغازي وهو مصر ومن الجنوب الصحراء ومن الغرب الصحراء وتونس ومساحة طرابلس مع بنغازي ١٢٠٠,٤٠٠ كيلومتر مربع في رواية اي قدر ولاية سورية ١٣ مرة او ستة اضعاف مساحة تونس ونحو ثلاثة اضعاف ونصف مساحة ايطاليا — وسكانها زهاء مليونين وهواء السواحل منها من جهة سهول برقة وما جاورها معتدل . اما في جهة الجنوب اي في فزان فالحرارة تغلب عليها وانهارها قليلة ليست سوى جداول لان مياهها تنجف بشدة الحرارة وتضيق في الرمال المحرقة واكثر شرب اهلها من صهاريج تملأ بماء السماء كان ذلك قديماً ولا يزال الى اليوم . وسواحلها منتبة في الجملة ولا سيما جهات برقة فلها تخرج انواع الحبوب والبقول والثمار والاعفوان والقوة والحلقات البرية والتمر والبرنقال والليمون والتين والزيتون ومن سواحلها يستخرج الاسفنج والمرجان وانواع الاسماك

ويقسم هذا الصقع بحسب التقسيم الاداري الاخير الى ولاية ذات اربعة الوية ولواء مستقل وهو بنغازي فلواء طرابلس يدخل فيه تسعة افضة وهي قضاء طرابلس

والتواحي الاربع وخرمان واورفلة وترهونة والزاوية وزوارة وعزيزة ونجيلات ولواء
خمس وهو مؤلف من خمسة اقصية وهي قضاء خمس ومصرطة وظلتين ومسلطة
وسرت ولواء الجبل الغربي وهو اربعة اقصية فصر بفرين وغدامس ونالوت وفساطو ولواء
فران وهو اربعة اقصية مرزوق وسوكنة وشايلي وغات وفي هذه الولاية عشرون ناحية
تنبع الاقصية وفي لواء بنغازي اربعة اقصية وهي بنغازي ودرنة ومرج واوجلة وجايو
وجداية وعشر نواح وبنغازي في المدخل الشرقي من السرت الكبرى وحاضرة برقة
وتجارها مع خانبا ومالطة ووداية في السودان الشرقي حسنة في الجملة وكان اسمها
بيرينيس *Bérénice*

واشهر مدن هذا القطر اليوم طرابلس الغرب اضافوا اليها الغرب تمييزاً لها عن
طرابلس الشام سميت الولاية باسمها وكانت الولاية ولاسيما قسمها الشرقي نحو بنغازي
تسمى برقة قديماً ومدينة خمس على الساحل وقصر بفرين ومرزوق وغدامس وغات
وبنغازي على الساحل ودرنة واوجلة وهما واحتان مشهورتان . وسكان طرابلس نحو
اربعين الف نسمة وسكان بنغازي زهاء عشرين الفا .

وبرقة كما قال ياقوت اسم صقع كبير كان يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية
وافريقية (تونس) واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن ولها ساحل يقال له
اجية وساحل آخر يقال له طلموية وبين الاسكندرية وبرقة مسيرة شهر من القسطنط
(مصر) الي برقة مائتان وعشرون فرسخاً وهي مما افتتح صلحاً على يد عمرو بن العاص
سنة ٢٣ ومن برقة الى القيروان (تونس) مائتان وخمسة عشر فرسخاً

قال المقدسي ومن مدن برقة ذات الحمام . رمادة . اطرابلس . اجداية . صبرة
قابس . غافق . وبرقة قصبة جليلة عاصمة نفيسة كثيرة الفواكه والخيرات والاعمال
مع يسار وهي ثغر قد احاط بها جبال عامرة ذات مزارع على نصف مرحلة من البحر في
هوة قد احاط بها تربة حمراء شربهم من آبار وما يحجونه من امطار في جباب وهي على
جادة مصر يحسنون الى الغرباء اهل خير وصلاح واطرابلس مدينة كبيرة على البحر
مسورة بحجارة وجبل شربهم من آبار وماء مطر كثير الفواكه والانجاس والتفاح
والالبان والعسل واسمها كبير . واجداية عاصمة بنيانهم حجارة على البحر وشربهم من
الامطار وسرت كذلك ولها بواد وشعارية . وصبرة في بادية وهي حصينة بها نخيل
وتين شربهم من ماء المطر . وقابس اصغر من طرابلس لم واد جرار وبنيانهم من

الحجارة والآجر كثيرة النخيل والإعناب والتفاح مسورة باديتها بربر . وغافق ناحية واسعة كثيرة القرى والاسواق على أيام الجمعة بحرية ومن الناس من ينسبها الى افريقية (تونس) وذات الحمام مدينة عمرت من قرب

وكانت طرابلس من عمل تونس في القرون الاولى للاسلام ثم غلب اسمها على الكورة واصبحت بنارة قصبها وذلك بدثور برقة وغلبة الخراب عليها وقد وصف ابن حوقل الجغرافي هذه البلاد في القرن الثالث وقد زارها فقال :

ان برقة مدينة وسطية ليست بالكبيرة الفخمة ولا بالصغيرة الزرية ولها كورة عامرة وغامرة وهي في بقعة فسيحة يكون مسيرتها يوماً كبيراً في مثل ذلك ويحيط بالموضع جبل من صائر جهاتها وارضاها حراة خلوية التربة وثياب اهلها ابدأ بمحمد يعرف اهلها بالفسطاط من بين اهل المغرب بحمرة ثيابهم وتغيرها ويطوف بها من كل جانب بادية يسكنها الطوائف من البربر وهي برقة بحرية جبلية ووجوه اموالها حجة وهي اول منبر ينزله القادم من مصر الى القيروان

وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل حين ووقت مالا ينقطع طلاباً لما فيها من التجارة وعبوراً عليها مغربين ومشرقين وذلك انها تنفرد من التجارة التي ليس في كثير من المغرب مثلاً والجلود المجلولة للدباغ والتمور الواصلة اليها من اوجلة ولها اسواق حارة من يبيع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من المشرق والواردة من المغرب وشرب اهلها من ماء المطر في مداخن تدخن واسطارها في اكثر الاوقات فائضة بالرخص في جميع الاغذية

ويليها اجداية مدينة على صحراء من حجر في مستوى بناؤها من طين وآجر وبعضها بحجارة ويطيف بها من احياء البربر خلق كثير ولها زروع مباحس وليس بها ولا ببرقة ماء جار وبها نخيل حسب كفايتهم وبمقدار حاجتهم ووالها القاتم بما عليها من وجوه احوالها وصدقات بربرها وخراج زروعهم وتعدير خضرهم وبساتينهم هو لاميرها وصاحب صلاتها ولها من وراء ذلك لوازم على القوافل الصادرة والواردة من بلاد السودان وهي قريبة من البحر ترد عليها المراكب بالمتاع والجهاز وتصدر عنها بضروب من التجارة واكثر ما يخرج عنها الاكسية المغاربة وشقف الصوف وشرب اهلها من ماء السماء .

واوجلة منها على ايام بين غربها وجنوبها وهي بلد ذات نخيل عظيمة وغلات تنصل

مها لاهلها جسيمة ومنها الى ودان طريق قصد وودان هذه ناحية ومدينة في جنوب مدينة صرت وهي جزيرة لا تقصر في رخص الثمر وكثرتها وجودتها عن اوجلة وسرت مدينة ذات سور صالح كالتنع من طين وبها قبائل من البربر ولم مزارع وهي على البحر ترد عليها المراكب بالماء وتصدر به عنها وفيها من جهاز الصوف ما لا يقصر عن اجداية وبرقة

واما طرابلس فكانت قديماً من عمل افريقية وسعت من يذكر ان عمل افريقية لما كانت طرابلس مضافة اليها معروف معلوم وذلك انه من صبرة وهي منزل من طرابلس على يوم وهي مدينة من الصخر الابيض على ساحل البحر خصبة حصينة كبيرة صالحة الاسواق واسعة الكورة كثيرة الضياع والبادية وارتفاعها دون ارتفاع برقة وبها من الفواكه الطيبة اللذيذة الجديدة القليلة الشبه بالمغرب وغيره كالفستق والكثير من اللذين لا شبه لها في كثير من المواضع وبها الجهاز الكثير والصوف المرتفع واما قانس الاكسية الفاخرة الزرق النفوسية والسود الرفيعة التميته الى مراكب تحيط عليها ليلاً ونهاراً وترد بالتجارة على مر الاوقات والساعات صباحاً ومساءً من بلد الروم وارض المغرب بضروب الامتعة والمطاعم واهلها قوم موقرون من بين من جاورهم متميزون بالتجمل سيفه اللباس وحسن الصورة والقصد في المعاش الى مروات ظاهرة ولم عشرة حسنة ورحمة مستفيضة ونيات جميلة الى مراء لا يفترو عقول مستوية وصحة بنية ومعاملة محمودة ومذهب في طاعة السلطان شديد ورباطات كثيرة ومحبة للغريب اثيرة ولم سيفه اخير مذهب من طريق العصية لا يدانيه اهل بلد . واما قابس فانها مدينة ذات مياه جارية واشجار متهدلة وفواكه رخيصة ولها من التمر والزروع والضياع ما ليس لما جاورها من زبتون وزيت وغلات وعليها سور يحيط به خندق ولها اسواق وجهاز كثير ويعمل بها الحرير ويدبغ بها الجلود وينتاجها التجار ولها صدقات وزكوات وضرائب وجوال على اليهود بها وسائمة كبيرة اه .

وقال اليعقوبي في كتاب البلدان : وحوالى برقة ارباض لها يسكنها الجند وغير الجند وفي دور المدينة والاراض اخلاط من الناس واكثر من بها جند قدم قد صار لهم الاولاد والاعقاب وبين مدينة برقة وبين ساحل البحر المالح ستة اميال وعلى ساحل البحر مدينة يقال لها اجية وساحل آخر يقال له طليشة . وبرقة اقاليم كثيرة تسكنها بطون من البربر ولها من المدن برنيق وهي مدينة على ساحل البحر الملح ولها ميتا عجيب في الاماكن

والجودة تجوز فيه المراكب واهلها قوم من ابناء الروم القدم الذين كانوا اهلها قديماً وقوم من البربر ومن مدينة اجداية الى مدينة سرت على ساحل البحر المالح خمس مراحل وآخر حد برقة على مرحلتين من مدينة سرت بموضع يقال له تورغة وخارج برقة قاتون قائم كان الرشيد وجه بمولى يقال له بشار فوزع خراج الارض باربعة وعشرين الف دينار على كل ضيعة شيء معلوم سوى الاعشار والصدقات والجوالي ومبلغ الاعشار والصدقات والجوالي خمسة عشر الف دينار ربما زاد وبما نقص والاعشار للمواضع التي لا زيتون بها ولا شجر ولا قري مقراة . ولبرقة عمل يقال له اوجلة وهو في مفازة مغرب لمن اراد الخروج اليها يغترف الى القبلة ثم يصير الى مدينتين يقال لاحدهما جالو وللأخرى ودان وهذه من اعمال برقة المضافة ومن مدينة سرت الى ودان بما يلي القبلة خمس مراحل ووراء ذلك بلد زويلة مما يلي القبلة وسكانها اباضية اي خوارج وفزان جنس يعرف بفزان اخلاط من الناس لم رئيس يطاع فيهم وبلد واسع ومدينة عظيمة وتسمى برقة انطابلس هذا اسمها القديم

وبعد فهذا من احسن ما وصفت به طرابلس و برقة ومنه نفهم درجة عمرانها في القديم اما اليوم فقد قال واصفوها فيها بانها مختلفة احوالها باختلاف كورهما فسواحل الشمال من سرت مقفرة ومن الشرق خضراء انضرة وهي برقة ومن نحو فزان مصخرة . وبلاد طرابلس اشبه بالصحراء وفي الساحل مناجم الكبريت وفي بحيرة فزان المالحلة الذنرون وشجر الحلفا يتناء تجار الانكليز خاصة والصناعات محصورة في المدن الكبرى مثل طرابلس وبنغازي واشتهر بالتجارة سكان طرابلس وغدامس وكانت القوافل تسير من طرابلس الى داخلية افريقية تحمل الاقشة والخرداوات والاسلحة والزجاج والبارود وتعود منها بالعاج والجلد والصمغ والشمع وریش العام والوبر

وسكان طرابلس مزيج فالبربر ينزلون الجبال والعرب السهول ويكثر فيها الزنوج لان سوق الرقيق قبل ابطاله كانت فيها رائجة وفيها نحو خمسة آلاف مالطي لقرب سواحلها من جزيرة مالطة وهم منتشرون في المدن الساحلية كما ان فيها زهاء الف ايطالي ونحو خمسة آلاف يهودي اكثرهم في السواحل وايس في اهل البلاد يتبعون اصليون وكانت طرابلس من اهم المدن التجارية ومنها كانت تسير القوافل المهمة الى داخلية افريقية فما يرح الفرنسي منذ استولوا على تونس يحاولون سلبها هذا المركز حتى فقدت مركزها التجاري وتحولت وجهة القوافل الى تونس وخصوصاً بعد ان عمرت انكلترا

اعالي النيل والسودان الشرقي ونفتحت الطرق الجديدة الى بحيرة تشاد من النيجر والكونغو فلم تعد برقة مركز الاتصال بين الساحل واواسط افريقية

وكان اليونان في القرن السابع قبل الميلاد اشأوا مدينة برقة متخبرين لما لجودة هوائها وغناها وازهرت على ايامهم كما ازهرت قرطاجنة واغنى اهل برقة بتجاراتهم الواسعة مع داخلية افريقية الا انهم انصرفوا بعد الى البذخ والرفاهية فاضمحل عمرانهم بعد ان اخرجت برقة مثل ارشيب الفيلسوف وكاليماك وايراتوستين وخلف بنوها من الآثار النارية التي تدل على عظمتها اليوم خرائبها المدهشة

وتاريخ طرابلس الغرب القديم غارق في ظلمات الخفاء لا يعرف ^(١) عنه الا ان البربر بعض سكانها الحاليين كانوا فيها . وقبل المسيح بيضعة قرون كانت انحاء طرابلس بيد الفينيقيين وقسم منها للقرطاجيين اما جهة برقة فانهذا اليونان مهجراً كما يهاجرون اليوم الى سواحل مصر وغيرها . ولند اننت في جهات طرابلس ثلاثة بلاد (تربوليس) ومنها اشتق اسمها فقال العرب طرابلس وانتأ اليونان في جهة برقة . خمس قصبات سموها پندابوليس ثم صار حكم طرابلس الى يد حكام البربر في نوميديا بعد سقوط دولة القرطاجيين واستولى البطالسة المصريون على برقة ثم استولى الرومان على كل من اقليم برقة وطرابلس ووسموا تخوم حكومتهم الى فزان وغدامس

كانت طرابلس الغرب وحات الشرق من تونس والجزائر معروفة عند الرومان باسم افريقية وكذلك اطلق العرب على هذه الاصقاع اسم افريقية . ولما تولى الرومان عن هذه البلاد استولى عليها الروم البيزنطيون فتحوها عقبة بن رافع في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) ثم استولى عليها الامويون وبقيت مدة في يد بني الاغلب على عهد العباسيين ثم حكمها الفاطميون وكانت معقلاً من معاقل الخوارج ولذلك كانت لهم فيها ايام مشهودة ولم يزل في بعض انحاءها بقايا منهم .

ولقد تألفت فيها عدة حكومات صغيرة وبعضها كان مهماً على عهد الاسلام واكثر ما تكون طرابلس تابعة لتونس في حكومتها وعلى عهد السلطان سليمان خان استولى على طرابلس طغورث باشا مسترداً لها من فرسان مالطة وكانوا . تبولوا عليها بعد ان سقطت الاندلس في ابدى الاسبان فالحقها هذا القائد بالملكة الثانية ودامت تدارشوتونها دهرأ على صورة ابالة ثم اقطعت لاسرة قوه مائلي فلم يلبث ان استحكم الخلاف بين افرادها

فارسلت الدولة سنة ١٢٠٨ اسطولاً ووالياً من لسنها ضبط البلاد
وفي سنة ١٠٩٢ بعثت اسبانيا اسطولاً الى طرابلس فكادت تغلب عليها لان
قلاعها يومئذ لم تكن فيها القوة الكافية فلما رأى الوالي عجزه عن المقاومة اتفق مع
الاسطول على دفع غرامة حرية على عهد السلطان احمد الثاني رفض الوالي الصلح
الذي ابرمه سلفه مع حكومة اسبانيا فبعث خمسة عشر مركباً بقصد احتلال طرابلس
فالتقى الاهالي مع العساكر وتغلبوا على الاسطول المذكور وفي سنة ١٢١٧ قدمت
اساطيل اميركاذية لطرابلس لان اسطولها كان يعاكس مراكب اميركا التجارية ويغنم
منها كثيراً فطلب قنصلها من يوسف باشا قومه مائتي تعيين ضريبة تقدمها حكومة اميركا
الى حكومة طرابلس في كل سنة فعين ضريبة عدها القنصل خارجة عن الحد فطلب
تخفيضها بواسطة والي الجزائر فرفض يوسف باشا وساطته واصر على طلبه فصكت
اساطيل اميركا عشرين يوماً يرمي طرابلس بالتقابل وقلاعها ترميه ثم رجع بعد ان
غنمت حكومة طرابلس جزاً من هذه المواقع كانت تشترك الاهالي مع العساكر في
الدفاع .

ثم انقض اهله فاستعاد الامر يوسف باشا وحكم البلاد الى سنة ١٢٤٨ ثم اضطر
لاستقالته من حكمها فاصبحت البلاد في حال اضطراب وهاجها بنو سليمان من القبائل
المشهورة مرات ونهبوها ثم عاد الاهلون فطلبوا انقاذهم من شرور الاختلاف فبعثت
الحكومة اسطولاً فضبطت القلاع على اسر سبيل ثم عينت لها والياً . وكانت فزان
من القديم تتبع طرابلس وتتبع احياناً حاكم السودان وحياناً سرفاء مراكش وبعد ان
ضبط طغفورت باشا طرابلس الحق فزان بها

وهذه الولاية الواسعة او المملكة العظيمة ليس فيها شيء من الطرق المعبدة ولا من
السكك الحديدية ولا تعرف الحوانات ولا اسباب الري وتكثير الاشجار والنبات وتربية
الحيوانات . تحمل بضائعها على الجمال وتقصده قوافلها ولا سيما قبل ان يستأثر الفرنسي
بها لتونس من تمبوكتو في اقاصي بلاد السودان مارة بواحات غات ومرزوق وغدامس
اما مواصلاتها البحرية فلا يرمي في موانئها في الولاية غير البواخر الاجنبية ونعفسها او
اكثر يحمل الاغلام الاباطالية ثم يبيح الانكليز والفرنسيين وسائر الدول بكثرة مراكبهم
وتبلغ تجارة طرابلس السنوية زهاء مليون ليرة منها ٥٥٠ الف للواردات و ٤٦٠ الف
ليرة صادرات منها ٢٣ الف ليرة صادراتها للبلاد العثمانية و ٤٢ الف ليرة وازدادتها منها

ولانكثرتا المقام الاول بين الدول بوارداتها البالغة ٥٧ الف ليرة وصادراتها التي تبلغ ١٨٨ الف ليرة ثم تجيء فرنسا فايطاليا فالولايات المتحدة فالنمسا وقد بلغت مداخيل الحكومة منها سنة ١٣٢٢ ش ١٦٦٠٠٠٠٠ غرش

السكك الحديد الصينية

نقيم الصين الآن سكة حديدية من عاصمتها بكين الى كالفان مارة ببلاد المغول التي اجتازها التاتار في غاراتهم ولا تزال تحتازها القوافل وسيلتي هذا الخط بخط ماوراء سبيريا الروسي ويختصر المسافة بين اوربا والشرق الاقصى بضع مئات من الكيلومترات . ومن الغريب انه تم من هذا الخط حتى الآن زهاء مائتي كيلومتر وجميع العاملين فيه صينيون ونفقاته من دخل بعض الخطوط الصينية الاخرى وقد بدأ هذا المشروع يروج ولذا عازمت حكومة بكين ان لا يمدد لاجنبي مهما كان ان يمد لها خطوطاً من هذا النوع وبذلك يقصد المتعهدون من اجور اليد العاملة اقتصاداً كبيراً لان الصيني يرضى باجرة اقل من اجرة الاوربي والاميركي ويتبارى ابناء البلاد في العمل مدفوعين الى تجوئده بامل الوطنية والصينيون اليوم يستخرجون من ارضهم الفحم الحجري اللازم لخطوطهم وليسوا الآن في حاجة لغير القاطرات يستصنعونها في اميركا ولكن يستنوبون عراصمها قريب بما تنتجه لم مصانعهم فتى تكون البلاد العثمانية وهي صاحبة الحضارات القديمة والذكاء الخارق كذلك

الهيثيون

قالت المجلة : دخلت دراسة الحضارات القديمة في آسيا الصغرى في دور جديد فقد تألفت جمعية ووضعت لها دخل للانفاق عليها من اجل اجراء الحفر في بلاد الهيثيين والبت بتاعلي في علاقتهم مع شعوب يونان القديمة وسكان سواحل بحر ايجه (الارخبيل) فان مسألة الهيثيين هم في الدرجة الاولى علم الآثار واصول الشعوب والاجتماع . وان هذا الشعب البائد كان مدة قرون منتشرًا في آسيا الصغرى وسورية كما يستدل من الكتابات ومع هذا لم يعرف الا بما اشارت اليه التوراة من الاشارات . ومنذ ثلاثين سنة ابان بحث علماء المشرقيات بحثاً علمياً امثال الاستاذ سايس والدكتور ويرغت ان شعباً معاصراً للفراعنة كان ينزل حوض قزل ايرمق في *Calyc* والفرات استولى عليه الكلديانيون منذ الزمن الاطول فالتبس منه بعض اوضاعه المدنية التي كانت لها صبغة اقطاعية وكان الهيثيون قبل المسيح بعشرين قرناً مختلفين مع بابل ويمدون تخوم

بلادهم الى جنوبي سورية والى تقوم مصر التي نشب بينهم وبينها حرب على عهد
رعمسيس الثاني . وفي القرن الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد استولوا على جزء
عظيم من آسيا الصغرى . وكان الاشوريون يدعونهم خاتيس *Khatis* والعبرانيون
ختي ختين *Kheti-khetina* ودثروا في قرون ولم يبق منهم الا تذكارهم
ايام فتح الاسكندرية وامتزجت بقاياهم بالآراميين او لجأوا الى مضائق جبل طوروس .
وقد اكتشفت في خرائب موانعهم القديمة الواح كثيرة من الخزف كانت لم بمثابة
سجلات ولكن معظمها مما يصعب حله وليس للعلماء عنهم من المعلومات الحقيقية الا ما
كان من الآثار المكتوبة بالخط الآشوري ثبتت عظمتهم اوائل الالف الاولى السابقة
لمملكة الرومان وربما كان من الابحاث الحديثة فيها حل مسألة تشغل العلم كثيراً ويعتبر
الهيثيون اعتبارات بانهم اقدم الشعوب المتقدمة

انكلترا والشاي

تكثر انكلترا من تناول الشاي سنة بعد سنة في احصاء سنة ١٩٠٩ انه بلغ مشروباً
منه ١٤٠ مليون كيلو غرام يصيب الفرد منها ثلاثة كيلو غرامات ومعظم هذا الشاي
تجلبه انكلترا من بلاد الهند يندل ٦٠ مليون فرنك يلزم لها ثلاثة ملايين ونصف
من الفرنكات ثمن ورق ومقوى لوضع الشاي فيه لتصل قيمتها بثمانية ملايين فرنك

فن تكثير السمك

L'apisciculture

ان في تنمية الاسماك في المياه الجارية والقدرة في البلاد تنمية ثروتها الاقتصادية
يبد ان دخول الحضارة في كثير من الممالك زهد في تربية الاسماك وقليل في الاقطار
ما عنت عناية حقيقية بالاسماك واتخاذ الذرائع لتنميتها واهم مصاب الانهار لاستخراج
الاسماك في العالم في النيو احدى ولايات اميركا الشمالية وفيها مصب نهر المسيسيبي
العظيم وطوله من ٥٠٠ الى ٦٠٠ كيلومتر ووضع الجرافى واسبابه الطبيعية تجعله
صالحاً لتكثير الاسماك وتغذى جميع تلك الولاية من اسماك ووزن ما يستخرج منه كل
سنة عشرة ملايين كيلو تقدر قيمتها بنحو اربعة ملايين فرنك ويستخدم ١٧٦٧ رجلاً
في صيدها



المقنيس

رسالة في اسماء الاضداد

للملا جايي المتوفى سنة ٨٩٨^(١)

عني بنشرها من مجموع قديم محمد جميل افندي النحلي في دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم :

حامداً لمن خلق الاشياء اضداداً • وصلياً على نبي نهي الناس عن اتخاذهم لله انداداً •
ونبي عثرته وأسرته المدين لسيرته امداداً • وبعد فلما استملت العربية على كلمات وضعت
للدلالة على الضدين وغفل عنها من اغفل تصفح اللغات التقطتها حسب الاستطاعة •
وجمعتهما مرتبة ترتيب البضاعة • استبضع بهافي اكتساب الامتياز بين اولي النهي و زباب الدعي
ونبين الانبياء باضدادها ومن الله العصمة عن الرخصة

(مقدمة) قال النكيا المشترك يقع على ضدين كالجون والايض والاسود وعلى مختلفين
كالعين وقال ابن فارس من دأب العرب تسمية الضدين باسم واحد نحو الجون وانكر

(١) المقنيس : الملا جايي هو مولانا نور الدين عبد الرحمن من اعظم شعراء ايران
ولد في قرية جام من اعمال خراسان سنة ٨٤٢ هـ وحصل العلم في هرات ووقف على العلوم
والفنون حتى صارت له يد طويلة بالآداب العربية والفارسية وسلك طريق التصوف
والف عدة كتب في النظم والنثر وبمد صيته في الآفاق وخف الناس الى لقائه من
الامصار وتوفي سنة ٨٩٨ هـ وله عدة تصانيف ودواوين منها ما هو بالفارسية ومنها بالعربية
وشعره الفارسي غاية الغايات لا يعرف له السقط (المختصاً عن قاموس الاعلام لشمس
الدين سامي)

ذلك ناس وليس بشيء فان الذين رويوا ان العرب تسمي السيف مهنداً والفرس طرفاً
 هم الذين رويوا انهم يسمون المتضادين باسم واحد .
 الهزلة : (ثانياً) الابل ارواها وعطشها وثأثأت الابل عطشت ورويت ضد لازم
 ومنعد (جفأ) الباب اغلقه وقمحه ضد اخفي (بالجمجمة استجى وتكلم بالفحش ضد
 دارأه) دافعه ولاينه ضد (ناء) نهض بجهد ومشقة وبالجل نهض مثلاً وبه الحمل
 اثقله واماله كناهه وفلان اثقل فسقط ضد .

الباء : (اترب) كثر ماله وقل ضد (اجلب) الرجل اضطجع والابل مضت جادة
 ضد (الحوشب) الثعلب الضامر والمتنفخ الجبين ضد (خشب) في الصحاح خشب
 السيف احكم عمله وصقله وخشبه لم يحكم عمله ولم يصقله وفي القاموس خشبه خلطه وانتقاه
 والسيف صقله وطبعه (ارتاب) شك وقال ابو علي ثيقن ضد اذ يكون شكاً وبقيناً
 ذكره الطرطوشي في قوله تعالى ان ارنتم فبدتن الاية (السائب) القريب والبعيد ضد
 (شرب) عطش وروي واشرب سقى وعطش (شعب) الشيء اصلحه وفسده ضد
 واما شعب بمعنى اقترق واجتمع فليس بضد بل كل حرف منها لغة لقوم ومن شرط
 الاضداد اتحاد اللغة (الصقب) كلفب القرب والبعد ضد (اضب) صاح وتكلم وعلى
 ما نقل سكت ضد (الطب) الداء والدواء ضد في المثالث للبطلومي (الطرب) محركة
 الفرح والحزن ضد في الاساس هو خفة من سرور اوم (اطلب) في الاساس طلب مني
 فاطلبته فاسعفته واطلبه الفقر احوجه الى الطلب (استعبه) اعطاه العتي كاعتبه وطلب
 اليه العتي ضد (العجباء) هي التي يتعجب من حسننها ومن قبحها ضد (استعذبه) استعلاه
 وامتنع عنه كضد (الاعراب) الفحش وقبح الكلام والدرد عن القبيح ضد (العناب)
 كضرب الجبل الاسود الصغير المستدير والطويل ضد (العنيان) محركة الذبيط الخفيف
 والتثقل من الظباء ضد (التغريب) الاتيان بانباء يرض وبانباء سود ضد (المغلب)
 المغلوب مراراً والمحكوم له بالغلبة على اقرانه ضد (قرضب) الخم جمعه في البرمة والشيء
 فرة ضد سيف (قشيب) مجلوح وصدى وثوب قديب جديد وخلق ضد (قصب) له العطية
 اجزأها وقصب له قبة اعطاء قليلاً ضد (قاب) هرب وقرب ضد (اللجة) كوجبة
 وقصبة وخربة وعبة الشاة القليلة اللبن والفريرة ضد (انجب) جاء بولد شجاع
 وجبان ضد (النجب) الموت والاجل كضد (نصب) الذي وضعه ورفع ضد (الوثب)
 القفز والقعود بلغة حمير كضد (الوغب) الضيف البدن والجل الضخم ضد (الملوب)

في المتفرقة من زوجها والتجبة منه ضد (تهب) الشيء وتهيبه الشيء ضد في الزهر .
 الثاء : (الامت) في القاموس هو المكان المرتفع والتلال الصغار والارتفاع والانخفاض
 ضد (السبت) حلق الرأس وارسال الشعر عن العقص .

الثاء : (اقت) له العطية اجزها وقعت له قعته اعطاه قليلاً ضد (الاولث)
 المسترخي والقوي ضد .

الجيم : (الزوج) الذكر والانثى ضد (الفاج) الناقة الحامل والحائل ضد (الايجج)
 الوادي الواسع والفيق ضد .

الحاء : (جمع) امسرع وابطأ ضد (الزوج) تفرق ابل وجمعا ضد (السج)
 النوم والسكون والظلب والذئب في الارض ضد (الششح) من الارض ما لا يسيل
 الا من مطر كثير والذي يسيل من ادنى مطر ضد (الشج) الجاد والحذر ضد (قرخان) من
 الامرو قرأه خارج ومن لم يشهد الحرب كالقراحي ومن سته القروح ضد (كشح) الذي جمعه
 وفرقه ضد (المسج) المبارك والمعون ضد يعني المبارك مسج الهدى عيسى عليه السلام وبالمعون
 مسج الضلالة الدجال (الفحاحة) السقاء والشح ضد (شح) شحاً وشوحاً شرب دون الري او حتى
 ابتلاً ضد (فح) الله عظمه شدة ورضه ضد

الحاء : (الصارخ) المنفث والمستنفث ضد (المرخ) صوت المدعصرخ والمنفث
 ضد .

الدال : اسد كفرح دهش عند رؤبة الاسد وصار كالاسد ضد (افد) كفرح
 امسرع وابطأ ضد (بعد) بمعنى قبل في قوله تعالى من بعد الذكر (جعد) للكريم واذا
 اُضيف الى البنان او الانامل او الاصابع او الكف فليجئ في الاساس واما قولم لكريم
 بعد فن الكناية عن كونه سخيّاً عربياً لان العرب موصوفون بالجمودة (اساد) ولد سيداً
 واسود ضد واسود على الاصل مثله (سجد) خضع وانتصب (صرد) السهم اخطأ ونفذ حده
 ضد (صعد) في الجبل وعليه علاه وفي الوادي انحدر ضد (صعد) العطاء والوثاق
 ضد (الصماريد) انتم السمان والهازل ضد (الصمد) خيار النعم ورذالها وفي المزه
 صالحة النعم وطاحتها ضد (الصمد) الناقة الكثيرة الابن والقليلة (اصاده) داواه من
 الصيد واذاه ضد (الصمد) رطب الشجر وابسه ضد (العبد) اذلال والمكرم ضد
 (العبد) واحد الاعياد وعادك عيد اهي نزل بك حزن كضد (غمدت) الركبة كثر
 ماؤها وقل ضد (افاد) بذل المال واستفاده ضد (التعمد) القريب الآباء من الجد

الأكبر والبعد الآباء منه ضد (اشبح المطر اقلع ودام (المصد) شدة البرد والحر ضد
 (التجادة) السخاؤه والنجس ضد في المزهر (النجدة) القتال والجاعة والشدة والموال
 والازرع الظاهر انه ضد (النائد) طالب الضالة ومعرفها ضد (النكد) الغزيرات
 اللبن من الابل والتي لالبن لها ضد جمع نكدهاء (وطد) الشيء اثبته وثقله ضد والشيء
 رسا وسار ضد (الماجد) المصلي بالليل واتائم ضد (تهجد) نام واستيقظ ضد فلان
 (هد) قال ابن الاعرابي هو الكريم الجواد واما الجبان الضعيف فهو الهد شبه ضد
 (احمد) بالمكان اقام وفي السير اسرع ضد .

الذال : (الحذاء) قصيدة فيها الحذو وهو سقوط وقد مجموع من البحر الكامل من
 مشفاعن فينقل الى فعلان والقصيدة السائرة التي لا عيب فيها ضد (الحنذيذ) هو الفحل
 واخصي ضد (المخاودة) هي المخالفة والمواقفة ضد .

الراء : (الأزر) هو القوة والضعف ضد (ابتز) اعطى ومنع ضد (البشارة) مطلقة
 لا تكون الا بالخير ومقيدة لا تكون الا بالشر فيشرم بعذاب أليم (البهيرة) هي السيدة
 الشريفة والصغيرة الخلاق الضعيفة ضد (ثغر) كنعن ثلم والثلة سدها ضد (اثغر) الغلام
 التي ثغره ونبت ثنره ضد (الجبر) الملك والعبد ضد (جعفر) هو النهر الصغير والكبير
 الواسع ضد (الحرور) هي الريح الحارة بالليل وقد تكون بالهار (حرور) هو الغلام القوي
 والضعيف ضد (الاحمر) ما لونه الحمرة والايض ضد (خشر) ابقى على المائدة الخشارة
 ونفى الخشارة ضد (الخطر) كالشرف الاشراف على المكروه والقدر والمرلة ضد (امخنوره)
 السمحة والهادية ضد (الدفر) كل ريح ذكية من طيب او تنن ضد (المسجور) الموقد
 والساكن ضد (السادر) هو التخيير ومن لا يبالي ضد (أسر) الشيء كتمه واطمره
 ضد يقال التي عليه (شراشره) اي ثقله وحماه ضد (الصفرة) بالضم معروفة والسواد
 ضد (اعثر) ابدى عذراً وقصرو لم يبالغ وهو يري انه مبالغ وبالع كضد (التعزير)
 ضرب دون الحد والتوقيف وتعزروه وتوقروه (غير) مضى وبقي ضد (الفطارة) كفرحة (?)
 الناقة اللاحق والحائل ضد (قصر) الطعام قصوراً غلا ونقص ورخص .

الزاي : (الحوز) هو السريق المين والتديد ضد (عز) ان يفعل كذا اشد وعز
 ضعف ضد (الفوز) النجاة والهلاك ومنه المفازة للملكة والنجاة في القاموس فازمات
 ومنه نجا وبه ظفر .

السين : (الرس) الاصلاح بين الناس والافساد ايضا ضد (عسمى) اليل اقبل

ظلامه قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسب ادير (امرس) مرس الجبل اذا وقم في احد جانبي البكرة مرماً فاذا اعدته الى مجراه قلت امرسته واذا انشبت بين البكرة والقعو قلت امرسته وهو ضد عن يعقوب (اليعاس) الارض لم توطأ والطريق ضد (الويس) الفقر وما يريده الانسان ضد .

الشين : (الرعشيش) بالكسر الجبان والسريع الى القتال ضد « الرهشاء » هي الرشاء اي الكثيرة العشب والجدة من صفات الارض ضد « الروش » الاكل الكثير والاكل القليل ضد « القباش » المتكبر المعجب والسيد المفضل ضد .

الصاد : « قلص » ماء البرارقع بمعنى ذهب ومعنى تصعد لجومه انتهى فهو ضد .
 الضاد : « ارض » ابطأ وثقل وعدا شديداً ضد « عرض » الحوض ملؤه والنقصان عن الملء ضد .

الطاء : « الاشرط » الارذال والاشراف قال يعقوب هذا الحرف ضد « قسط » جار وعدل حكى ابن السكيت في الاضداد عن ابي عبيدة واقبط بالالف عدل لا غير « هبط » قال الفضل المهبوط الخروج عن البلد ودخولها ايضاً فهو من الاضداد من قطف الازهار للسيوطي .

المين : « باع » بمت الشيء شربته وبعته ايضاً اشربته وفي الصحاح شربت اي بمت في برد (كذا) « الثامه » ما ارتفع من الارض وما نهبط منها عن ابي عبيدة « خلع » ثوبه وعليه اعطاه خامة « الزمان » محركة خفة الارب وسرعتها والمشي البطيئ وفعله كنع ضد « السميع » السامع والمسموع « طلع » عليهم غاب عنهم حتى لا يروه واقبل عليهم حتى يروه « فرع » الجبل صعد وفي الجبل انحدر « الفرع » المصعد في الجبل والمنحدر ضد « الفرع » الذعر والغوث ضد « افزع » الانزع الاخافة والاغاثه ايضاً يقال فزعت اليه فافزعني اي لجأت اليه من الفرع فأغاثني « فزع » فلاناً خوفاً وعنه كتف عنه الحوف « افرع » الى الحق رجع وذل وامتنع « القنوع » هو السؤل والتذلل قال اهل العلم ان القنوع قد يكون بمعنى الرضى فهو من الاضداد « الاتباع » يكن رفعاً وخفصاً مقنعي رؤوسهم وافيها من الاضداد « اودع » قال الكسائي نقول اودعته مالا اذا دفعته اليه يكون ودبعة عنده واودعته ايضاً اذا دفع اليك مالا يكره ودبعة عندك وقبلتها وهو من الاضداد .

الفاء : « الخلوف » حي غيب والحضور المتخلفون « خاف » بمعنى توقع من قولم اخاف

ان يرسل السماء « السدمة » الظلمة والضوء عند بعضهم وبعضهم يجعلها اختلاط الظلام والضوء كوقت ما بين طلوع الفجر الى الاسفار « الشف » هو الفضل والنقصان ضد « العرف » الريح طيبة كانت او منتهة يقال عرف المسك « نصف » خدم وفلاناً استخدمه ضد « توذف » وهو الاسراع عن ابي عبيدة ومريتوذف اذا مر بقارب الخطو ويحرك منكبيه من الصحاح وفيه ابطاء « اليهفوف » الجبان ويقال لحديد القلب من الصحاح ضد .
 الداف : « الحائيق » الابل الغمر والسمان ضد « دهق » الكأس ملاها وكأس دهاق والماء افرغه ضد (سبقتة) بالتشديد اخذت منه سبق وهو الذي يتراهن عليه المتسابقان وسبقة ايضاً اعطية السبق قال الازهرى وهذا من الاضداد « صفق » الباب رده واعلقه وفقه « المغرق » كحسن القليل اللحم والسمين ضد « فوق » بمعنى دون بعوضة فما فوقها « ملق » الشيء يلقه لماً كتبه في لغة عقيل وعماه في لغة بني قيس ولعله لغة في نقي على ان اتحاد اللغة شرط في الاضداد .

الكاف : « البك » هو التفريق والازدحام كأنه ضد .

اللام : (البسل) الحلال والحرام (الجلل) العظيم والصغير (حال) في متن فرسه وثب وعنه سقط واستوى على حال متنه (ازعله) نشطه ومن مكانه ازعجه (الشمل) ما اجتمع من الامر فرق الله شمله وما تنبت منه جمع الله شمله (الكل) بالفتح اسم لجميع الاجزاء وقد جاء بمعنى بعض ضد (كلل) في الامر جد وعن الامر اجم وجبن ضد (مثل) مثولاً انتصب قائماً وزال عن موضعه وتمثل مثله وفي الصحاح لطيء بالارض وهو من الاضداد (تمهل) اتأد وتقدم « النبل » الكبار والصغار « انتبل » مات وقتل ضد « النجل » يطلق على الولد والوالد فهو من الاضداد من نواهد الابكار للسيوطي « نصل » السم اذا خرج منه النصل واذا ثبت نصله فلم يخرج « نصل » بالتشديد نزع النصل وركبه « الناهل » الريان والعطشان ضد .

الميم : « الجمشم » كقفذ وجندب التصغير الغليظ والطويل الجسم ضد « الادم » الاسود والجديد من الآثار والقديم الدارس ضد « السليم » ويطلق على اللدغ نقاولاً بسلامته « سام » البائع السلعة عرضها للبيع وسامها المنتري « شام » السيف شيئاً اغمدته وصله وهو من الاضداد من اصلاح المنطق « الصريم » هو الليل المظلم والصبح « الغريم » الذي عليه الدين قد يكون للذي له الدين « قامت » السوق نفقت وركدت .
 النون : (بن) لاقطع والوصل ضد (الجون) الابيض والاسود والجونة الشمس

قال « تبادر الجؤنة ان تغيبا » « دون » بمعنى فوّت في الأساس هذا دون ذلك اي اخس منه ودونه خرط القصاد اى امامه وجلس دونه اى تحته « المنة » القوة والضعف .

الواو : « الزنو » الشد والارخاء « الزهوة » الارتفاع والانحدار « الرجاء » هو الامل والخوف « الا » قصر واستطاع « القفوة » الخيرة والتهمة فلان قفوتى اى خيرتى وتهمتى « عفا » درس ومنه العفو وهو محو الجريمة وكثر حتى عفوا .

الماء : « النبه » من الاضداد يقال للضائع نبه وللوجود نبه .

الياء : « الجادى » السائل والمعطي « اخفى » الشيء كتمه واظهره اكاد اخفيها « الموعى » البواعث وصروف الدهر « ارأى » صار ذاعقل وتبينت فيه الحماقة ضد « الزبية » هي المكان المرتفع وحفرة الاسد جاءني « سواؤه » اي نفسه وغيره « الشرى » خيار المال ورذاله جمع شراة « شرى » الشيء باءه وشروه ثمن يجس في الصحاح شربت اي بهت في برد (كذا) واشتراه « اشكام » حمله على الشكاية وازال شكواه « غيت » الكلام وغبي عني ليلة « غاضية » اي مظلة ومضبنة « أكرى » زاد ونقص « انتدى » القوم وتنادوا اجتمعوا والشيء تفرق « وراه » خلفه وقد يكون بمعنى قدام فهو من الاضداد وكان وراءه ملك « ولي » اقبل وادبر « الوى » كفى التعب والفرة « هوى » من الجبل صعد والله اعلم واليه يصعد الكلم الطيب

بين الفيحاء والشهباء

عمل حلب وحدودها

اجمع الجغرافيون من العرب والافرنج ان حد الشام من عريش مصر الى الفرات ومن البحر الرومي الى جبال طي ولكن مما يشوش القعن ان جميع اعمال حلب اليوم هل هي داخلية في حدود سورية ام بعضها خارج عنها بعد من آسيا الصغرى فقد قال بوليه في معجمه الجغرافي التاريخي ان حد سورية شمالاً الى آسيا الصغرى من خليج اسكندرون الى نهر الفرات وشرقاً نهر الفرات والبادية الى بلاد العرب وجنوباً قسم من العربية

يسمى تيه بني اسرائيل الى نخوم مصر وغرباً الى البحر المتوسط وطولها المتوسط على هذه النخوم من الشمال الى الجنوب نحو سبعمائة كيلومتر وعرضها المتوسط من الغرب الى الشرق نحو اربعمائة وخمسين كيلومتراً وهذا التعريف يدل على عمل حلب الحقيقي خصوصاً ويؤيده قول صاحب الخريطة ان الرها (اورفة) معدودة من الجزيرة لامن حلب قال ابو زيد البلخي^(١) فشرقي الشام غربي الفرات وغربي الشام ساحل الروم وشماله جبال الروم وجنوبه فلسطين والاردن وبعض البادية قال ابن حوقل واما الشام فان من غربيها بحر الروم وشرقيها البادية من ايلة الى الفرات ثم من الفرات الى حد الروم وشمالها بلاد الروم ايضاً وجنوبها حد مصر وتيه بني اسرائيل^(٢) وآخر حد رومها مما يلي مصر فح واما يلي الروم الثغور المعروفة كانت قديماً بالجزيرة وهي ملطية واذنة وطرسوس وقد جمعت الثغور الى الشام وبعض الثغور يعرف بثغور الشام وبعضها يعرف بثغور الجزيرة وكلها من الشام وذلك ان كل ما كان وراء الفرات فن الشام واتما سمي من ملطية الى مرعش ثغور الجزيرة لان اهل الجزيرة بها كانوا يربطون ويفزون منها لانها من الجزيرة وكور الشام هي جند فلسطين وجند الاردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين والعوامم والثغور وبين ثغور الشام وثغور الجزيرة جبل اللكام وهو الفاصل بين الثغرين وجبل اللكام جبل داخل في بلد الروم ويقال انه ينتهي الى حد مائتي فرسخ ويظهر في الاسلام بين مرعش والمارونية وعين زربة فيسمى اللكام الى ان يجاوز اللاذقية ثم يسمى جبل بهراء وينوخ الى حمص ثم يسمى جبل لبنان ثم يمتد على الشام حتى ينتهي الى بحر القلزم من جهة ويتصل بالمقطع من أخرى

وقال ابو الفدا^(٣) : حدود الشام على وجه دخل فيه بلاد الارمن وهي المعروفة في زماننا ببلاد سيس والذي يحيط بالشام من جهة الغرب بحر الروم من طرسوس التي

(١) البدء والتاريخ (٢) قال ابن حوقل واما تيه بني اسرائيل فيقال ان طولها اربعون فرسخاً وعرضه قريب من طولها وهو ارض فيها رمال وبعضه جلد وبه نخيل وعيون مفروشة قليلة يتصل حد له الى الجفار وحد الى جبل طور سينا وما اتصل به وحد باقاضي بيت المقدس وما اتصل به من فلسطين وحد له ينتهي في مفازة في ظهر ريف مصر الى حد القلزم (٣) تقوم البلدان

ببلايا الارمن الى رفح التي في اول الجفاريين مصر والشام ويحيط به من جهة الجنوب حد يمتد من رفح الى حدود تيه في اسرائيل الى ما بين الشوبك وابلة الى البلقاء ويحيط به من جهة الشرق حد يمتد من البلقاء الى مزاربي (لا مشارف) صرخد آخذاً على اطراف القوطة الى سلية الى مشاربي حلب الى بالس ويحيط به من جهة الشمال حد يمتد من بالس مع الفرات الى قلعة نجم الى البيرة الى قلعة الروم الى سيمساط الى حصن منصور الى بهسنا الى مرعش الى بلاد سبس الى طرسوس الى بحر الروم ومن حيث ابتدأنا وبعض هذه الحدود تقع شرقياً عن بعض الشام وهي بعينها جنوبية عن بعض آخر مثل البلقاء فانها جنوبية عن حلب وما في سمتها وهي شرقياً عن مثل غزة وما في سمتها اه

وبعد فهذا امتع تعريف بلاد الشام وبه تبين البلاد التي تعد من اعمال حلب من حيث التقسيم الطبيعي الجغرافي والبلاد التي تعد من الروم وآسيا الوسطى وكلن عمل حلب في الحكومة السالفة منذ عهد الاسلام تابعاً في تحوله للإحوال السياسية الطارئة واليك الآن وصفها من مصادر ثلاثة مختلفة ولكن وقتها متقارب وهو بين القرن الثامن والعشر قال شيخ الزبوة : ان لحلب من البلاد ذوات الكور دون العواصم المختصرة (يقال لها الخناصر الآن) وهي على سيف البرية وجبل بني القعقاع وكان يسمى قصر ابن الثانية وقصرين وكانت هي القصة قبل حلب وهي مدينة رومية كان اسمها صوما وسرمين وهي في طرف جبل الساق (يسمى الآن جبل الزاوية او النصيرية) وهذا الجبل مغمور بطائفة تسمى النصيرية ومن جند حلب معرفة النعمان وتعرف بذات القصرين ولها عمل من احد النعمان وهو شعراء ممدودة وغالب شجرها التين وانتمتق واللوز والشمش والزيتون والرمان والتفاح وكثير من الفواكه وسائرها يشرب من ماء السماء لا يعتنى في فلاحته باكثر من الحرث تحته وجبل الساق من اعمر الارض واعملها فلاحه من رآه ورأى الاندلس لم يفرق بين فلاحتها وفلاحه الاندلس والقوة ولها عمل حن وشفر وبكاس ومرة صرمين (سرمين او مصرين ؟) وتبين بلدة طيبة ولها عمل متسع وحارم كذلك وكان ثغراً حسناً وشيزر مدينة حصينة وبيشة يشرب أهلها وارضاها من البر العاصي ولها قلعة ما ولها ظاهر يسمى عرف الديك محاطة من ثلاث جهات بالعاصي وحندراس ولها جومة اي كورة فيها اجمة كبيرة البناء لا يعلم العالم من اين يجي^٤ ماؤها ولا اين يذهب ودلوك (Doliche, Dolica, Delouc)

ورعبان (؟) وكيسوم وفوارس «؟» وكفر طاب وفوذ «؟» وغلمية وبرزية حصن
منيع يضرب به المثل وتحت بالقرب بحيرة فامية بحيرة كبيرة يدخلها العاصي ويخرج منها
ولها سكر يصاد فيها نوع من السمك شبيه بالحيات ويسمى انكليس لحمه شبيه بالالاية
المشوبة وللنصارى فيه رغبة عظيمة يحمل في المراكب اليهم داخل البحر ضامه سيف
السنة نحو ثلاثين الف درهم و «عمورية» بناها الرشيد على اثر عمارة قديمة رومية
ولحلب من جهة الشمال والشرق عين تاب بلدة ولها حصن مليح واهلها تركان ولها
نهر يسمى عليه بستان وهو جار و «اعزاز» قلعة في الشمال الغربي من حلب وتسمى
«د الافرنج» *Azaz* و «Hazarth» وهو حصن و «الباب ويزاعة» وهما
مدينتان وفيها واد يعرف بيطنان ولها نهر يسمى الساجور يجري اليهما من عين تاب
و (بالس) وهي مدينة قديمة على الفرات وفي حيزها «صفين» و «مصافة هشام» بن عبد
الملك بناها لنفسه على اثر بناء قديم كنماني و «منبج» وهي على مرحلة من الفرات بناها
كسرى وسماها منيه اي جرد وفي عملها قلعة «نجم» وكانت تسمى قلعة منبج و «تل باشر»^(١)
ولها نهر يجري اليها من عين تاب وهو الساجور . ويحلب ايضا مما هو داخل في اعمالها
وجندها «قلعة الروم» يقع بها خليفة الارمن وبطركها و «مرعش» ولها بحيرة منسعة
و «بهنا» حصن مليح و «الكخنا» و «كركر» و «تل حمدون» و «قلعة نجم»
و «قلعة حميص» و «الراوندان» وكل هذه ثغور تجاه الارمن والدار و «البيرة»
حصن منيع شرقي الفرات ومن الثغور الساحلية الجبلية «دير كوش» و «در بساك»
و «بغراس» (يلان) و «حجر شعلان» و «اسكندرون» و «قصور» و «انطاكية»
و (يفرا) ولها بحيرة حلوة من نهر الاسود بينها وبين بغراس وبين انطاكية وهي قصبة
السواحل كانت قبل ثغورها وكانت احدى كراسي الروم ويسمى الروم تعظيماً لما مدينة
الله كما تسمى الارض المقدسة وانطاكية من المدن القديمة ويحيط بها سور كبير يحيط
على اربعة جبال وشعاري ولها بساكن ولها فريضة تسمى السويدية على الساحل عند مصب
العاصي في البحر والمارونية بناها هارون الرشيد . ومن اعمال حلب ايضا (النقدة) (١)
و (حلقة سرمدا) و (حلقة تيزين) و (ارتاح) و (الجبول) و (جبرين) و (ريحا) وكثير
مثل ذلك والمذكور نحو ستمين عملاً وكل عمل يحتوي على اعمال وكور وضياح عامرة

(١) وقد بكتبه الاثر الكتلباشر تسمى في كتب المؤرخين من الصليبيين *Tourbesel*

ورسائيق منها قائم وحصيد انتهى ما قاله شيخ الربوة وصنفها ابن فضل الله العمري (١) باخصر من هذا فقال :

واما بلاد حلب فيجدها من القبلية المعرة وما وقع على سميتها الى السمنة اغراب والسلسلة الرديئة وبحرى القناة القديمة الواقع ذلك كله بين الحيار والقرية المعروفة بقية ملاعب ومن الشرق البر حيث يحدها برأ أخذاً على الثلج (٢) ونهر الخلاب على اطراف بالس الى الفرات دائرة تحدها وبهذه القسم تكون بلاد جعبر داخلية في حدودها ومن الشام بلاد الروم مما وراء بهسنا وبلاد الارمن مما وراء نهر جاهان ومن الغرب ما اخذ مع بلاد الارمن على البحر الشامي وبحلب قلاع ولايات فاما القلاع فهي البيرة وهي التي لا تماثل ولها عسكر ومنعة ولثائبها مكانة جليلة وقلة المسلمين وهي المعروفة بقلة الروم كانت مسكناً لخليفة الارمن ولم يزل بها حتى افتتحها وسماها قلعة المسلمين وهي من جلائل القلاع والكفتا وهي ذات عمل منسج وعسكر متطوع مجتمع وكركر وبهسنا وهي الثغر المتاخم لبلاد الدروب والمشتعل حمره في الحروب به عسكر من التركان والاكراد ولا يزال لم آثار في الجهاد ولثائبها مكانة جليلة وان كانت لا يلتقي بنائب البيرة وعينتاب وهي مدينة حسنة والراوندان والدر بساك وبغراس وكانت ثغر الاسلام في عز الارمن حتى استضيفت الى الفتوحات الجاهاتية وبها الرصاص وهو عضو من اعضائها وجزء من اجزائها والتصير وهو لانطاكية والشفر وبكاس وهما كالشيء الواحد وحجر شملان وابوقبيس وشيزر فهذه جملة قلاعها وهي على هذا الترتيب وان كانت عينتاب داخلية عن النطاق فانها في موقعها بين ما ذكر واما ولايتها فاجلها الغريسات وهي مرمين وما معها وجملة ولايات حلب كغرطاب وقامية ومرمين والجبول وجبل سمان وعزاز وتل باشر غير ما في هذه القلاع ماله ولاية مضافة اليه ولدى حلب نفسها ولاية بركا للمشرق فهذه جملة البلاد الحلبية اه .

وهدد غرس الدين الظاهري (٣) بلاد المملكة الحلبية فقال انها : بمكة منسعة الى الغاية تشتمل على مدن وقلاع ومعاملات وقرى عديدة واعظم مدنها حلب ثم ذكر مدن انطاكية وجعبر والرحبة وسجهر (شيزر) ومرمين والباب وبزاعة وكليس وعزاز والقيم العمق والحزيرة ومدينة الحديدة واباس (يباس) وسيس وطرسوس ومصيبة (مسيس) واذنة والرمضائية والاوزازية وقيسارية وعينتاب وشيخ وقلة المسلمين والبيرة والرها

وكركر وقلعة خروس وكحتا وحصن منصور وبهستا ودارنده (فوق مرعش باربعة ايام) ودوركي وعربكيرو بماملتها عشر قلاع وحشكر ك وبماملتها اربع وعشرون قلعة وخربوت وهذه المدينة وعربكيرو وحشكر ك وقلاعها ومعاقلها كانت من ديار بكر فكت في الايام الاشرية واضيفت الى المملكة الحلبية . وذكر ان لكل مدينة من هذه المدن اقلية فيه عدة قرى وبعض هذه المدن اليوم من عمل ولاية شيواس والاخر من عمل ولاية ديار بكر والاخر من عمل معمورة العزيز والاخر من ولاية اطنة

وقال ابن جبير : وعدة جميع قلاع حلب وحصونها ثلاثة وعشرون عملاً وهي عمل شيزر وقلعة النجم وعمل الشمر وبكاس وهي قلعة وعمل القصير وهي قلعة وعمل ديركوش وعمل حارم وشيخ الحديد وعمل انطاكية وعمل بغراس وهي قلعة حصينة والدر بساك وهي قلعة وعمل حجر شعلان وهي قلعة وعمل الراوندان وهي قلعة ومعها تل هران وبرج الرصاص وتل بانسر وعمل عينتاب ولها قلعة ومعها دلو ك وقوص وعمل بهستا وكركر وكحتا والبيرة وقلعة الروم ومنيج والجبول والباب وبزاغا وتيزين واعزاز وكيسوم وممرمين والفوعة ومعر مصرين ومرتجوان وكفرطاب وبالس وصفين والرافقة وخناصره وحيار بني القعقاع وقنسرين وحاضر قنسرين

وعلى الجملة فقد اختلفت تسميات حلب فيما مضى وكانت في الاكثر ينتهي حدود عملها من جهة الشمال الى دروب الروم وقد تكلم ابن شداد من بلاد حلب على بالس والرافقة وخناصره وحيار بني القعقاع وقنسرين وحاضرها وممرمين والفوعة ومعر مصرين ومرتجوان وحارم والعمق وقال انه كان في هذه النواحي ما يزيد على ثلاثين والياً يتصرفون من جهة من يكون نائباً عن السلطان بحارم . وذكر ايضا ديركوش وعزاز والراوندان وتل هران وتل بانسر وعينتاب والمرزبان وخروص والزرب وبهستا والباب وبزاغا والشمر وذكر من الحصون التي استولى عليها الغراب حتى صارت قرى غير دافعة ولا مائة حصن سنياب وحصن سلمان وحصن سوريك او بزيك وحصن تل رمان شمالي نكفالون وحصن باسوطا في المضيق وحصن عنايب وحصن بابر ك وشيخ الحديد في الراج الشرقي وكفرميت في الراج الشرقي وحصن راشيا وهو الآن راثي وحصن هاب ومرفون غربي مرمدا في الحلقة وارنيا في بلدة الزاوية يقال لها الآن (في عهده) اربنا وحصن آتب او آتب وتل كشيان او كشافان في الراج الغربي وحصن زردنافي بلدة اواب وحصن الزرقال والآن ازرقان مقابل تل كشافان وبينهما العاصي وحصن م

وسلقين وتل عماد غربي سلقين وتل خالد وارمتاز وسلمان وحصون العوامم وسلموس
وزياد وهو خرت برت بين آمد وملطية والعيون وكانت اذنة والمصيصة وطرسوس من
الثغور الرومية داخلية من جملة عمل حلب

وقال ابن الشحنة واعلم ان اعمال حلب قد زادت قبل الفتنة التيمرية وبمدها عما
ذكره ابن شداد وعملها اليوم من جهة الروم ينتهي الى دارندة وهي آخر عملها ومن جهة
الغرب من الروم الى البحر ومن الشرق الى بعض اعمال الجزيرة كالرها والرقه وجعبر
والبيدة وما والاها من جهة الشرق ومن جهة القبلة الى قرب حماة واماحمة فهي منفردة
الآن (في عصر المؤلف) بعمل وكانت من مضافات حلب

واما المسافات فن حلب الى قنسرين يوم — على قول ياقوت — والى المعرة يومان
والى انطاكية ثلاثة ايام والى الرقة اربعة ايام والى الاثارب يوم والى توزين يوم والى
منبج يومان والى بالس يومان والى خناصره يومان والى حماة ثلاثة ايام والى حمص
اربعة ايام والى حران خمسة ايام والى اللاذقية ثلاثة ايام والى جبلة ثلاثة ايام والى
طرابلس اربعة ايام والى دمشق تسعة ايام .

بلاد حلب وكورها وحصونها

اينا في النبذة الماضية تكى مجمل البلاد التي كانت تعد من عمل المملكة الحلبية قبل
دخول الدولة العلية العثمانية وقد رأينا هناك ان نعزها بجملة ثانية فيها وصف كل مدينة
وحدها في الجملة معتمدين في ذلك في الاكثر تكى معجم البلدان لياقوت الحموي ونقوم
البلدان لابي الفدا صاحب حماة نذكرها بما يجاز ما امكن لما يتخلل من الفوائد العمرانية
والاجتماعية والادبية ونذيلها غالباً بما يعرفها للقاري اليوم ثم نردفها بما كتبه ابن حوقل
في وصف الديار الحلبية

(الاثارب) قلعة معروفة بين حلب وانطاكية بينها وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ وفيها
يقول محمد بن نصر بن صفير القيسراني :

عرجا بالاثارب كي أقضي مآربي
واسرقا نوم قلتي من جفون الكواعب
واعجبا من خلالي بين عين وحاجب

(الاحص وشبث) ويقال الادولى الحص الآن بالقرب من مملكة جبول وهما
موضعان والغالب انها بالقرب من قنسرين وانشد الاصمعي في كتاب جزيرة العرب

لرجل من طيء يقال له الخليل بن قردة وكان له ابن واسمه زافر وكان قد مات بالشام
ولا آب ركب منه دمشق واهله ولا حمص اذ لم يأت في الركب زافر
ولا من شيبث والاحص ومنتعي الا عطايا بنفسر بن اوبخناصر
(الارثقي) كورة من اعمال حلب «ارواح» حصن منيع كان من المواسم وهو من
اعمال حارم (ارقاد) قرية كبيرة من نواحي حلب ثم من نواحي عزاز يقال لها رقاد
(ارمناز) بلدة قديمة من نواحي حلب بينهما نحو خمسة فراسخ يعمل بها قدور وشربات
جيدة حمر طيبة ولا تزال كذلك (اسفونا) اسم حصن كان قرب معرة النعمان بالشم
افتتحه محمود بن نصر الكلابي ويقال لها اليوم (عصر ياقوت) سفوهن فيما بلغني
(الاعماق) كورة قرب دابق بن حلب وانطاكية والتمت اليوم فيها نحو مائتي قرية
(افلاطنس) حصن عظيم عال مشرف جداً من اعمال جبل وهرا من عمل حلب الغربية
ولعله المشهور اليوم بقصر البنات (انب) حصن من اعمال عزاز يبعد عنها نحو
اربع ساعات

(انطاكية) لم تزل قسبة المواسم من الثغور الشامية وهي من اعيان البلاد وامهاتها
موصوفة بالزراعة والحسن وطيب الهواء وعدوبة الماء وكثرة القواكه وسعة الخير زارها
ابن بطلان في سنة نيف واربعين واربع مائة فقال ان المسافة بينها وبين حلب يوم وليلة
عامرة لا خراب فيها اصلاً ولكنها ارض تزرع الحنطة والشعير تحت شجر الزيتون قراها
متصلة واسورها اثلاثمائة وستون برجاً يطوف عليها بالثوبة اربعة آلاف حارس يتفدون
من القسطنطينية يضمنون حراسة البلد سنة ويستبدل بهم في السنة الثانية وشكل البلد
كنصف دائرة قطرها متصل بجبل والصور يصعد مع الجبل الى قلعة فتم دائرة وفي
رأس الجبل داخل السور قلعة وفي وسط المدينة بيعة القسيان وهو هيكل طوله مائة
خطوة وعرضه ثمانون وعليه كنيسة على اساطين وكان بدور الهيكل اروقة يجلس عليها
القضاة للحكومة ويملأ النحر واللغة وهناك من الكنائس ما لا يحصى كلها مملوءة بالذهب والفضة
والزجاج الملون والبلاط المحرق وفي البلد بمارستان يراعي البطريك المرضى فيه بنفسه
ويدخل المخدمين الحمام في كل سنة فيغسل شعورهم بيده ومثل ذلك يفعل الملك بالصفاء
كل سنة ويعينه نجلي خدمتهم الاجلاء من الرؤساء والبطارقة التماس التواضع .
وقال ابن الفقيه ومن عجائب الجزيرة كنيسة الرها والروم ثل ما من بناء
بالحجارة ابهى من كنيسة الرها ولا يباه بالخشب ابهى من كنيسة منبج لانها بطاقات

من خشب العناب ولا بناء بالرخام ابهى من قسيان انطاكية ولا بناء بطاقات الحجارة ابهى من كنبه حصص

قال ياقوت وبين انطاكية والبحر نحو فرسخين ولما مرى في بليد يقال له السويدي ترمي فيه مراكب الافرنج يرفعون منه امتعتهم على الدواب الى انطاكية واستمرت هذه المدينة في ايدي الافرنج الى ان استنقذها منهم سليمان بن قتيلش السلجوقي جد ملوك آل سلجوق سنة ٤٧٧ وقد كان فتحها المسلمون مع حلب وملكها الروم سنة ٣٥٣

وفي غربي الفرات مقابل قلعة جمبرارض (صفين) التي بها كانت الوقعة ومن قلعة جمبر الى الرقة سبعة فراسخ . (البارة) بليدة وكورة من نواحي حلب وفيها حصن وهي ذات بساتين ويسمونها زاوية البارة (بارين) والعامية تقول بمرين مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب وهي الآن خربة على طريق المعرة (باعربايا) بلد من اعمال حلب من مضافات اقامية واقلمية خراب فيها بعض بيوت شعر (بالس) بلدة بين حلب والرقة وكانت على خفة الفرات الغربية فلم يزل الفرات يشرق عنها قليلاً قليلاً حتى صار بينها في ايامنا (ياقوت) هذه اربعة اميال

قال ابو الفدا ان بالس كانت مسكونة وهي صغيرة على شط الفرات الغربي وذكر ابن حوقل انها اول مدن الشام من العراق وهي فرضة لاهل الشام وفي شرقها الرقة قال في المزيزي ومنها الى قلعة دوشر المعروفة الآن بقلعة جمبر في شرقي الفرات خمسة فراسخ

(براق) من قرى حلب بينها نحو فرسخ وهي اليوم ناحية برق من اعمال قضاء الباب من اعمالها نحو خمسين قرية (برج الرصاص) قلعة ولها رساتيق من اعمال حلب قرب انطاكية وايها عنى ابو فراس بقوله :

فاوقع في جلباط بالروم وقعة بها العمق واللكام والبرج فاخر

(البرزمان) قلعة من العواصم من نواحي حلب (بسرفوت) حصن من اعمال حلب في جبل بني عليم (بزاعة) بلدة من اعمال حلب في وادي بطنان بين منبج وحلب بينها وبين كل واحدة منهما مرحلة وفيها عيون ومياه جارية واسواق حسنة وهي اليوم قرية

وقال ابن جبلة في وصفها بقعة طيبة الثرى واسعة الثرى تصغر عن المدن وتكبر عن القرى بها سوق تجمع بين المرافقي السفرية والمتاجر الحضرية وفي اعلاها قلعة كبيرة

حصينة رامها احد ملوك الزمان فغافلته باستعصائها فأمر بثلث بناتها حتى غادرها عورة
منبوذة بعرائها ولهذه البلدة عين معينة يحترق ماؤها بسياط بطحاء ترف بسائمتها خضرة
ونضارة وتربك بروتها الاثني حسن الحضارة ويناطرها في جانب البطحاء قرية كبيرة
تعرف بالباب هي باب بين بزاعة وحلب وكان يمر بها منذ ثمانين سنين قوم من الاسماعيليين
لا يصحى عددهم الا الله فطار شرارهم وقطع هذه السيل فسادهم واضرارهم حتى دخلت
اهل هذه البلاد العصية وحركتهم الانفة والحمية فجمعوا من كل اوب عليهم ووضعوا
السيوف فيهم فاستأصلوهم عن آخرهم ومجولوا بقطع دايرهم وكومت بهذه البطحاء جاجهم
قال وكانها اليوم قوم سنون . وروى ابو الفدا : الباب بلدة صغيرة ذات سوق وحمام
ومسجد وجامع ولها بساتين كثيرة تزهة واما بزاة فضوية من اعمال حلب في الجهة الشمالية
الشرقية وفي بساتينها يقول المنازي وقد اجتاز بها

لقائنا لفحة الرمضاء واد وقاه مضاعف التبت العميم
يعد الشمس اني واجهتنا فيجيبها ويأذن للنسيم
يروع خصاء حالية العذارى فتلمس جانب العقد التنظيم
ووجدنا هذا البيت في مكان آخر

نزلنا دوحه فحسا علينا حنو الوالدات على الفطيم
وارشفنا على ظلاء زلالا الذ من المدامة للتنديم

(بفراس) مدينة في لحف جبل اللكام بينها وبين انطاكية اربعة فراسخ على يمن
القاصد الى انطاكية من حلب في البلاد المطلة على نواحي طرسوس قال البلاذري
وكانت ارض بفراس لمسلمة بن عبد الملك ووقفها على سبيل البر وكانت بيد الافرنج ففتحها
صلاح الدين يوسف بن ايوب في سنة ٤٨٥ وقد ذكرها البحري في شعر مدح به
احمد بن طولون

سيوف لها من كل دار غدا ردي وخيل لها من كل دار غدا نهب
علت فوق بفراس فضاقت بماجنت صدور رجال حين ضاق بها درب

قال يحيى بن سعيد بن يحيى الانطاكي ان تغفور ملك الروم نزل على انطاكية سنة
٣٥٧ واقام عليها يومين وفتح المعرة وحماه وحمص وطرابلس وعرقه وجبله واللاذقية
وانطرسوس وخرب قري كثيرة وبني حصن بفراس مقابل انطاكية في فم
الدرب (اولب)

« بكاس » قلعة من نواحي حلب على شاطئ الماصي ولما عين فخرج من تحتها وبها وبين ثغور المصيبة مقاباتها قلعة اخرى يقال لها شجر بينها واد كالخندق يقال لها الشجر . (بلاطس) حصن منيع بسواحل الشام مقابل اللاذقية من اعمال حلب (بياس) مدينة صغيرة شرقي انطاكية وغربي المصيبة (ميسس) بينها قرية من البحر بينها وبين الاسكندرونة فرسخان قريبة من جبل اللكام (امانوس) . بيت لاهيا) حصن عال بين انطاكية وحلب على جبل ليلون كان فيه ديدبان ينظر في اول النهار انطاكية وفي آخره الى حلب . (البيرة) (بيرة جيك) بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية وهي قلعة حصينة ولما وسناتق واسع وهي على حافة الفرات في البر الشرقي الشمالي لاترام ولما واد يعرف بوادي الزيتون به الشجار واعين وهي بلدة ذات سوق وعمل قال ابن سعيد وقلعتها على صخرة وهي اليوم ثغر الاسلام في وجوه التتروهي فرضة على الفرات وهي في الشرق عن قلعة الروم على نحو مرحلة وفي الغرب عن قلعة نخم وفي الجنوب والغرب عن مروج

(البيضاء) اسم لمدينة حلب ليياض تربتها (تاذف) قرية بين حلب وبينها اربعة فراسخ من وادي بطنان من ناحية بزاغة ذكرها امرؤ القيس في شعره فقال :

وبارب يوم صالح قد شهدته بتاذف ذات الثل من فوق طرطرا

ويقال لهذه البلدة اليوم تائف وهي على نصف ساعة من الباب ولا يقل نفوسها عن خمسة آلاف نسمة وفيها الى اليوم كنيس لليهود وبضع امرات منهم يسكنونها بيت فيما يقال قبل ٢٢٠٠ سنة وهي محل مبارك عند الاسرائيليين بقصدونه للزيارة وقد زرته وزرت صاحبة البلد غراف ابي طرطر وهو بئر ماء لذيذ يحتاج ماءه على مدار يحركه بفلان فيسقي حدائق هناك وهذا هو طرطر الذي زاره امرؤ القيس في الغالب . ويرى الاسرائيليون في تلك الانحاء ان من زار منهم كنيس تائف وشرب من غراف ابي طرطر واغتسل من عين العزيز على مقربة منها اتي عملاً صالحاً ينيله الزلفى من المولى . (تل باشر) قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب يد اوبين حلب بومان واهلها ارمن ولها ربض واسواق وهي عامرة آهلة . (تل خالد) قلعة من نواحي حلب (تل السلطان) موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق وفيه خان ومنزل للقوافل وهو المعروف بالفيندي كانت به وقعة بن صلاح الدين يوسف بن ايوب وسيف الدين غازي بن ممدود بن زنكي صاحب الموصل سنة ٥٧١ : تل منس) حصن قرب معرة النعمان وتية من قرى حمص (توزير) ويقال تينين كورة وبلدة بالعوام من ارض حلب (جبل السماق)

هو جبل عظيم من اعمال حلب الغربية يشتمل على مدن كثيرة وقرى وقلاع عامتها للاسماعيلية وفيه بساتين ومزارع كلها عذني والمياه الجارية به قليلة الا ما كان من عيون ليست بالكثيرة في مواضع مخصوصة ولذلك ثبت فيه جميع اشجار القواكه وغيرها حتى الشمس والقطن والسمسم وغير ذلك وقيل انه سمي بذلك لكثرة ما ثبت فيه من السماق قال عيسى بن سعدان :

وقولها وشماع الشمس مخروط
ياحبذا التلعات الخضر من حلب
وحبذا طلل بالسفح من طلل
من سفح جوشن يطني لاعمج الفل
طلال المقام فوا شوقا الى وطن
بين الاحص وبين الصمصع الردل

(الجبول) قرية كبيرة الى جنب ملاحة حلب وفي الجبول يصب نهر بطنان وهو نهر الذهب ثم يجرد ملحا فيمتار منه اكثر بلدان الشام وبعض الجزيرة ويضمن بمائة وعشرين الف درهم في كل عام ويجتمع على هذه الملاحة انواع كثيرة من الطير قبل جمودها وضفها حسن الساكون في الحموي بقوله :

قد جبل الجبول من راحة
فليس تعرفوا ساكنيها هموم
كأنما الماء واطياره
فيه سماء زينت بالنجوم
صكان سود الطير في بيضا
خليط جيش بين زنج وروم

قل يا قوت في نهر الذهب ان اهل حلب يزعمون ان وادي بطنان الذي يمر ببزاعة وهو الذي يقال له عجائب الدنيا ثلاثة دير الكلب ونهر الذهب وقلعة حلب والمعجب فيه ان اوله يباع بالميزان وآخره بالكيل وتفسير ذلك ان اوله يزرع على الحصاد كالقطن وسائر الحبوب ثم ينصب الى بطيحة طولها نحو فرسخين في عرض مثل ذلك فيجود فيصير ملحا يمتار منه اكثر نواحي الشام ويباع بالكيل وطول الملاحة الآن نحو ٣ كيلومترات وعرضها ١٨ كيلومترا

(الجرجومة) مدينة يقال لاهلها الجراجمة كانت على جبل اللكام بالقرب الشامي عند معدن الزاج فيما بين يباس وبوقة قرب انطاكية والجراجمة جبل كان من امرم في ايام استيلاء الروم ان خافوا على انفسهم فلم ينتبه المسلمون لم وولي ابو عبيدة انطاكية حبيب بن مسلمة الفهري فغزا الجرجومة فصالحه اهلها على ان يكونوا اعوانا للمسلمين وعميونا ومسالخ في جبل اللكام وان يؤخذوا بالجزيرة وان يطلقوا اسلاب من

يقتلونه من اعداء المسلمين اذا حضروا معهم حرباً ودخل من كان معهم في مدينتهم من تاجر واجير وتابع من الانباط من اهل القرى ومن معهم في هذا الصلح فسموا الروادف لانهم تلوم وليسوا منهم ويقال انهم جاؤوا الى عسكر المسلمين وهم ارداف لم يسموا روادف وكان الجراحمة يستقيمون للولاة مرة ويعوجون اخرى فيكاتبون الروم ويمالونهم على المسلمين ولما استقبل عبد الملك بن مروان محاربة مصعب بن الزبير خرج منهم الى الشام مع ملك الروم فنفرقوا في نواحي الشام وقد استعان المسلمون بالجراحمة في مواطن كثيرة في ايام بني امية وبني العباس واجروا عليهم الجرايات وعرفوا منهم المناصحة . (جلباط) ناحية بجبل الاسكاف بين انطاكية ومرعش كانت بها وقعة سيف الدولة بن حمدان بالروم

(حارم) حصن حصين وكورة جليلة تجاه انطاكية وهي الآن من اعمال حلب وفيها اشجار كثيرة ومياه وهي لذلك وبثة وهي فاعل من الحرمان او من الحریم كأنها لخصائنها يحرمها العدو وتكون حرماً لمن فيها قال ابو الفدا وقد خص بالزمان الذي يظهر باطنه من ظاهره مع عدم العجم وكثرة المياه وهو على مرحلتين من حلب في جهة الغرب وبين حارم وانطاكية مرحلة

(الحاضر) في كتاب الفتح للبلاذري انه كان بقرب حلب حاضر يدعى حاضر حلب يجمع اصنافاً من العرب من ثنوخ وغيرهم جاءه ابو عبيدة بعد فتح قنسرين فصالح اهله على الجزية ثم اسلموا بعد ذلك وكانوا مقيمين واعاقبهم به الى بعيد وفاة امير المؤمنين الرشيد ثم ان اهل ذلك الحاضر حاربوا اهل مدينة حلب وارادوا اخراجهم عنها فكذب الهاشميون من اهلها الى جميع من حولهم من قبائل العرب يستنجدونهم فسارعوا الى انجادهم وكان اسبقهم الى ذلك العباس بن زفر الهلالي فلم يكن لاهل الحاضر بهم طاقة فاجلحوم عن حاضرهم وضربوه وذلك في فتنه محمد الامين بن الرشيد فانتقلوا الى قنسرين فتلقاهم اهلها بالاطعمة والكسوة فلما دخلوا ارادوا التغلب عليها فاخرجهم عنها فنفرقوا في البلاد قال ففهم قوم بتكررت رأيهم ومنهم قوم بارمينة وفي بلدان كثيرة متباعدة وفي رواية اخرى (١) ان يعقوب بن صالح الهاشمي خرب الحاضر الذي كان الى جانب حلب حتى الصقة بالارض وكان فيه عشرون الف مقاتل فهو خراب اليوم

(حصن منصور) قال في المشترك وحصن منصور بالقرب من سميساط قال هو منسوب

الى منصور بن جعونة العامري وكان قد تولى عمارته في ايام مروان الحمار آخر خلفاء بني امية
قال ابن حوقل وحصن منصور حصن صغير في مبزر زرع عذدي اقول (ابو الفدا) وهو
الآن خراب ولكنه مزدورع وهو في مستو من الارض شمالي النهر الازرق وجنوبي
الفرات وغربها قريب من كل منها والجبل واقع في غربي حصن منصور بينه وبين
ملطية وفيه الدربند الى ملطية

(حبيب) بلد من اعمال حلب يقال له بطنان حبيب (دانيث) بلد من اعمال حلب
بين حلب وكفرطاب . (دركوش) حصن قرب انطاكية من اعمال العواصم (دلوک)
بليدة من نواحي حلب بالعواصم كانت بها وقعة لابي فراس بن حمدان مع الروم قال
بعضهم يذكرونها

واني ان نزلت على دلوک ترکتك غير متصل النظام

وقال عدي بن الرفاع

ام سرى ام غار الغيث غائر	ام انسابها من آخر الليل زائر
ونحن بارض قلنا يحشم السرى	بها العرييات الحسان الحرائر
كثير بها الاعداء يحسردونها	يريد الامام المستحث المشابر
فقلت لما كيف احدثت ودونها	دلوک واشراف الجبال القواصر
وجيخان جيخان الجيوش واكس	وحزم خزاز والشعوب القواصر

(الراوندان) قلعة حصينة وكورة طيبة معشبة مشجرة من نواحي حلب قال ابو
الفدا انها قلعة حصينة عالية على جبل مرتفع ابيض ولها عين وبساتين وفواكه وواد
حسن ويمر تحتها نهر عفرين وهي في الغرب والشمال عن حلب وبينها نحو مرحلتين
وهي في الشمال عن حارم ويجري من الشمال الى الجنوب على الراوندان الى عمق حارم في
واد متسع بين جبال وبذلك الوادي قرى وزيتون كثيرة وهي كورة من بلاد حلب
وتسمى الجومة بضم الجيم وسكون الواو وميم وهاء

(سلوقية) اقطع الوليد بن عبد الملك جند انطاكية ارض سلوقية عند الساحل وصير
عليهم الفاو وهو بسيط من الارض معلوم كاتفدان والجرب بدبتار ومدى قح فعمروها
واجري ذلك لم وبني حصن سلوقية (سميساط) قال في الباب وسميساط من بلاد الشام
قال ابن حوقل واما سميساط فهي على الفرات وكذلك جسر مبيج وهما مدينتان صغيرتان
حصنتان لما زرع سقي وغيره وماؤه من الفرات وسميساط في الغرب عن كلمة الروم

وفي الشمال عن حصن منصور وكل واحدة على مسافة قريبة من الاخرى
(سرمين) بلدة ذات اشجار كثيرة وزيتون وغيره وليس لها ماء الا ما يجتمع من
الامطار في الصهاريج ولها ولاية وعمل متسع وهي ذات خصب واسواق ومسجد جامع
وليس لها سور وبين سرمين وبين حلب مسيرة يوم وحلب في شمالها وهي على منتصف
الطريق بين المعرة وحلب

(سروج) بلدة قريبة من حران من ديار مصر .
(رعبان) مدينة بالثغور بين حلب ومجسط قرب الفرات معدودة في العواصم
وهي قلعة تحت جبل خربتها الزلزلة في سنة ٣٤٠ فانفذ سيف الدولة ابا فراس بن
حمدان في قطعة من الجيش فاعاء عمارتها في سبعة وثلاثين يوما

(سيثا) بلدة بظاهر عمرة الزمان وهي القديمة والمعرة اليوم محدثة اجتاز بها القاضي
ابو يعلى عبد الباقي بن حسان المري والناس ينقضون بنيانها لعمروا به موضعاً آخر فقال:

مردت برسم في سيثا فراغني به زجل الاحجار تحت المعاول
نساولها عبل الذراع كأنما رمى الدهر فيما بينهم حرب وائل
انتقامها شملت بيدك خلها لمنبر او زائر او مسائل
منازل قوم حدثنا حديثهم ولم ارا حل من حديث المنازل

(الشفر) قلعة حصينة مقابلها اخرى يقال لها بكاس على رأس جبلين بينهما واد
كالخندق لها وكل واحدة تناوح الاخرى وهما قرب انطاكية قال ابو الفدا: الشفر
وبكاس قلعتان حصيتان بينهما رمية سهم على جبل مستطيل وتحتها نهر يجري ولها
بساتين وفواكه كثيرة ولها مسجد جامع ومنبر ورسنق وهما بين انطاكية وفامية على
قرب منتصف الطريق بينهما وفي شرقها على شوط فرس جسر كشفان وهو جسر
النهر وهو مشهور وله سوق يجتمع الناس فيه في كل اسبوع والشفر وبكاس في جهة
الشرق والشمال عن صهيون وفي الجنوب عن انطاكية وبينهما الجبال

« شقيف دركوش » قلعة من نواحي حلب قبلي حارم . « شقيف دبين » قلعة
صغيرة قرب انطاكية ودبين ضيعة كاربض لها « عرض » بلد في برية الشام يدخل في
اعمال حلب وهو بين تدمر والرصافة الهناتمية . (عزاز) بلدة فيم اقلعة ولها رسنق
شمالي حلب بينهما يوم وهي طيبة الهواء عذبة الماء . (عما) صقع في برية خفاف بين
بالس وحلب . « الحمق » كوزة بنواحي حلب الشام وكان اولاً من نواحي انطاكية

ومنه أكثر ميرة انطاكية واباه عنى ابو الطيب المتنبى حيث قال

وما اخشى نوك عن طريق وسيف الدولة الماضي الصقيل
وكل شواة غطريف تمى لسيرك ابن مفرق السيل
ومثل العمق مملوء دماء مشى بك في مجاريه الخيول
اذا اعتاد الفقى خوض المنابا فاول ما يمر به الوحول

(عين ناب) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكية وكانت تعرف بدولك ودولك رستاقها وهي الآن من اعمال حلب . ويقول ابو الفدا انها بلدة حسنة كبيرة ولها قلعة منقوبة في المحضر حصينة وهي كثيرة المياه والبساتين وهي قاعدة ناحيتها ولها اسواق حليلة وهي مقصودة للتجار والمسافرين وهي عن حلب في جهة الشمال على ثلث مراحل وبالقرب من عيناب في جهة الجنوب عن قلعة الروم على نحو ثلث مراحل ايضاً وكذلك بين عينتاب وبهسنا وعينتاب في جهة الشرق والجنوب عن بهسنا

(فايا) كورة بين منبج وحلب كبيرة وهي من اعمال منبج في جهة قبلتها قرب وادي بطنان ولها قرى عامرة فيها بساتين ومياه جارية . (الفرزل) ناحية من نواحي معرة النعمان في العلاء والعلاء كورة من كورها . (الفينديق) من اعمال حلب كانت به عدة وقعات وهو الذي يعرف اليوم بتل السلطان بينه وبين حلب خمسة فراسخ وبه كانت وقعات الفينديق بين ناصر الدولة بن حمدان وبني كلاب من بني مرداس في سنة ٤٥٢ فأسره بنو كلاب

(قلعة جعبر) على الفرات مقابل صفين التي كانت فيها الوقعة بين معاوية وامير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وكانت تعرف اولاً بدوسر فتملكها رجل من بني غدير يقال له جعبر بن مالك فقلب عليها فسميت به (قلعة الروم) قلعة حصينة في غربي الفرات مقابل البيرة يدبها وبين سميساط بها مقام بطرك الارمن ويقول ابو الفدا ان لها ريفاً وبساتين وفواكه ونهراً يعرف بمزبان يجيء من ناحية الجبل ويصب في الفرات تحت قلعة الروم والفرات تمر بذيل القلعة وهي من القلاع الحصينة التي لا ترام انتزها من الارمن السلطان الملك الاشرف ابن السلطان الملك المنصور قلاوون وهي في البر الغربي الجنوبي من الفرات وهي عن البيرة في جهة الغرب على نحو مرحلة وهي في الشرق عن سميساط وهي في الجنوب من الزها وكل ذلك على الغرب منها

(قلعة النجم) قلعة حصينة مطلة على الفرات على جبل تحتها ريف عامر وعندها جسر

يعبر وهي المروفة بجسر منبج و يعبر على هذا الجسر القوافل من حران الى الشام وبينها وبين منبج اربعة فراسخ (قورس) مدينة ازيلية بها آثار قديمة وكورة من نواحي حلب وهي الآن خراب وبها آثار باقية (كرزين) قلعة من نواحي حلب بين نهر الجوز والبحيرة لها عمل (كشر يد) بلد في جبال حلب ثنياً فيه رجل في سنة ٥٦١ وانضم اليه جمع فخرج اليه عسكر الشام فقتل وقتل اصحابه « كفردين » حصن بنواحي انطاكية (كفر روما) قرية من قرى معرة النعمان وكان حصناً مشهوراً خربه لؤلؤ الشيعي المعروف بالجراحى المتطلب على حلب بمدني الفضائل ابن سعد الدولة في سنة ٣٩٣ (كفر سوت) من اعمال حلب الآن قرب بهسنا بلد فيه اسواق حسنة عامرة (كفر طاب) بلدة بين المعرة ومدينة حلب في بركة معطشة ليس لم شرب الا ما يجمعونه من مياه الامطار في الصهاريج وبلغني (ياقوت) انهم حفروا نحو ثلثمائة ذراع فلم ينبط لم ماء وفيها يقول ابو عبد الله محمد بن سنان الخفاجي :

بالله يا حادسي المطايا بين حناك وارصنايا
عرج على اهل كفر طاب وحيها احسن النجايا
واهد لما الماء فهي ممن يفرح بالماء سيف الهدايا

وقال عبد الرحمن بن محسن المعري :

اقسمت بالرب والبيت الحرام ومن اهل معتمراً من حوله وصي
ان الاولى بنواحي الغوطتين وان شط المزار بهم يوماً وان شعا
اشهى الى ناظري من كل ما نظرت عيني وفي مسمي من كل ما سمعا
ولا كفر طاب عندي بالحي عوضاً نم سقى الله سكان الحى ورعا

قال ابو الفدا انها بلدة صغيرة كالقرية قليلة الماء يعمل فيها التدوير الخنزف وتجلب الى غيرها وهي قاعدة ذات ولاية ولما عمل وهي على الطريق بين المعرة وشيزر قال في المزيزي ومدينة كفر طاب اهلها اخلاط من اليمن وبينها وبين شيزر اثنا عشر ميلاً وكذلك بينها وبين المعرة

(كفر غما) صنع بين خساف وبالنس من نواحي حلب (كفر لاثا) بلدة ذات جامع ومنبر في سفح جبل عال من نواحي حلب بينها يوم واحد وهي ذات بساتين ومياه جارية بركة طيبة واهلها اسماعيلية (كلز) قرية من نواحي عزاز بين حلب وانطاكية (مرعش) مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق وفي وسطها حصن

عليه سور يعرف بالروافي ثم أحدث الرشيد بعده سائر المدينة وبها ربض يعرف بالهارونية وهو مما يلي باب الحدث وقد ذكرها شاعر الحماسة فقال :

فلو شهدت أم القديس طماننا بمرعش خيل الأرمي أزنت
عشية أرمي جمعهم بلبانه ونفسي قد وطنتها فاطمأنت
ولاحقة الآطال استندت صفها إلى صف أخرى من عدى فاقشعرت

قال ابن حوقل : الحدث ومرعش مدينتان صغيرتان عامرتان فيهما مياه وزروع وأشجار كثيرة وهما ثغران قال في العريزي وبينهما وبين انطاكية ثمانية وسبعون ميلاً وبينهما وبين غضاة العلوي على نهر جيجان اثنا عشر ميلاً

(معرة مصرين) بليدة وكورة بنواحي حلب ومن أعمالها بينها نحو خمسة فراسخ

قال حمدان بن عبد الرحيم يذكرها

جادت معرة مصرين من الديم مثل الذي جاد من دمي لئنيهم
وصالمتها الليالي في تغيرها وصالحتها بد الآلاء والنعم
ولا تناوحت الأعصار عاصفة برصتها كما هبت على أرم
حأكت يد القطر في افتائها حللا من كل نور شبيب الشجر مبتم
إذا الصبا حرك أنوارها اعتنقت وهلت بعضها بعضاً فكأنم
فطال ما نشرت كف الريح بها يماركسرى ملك العرب والعجم

(معرة النعمان) مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة ماؤم من الآبار وعندم الزيتون الكثير والنتين قال أبو العلاء المعري :

فيا برق ليس الكرخ داري وإنما رماني إليها الدهر منذ ليال
فهل فيك من ماء المعرة قطرة تنفيث بها غلمات ليس بسالي

وتقل أبو الفدا عن السمعماني أن النسبة إلى المعرة معرقني قال لأن ثم معرتين معرة النعمان ومعرة نسرين فالنسبة إلى الأولى معرقني وإلى الثانية معرني غير أن أكثر أهل العلم لا يعرف ذلك

(منبج) قال ابن جبير بلدة فسيحة الأرجاء صحبحة الهواء يحف بها سور عتيق ممتد إلى الغاية والانتهاج جوها صقيل ومجتلها جميل ونسيمها أرج النسر عليل نهارها بندي ظله وليها كما قيل فيه سحر كله تحف به بيها وبشرقيها بساكنين ملتفة الأشجار مختلفة الثمار والماء بطرد فيها ويتخلل جميع نواحيها وخصص الله داخلها بآبار معينة شهيدة العذوبة

سلسيلية المذاق تكون في كل دار منها البئر والبئران وارضها ارض كريمة تستنبط مياهها كلها واسواقها وسككها فسيحة متسعة ودكاكينها وحوانيتها كأنها الخانات والمخازن انساباً وكبراً واعالي اسواقها مسقفة وعلى هذا الترتيب اسواق اكثر مدن هذه الجهات ولكن هذه البلدة تعاقبت عليها الاحقاب حتى اخذ منها الخراب كانت من مدن الروم العتيقة ولم فيها من البناء آثار تدل على عظم اعتنائهم بها ولها قلعة حصينة في جوفها تنقطع عنها ونحاز منها ومدن هذه الجهات كلها لا تخلو من القلاع السلطانية واهلها اهل فضل وخير سنيون وشافعيون

قال ابو الفدا : منبج اخذى بلاد الشام بناها بعض الاكاسرة الذي غلب على الشام وسماها منبه وبنى بها بيت نار و لكل به رجلاً يسمى ابن دينار من ولد ازديشيرين بابك وهو جد سليمان بن مجاهد الفقيه فغلب على اسم المدينة قال ابن حوقل : وهي في بيرة الغالب على مزارعها الاعضاء وهي خصبة اقول (ابو الفدا) وهي كثيرة القني السارحة والبساتين وغالب شجرها التوت لاجل القز ودور سورها متسع كبير وغالب السور والبلد خراب (المارونية) مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور السامية في طرف جبل اللكام استحدثها هارون الرشيد وعليها سوران وابواب حديد ثم خرج بها الروم فأرسل سيف الدولة غلامه غرقويه فأعاد عمارتها وهي اليوم من بلاد بني ليون الارمني

هذا ما تيسر جمعه من اسماء المدن والكور والحصون بقيت هناك اسماء قري ذكرها ياقوت فأعزبنا عن ذكرها لتغير اسمائها اليوم وطموس معالمها على الاكثر وقد وصف الرحالة ابن حوقل المملكة الحلبية بقوله : وقسرين مدينة نسبت الكورة اليها وهي من اضيق تلك النواحي بناء وان كانت زهرة الظاهر مغرقة في موضعها بما كان بياض الرخص فاكسحيتها الروم فكأنها لم تكن الا بقايا من قديتها من دمن ومعرة النعمان مدينة هي وماحولها من القرى اعزاء ليس بنواحيها ما تاجار ولا عين وكذلك جميع قسرين شريهم من السماء وهي مدينة كثيرة الخير والسعة والتين والفستق وما اكل ذلك من الكروم ويداوين جبلة التي الى ساحل البحر الرومي ٠٠٠ وكانت مدينة جبلة يسكنها اوزير الجبلين فافتتحها الروم وسبوا منها خمسة و ثلاثين الف امرأه وصبي ورجل بالغ وجزيرة قبرس تحاذي جبلة في وسط البحر الرومي وبينها وبين جبلة بحري يوم وليلة وكانت للمسلمين والروم فاحتوت الروم عليها بنفريط المسلمين وخذلان واما الخناصره فهي حصن يحاذي قسرين الى ناحية البادية وعلى شفيرها وسبها كان يسكنه عمر بن عبد العزيز صالحه في قدرها مغرقة للبحر تزين عليها في وقتنا هذا لان

الطريق انقطع من بطن الشام باتيان الروم عليه وهلاك ولاه فلجأ الناس الى طريق
البادية بالادلاء والغفراء . . .

والمراسم امم الناحية وليس بمدينة تسمى بذلك وقصبتها انطاكية وهي بمد دمشق
انزه بلد بالشام وعليها الى هذه الغاية سور من صخر يحيط بها ويجعل مشرف عليها لم فيه
مزارع واجنة وارحية وما يستقل به اهلها من مرافقها ويقال ان دور سورها يوم تجري
مياههم في اسواقهم ودورهم وسككهم ومسجد جامعهم وكان لم ضياع وقرى ونواح
خصبة وحسنة استولى عليها العدو فلحقها وكانت قد اختلت قبيل افتتاحها في ايدي
المسلمين وهي ايضا في ايدي الروم اشد اختلالاً وفقها الروم في اول سنة ٣٥٩

ومدينة بالس مدينة على نط الفرات من غربيه صغيرة وهي اول مدن الشام من
العراق وكان الطريق اليها عامراً ومنها ابلاً وكانت فرضة لاهل الشام على الفرات
فمقت آثارها ودرست قوافلها وتجارها بعد سيف الدولة وهي مدينة عليها سور ازلي ولها
بساتين فيما بينها وبين الفرات واكثر غلاتها القمح والتمر ومن مشهور اخبارها ان
المعروف بسيف الدولة علي بن حمدان عند انصرافه عن لقاء صاحب مصر وقد هلك
جميع جنده انفذ اليه المعروف بأبي حصين القاهي فقبض من تجار كانوا بها معتقلين عن
السفر ولم يطلق لم الفوذ مع خوف ناهم فأخرجهم عن احوال بز واضواف زيت الى ما عدا
ذلك من متاجر الشام في دفعتين ؛ فهما شهر قلائل واباء بسيرة الف الف دينار وعلى
الغرب منها مدينة منبج خصبة كثيرة الاسواق قديمة الآثار عظيمة الاسوار في برية
الغالب عليها وعلى مزارعها الاعضاء وهي حمينة عليها سور ازلي رومي وبقربها ايضا مدينة
سجدة وهي مدينة صغيرة بقربها قنطرة سمجدة تعرف بقنطرة سنجة ليس في الاسلام قنطرة
احسن منها ويقال انها من عجائب الزمان

ومدينة سميساط على الفرات وكذلك جسر منبج وهما مدينتان صغيرتان حصينتان
لها زرع سقي ومباخص وماؤها من الفرات وكانت مدينة ملطية مدينة كبيرة من اكبر
الثغور واكثرها سلاحاً ورجالاً دون جبل اللكام الى ما يلي الجزيرة ويحف بها جبال
كثيرة فيها الجوز والكرم واللوز وسائر الثمار الشتوية والصيفية مباحة لا مالك لها وهي
من اقوى بلاد الروم في هذا الوقت ؛ لكنها الارمن وفحت في سنة ٣١٩

وكانت المدينة المعروفة بحصن منصور صغيرة حصينة بها منبر وبها رستاق وقرى
برسمها اعزاء فاستأثر القضاة بهلاكها على ايدي الروم وبني حمدان . والحدث ومرعش

مدنيتان صغيرتان افتتحهما الروم من قبل يومئذ فاعلوهما صيف الدولة علي بن عبد الله وعاد الروم فانتزعوها ثانية من المسلمين وكان لها زروع واشجار كثيرة وفواكه وكانتا ثغرين يربط بينهما المسلمون ويجاهدون ففسدت النيات وافتتحت الاعمال وارتفعت البركات وفسدت المذاهب ولج الملوك في الظلم والاستئثار بالاموال والعامة في الاصرار على المعادي والطغيان فهلك العباد وتلاشت البلاد واقطع الجهاد وبذلك نطق الكتاب العزيز حيث يقول سبحانه وعن من قائل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا متفرقها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً

وكانت المارونية من غربي جبل اللكام في بعض شعابه حصناً صغيراً بناه هارون الرشيد ادركته عاصراً حسناً فاهلكته الروم

وكانت الاسكندرونه ايضاً حصناً على ساحل بحر الروم ذا نخيل وزرع كثير وغلة وخصب كثير فأتى عليه العدو وكذلك حصن الثينات حصن كان على شط البحر فيه مقطع خشب الصنوبر الذي كان ينقل الى الشام ومصر والثغور وكان فيه رجال ذلك اجلاد لهم علم بمضار بلد الروم ومعرفة مخابضهم وكانت الكيسة حصناً فيه منبر وهو ثغر في معزل من ساحل البحر يقارب حصن المثقب لذي استحدثه عمر بن عبد العزيز وعمره وكان فيه منبره ومصحفه بخضه وكان فيه قوم سرارة من عبد شمس اعتزلوا الدنيا ورفضوا المكاسب وكان لهم ما يشبع بهم من المباح

وكانت عين زربة بلداً يشبه مدن الغور بها نخيل وخصب واسعة الثمار والزروع والمرعى وهي المدينة التي كان وصيف الخادم بال دخول منها الى بلد الروم فأدركه المعتضد بها وكانت حكمة الداخل والخارج تزهة داخل سورها جليلة في جميع امورها وكانت المصيصة مدنتين احدهما تسمى المصيصة والاخرى تسمى كغرياً على جانبي جيحان وبينهما قطرة حجارة وكانتا حصنتين جداً على شرف من الارض ينظر منها الجالس في مسجد جامعها نحو اربعة فراسخ كالبقعة بين يديه خضرة نضرة جليلة الاهل نفيسة القدر كثيرة الاسواق حسنة الاحوال وجميعها يخرج من بلد الروم وكان كثير الضياع وغزير الكراع

وكانت اذن مدينة كأحد جانبي المصيصة على نهر جيحان في غربي النهر وسيمان دون جيحان في الكبر عليه قطرة محببة البناء طويلة جداً ويخرج هذا النهر من بلد الروم ايضاً وكانت جليلة الاهل حسنة المحل في كل اصل وفصل وعلى اصل طريق طرسوس .

فاما مدينة طرسوس فالمدينة المشهورة المستغنى بشهرتها عن تحديدها كبيرة عليها سوران من حجارة كانت تشتمل على خيل ورجال وعدة وعتاد وكراع وكانت من المارة والخصب بالنهاية الى رخص عام على مر الايام وتعاقب الاعوام وكان ينها وبين حد الروم جبال متشعبة من السكام كالحاجز بين العمليين

ورأيت غير عاقل مميز وسيد حصيف مبرز يشار اليه بالعراية والفهم واليقظة والعلم بذكر ان بها مائة الف فارس وكان ذلك عن قريب عهد من الايام التي ادركتها وشاهدتها وكان السبب في ذلك انه ليس من مدينة عظيمة من حد سمجستان وكرمان وفارس وخوزستان والجبال وطبرستان والجزيرة واذربيجان والعراق والحجاز واليمن والشامات ومصر والمغرب الا وبها دار ينزلها غزاة تلك البلدة ويرابطون بها اذا وردوها وتكثر لديهم الصلات وترد عليهم الاموال والصدقات العظيمة الجسيمة الى ما كان السلاطين يتكفونهم وارباب النعم يعاونه وينفذونه متطوعين متبرعين ولم يكن في ناحية ذكرتها رئيس ولا نفيس الا وله عليها وقف من ضيعة ذات مزارع وغلات او مسقف من فنادق فهدكوا فكانهم لم يقطعوها وعفوا فكانهم لم يسكنوها حتى لظننتهم كما قال الله تعالى هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا وكانت اولاس حصنا على ساحل البحر فيه قوم معبدون حصين وكانت فيهم خشونة في ذات الله تعالى وكان في آخر ما على بحر الروم من المارة فكانت مما بدا به العداوة وبغراس كان فيه منبر على طريق الثغور وكانت فيها دار ضيافة لضيافة ولم يكن بالشام دار ضيافة غيرها كبيرة اه

ولاية حلب وسكانها وحيواناتها

تبين من الابحاث السالفة ان ولاية حلب او مملكة حلب كانت تقسم بحسب الازمان وقد يضاف اليها البعيد من البلدان ويتبع القريب منها غيرها ونقسيات الولاية الحلبية بحسب التقسيم الاخير هي كما يلي نقلا عن اصح المصادر التركية :

ان ولاية حلب عبارة عن شمالي سورية وجزء من البلاد الجنوبية في آسيا الصغرى ومنها مرعش او مملكة ذو القدرية وكانت تدعى قديما كبدوكية Cappadocce وقسم من الجزيرة Mesopotamie وهو لواء اورفة (الرها) وهذا اللواء قد انفصل عن ولاية حلب في هذه السنة فاصبح من الالوية المنفصلة بخاير الاستانة سنة ثورونه الادارية مباشرة كالثقوس والزور وبيغا واذميت وغيرها

يحد الولاية بحسب تقسيمها قبل انفصال لواء اورفة من الجنوب ولاية سورية ومن

الغرب البحر الأبيض والطنة (اذنة) ومن الشمال ولايتا اقزوة وسيواس ومن الشرق لواء الزور وولايتا ديار بكر وممورة العزيز وطولها من الشرق الى الغرب ٨٥ ساعة وعرضها ٩٠ ساعة

يقولون ان اصل سكان هذه الولاية من نسل سام والجنس القافقاسي بدليل انه سكنتها قبائل الكيتا الوثنية وهم من اولاد سام بن نوح ثم الآراميون وبعده ان تناقل الحكم عليها قبل المسيح بنحو ثلاثة آلاف سنة المصريون والاشوريون والفرس انتهت الى ايدي المسلمين فتفتحها من انصافها الى انصافها كل من الفاتحين العظميين ابو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد . فكان ولاية حلب اليوم من المسلمين العرب والترك والتركان والجركس والاكرد والنصيرية ومن المسيحيين الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك والارمن والارمن الكاثوليك والسريان والسريان الكاثوليك والموارنة والبروتستانت والكلدان واللاتين وفي المدن والبلدان زمر من اليهود . ويرد انساب العرب النازلين في هذه الولاية على الاكثر الى ابراهيم الخليل اما الاتراك فقد حلوا فيها على عهد الخلافة العباسية ونزلها التركان ايام دولة بني مرداس والاكرد على عهد دولة بني ايوب وكثر الاتراك فيها على عهد الدولة السلجوقية التركية وعلى عهد الدولتين التركية والجركسية في مصر وزادت زيادة كبرى على عهد الدولة العلية . قال ابن جبير ان حلب مبنية بالحجر الاصفر الذي لا يوجد في البلاد مثله وهي اوسع الشام بلاداً واطناها اكثافاً ولها المرج الفسيح والبر الممتد حاضره وبادته وبها منازل عربان واتراك وبها جند كثيف وام من طوائف العرب والتركانيين وبلادها متصلة بسبس والروم وديار بكر وبرية العراق ويغلب السخاء والذكاء والمضاء على سكان هذه الولاية على اختلاف طبقاتهم

هذا كلام موجز على اننا اما حيوانها فانك تجد في اطراف الولاية كلها النعم والماعز وتري في بعض اقضية مرعش كثيراً من البقر الحلاب والجاموس وكذلك في اقضية حارم والحرة والباب وجبل سمعان ومنج والرقعة وبكثر الجبل عند عشائر الاكراد في لواء مرعش وفي مدينة حلب جنس من البقر يقال لها الشامي يدر لنا كثيراً وفي اقضية حلب والحرة والباب ومنج والرقعة جنس جيد من الخيول المطهمة والافراس العربية وفي جميع اطراف الولاية تكثر الابقار والثيران والبنال والحبر وفي جبال ييلان (بفراس) والبلاد المجاورة لها وفي جبل باريشا من اعمال حارم

وفي لواء مرعش النمر والدثب والشعلب والدب وابن آوى والخنزير والايال والغزال
والارنب والنمس وكلب الماء وعلى اطراف الفرات تجرد الاسد . ومن الطيور الدجاج
الهندي والبط والسمن والشحرور والحجل والحمام والدجاج ودجاج الماء وابوسعد والنسر
والفلق ومن الحشرات الحية والقرب
جبالها وانهارها وبحيراتها وسواحلها

ام جبال هذه الولاية جبل بركت وهو اعظم شعبة من سلاسل جبال طوروس
Taurus — ومعناه جبل الثور وهو سلسلة مشهورة بآسيا الصغرى وله في العربية
اسماء كثيرة منها دماوند وكورين — التي تنتهي بالبحر الرومي وهو الذي عرفه العرب
بجبل اللككم وجبل سور والثغور القرمانية وهذا الجبل هو الحد الطبيعي بين سورية واورشليم
وبين آسيا الصغرى ولعله هو المعروف بالابواب الشامية *Portes Syriennes*
وهو اسم يطلقه القدماء على مضائق في الجبال الفاصلة بين بلاد الشام وارض كيليكيا
وكيليكيا عبارة عن لواء اطنة اليوم او اذنة فالبلاذ الواقعة شرقي هذا الجبل حتى
الجهة الغربية ويدخل فيها بر الشام تعد من آسيا الصغرى في قمة هذا الجبل قصبة
اسمها ياربوز وفي سفوحه اقضية خاصة واصلاحية وعثمانية وبولانق ويياس وتسمى
كلها لواء جبل بركت من اعمل ولاية اذنة وفي سفح هذا الجبل قضاء اسكندرون
وقضاء ييلان من اعمال حلب وعلى ذلك تعد اقضية ييلان وخاصة واصلاحية وبولانق
من ارض سورية وفي شمالي جبل بركت جبال مرعش وقوزان يفصلها نهر جيحان ويمتد
الى الجنوب حتى يصل الى ييلان والى قمة اكمة معر المشهورة ترتفع ٢٥٠٠ متر عن
سطح البحر وتشهد من نفس حلب ويكون الثلج في قمتها صيفاً وشتاء وطول هذا الجبل
ثلاثون ساعة وعرضه عشر ساعات وسكانه نحو مائة الف نسمة تسعون في المئة منهم
من اهل الاسلام

ويخرج من هذا الجبل الصنوبر والسنديان والعفص والمصطكى والدردار والحور
والصفصاف والداب والارز والعرعر وقزلبق ويوجد التفاح البري والاجاص البري
بكثرة

وان منظر هذا الجبل بما ينحس منه من المياه الفزيرة النفيسة ليحلو جداً من انحاء
حلب واطنة فاذا صعد المرء القمة العليا والتي ينظره الى جهة حلب يرى الخفصة الزمردية
والسهول البديعة ويشهد نهر العاصي والنهر الاسود ونهر عفرين ويمتد النظر بصخور

الجبـال الصـعبة الـتي تـخلـها اشـجار الـزيتون والصنوبر الـتي تـنبـعث من الجـبل الـاعلى وجـبل الـاكـراد وسهول اصـلاحية وبازارجق وحلب وفي ذلك مصـور بدنيـم يصـعب عـلى ابلـغ الكـاتبين والمصـورين وصفه ورسمه واذا عطف الناظر بصره الى ناحية بـاس لا يشـبع من النظر الى اشـجار البرنـقال والليمون في البر القلعة وفي البحر برجتـوراوه ويقسمـه نهر جيـحان واكـمات سبـس وسلسلة جبال طوروس الـواصلة الى قوزان ومنـفرج جزيرة قبرص وهناك الوف من الطيور تشدو بالخانها فتطرب الـاسماع

والمنظر الثافي الماطاغ الذي تزدان به سواحل بحر الروم واودية انطاكية ويفرق بين جبل طوروس وجبل لبنان . وهذا الجبل اسمه الماطاغ يتشعب من سلسلة جبال طوروس بانفراج بيلان عن جبل بركت متصلاً بالجنوب الغربي ويكون معظم ارتفاعه في خليج اسكندرونة ويمتد الى الجهة الغربية الى خط عمودي وتبلغ الى قم هذا الجبل ١٥٠٠ متر واسمه القديم امانوس (اللكام) ^(١) ويقال له الآن الجبل الاحمر (قرل طاغ) وجبال اردو والقصير وموسى وسلمان من جملة شعبه ويفصل بين هذا الجبل وبين لبنان سلسلة منفرجة من الجبال بين طرابلس الشام وطرطوس

وسمى جبل امانوس هذا غلام البراكين وفي سنة ١٢٩٨ رومية ثار بركان صغير بالقرب من فرضة ارسوز . ويقال لجبال اردو الجبل الاقارع واسمه القديم كاسيوس ^(٢)

(١) في تاريخ النهر السديد والجبال المحيطة بسبس جبل اللكام مد البصر طوله مائة ميل والميل من الارض منتهى مد البصر والفرسخ ثلاثة اميال قال ابن شداد جبل اللكام هو جبل الاسود اسمه اللكام في الكتب القديمة تمتد من مرعش على بيلان الى السويدية ويسمونه الآن الجبل الاحمر وهو شمالي غربي انطاكية وبالتركي قرل طاغ ونهر الاسود هو باسم الجبل ايضاً واكن الاسم للنهر واسمه قديماً للآب الملند وهو نهران ملند كبير وملند صغير في طريق السويدية ويسمونه بالتركي قره جاي ولاجل هذا سميت سلوكة السويدية لما غلب عليها اسم النهر والجبل .

(٢) في قاموس الجغرافية القديمة مانعه : قاسيوس Caosius جبل بالشام يسمى عند العرب بالجبل الاقارع وسمي بقاسيوس او كاسيوس وهو قائد روماني ربما كان هو الذي فتح سورية واليهودية واللاذقية وفينيقية وقد سمي بالاقرع تقرباً لاسمه العبراني (حلاق) والمراد به وصف الجبل بكونه اجرد خالياً من النبات ولذلك ترجم بعضهم هذه اللفظة الاقلس غير ان الاقرع غلب

وبالعبرانية جبل حلاق او حلاق . ولقد اودى زلزال سنة ٢٥٠ ق م في انطاكية بشطر من هذا الجبل والتي به في البحر وانبعث منه دخان اسود كثيف وفي هذا الجبل من الاشجار الصنوبر والعفص والمرمر والذلب والقصب والبلوط بكثرة

والجبل الثالث جبل اخور وهو المؤلف من جبال زيتون وسرعش وليس بجسامته كالجبلين السالفين . ومن الجبال الحرية بالذكر جبل نور الحق من اعمال قضاء البستان ولا تخلو قممها من الثلوج صيفاً وشتاء وفي هذا الجبل بحيرة متسعة وبنيت فيه نوع من الزهر العطر الرائحة الجميل المنظر وهناك جبال صغيرة مثل جبل الاكراد من اعمال كليس وجبل قره بيقلي (ذو الشارب الاسود) في قضاء عينتاب وجبل الزاوية وجبل سمعان في قضاء ادلب والجبل الاعلى في قضاء حارم

انهار حلب وبحيراتها

في الولاية الحلبية عدة انهار اولها نهر الفرات ينبع قسم منه من جبل سفي في جوار دياردين من اعمال لواء بايزيد في ولاية ارضروم (كردستان) والقسم الآخر من بحيرة الالاف (ييك كولي) من اعمال الولاية المذكورة فالنهر الذي ينبع من بحيرة الالاف يقال له في تلك الانحاء قره صو (النهر الاسود) ونهر مراد وينضم هذان النهران احدهما الى الآخر في جوار معدن كبان ويسمى هناك الفرات ثم يجري الى محال كثيرة ويمر امام قسبة بيرة جك (البيرة) ويمتاز مسكنة (بالس) والرفة والزور وعانة ويجمع في القرنة بين البصرة وبغداد مع نهر دجلة وبعد ان يتألف منهم ما شط العرب يصب في خليج البصرة فطول نهر الفرات ١٨٠٠ كيلومتر . ويكون عرض الفرات في الشتاء ١٢٠٠ مترا . امام بلدة البيرة وعمقه سبعة امتار والفرات من اكبر انهار آسيا واحد الانهار الاربعة الكبرى . لا جرم ان هذا النهر بالنسبة لجسامته اذا طهر مجراه وعمقه يصلح لسير السفن ولذلك تغتنم الادارة النهرية في بغداد فرصة فيضانه فترسل في الفرات احدى بواخرها الى مدينة مسكنة نقل الركاب والبضائع

وروي المؤرخون ان اودية الفرات كانت على عهد الاشوريين اسب قبل اربعة آلاف سنة تزرع كلها وكانت تقتطع منه نزع واقنية كثيرة حتى كان يجف اقصى بلاد بابل ولا يصل من مائه الى خليج البصرة شي وكان تجار بابل يحملون بضائع الاناضول (الروم) من قفقاسيا في قوارب مملوءة من جلود البقر الى مدينة بابل . والنهر الثاني من انهار هذه الولاية نهر الماسي (Oronte) وارنط الارند) قال الجيتري :

وكم نفست من حمص من متأسف . غدا الموت منها آخذاً بالخنق
وكم قطعت ارض الارند اليهم . كتابت ترجي فيلقاً بعد فيلق
وهو يخرج من عين البوة في جبل لبنان وبعد ان يجري الى حمص وحماة ينضم الى
سهل العمق ويمتاز قصبي انطاكية وجسر الشحر الى ان يبلغ فرضة السويدية فيصب
في البحر الرومي وكان يقال له في القديم الاورنت ثم اطلق عليه النهر الكبير ونهر المقلوب
ونهر الملباس

والنهر الثالث من انهار الولاية الحلبية نهر جيحان ينبع بالقرب من قصبة البستان
ويصب فيه نهر سوهلي (نهر الابن) وخرمن (البيدر) وغيرهما لمعظم جرمه وبعد ان
يمتاز قضاء زيتون وجوار مرعش يجري الى ولاية اطنة ويصب في البحر الابيض وكان
اسمه قديماً بيراموس

والنهر الرابع نهر قره صو (النهر الاسود) ينبس من جبل بركت فيسقي مزارع الارز
المقابلة لهذا الجبل وسهل العمق ويصب في بحيرة العمق . ثم يجمع الى مياه العاصي
ويسميه مؤرخو العرب وجغرافيوهم بالنهر الاسود . والنهر الخامس من انهار هذه
الولاية نهر عفرين وهو يخرج من جبل الاكراد فيجتمع من عدة منابع وينضم اليه
واديه صافي فيصبح نهراً مهاباً وهو ايضا يصب في بحيرة العمق . نهر الاسود ويختلط
بالعاصي

في ولاية حلب ثلاث بحيرات اولها بحيرة العمق في سهل العمق تحيط بها شعاب
من جبال طوروس واما نوس وقسم من صفور الجبل الاعلى وجبل سمعان وطولها ٢٠ ميلاً
في عرض سبعة اميال وماؤها عذب ويقال لها بحيرة انطاكية ويقال لها البحر الابيض
ايضاً يصب اليها من الشمال النهر الاسود ونهر عفرين وقسم من بحيرة يفر المشهورة
بكثرة اسماكها ومن الجنوب نهر بركت ويصب ماؤها بالقرب من الجسر الحديد في
يجري طبيعي الى نهر العاصي . وفي هذه البحيرة البط والاوز وغيرهما من طيور المساء
ويرى الفلاحون والتركمان في اطرافها ابقاراً كثيرة

وتسمى هذه البحيرة بحيرة انطاكية قال ابو الفدا في وصف لبحيرة انطاكية انها
بحيرة بين انطاكية وبين بفراس وبين حارم في ارض مستوية تعرف تلك الارض
بالعمق وهي من معاملة حلب على مسيرة يومين عنها في جهة الغرب ويصب الى هذه
البحيرة ثلاثة انهار تأتي من الشمال فاحدها وهو الشرقي يقال له عفرين والآخر وهو

النري، منها يجري تحت در بساك ويقال له النهر الاسود والآخر في الوسط بين النهرين المذكورين ويقال له نهر (١) يفرا و يفرا قرية على النهر المذكور واهلها نصاري ودور هذه البحيرة نحو مائة يوم ويحيط بها الاقصاب وبها من الطير والسماك قريب بما في بحيرة افامية وتجتمع هذه الانهر الثلاثة اعني النهر الاسود و يفرا وعفرين وتصير نهراً واحداً ويصب في البحيرة من شمالها ويخرج من شمالها نهر واحد ويتصل بنهر الارنط تحت جسر الحديد وفوق انطاكية على نحو ميل منها وهذه البحيرة في شمالي انطاكية اه البحيرة الثانية من بحيرات الولاية بحيرة السمك وهي في سهل السمق ايضاً وكان يقال لها قديماً بحيرة يفرا وهي صغيرة الحجم تضمها الحكومة لمن يصيد سمكها . والبحيرة الثالثة بحيرة المضيقي في قضاء جسر الشغفر وتكثر فيها الاسماك فتضمها الحكومة لمن يلتزمها ويستخرج اسمائها ويقال لهذه البحيرة بحيرة افامية قال ابو الفدا في وصفها انها عدة بطائح تقوت الحصر بين غابات من الاقصاب واعظم تلك البطائح بحيرتان احدهما جنوبية والآخرى شمالية وماؤهما من نهر الارنط يصب هناك من جهة الجنوب فيصير منه تلك البطائح ثم يخرج النهر المذكور عند النهاية الشمالية لهذه البطائح والغابات والبحيرة الجنوبية من البحيرتين هي بحيرة افامية وسعتها بالتقريب نحو نصف فرسخ وقعرها قريب دون قامة الانسان وارضها موحلة لا يقدر الانسان على الوقوف فيها ويحيط بها القصب والصفصاف من كل جانب وفي وسطها جميع قصب وبردي ولذلك لا يكاد ان تنظر العين الى جميعها لان الجعم التي بها تحجب بعضها ويكون بها وبغيرها من البطائح المذكورة من انواع الطير مثل الثناي والغريبات والطيور والاصواع والاوز والطيور التي تأكل الاسماك مثل الجملط والابيضانيات وغير ذلك من طير الماء ما لم يكن مثله في شيء من البحيرات التي بلغنا خبرها وفي ايام الربيع يفتت بهذه البحيرة المذكورة النيلوفر الاصفر حتى يغطي جميعها بحيث لا يتر الماء عن آخره بورقه وزهره وتبقى المراكب سائرة بين ذلك النيلوفر واما البحيرة ثمانية الشمالية فيبينها وبين البحيرة المذكورة غاب قصب وفيه زقاق يخرج فيه المراكب من البحيرة الجنوبية الى الشمالية والبحيرة المذكورة من عمل حصن رزية وتعرف ببحيرة النصاري لان صيادي السمك بها نصاري ولم يوت على الخوازيق في شمالي

(١) بحيرة اليفرا بين انطاكية والشغفر تجتمع اليها مياه العاصي ونهر عفرين والنهر الاسود ويحيطها من ناحية مرعش وتعرف ببجعة السور وهو السمك البحري لكثرة هذا النوع من السمك فيها (يافوت)

البحيرة المذكورة وتكون بقدر بحيرة فامية اربع مرعات ووسط بحيرة النصارى مكشوف وبنبت النيلوفر في طرفيها الجذبى والشمالى وبها من الطير نحو ما تقدم ذكره وبها السمك المعروف بالانكلبس ولشجرة بحيرة افامية وبطائنها اقصرنا على هذا القدر من وصفها وهذه البطائح في الغرب بميلة الى الشمال عن افامية وقرية منها عرضها وطولها مقارب لعرض افامية وطولها اه

موافى حلب ومياها المعدنية وملاحتها .
ان سواحل هذه الولاية عبارة عن جون اسكندرونة وفرضتها المعروفة عند قدماء الجغرافيين بسنيوس واسيوس والمعدودة من اشهر موافى البحر الابيض وفرضة السويديّة المعروفة قديماً بسندلوس وفرضة قاب آو من اعمال اسكندرونة وقره طوران من اعمال جسر الشغفر وثألف هذه الفرض والموافى من الصخور التي تغطها ومن رأس الخنزير المشهور . ومعظم السفن التي تبحر بين سواحل سورية ترمي في ميناء الاسكندرونة اما السويديّة فان بعض المراكب التي ترمي فيها تجارية واكثرها شرعية . اما فرضنا قاب آو وقره طوران فلا ترمي فيها الا المراكب الشرعية

وبالقرب من السويديّة في وسط البحر نبع ماء لذيذ كالقوارة وكانت هذه الفرضة قديماً مبنية بالحجر متينة للغاية فدكها الملك الظاهر بيبرس البندقداري لما رأى من الحاجة الى ذلك لانقاذها من ايدي الصليبيين ايام استيلائهم على انطاكية وجوارها في قضاء جسر الشغفر حمامان معدنيان يتفع ماؤهما في الامراض الجلدية وفي سهل الحمق من اعمال حلب حمة ماء كبريتي تبلغ حرارتها الدرجة الثانية والاربعين وفي قضاء بيرة جك على الفرات حمة اخرى وفي كل من قضاء مرعش وقضاء زيتون حمة ايضا وفي قضاء البستان مياه معدنية اسمها ايجمه نافعة للامراض المختلفة

هذا وصف نفويع الحكومة لحمامات حلب ووصفها ابن شداد في القرن التاسع فقال ان الحمامات التي ينتفع بمائها في اعمال حلب خمسة بالسفنة من اعمال قنسرين ماؤها في غاية الحرارة ينتفعون بها من الباغم والريح والجرب وبأحاجة الحمق اخرى وبكورة جومة من اعمال قنسرين عيون كبريتية تجري الى الحمة والحمة قرية يقال لها خندراس لها بنيان عجيب معقود بالحجارة يأتيها الناس من كل الآفاق فيسبحون بها للعلل التي تصيبهم ولا يدري من أين يجي ماؤها ولا اين يذهب

اما معادن الولاية فانه في جوار حلب من جهة الغرب البجنوبى معدن نحاس ونعلى

عشرين ساعة من شرقي حلب في جبل اسمه ابوفياض غم حجرى وفي جوار حلب معدن رخام اصفر وفي قضاء حارم معدن زجاج وفي ناحية ارسوز من اعمال اسكندرونة معدن يتروى وفي ذلك الاصقاع اعمال انطاكية معدن اميانت وبوراسيت ورصاص وانثون وكروم وفي جوار قرية دير الجبل من اعمال كليس معدن كيل جسيم تلزمه الحكومة لمن يريد وفي جبل مار يشا من اعمال حارم معدن رخام اصفر وفي قرية جاربين من اعمال عينتاب معدن رخام احمر وفي جبال مرعش مناجم ذهب وقضة وحديد ورخام اصفر ورخام اسود وفي قضاء زيتون معدنا حديد.

وفي ولاية حلب ملاحه واحدة وهي ملححة الجبول شرقي حلب من جهة البادية وهي عبارة عن عدة ملاحات واعظمها ما كان في جوار قرية جبول على شكل مخروطي عظيم لا تطاف اطرافها في اقل من ثمانى عشرة ساعة بمحمد اوزها في ابار الى تشرين الثاني فيكون في هذه الفترة ملحا تبعمه الحكومة كما يبيع الملح من ملاحه جبرود وملاحه حماه وملاحه الجليل وملاحه قوج حصار من اعمال ولاية قونية وغيرها من الملاحات في السلطنة وفي جنوبي هذه الملاحه جبل اسمه جبل الخاص ومن ورائه الى البادية صبع ملاحات واسمها الحمرا وخراجه وحيثا وزرقه ورملة ودرهم ومراغة يبعد بعضها عن بعض من اربع الى ست ساعات وتجمد في آن واحد وملحها كله جيد طيب ايض قوي نظيف وفي لئاذته من اجل ملح البلاد الثمانية

اقضية حلب وعمرانها

حلب ثلاثة عشر قضاء هي من عملها مباشرة وهي : قضاء عينتاب ام اقضية حلب يبعد عنها من شمالها ٢٤ ساعة . ولم تكن عينتاب مشهورة بهذا الاسم حتى على عهد الصليبيين بل كانت مدينة دلوک وهي من عينتاب على مسافة ساعة وقد نقل مركز الحكومة من دلوک الى عينتاب في سنة ٨٠٠ كما فهم من سجلات المحکمة الشرعية هناك ومن هذا العهد ابتدأت شهرة عينتاب وهي اليوم بجسامتها وعمرانها تعد من المدن الثانية في هذه الولاية .

وكان في قضاء عينتاب بموجب احصاء الحكومة منذ اربع سنين ١٢٥٣١ داراً و ٤٨٥١ دكاناً و ٢٢٠ مسجداً و ٢٥ مدرسة و ١٠ تكايا و ٣ مستشفيات و ٦٠ فوناً و ١٦ اديانة و ٤ دوركيب و ٢٩١٤ نولاً لصنع الالاجه والافشنة والعبآت والبسط وفيه ٣٥٢٦٠٠ ذرهم من الاتياب المزودة و ١٢٧٠٠٠ ذرهم من الاراضي غير المزروعة وكان القضاء

٨٩٩٩٤ نسمة والقضاء ثمانى نواح وهي : اورل . رشي . قزلهصار . تل بشار . هنزل . جاريين . جكده . قزيق وفيها ٢٠٧ قرى

وفي الشرق الجنوبي من عينتاب على نحو ست ساعات منها خرائب تل بشار وتل خالد المشهورة في زمن الصليبيين وفي الغرب الجنوبي منها على مسافة ثلاث ساعات خرابة قلعة برج الرصاص . وعلى ثلاث ساعات من شرقي عينتاب ينبع من مزرعة رأس الساجور نهر الـ اجور المشهور فيسقي عينتاب وبعض اراضيها ثم يجري الى قضاءي الباب ومنج يسقي بعض زروعها ويسب في الفرات

وبكثر في قضاء عينتاب الفستق والعنب والتين والزيتون وتنع فيها بسط وسجادات متينة جميلة وشغل الـ ابرة وفوط الحمام والبيات والجلد المدبوغ والاواني النحاسية والكرامي والمقاعد الخشبية وغيرها ومنه مايسافر الى اميركا واوروبا ومنه الى مصر والناضول والاسكندرية ولها تجارة واسعة مع حلب واورفة ومرعش واسكندرونه .
قضاء كليس - هي في الجهة الشمالية من حلب على مسافة ١٢ ساعة منها وفي القضاء ٤٧٢١ داراً و ١٩٥٥ دكاناً و ٣٧ جامعاً و ١٤ مسجداً و ٢٤ نكية و ٢٨ مدرسة و خزانة كتب واحدة و ٧٤ معصرة زيت و ٥٠ خاناً و ٣١ قرناً وفيه ٢٢٧٢٧٠٠ دونمات من الاراضي يزرع فيها الارز والقطن وسائر الحبوب والفواكه وتكثر في هذا القضاء الكروم والبساتين وزيت زيتونها يرجع على ما يخرج من جميع البلاد العثمانية وسكان القضاء ٧٢٢٠٦ فيه تسع نواح هي ترككان . فلاح . دنج . موبسكلي . شقاني . عميكي . اوقجي عز الدين . الشيوخ . جوم و ٤٦٩ قرية بحيث يجدر ان يكون ولاية قائمة برأسها لا قضاء صغيراً ملحقاً بالولاية

لا يعلم تاريخ بناء مدينة كليس وغاية ما عرف انها كانت موجودة سنة ٤٩١ هـ يوم قدم الصليبيين الى هذه البلاد ومعروفة باسم كالجيس وكانت تابعة لمدينة عزاز فلما اخرج هذه ثيورك اخذ بعض اهلها بهاجرون الى كليس فبدأت اكبر كما يشاهد من طرز ابنتها ومعاهدها .

وفي هذا القضاء قلعة عزاز وراوند المشهورتان على عهد الصليبيين وفي ناحية جوم خرائب مدينة جنديرس في مزرعة صغيرة وفي ناحية العزبة خرائب قلعتي جم جمه وخروز . ومرج دابق المشهور بالمركتين العظيمتين اللتين وقتنا فيه هوابضاً من اعمال كليس بين هذه ومدينة حلب على اربع ساعات من الاولى وست من الثانية وهاتان

الوقت كانت اولها سنة ٨٠٣ هـ بين تيمورلنك والملك الظاهر برفوق ملك مصر في دولة الجراكسة وكان عسكر تيمورلنك قتل خمسمائة الف جندي ومثله عدد السكاكر المصرية فاندحر برفوق وفر لابلوي علي شي^٠ والوقعة الثانية كانت سنة ٩٢٢ بين السلطان سليم العثماني والسلطان الفردي صاحب مصر والشام التي انتهت بفتح الدولة العثمانية لبلاد الشام ومصر

قضاء اسكندرونة — هو علي ١٠٥ كيلومترات من الغرب الشمالي عن حلب او علي ٢٤ ساعة واسكندرونة كانت من ام سواحل سورية بتجارها قبل فتح ترعة السويس لانها ميناء ولا يني حلب وديار بكر والمفخذ الطبيعي للعراق الى البحر الابيض وفي قضائها ٢٥٥٥٠ دونما من الارض وفي المركز ١١٩٩ داراً و ٤٤٦ دكاناً ومعامل لعرق السويس وجامعان و ٥ كنائس واديار ومدرسة ودار كتب و ٦ كتائب وفي القضاء ٢٤ قرية وناحية واحدة اسمها ارسوز وسكانه ١٩٣ ٦ انفس

ويقال ان الاسكندرونة هي مدينة ميرباندروس الفينيقية والمغرب الاسكندر المقدوني دارا ملك الفرس في اباس سمي اسكندرونة باسم الكساندرا واراد الاسكندر ان يشير الي غلبته هذه فامر ببناء الاسكندرونة الحالية سنة ٩٥٥ قبل الاسلام واصيبت المدينة بزلازل شديدة سنة ١٢٣٨ هـ جعلت عاليها سافلها ثم تراجع اليها عمرائها مع الزمن وفي هذا القضاء ميناء اريسوس المشهورة في زمن الرومانيين ويقال لها اليوم ارسوز وكان يقال قديماً خليج الاسكندرونة سنيوس اسبكوس باللغة اللاتينية واكبر دليل علي ترقى الاسكندرونة بتجفيف بعض بطائعها التي كانت تضر بصحة سكانها ويكثر في ارضها اتيون والبرغال وقد رسا في مينائها مدة سنة ٦٠٠ سفينة وبخرة محمولها اربعمائة الف طن وكانت قيمة ما درها وواردها ٣٠٢٩٦٠٧٢٤ ايرة عثمانية

قضاء انطاكية — مدينة انطاكية غربي حلب وهي منها علي مئة كيلومتر او اربع عشرة ساعة وفيها ١٣٥ مسجداً وجامعاً وزاوية وكنيسة و ٣٠ مدرسته و دور كتب و ١٥ كنيسة وبهمة و ١٨ مكتبة للمسلمين والميرم وفي القضاء كله ١٠٢٨١ داراً و ٢٥٥٣ دكاناً و ٣٣٠ مخزناً و ٢٤ خاناً و ١٢٣ طاحوناً و ١٥٠٠٠ صابون و ٣٠٠٠٠٠ ممل حبيب و ٥٠٠ ممل زيت و ١٦٠٢ اذار ومستودع و ٣١١٠ كروم و ٢٥٥٠ حديقة و ٤٩٠٥٢١ حقل وفيه اربع نواح وهي قصير . سويد . قره مورطه حربية . وعدد قراه ١٧٣ وسكانه ٧٨٧٠١

بنى انطاكية سالوقس نيكاتور اكبر قواد الاسكندر المقدوني على اسم ابيه انطيوخوس قبل الهجرة بـ ٨٨٢ سنة واصبحت عاصمة المملكة السلوقية بعد وفاة هذا الفاتح وما برحت في ازدهار وعمران حتى بلغ سكانها سبعمائة الف واستولى عليها سنة ٧٢٣ قبل الهجرة يوناتان اليهودي فقتل في يوم واحد مئة الف نسمة فيما يقال وقد وقعت فيها سنة ٥٢٦ م زلازل هائلة هلك بها ربع مليون من البشر ثم عاودتها الزلازل والحرائق في اوقات مختلفة حتى بلغ عددها نحو عشرين زلزالاً وحريقاً ومثل ذلك من الحروب الطاحنة غربت انطاكية ولم يبق من عظمتها التاريخية سوى بعض جدران قلعتها القديمة والظاهر من هيئة الجسر الممتد على العاصي انه من ابنية السلوقيين ومن يدخل انطاكية يذكر ما كان فيها من القصور والدور والمعابد والمياكل اليونانية والحمامات الجسيمة والاقنية ودور التمثيل لا يلبث ان يذرف دموع الاسى على بلد انفتحت العاهات السماوية والارضية على تخريبه ولقد قالوا ان التمثيل ارتقى فيها حتى كانت تحجب الممثلين من صور وببروت وانغذين من بعلبك ولا عجب فقد كانت في عصر الرومان ثالث هواصمهم بعد رومية والاسكندرية

راجت العلوم في هذه العاصمة ونفتت اسواق الصناعات ولا سبغ علم الفلك والالهيات ولا تزال الى اليوم على ضعفها تحتوي على شيء من المصنوعات وزراعتها وحدائقها تفل كشمراً وبناء السويدية عنها على ست ساعات وهي فرصة خربة اليوم لا تطرقها السفن الا نادراً وكانت تعد من اهم مرافئ سورية واول فرصة منها عكا ثم صور وطرابلس والسويدية وعلى ساعة من انطاكية مدينة دفنة القديمة ويقال لها اليوم بيت الماء وكانت مئزها لانطاكية على عهد سالوقس نيكاتور وقد بنيت دفنة قبل انطاكية وكان فيها الشوارع المتسعة ودور التمثيل المهمة وفيها هيكل ابولون وغیره من المياكل وابولون هورب الصناعات والآداب والطب والشمس في اعتقاد قدماء اليونانيين وقد بقي هذا الهيكل ١١٨٨ سنة وعلى مقربة من دفنة كان ملعب الالعاب الاولمبية وقد خربت دفنة برمتها سنة ٥٢٦ م بالزلزال ولم يبق منها اليوم سوى مناظرها الطبيعية المدهشة فقط

وعلى ستة اميال من السويدية من غربيها على سفح جبل موسى مدينة سلوقية القديمة ويقول بعض المؤرخين ان سلوقية كانت من مدن الفينيقيين ويقال لها ايليا هيريا وفي رواية ان سالوقس نيكاتور بناها على اسمه وغدت بعد ميناء انطاكية وكان اسمها يياريا وهو من اسماء الجبل الاقارع واذا كان تسع مدن تعرف بسلوقية في ذاك العصر اضافوا

اسم الجبل الى هذه تمييزاً لما عن غيرها . وفي رواية اخرى ان القيصر طيبار يوس جدد سلوقية وفي قول آخر انه انشأها انشاء وقد خربت سلوقية في زلازل سنة ٥٢٦-٥٢٨ . ولما استولى عليها المسلمون لم يكن فيها غير الامم لا الزعم وسميت هذه الميناء ميناء مار سمعان في القرن السادس للهجرة ايام جاء الصليبيون الى هذه الديار ومالاً هم الارمن ونصارى انطاكية وغيرها وخدموا جيوش الصليبيين واتحدوا واباهم على المسلمين كما كان اللبنانيون ولا سيما اهل كسروان ادلاء الصليبيين يدلونهم على عورات اهل البلاد الاصليين

قضاء ادلب - قضاء ادلب في غربي حلب يبعد عنها اثني عشرة ساعة وفي القصة ٣٧٠ سجداً وجامعاً ٣ مدارس و ٣ دور كتب و ١٥ تكية وزاوية وكنيسة و ١٧ كتاباً و ١٠ حمامات و ٩٥٩ دكاناً و ١٢ خاناً و ٥٦ معصرة و ٢١٥٧ داراً ونفوسها ١٣٢٣٠ و على ساعتين من ادلب مدينة ربحا وفيها ٦ جوامع ومساجد ومدرستان وثلاث تكايا وزوايا ومكتبة و ١٤ كتاباً وثلاثة حمامات و ٢٠٠ دكان و ١٥ معصرة زيت و ٨٨٢ داراً و ٤٨٦٨ . واشتهرت ربحا بجودة هوائها وهي في سفوح جبلي الزاوية والاربعين وفي ظاهر ربحا عدة ابنية قديمة وعلى ثلاث ساعات منها خرابة البارة تكون في جسامتها بقدر مدينة حلب وفيها رسوم هياكل واثار قديمة وخرائب قلعة وفيها من احجار البناء ما يبلغ طوله المترين والثلاثة وعرضه ٧٥ سنتيمتراً زيرت عليها حروف يونانية وقد اشتهرت قلعتها زمان الصليبيين وقاومت صدماتهم . وفي جنوبي البارة على مسافة ساعة مزرعة اسمها السرجية فيها اثار فخمة قديمة يحيط باطرافها بناء شاهق يسمى الحمام زين سطحه بحصا في حجم البندقية ورسمت فيه صور بعض الحيوانات والاسماك فكانت من اجمل المناظر

واشتهرت ايضاً على عهد الصليبيين قرية زردنا وهي من عمل هذا القضاء . وفي ناحية ربحا خرائب رويحة وفيها ايضاً كثير من العاديات والمصانع ومن عملها ايضاً قرية اسمها المذرة فيها مغارات واحجار بديعة وقد زيرت صور حيوانات وغيرها في مدخل المغارات ونقشت انواع النقش البديع . ومعرفة مصرين ومن اعمال ادلب على ساعتين منها وفيها ١٤ مسجداً وجامعاً ومدرسة واحدة و ١٥ كتاباً و ٣ حمامات و ٢٠١ دكان و ٧ خانات و ٥٧٣ داراً و ٣٢٦١ نسمة من السكان وعلى ساعتين من ادلب مرمين وهي مدينة مشهورة خربت اليوم وفيها ٨ جوامع ومساجد و ٣ تكايا و ٦ كتابات و ٧٥ دكاناً

٥ معاصرو ٣٦٧ داراً و ٢٠٥٤ نفساً . وفي جوار مرمين على ١١ ساعة من حلب
قصة من بركة بنش وفيها ١٢ جامعاً ومسجداً ٢٥ دكاناً و ٤٦٥ داراً و ٢٧٢٢ نسمة
وفي ناحية اريحا في سهل الراج ينبع نهر من محل اسمه عرى في سفح جبل البالعة
يفيض بعضه ويركد ماء الآخر فتألف منه بطائح ولا يستفاد منه في ارواء الاراضي
ولا في غير ذلك وهناك بحيرة صفراء فيها علق واراضي القضا ١٢٦٠٠٠ دوم يزرع
زهاء اربعة اخماسها وهي منبثة للغاية جيدة الهواء وفواكهها ويقولها عذي تروى بماء السماء
فقط وام محصولاتها الزيتون وبقدر محصوله سنوياً بثلاثة ارباع المليون لبنة وزراعة
القطن ترتقي هناك سنة عن سنة وتخرج ادلب الصابون والحصر الرفيعة اللطيفة وفي
القضا كله ١١٧ قرية عامرة سكانها ٥٠١٨٥ نسمة

قضا حارم — مركز هذا القضا في قصة كفر تخاريم في الجهة القريبة من حلب
وعلى ست عشرة ساعة منها وفي القصة جامع ومسجد وتكية و ٤ كتابيب للذكور و ٣
الاناث و ٦٧٢ داراً و ١٠٦ دكاكين و ١٣ معصرة و ٣١٩٦ نسمة . وبلدة حارم على
ساعتين ونصف من مركز القضا وفيها جامع ومسجد وسكانها ١٠١٠ وعلى نصف ساعة
من المركز بلدة ارمناز وفيها ممل واحد للزجاج والقرناز و ٥ جوامع ومساجد و ١٠
معاصر زيت و ٣ مدايح ونفوسها ٣٠٦٨ وعلى نصف ساعة من مركز الحكومة ايضاً قصة
سلقين ونفوسها ٢١٧٤ وتقدر اراضي القضا المزروعة وغير المزروعة ب ٦٦١٠٩٩ دوماً
ونفوسه ب ٢٧٤٨٢ وقراه ب ١٧٢ قرية وفيه ناحية ياربا وناحية الريحانية وفي ناحية
الريحانية — وهي ٧٧ قرية ومزرعة واهلها عشائر من الاتراك والتاتار والجراس كسة على
طريق اسكندرون — حمام معدني في محل اسمه عمر اغاوا ثار الطريق المعروف بالرصاص
الذي كان يمتد قديماً من فرضة السويدية الى الموصل وفي هذه الناحية ينبع نهر عفرين
وفي ناحية باريشا ٣٦ قرية عربية كلها وفيها ثلاث قرى كبرى فيها المرافق اللازمة للندن
وهي ترماتين ودانا وقورقينا وفي دانا وجوار باريشا معابد قديمة وخرائب محازن فخمة
ومصانع مهمة . وفي ناحية حارم ٦٧ قرية منها من يحكم بالعربية ومنها بالتركية وفي هذه
الناحية جبل الاعلى وجميع سكانه من عشائر الدروز . وفي هذا القضا خمسة اعين
غريبة وهي عين الجديدة وبكي شهر وعين الجوز وعين عبدة وحارم كلها تجري الى نهر
عفرين ويختلط هذا بالعاصي ولا سيما ايام الشتاء

ويقسم من الكتابات المزبورة على قلاع حارم وارناح وسمردا والحسن انها من

بناء سلوكس ربحها الملك الظاهر، وقد اشتهرت من بين هذه القلاع في الاكثر على عهد الصليبيين قلعة ارتاح وكانت على عهد الفتح الالامى مدينة عظمى واشتهرت بتزيين من اعمال هذا القضاء على العهد المصري فكان لها شأن وفيها اسواق وجوامع . واكثر الحبوب نبت في هذا القضاء ومن غلاته القطن والزيتون والافيون

قضاء بيلان — مركز هذا القضاء على ٣٤ كيلومتراً من شرقي جنوبي اسكندرونة وفي الغرب الشمالي من حلب على ٢٧ ساعة منها وهي بين جبل بفراس وجبل طوزوس سكانها ٥٠٤٠ وهي مبنورة بدبسها ومصيرها (صوجقها) وفيها مساجد وجوامع وتكية ومدرسة ٧ مكاتب وكنيسة للارمن و٦٧ داراً و١٣٠ دكاناً و٧ دباغات وتعرف عند العرب بمضيق بفراس وباب اسكندرونة وهي في منتصف مضيق « طوب » المحدث ثلاث ساعات مطلة على سهل العمق من الشرق وعلى ميناء اسكندرونة من الغرب وهي على طريق القاصد من حلب الى الاسكندرونة ويمر بخمس اوست ولايات محاطة بالا حجار ذات مكانة حربية مهمة وقد اقام فيها السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٠ — ٩٥٠ نفراً من الحراس وسماء دربند جبل بفراس واسكندرونة وانشأ فيها جامعاً وحماماً وخاناً وبعد بضع سنين امر هذا السلطان بترك القصبه وعلى مسيرة ساعة من جهاتها الاربع معية من العشرة على ان تهق رقبها ليلت المال فهاجر اليها أناس فسميت مزرعة عين التل وزيد في عدد المهاجرين اليها سنة ١١٨٣ على عهد السلطان مصطفى الثالث وسنة ١٢١٧ صدر الامر العالي بترك اسم مزرعة عين التل وايداله ببيلان ومعنى بيلان طريق بين جبلين شاهقين والالف والنون اداة التثنية بالربية فصار الاصل تركياً والتركيب هريباً وفي هذا الاسم مطابقة للواقع والموقع .

واصبحت بيلان بزلزالين شديدين سنة ١٢٨٠ و ١٢٨٨ هـ فانحطت وقد بدأت بالنهوض منذ زهاء ثلاثين سنة . وفي مضيق بفراس في محل اسمه ضار قسطلي انقاض سد عظيم يعرف باب الباشا بابيه سيف عرش حشرة اذرع . وفي هذا القضاء قصبه بفراس وقلعتها اشتهرت في زمن الامويين بعمرانها ولطافتها وكذلك في عهد العليانيين . ومدينة دريساك القديمة كانت في هذا القضاء وهي الى الشمال من بفراس على مسافة مرحلة منها وربما كانت دريساك هذه في جوار جسر مراد باشا وفي القضاء خرائب بلدة كوندوزلي وفيه ٥٠ قرية و ١٢١٥١ نسمة

قضاء المعرة — هو على ٨٤ كيلومتراً من جنوبي حلب، او على ١٠٨ ساعة منها وسي

القصبة ٤١ مسجدًا وجامعًا و ٣ تكايا وزوايا و ٥ مدارس وخزائن كتب و ٣٥٤٩ داراً و ٤٤٢ وكاناً و ٤٣ طاحوناً . وفي القضاء كله ٤٢ ضررعة (جفتلك او ابعدية) و ٢٧ حديقة و ٣٥٦١ كرماً و ١٧٣١٢ حقلاً و ٢٥٩٧٨ عقاراً و ١١٠٢٧٩٩ دونماً من الاراضي البائرة والصالحة وتكثر فيه الحيوانات لذلك تكثر السموم والادهان والجبن والالبان كما انه يخرج منه الخروع . وكانت المعرة معروفة على عهد الرومان واسمها خالس وقد خربت قلعتها سنة ٣٩٠ هـ بإيدي القرامطة الباطنية وجرت فيها بين عماد الدين زنكي والصليبيين عدة وقائع فقدت معها المعرة عمرانها القديم . وفي قضاء المعرة محل كفر طاب الوارد في التوراة باسم كفر طوب و ينزل في هذا القضاء عشائر الموالي والحديدي وبني خالد الجسيمة وبتوفرون على تربية الماشية وبيعونها ونواتجها في حماة وحلب واللاذقية وبيروت وولاية سورية . وليس في المعرة من الفسق اليوم ما قاله ابن بطوطة فيها وتضمن في بعض قرى القضاء المبات والافقة وفيه ١٦٧ قرية سكنها ١٨١٨٨ وعدد عشيرة الوالي ٣٨٠٠ والموالي ٣٠٠٠ وبني خالد ١٥٠٠

قضاء الباب - هو شرقي حلب على ٣٧ كيلومتراً او اربع ساعات في المركبة ومشهورة من القديم بباب بزاغة وفيه ١٥ جامعاً ومسجداً و ٦ كتابت و ٤٦٩٨ داراً و ٢٩١٠ دكاكين و ٣٠ خاناً و ١٩ طاحوناً و ٧ معاصر وعلى نصف ساعة من الباب قصبة تاذف وفيها ٥٢ من اليهود ومعبد قديم بني بالحجارة الغليظة ويقال انها مدينة صوبا المذكورة في التوراة ويقول ابن حوقل ان مدينة صوبا في جوار الفرات تسمى « كعب »

واشتهرت بزاغة وهي على نصف ساعة من الباب ايضاً زمن الحروب الصليبية وهي في وادي بطنان المشهور وفيها ينابيع كثيرة وخرج من بزاغة كثير من الادباء . وعلى ١٥ دقيقة من شمالي الباب محل قلعة تل بطنان القديمة وكانت خربها الرومانيون ويسقي بعض هذا القضاء نهر القعب ويعمل فيها البسط وفراء جلد الخرفان وفيه ١٩٨ قرية وناحية واحدة اسمها ايلبكلوا وسكان القضاء ٢٦٨١٦ وتنزل فيه خمس عشرة عشيرة رحالة عدد نفوسها ١٥٠٤٥ وهي الفردون ، شمر ، ابو خميس ، ابو حمد ، بنوزيد ، كيار ، بكاره ، جارين ، مجازمة ، دمالحة ، نعم ، ابو بطوش ، غنام ، بنو صعب ، ابو ضاهر

قضاء جسر الشفر - هو على مئة كيلومتر من حلب في الغرب الجنوبي او على مسافة ٢١ ساعة على ضفة نهر العاصي يحده القصبة من الغرب لواء اللاذقية وقضاء صهيون ومن الجنوب حماة والمعرة وادلب ومن الشمال حارم وانطاكية وفي القضاء ٢٠ مكتبة ابتدائية

اسلامياً و٦ مكاتب غير اسلامية و١٤ جسراً على العاصي وفي المركز ٢٢٥ دكاناً و٦١٩ داراً و١٠ مطاحن

وقد كانت قصبة جسر الشحر قبل اربع مائة سنة عبارة عن ١٥ كوخاً من اغصان النجر فأنشأ فيها محمد باشا كوريلي المشهور جامعاً وخطاً وحماماً واصبحت تنشأ فيها الدور والمساكن بعد فؤاد عمرائها

وفي هذه القصبة تعمل بحجوف الخليل من القطن والحرامات وستور الموائد وفي ناحية اردو من جهة الشرق على حدود اللاذقية بعض غابات ويخرج منها معدن كروم والعاصي يسقي ناحية الغاب ويحتاز ناحية دركوش آخذاً الى انطاكية حيث يصب في البحر الرومي فتجد على اطرافه الحدائق والمطاحن .

ويخرج في هذا القضاء نهر اسمه البر الابيض لذيد الطم خفيف على المعد ينبع من ناحية اردو بالقرب من قريتي قندون ولفشون ويحتاز قريتي زورف وشحر القديمتين و يصب في العاصي على بعد نصف ساعة من مركز القضاء

وفي هذا القضاء قرية شحر القديمة وفيها قلعة خربة وفي الحبل المسعى بقلعة المضيق خرائب مدينة افاميا من بناء سلوقس وقد كان اتخذها معسكراً له وانشأ فيها مدرسة لتعليم الفرسان وجعل في المرعى الكائن في رأس المدينة عشرين الف حصان مدربة للحرب وثلثمائة رأس جاموس .

وتعمل في هذه القلعة جواليق وخيام من الشعر وفي القضاء ماء معدني نافع اسمه حمام لاشيخ عيسى يقصده المرضى في شهري نيسان وايار وفي شهور الخريف للاغتسال بهاءه . ويصاد سمك كثير من نهر العاصي في جهة الغاب ومن بحيرة المضيق وداليان تبعتها ادارة الديون العمومية بمئة وخمسين الف قرش سنوياً ويحمل ممكها الى حماة وحلب واسكندرونة واللاذقية وبيروت، وتبلغ اراضي القضاء ٤١٠٠٠٠ دونم وكسراً وفيه اربع نواح وهي قلعة المضيق وبداما ودركوش واردو وعدد قراه ١٦٩ ونفوسه ٢٧٩٠١

قضاء جبل سمعان — هو على قيد غلوة من حلب ومركزه سيف نفس حلب وهو ١١٣ قرية سكانها ٢٥٠٠١ نسمة وفيه ١٨٣ جامعاً ومسجداً وتكيتان و٢٠ مدرسة ابتدائية و٤٢٨٣ داراً و٣٢ دكاناً و١٨ خناً و٢٦٢ كرماً و١٠٤ حدائق و٥٢٦٧٥ حقلاً و٧٨٠٦٧ دونماً مزروعة وغنم مزروع واهل القضاء مسلمون كلهم وفيه من الآثار

القديمة خرائب سمعان وخان طومان وارحاب والحاضر واثارب يقصدها صياح الافرنج للزيارة . وفي قرية دارة العزي بالقرب من خرابة سمعان وهي مرتفعة جداً جيدة الهواء يصعد الى ذروة جبله في ساعتين وفي هذا القضاء انواع البقول والحبوب تأخذ منها حلب حاجياتها كما تأخذ دمشق من غوطتها ويحجاز نهر قويق هذا القضاء وتعمل فيه بعض الانسجة

قضاء منبج - في الشرق الشمالي من حلب قصة منبج على مسافة ١١٠ كيلومترات او ٢٠ ساعة والطريق اليها في مستوى من الارض يجتاز المسافر من حلب الى الباب ومنها الى منبج على طريق اورفة وهي مشرفة على البادية وفي قضائها ٤٥٠ قرية ويقرب من نصفها من الاراضي الاميرية كانت للسلطان المملوك وسكانها ٦٩٥٠ نسمة من الزراع و ١٢٠٠٠ من سكان البوادي واسم عشائرم ابرز ، كيار ، ابو خيس ، هلب ، غناطسة ، تويجات ، ابو غيث واكثر اهالي القصة من مهاجري الجركس وفيها قلعة قديمة وجامعان وتكية واحدة ومكتبتان ابتدائيتان وخمسة كتابت و ٣١٠ دور و ٦٠ دكاناً وعلى ثلاث ساعات من شمالي القصة يجري نهر الساجور الذي يصب في الفرات ويسقي اهالي الجوار بمائه زروعهم الصيفية وتحدث عنه منافع حمة منها تدوير بعض المطاحن . وطول قضاء منبج من اول نهر الساجور الى حدود لواء حماة والصقع الممور هو ناحيته الشمالية اما انحاء جبل الخالص فزراعتها محدودة واراضي القضاء مستوية لا شأن للجبال التي تجتازها الا ما كان من بعض الروابي والاسكام في جهات حمر وكان الخراب ولم يزل كثيراً في اراضيها فاخذ الاهل ان يزعمون اكثر مايجرد من التلات ويتفرون على تربية الثين والعنب

منبج من المدن القديمة في سورية كانت تسمى هيرا بوليس فقها ابو عبيدة بن الجراح بعد فتح حلب وانطاكية صلحاً والظاهر من عاداتها ان جميع اماكنها كانت قبل ان يقيمها الخراب متظمة للغاية وقائمة على عمد مثقوشة مزينة وفي هذه القصة وجوارها نحواربعة آلاف بئر ترواح منها المياه بالدلاء لسقيا المزروعات وفي جوار الفهبة على عشر دقائق منها بئر جبل اسمه قصر البسات وبفهم من بقاياها انه كان مصيفاً بهيجاً ولعله كان قصر احد الملوك والامراء

كانت منبج معمورة للغاية على عهد الدولتين العباسية والايوية فخر بها نيموراك سنة ٨٠٤ وبقيت منذ ذلك العهد خراباً وفي سنة ١٢٩٥ نزلها مهاجرو الجركس وبقيت

لم فيها الدور والمساكن وتوفروا على عمرائها. ولا تزال الى اليوم آثار الجداول التي حفرها القدماء من الفرات الى القصبه تحت الارض مائلة. ومن اعمال القضاء خرائب بالس المعروفة اليوم بمسكنه وخرائب قلعة النجم التي كانت مشهورة على عهد الفتح الاسلامي والدولة الانابكية ومدينة خاضرة وكانت هذه العاصمة الثانية التي ينزلها عمر بن عبد المزيذ الاموي رضي الله عنه قضاء الرقة - الرنة شرقي حلب تبعد عنها ٢٢٠ كيلومتراً او ٤٠ ساعة وهي على الساحل الشرقي من الفرات وفي مركزها ٢٢٨ منزلاً و ١٤٥٠ دكاناً وفي قضائها ٥٦ قرية و ٢٧ منزرعة جميع سكانها بادية رحالة واذا اعتبرنا عدد خيامهم كانوا عبارة عن ٢١٦٤ داراً وارضيتهم ١٢٢٩٥ دونماً عاصرة و ٢٩٤٠٠٠ دونم غاصرة

ومدينة الرقة قديمة جداً انشأها الاسكندر الكبير وسماها نيكفور يون وكانت مشهورة في سالف الاحقاب باسم البيضاء والرفعة افتتحها سعد بن وقاص سنة ١٧ للهجرة صلحاً على يد عياض بن غنم فاتح الجزيرة

وعلى مسافة ساعتين ونصف مقابل مدينة الرقة من جهة الشامية في سفح الجبل كانت وقعة صفين بين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن ابي سفيان فقتل فيها من المسلمين والصحابة جمهور عظيم

وكانت الرقة مركز ديار مفروهي قسم مهم من الجزيرة وعلى مقربة من الرقة غربي الفرات كان مصيف هشام بن عبد الملك الذي يسمى الرقة ابضاً ولا تزال خرائبه باقية وقد انشأ فيها هارون الرشيد معسكراً لموقعها من الثغور الاسلامية كما انشأ فيها مرصداً فلكتياً . وفي الرقة قاس بنو شاذكر الجغرافيون الفلكيون طول العالم وعرضه . وفي قلعة جبر من اعمال الرقة دفن السلطان سليمان شاه العثماني

ولا يزال اهالي قضاء الرقة بادية لم تسجل نفوسهم ويقدرون بنحو ثلاثين الفا وعشائر القضاء يتوفرون على الضرع اكثر من الزرع ولوارادوا الاستفادوا كثيراً من مياه نهر بليخ في زروعهم وهو ينبع من قضاء حران ويمر شرقي الرقة على نحو ساعتين منها ويصب في الفرات . هذه نبذة من اقصية حلب وعمرائها بقي الكلام على لواء ادرقة ومرعش ولما كان اكثرها في الجهة الشرقية من سورية كان بعضها يحسب من بلاد الروم والاخر من بلاد الاكراد فمدينة البيرة (بيرة جك) على ١٣٥ كيلومتراً من حلب هي على الفرات وما ندري ان كانت تحسب من سورية ام لا وكذلك قلعة الروم (روم قلعة) على ساحل الفرات

في القطار

من بيروت الى زحلة

يمشي به الدافعان الشوق والامل
يرسو اذا شاء طوراً ثم ينتقل
يجري على عجل يجري بها الامل
ولا يؤخره في سيرة جبل
الا وقد جازها في الغرب تغسل
ما حط الا ومن ارتاله زحل
كان لطم الحيا في وجهه قبل
بتنا وكل بصبياء اللقا نمل
منها وقد سهرت طول الدجى المقل
عند الضحى لم يزل في جفنها ثقل
الا وجفن الضحى بالثور مكتمل
رائنا كن قطعت في وجهه السبل
وتارة ثقتي من دربه قلل
حشاشة الارض لا يلوي به الوجمل
يشكو ويكي وما في جسمه عل
حسبتها طغيات الجن تقتل
يرده قتل في الطرف لا كلل
فلا ترى الارض الا عند ما يصل
بحراً يركب كل بحر عنده وشل
مثل الحلبي اذا ازدانت بها الحلل
كالجد يدبر من قدومه الكسل
كاننا في سفين مالهما عجل
كالنيد خف اليها فارس بطل

وناقلي حيث يحلوفي الموى النقل
كانه جبل يمشي على جبل
كانه عند ما يجري على عجل
كالطير ليس يزيد السهل سرعته
لومابق الارض نحو الشمس ما طلعت
او طارد الزهر في افلاكها غلسا
ما عاقه في السرى برد ولا مطر
لا انس فيه ركوبي والحبيب وقد
قناعن (البور) والافلاك قد غمضت
يمشي المويثا كخود ناعس نهضت
ما سار نحو الشام الميل مكتملاً
ينساب كالصل حرمان الحشاشة حي
طوراً تخف الى استقباله قلل
يمر كالسهم في الانفاق مخترقا
خلو من الحب لا ينفك متعباً
مصعد زفرات كلما عصفت
تلقى على الارض من ابوابه بصراً
لا يستقر على شيء لسرعته
حتى اذا ما انجلي سهل البقاع لنا
امواجه الخضصر بالازهار مزينة
هذا ومن خلفه الابعاد مدبرة
لسرعة الجري ما لاح له عجل
والكرم من جانبيه مطرق نخيل

ترى المناقيد من اعتاقها برزت مثل الـود ولـكن درها غسل
حتى اذا الارض من حر المجير عذت وكأنها كعبد بالمجر تشتمل
صرنا الى زحلة فالبعض قد ركبوا منها وكنت انا من بعض من نزلوا

* * *

يا من له هوس في كل ذي قدم هذا القطار فاين البفل والجمل ؟ ١١
رشيد الخوري

اخبار وافكار

قصر بختنصر

اكتشفت البعثة الاثرية الالمانية في بابل عدة آثار من زمن عصور التوراة ومنها خرائب قصر الملك بختنصر ومعبد البعل وباب ايستار وغير ذلك من العارات المهمة وفي النية الآن ان يمد أولئك الاثريون تلك الماديات الى الصورة التي كانت عليها على عهد عظيمة بلاد الكلدان يستعملون لذلك الادوات التامة ومنها آلات لجر الاثقال عظيمة هائلة مملوءة من الحديد والفولاذ وبها ينقلون تلك الاجمار الضخمة والاسود المجنحة ويجعلونها في محالها وكانت تنقل قديماً بانضمام ايدي العبيد والاسرى وقوام المجتمع . وقد جعل الامبراطور غايوم الثاني هذا المشروع تحت حمايته وبذل المليون لاولئك العلماء من النفقة في هذه السبيل ما يلزم . ومعلوم ان مدينة بابل على بضعة كيلومترات من بغداد والى هذه ينتهي الخط الحديدي الالمانى في بابل والحالة هذه داخله في منطقة نفوذ الالمان كما يقول كتاب السياسة وترميم قصر بختنصر مما يساعد كثيراً على توطيد هذا النفوذ .

وكل من قرأ التاريخ يعرف عهد بختنصر المجيد وما تبعه من الكواثر وقد بدأ انحطاط بابل على عهد خليفته بالتآزر بعد فتح قورش الفارسي . اما القصر الذي يراد ترميمه الآن فهو غلي نشز من الارض وفي جواره اراض متسعة للغاية وكان الرجال يصعدون اليه على ادراج وكان ثمة طريق خاص بالركبات والأسس مملوءة بالحجر والحوائط من آجر لا يتفتت ولا يذوب وواجهات البناء مزينة بالنقوش تمثل الصيد وقلوب الصيادون وما يصيدون بانواع الاصباغ بالحرمة والزرقة والصفرة . والثيران المجنحة تحرس الابواب

المحمولة من النحاس وكان في القصر نحو مائتي ردهة وغرفة ينزل في أكثرها نساء هذا الملك العظيم وفي الداخل ترى انواع الطنافس والسجاد والزينات الفاخرة والافاريز منقوش عليها صور غزوات هذا الفاتح في مصر والقدس وصور . والغالب على الظن ان القائمين بتعميم هذا القصر لا يكتفون بذلك فقط بل يرمون اسوار المدينة وكان ممكنا بضمه اثمار وهي شاهقة العلو ولها ابراج حصينة يبلغ طولها زهاء ٨٠ متراً وسيرم باب ايستار الربة الحامية لبابل مع ما كان عليه من النشيران والثلاثين الحجر والزرق . وقد رأت البعثة موقع الحدائق المعلقة المنسوبة لسليمان ملكة اشور وفي النية ايضاً اصلاحها

لفحة الشمس

كثرت ضربة الشمس في الصيف الماضي في بلاد الغرب فانتبه الاختصاصيون من العلماء للنظر في طرق الوقاية منها فقرأى احدهم في موفنج ان الجسم الانساني لما كان مركباً من عناصر كيمياوية فضربة الشمس ناشئة عن اضطرابات كهربائية تحدث من فقدان الملح اللازم في تركيب الجسم فأبانت ابحاث ان الاختصاص الذين يعرقون كثيراً ولا سيما من يعملون اعمالاً شاقة في اليوم الحار يفقدون جزءاً عظيماً من الملح الضروري لصحة الجسم واستنتج من ذلك ان الجسم في هذه الحالة يضعف في اليوم من ٣٠ الى ٤٠ غراماً من الملح الذي لا يعوضه في الاحوال العادية الا الغذاء . وشرب كمية من الماء لا يكون دواءً كافياً ونافعا في هذه الحال لانه يحول دون جود الدم وعنه ينشأ الدوار وهو اول امراض الغثيان . ويعتقد العالم الالماني كل الاعتقاد ان ضربة الشمس تأتي بتعديل التراكيب الكيماوية في حياة الجسم تعديلاً سلبياً وذلك بحرماته من الملح اللازم وذكر ان بعض السجون في المانيا كانت منذ اربعين سنة منعت من تمليح طعام السجناء بحجة ان الملح من الزوائد وهو دليل للرفاية في التغذية فكان يحدث للسجناء مرض شبيه بالغثيان او ضربة الشمس يقضون نحبهم معه . وقد تبين ايضاً ان السكدين اكثر استعداداً من غيرهم للوقوع بضربة الشمس وعلوا ذلك بان الالكحول اذا تناولته المرء بافراط يضر بالاغذية المألحة التي لا يستغني عنها الجسم وهي ثقيه من الاخطار التي يتعرض لها كضربة الشمس ونحوها

التربة السوداء

في كثير من اصقاع العالم ارض سوداء ولا سيما في مرا كش وجنوبي روسيا

واستراليا وغيرها تدرى تربتها وداء قاحلة وهي محضبة كل الخصب وتعطي غلاتها بدون ادنى ساد ويجود محصولها بضع سنين متوالية . ومن الغريب ان هذه التربة تكون كلها في السهول واطنة في الجبل معرصة للربوطة واليبوسة في فصل المطر وفي ايام الجفاف تصلب وتتشقق . وقد نسب العارفون بطبائع التربة زماناً طويلاً سر هذا السواد والخصب في هذا الضرب من الاراضي الى الكمية الوافرة من المواد المحضبة *Humus* والمواد النباتية التي تغذي على رايهم النباتات اثناء نموها ولكن اثبت البحث الدقيق ان هذه المادة النباتية تحتوي على كمية وافرة من البوتاس وحامض الفوسفور والنشادر بحيث ان المادة المحضبة هي السبب العارض في غنى النبات وخصب التربة السوداء في العالم تربة استراليا ولذلك انصرفت وجوه المهاجرين من اقطار الارض اليها وقصدوها لتربية الاشجار والحيوانات وكل مايفرس ويعمرش ويحور ويبغم ويشغو

المطر الصناعي

اخترع احد مهندسي الجمهورية الفضية طريقة سهلة عملية لارواء الحدائق والحقول حتى في ايام الجفاف بواسطة الماء الموزع في اسلاك كهربائية وهذه الطريقة نافعة في الزراعة تأتي على الحشرات والحلمات الطفيلية المضرة فتهلكها ويمرر بها الماء من نهر او بئرارتوازي او نبع ثم يجعل في حوض من الحديد منفرد يوصل في انابيب وبحار ذات مضخة رشاشة ويمتلئ الحوض بالكهربائية بواسطة دينامو وتشتمل الكهرباء لبعض الشفيرات الكيميائية التي تولد شيئاً من الاوكسجين والاوزون والهيدروجين وغيرها مما يجعل الماء قابلاً للشرب . وبهذه الطريقة التي جربها المهندس لارواء حديقة في عاصمة تلك الجمهورية خلال الصيف الماضي وكان الماء عزيزاً في تلك الاصحاق فيسر ان يثبت عشب كثير لتربية الخيول . لا جرم ان المطر الصناعي سيكون نعمة حقيقية للزارعين ويستعمل المجرى الكهربائي في اضاءة بعض اجزاء من المدينة

ادب النشر

في جميع البلاد التي لها قانون للطبوعات مواد مخصوصة للحكم على من يخالفون العرف في مسطورهم ومنشورهم فيعيدون عن شرعة الادب . وقد حكمت احدى المحاكم الالمانية على كل من رئيس تحرير مجلة « بان » الالمانية وعلى مديرها بخمسين ماركاً غرامة لانها نشرت قطعة من مفكرات الفيلسوف فلوير فحكمت المحكمة عليها بدعوى ان هذه المجلة مخالفة للآداب وكانت نشرت منذ ثلاثين سنة فلم يختلف لاثان في انها غير اديبة بل

ان كاتبها كان في وصفها كالجراح يشرح جثة ولا يرى في عمله ما يهيب بالادب وتعمق منه الوجوه . ومن الغريب ان احد النقاد ترجم الى الالمانية قطعة من الشعر الغزلي كتبت بالافرنسية في القرن الثامن عشر ولم يكذب ينشرها حتى حكمت عليه المحكمة بالهجين ثمانية اشهر

التمثيل والمؤلفون

بلغت واردات دور التمثيل في باريز سنة ١٩١٠ - ١٩١١ (٢٧٧٣٠٠٦٢) وحقوق المؤلفين ثلاثة ملايين ونصفاً من الفرنكات وعدد أعضاء جمعية المؤلفين ٣٠٤ وعدد من يستعدون للاغتراف في سلكهم ٤٥٤٣

الحرب العثمانية الايطالية

قالت المجلة ما تعريبه : لقد حزن كل الحزب جميع انصار السلام لانتشار الحرب الايطالية العثمانية فاذا كان ياترى من امر المادة الثانية والاربعين من قانون محكمة لاهاي القاضية بان جميع الدول يقضى عليهن ان يعددن الى التحكيم قبل ان تقع السيوف وتلج الاسلحة فقد جاء اثنا من كل مكان رسائل الاحتجاج على ما جرعه بين الدولتين مما من شأنه ان يكره صفو الانسانية ويذهب كل ما بذل لتفهمها ادراج الرياح . فكل الجمعيات الانكليزية التي تعنى بحركة السلم قليلاً او كثيراً قد اقامت الجمعية في لندن وعزمت ان تبث الى الاستانة بموافرة السامي وصديقنا المستر سيد حتى تقرر الحكومة العثمانية طلب التحكيم (وقد جاء الاستانة وقابل السلطان الاعظم) والرجاء معقود بان الدولة العلية تطلب هذا المطلب وما ذا يكون من شأن ايطاليا ؟ لا جرم ان المستر كارنجي الذي دفع محكمة لاهاي خمسة مليون فرنك لتستعين بها على نشر السلام يتوي ان يتدخل لدى الدول الموقمة على عهدة السلم . وذلك ما يدعو الى الرجاء في حركة سلمية ربما نجحت في ادخال الشعبين المتحاربين في مضمون : بادي حقوق الدول الاصلية

عاهات الصناعة

تبين بالاحصاء ان عدد من يصابون من الصلابة في الولايات المتحدة بعوارض قتالة قد بلغ سنة ١٩٠٨ ٣٥٠ ألف رجل فقط من اصل ٣٦ مليون عامل ولا يدخل في ذلك مليون عامل يعملون موقتاً وعدد المالكين في الصناعات يزيد كثيراً فقد دل احدث الاحصاءات ان معدل من يهلك بسببها ٥٠ ألف رجل ولا ثقل الجروح والرضوض

الغير القتالة عن اصابة مليوني عملة على الأقل . اما نحن فما ندري ان كان في احيائنا ما يوازي قدر امواتهم من العاملين في الصناعات

صحف العالم المتحضر

دل الاحصاء الاخير الذي وضعه الجمع العلمي الدولي للكشبان فرنسا في مقدمة دول اوربا بكثرة جرائدها ومجلاتها فيصدر فيها ٨٩٤٠ صحيفة ثم تجي ألمانيا ويصدر فيها ٨٠٥٠ ثم انكلترا ويصدر فيها ٤٣٣٩ ثم ايطاليا وفيها ٣٠٦٨ ثم البلجيك ٢٠٢٣ ثم روسيا ١٦٦١ ثم اسبانيا ١٣٥٠ ثم سويسرا ١٣٣٢ ثم بلاد القاع (هولاندة) ١٣٠٢ . وما نظن الجرائد والمجلات التي تصدر على صورة مطردة تحت السماء الدجائية والمصرية لناهن الثلاثة صحيفة فتأمل

العودة الى الخلاه

في اوربا كثير من العقلاء يدعون الى التدي اي سكنى البادية والعودة الى الخلاه واستثمار الارض ولكن الحال ما زال في ازدياد وسكان القرى ينهالون على المدن اي انهيمال فقد كان معدل سكان المدن بالنسبة للقرى في الولايات المتحدة ٣٦ في المئة سنة ١٨٩٠ فبلغ سنة ١٩١٠-٤٦ وكسر أو المأمول ان يبلغ ٥٠ في المئة سنة ١٩٢٠ بتعديل قليل يدخل على اسباب الحياة الحديثة ويختلف هذا المعدل بين ولايه اخرى في الماساشوست يبلغ سكان المدن ٩٦ في المئة وفي ولايه داكاتو الشمالية والنيسبي ١١ في المئة وقد كان نحو سكان هاتين الولايتين اكثر من سكان الولاية الاولى ومع هذا فان المدن تجذب السكان رغم اقوال الخطباء وتأثيرات الكتاب

كليات اميركا

كان بدء كليات الولايات المتحدة ككليات اوربا عبارة عن مدارس دينية واولها واقدمها كليتا هارفرد ويال فهما الكليتان المهورتان اللتان تبدلت دروسهما بالدرج ومهما عنهما صفة اللاهوتية فقد ادخلتا الى برنامجاتها تعليم فلاسفة الوثنيين وكبار الكتاب المحدثين والاقدمين وكانت العلوم الطبيعية باديء يتسامح بتعليمها فيها فأصبح لها المكانة الاولى ثم المقام الاعلى وتعليم الدروس الوسطى أعني منه النساء الاقلية وانصرف الناس الى تعلم ما تظهر نتيجته في الحال وتمس فوائده عن أم . ومنذ منتصف القرن التاسع عشر قد اقبلوا في التعليم بالاساليب الالمانية . والمدارس العالية في الولايات الشرقية قد أنشئت بهطابا الافراد اما مدارس الغرب والجنوب فقد انشأها الحكومة

والمناصفة قائمة على ساق وقدم ولا تزال بين مدارس الالهيين ومدارس الحكومة وكل مدرسة تريد ان تظهر من تلاميذها النجابة والتبوغ وان يكون لها افضل المدرسين والباحثين ووكليات الغرب غنية كثيراً في حين اشهرت كليات الشرق بتأثيرها الاخلاقي

الجنسية في روسيا

لم تستطع روسيا على وسائل الشدة التي استعملتها في الجنوب الغربي من بلادها ان تنزع الدعوة الى الجنسية والتناغمي بحب القومية البولونية في كل مكان تبدو علامت الهضة والروسية لم تنأصل في مكان وستزيد الدعوة الى الجنسية عندما تنشأ في تلك الولاية جرائد تدعو للاستقلال الاداري المحلي وعلى ما استعملت روسيا من الفرائع للقضاء على نفوذ كبار ارباب الاملاك البولونيين وحرمانهم من حقوقهم فان الروسيين بل كبار المالكين منهم لا يكون لهم ادنى تأثير في تلك الجرائد التي هي ملك صغار المالكين وتصدر عن آرائهم . لاجرم ان هؤلاء لحبهم لبلادهم ولغتهم وتقاليدهم يعملون على ما فيه نجاح كلمة الوطنية وستكون مسألة اللغة اول مسألة تدخل فيها الحكومة مع الاهالي في اشكال فاذا توسعت الحكومة في اضطهادها يزداد الخرق بينها وبين المحكوم عليهم وتزداد العدواة والبغضاء . قالت احدى المجلات الروسية ولا صيربل الى حل هذه المعضلة الا بان تعتمد الحكومة التي قضى بها العدل والحق فنجري عليها وهناك الراحة لها واغبرها

منتدى الممرين

أنشي في يابان منتدى لا يدخله الا من بلغ مئة سنة من عمره سموه منتدى المثوين ورئيسه الكونت اوكونا المشهور وجميع المشتركين معه متعهدون ان يحافظوا كل المحافظة على مبادئه اذ انة الشديدة التي تضمن وتعد بطول الحياة وكلهم يودون ان يعيشوا او يرغبون في ان يعيشوا مئة سنة اخرى على الاقل . قالت احدى مجلات يابان وان هذا العزم لانفع جداً من ان يفرع الممرين الى المعابد ويستنزوا رخصا الاربابك طول شيخوختهم ومن مبداء هذا المنتدى ان يبحث المرء ليكون نافعاً لآخواته مالمكة . ويتأتى له ذلك اذا عني بصحة الجسم كما يعنى بصحة العقل وكل منهما نتيجة لازمة صاحبه حتى ان رئيس هذا المنتدى يشترك مع القائمين بطول الحياة ويرجو ان يحمر ١٨٥ سنة

مخطوطات و مطبوعات

نظام القضاء والادارة

تأليف احمد بك قنجة طبع بمطبعة الجريدة في مصر سنة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م من ٣٤٣
 لوكتب لمصر ان يرتقي فيها كل فرع من فروع العلم على نحو ما ارتقى القضاء لاصبحت
 كفرنسا لانقصها الا ان اهل مصر صاميون عرب واهل فرنسا توتونيون فرنسيين
 واملنا الآن هذا التأليف النفيس كتبه مؤلفه من اساندة القضاء بلسان سلس وتنسيق
 بديع وضمنه النظامات القضائية والادارية والمالية والسياسية في القطر المصري وطبعه
 طبعا نفيسا حتى حجب مطالعته والاخذ منه لكل من لا ميل عنده لمثل هذه الموضوعات
 وناهيك بمن يحتاجون اليها في بلاد الشرق ولا سيما العثمانية والمصرية . والناظر سيف
 هذا السفر يعرف مصر وطرفا مهما من تاريخها السياسي والاداري والقضائي . خذ
 مثالا لذلك ما اورده في امتيازات الاجانب وتعليقها قال : « ونسب ذلك ان الحكومات
 الاسلامية اعتادت من قديم الزمان ان تتساهل مع المسيحيين الذين في بلادها فاجازت
 لهم عدم اتباع الاحكام المرعية وتروكتهم يتقاضون في احوال مخصوصة بحسب قواعد
 دينهم وقوانينهم . فمع شدة الاختلاط وتمكين الملائق ومضي الزمن اصبحت هذه المادة
 بمثابة القانون واضمحى هذا التساهل حتى لم يتحمل النزاع . هذا ما نتج عن مجرد التساهل
 ومحض التسامح على ان هناك ما ينبغي على المعاهدات فانه توجد معاهدة عقدت بين سلطان
 مصر صلاح الدين بن ايوب وجمهورية بيزا مؤرخة في ١٥ صفر سنة ٥٦٩ (سنة ١١٢٢ م)
 يستدل من عباراتها ومن المعاهدات التالية لها على انه منح البيزانين جملة امتيازات خاصة
 بالنقاضي والمملكة وقد حصل كذلك الفلورنتيون (الفلورنتيون والبيزانيون هم الطليان)
 من ابي النصر قايد باي سلطان مصر على عدة امتيازات قضائية باسم اصداره في سنة
 ١٤٨٨ جاء فيه ما يأتي : « اذا حدث خلاف بين الفلورنتيين انفسهم ليس لحكامنا
 وقضاتنا المسلمين ان يتدخلوا في مسائلهم ولكن الحكم في ذلك لقنصل الفلورنتيين
 فيحكم في هذه الحالة بما يناسب القوانين الفلورنتية »

ومما يلاحظ انه حصل التوسع في العمل بهذه المعاهدات حتى عمت جميع رعايا
 الدول المسيحية الواحدة بعد الاخرى وبقي الحال كذلك الى ان حلت الدولة العلية

الحل الاول من الدول الاسلامية فنسبت هذه المعاهدات بعض النسيان ولكنها مالبثت ان عادت بعودة الاختلاط ومقتضيات الاحوال فتعاقدت فرنسا معها على ارجاعها باتفاق جديد بصورة انه معاهدة تجارية في سنة ١٥٣٥ حررت بين السلطان سليمان الاول وفرنسا الاول ملك فرنسا وكان مضمونها التأمين على ارواح الفرنسيين وتجارهم . وقد ظل تجديد هذا التقاعد الى ان عقدت معاهدة سنة ١٧٤٠ بين السلطان محمود الاول ولويس الخامس عشر ملك فرنسا وصارت هي صاحبة الشأن في حماية رعاياها وجميع الاجانب الذين يتجشئون اليها . وفقدت فرنسا الدول الاخرى في عقد هذه المعاهدات المعروفة ايضا باسم العهود نامات واخذت الامتيازات تزداد شيئا فشيئا بمساعي الدول من جهة وباممال الحكومات الشرقية من جهة اخرى من طريق كونها افرت بعض العادات وان كانت خارجة عن نصوص المعاهدات في الواقع ونفس الامر . ولا خلاف في كون جميع هذه العهود نامات نافذة على مصر كما تقدم لانها جزء من ممالك الدولة العلية لا سيما ان فرمان الصادر لمحمد علي باشا في اول يونيه (حزيران) سنة ١٨٤٠ اشترط فيه اعادة المعاهدات الموجودة والتي ستوجد فلا شك حينئذ في ان الاجانب يتمتعون بالامتيازات في مصر اسوة بسائر بلاد الدولة العلية . »

واختلاصة فان هذا المصنف تمتع نافع كتب على هذا النموذج فجاء ناطقا بالثناء على ابي عذره دالا على فضله بين الاساتذة وجميل ذكره

تاريخ حرب فرنسا والمانيا

سنة ١٨٧٠ - ١٨٧١

لجرجي افندي بني طبع على نفقة يوسف توما البستاني بمصر سنة ١٩١١ ص ٢١٦ مؤلف هذا الكتاب رصيفنا صاحب مجلة المباحث من المشهود لم سيف فن التاريخ ألف تاريخ سورية في حداثته وهذا الكتاب نشره ايضا في جريدة الجنان ايام صدورها في بيروت وقد كتب المؤلف عدة أبحاث تاريخية في بعض الجلات ولا سيما في المقتطف ابانت عن تفضله من هذا الفن الجميل وتاريخه هذا من انفع ما يكون لاهناء العربية في تلك الحرب المشهورة ولذلك احسن نائمه في تجريده ونشره للناس على هذه الصورة فلو ان الرصيف احسن الثناء على همه وحسن بلائه

مطبوعات مختلفة

القراءة العربية في المعلومات المدنية — عربي من التركية السيد عبد القادر المبارك

وفيه ما يلزم كل عثماني من المعلومات عن حالة حكومته
قانون اصول المحاكمات الحقوقية وذيله الجديد الذي صدرت الارادة السنية آذنه
بالعمل به بعد التصديق عليه من مجلس الامة وقانون الجزاء الجديد وفيه القانون القديم
والمواد والقبول الجديدة التي اضافها مجلس الامة وبعض تعليقات معربة بقلم شاكر
افندي الحنبلي

وهذان الكتابان والكتاب الاول معربان احسن تعريب تشهد لمربيها وهما من
فضلاء دمشق معروفين بالادب وطول الباع فمما يمتدح في تعريب كل ما كان من هذا
القبيل ليطلع العثمانيون العرب على ما يسن بالتركية من القوانين ويكتب من الكتب
النافعة وينفع في تقوية الشورى في النفوس

الجغرافيا الطبيعية — لجامعه عبد الله افندي عمر التنيز وهو يبحث في التربة والثلل
والجبال والادوية والانهار والبرك والبحيرات والاقيانوس والهواء وغير ذلك من الابحاث
التي تنشي^١ التلميذ الصغير على حب العلوم والصناعات طبع في بيروت سنة ١٣٢٩ في
١١٦ صفحة مع بعض الرسوم

تحريم نقل الجنائز — رسالة لمؤلفها السيد هبة الدين الشهرستاني صاحب مجلة العلم
في النجف الاشرف في العراق ذكر فيها رأيه ونصوص علماء الشيعة في تحريم نقل الجنائز
من مكان الى آخر كما يفضل بعض العامة من الشيعة فيأتون الى كربلا والغري بموتاهم
من اطراف العراق وفارس بدفونها هناك وقد اجاد الرصيف في التنفير وهذه العادة
المفسدة الملتبسة شعار الدين

اسماء البنات — معانيها وعلاقاتها التاريخية واشهر نساء مدعين بها تأليف امين افندي
الغريب صاحب جريدة الحارس البيروتية وفيه كلام نافع في فلسفة الاسماء ولا سيما
الافريقية والتقدمية



المقابر

اعداء الاصلاح

الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق افراد
لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم فهم على مهل يمشون قصاص
والناس في غفلة عما يراد بهم فجلهم من سبيل الحق رفاة

ما خلا عصر من عصور الاسلام من اعداء لكل جديد ومن جامدين ينكرون كل
مالا يأتون . فقد لقي المعتزلة والفلاسفة والمتكلمون والنظار من اعداء العقل كل شدة
في القرون الراقية وكان عقل الملوك هو الذي يحول على الاغلب بين الجامدين وبين
ما يشتهون من الاعتداء على القائم بتأييد سنن العقل والناصرين باقواهم وافعالهم
مذاهب السنة والنقل . ومن نظر نظرة مجردة عن الارض في سيرة المناهضين للمصلحين
على اختلاف الاعصار يجدهم جروا على غير ما يعتقدون وطلبوا بمقاومة المصلحين ارضاء
العامة ونيل الحظوى لديهم واستنباغ الجاهلين من الملوك والسلاطين وقليل جداً من كان
الاخلاص رائدهم في اعمالهم ومآتهم .

بقاوم في العادة الخامل النابه لا يكون له مكانة مكانته، ويخامل الجاهل على العالم
ليعرف بين قومه بانه قسيمه في صناعته ومثيله في فضيلته ويطعن الجامد المخفوق بمن يجب
ان يعبد الله بمقل ويبحث في عالم الكون والفساد بروية ليتظاهر بانه بعيد النور
شديد الغيرة وما اقواله الارباب وما افعاله الاساس واهوا .

لقي المصلحون من الاهاويل في الامة العربية اكثر مما لقيه امثالهم في الامم الاخرى
فيما تحسب وخموصاً بعد القرن السابع وقد توزعت بلاد الاسلام ملوك الطوائف وكان

أكثرهم على جانب من الجهل والغباء لا يهتمهم الارضاء المشعذين بالدين ليجولوا العامة اليهم فيقوى بهم ضعفهم ويستعينون بهم على تكبير رقعة ممانكهم وبسط ظل سلطانهم على النفوس فيستمتعون بشهواتهم وبذخهم ورفاهيتهم .

عجبت ! باع الضلالة بالهدى ومن يشتري ديناه بالدين اعجب

واعجب من هذين من باع دينه بدنياه سواء فهو من ذين اعجب

ساعد على الانتقام من المالمين العالمين اناس من ارباب المذاهب سرت احكامهم بقوة اربابها فكان الحكم يجري على المبتدعة وارباب الاهواء يزعمهم بموجب قوانين لم سنوها ومنها المذهب المالكي الذي كان يحكم قاضيه بقتل اكبر عالم في الامة — والقتل يعد من التعزير في مذهب مالك — خالف المؤلفون من العادات التي اعتقدتها من اصل الدين وعد الخروج عنها كفراً والحاداً وما اسهلها واسهل صدور الحكم بهما من اعداء الاصلاح المباحين

سالت الدماء كالاودية في بغداد للفن بين الخبالة والشافعية صرات وسالت دماء كثير من الخاصة في كل قرن وعذبوا وأوذوا بواسطة ارباب المظاهر من المنتظمين ممن شق عليهم ان يروا كلمة الاصلاح الديني والديوي تفعل سيفه الارواح فعلها المطلوب فحدثتهم انفسهم ان يتساوى المفكرون وغيرهم في نظر العامة ان لم يتمكنوا من اسقاطهم ليخلو لهم الجو ويقتصر في تقبيل الايدي وطلب الدعوات والتماس البركات عليهم دون سائر المنتسبين للعلم والشرعية .

ومن غريب اسرار الله في خلقه ان جميع من قاوموا المخلصين من المصلحين دثروا ودثرت اسمائهم وظلت اسماء من عادوهم وأذوهم تشهد بالجهل المركب على اعداء العقل السليم والتمالم الصحيحة

ابن اعداء الغزالي والسهروردي والآمدي وابن جرير وابن نجيبة وابن رشد ذهبوا كلهم كأمس الدابر وبقيت الامة تردد على وجه الدهر اسماء هؤلاء المصلحين العالمين وتتناقل ماخطته اناملهم من سطور الاصلاح « فاما الزيد فيذهب جفاء واما ما ينفذ الناس فيمكث في الارض »

لا يذكر التاريخ اليوم الا افراداً ممن فاوا رجال العقل الرجيم والنقل الصحيح اشتهروا لاحتمكاكم بالحكام وموهوا على العامة بحسن حالهم لمظهر ديوي ارادوه وحطام من الدنيا تطالت نفوسهم لان يقتنوه كأن يكون احدهم قاضياً يخاف ان يشوكة ذلك العالم

المستجير في قضاءه او شيخ عامة حديثه نفسه بالاستئثار بهذا المظهر الذي يعتقد جماع فضائل الدنيا والآخرة .

امثال هؤلاء المخرفين المتناقضين بدلوا العالم والتعاليم مرضاة لارباب الرئاسات والزعامات ومجملوا على انفسهم انار للبت فيما لم ينزل به سلطان وجازوا حد الشرع وم يتظاهرون بانهم المؤمنون عليه ومنهم ومن اعمالهم يشكو ويثن كما تشكو المدنية والانسانية

وهل افسد الدين الا الملو ك واحبار سوء ورهبانها

ان من يتظاهرون بالدين وباطنهم منه بريء أنصر على الدين من يهتونه . ومن يدعو في الغالب الى الصلاح ويتخذ النقية امام العامة درعه يكون اقرب الى الافحلال والفساد منه الى من لا يطنطنون بانهم دعاة الدين والقائمون عليه وعنهم يؤخذ ويهدمهم يهتدى . وشتر الناس من يسرون غير ما يظهرون ويتلونون باللون الذي يرون انه وافق لهم لجر مقنم واحراز مظهر

ان هؤلاء العامة ممن يتطالون الى مقامات العلماء هم افسد من العامة لان شيطانهم يتكلم وشيطان هؤلاء اخرس لا يدي ولا بعيد . هم سوس الفساد في كيان هذا المجتمع يدعون معرفة كل شيء وهم لم يتقنوا شيئاً الا ما سولته لهم انفسهم وحدثتهم به شياطينهم . شعارهم التدليس والتظاهر بالنفعية على الحارم ولو بحثت عن اعمالهم لرأيتهم اول المجترئين على انتهاك حرمت الاديان والشرائع وهم يقدسونها بلسانهم والعابثين بحدودها وهم يدعون الناس الى الوقوف عند مراسيمها والسعاية بالمصلحين ليقتوا في اعضادهم ويفسدوا عليهم امرهم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره ابالسة التدجيل والتضليل من علماء (١) سوء

لو كان اعداء المصلحين على شيء من التدين الحقيقي لكانوا اشتغلوا منذ القدم بارشاد العامة وانكار المنكرات الماثلة في كل عصر امامهم مثول الشمس في السماء رأد الضحى ولكن المتدلسة امثالهم يعلمون من قشور العلوم ما يستمتعون به على الاخذ من اموال الحكومات والاغنياء والتغريز بالعامة ولذلك كان اكثر اشتغال من سمو انفسهم بالعلماء في كل عصر بالفقه لانه سلم الى ما يتطالون اليه من الجاه والمال وحسن الحال

(١) في اول الجزء الاول وآخر الجزء الثالث من كتاب احياء علوم الدين فصول

بديعة في علماء سوء راجعها ان احببت .

قال حجة الاسلام الغزالي في الاشياء : « اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولوها الحلفاء الراشدون المهديون وكانوا ائمة علماء بالله تعالى فقهاء في احكامه وكانوا مستقلين باقتناوى في الاقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادراً في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فامرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق باحكام الخلق من الدنيا واقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهدهم كاتفل من سيرهم فلما افضت الخلافة بعدهم الى اقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والاحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء الى استصحابهم في جميع احوالهم لاستفتائهم في مجاري احكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو متمر على الطراز الاول وملازم صفو الدين ومواظب على سمع علماء السلف فكانوا اذا طولبوا هربوا واعرضوا فاضطر الخلفاء الى الاحلاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى اهل تلك الاعصار عن العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشربوا لطلب العلم توصلوا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فاكبروا على علم الفتاوى وعرضوا انفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطالبوا الولايات والصلوات منهم فنهج من حرم ومنهم من أنجح والنجح لم يخل من ذلك الطلب ومهابة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالين وبعد ان كانوا اعز بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم الامن وفقه الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله وقد كان أكثر الاقبال في تلك الاعصار على الفتاوى والاقضية لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الجميع فيها فعبت رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فاكب الناس على علم الكلام واكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا ان غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم ان غرضهم بالاستئصال بالفتاوى الدين ونقل احكام المسلمين استغافوا على خلق الله وذبحته لم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يمتصوب الخوض في الكلام وفي باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبين الاولى من مذهب الشافعي وابي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص قترك الناس الكلام وفنون العلم واثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وابي حنيفة على الخصوص

وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان واحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم وزعموا ان غرضهم استباط دقائق الشرع ونقد رر على المذهب وتبيد أصول الفتاوى واكثروا فيها التصانيف والاستباطات ورتبوا فيها انواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرين الى الآن وليس ندري ما الذي يحدث الله فيما بعدنا من الاعصار فهذا هو الباعث على الالكاب على الخلافات والمناظرات لاغير ولو مالت نفوس ارباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة او علم آخر من العلوم لملوا ايضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به هو علم الدين وان لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين اهـ

هذا موجز من تاريخ المتخلفين في الدين وصف به حجة الاسلام طغمتهم في عصره وعصره الخامس من افضل عصور النور في الاسلام فما بالك بامثالهم بعده وقد حدثت من الاحداث ما كان الجبل سداها ولحتها والنيل من المخلصين مبدأها وغايتها وما اصدق ما قاله حجة الاسلام ايضا في هؤلاء الطغام اعداء الاسلام والسلام في اول كتابه التفرقة بين الاسلام والزندقة قال : « وأنى نجلى اسرار الملوك لقوم المهتم هوام ، ومعبودهم سلاطينهم ، وقبائهم دراهمهم ودنانيرهم ، وشريعتهم دعوتهم ، وارادتهم جاههم وشهواتهم ، وعبادتهم خدمتهم اغنياءهم ، وذكرهم وسواسهم ، وكفرهم سواسهم ، وفكرهم استباط الحيلة لما تنقضه حشمتهم فهو لاء من اين تميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان أبالهام إلهي ولم يفرغوا القلوب عن كدورات الدنيا لئلا يولها ام بكال علمي وانما بضاعتهم في العلم مسألة الخجاسة وما الزعتران وامثالهما هيئات هيئات هذا المطلب النفس وأخر من ان يدرك بالمنى او ينال بالموى فانتهل انت بشأنك ولا تضع فيهم بقية زمانك و) اعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى) »

وبعد فان في هذا العصر فئات في هذا الشرق من استعاذ منهم المصلحون في كل عصر ولكنهم وبالاسف حثالة الختالة ، ومثال الجهالة والفضالة ، ان قلت لم تعاليم فلان ، قالوا لك او نسيت تعاليم فلان فهي احسن واسلم ، وان حرضتهم على علم كذا قالوا علم كذا افضل ، وان شرحت لهم اساليب المدنية ، قالوا اننا لم نوث الا من قبل ديننا فتركناه فصارت حالنا الى ما ترى ، وان حدثتهم بطرق الارتقاء قالوا انه بدعونا الى الانحلال كآء ما كفتنا ما نحن فيه من البدع ، وان دعوتهم الى الاخذ بما صح من احكام الحلال والحرام ، اوردوا لك من اقوال شيوخهم واقاصيص عجائزهم واحلام

حاليهم ومثبطات المترهدين والمتورعين منهم ما تسأل الله به الدلالة، وان حبيت اليهم المعروف قالوا لك ما اكثر المنكرات .

حملة اموال ، لاحملة شريعة ، وجعاب لغو وحشو لا قوام على ما يقوم العقل ، صلاحهم المغالطة ، ومجنهم السفطة ، رأس مالم الثثرة ، ورجهم الغلبة بالباطل ، والمهارة في المهارة على غير طائل ، منام ، من دينهم ودينام ، ان تفخم القايهم ، وتماكراتهم وعجايبهم ، وترفع بين الفاغة متازلم ، ويزيدو ابطة في الجسم لافي العقل ، وتكتب لم في العالمين شهرة بعيدة بدون ان يعدوا لها اداة من ادواتها ، ويصرفوا في التحصيل ساعة من اوقاتهم ، دأبهم الحط من الفضلاء ، وهجيرام النيل من العظماء

يرقعون ويلفقون ، ويراوغون ويماحكون ، واكسون ما كسون ، مدلسون موالسون ، يعادون ما يجهلون ، يمجحدون على ما يعرفون ، يصانعون ولا يطلطفون ، يفتنون وهم لا يعلمون ، يجهدون ويخطئون ، يهرفون بما لا يعرفون ، يعدون علوم البشر ذرة من معارفهم ، ويحتقرون ما لا تبلغه مداركهم كأن فضل الله محصور فيهم ، وكأن من لا يجري على هوام محروم من السعادة هالك ، اولئك هم ثعالب الانس يأكلون لحم اخوانهم بالغبية والوشاية ، ويمشون بين الناس بالنيمة والسابة ، اسود ولكن على نحت اثلاث مخالفهم ، غمور ولكن لا يمتنون الرثب الا على من لا يصلحون خدمة لم . يفترون ويفرون ، يغفون ولا يخافون ، يخربون ولا يدرون ، يخرفون ولا يستخون ، يخرقون ولا ينتهون ، فهم اخر على الناس من قطاع السابلة ، وانفسد في جسم المجتمع من الادواء القتالة ، يرحمون بالامة القهقري ، والدواعي نهيب بها الى التقدم ، ويزينون لها الفناء والعدم ، والمصلحة قاضية بالتمازك والتعاون ، ويملون لها الدل والعتار ، وركوب متن العار ، والحالة تدعو الى تحكيم العقل في كل قول وعمل

فالله ثبت اقدام المصلحين وهي لم من الكفاءة ما يقوون به على رد غارات اعداء الامة في اصلاحها فقد كفأها جهلاً وضلة بما كسبت ابدى المنافقين وما جلبوا عليها من الخزي المبين «وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذ خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . . . والذين لا يشهدون الزور واذ امنوا باللغو امنوا كراما»

بين الفيحاء والشهباء

المملكة الحوية

« حماة » كلمة سامية معناها الحصن المتين والحامي . وحماة عاصمة مملكة لا يعرف اتساعها يختلف باختلاف الدول والازمان وقد ذكر موسى اليهودي حماة الكبرى وذكر بعض الافرنج اذ ربما كانت انطيوخوس الرابع ايفان هو الذي سماها ابقانيا وسماها مؤرخو النصرانية الاول كذلك . هذه رواية الافرنج ولم يصرح جغرافيو العرب بان قامية هي حماة بعينها بل قالوا ان قامية ويقال لها اقامية هي مدينة ^(١) قديمة ويطلق هذا الاسم على كورتها ايضاً وكانت قامية عفايمة قديمة على نشز من الارض لها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب (الماصي) وقال ياقوت ان قامية مدينة كبيرة وكورة من سواحل حمص وقد يقال لها اقامية قال عيسى بن سعدان الحلبي يذكرها

بادار علوة ماجيدي بمنطف الى سواك ولا قلبي بمنجذب
وباقري الزام من ليلون لانحت على بلادكم هطالة السحب
مامر بركك مجازاً على بعري الا وذكرني الدارين من حلب
ليت العواصم من شرقي قامية اهدت الي نسيم البان والغرب
ما كان اطيب ايامي بقرهم حتى رمقني عوادي الهجر من كشب

وهذا دليل على ان قامية كانت من المدن المعروفة غير حماة يؤيد ذلك ان حماة معروفة بهذا الاسم في الجاهلية فكان الشاعر حرياً بان يذكرها بلفظها المتعارف
اختنع حماة ابو حبيدة سنة ١٧ وكانت معروفة في الجاهلية بهذا الاسم وذكرها امرؤ القيس في شعره بقوله:

تقطع اسباب اللبانة والموى حشية رحنا من حماة وشيزرا
بسير بفضج العود منه يمنة اخو الجهد لا يلوي لي من تعذرا

قال ابن حوقل ان شيزر وحماة مدينتان صغيرتان زهرتان كثيرتا المياه والشجر والزروع والفواكه وقال ياقوت ^(٢) ان حماة مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار واسعة الرقعة حفلة الاسواق يحيط بها سور محكم وبظاهر السور حاضركبير جداً

فيه اسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصي عليه عدة نواعير وفي طرف المدينة قلعة عظيمة عجيبه في حصانتها واتقان عمارتها وحفر خندقها نحو مئة ذراع واكثر للملك المنصور محمد بن نقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب . ولم تكن قديماً مثل ما كانت في القرن السادس من العظم بسلطان مفرد بل كانت من عمل حمص وسماها احمد بن الطيب قرية سنة ٢٧١ وذلك فيما ذكره من البقاع التي شاهدها في سيره من بغداد واستولى الاسماعيليون على حماة زمن الصليبيين واستولى عليها تنكرد احد ملوكهم سنة ١١٠٨ م ثم استعادها طغتكين التركي من الافرنج سنة ١١١٠ واصيبت بزلزال شديد سنة ٥٥٢ هـ حتى ذكر المؤرخون ان احد معلمي الكتائب خرج لحاجة وعاد وقد وقع السقف على رؤوس الاولاد كلهم قال ولم يحضر احد من اوليائهم يسأل عن ابنه المالك وذلك لانهم هلكوا عن بكرة ابيهم . واستولى على حماة صلاح الدين يوسف ابن ايوب .

وان ما عرف من تاريخ هذه المدينة يشهد بان ايام صاحبها ابي الفدا اسماعيل كانت اسعد من غيرها وبها وبها اشتهرت ولا عجب فالبلاد قد تعدت برجل وتشقى برجل فكما سعدت دمشق بعهد نور الدين وصلاح الدين وسعدت بغداد بالرشيد والمأمون هكذا سعدت حماة بابي الفدا الملك المؤيد صاحب حماة والمرة وبرزين . ولم تر بعده وهو ملك من اهلها ومن أسرة صلاح الدين يوماً به تلك الايام في السعادة وبقي الخراب يتحيفها حتى وصلت الى ما وصلت اليه لهذا العهد من الانحطاط . واحر بها ان يقال لها اليوم قرية كبيرة لالقلة نفوسها فانهم خمسون الفا ولا لتغير معالمها وضعف زراعتها فانها مازالت يحلها بل لقله عمراتها وجعل سكانها اقل قليلاً .

لم يقل ابو الفدا في جغرافيته الا انها : مدينة ازلية ولها ذكر في كتب الاسرائيليين وهي من ارض البلاد الشامية والعاصي : تدبر على غالبها من شرقها وشمالها ولها قلعة حسنة البناء مرتفعة وفي داخلها الارحية على الماء وبها نواعير على العاصي تسقي اكثر بساتينها ويدخل منها الماء الى كثير من دورها وحماة بلدة قديمة مذكورة في التوراة وهي وشيزر مخصوصتان بكثرة النواعير دون غيرهما من بلاد الشام

وحدد ابن فضل الله (١) حماة من القبلية الرستن وما سامته آخذاً ما بين سلمية وقبة ملاعب الى حيث مجرى النهر والآثار القديمة ومن الشرق البر آخذاً على سلمية الى ما

استقبل عن قبة ملاعب ومن الشام آخر حد المعزة من انقرا تا (٩) ومن الغرب مضافات مصياف وقلاع الدعوة وليس لها نطاق يدور على غير ولاية برها الخاص بها نفسها وبارين والمعزة .

وقال شيخ الربوة (١) في القرن الثامن ان الشام كانت تنقسم على عهد الدولة التركية الى ثمانية اقسام او ممالك والمملكة الرابعة من الثانية حماة وبها سلطان ملك ونائبه منقل وهي مدينة حسنة خصبة كثيرة الخير والارزاق يحوطها النهر العاصي ويأمنها جاريًا من جانبها ويجمع بين الجانبين قنطرة ومن اعمالها الكبار بعين وتسمى بارين (٢) وهي قلعة منيعة وسلمية وهي على سيف البرية بناها عبد الله بن صالح وعلي ابن عبد الله بن عباس ولها قناة كبيرة

وذكر حماة غرس الدين الظاهري (٣) بلفظ المملكة ايضًا وقال انها منسمة تشتمل على مدن وقلاع واقليم وقرى واعظم مدنها حماة وان قلعتها اخرجها تيمورلنك وبها جوامع ومدارس ومساجد واماكُن ومزارات .

ووصف ياقوت قرون حماة المروفة الى اليوم فقال انها ثلثان متقابلتان وجبل يشرف عليها ونهرها العاصي وبين كل واحد من حماة وحمص والمعزة وسلمية وبين صاحبه يوم وبينها وبين شيزر نصف يوم وبينها وبين دمشق خمسة ايام للقوافل وبينها وبين حلب اربعة ايام

وحماة اليوم لواء في الشمال من ولاية سورية ومن اعماله سلمية وقسم من جبال الكلبيّة او التصيرية وحمص واكثر اراضي هذا اللواء سهلية الا ما كان من الغمام جبل الكلبيّة ففيه ما في الجبال من سهول وآكام وتربته حسنة وما كان على مقربة من العاصي يسقى منه فينبت فيه القطن والقنب والحرير والبصل (القنار) والخروج وانواع البقول والاشجار وما كان بعيداً عنه يكون عذياً وخصوصاً في المحال التي يسمونها بالزوار فانها على غاية من حسن التربة وقوة الانبات بما يتوفر القاتون عليها من التسמיד

(١) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (٢) بارين بلدة صغيرة ذات قلعة قد دثرت ولها عين وبساتين وهي على مرحلة من حماة وهي غربي حماة بميلة يسيرة الى الجنوب وبها آثار عمارة قديمة تسمى الرنية لها ذكر شهير في كتب التاريخ وحصن بارين هو حصن احدثه الفرنج في سنة بضع وثمانين واربع مائة ثم ملكه المسلمون وبقي مدة ثم اخرجوه .

(٣) زبدة كشف الممالك

الذي يأتون بسباهه من القرى المجاورة بحيث يكون دخلهم منها يوازي دخل اهل حدائق دمشق و بعض قراها مثل كفرسوسة والقابون وجوبر .

وموقع مدينة حماة والعاصي يشطرها الوادي عيرتين عن ايمانها وشمائلها من اجل المناظر ولا سيما في فصل الربيع ومن اجل الزهات عند دم الركوب في قارب وقطع جانب من العاصي فيرى المتنزه ضفاف العاصي مخضلة بالثمار البانعة تعكس على المياه خضرتها ونضرتها وليس في حماة ما يستحق الذكر من انواع العمران الا بقايا صناعات قديمة مثل حياكة الاقشة للشباب والفرط والستائر والاعبثة والتراييج (اللي) وغير ذلك من الامور الحفيرة وليس فيها مدارس اهلية ولا خزائن كتب عامة ولا مطابع ولا صحف يومية اللهم الا مطبعة واحدة وبعض صحف اسبوعية وشهرية لا نسبة بينها وبين مكانة حماة القديمة .

اما آثارها القديمة فأهمها دار اسعد باشا العظم احد ولاة سورية في القرن الثاني عشر وصاحب حماة بني هذا القصر منذ نحو ١٧٠ سنة تلي اجمل طرزي على مقربة من نهر العاصي وزين بانواع النقوش والتصاوير ويظن ان صناعه كانوا من الفرس لان في نقوشهم كثيراً من النقوش العجمية وبعض الايات الفارسية ومن ابدع ما رأيناه فيها قطعتان من الخشب جعلتا في حائط الغرفة الكبرى في الدار البرانية ونقشت عليهما صورة حماة (١) في ذاك العهد بجوامعها ومدارسها ونواحيها وقصورها والمناظر الجميلة بين ان المرسوم هو حماة بعينها وانها كانت اذ ذاك اعمر مما هي عليه الآن والعالم ان الزلزال الاخير اخرجها الا قليلاً . وبالجملة فان قصر ان العظم في حماة حري بان يزار كقصره في

(١) كان فن الرسم كان مرادياً في القرن السابع والثامن فقد ذكر ابو الفدا ان الشيخ علم الدين فيطر المعروف بشعاسيف كان مهندساً فاضلاً في العلوم الرياضية (توفي سنة ٦٤٢) بنى الملك المنظر ابراجاً بحماة وطاحوناً على النهر العاصي وعمل له كرة من الخشب مدهونة رسم فيها جميع الكواكب المرصودة وعملت هذه الكرة بحماة قال القاضي جمال الدين ابن واصل وساعدت الشيخ علم الدين تلي عملها وكان الملك المنظر يحضر ونحن نرسمها وسألنا عن مواضع دقيقة فيها . وجمال الدين هذا هو قاضي النفاة بحماة (٦٩٧) كان اماماً مبرزاً في علوم كثيرة مثل المنطق والهندسة والاصول والهيئة والتاريخ وله عدة مصنفات منها الانبرورية في المنطق صنفها للانبرور (الامبراطور) ملك الفرنج صاحب صتلية لما توجه اليه رسولاً في ايام الملك الظاهر بيبرس الصالح صاحب مصر والشام سنة ٦٥٩

دمشق وهندسة القاعة هنا وفي حاة واحدة والغالب ان من؛ وا هذه بنوا تلك وكذلك
الناقشون والمزبنون

قلنا ان سكان حاة خمسون الفا ودع عنك من في ضاحيتها من اهل القرى وما نظن لواء
حاة بقل عن اربعمائة الف نسمة لان بمض سكانها مكتوم في الاحياء الرسمي ولا بما
سكان جبال الكلبة وهم نصيرية واسماعيلية بالنظر لما رأوا من الضغط والندة في
الازمان الغابرة . وفي قضاء الهرانية حصن مصيف وفي قضاء المرقب القدموس ومما من
الاماكن المعروفة عند الاسماعيلية ولها ذكر في التاريخ

عَلَى قبراىي القدا صاحب حاة

حنانيك اسمعيل اجبني مدتك نفوس الملوك يا عالم . وعادلم وسيدهم . كنت سيف
عصرك مثال العمل الصالح وها انت لمن بعدك عبرة لمن يعتبر .
زرت قبرك الشريف وذكرت سيرتك المثلى فكيت عَلَى الاسلام والعرب وقابات
بما قرأته عَلَى خيرحك بين السذاجة الغالبة عليك ونغفخة الاقارب بعدك .

قرأت : « هذا ضريح العبد الفقير الى رحمة ربه الكريم اسماعيل بن علي بن محمود
ابن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب عمر في شهر سنة سبع وعشرين وصبعائة » جملة
لا يجوز نقشها اليوم عَلَى قبر احد العامة فاين انت منها يا ابا القدا في مفاخرك وسودك
ومجدك والعالء والطارف

حنانيك اسماعيل كنت في حياتك قدوة الملوك العادلين تعلم الناس حب الخير
وتعلم العلماء فيما توفرأ عليه والة التحين ما يفاخرون بمعرفته والحكماء ماهو ثالة ايجادهم وها
انت الآن رهين حفرة قد كاد ينسى بين قومك ذكرك فلا تبدي ولا تعيد وقومك
ذوا دينهم ودينام فكيف لا ينسون رجالهم
نشأت اياه السلطان العادل من بيت عز وملك فلم تأخذ الزخارف بلبك بل تخرجت
في العلم ورئت على ادب النفس وادب المدرس حتى جاء منك عالم بل معلم للعلماء بسيرته
ونفته .

نشأت نشأة عالية في القرون الوسطى وغيرك من الملوك نشأوا ولا سيما بعدك نشأة
جاهلية عَلَى الخمر والزمر والقمر لا يعرفون غير القصور والولدان والخور وغاية مفاخرهم
انهم يبطون ولا يبالون يقتلون ولا يتألمون يتعاضمون ولا يتواضعون يقضون فلا
يراجعون بأمرهم ولا يبدلون .

اخذت احكام بعض الملوك يدك ذوقه واعمالهم على الأكثر استبدادية . اتخذوا الاسلام ديناً وهو منهم بريء وعيشوا بالرخص والعزائم ليس لهم وازع من انفسهم ولا رادع من امهم . انصروا جبارة لاملوكاً وشياطين لا انسا وانما لا يعرفون الا ما فيه راحتهم وتوفير قسطهم من اللذائذ والبذخ والتعيم .

كنت ابا الفدا ملكاً بالامم ومالكاً بالفعل كنت شريكاً بماضيك وحاضرك وما انت الى يوم الناس هذا الى غد وما بعد غد شريف في عامة احوالك .

لم نعهد لك كما عهدنا للملوك قبلك وبعدك ان تعدت الرعية كالسائمة التي تملك فينصرف مالكم بدرها ووبرها وجلدها ولحمها ويعمل مطلقاً في الاستمتاع بها لا ينازعها متنازع . بل عهدناك توأسي الضعيف ولا تجور على الفقير وتحسن للعلاء وتفضل على الفقهاء والادباء والشعراء وتصرف فضل اوقاتك في التأليف والتصنيف يا ثاني المأمون بملك وعقلك وثاني صلاح الدين بعدك وجهادك .

ابا الفدا ان قومك اغفلوك وسيرتك بل اهلوا ضربحك ولو ذكرك اساروا ولو قليلاً على سنتك المحموده فملت الملوك من بعدك بسيرتك الطاهرة كما كنت سب في عصرك خير معلم للملوك العادلين والعلماء العاملين

ابا الفدا ان الملوك بعد عصرك جمعوا كثيراً واضاعوا كثيراً اجمعوا فكان ملكك بجانب ما ماكوا جزءاً صغيراً جداً وما خفقوا الا ما تحمر وجوههم نجلاً منه وبأتون في الآخرة وقد شهدت عليهم لا لم اعمالهم وانت سعدت بمن وليت عليهم وسعدوا بك فأبقيت ذكراً لا يتخوه الايام

انت علمت الخلق بان القليل مع العقل يستفاد منه أكثر من الجزيل بدونه وان وفرة المال والامار لا تكون من السعادة في شيء اذا لم تسبقها نفس مهذبة بالآداب والفضيلة وعقل يحسن التصرف بما يملك .

من لي ببطرة منك لترى ما حل بالعرب اليوم من التزيق والتفريق والفساد في المعاش والمعاد والجهل المطبق وخسف العقول . رغم اخلاف من حكمت للذلة وختموا للاستبداد وتفرقوا تحت كل كوكب فرث لم الصديق وثمت بهم العدو وخانهم الدهر وكل ذلك بما فعله سفهاء الاحلام من اسرائهم وعلمائهم انهم كانوا ظالمين .

قم وانظر فقد بدلت الارض غير الارض بعد عصرك . اخزع الافرنج في زماننا البخار والكهرباء ووفروا مرافق الحياة وقربوا الابعاد وحسنوا العيش اما قومك فليس

لم من مدنية القرون الاخيرة الا النظر وزادوا على جهلهم فساداً في اخلاقهم بحيث لم يبق لهم من الامجاد الا ان يعودوا الى صحيفة اجدادهم ويهاخروا بما تم على ايدي امثالكم كالقراء تغفر شعر أمها او الجوز الشوها لا تفتأ تذكر ماضي شبابها .

قالوا ان نظام الحكومات بعد ايامك ارتقى وانكم كنتم في عصر نقل فيه القوانين الوضعية وكان اكثر العمل بالقوانين السماوية فن لنا بمصر فان القوانين الوضعية ارتقت ولكن عند غيرنا من اهل الغرب والقوانين السماوية امرضنا عنها الا قليلاً فلم نحسن تقليد المقتنين المحدثين ولا استفظنا بآثار الاقدمين فكنا كالعقبي اراد ان يمشي كالجمل فتسي مشيته ولم يمش مثله بل كنا من الاخسرين اعمالاً

الا عطفة من نظراتك الرشيدة ايها الكريم تنظر امثلك الآن الى الانقراض اقرب منها الى البقاء : كل يوم تصغر رقعة بلادها ويغيبها الخراب وينقصها من اطرافها تحاول تقليد الراقين من الامم فلا زاهات تطيع الا تقليدها في الموبقات والشورور لا سيف مقومات الحضارة والساليب النهوض .

رحمك ابا الفدا انت امثالك انفقوا اموالهم واموال الامة في شهواتهم على المنئين والمنئين والكواعب الغانيات وانت انفقتهما على العلم والعلماء . انهم اذا كانوا جهلة اغبياء فقد كنت العالم المؤرخ الجغرافي الطبيب الحكيم الفلكي ومصنفاتك شاهدة لك على غير الدهر بانك عالم الملوك وملك العلماء . خلد اضربك بشيرتهم صيت بطش وفنك وقطع وقت في العبث وانت اقم نصاب المدل على من وليت امرهم فكانت ايامك رياض الازمنة وبهجة العصور فجزاك الله عن امثلك اجزل ما يحازي ملكاً صالحاً عن رعيته وعالماً عاملاً يخدم الناس بعلمه وفضيلته

المملكة الحلبية

ربما يستغرب بعضهم اطلاق لفظ مملكة على حمص فقد كانت عظيمة في الجاهلية والاسلام . كانت الشام على عهد الروم مقسومة ^(١) اربعة اقسام قسم قصبته دمشق وقسم قصبته طبرية وتسمى الاردن وقسم قصبته حمص وقسم قصبته ايليا (القدس) وتسمى فلسطين وكان لهم في كل عمل بطريق من البطارقة يحفظه وبعث الخليفة الاول لما اراد فتح الشام الى كل عمل جندياً وأمر اميراً فبعث الى حمص بابا عبيدة بن الجراح وسميت هذه الاعمال يومئذ اجناداً وكانت تقسم بين مضافه الى حمص ثم افردت

الى حمص ثم صار الشام في خلافة الرشيد مقسوماً الى ستة اجناد ثم قسم في الدولة التركية الى تسعة اقسام منها قسم ملكه التتار والارمن والروم وانفصل عن الشام وسمي روما .

وكانت اقاليم حمص ^(١) عبارة عن اقليم حماة واطليم شيزر واطليم قامية واطليم معرة النعمان واطليم صوران واطليم لعلعين واطليم تل منس واطليم الغلاس واطليم كفر طاب واطليم جوسية واطليم لبنان واطليم الشعرة وخمسة اقاليم التمة واطليم البلماس واطليم البارة واطليم الرستن واطليم زمين واطليم القسطل واطليم سلمية واطليم عقبرتا واطليم الجليل واطليم السوبدا وورفية وتدمر . وخراج حمص ثلثائة الف واربعون الف دينار

وكان يحد عمل حمص في القرن الثامن من القبلة قرية القصب ^(٢) المجاورة لقرية جرسية - وجوسية - من كور حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق تمر بها السكة الحديدية بين بعابك وحمص وهي بين جبل لبنان وجبل سنير ^(٣) (قلون) - أخذ هذا الحد الى النبك الى القرنيين ومن الشرق السماوة الى الفرات ينتهي الى مدينة سلمية ولها قلعة تقاربها تعرف بشميش ومن الشام ما بين سلمية الرستن ومن الغرب نهر الارنط وهو العاصي ومدينة هذه الضفة حمص وهي دار ملك البيت الاسدي ولم يزل للملكها في الدولة الاسلامية سطوة تخاف وبأس يحذر وبها القلعة المصنفة ولا منعة لها ولها بناية جليلة وعسكر وتشتمل هذه الضفة على ولاية قارا وهي قبلي حمص وولاية مدينة حمص نفسها وولاية سلمية وولاية تدمر وهي ما بين القرنيين والرحبة .

هذه المدينة العظيمة التي كانت مملكة وولاية الى القرون الوسطى ضعفت في القرون الحديثة حتى اصبحت اليوم قفصاً من عمل حماة واما تاريخها قبل الاسلام فقد ورد ذكرها في مصنفات بلبن الروماني باسم اميزا (*Amisæ*)

وذكر الحمصيون قبل عهده في جملة سكان الخيام *Scénites* الذين قاتلهم الرومان ومن مشاهير حمص قبل الاسلام هليو كابل روبا سانيوس الكاهن الاعظم في معبد الشمس (بعل) في حمص الذي يروي امبراطوراً رومانياً سنة ٢١٧ وقد استولى الصليبيون على حمص سنة ١٠٩٩ م .

ولحمص وجند حمص ذكر كثير في كتب الفتوح ^(٤) منها ان اهلها صالحوا ابا عبيدة

(١) ابن خرداذبة (٢) ابن فضل الله العمري (٣) ياقوت الحموي (٤) فتوح

البلدان للبلادري

عَلَى مائة الف وسبعين الف دينار وذلك لان الحصين كانوا مغنوين لحرب هرقل عنهم وما كان يبلغهم من كيد المسلمين وبأسهم وغفرهم فامتهم الفاتح على انفسهم واموالهم وشور مدبنتهم وكنائسهم وارحائهم وانثنى عليهم ربيع كنيسة يوحنا للمسجد واشترط الخراج عَلَى من اقام منهم وقسمت حمص خططاً بين المسلمين حتى نزلوها واسكنهم عاملها السمط بن الاسود الكندي في كل مرفوض جلا اهلها او ساحة متروكة وكانت مدينة حمص مفروشة بالصخر فلما كانت ايام احمد بن محمد بن ابي اسحاق المعتصم بالله شغبوا على عاملهم الفضل بن قارن الطبري اخي مايزديار بن قارن فامر بقتل ذلك القرش فقتل ثم انهم اظهروا المعصية واعادوا ذلك القرش وحاربوا الفضل بن قارن حتى قدروا عليه ونهبوا ماله ونساء واخذوه فقتلوه وصلبوه فوجه احمد بن محمد اليهم مومى بن بفا الكبير مولى امير المؤمنين المعتصم بالله فحاربوه وفيهم خلق من نصارى المدينة ويهودها فقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم باقيهم حتى الحقتهم بالمدينة ودخلها عنوة وذلك في سنة ٢٥٠ . قال البلاذري وبحمص هري " يرد قح وزيت من السواحل وغيرها مما قوطم اهلها عليه وسجلت لم السجلات بمقاطعتهم

وفرش طرق حمص بالصخر قديم جدد مرات قال ابن حوقل ان جميع طرق حمص من اسواقها وسككها مفروشة بالحجارة والبلاط وذكر الجغرافيون (١) من حسن بناء حمص انه لا يوجد بها دار الا وتحتها في الارض مقارة او منارتان وماء ينبع للشرب وهي مدينة فوق مدينة . وقال بعضهم ان مدينة حمص هي سوريا وكان بها مرصدان اشبه بالمرصد الذي كان عند عين الهرمل وهو من مراصد الصائبة .

فلما انت الفاتح صالح اهل حمص على ربيع كنيسةهم للمسجد وقد ظلت كذلك الى القرن الرابع (٢) وبعض بيعتها المسجد الجامع وشطرها للنصارى فيه هيكلهم ومذبحهم ويبيعهم من اعظم بيع الشام . وقد دخلها الروم في الاسلام مرات واحربوها واتوا على سوادها وزاد اختلالها بعد دخول الروم اليها ثم ان قوماً استوطنوا من سلم من الروم فانت البادية عليهم تأكل زروعهم كما كان يحدث ذلك لها الى عهد غير بعيد حتى القرن الماضي .

سكان حمص والحبيون

الاربع ان سكان هذه البلاد مزيج من ام مختلفة باختلاف الفاتحين ففهم دم من

(١) شيخ الرهوة (٢) ابن حوقل (٣) بالضم بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان

معظم الاجناس التي حكمت هذه البلاد وام عناصرها الحثيون والروم والعرب فما
« وقع سيفديار كلب (١) من القرى تدمر وسلمية والعاصمة وحمص وهي حميرة
وخلفها عما يلي العراق حماة وشيزر وكفرطاب لكفانة من كلب » وحمص كدمشق وما
يليهما ديار غسان من آل جفنة وغيرهم .

اما الحثيون (٢) فهم جنوبيون وشماليون وكان الجنوبيون سيفه جهات فلسطين
والشماليون نزولاً اولاً جبل اللسكام « امانوس » ثم انتشروا بكمور الايام من الفرات
الى حماة وحمص ومن دمشق وبرية تدمر الى كبدوكيا . ويظهر من الآثار المصرية
انه لم يكن لهم ملك واحد بل كان لكل فصيلة منهم ملك

ولم يعرف شيء عن الحثيين الشماليين قبل ان يمر الرحالة بروكهارت الانكليزي
بجدة سنة ١٨١٢ وبركة علي جدار ازقتها خطوطاً قديمة بالخط المسند المصري اي
المهروغليني تختلف عن الآثار المصرية ثم جاء بعده بعض رحالة من الاميركان والانكليز .
واخذ العلماء بالتعقيب عن امثال هذه الآثار فعثروا علي كثير منها في حماة وحمص وحلب
ومرّش وكركيش (ايرابوليس) وفي كبادوكيا وفي محال اخرى من آسيا الصغرى
وقد علم من هيئة وجوه الحثيين الشماليين علي مارسموا في الآثار المصرية انهم اقرب الي
الروتانو (كذا تسمي الآثار المصرية شعباً كان يسكن سورية الشمالية قبل الحثيين او في
جانبهم) منهم الى سكان فلسطين ولون وجوهم ايض ضارب الى الحمرة .

فلما ان اول محل احتلوه اودية جبل اللسكام ثم اخذوا يسطون ولايتهم شبة افشيتاً نحو
الشرق والجنوب حتى اتصلوا شرقاً الى الفرات فاستخذوا علي كركيش وغرباً الى وادي
الماصي فاستولوا علي حماة ثم على قادس في جانب حمص ثم غالبوا الاراميين في دمشق
نفسها فتحكموا فيها مدة ويطوا سلطانهم في وقت غير معلوم الى الشمال والشمال الغربي
حتى ضبطوا آسيا الصغرى

وقادس كانت في برية حمص (٣) وقد صورت على الآثار المصرية لان رمسيس
الثاني احد فراعته مصر حاصرها ايام غزا فراعنة الدولة الثامنة عشرة سورية وبلاد
اشور مرات ثم ضمت مصر في آخر ايام هذه الدولة فبذت سورية وفلسطين طاعتها

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني (٢) تاريخ سورية للطران يوسف الدبس

(٣) هي قدس قال ياقوت انها بلد بالشام قرب حمص من فتوح شرعيل بن

حسنة واليه نضاف بيجرة قدس

وكان الحثيون في هذه الاثناء تغلبوا على الروتاتو في شمالي سورية واجلوم من عقر دارهم وانضموا في مملكة واحدة فسيحة الارحاء 'نيسط من شاطي' الفرات الى جبل طوروس والى البحر المتوسط وتمتد جنوباً الى قادس بل الى دمشق ايضاً اخفق رعمسيس الاول في اعادة سورية الى طاعة لان خصومه فيها كانوا قد جمعوا شملهم وقد لاحظ مسبرو في تاريخ الشرق ان الفراعنة لم يكونوا الى تلك الايام يعتبرون ملوك سورية بمنزلة ملوك م اوين لم او نازلون ا قد صلح معهم بل كانوا يحسبونهم امراء يتكلمون بهم او عصاة يهجرون عقابهم وكانت نهاية الحروب معهم صاغرين دون شرط او تدمير التام

والظاهر من الآثار ان ساقى الاول ابن رعمسيس اراد ان يستريح حتى الحثيين فقاتلهم قرب العاصي على قلعة قادس وطالت الحرب الضروس وتمددت المواقع الى ان التفتها المصريون واستسلم الحثيون في الدفاع حتى ايوافرعون فاضطر ان يوقع على عهدة صلح مع مونتار ملكهم عهدة ضمنت له سلامة ملكه حتى زدت عليهم قادس مدينتهم وبعد حروب طويلة على عهد رعمسيس الثاني مع الغينيةيين وقد كلت الاله ثاب المصرية والحثية من اوراق السماء وعقدتا عهدة صلح وجدت صورته منقوشة على ظاهر جدار هيكل الكرنك بمصر انقطعت سائر الغزوات بين المصريين والحثيين مئة سنة وتزوج رعمسيس بابنة ملك الحثيين فتوطدت دعائم الوفاق بين الشعبين

وبتلخيص من اخبار تغلت فلازار الاول تلك يننوى وكان نحو سنة ١١٣٠ ق م انه كان للحيثيين في عهده صولة كبرى في شمالي سورية خاصة حتى كانت البلاد تسمى باسمهم اي بلاد الحثيين وكانت ولايتهم تمتد من لبنان الى الفرات وكانت بلاد الآراميين خاضعة لسلطانهم ونيسط ولايتهم شمالاً الى مدخل البحر الاسود فتو دي اليهم الجزية قبائل كبادوكيا (في آسيا الصغرى) وكانت عاصمة الحثيين كركيش . وكانت كركيش هذه في محاربة الاشوريين للحيثيين ما كانت قادس في محاربة المصريين لم فكانت قادس حصناً منيعاً يختر طريق آسيا في واديها العاصي وكركيش مثلها على القوات ونفضلها بانها كانت محطة تجارة ايضاً بين مغرب آسيا ومشرقها .

وقد اكتشفت آثار مدينة كركيش سنة ١٨٧٥ وكان اسمها عند العرب جرابولس ويسمى الان اتراك جرابيس محرف هيرابولس اي المدينة المقدسة وموقعها على الفرات في الشمال من نهر الساغور المعروف الآن بالساجور وفي الشرق من حلان او حلقان وهي

حلب ومن خرزاز المعروفة الآن بأعزاز في قضاء كلس وفي الجنوب من بلاد ككوما المعروفة الآن بالمقيس فهي نحو الشرق من حلب واعزاز وعلى ضفة الفرات الغربية وعلى بعد ثلاث ساعات تحت الساجور وست ساعات من البيرة .

جدد شلخاصر ملك اشور حملات ابيه على الحثيين بل قضى أكثر مدته ملكه يحاربهم ومن جاورهم . وكان من عادة الحثيين ان يرسموا خطوطهم نائمة لا محفورة فتطرق من الورا على صفائح معدنية لتنتأ الحروف في جهتها الاخرى هكذا كانت عهدهم مع مصر مكتوبة على صفيحة من فضة ونقرأ هذه الحروف تارة من اليمين وتارة الى الشمال وتارة بالعكس فان كانت رؤوس الحيوانات المصورة بها متجهة الى اليمين فنقرأ منها وكذلك ان كانت الى الشمال ونقرأ أحياناً من اعلى الى اسفل ومن اسفل الى اعلى . واما اللغة المكتوبة فيها هذه الخطوط فيرجع انها ليست من اللغات السامية فالاعلام المذكورة في الآثار المصرية والاشورية قل فيها ما يمكن رده الى اصل سامي

واشتهر الحثيون بالثقت كما تشهد لهم آثارهم الباقية ولا سيما في حصون بوزازكوي وايوق في آسيا الصغرى وانقروا فن تحصين الحءون واستخراج المعادن وصناعة تحويل الحديد فولاذاً وقد اخذ اليونان اشياء كثيرة في صناعتهم عن الحثيين . قال سايس في كتاب الحثيين ان مصدر فلاح اليونان هو الحثيون الذين اقتنوا آسيا الصغرى من اقدم العصور وبظهر ان صناع الحثيين القوا من صناعة مصر وبنوى وبابل اسلوباً خاصاً بهم واخترعوا صوراً منها النسر ذوالرأسين الذي صار بعد ذلك شعاراً للسلطين السلجوقيين وبعض ملوك اوربا اما ديانة الحثيين فيظهر انهم اقتبسوها عن بابل وبثوها في - ورية وآسيا الصغرى وتطرفت الى بلاد اليونان فان معبودات البلاد المذكورة واحدة وان اختلفت اسماً .

نبذة في عمران حمص

ليس في الايدي مصادر يعتمد عليها لاصدار حكم مسمط على عمران حمص في القرون المختلفة وغاية ما يفهم من روايات مؤرخي العرب وجغرافيتهم ان حمص في الاسلام كانت عامرة وان الزلازل اضررت كثيراً بعمرانها وان مدينة الرستن من الشمال وجوسية من الجنوب والقربتين ومهين وحوارين وتدمر من الشرق كانت من ام عمالها قال ابو فحيلة يمدح بني العباس ويشير الى انهم دكوا آثار الامويين في الشام :

وامست الاتيار داراً تمر وخربت من الشام ادور .

حمص وباب التين والموقر ودمرث بعد امتناع تدمر

والموقر حصن بالبلقاء وكان ينزله الامويون وكذلك حمص وباب التين وتدمروانا اذا اخضنا عباب معجم البلدان نقرأ فيه اسماء مدن كثيرة اكثرها دائر اليوم فنراها مدينة «الموقرة» كانت بقرب سلية وعلى آثارها بنيت هذه وسلية اليوم كحمص قضاء من اعمال حماة ومنها «مريين» وهي من قرى حمص بين الرستن وحماة معروفة الى اليوم و«مرفية» قلعة حصينة في وادي حمص كانت خربت لمجدها معاوية ورثب فيها الجند واظمهم القطائع و«لطمين» كورة بحمص ولها «من و» كفر نقد ولعلها كفرنان و«القرشية» قرية بسواحل خمص وهي آخر اعمالها و«فوز» من قرى حمص ولعلها محرفة عن فيروزة و«غثر» واد بين حمص وسلية والام في قول ابي الطيب :

غطا بالفتنر اليبدا حتى تخيرت المثالي والعشار

و«عقيريات» ناحية بحمص لا تزل موجودة و«الطوبان» و«صوران» اسم كورة بحمص وجبل و«شيزر» بينها وبين حماة يوم كانت تعد حيفا كورة حمص و«سيلة» كانت تعد من عمل حمص كذلك و«رفنية» كورة ومدينة من اعمال حمص يقال لها رفنية تدمر و«الرستن» قرية مشهورة قال ياقوت : بليدة قديمة كانت على نهر الميلاس وهذا النهر هو اليوم المعروف بالعاصي الذي يمر بقدام حماة والرستن بين حماة وحمص في نصف الطريق بها آثار باقية الى الآن تدل على جلالتها وهي خراب ليس بها ذومري وهي في علو تشرف على العاصي و«دير مباس» بين دمشق وحمص على نهر يقال له مباس واليه نسب وهو في موضع نزه ولعله المتنزه الذي يقال له الميلاس اليوم ظاهرا حمص و«دير مسحل» بين حمص وبلبيك لا يعرف اليوم ولعله بعض الخرب التي لم تشتهر الا عند سكانها

و«دير باعنتل» غير معروفة وهي من جوسية على اقل من ميل وجوسية من اعمال حمص على مرحلة منها على طريق دمشق وهو «الدير» على يسار القاصد له شق وفيه عجائب منها أزج ابواب فيها صور الانبياء محفورة منقوشة فيها وهيكل مفروش بالمرمر لا تستقر عليه القدم وصورة مريم في حائط منتظمة بكاملت الى ناحية كانت هيبة اليك و«دنة» كانت من قرى حمص بها قبر عوف بن مالك الاشجعي من الصحابة سألت عنها فلم يعرفها أحد مع ان قبور الصحابة والعلماء في الاكثر ولعلها في الوهر فان وعمر حمص كبير فيها آثار مهمة وهو يمتد من حمص الى قرب طرابلس واكثره

وعر ومن حمص الى قرب حاة فما أبد و « دير امحاق » غير موجود وهو بين حمص
وسلمية في احسن موضع وانزهه وبقربه ضيعة كبيرة يقال لها جدر التي ذكرها الاخطل
فقال :

كأنني شراب يوم اسبى بهم من فرقف خمنتها حمص او جدر
ولا هل القصف والشرافيه اشعار كثيرة :

و « حوط » قرية بمحمص او بجبله من ساحل الشام غير معروفه و « الحص » غير
موجودة وهو « موضع بنواحي حمص نُسب اليه الخمر قال ابو عجبون الثقفي :

اذا مت فادفني الى جنب كرمه تروي عظامي بعد موقتي عروفا
ولا تدفني بالفلاة فاني أخاف اذا مات ان لا اذوقها
وتروي بخمر الحص لحدي فاني اسيرها من بعد ما قد اسوقها

وكانت « انطرسوس » اول اعمال حمص وهي من سواحل بحر الشام وكذلك « افامية »
كورة من كور حمص على الساحل و « اعزاز » بلد بين حمص والساحل . وعن ابن
واضح « مرة النعمان » و « تل منس » وما والاها من اقليم حمص . و « الجبل » كورة
بمحمص و « بدين » من قرى حمص و « بانياس » كورة ومدينة صغيرة وحصن
بسواحل حمص على البحر . و « بكسراثيل » حصن من سواحل حمص مقابل جبلة
هذه هي حمص وبعض ما عثرنا عليه من اشعار قراها واعمالها اما اسماء قراها الاميرة
فاليكها الآن وعددها ١٢٧ قرية ننقلها عن سجلات الحكومة :

ابودالي . اعشارتين عتيق . ام شرشوح . ام القصب . ام حاريتين يهودية . ابوهمامة
(الاصل ابو امامة ونسبته الى الصحابي المدفون بها) اكوم . معين . ام العظام . آبل .
اكراد دياسنه . اعور . ام دولاب . بابا عمرو . بلاتسه . برايو . بريج . بتيسه . بويضة
شرقية . بوير . برج قعية . تلعمري . تليسة . تلدو . تلدهب . تارين . تيرمعة .
تسنين . تلبي مندو (تل النبي مندو قبلي حمص الى الغرب عند مصب العاصي على البحيرة) .
لدونه (وقف جامع خالد بن الوليد) تلبل . جرنابا . جوبانية . جوسية (قبلي حمص مهخراب
وعمار فالعمار من سكة الحديد للزرب والخراب في الشرق وهي البلدة الاصلية) . جدبدة
شرقية . حفر . حمام . حلاموز . حوارين . حدانة . حيصه . حاويك . حديدة العاصي .
حوز . حسيه . حميديه . حميمة . خربة السودا . خربة حمام . خربة تين نور . خربة تين
محمود . خربة غازي . دخة . دبين . دير بعلبه . ديرفور . مدينة شرقية . دوير .

دار الكبيرة . دلبوز . دميثة غربية . رستن . رام المنز . ريلة . ريان . ربيعة . رأس العين . زور غربي العاصي . زور الموح . زعفرانة . زيتة وبويزة غربية . زراعة . زيدل . زور بقرايا . زيتا الحجر . سماقيات غربية . سماقيات شرقية . سمعيل . سكرة . سقرجه . شنشار . شمسين . شورمة . شبح حميد . شرقية . صيادية . صنون . صدد . حفر . طيبة . عين طاط . عين حسين . عز الدين . عامرية . عسيلة . عراقية . عيصون وشلوح . عرجون . غزيلة . غرامير . غنثر . غنطو . غور . فيروزة . قطينة . قربتين . قنافية . قزحل . قديانة وحوش السيد علي . قصيرميري . قره وشر (ولها اسم ثان وهو تل الور) كفر عايا . كفر موسى . كفر لاها . كفر هدي . كفرنان . كمام . لغتايا . مجيدل . مشرفة . مسكنة . مهن . مودان . مباركية . مرج القطا . مرج بولاد . مقطع . متعارض . مبصرة . مطبيرة . نويجة . ناعم . انثيرة . هرقل . هبوب الريح . هيت . وجه الحجر . بوبت

وهناك اراض كانت للسلطان الخلع عبد الحميد ثم اديرت الى الخزينة وهاك اسماءها: قرية قصير ورمزون دبابة . خربة الضبعة . كوكراف . دحبرج . هنزة . مضابج . عباسية . صايد . فرقلس . برهانية . بلها . رقامة . منزل . شعيرات . وازعية . حربية . عزيزية . حمرات . وهيب . دردغان . عاليات . فحيله . تلة الناقة . خرابة قنية . فيضة . بسبة . حولاية . دويلب . مخرم فوقاني . مخرم تخاني . تل الطويلة . سليمة . نوا . حميدية . ام العمد . شوكتية . جهن . وريدة . جب عباس . تل الاخر القلي . جوسة الخراب (قبلي الخط الحديدي وغريه) . ام التين . سنكري شمالي . سنكري قبلي . ام العلب . تل الورد . دوير شرقي . دوير غربي . مسعودية . ام السرج شمالي . ام السرج قبلي . ام الجباب . جزيئات . حراقي . نثنان وام قدوم . فطيم العرنوق . عيون حنين . مسيميد . مكسر الحصان . هبرة غربي . هبرة الشرقية (ولها اسم آخر مزرعة هنداي) . مزرعة جب الجراح . مزين البقر . تلوا هوا . رحوم . مزرعة ام صهيرج . مشرفة . ام جامع

هذه اسماء قرى حص وخرايبها وبعضها تاجداً عن مركز الحكومة وخرب اعيت البادية فيه مثل القريتين مثلاً فلوجعات القريتين قضاء مع ما يصاحبها من القرى والمزارع وكذلك جب الجراح لزد العمران والسكان لا محالة وخصوصاً اذا اباعت الحكومة مزارعها وخربها من الاهلين يتدل الملل ايذاً لاشتواها المحصبون انفسهم لان من اهلها من هو غني

جداً يتساوى في ذلك مسكوم ومسيحيوم فازراعة بيد المسلمين والتجارة بيد المسيحيين وكثير من الفريقيين هاجروا إلى مصر وأميركا فاغتوا وتألوا حتى ان اهل حمص سمو لهم مدينة باسمهم في الولايات المتحدة على نحو ماسي جندهم مدينة باسمهم يوم فتحوا بلاد الاندلس .

قال ياقوت ان في حمص مدارس وقال ابن جبير ان بها مدرسة واحدة وليس بها مستشفى على رسم مدن هذه الجهات مثل حماة وغيرها اما اليوم فليس بها مدارس دينية مهمة فيما علت سوى بعض مدارس للعلوم الدينية مثل مدارس الروم والكاثوليك والبرتسنتات وبعض مدارس حديثة اهلية أنشئت للمسلمين وبها مدرسة رشدية اميرية وبها مطبعة اسم احمص تطبع جريدة حمص وجريدة جادة لرشاد وغيرها . وثلك اهل حمص غير مسلمين والباقيون مسلمون وكان اهلها كما قال ياقوت « من اشد الناس على بن ابي طالب فلما انقضت تلك الحروب صاروا من غلاة الشيعة حتى ان في اهلها كثيراً ممن رأى مذهب التصيرية واصلهم الامامية » اما ما قاله كثير من المؤرخين والعمرانيين في ان البلدة يكثر في اهل حمص منذ القديم فهو مشهور عن عاهتها لاعتن خاصتها فقد اشتهروا بذلك فصار يتناقل عنهم القرن بعد القرن وما خلا قرن فيها من خاصة فضلاء عقلاء ودليل عقلهم اليوم انهم كانوا بعد الدستور اسبق البلدان السورية الى ورود حياض المدينة وقد انتفعت بلدهم بمد السكة الجديدة العريضة الممتدة منها الى طرابلس وكانت البضائع تصدر منها . ترد على الجمال والبغال والمركبات والحواقل وسيزيد عمرانها يوم يمتد منها خط حديدي ضيق الى تدمر ويجتثها السياح بالالوف وتحمل اشعة المدينة والامن الى تلك الربوع في الداخلية وتعيد الى تدمر وارباضها عهد زنوبيا

يوم في بحيرة قدس

من يزور حاضرة من الحواضر ولا يشهد ريفها وقرافها تظل معلوماته عنها قليلة ر يظل مقلداً فيما يكتبه وما كان المجتهد كالقليل سواء في شؤون الدين والدنيا . دعاني صديقي وصني أفندي الاتامي الى قرية قرو وشر فركبت واياه عربية حتى وصلناها في ساعة وهي في جوار بحيرة قدس فجمعنا بين ثلاثة امور نافعة الرياضة في الخلاه والاطلاع على نموذج من قرى حمص وزيارة تلك البحيرة التي كان لها ذكر في تاريخ سورية القديم كما نسمع اليوم باسم خزان أسوان في مصر للتشابه بينهما فخران حمص يدعى تلعات وادي العامي وخران أسوان بسني تلعات وادي النيل .

وطول هذه البحيرة الصناعية ساعتان وعرضها ساعة وقد نسبت لقدمي عاصمة الهيتيين
او قد شو عاصمة الحثيين الثانية مجتازها العاصي وهي مدودة من مسافة كيلومترين وهناك
برج قديم على الزاوية الشرقية وعدة قرى .

وقد وصف جفرانيو العرب هذه البحيرة فقال شيخ الروبة ان بحيرة حمص وهي بقعة
محفوفة ببناء حص محكم وفيها اسماء كثيرة كبار ثم يخرج منها الماء عكراً مثل ماء النيل
ولا يصفو بعد ذلك الى ان يدخل ارض الراج ويصل الى السويدية ويصب في البحر
الرومي . وذكر ياقوت ان طولها اثنا عشر ميلاً في عرض اربعة اميال وهي بين حمص
وجبل لبنان انصب اليها مياه تلك الجبال ثم تخرج منها تنصير نهراً عظيماً

وقال ابو الفدا ان طولها من الشمال الى الجنوب نحو ثلث مرحلة وسعتها طول السد
وهي مصنوعة على نهر الارنط فانه قد صنع في طرف البحيرة الشمالي سد بالحجر من
عمارة الاوائل وينسب الى الاسكندر وعلى وسط السد المذكور برج (الآن ربح واحد)
من الحجر الاسود وطول السد شرقاً وغرباً الف ومائتان وسبعة وثمانون ذراعاً وعرضه
ثمانية عشر ذراعاً ونصف ذراع وهو حابس لذلك الماء العظيم بحيث لو خرب السد
سال الماء وعمت البحيرة وصارت نهراً وهي في ارض مستوية وهي عن حمص بنصف
يوم في غربها وباصاً بها السمك اه .

اذكرني هذه البحيرة او السد او الخزان بما في بلاد الشام من الانهر والخلجان
والبحيرات الكثيرة التي يذهب ماؤها بداراً ولا ينفع به في السقياً وقد كان القدماء
اعرف بما ينفع من هذا القبيل من اخلافهم سكان هذه الديار اليوم وذلك على قلة ما
كان في عهدهم من الادوات التي احدثتها مدينة الغرب وتقدم فنون الحيل (الميكانيك)
والمدسة والبناء . ولذلك رأينا اعمال اسلافنا شاهدة على الدهر بعظمتهم وان عقولهم
كانت ارقى من عقولنا واعمالهم انهم من اعمالنا .

في سورية انهار كثيرة تجري ولا من ينفع بها من سكان الجوار فلو وقع الانتفاع
بمياه نهر الفرات والعاصي وابراهيم والاردن والليطاني والازرق كما ينفع بمياه نهر
الكلب ويردى والاعوج مثلاً لا خصبت كثير من الاراضي التي تحرم من المياه اليوم
وكان في المكنة ان تسمى سيجاً وتغرس فيها انواع الاشجار

لا تشكو سورية في عمرائها قلة الايدي العاملة ولا النفوس الذكية ولا قلة الخصب
وسعة الرباع والإصقاع ووفرة الأمواه وجودة الاهوية بل انها تشكو من قلة من يفكر

في الانتفاع من ثروتها الطبيعية ولو كانت هذه الحكومة تفكر في عمران بلادها على الأقل على مستوى ما تفكر روسيا مثلاً من دول الارض لاصبحت سورية في بضع سنين من عمر الاقطار تشبه ألمانيا والنمسا وفرنسا ان لم نفقها لاعتدال الفصول الاربعة فيها . ولكن جرت الاقدار بان يراجع عمرانا حتى اصبحنا بعد ان كانت سورية انبار العالم في الحبوب ونحن نجلب الدقيق من روسيا وآسيا الصغرى واميركا وفرنسا والحكومة ساهية لاهية لا يهمها الا قبض الضرائب والعشور ولو اوشكت البلاد ان تبور وفي المثل الفرنسي ان الاراضي تغل على نسبة اقتدار من يقوم عليها

Cant vaut l'homme tant vaut la terre ولا عبرة في الثروة
الا بما استخرج من كنوز الارض الا بما كان مذخوراً في عالم القوة

المملكة الطرابلسية

كانت طرابلس الشام ايضاً مملكة ايام حكومة الاقطاعات كما كانت صفد والكرك وحماة وغيرها من مدن سورية وكانت مدينة طرابلس او اطرابلس باثبات الف سيف اولها في رواية اعظم مدن هذه المملكة بل كانت طرابلس في القرن الرابع كما قال المتفدي اجل من صيدا وببروت وذكر الظاهري ان طرابلس مدينة حسنة بها جوامع ومدارس واسواق وحمامات وعمائر حسنة وهي على شاطئ البحر المحيط يقال انها شامية مصرية لحسن هيتها وكانت على عهده تشتمل على عدة مدن واقاليم وقلاع وقرى ومن جملة اعمالها قلعة صهيون في جبال الكلية وقلعة المرقب وحصن الاكراد وقلعة قدموس والملاذية وجبل الكهف والردافة وما والاها من القرى وتشتمل هذه المملكة الطرابلسية ونواحيها فيما قيل على قريب من ثلاثة آلاف قرية

وسمى شيخ الربوة مملكة طرابلس بمملكة الساحل وكرسيها طرابلس المستجدة بعد فتح طرابلس الشام بجيش المسلمين في مملكة الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى قال: بنيت هذه المستجدة في سفح ذيل من اذيال جبل لبنان بكورة من اكوار طرابلس بعدها عن طرابلس القديمة المخروبة نحو من خمسة اميال على شاطئ نهر يجري الى البحر (١) وهي سهلية جبلية بحرية برية يفضل الماء في جوانبها ولها قنطرة على واد بين جبلين يمر عليها الماء من منبعه اليها في ارتفاع نحو سبعمائة ذراعاً وطول هذه القنطرة نحو من مائتي ذراع والنهر يجري من تحتها الى سقي الاراضي ويصب في البحر الرومي

(١) يقال له اليوم نهر ابو علي وكان يعرف قديماً بنهر قادش اي المقدس

ولا يكاد يوجد فيها دار بغير شجر لكثرة تحرق ارضها بالمياه وهذا النهر ينبعث من جبل لبنان . وقد جمعت في بسايتين طرابلس من القواكه ما لا يوجد في سائر الاقاليم اصلاً قصب السكر والحميز والمحمضات الكثيرة الزائدة والبناس الذي لا يوجد مثله والتج وسبك البحر الطري والطير الكثير ومجموعها لم يجمع في بلد غيرها ومن بلادها واعمالها الساحلية البترون وهو حصن من فتوح الملك المنصور وله عمل متسع وأنفه مدينة ساحلية محكمة البناء وانطرسوس مدينة ساحلية

وعدد من اعمال طرابلس حصن عرفا وحصن حابا قال ولما عمل متسع به ولايات ومرأكر ومن اعمالها جون وده رجليه (٢) والحصان خراب في عصره ومدينة مرقية (مرقب ٢) وجومة عكار اي كورة عكار وجومة بشسريه والكورة والحداث باذيال لبنان ولها اعمال يزيد عددها على الف قرية . وحصن عكار (١) حصن متسع من بناء الاسلام وينصب اليه ما من الجبل المطل عليه و يدخل الى القرية وحصن الأكراد حصن متسع مشرف بين الشام والساحل ينظر الناظر منه الى الشام وقارى والنبك وبطيك والى البحر والساحل .

قال ومن اعمال طرابلس المستجدة قلاع الدعوة وهي التي ملكها راشد الدين محمد تليذ علاء الدين علي صاحب الاموت في النجم وهو صاحب الدعوة الاسماعيلية والحصون هذه هي حصون الخواجي وحصن الكهف وحصن القدوس وحصن العليقة وحصن المنيعة (البقيعة ٢) وحصن الرصافة باذيال طراز من جهة الشام وحصن ابي قيس وثغر صياف وهو اهم هذه الثغور في اظهار الدعوة وارسال الرجال للدواية الى البلاد والاقاليم في قتل الملوك والاكابر وحصن بلاطس وحصن متسع جداً وله احد عشر باباً كل باب فوقه باب وحصن المرقب ثغر متسع على رأس شاهق مطلق على البحر كبير مثلث الشكل بناء الرشيد على اثر بناء قديم ثم بناء الهارثي ثم ملكه المسلمون في عصره وعمروه وحصن صهيون حصن متسع عادي قديم البناء يقال انه من بناء أغسطس ملك رومية الكهري المسمى قيصر وليس هو أغسطس صاحب التاريخ اليوناني وهذا الحصن ضعب المرتني على قمة جبل وعليه خمسة اسوار وله فرضة في الساحل في طرف دخله من الارض كالجزيرة من البحر

وذكر ان اللاذقية محاطة بالبحر من جهاتها الثلاث وهي اشبه بالاسكندرية في بنائها

(١) جبل عكار هو برج جليوس القديم

وبارضا معدن رخام ابيض واخضر موني وبها دير الفارس من اعجب البناء في الديوروله يوم في السنة تجتمع الصاري اليه والمدا الذي باللاذقية من أعجب المواني في البحر واوسعها لا يزال حاملاً للسفن الكبار وعليه سلسلة من حديد حاصرة لراكبه مائة من صراكب العدو وفرضة بلاطنس مدينة جبلة بن الايهم الفسافي جدوت باسمه في صدر الاسلام وكانت مدينة عادية بناها الصابئة وفيها آثار مقر الملك الذي كانوا اصططحوا عليه في زمن نوح وابراهيم وموسى عليهم السلام وكان له صرب يركب الراكب فيه تحت الارض الى ظهر السفينة بالبحر ويركب في السفينة الى وسطه تحت الارض محجوباً .

وعد من عمل طرابلس مدينة بانياس فقال انها مدينة عبرانية يونانية رومية وبها انهار ساجحة قرية المتبع وبساتين كثيرة من اعجب بساتين الساحل وذلك ان حيطان البساتين متصلة بضرب موج البحر بغير حائل وبين بانياس وجبلة جزيرة صغيرة عندنهر غزير يسمى النهر الابتر وسمي بذلك لقصر جربته وقلة الارتفاع فلا يتشعب منه شعب ولا يتفرع فروع مع غزارته وقوته وعلى الجزيرة دمن حصن يقال له بلدة كافن من احسن الحصون بناء وخر به اهله بايديهم دون غيرهم ودخلوا البحر من غيظهم بمضهم على بعض وهذه الجزيرة من اعجب الجزائر شأناً بالماء وذلك ان البحر محيط بنصفها واكثر والنهر محيط بالنصف الذي الى البر والماء مختلطان فالنصف ملح اجاج والنصف عذب فرات ومما في النظر ماء واحد محيط به من سائرهما . ومن اعمال طرابلس ايضا البقيعة هي الحصن والناعم وجبال العميرية نحو عشرين عملاً بين صهيون واللاذقية والى البترون والعاقورة

هذا وصف مملكة طرابلس وعملها في القرون الوسطى وحدها ابن فضل الله فقال من القبلة جبل لبنان ممتداً على ما يليه من مرجع الاسل . حيث يمتد شهر العاصي ومن الشرق نهر العاصي ومن الشمال قلاع الدعوة ومن الغرب البحر وبلاد طرابلس لها قلاع وولايات فذكر من قلاعها حصن عكار وحصن الاكراد وكانت محل النياية ومقر السكر قبل فتح طرابلس وبلاطنس وصهيون ثم قلاع الدعوة وهي الطينة والمنيقة والكهف والمرقب والقندوس والخواجي والرافعة ومصيف وهي دار ملك هذه القلاع الاسماعيلية ولها على قلها الرتب العالية واموالا ياتها فهي انطرسوس واللاذقية وجبة النيطرق وبلاد الضنين (الضنية) ومنها بشرية وجبلة وائفة وجبيل وما مل في تلك جماله ولاية

وبعض هذه البلاد اليوم تابعة للواء اللاذقية من اعمال ولاية بيروت والاخر من

لواء حماة من عمل ولاية سورية وغيره من عمل متصرفية جبل لبنان وبعضه من عمل طرابلس كحصن الاكراد وعكار وصافيتا ونواحي المنية وحذور والقنية وطرطوس وارواد وطرابلس هي احدى الولاية وولاية بيروت وهي اللاذقية وعكا ونابلس .

ويبدأ اول عمل لواء طرابلس من السفح الجنوبي من لبنان ومن السفح الشمالي من جبال النصيرية فهو بين منفسحي هذين الجبلين وتكثر انهاره واعظمها النهر الكبير في عكار ويسميه القدماء نهر ايلوتروس *Eloutherus* ومن خفته الشمالية تنبدي البقعة وهي سهل فسح اشبه بسهل البقاع في لبنان الشرقي

سميت طرابلس بهذا الاسم اي البلاد الثلاثة (تريپوليس) *Tripoli* لان مهاجري ثلاث مدن فينيقية وهي صور وصيدا وارواد بنوها وكان كل حي من احياء هؤلاء المهاجرين يفصله عن الآخر سور على ان اسم المدينة الفينيقي غير معروف على وجه الصحة وهذه التسمية اقرب الى الرومية ولعل طرابلس لم تؤسس الا قبل المسيح بسبعائة سنة بعد تأسيس ارواد وقد جاء بعد بنائها من الصور بين والهيدينيين والارواديين دولة السالوقيين الرومية فامتلكوها في جملة ما ملكوه من بلاد الشام ثم الرومان فزبنوها وانشأوا فيها ابنية ضخمة ائت عليها كلها الزلازل المريعة التي اصابتها في عصور مختلفة والى جاء الصليبيون الى طرابلس كان حاكمها ابن محناز من الحكام المستقلين بها فبدأ الكونت ريموند سان جيل من ملوك الصليبيين بحصارها سنة ١١٠٤ م وذلك بانشاءه حصناً سماه الافرنج مون بلغربنوس *Mon Bellegrinus* وسماه المسلمون سان جيل اوصان جيل ولم تؤخذ المدينة الا بعد خمس سنين وذلك باحراقها ومن جملة ما ذهب في حريقها طعاماً للتار مكتبة عربية مهمة كان فيها في بعض الروايات مئة الف مجلد وفي رواية اخرى اكثر من ذلك بكثير وداهم حكم الصليبيين في طرابلس ١٨٠ سنة ارتقت في خلالها كما يقول مؤرخوهم على الرغم مما كان يتخلل تلك المدة من المصائب والحروب الاهلية واستعادها منهم سنة ١٢٨٩ السلطان قلاوون الصالحى سابع ملوك المماليك البحرية في مصر والشام وبنائها في الداخل بعيدة عن الساحل كما مر آنفاً

ودخلت طرابلس في الحكم العثماني على عهد السلطان سليم يوم فتح الشام وظلت مدة تملو وتسفل بحكم الاقطاعات شأن سائر المقاطعات والولايات وكانت مدة مركز اياالة ثم الحقت بولاية سورية يوم تأسيس الولايات وكان حظها ان تتبع بيروت يوم سلخت هذه عن دمشق واصبحت ولاية برأسها

تحتوى طرابلس من السكان على نحو ثلاثين الف نسمة وفي اعمالها زهاء ١٥٠ الفاً ومساحة قصاتها ١٩١ كيلومتراً مربعاً ومساحة قضاء عكار ٢٨٥ وقضاء الحصن ٥١٣ وقضاء صافيتا ٤١٤ كيلومتراً والعنصر الغالب فيها المسلمون ثم يحميهم اهل الاديان الاخرى ويقال ان اصل سكان طرابلس من جالية العجم ولذلك غلبت عليهم طباع اشبه بطباع الفرس من حيث الابهة والثأني

كان المأمول ان ترقى مدينة طرابلس الشام لاتصالها بخط حديدي عريض مع بلاد الداخلية طوله من طرابلس الى حمص ١٥٥ كيلومترات ولكننا رأيناها هذه المرة على تلك الصورة التي رأيناها عليها منذ نحو عشر سنين لم تكد تخطو خطوة تستحق ان تذكر ولا شيء من الموبقات الجهرية التي زادت فيها بدخول الاجانب وانتشار الحرية وكان بعضها موجوداً من قبل على صورة سرية لقلنا ان طرابلس هي في منذ بضع سنين

ومن الغريب ان بعضهم لاحظ بان نفوس سكانها لم تزد زيادة تذكر في العهد الاخير مع ان اهلها ليسوا اكثر من سائر مدن سورية وقراها في حب الهجرة ولولا قليل من الصحف انشئت فيها عقيب الدستور لكان يصح ان يقال ان الحركة العلمية لم تزل بجبالها ابصاراً وقد اثر هذه النشة ماشوهد من النقص في حاصلات البلاد الداخلية لرداءة المواسم ونقص اضداد الغلات من طرابلس وكانت بجبالها التي تنقل الحبوب اليها في السنين الغائرة من جهات عكار والحصن وصافيتا وحمص وحماة وسليمة اكثر حركة منها اليوم بسكنتها الحديدية الجديدة ولكن هذه السنة لا تقاس عليها سائر السنين مادامنا موقنين بان الارتفاع بطيء الحصول كالانحطاط ولا بد من قضاء دور الحضارة في الحضارة والسكك الحديدية اذا مدت في الاصقاع المقفرة اعمرتها فما بالك بقطر مخصب البقاع والرباع جيد التربة ذكي الماء والهواء واسع المادة تجود فيه اكثر الغلات والثمرات .

اللهم ان طرابلس ستكون بمدينة بيروت ام موافى سورية بعد سنين اذا تعاضد اهلها على ما فيه المصلحة تعاضد ام نالوا امتياز سكة حديد طرابلس - حمص وتركوا اشتغال بعضهم ببعض مما هو من شأن البلدان التي لا تعمل لاهلها ينهضون به فلا يجدون تسلياً لهم سوى الاغتياب والتميمة واكل لحوم بعضهم بعضاً وتسفيه آرائهم فتكون غالبية ذلك التخاذل والتفاضل وذريعة الانحطاط المبين .

تمثل لنا في طرابلس كل التمثل ان العقلاء من المسيحيين احسن الانقياع بالمستور
اكثر من اخوانهم المسلمين فكان واسطة لنهوضهم اذ كانت لديهم مواد الارنقاء
موفورة الا قليلاً فلما جاء دور العمل هبوا هبوا محموداً ولولا داء الهجرة الذي نفسى
اكثر من غيرهم ولا سيما بسبب الجندية لبلغ اخواننا في الوطن مبلغاً تحسد عليهم
حتى الامم الراقية

فصاناً نسمع عن هذا البلد الطيب كل ما يسر القلوب. من دواعي الارنقاء فنقل
وقائمه وحوادثها المزعجة وتكدس سوق الفسوق الرائجة بما ينال عليها من اموال بعض
اغبياء عكار والحضن وصافنيا ممن يقصدون طرابلس ليفجروا فيها ويقتلون برضام عن
ملاحظة زروعهم وعمران بلادهم .

واذا صبح ما يسعى اليه بعضهم اليوم من نيل امتياز سكة حديدية من حمص الى تدمر
والمسافة بينهما لا تقل عن مائتي كيلومتر تحمل القطارات الى طرابلس بثلاث الداخلية
من شرقي سورية كما ينقل الخط الحلي محاصيل البلاد الشمالية .

وبعد فقد اشتهرت طرابلس من القدم بمصنوعاتها الحريرية ولا سيما الزناثير الطرابلسية
اللطيفة وكل صناعاتها قد نازعتها المصنوعات الاوربية اليوم وتوشك ان تبزها برخص
اسعارها وجمالها الظاهري ومهارة المتجربين بها في قاعدة العرض والطلب ولكن اوربا
لا تستطيع متازعة طرابلس ولا غيرها من هذه البلاد بمحصولات اراضيها وخصوصاً الثمار
والبقول والفلات وفي طرابلس يجود البرنقال والليمون جودته في صيدا وبيانا من بلاد
الساحل وقد رأى ارباب الحدائق كيف ربحوا من اراضيهم منذ توفروا على زراعة
هذه الشجرة المباركة

خاتمة

هذا ما شاهدناه ولاحظناه في الرحلة بين دمشق والفجاء وحلب والشهباء سطرناه بعد
الرجوع الى نصوص علماء التاريخ والجغرافيا من العرب خاصة وذلك بقدر ما سمعت
الاحوال وقد استنرقت هذه السباحة عشرين يوماً ولو صرفنا اكثر من هذه الفترة
والزمن وثبتنا الاقاليم اقليماً واكثراً بعد الاخرى لانبثنا من الفوائد باضفاف
ما اتينا وكنا بما نجمع نستغني بعض الشيء عن التريبين فيما يتعلق على الاقل بتاريخ
هذه البلاد وعمرانها وثقوبها والحمد لله في المباديء والخواتيم



مخطوطات ومطبوعات

المسالك والممالك

نشر علماء المشرقيات مئات من كتب العرب وقلموا ونشروا شيئاً لا وفيه فوائد جمة يتم نقصاً في العلم ويسد ثلثة في الآداب والفنون . وعن عنوانها بنشر كتب الجغرافية التي ألفها علماء العرب الأستاذ دي غوي المولاندي نشر في ليدن ثمان في مجلدات لعلماء متنوعين في صور بلاد الاسلام وسماها المكتبة الجغرافية العربية كما نشر مستشرقو الاسبان بضعة عشر مجلداً في تاريخ الاندلس وسموها المكتبة الاندلسية ومن جملة تلك المجلدات الثمانية كتاب المسالك والممالك لابي القاسم محمد بن حوقل البغدادي من اهل القرن الرابع وقد اعتمد فيه على كتاب ابي القاسم محمد بن خرداذبة وقدامة بن جعفر الكاتب وابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وافاض فيه بذكر المفاوز والممالك والاقاليم والبلدان وطبائع اهلها وخواص البلدان في نفسها وذكر جباياتها وخراجاتها ومستغلاتها وذكر الانهار الكبار واتصالها بشطوط البحار وما على سواحل البحار من المدن والامصار ومسافة ما بين البلدان للسفارة والتجار مع ما يضاف الى ذلك من الحكايات والاخبار وال نوادر والآثار .

هذا اقل ما يقال في كتاب المسالك والممالك واهم ما فيه ان مؤلفه رحمه الله كان في الجنزافيين . كما كان المسعودي في المؤرخين من رحلوا من بلادهم وضرخوا في طول الارض وعرضها ولذلك تكلم فيما تكلم عنه من البلاد عن ذوق ونظر واختيار فخرج من بلده وطاف كثيراً من اقطار العراق والجزيرة وارمينية وخراسان والجال وفارس واماوار والنهر والهند والشام ومصر وبرقة وافر بقة والمغرب الاقصى وصقلية والاندلس وغيرها من بلاد الاسلام ولم يمرض للكلام على سائر الافطار الا بحسب ما بلغه من الثقات عنها ولذلك جاء كتابه من اصح ما كتب في عصره لانه ميز بين الحق والباطل والحالي والعاطل .

والمؤلف طريقة في التأليف والتحرز من الوقوع فيما يقع فيه اغلب مؤلفي القرون الوسطى ما لا يكاد يدانيه فيه كثيرون وكانت رحلته في التجارة على نحو ما كان شأن ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان من اكبر المساعدات له على احراز هذه الملكة واليك نموذجاً من احترازه خوف السقوط عند صياغة النقد من بعد ان قال في كلام علي بن

« ويحكى عن بعض الغيلان بها ما لا استعجز حكايته لأن المنكر لما لا يعلم اعذر من المقر بما يجهل » وهكذا تجده اذا شئت في الاخبار يقدم بين يدي نجواها قوله ويزعمون او يقال او يروى ليكون المطالع على بصيرة مما يقرأه .

وكتاب المسالك والممالك على صفر جمعه (٤٠٦) من قطع الوسط) فيه عدا وصف البلدان ذكر غراجها وثروتها كما مر آنفاً فهو ليس كتاباً في جغرافية الممالك بل في جغرافيتها الاقتصادية والسياسية والطبيعية بدعش المطالع لتقريرها ويتراءى له ان المؤلف من اهل القرن التاسع عشر او العشرين في اوربا واكثر مذكوره من هذا القيل مما حققه بنفسه من مصادره لان رحلته وثلثه وبعد نظره مكنته من الاجتماع بالطبقة العالية من الحكام في عصره فوقف على ارتفاع الممالك وما تخرجه البلاد من الخيرات قال : « وفي ذكر البلد ما يدل على ما كان عليه من العناد والعدد ووصف ارتفاعه ما يعرب عن حاله ومكانه و يغني عن ذكر شرفه وشأنه وكذلك كل بلد ذكرته واذكره فالعبرة بارتفاعه وجباياته هي التي تدل على قوته وقوة اهله اذ قوام الدنيا بالمال وهذه عبرة لجميع العقلاء ومراة لساير الفهماء وان خرج بالخصوص عن بحر العموم في هذه القضية قوم لم نحكم بهم ولم نلفت اليهم . »

واذ كان المؤلف ممن يشتغلون بالمال وتنميته مع العلم والتأليف نراه يستدل احياناً على ثروة قوم بنزل بينهم بالسفائح والاوراق المالية التي لم تحمأ ذكر من هذا القيل انه رأى في ايدي بعض التجار وسمى اسماءهم في صقلية والمغرب وغيرهما سفائح كل سفينة باربعين الف دينار واكثر لصاحبها دين على آخر فاذا كان تاجر واحداً له على تاجر آخر مثل هذا القدر فكيف تكون ثروته . واليك هذه القصة التي رواها في غنى اهل سيراك ومنها تعلم عظم نفسه ايضاً وصورة من صور اخلاقه قال : « ولقد رأيت بالبصرة منهم (اهل سيراك) ابا بكر احمد بن عمر السيراكي في سنة ٣٠٥ وقد قدمت عليه بكتاب بمن يعز عليه في مهم له فاخذ الكتاب من حيث لم يخطر الي فقرأه ثم وضعه من يده ولم يعرني لحظاً وسأله في الكتاب مخاطبتي على معانيه واستعلام ما عرض فيه من مخاطبته وما بينهما مما يجب وقوفه عليه من جهتي كالمستشهد بعلمي بمد تربية في الكتاب صورتي ومحلي منه ثم اقبل على بعض خدمه وذكر مراجه وحاله فوثبت غيظاً وانا لا ابصر ما بين يدي من شدة مانائي ودخالني باعراذه فكأنه لحظ مكاني فقال : ما فعل الرجل فقيل : ومن هو فقال : صاحب فلان فقيل له : و بصاحب فلان ما فعلت هذا الانتباض لقد خرج

وهو لا يصبر ما يزين يديه حنقا والمبا فقال : علي به فاحقني كتابه وقد بث جماعة غيره في طليبي في الطريق التي قصدت له فقال ان الشيخ تألم من خروجك بغير اذنه وعرفناه مظهر لنا منك فانقذنا لردك فقلت : والله لقد رأيت ملوك الدنيا واكثرهم من تحت ايديهم الآلاف من الناس على اختلاف اطوارهم وتباين احوالهم وهم قطب الصلف فما رأيت رجلاً أكثر زهواً وبأوأ واقبح صلفاً منه فقال : وحق له ذلك هذا رجل اعتل في سنة ٢٨ علة خيف عليه منها فوجى فبلغ ثلث ماله مع شيء استزاده على الثلث لانه لا وارث له بالف الف دينار بين مركب قائم بنفسه وآلته ووكيل معلوم مانعده وتحت يده بالحسابات الظاهرة والقبوض المعروفة المعلومة من جهاتها واوقاتها الى بر بهار ومتاع من جوهر ووطر في خائباته ومخازنه وقل مركب خطف له الى ناحية من نواحي الهند او الزنج او الصين فكان له فيه شريك او كرمي الا على حسب التفضل على المحمول بغير اجرة فالتفتني قوله وعدت اليه فاعتذر بما كان وهذا وان زاد على الثلث فقلعه اوصو. بنصف ماله فما سمعت ان احداً من التجار ملك هذا المقدار ولا تصرف فيه ولا من ودعة سلطان لانها حكاية اذا اعتبرت كالتخرافات يستوحش من حكاها منها .»

وكثيراً ما يتعرض المؤلف لخصائص سكان البلاد وعاداتهم وعاداتهم ومن ذلك ما ذكره في فارس من ان الاكراد في عهده كانوا يحكمونها ويحبون خراجها وانهم تغلبوا على الجزيرة وارمنية مما دل على انهم هناك الآن منذ عهد ليس بطويل وان معظمهم كانوا في بلاد فارس وما ندرني ما طراً من الاحوال حتى انتشروا في هذا القسم من البلاد العثمانية اليوم فقد قال المؤلف : واما احياء الاكراد بفارس فالكردمانية والرامانية ومدثر وحي محمد بن بشر والبقيلية والبندامهرية وحي محمد بن اسحاق والصباحية والاسحاقية والادركانية والهركية والطهادية والزابادية والشهروية والبنداقية والخصروية والزنجية والصفرية والشهبازية والمهركية والمباركية والاستامهرية والشاهونية والفراية والسلونية والصيرية والازاددخية والبوازخية والمطلبية والمالية والشاهكانية والجليلية فهو لاه المشهورون ولا يتهمياً نقصهم الا من ديوان الصدقات ويزيدون على خمسمائة الف بيت ويخرج من الحي الواحد الف فارس واقل من ذلك واكثرهم يتجمعون في الشتاء والصيف المراعي الا القليل منهم على حدود الصرود واما اهل الجروم فلا يزالون ولا ينقلون بل يترددون فيها لم من النواحي ولم من العدة والبأس والقوة بالرجال والدواب والكرام ما يستعجب على السلطان امرهم اذا اراد ان يخيفهم . ويزعم ابن دريد انهم

من العرب وانهم من ولد كرد بن مرد بن عمرو بن عامر في حماسه وابو بكر محمد ابن الحسن بن دريد ممن يستنبط علوم العرب واخبارها محتج به ومسلم له ما يدعيه وهم اصحاب اغنام وزمناك والابل فيهم قليلة وليس للاكراد خيل عتاق الا ما عند المازنجان المقيمين بمحدود اصبهان واما دوابهم فبراذين وهاري وهم على حسن حال ويسار ومذاهبيهم في الفقيه والنخبة مذاهب العرب ويقال انهم يزيدون على مائة حي وذكرت نيفاً وثلاثين حياً .»

وقال في فارس ايضا : « فلما زعيم والباسه واحوالهم فالغالب على خلقهم الخافة وخفة الشعر وسمره اللون واهل الصرود اعبل اجساماً وأكثر شعوراً واشد يابضاً ولم ثلاثة السنة الفارسية التي يتكلمون بها وجميع اهل فارس يفقهونها ويكلم بعضهم بعضاً بها الا الفاظاً تختلف لا تستمع على عامتهم ولسانهم الذي به كتب العجم وايامهم ومكاتبات الجوس فيما بينهم هو الفهلوية التي تحتاج الى تفسير حتى يعرفها الفارسي ولسان العربية الذي به مكاتبات السلطان والدواوين وعامة الناس واما زعيم فكان السلطان زيه الاقية وقد تلبس سلاطينهم الدراريح وان كانوا فرساً ومن لبس الدراريح منهم اوسع فروجها وعرض جربانها وجيوب درار يعهم كجيوب الكتاب والعمائم تحتها القلائس المرتفعة ويحملون السيوف بمجائل وفي اوساطهم المناطق وخفافهم تصغر عن خفاف اهل خراسان وقد تغير زي سلطانهم في وقتنا هذا لان الغالب على اصحابه لبس الدليل وقضائهم يلبسون الدنيات وما اتسبها من القلائس المشمرة عن الاذنين مع الطيالة والتمص والجباب ولا يلبسون دراعة ولا خفا بكسره ولا قلنسوة حتى تغطي الاذنين وكتائبهم يلبسون ملابس كتاب العراق ولا يستعملون القباء ولا الطيلسان وثنائهم بين لبس كتاب وتجار من الطيالة والاردية والاكسية التونسية والحز والعمائم والخف التي لا كسر فيها والتمص والجباب والمبطئات وبنفاضلون في جودة الملابس والزي واحد كزي اهل العراق والغالب على اخلاق ملوكهم وخدمهم واولادهم والمخالطين للسلطان من عمال الدواوين والداخلين عليهم واستعمال المروة في احوالهم واقامة الوظائف والمطابخ وتحسين الموائد بالمطام وكثرة الطعام واحضار الحلوى والفواكه قبل الموائد والنزاهة عما يبيع به الحديث من الاخلاق الدنية وترك المجاهرة بالفواحش والمبالغة في تحسين دورهم ولباسهم وموائدهم والمنافسة فيما بينهم في ذلك والآداب الظاهرة فيهم والعلم السائق في جميعهم واما تجارهم فالغالب عليهم محبة الجمع للمال والحرص فوق من سواهم من اهل الامصار .»

وقال في كلامه على البلاد الشامية مانعه : وطرابلس وهي مدينة كثيرة الخير والغلات والفواكه الجيدة بيئة الخصب والرخص وهي قريبة من مدينة بيروت التي على ساحل بحر الروم وهي فرضتها وساحلها وبها يربط اهل دمشق وسائر جندوها واليا يتفرون عند اسنة فارم وليسوا بآهل دمشق في جفاء الاخلاق وغلظة الطباع وفيهم من اذا دعي الى الخير اجاب واذا ايقظه الداعي اتاب ، ولنفس دمشق خاصة بطالها الجاري بها على الخلاف وسمعت عبد الله بن محمد يقول : برج الاسد معوج فاسد مع شرفه وضيائه وقل ما كان طالع بلد فصفت طاعته واستقامت وذكر سمرقند واردييل ومكة ودمشق وحفلة وقال لا تصلح لسلطينها ولا يتقم سلطينها بها واكثر هذه المدن فالنذر اثبت ما في نفوسهم والشر اشمل الاحوال عليهم اه وهذا مما يؤخذ على المؤلف ولكن كيف كان الحال لم يحل كتابه من ذكر طبائع اهل البلاد اوردناه للدلالة على ذلك

وقد اجاد المؤلف من وراء الغاية في وصف المسافات بين البلدان بحيث جاء كتابه في عصره بل والى اليوم اشبه بدليل سائح لما عرف من بلاد الاسلام وان اورث ذلك بعض الفصول طولا احيانا ولكن المؤلفات لا تكون كلها سلسلة واحدة في الجودة والفائدة والتسلية . كما اجاد في وصف معادن كل قطر وهوائه وذكر نبذة من تاريخ عمرانه بحيث جاء كتابه لافي الجغرافيا فقط بل في المنيولوجيا (علم الاحداث الجديدة) والكرولوجيا (التاريخ والسير) والمنيولوجيا (علم الامادن) والايثوغرافيا (علم خصائص الشعوب) والاركيولوجيا (علم الآثار) والنوميسماتيك (علم النقود) وهكذا حوى من كل فن خبرا ولكن مع التثبت والتفقيح على الاغلب ومما ذكره في تاريخ بني حمدان امراء الجزيرة وهم الذين خلد مجدهم ابو الطيب المتنبى بشعره لما اغدقه عليه مقدمهم سيف الدولة المشهور من المكارم فقال فهم ما لم نذكر اننا اطعننا عليه في شيء من كتب التاريخ مانعه : « لم تزل (نصيبين) على ما ذكرته من اول الاسلام تضمن بمائة الف دينار الى سنة ٣٦٠ فاكب عليها بنو حمدان بصنوف الجور وتعجيد الكلف الى ان حمل ذلك بقي حبيب وهم بنو عم بني حمدان الى ان خرجوا بذراريهم ومواشيهم وثقلهم في اثني عشر الف فارس على فرس عتيق وسلاح شاك من درع وجوشن مذهب ومقفر مدبج وسيف فارد ورمح خطمي وآلة وعدة على بلد الروم مطلة فقمع بها شوكتهم وبسبون بها ذراريهم ويخربون حصونهم ويجفون ديارهم تقدمهم كهذه الغدة لم من جنائب

هناك وبغال فره عليها الخدم والموالي فتصبروا باجمعهم واثقوا ملك الروم من انه
 يدان احسن لم النظر في ازالهم على كرائم الفياح وتنافس الحباء والمتاع وتخخيرهم سيف
 القرى والمواشي ورفدهم بالنواحي والمواشي العوامل وعادوا الى بلد الاسلام على بصيرة
 بحضارة وعلم باسباب فساد وخبرة بطرقه ومعرفة بدقه وجله وقلوبهم تضطرم حقدآ
 ونفور كيدآ وقد كاتبوا من خلفوه ولاطفوا من عرفوه بقصد آل حمدان له سيف ماله
 وضياعه فاطعموهم فيما نالوه وعرفوهم ما رجعوا اليه وجاؤا فيه من قصد بلاد الاسلام
 واجتياحه واصطلام بتاعه ونواحيه وان الملك ايدم وقوام وانهم عليهم وآوام فلحق
 به كثير من الخلفين عنهم وانتم اليهم من لم يك منهم فتنوا الغارات على بلد
 الاسلام وافتحوا حصن منصور وحصن زياد وصاروا الى كفر توثا ودارا فاتوا عليها
 بالسبي والقتل والحرقوا اسوارها بالارض وصارت لم تلك عادة وديدنا يخرجون كل سنة
 عنداوان الحصاد الى ان اتوا على رخص نصيبين بنفسها والغربي من ضياعها وتعدوا ذلك
 الي ان وصلوا الى جزيرة ابن عمر فاهلكوا ظاهرها وسمتوا رأس عين واعمالها وساروا
 الى الرقة وبالس وعادوا الى ميا فارقين وارزن فاخر بوا قراها وضياعها واحرقوا اشجارها
 وزرعوها الى ان جعلوها كالخاوية على عروشها وتزايدت ثقة الملك بهم والروم الى ان
 جعلوا لم الارزاق والاعطية وصاروا خاصة الملك ولحقوا له المضايق وتقدموا في المسالك
 واطعموه على مر الايام وتعاقب الاعوام وهلاك السلطان والاسلام في انطاكية
 والمصيصة وحلب وطرسوس فدار لم عليها ما كان القضاء قد سبق به والمقدار قد نفذ فيه
 وكان عمدة المعروف بناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان الى نصيبين فاكتسح
 اشجارها وبذل ثمارها وغور انبارها واستصفها عن دخل الى بلد الروم واشترى من
 بعض قوم واغتصب آخرين فلما الا القليل وجعل مكان الفواكه الغلات والحبوب
 كالقطن والسمسم والارز فصار ارتفاعها له كثير مما كانت عليه وزادت ربوعها فسلما الى
 من بقي من اهلها ولم يمكنهم النهوض عنها وآثروا فطرة الاسلام ومحبة المنشأ حيث
 قضوا ايام الشباب على مقاسمة النصف من غلاتها على اي نوع كانت وعلى ان يقدر
 الدخل ويقومه عينا ان شاء او ورقا ويعطي الجواب لمن وجب له حق المقاسمة فيكون
 دون الخمس فلم يزالوا على ذلك معه الى ان الحق الله بسلفه فابكت عليهم السماء والارض
 وما كانوا منظرين واهلها مع ولده في وقتنا هذا على اقيح ما كانوا عليه مع والده من تقدير
 يستغرق اكثر الغلة وثقوب ما بقي من سهم المزارع ثمن يروونه ويحمل الى مخازنهم واهرائهم

اصابته فيقبض منه ما يحتاج لبذره ويرسخ له ما بقدره متمسكاً لرقمه وعيشه
بالجهد . »

ارشاد الخلق

الى العمل بخير البرق

تأليف الشيخ جمال الدين القاسمي طبع بمطبعة المقتبس سنة ١٣٢٩ ص ١٠٤
كلما تأملنا في حال المسلمين وما بلغه بعض مشايخ الجلود من الضعف العلمي والعقلي
نحسب باننا اليوم كأهل اوربا في القرن الثاني عشر والثالث عشر للميلاد نكابر في
البيدييات ونحارب المصلحين ونود ان ندخل كل شيء في الدين ومن ذلك ان قوماً جعلوا
ديندهم . الاعتراض على كل شيء يقولون في مثل هذا العصر بتحريم التمثيل وينكرون
العمل بالاذن البرقية في اثبات الالهة ولذلك ترى دعاة الاصلاح الديني امثال مؤننا
صاحب هذا الكتاب تضيق صدورهم من هذه المباحكات في المحسوسات فيتوفرون على
رد شبههم وافتراءاتهم على الدين الذي صوروه بما اوحى اليهم عقولهم القاصرة
وقد اتى المؤلف بالنقول الصحيحة جاءلاً القتل رائده في حجاج المكابرين وذكر
فتاوى بعض علماء العصر في جواز العمل بالتصريف بما دل على بعد نظره وتحريره سيفه
بجسه وكأنه ادرك ان بعض المحادكين يرمونه بالاجتهاد وهو يزعمهم مسدود باباً منذ
قرون فقال مبيتاً غرضه في جملة . « قد يظن من لاخلق له وبعض الظن ان مراد
دعاة الاصلاح العلمي الآن بالاجتهاد هو القيام بمذهب خاص والدعوة له على انفراد
والشدوذ عن اقوال الائمة والغض من كرامة من سلف (نعوذ بالله من الجهل وسوء
الفهم) فان من يفهم هذا لاضل من الانعام . واي عاقل يدعو لتكثير الشيع والفرق
وزيادة الانقسام وانما المراد انهاض هم رواد العلم اعترف المائل بادلتها والبحث عن
مداركها . آخذها للتنقيب عن كتب السلف والائمة في الاصول والفروع وتعرف طرق التخرج
والاستنباط وحجج الموافق والمخالف ثم توخي الاقوى فالاقوى دليلاً وتحري الاقوى
فالاقوى قياً كما كان عليه السالف الصالح وثلة من الخلف الناجع والمتأخرون عيال
على المتقدمين في جل علومهم وما ذكروه من كد وزم وانما التفاوت في ادراك القوي
سلطانه الاصح برهانه وفي الوقوف على مقاصد الشريعة واسرار التشريع ودرك الباب
من الحشو وتبسيط الاصيل من الدخيل على ان المخالف في الامور المجتهد فيها الغير المنصوص
عليها سنة جرى عليها الا . الف ومنهج سلكه الى هذا العصر كبار الخلف » فثنى الثناء

الاطيب عليّ الاستاذ المؤلف فهو يعلم قومه بعلمه وذوره وتصانيفه ومقالاته ولا يفتر عن الاجتهاد في خطه وامثاله من يدكون أسس الخرافات والادهام ويرفعون من شأن العلم والمقل بين اهل الاسلام

كتاب القضاء

الذين ولوا قضاء مصر

تأليف ابي محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي وذيله لابي الحسن احمد بن عبدالرحمن ابن برد نشره الاستاذ رينارد غوتهل من جامعة كولمبيا في نيويورك وطبعه بول كوتنر في باريز في مدينة رومية العظمى سنة ١٩٠٨ م ص ١٦٧

كان البحث في احوال الشرق من خصائص علماء المشرقيات من الاوربيين وها قد اصبحنا نرى من الاميركيين ميلا الى الاعلاع على احوال الشرق والنظر في علومه وآدابه وهذا الكتاب شاهد بذلك فقد طبع طبعة جيدة بحروفها وورقها وكنا نود ان يوفق ناشره الى تعريبه من اغلاط الومم والتخريف واكثره من الاصل بالطبع فقت الامانة على المؤلف ان يبق ما رآه على حاله ولكن غلط الناسخ لا يبرر الناس والطابع كان الكاتب لا يرم القاري وعلى كل فقد ظهر هذا الكتاب على الاسلوب المتعارف في طبع الغربيين لكننا على بتعليقات بالانكليزية وفهراس في اسماء الرجال والنساء والرواة واسماء المواضع والقبايل والام الواردة في متن الكتاب .

واسلوب المؤلف على سبيل الرواية كالمحدثين حسن الاداء يستفيد المطالع منه أهوراً كثيرة ولا سيما في الاقضية الغربية التي صدرت عن حكام مصر وغير ذلك من الحالة الاجتماعية في القرون الاربعة الاولى في مصر وقد قسم المؤلف كتابه الى سبعة اجزاء دخل كل واحد منها في بضع زينات والذيل عليه في جزء واحد والاصل المتعجب عذ كان في دمشق نقل سيف الخامس من صفر سنة اربعم وعشرين وستائة للهجرة وعجيب حال الكتب في نقلها : كتاب عربي يؤلف في مصر فينقل من دمشق ويعز علي أميركاني فيلترزم طبعه فرناوي وطبعه مطبعة طليانية

واليك النموذجات تستدل بها على اسلوب المؤلف قال : حدثنا محمد بن يوسف قال حدثني يحيى بن يحيى معاوية حدثني خلف عن ابيه عن جده ان ابا عون عبد الملك بن يزيد عزل عبد الرحمن بن سالم عن القضاء وولاه الديوان . وحدثنا محمد بن موسى الحضرمي قال حدثنا ياسين بن يحيى بن بكير قال اهل ابي سالم الجيشاني يقولون انهم

من معافرو فيها وجدت في ديوان نبي أمية براءة زمن^(١) مروان بن محمد فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عيسى بن ابي عطاه الى خزان بيت المال فأعطوا عبدالرحمن بن سالم القاضي رزقه لشهر ربيع الاول وربيع الآخر سنة احدى وثلاثين ومائة عشرين ديناراً واكتبوا بذلك البراءة وكتب يوم الاربعاء ليلة خلت من ربيع الاول سنة احدى وثلاثين ومائة وقال في مكان آخر: حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا احمد بن داود ابن صالح قال حدثني محمد بن ابي المغيرة عن ابن وزير عن ابي زين كيدان عبدالاعلى ابن سعيد الجيشاني تزوج امرأة من بني عبدكلال فقام بعض اولائها في ذلك وانكروه وترافعوا الى ابي خزيمة فقال ما احل ما حرم الله ولا احرم ما احل الله اذا زوجها ولي فالكناح ماض فارتفعوا الى يزيد بن حاتم وهو الامير يومئذ فقال يزيد ليس عبدالاعلى من اكفائنا وامر اباخزيمة بفسخ نكاحها فامتنع ابو خزيمة من ذلك وفرق بينها يزيد ابن حاتم حدثنا محمد بن يوسف قال حدثني ابن قديد عن عبيدالله عن ابيه قال قال عبدالاعلى بن سعيد الجيشاني لما فرق يزيد بين الكلالية وبينه

وأعلنت الفواحش في البوادي وصار الناس اعوان المريب
 اذا ما عبتهم عابوا مقالي لما في القوم من تلك العيوب
 وودوا لو كفرنا فاستويناه وصار الناس كالشيء المشوب
 وكنا نستطب اذا مرضنا فصار هلاكنا بيد الطيب

وذكر المؤلف في ترجمة عبدالرحمن العمري القدي ولي قضاء مصر من قبل هارون الرشيد سنة خمس وثمانين ومائة انه كان لا يشدد باطراف القضاء علي مغاني اهل المدينة ويبرز كثيراً في مجالسه ولا يتخاضى ان يقول هذا غناء ابن مسرح وهذا به الدلال وهذا من جيد غناء العريض ولم يكن بمصر مستمعة (لعلها مستمعة) الا ركب اليها يسمع غناءها وربما قوم ما انكسر من غنائها ويرى ذلك من الدين .

ومما كتب عن هذا القاضي العمري من القضايا في مسجد رث واستهدم فأمر ببنائه قوله : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب امر به القاضي عبد الرحمن بن عبد الله وهو يومئذ ولي القضاء بين اهل مصر في صفر سنة ثمانين وثمانين ومائة بما ثبت عنده في المسجد الذي يقال له مسجد عبد الله الذي بالظاهر قبلة الطريق الاعظم الى المسجد

(١) هكذا وردت في الكتاب ولم يلق عليها ناشره والاقرب انها « براءة ذمة » وكذلك سقط فيما نحسب « اما بعد » قبل فأعطوا

الجامع ويحويه الطريق الذي يسلك الى سوق يوبر وشريقه السويقة التي يقال لها سويقة
مسجد عبدالله علي طريق الموقف وغريبه الطريق الذي يسلك منه علي الجب الذي
يقال له جب عبدالله حين رفع الى القاضي عبدالرحمن بن عبدالله نفر من جيرة هذا
المسجد ان هذا المسجد قد رث وخيف عليه لانكسار خشبه وعقفه واحتاج الى العارة
والمرمة وانهم قد وجدوا من احتسب في اصلاحه وبنائه وتصيير حوائث تحته سيف
حقوقه ليكون غلتها مرمة لما استشهد منه وفي زبته وحصره وأجر مؤذنه وشأته كله .
فـألوا القاضي عبدالرحمن بن عبدالله ان يأذن لم في ذلك فدعاهم بالبينة على ما ذكروا
واقاموا بينة وعدلوا عنده وقبل شهادتهم فشهدوا عند القاضي عبدالرحمن بن عبدالله
ان هذا المسجد الموصوف في صدر هذا الكتاب خيف على سقفه من قبل خشبه واحتاج
الى العارة والمرمة في جدره وان اجتمه التي حوله وما تحت هذا المسجد ليس لاحد فيه
حق وان الذي طلب عمارته وبنائه واصلاحه وتصيير حوائث تحته في حقوقه ومرمة
ما استرم منه وفي زبته وحصره وأجر مؤذنه وغير ذلك من نوائبه منعمة للمسلمين ممن صلى
فيه وان ذلك ليس بضرر علي احد وبعث القاضي عبدالرحمن بن عبدالله نفراً ممن يثق بهم
فنظروا الى المسجد الموصوف في هذا الكتاب فرفعوا اليه مثل الذي شهد من الشهود في
هذا الكتاب فلما ثبت عند القاضي ذلك رأى ان يأذن في عماره هذا المسجد الذي وصف
في هذا الكتاب وبنائه واصلاحه وتصيير الحوائث التي ارادوها تحته في حقوقه ليكون
غلتها في مرمة ان احتاج اليها ولما يصلحه في زبته وحصره وأجر مؤذنه وغير ذلك من شأنه
ويكون فضلاً (؟) ان فضل من غلتها في وجوه الخير . ورفع الى القاضي عبد الرحمن
ابن عبدالله ان هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب قد اصلى وفرغ من بنيانه
وحوائثه واتوا بشهود يقال لم عبدالصمد بن سعيد وعمرو بن اسماعيل بن عمر الابرلي
ومحمد بن سليمان بن محمد فشهدوا عند القاضي عبد الرحمن بن عبدالله ان هذا المسجد
الموصوف في هذا الكتاب كان اخاف سقفه من قبل خشبه واحتاج الى العارة والمرمة
في جدره وان كل ما كان تحت هذا المسجد وما فوقه والثلاثة الاجمعة التي كانت حوله
ملصقة به ان ذلك كله من حق هذا المسجد وحدوده ليس لاحد فيه حق ولا
دعوى ولا طلبية بوجه من الوجوه وان المجالس التي كانت حول المسجد خارجة منه
كان يؤدي من يجلس فيها الكرى الى من يقوم بامر هذا المسجد انها علي حالها لم
تدخل في المسجد ولا في حوائثه وعمل الشهود عند القاضي عبدالرحمن بن عبدالله

فقبل شهادتهم وسأل القاضي عبدالرحمن بن عبدالله من حضره من جيرة هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب ان يكتب لم ما ثبت عنده فيه كتباً يضيها عند من يرى ليكون ذلك حجة وقوة وان يولى القيام به رجل من اهل الثقة فولى القاضي عبدالرحمن ابن عبدالله السكن بن ابي السكن القرسي النيام بامر هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب واكرأ حوائثته وان ينفق من كرائها ما رأى من زيته وحصره وأجر مؤذنه ما يحتاج اليه في امره كله وينفق بقية ان بقيت من كرائه حيث رأى من وجوه الخير وجعله في ذلك اميناً وامره بتقوى الله وطاعته والعمل في ذلك بحق الله عليه وانفذ القاضي عبدالرحمن بن عبدالله ان يكتب هذا الكتاب نسخاً تكون وثيقة في هذا المسجد الموصوف في هذا الكتاب فكتب ودفع منها كتاباً الى عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي وكتاباً الى حجاج بن سليمان الحميري وكتاباً الى ربيعة بن الوليد الحضرمي وكتاباً الى شعيب بن الليث بن سعد اللهمي وكتاباً الى ابي رجب العلّاء بن عاصم الخولاني وكتاباً الى عمرو بن يزيد الفارسي وكتاباً الى ابي زرارة الليث بن عاصم القتباني وكتاباً الى عبدالصمد بن سعيد الانصاري وكتاباً الى محمد بن سليمان بن فليح وكتاباً الى الاسقر عبد الملك بن مالم وكتاباً الى السكن بن السكن المقيم بهذا المسجد وكتاباً الى محمد بن سليمان بن محمد بن عبيد وكتاباً في ديوان القاضي عبد الرحمن بن عبد الله اشهد القاضي عبدالرحمن بن عبد الله الشهود المسلمين في هذا الكتاب انه ثبت عنده ما في هذا الكتاب واصر به وانفذه على ما سمي وفسر فيه وذلك في صفر سنة ثمان وثمانين ومائة هـ .

ومن نكت الكتاب قوله: اخبرني ابو سلمة وابن قديد عن عيسى بن عثمان قال كان زي اهل دهر وجمال شيوخهم واهل الفقه والمدالة منهم لباس القلائس الطوال كانوا يلبسون فيها فابصرهم ابن ابي الليث بتركها ومنعهم لباسها وان يشبهوا بلباس القاضي وزيه فلم ينتهوا قال ابن عثمان فجلس ابن ابي الليث في مجلس حاكم في المسجد واجتمع اولئك الشيوخ عليهم القلائس فاقبل عبد الغني ومطر جميعاً فضرب رؤوس الشيوخ حتى القوا قلائسهم قال واخبرني محمد بن ابي الحديد حدثني عتبة بن بسطام قال رأيت قلائس الشيوخ يومئذ في ايدي الصبيان والرعاع يلعبون بها وكانوا بعد ذلك لا يدخلون الى ابن ابي الليث ولا يحضرون مجلسه في قلنسوة . واذ هنا اسمعيل بن اسحق بن ابراهيم بن عقيم للجمل واخفت ايام الطوال واهلها فرموا بكل طويلة لم تقصر .

مازلت تأخذهم بطرح طوالم والمشي فحوك بالرووس الحسر

حتى تركتهم يروث لباسهم بعد الجمال خطيئة لم تنفر
يشرعون بكل قطعة خرقه يجدونها من اعين ومغبر
فاذا خلاهم المكان مشوا بها وتابطوها في المكاث الاعمر
فلئن ذهبت طولهم فاطال ما ذرت ومن مروا بها لم يذعر
كانوا اذا القوا بهن لمفضل امضى عليه من الوشج الاسمر
كم وسر افقره كم مفقر اغنيته من بعد جهد مفقر
ما ان عليك لقيت منهم واحداً او في المعاج مدججاً في منفر
لبسوا الطوال لكل يوم شهادة واقوا القضاة بمشية يتدختر
مالي ارام مطرقين كأنما دمفت روؤسهم بحمى خير

اخبار وافكار

طول الحياة

نعرب للقراء في الموضوعات المضلة كل ما نثر عليه في المجلات الافرنجية وأكثرها مما لا نعيد فيه ولا نبدي وآخر ما قرأناه للدكتور نوفيل في المجلة الباريزية المقالة التالية : لما نشر خريستوف هوفلاند الطبيب سنة ١٧٩٦ في اينا اول طبعة من كتابه علم اطالة الحياة الانسانية ترجم كتابه الى جميع اللغات حتى العبرانية فهبت على الامم نسائم من روح الرجاء في هذا الباب . فقد كان العلم يبحث عبثاً منذ القدم عن حل لهذه المسألة في الحياة وانتقاذ الجسم من ضربات الامراض والهلاك ان لم يكن انقاذاً ابدياً فلا اقل الى اجل معين واهماد المسافة بين المهد والحد على الجملة . وكمن احلام تصورتها عقول علماء منافع الاعضاء في القرن الماضي فذهبت تصوراتهم ادراج الرياح وظل البشر لا يعرفون ما يحتاجونه لم الغد من الاقدار على الحياة . بيد ان هوفلاند فتح للدروس الحياتية مهباً جديداً باثباته ضرورة الجري في الحياة على قواعد مقررّة في علم الصحة الطبيعية والاخلاقية التي ابان حقائقها وسن طرائقها الى انه لم يبد الا قوانين نظرية استند فيها الى معلومات مختلف في نتائجها من حيث الاسباب الحقيقية في الموت والمبادي الاولى في علم الامراض وطبائنها وعلاها « الباثولوجيا » : ولم تكن الطرق التجريبية قد

أحدثت وكانت أعمال المعامل الكيميائية محصورة في نطاق ضيق وعلم الجراثيم المرضية غير معروف

جاء لوانهوك في القرن الماضي وقال ان في احشاء الانسان والحيوان احياء دقيقة اكتشفها بعض الاكتشافات بواسطة عدسية مكبرة ثم قام معاصر هوفلاند من رجال الدانيمرك الطبيعي مولار واستخدم المجهر الذي ترى به هذه الاحياء الضارة على جليتها واتم امر نبرغ سنة ١٨٣٣ هذه الابحاث وابان بعض خصائص التفاعيات على اختلاف ضروبها ولكن كل ما عرف الى ذاك العهد لم يكن شيئاً مذكوراً بالنسبة للارتفاع الذي ارتقاه علم الجراثيم .

فكان باستور مبدأ الدور الحقيقي لعلم الجراثيم الذي كان هوفلاند واترايه ارضحوا مقدماته فقرر ان لبس للحماء العدو حقيقي واحد شديد العداوة مخادع مهلك يبيث لا يكاد يقع تحت اليد ونعني به تلك الحلمة الطفيلية التي تبث بالمرض على اختلاف ضروبها وتنتشر على الدوام بارسال رسل الحماة الى الاجسام بحيث بات يرجى ان يتوصل البشر ذات يوم بالقواعد التي سنها ويسنها العلم ان يتيسر للناس اتقاء الالوجاع خفيفها وشديدها . وهذه الاماني قد تحققت منذ نحو نصف قرن قليلاً قليلاً حتى لقد طال معدل الحياة الانسانية خمس سنين في الذكور وستا في الاناث

ففي الجداول التي اخذت من الاحصاءات الأكيدة في العالم القديم والحديث ان في كل ١٠٠ وفاة ٤٢ لم تنكح تحدث لو عمدارياها الى المداواة في الزمن اللازم لها وان نصف الامراض لا تنشأ الا من جيل المصابين بها وعدم حيطتهم وقلة المعرفة في تطبيقهم او الالامال الذي ينجيهم . ولو كتب لا ٤٢ وفاة في المئة ان ينجوا من امراضهم لطال معدل الحياة في الجنسين خمس عشرة سنة . وهذا التقرير لا يدخل فيه التعديل الذي وقع في اسباب التطهير وان كان مختلفاً في بعض الاحوال ولكن نشأ عنه من عدة وجوه منافع عظيمة ويجب النظر الى الامراض التي يظن انها عضالة اليوم وربما كانت في المستقبل مما يمكن تلافيه قبل الوقوع فيه ثم ان سن الثمانين التي يصاب صاحبها بالضعف لا محالة ويصبح في انتظار القضاء الالهي عليه قد خف تأثيرها بما قرره منشكوف من ان الشيخ مريض يستطيع ان يحتفل جذلاً بمرور المئة سنة على ولادته ولذلك امثال كثيرة . قال الدكتور فيشر من كلية يال ان طول الحياة في ام عواصم اوربا كانت كما يلي : طالت الحياة في انكلترا من سنة ١٨٨١ - ١٩٠٠ مئة في الذكور و١٦٠ سنة

الاناث وفي فرنسا كان معدل طولها من سنة ١٨٨١ — ١٩٠٣ — ١٠ في الذكور و ١١ في الاناث وفي المانيا من سنة ١٨٧٧ — ١٩٠٠ كانت الزيادة ٢٥ - مرة للذكور و ٢٩ للاناث وفي الدانيمرك طال معدل الحياة في مدة ٥٧ سنة ١٣ سنة في الرجال و ١٥ في النساء وفي السويد طال المعدل ١٧ في الرجال و ١٥ في النساء خلال ٦٧ سنة . وظلت مدة الحياة خلال ثلاثين سنة في بلاد الهند على وتيرة واحدة . وهذه النتائج هي ولا جرم ابنة علم الصحة وقد رقي هذا العلم جداً في المانيا وفرنسا وانكلترا وهو من انقضى ما يكون في بلاد الهند . واستنتج الدكتور فيشر من ذلك ان ابن اليوم يعيش اكثر من اجداده على الرغم من كثرة عمله وشدائده فقد كان معدل الحياة في القرن السادس عشر ٢١٦٢ والقرن السابع عشر ٢٥٠١ وفي القرن الثامن عشر ٣٣٦٦ وفي القرن التاسع عشر ٣٩٠٧ ولم يزد معدلهما في هذا القرن العشرين .

وهذا التقرير قد قدم الى اللجنة التي عينها مجلس النواب في الولايات المتحدة فهو بمثابة مستند رسمي مهم للغاية ولكي ما في احصاءاته من النظر ببعض الاحايز فان المقابلات بين الحالة الماضية والحاضرة التي حوته تجعل له مقاماً واهل السويد اطول البلاد اعماراً واقصرها الهند وبعبارة أخرى معدل الحياة فيها وهالك جدولاً آخر في طول الحياة عند

الام المختلفة

المملكة	احصاء	ذكور	اناث
السويد	١٨٩١ — ١٩٠٠	٥١٦٩	٥٣٦٦
الدانيمرك	١٨٩٥ — ١٩٠٠	٥٠٥٢	٥٣٦٣
فرنسا	١٨٩٨ — ١٩٠٣	٤٥٥٧	٤٩٦١
بريطانيا العظمى	١٨٩١ — ١٩٠٠	٤٤٦١	٤٧٦٧
الولايات المتحدة	١٨٩٣ — ١٨٩٧	٤٤٦١	٤٦٦٦
إيطاليا	١٨٩٢ — ١٩٠٢	٤٢٦٨	٤٣٦١
المانيا	١٨٩٩ — ١٩٠٠	٤١٦٠	٤٤٦٥
الهند	١٩٠١	٢٣٦٠	٢٤٦٠

وهذه الارقام تختلف باختلاف الحالة الجوية والاجتماعية وان كانت عبارة عن تقديرات اخذت في اوقات تكاد تكون متقاربة ويختلف معدل الحياة ايضاً اذا نظرنا الى البلاد التي يهاجر منها اهلها او يهاجرون اليها فانه بطول وبقصر على نسبة الاختلاف

الذي يعرض لصحة المتقنين من الآدميين ويقول فيشر ان الراحة والسعادة تطيل حبال الآجال لاجرم ان من بلغوا المئة من الناس لم يكونوا كلهم اغنياء ولكن من لم يحرموا شيئاً من اسباب الراحة هم اقرب الى طول الاعمار من الفقراء. فتبى الموت اقل حركة في احياء الاغنياء في باريز منه في احياء الشقاء والفاقة

ولا يخفى ان الرجل او المرأة الذي هو بئس من الحاجة يطعم الطعام الجيد ويلبس اللباس الحسن وينزل المسكن الصحي ويمتنع عن كل ما يؤذي صحة، هو اقل عرضة الامراض من التمس الذي لا يجري على نظام مطرد في معيشته ولا يكتسى كساءً واثقاً ولا يتناول الطعام الذي يسد جوعته وينزل على الدوام في منازل قذرة غير طاهرة . والامثلة على ذلك كثيرة في المدن الكبرى لان عملة العامل يعيشون بالقرب من الطبقة العليا والوسطى حيث الرفاهية .

وانك لتري اكفان الموتى تخرج من بيوت الحاويج في غلاسكو اكثر مما تخرج من بيوت سادت فيها الدعة والغبطة . ويكون الهانكون في نيويورك وسائر المدن الصناعية الآهلة بالسكان على نسبة ما يتعاطون من الصناعات ويكون طرز معيشتهم في بيوت من التجار وارباب الصناعات ١٢٦١ في الالف ومن المستخدمين والموظفين ١٣٦٥ ومن ارباب الصنائع الحرة ومن العملة والخدمة ٢٠١٢ ومن الصناعات ما يهلك به اربابها كثيراً كالصناعات التي ينبعث عنها غبار متواصل او روائح نتنقز منها النفس وان الدوام المتواصل على تطهير الاماكن والمدن قد ادخل الطمعة الى حيث كانت مفقودة اقليلاً فنشأ من ذلك ان الارقام التي يوردونها بالقياس الى زمن لتغير كثيراً في كل احصاء يقع في الخمسين سنة .

وهكذا نرى ان معدل الموت في خمس وعشرين سنة نزل في برلين من ٣٣ في الالف الى ١٦ وفي مونيخ من ٤١ الى ١٨ وفي واشنطن من ٢٨ الى ١٩ وفي نيويورك من ٢٥٤ الى ١٨٦ وفي الهانان حيث لا يجري احصاء الا في كل قرن كان معدل الموت ٤٩ في الالف فأخذ يختلف بين ٢٠١٤ و ٣٢٦٦ وبديهي ان العوارض والحوادث التي تصيب الحياة فينشأ عنها هلاك كثيرين كالحروب والمصائب والفرق وغير ذلك قد يكثر بها معدل الموت ولكن ذلك لا يضر في هذه الاحصاءات لان الميغ اكثرت من الخسارة

والربح نشأ بالعلم لان الاولاد كانوا في الماضي يموتون كثيراً بفضل الوسائط الصحية

الجديثة صاروا يرجون البقاء أكثر من اجدادهم ولطالما كان الخناق والحجارة والتواء الاعصاب والسعال وغير ذلك من امراض الطفولية تهلك الاولاد فلما اخترع المصل والتطعيم وطرق التداعي الخلفه وارثت الجراحة وكثرة استعمال الكوكابين والديجيتالين ومضادات السميات ومضادات الفساد والمورفين خلصت نفوس كثيرة من الموت

وكان السل في العصر الفارسي يبر من الامراض المضادة فاصح وان كان يهلك به كثير من اليوم من الامراض التي يتأتى التوفي فيها وما يرح بعصي على العلم يقضي على اكثر من يقضي عليهم الجدري والحمل التيفوئيدية والخناق والسرطان والزائدة الدودية والتهاب السحايا واذا ضوعفت العناية بالصحة يرجى ان يقل عدد الهالكين بالسل ٧٥ في المئة لاسيما في مسائل العدوى منه والنجاة منها وهكذا الحال في ذات الرئة التي تكثر بكثرة تناول المشروبات فيهلك به ١١ في المئة من الناس واذا تركت اسبابه ينزل معدل الهالكين به كثيراً والحمل التيفوئيدية قد قل الهالكون به منذ شرسنين ومتى عرف الناس كيف يتعامون الماء الملوث ويبعدون عن لسع الفباب لبشرانهم لا يبقى له اثر في الوجود . وسيكون كذلك نصيب الحمى القرمزية التي كادت تكشف جراثيمها ومثل ذلك الجدري متى وقع تطعيم الناس كلهم وقد كان الناس في القرن الثامن عشر يموتون به قبل جزر (طيب انكليزي اخترع التطعيم) كثيراً بحيث لا يقل الهالكون عن ٥٠ مليوناً ولا يزال يموت به قلائد جداً . وبذلك عرفت ان بعض الامراض العادية يمكن انقارها بآثاناً وان غيرها يقل الرجاء في شفاؤها مثل التهاب البريتون والسرطان وربما اخترع العلم لها ادوية تستأصلها من النك بالبرش كما استأصل غيرها من الاوضاع والاوراج

وقال جان فينو في كتابه فلسفة طول العمر ان الخوف من الموت كثيراً ما يهلك المرء قبل الاوان فان المرء اذا بلغ قدراً من العمر يأخذ يتوقع الحمام كل ساعة ويزهد في الحياة فتسوء تغذيته ونومه ويجلب يده رسل الهلاك فلهذا بالبعين والثمانين المئ في المئة سنة لا محالة وقد جرى كثير من الشيوخ على هذا النمط في الحياة فكانت النتيجة ان بلغوا المئة بصحة ونشاط ومن ارهبه تصور الموت يموت فيكون قد اخضع على امته شيئاً من حقوقها فيه وانحصر بها ضرراً اقتصادياً ففي مليون ونصف من الموتي كل سنة يمرض ثلاثة ملايين ينقطعون عن الاعمال فيضرون بلادهم وذويهم مثال ذلك انك تجد في الولايات المتحدة ٥٠٠٠٠٠ مصاب بالسل نصفهم لا يعملون عملاً اصلاً والنصف الآخر

يعمل نصف عمل وفي هذه الولايات ايضا نحو هذا القدر من المصابين بأمراض في اجسامهم انتهم من الاعمال التي يمارسونها والرجل الصحيح في الجملة يضرب عن العمل خمسة ايام في السنة لوقوعه في امراض عادية كالصداع ووجع الفرس والركام فيضرب بذلك الحالة الاقتصادية فلو عرف كل امرئ واجباته نحو المجتمع لما اتى ما يضر بصحته بئنا ورأى ذلك من فروض الادبية والحكومات والبلديات والمشرعون مسؤولون عن كثير من الامراض التي تحدث من المسكرات والدخان لان الافراط كثيراً ما يؤدي بصاحبه الى القبر . والحكومات في الغالب تنشط هذه الاصناف من المكيفات مخافة ان تصاب ميزانياتها بنقص في الديون العمومية او انحصار المخزن .

ولم تنتظم اساليب العمل في المعامل والمصانع الا منذ زمن قريب وكذلك لم تحدد اعمار العاملين والعاملات من البنين والبنات ولم ينظر في تقليل ساعات العمل والراحة الاسبوعية وبعض الامتيازات الا في بعض البلاد حصلت عليها نقابات العمال من المجالس النيابية بالوسائل الكثيرة .

وانهاك القوى وعدم توفر اسباب الراحة والصحة في المدارس وغير ذلك من اسباب طول الحياة لم ينظر فيها وزراء الامم ومجالس معارفها الا منذ عهد قريب وكذلك كل ما يوفر على البالغين قوتهم فقد اطلقت الحرية المفرطة للناس يعملون ما يشاؤون حتى اكبد الدكتور فيشر ان ٥٠ في المئة يقدون ١٠ في المئة من قوتهم الحيوية لانهم يسبتون استجمالها ولا يقتصدون فيها فن هذا الافراط يورث صاحبه اولاً اضطرابات عضوية ثم يفتني بامراض عضالة يمضيها الموت لا محالة

وبعد فان الواجب لاطالة الحياة ان تراعى قواعد الصحة كل الرعاية فلتطويل حبل الاجل ينبغي انتفاء الامراض على اختلاف ضروبها وعدم التعرض لاقبل الاوجاع اذ ربما كانت مقدمة للعظيم منها والحياة اشبه بسفينة لا تنجو من تأثير الانواء الا اذا كانت متينة من الاساس الى الرأس فالواجب على الابوين والمجتمع ان ينيا بصحة الطفل منذ الولادة على الاصول الصحية وان لا يسمحوا بزواج المجانين والمدمنين كما يفعلون في ولاية انديانا فان الحكومة تحظر هناك كل الخطر زواج المتهوين وقدماء السكيرين وكل من يخشى ان يكون تسلمهم ضعيفاً هزلياً وتشدد في ذلك كل التشديد ولا تغفر في ذلك عن احد وليس معنى هذا ان يسن قانون يسمح به للوالدين ان يقتلوا من اولادهم كل من لا يرجى فيه ان يعيش بقوة كما كانت الحال عند بعض القدماء ولكن العناية يجب ان

تصرف بحيث يقوى بالاساليب المختلفة كل طفل ضعيف وبأقوى منه ممر حسن البنية نافع في المجتمع

لمدل الحياة دوران الاول الطفولية والثاني الشيخوخة فالاولاد قد يعتنى بصحتهم في السنين الاولى من حياتهم اكثر مما يعتنى الشيخ فلو طبق هؤلاء على انفسهم نظام الصحة وطردوا من رؤوسهم الازهام لطالت اعمارهم ورجى لها الهناء كما يرجى للاولاد واحسن ما يجب في هذا الباب الرياضة الجسمية والحياة في الخلاء والابتعاد عما يهلك القوى

والموت يرصد الاقوياء والضعفاء على السواء وكل سبب صحي ينفع الاولاد ينفع الشيخ لا محالة . حقيقة يجب ان نتمثلها جميع العقول ابداً وان تذكر في البيوت امام الصغار والكبار يأخذ كل فرد نفسه بمراعاتها ولن تعرف حسنات المدنية الا متى رأى كل انسان من واجبه ان يعين على ابطال مقاومات الحياة في كل صقع وناد . وبلم الناس اجمع ان الحياة مسعود ستمه الطبيعة الى ايدي الانسان وعهدت اليه انقاذه وتثميته والانتفاع به وقيمة الطفل فالبايع فالشاب فالكهل فالشيخ فالمرم في الاقتصاد هي هكذا :

من	قيمه الاقتصادية
من الولادة الى سن الخامسة	٤٠٠ فرنكاً
من ٥ الى ١٠	٤٠٠٠ ف .
من ١٠ الى ٢٠	١٠٠٠٠ ف
من ٢٠ الى ٣٠	٣٠ الف ف
من ٣٠ الى ٤٠	١٠ الف ف فنازلاً
من ٤٠ الى ٥٠	٣٠٠٠ فرنك فنازلاً

بمعنى انه كلما زادت سنة في حياة الفرد أو اشهر تزيد ثروة المجموع وسعادته وهناؤه والله يعلم وانتم لا تعلمون .

اشجار الغابات

نشر في اميركا كتاب مهم للغاية يخدم دروس تربية اشجار الغابات خدمة عظيمة وصف فيه مؤلفه المستر دوير بجلاء تام جميع عطور العالم منسقا لها احسن لتسبيق وقد صرف المؤلف خمس عشرة سنة متوالية في تأليف مصنفه فزار الحدائق بالمفارس وغابات

العالم بأسره وبحث في خزائن الكتب عامة مثل مكتبة باريز ولندن وبرلين وبتربسبورج ولیدن ومدريد وفلورنسة وعشرين غيرها . وسيكون تأليفه خمس مجلدات ظهر الاول منها وسيكون الاخير فهرساً عاماً وأكتب الاصطلاحات بمدة لغات ومنها اليابانية والافادات التي حواها الكتاب قد استلزمت اجتهاداً عظيماً بذل الجهد الجليل في الحصول عليها فانك تسقط في هذا المصنف على ما لا يخبطرك ببال من الاستعلامات ومنه تدرك مثلاً أن في ايطاليا ٢٥٠ حديقة للنبات وان النباتات التي وصفها هومبروس وفرجيل صاحبة وان دانتي وسرفانتس وشكسبير قد عبروا احسن تعبير عن عامة الزهور التي تكلموا عليها وكان الشعراء اشجار يستحسنونها وذكرها كان يستحبها منها كيني وشيلر وفيكتور هوغو ولامارتين وغيرهم من كتاب الامم . وفي هذا السفر افادات مهمة عن رموز الغابات ولغة الاشجار والاشجار المشهورة .

البلاط الصناعي

جرى بوا في ممبروغ بلاطاً جديداً اصناعياً وهو يحتوي على محلول كلورور المنغنيسيوم اضعف اليه مسحوق المنغنيسيوم ايضاً ونشارة الخشب يحفف فتأتي منه طبقة غليظة للغاية ومتينة كالخشب تحفظ الحرارة اكثر من البلاط الطبيعي ومظهره يشبه الفسيفساء .

المدفع المائل

انشأت انكلترا مدفعاً بحرياً جديداً قطره ٤٠٦ امتار مربعة ويقذف ١٠٨٠ كيلو منها ٦٣ كيلومتر من المواد الملتبئة الى مسافة ٢٦ كيلومتراً وقذائفه تنحرق اعظم بوارج ذرى تدنوت المصفحة . ويعمل الاميركان مدفعاً يقذف مقذوفاته الى بعد ٢٦ كيلومتراً وقذائفه ١٢٠٠ كيلو فيها ٧٠ كيلو مواد منفجرة

النور

كان للنور في كل زمان شأن واجه شأن فكان العامة يكتسبون بفروه في القرون الوسطى بالغرب واصبح فروه بمجودة تحضره العالمي من احسن ما يلبس وقد اخذ هذا العهد فرو الكلب ينافس فرو الثعلب في اسواق التجارة . ويرغب الصيادلة في فرنسا وفي الغابة السوداء في اقتناء السنائير البرية ليتداوى بها المصابون بداء المفاصل . وكان للقطط قديماً موقع مهم في اعياد الشعب يستعملونها في ملاهيهم فيعاقونها على الذبح . وينظرون الى المياهي تحترق وكان بعض الامم يعتقدون ان دفن قطط حية في اساس بناية تعرف بها بئحة البناء . وكان ينظر الى القطط السوداء عندم بان فيها سراً من

السحر . وكان المصريون ينظرون الى القطط بانها حيوان مقدس والمسلمون والهنود يحترمونها كل الاحترام . وقد صورها المصريون في كل عصر وعنفوا باخراجها من منازلهم المختلفة . وللقطط منافع عظيمة في قتلها الجرذان والظاهر انها تنبأ بالمطر يعرف ذلك من انتفاشها وتنظيفها ووبرها ووضعها رجلها على اذنبا .

المدن العظمى

ليست الحواضر والعواصم ابنة اليوم وتأسس ساعة فقد تنبأت العصور السالفة بما سيكون من شأن المدن العظمى فكانت بابل مائة وعقد سكان رومية في القرن الثاني مليون نسمة وكان في قرطاجنة دور ذات سبع او ثمانى طبقات وقد سن قانون في رومته على عهد قزوف لمنع تغطية الجور بالابنية وكان سكان ميلان في القرن الثالث عشر ٢٥٠ الفاً فضاحت المنازل بسكانها فاخذوا يفكرون في التخلص مما صارت اليه حالتهم وكان معظم الشعب يسكن في ثكن عظيمة

لاجرم ان سهولة المواصلات الحديثة واختراع السكة الحديدية قد دعت الى هجرة الناس من الارياف والمزارع الى المدن والعواصم وكما كبر حجم مدينة زادت اقدام المهاجرين اليها ففي المانيا زادت القصبات المحتوية على الف نسمة من سنة ١٨٧٥ - ١٩٠٥ مرة ونصفاً في المئة والمدن المتوسطة التي فيها ٢٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ زادت ٣٤ في المئة والمدن العظمى التي فيها ثلثمائة الف ٣٠٠ ضعف في المئة واكثر ولا مبركا التمدح المحلى في انشاء المدن الحديثة فلم يكن في شيكاغو سنة ١٨٣١ سوى ١٠٠ ساكن وها هي الآن وفيها مليوناً ساكن . وفي المدن الحديثة يخرج السكان من وسط المدينة لتحل محلهم البيوت التجارية . وكانت المدن في القرون الوسطى ذات زوايا مخططة وشكلها اليوم على شكل النجم ويصل كل يوم الى مدينة لندن اربعمائة الف انسان من الضاحية ولها خمسون كيلومتراً من الخطوط الحديدية للضاحية فقط ومدينة نيويورك مثال نقاط الاتصال في المدن فان محطة خطوط هودسون بنائية ذات ٢٢ طبقة فيها ٥٠٠٠ نافذة واتساع رقعة المساكن وازدياد عدد السكان في المدن العظمى ينفو آء الدول يبنو المواصلات وتسهلها

الصحافيون والادباء

لم يكن الصحافيون في اوربا اصحاب اعتبار عند رجال الادب في اوائل القرن الثامن عشر ولما لما كان الفيلسوفان روسو وديدرو يشجعان عليهم وكان الشعراء

فافر اذا جرى ذكر الصحافيين بغناظ ويشتم ولقد تردد بربو كثيراً قبل ان يدخل سلك الصحافة المخطط وما العلة في مقت الصحافة اذ ذاك الا لانها كانت نوع مجالاً كبيراً لنقد الكتب الحديثة وكان الصحافيون نقاداً لا يبينون حسنات الكتب المؤلفة بل يكتفون بايراد سيئاتها واذا حدث ان اثنوا على كتاب فلا يلفتون نظر الناس الى تلاوته ثم ان كتاب الصحف لم يكونوا من الطراز الاول بقراءتهم حتى ان جريدة العلماء في فرنسا التي كانت الى الجد والفائدة ايل لم يكن بين مؤازريها من امتاز في العلم ولكن صحافة فرنسا خصوصاً دخلت عليها بعض تعديلات من سنة ١٧٥٠ الى ١٧٨ ولما عمت أصول الدعوة ونشر الافكار رأى الصحافيون ان جرائد احسن الوسائل للتأثير في نفوس الامة وهكذا اتسم أفتى الصحافة حتى غدا بعزها اليوم من كان ينقز منها امس واصبح مؤازروها في الغرب يتأهلون بمقالاتهم فيها لاعلى المناصب العلمية والسياسية

النفس الاسبانية

كتب احد من اقاموا طوبلاً في اسبانيا مقالة في « المجلة » الفرنسية وصف بها اخلاقي الاسبانيين فقال انهم اقاموا بينهم وبين اوربا سداً كسد الصين عاشوا وراءه بمعزل عن معظم مافي ديار الغرب من مرافق الحياة واسباب المدنية وهم يفخرون باعتزالهم هذا وقل ان ساح احدم الى فرنسا او انكلترا او ايطاليا اللهم الا اذا كان من الاسبانيين نزلاء بونس ايرس عاصمة الجمهورية الفضية واذ للجهل الذي عم الطبقات هناك الا قليلاً تروي جرائد اسبانيا عن ممالك اورا اواماماً وحرافات اشبه بما يروى عن بلاد الواق واق وبأجوج ومأجوج ولذا ترى صحفهم حتى الراقية منها مملوءة بالمطاعن فيمن يدعو قومه الى الاخذ عن الفرنسيين او عن الانكليز في الحضارة لان الاسبانيين موقنون بان عندهم كل شيء

دل التاريخ على ان اسبانيا زلتها ام مختلفة منهم التارتاريون والوزيتانيون والابيريون والسليتيون والقرطاجيين والرومانيون واليزغوتيون والعرب والجيتانيون وان كل هذه النماصب ردت شيئاً من اخلاقها وعاداتها لم تطلع اسبانيا الى الحياة ان تمزجها ببعضها الى بعض (حدث في الممالك المثنائية وعناصرها) لاغتيال كل فريق في صفح اصقاع البلاد لا يخالط غيره ويرى انقهره في عزرك . ويقال على الجملة ان اهل اسبانيا سرحت التركيب الطبيعي والاخلاقي ينقسمون الى اربعة اقسام وهم الباسكيون في الشمال والقشتاليون والاراغونيون في الوسط والكاتالانيون في الشرق والانديلسيون في الجنوب والانديلسيون

من اجل الاجتناس واطولها قاعات واحسنها تراكيب ولا سيما سكان الوادي الكبير الذي كان له شأن على عهد العرب وفي سيراني فادا تغلب النخافة على السكان وتظهر فيهم السعنت العرية كل الظهور . وفي اهل الاندلس من الافراط في الحرية والتساهل في الاخلاق مالا تجد له مثيلاً في الاصقاع حتى لقد يكثر فيهم الفحش واولاد الغول ويقل فيهم الزواج واقليم كاتالونيا هو الاقليم الوحيد في اسبانيا الذي دخل في الحياة الجديدة وتوفر اهله على الزراعة والصناعة والتجارة وما ومن يذهب من قشتالة والاندلس الى كاتالونيا فكأنه فارق الموت ودخل في طور الحياة وسينفض الكاتالانيون غداً باسبانيا كما نهض البيونيون امس بايطاليا

وذكر الكاتب ان الشحاذة في اسبانيا شائعة اكثر من جميع بلاد اوربا وان الشحاذين والشحاذات يطلبون الصدقات بسلاطة وقديدون الى من لا يعطيهم كأن لم جعلاً يتقاضونه من الغريب خاصة وربما رشق بعض الفتيات من لم به اذن شبيكاً بالحجارة . وتشكو الصحف الكاثوليكية من ضعف الاعتقاد في الافراد ولا سيما في الرجال ويسى الاسبانيون معاملة الحيوانات لقلة تربيتهم لا لشراسة في طباعهم الاصلية فانهم من اخضع الناس للقوة والاجكام يؤدون الانارات والمخراج على صورة فاحشة ولا ينسون بيت شقة وقلم تعهد لم ثورة على الحكومة الا في كل قرن والمرأة غير موقرة كثيراً في اسبانيا كما هي في سائر اصقاع الغرب . قلنا ومعظم هذ الاوصاف نطبق على بلادنا العثمانية ولا عجب بعد هذا اذا رأينا مراكش لم تتأثر بالمدينة المغربية على قريها من جوار اوربا فان اسبانيا وهي قطعة من هذه القارة كانت لصلة الدين واللغة والجنس الى بالمشبه بالاوربيين .

اردياه النوم

كتب احد نطس الاطباء في مجلة الصحة يقول الظاهر ان لحالة المعدة وخلالكبيراً في النوم ومن المعلوم انه يحدث أرق بعد الهضم المتعذر او نوم ثقيل قليل الراحة فان الحركة وظائف الاحشاء دخلاً معاً في اضطرابات النوم فالوجوب ان تمتع عمن أصيبوا بالارق المشروبات المخمرة وفي كثير من الاحوال يمنع عنهم الشاي والقهوة على ان استعمال هذين المنشطين اوائل النهار لا يضر بالصحة . اما المرضى المصابون بفقر الدم فانهم يشفون من الارق بنجلب النعاس الى جفونهم بان يقيوا وقت الظاهر فتساعدهم قيلولة النهار على النوم نوماً هنيئاً في الليل وتجب للعناية بفرف النوم فان من اعتادوا ان

يناموا في كل فصل والنوافذ مفتحة يؤكدون انهم ينامون نوماً جيداً يعوض اجسامهم ما فقدته في اعقاب النهار . والاستهواء من اتفق ما يجلب الكرى الى عيون المورقين والمصابون ببعض الامراض العصبية وهم عرضة للأرق بكون لم من العمل العقلي المنظم بعد راحة مطلقة قليلة نتائج حسنة فينامون نوماً هادئاً مقوياً يحتاج اليه اجسامهم

باريز ومستقبلها

نشر احدكم في المجلة مقالة في هذا الشأن جاء فيها ان باريز كانت بعدد سكانها في سنة ١٨٠٠ ثاني عاصمة في العالم فكان سكانها نصف مليون ولم تفقها غير لندن وسكانها مليون واحد ثم تجيء بعد باريز موسكو وما زالت احوال العمران تزيد وينبسط ظله حتى اصبحت في العهد الاخير مدينة لندن وسكانها سبعة ملايين ومدينة نيويورك ٤٧٦٦٨٨٣ ثم تجيء برلين وفيينا وطوكيو وغيرها من المدن ليس لها شأن في القديم يذكر فقد كانت في اوائل القرن الماضي اكثر مدن امير كاسكانا مدينة فيلادلفيا وسكانها لا يتجاوزون ٨٩١ الفاً وهكذا زادت العواصم كلها بسكانها زيادة خارقة باريز لم تتجاوز الثلاثة ملايين في حين كان اللائق بها ان تكون ثاني مدينة بعد لندن فاذا غلت النهاية بها فائزة لا تعلم ان تسمى بعد عقود من السنين من احضر العواصم فنقل رغبات اهل الارض في قصدتها ولا تعود بلد الدور وتنازعها في ثروتها التي يجلبها اليها السباح من القارات الخمس غيرها من العواصم الكبرى فستميل الى النزول فيها علماء باريز والمفكرين من ابنائها لكثرة ما تبذله لم من المال وعندها تسقط هذه العاصمة سقوطاً مريعاً

ويرى بعضهم ان قلة الرغبة في نزول الحواضر واعتزال الناس على الاشتغال باعمال الزراعة في الترى والمساكن هو خير للبلاد وبقي لان كثرة ازدحام الاقدام والانفاس مضرة بالصحة العامة والاحسن ان يتقاعدوا ولكن هذه النظرية تعالج بشيء واحد وهو ان تبذل العناية بامور الصحة اكثر مما تبذل الآن ويضاف الى باريز ما في ظاهرها من القرى والمدن بحيث تعد معها وحكومتها حكومتها لا بدفع ابناءها هارسوماً (عوائد) ولا غيرها فتدخل في باريز تلك الحقول الواسعة والحراج الغناء في الضاحية ويساعد ذلك على تكبير ساحتها العامة المقيمة في صحى السكان وبذلك تحفظ باريز مكانتها في اقطار العالم المتحضر لان ما تعدد انكلا من العدد لمستقبل لندن من اعجب ما سمع ومن ذلك ادارة جبر المياه اليها فانها ستكون كفيلاً سنة ١٩٤٠ باروا سنة عشر مليوناً من

السكان وكذلك ترى نيويورك ان سكانها سيتجاوزون سنة ١٩٤٠ احد عشر مليوناً . وهكذا ترى الافرنج يفكرون الى ما بعد عشرات من السنين ونحن نقول « ولك الساعة التي انت فيها »

مدارس المؤوفين

اذا عرض لاحد العملة عارض اثناء عمله كأن يفقد عضواً من اعضائه او ذراعاً او يداً او ساقاً او عيناً فان بلاد الغرب تكفلت لمن أصيبوا بهذه العلل ان تعلم ساعات يكسبون بها رزقهم في البلجيكي أنشئت عدة مدارس لهذه الغاية بفضل مال جاد به احد محبيها واسمه باستور من اعضاء مجلسها الثياني فيعلمون من نكبوا من العملة يفقد احد اعضائهم في زمن قصير صناعة تقوم بمشهم كالتجديد والقوى والمنافض (الفرشيات) ومما سمح الارجل مما يعمل على ايسر وجه بدون ان يكون عامله تام الاعضاء فيوزع الجذع لمتورة اعضاؤهم بحسب قابليتهم على فروع مختلفة فمنهم من يستخدم في صنع السروج اومنهم في الاحذية وآخر في الخطاطة وبعضهم في الاعمال الحساسة . وكل صناعة تجري تحت نظر معلم اكبر يعين نوع العمل ويراقبه ويدفع اجوره بعد الثلاثة الاشهر الاولى من التعلم وتطول مدة تعلم الاجذم او الاكثع بقدر ما يستطيع استخدام اصابه او بعضها فقط فان من فقد السبابة (الشاهدة) يتعذر عليه العمل فتدبر صبره يتوصل الى استخدام ما يقوم مقامها من اصابه ومن فند يديه يتوصل الى ان يحمل بسرعة منافض للثياب وغيرها مما يشابهها وفي مونيخ وبرنسدان ومبورخ من بلاد المانيا مدارس كثيرة للمؤوفين وانتشر هذا النوع من المدارس في الدانيرك ويرد عهد انتساها الى سنة ١٨٧٤ وقد بلغ عدد من انقذتهم من العملة بتعليمهم ما يلزمهم نحو ستة آلاف فمنهم من جعلت له ايد صناعية وآخر اذرة والنساء في مدارس المؤوفين في فرنسا يعملن علياً وكوات (الاجور) وتيجاناً

الزواج

تبين من احصاء وقع في لولايات المتحدة سنة ١٩١٠ ان فيها نوعاً عجيباً من الزواج تكون بشرته سوداء على اختلاط دمه بالدم الابيض فقد كانوا فيما مضى يقسمون الزواج الى اربعة انواع اكتورن Octeron وربع زنجي وخلامسي واسود وتكاد هذه المميزات الآن تفقد بته ويختلفا جنس يشبهها ليس هو الجنس الزنجي الخالص السليم بل مؤلف تأليفاً آخر يدخل في دمه الثلث من دم ابيض ولكن لونه لا يشاهد محسوساً

و يوصف هذا النوع من الزوج بظهور لون جلده • وان لون الزنجي في لوزياتا وأوديان الجديدة لمشرب مشبع اكثر مما كان عليه لون اجداده قبل حرب الفاء الرقيق او من الزوج الوردين من افريقية وسواده يلمع اكثر من زنوج الكونغو ومسيماؤه افريقية ظاهرة بعض الظهور واشداقه كبيرة وشعره اقل صوقاً • ويصعب تعيين اسباب هذه الخصائص ولكن معظمها ناشي من تغيير شروط الحياة • والزنجي الاميركي هو في العادة اقل قوة من الزنجي الاصلي واقل تمحلاً من الزنجي القديم • وزعم احد الباحثين في خصائص الزوج انه ربما لا يوجد في شمالي اميركا زنجي واحد يكون دمه خالصاً وان الزوج ليسوا زوجاً حقيقياً وان جميع السود قد تبذلت دماؤهم ومخاناتهم • ومنذ تحرير العبيد الغيت الطريقة التي كانت متبعة في الزواج بانه لا يسمح الا بزواج المتناسبين في القوة ولذلك ضممت تراكيب الزوج الطبيعية • وشعر الزوج انفسهم بذلك حتى قل تزاوجهم بالببيض والهنود ولكن هذا النوع من السود قد تغلب اليوم ويرجي ان يعود بالتحسين مع الزمن الى سابقى قوته ورجوليته

كانون التبريد

اكتشف كراهام بل مخترع التلغراف ومصالح امور كثيرة في الطيارات السماوية اكتشافاً جديداً يتبرّد به الانسان في شهور القيظ وهو داخل جمرته فصنع ما سماه كانون التبريد والجليد فكان يتبرّد بها في شهر آب الماضي في مدينة واشنطن بينما كان الناس يضيّون من الحرارة ذرعاً وذلك بان صنع آلة عجيبة سهلة يتأق لكل امرئ ان يعملها بدون كلفة وذلك لان المخترع اذاع سرها ولم يأخذ بها امتيازاً كسائر المخترعات وهوانه وضع على اطار نافذة الغرفة مروحة على شكل المراوح المتعارفة لتحرك على الدوام بجري كهربائي ويتأق اخذ الجري من آلة المصباح الكهربائي فيحدث من ذلك زيج بلبل تحكم جريانه الى أنبوب واسع يدخل منه الى صندوق متسع بعض السمّة تجعل فيه كتلة من الجليد ويخزق الصندوق خرقين يجري فيهما الجري الجليدي الذي ينشر في الغرفة التي تكون مقفلة ويكون من الهواء البليل الناشي من المروحة والماء على الجليد رطوبة غريبة تنشيط النفس وتقوي الحس • وتقام هذه الآلة بصفة قليلة ولا تتطلب من انواع الاحتياط الا ان ينير جليدها كل يوم • ويستوفر الاساذ المخترع على بسط اختراعه اكثر من ذلك وادخال تعديلات عليه ليتمكن معها كل انسان من استعماله ويكون للفنادق ومحال القهوة حظ كبير من هذه الآلة الجديدة يبرّدون بها زبائنهم وضيوفهم

دروس السيسمولوجيا

السيسمولوجيا علم حديث الامة فاما من احد يعلم على التحقيقات اسباب الزلازل وكيفية انتشارها على سطح الكرة والاشارات التي يتأتى الانذباء بها للزلازل قبل وقوعها وهذه الابحاث لا تتم من تصاب بلادهم بالزلازل تغادها هذه الاحداث الجيولوجية وتراوحها بل هم الانسانية لانها تقاسي منها الاهاويل ولذا اخذ العلماء منذ ربع قرن يبحثون في اسرار الزلازل وآخر مؤتمر عقد في منشستر اناب فيه كثير من اهل هذا الشأن في الام ولا سيما من الممالك التي يكثرمه ابها بهزات ارضية فشرح احد الاميركان اسباب زلزال سان فرانسيسكو وشرح احد اليابان اسباب زلازل بلادهم فتبين لي الجملة الآن ان الارض تهتز في اي نقطة كانت كل نصف ساعة على الاقل وتنبلي هذه الهزات غالباً في مناطق معينة فقد حدث في يابان منذ سبع سنين ٨٣٣١ زلزالاً اي نحو الف زلزال في كل عام وهي تحدث في محيط من الارض لا يتجاوز بضعة مئات من الكيلومترات المربعة ولكن الاهتزازات لتوالي على الارض كلها الى ابعاد نائية . وبعد ان اصبحت يابان بزلزال بوكوهاما في شباط سنة ١٨٨٠ اجمع رأي العلماء على ضرورة انشاء جمعية دولية تبحث في سر الزلازل واقامتها فعم عامة الام الى الاشتراك وفي المقدمة رويها وابطاليا . وقد اقترح احد اساتذة ستراسبورغ (المانيا) ان يقام مكتب للزلازل يعمل بمداونة ثلاثة وثلاثين قطراً مختلفاً على تبادل الملاحظات وينشر كل سنة فهرس بالزلازل وبمعي بوضع مصورات الزلازل تكون مستنداً واقعاً جداً لوضع الاسلاك البحرية وانشاء البيوت فتعين فيها النقط التي تخلو من خطر الزلزال وبفضل هذا العمل المشترك يظن بانه بات يرجى عمماً قريب ان يتنبأ بالزلازل قبل وقوعها ويحمي ما ينشأ عنها من المصار

الاسرة في اميركا

ظهر بالبحث والاستقراء ان نساء الولايات المتحدة ولا سيما من كان منهن من الاميركيات الاولى هن اقل النساء ثناءً وان غير الاميركيات من زيات الولايات المتحدة هن اكثر نساءً وفي مقدمتهن المرأة البولونية فان معدل اولادها ٦١٢ ومعدل الاميركيات البيض ٢٦٧ ويحيى بالكثرة بعد البولونيات نساء الله ك ثم الامان ثم الانكليز .

ابادة الجرذان

معلوم ان الجرذان تضرر بالحقول في سني الجذب خاصة وتا كل الحبوب والنباتات

وقد كان معمول ارباب الزراعة على النمس يربونه ويدربونه على التهام الجرذان ولكن النمس بسطوا ايضاً على الطيور وغيرها من الموام النافعة وربما كانت القطط والكلاب انفع في ابادء الجرذان خصوصاً اذا كانت هذه قريبة من تلك لصيدها على ايسر سبيل . وقد اعتمد بعضهم على كربونات الباريوم في تسميم الجرذ وآخرون على مم دانيس وهذا السم يسري من السم به الى غيره من الجرذ السليم فلا تلبث ان تهلك عن آخرها خصوصاً اذا وقع تحضيره في الاماكن التي يجري التسميم بها لانه ظهر انه يفسد بعد شهرين من عمله فاذا حمل الى القاصية ضاعت فائدته وم الآن يعمشون في اقرب الطرق للانتفاع به فاذا صححت تقدم الزراعة والتبات خدمة مهمة

النساء العاملات

انشأوا في الغرب منازل للفقراء الرجال من العملة يستأجرونها بثمن بجس جداً وفيها مرافق الحياة واسباب الراحة وقد كانت انكلترا سابقة غيرها في هذا السبيل فانشأت بلدينا منشستر وغلاصكو فزادوا للعاملات فيها مئات من الغرف تكري الواحدتها في الليلة من ٢ الى ٢ افلساً وترجع البلدية اربعة بالمئة من ريع هذه الفنادق التي تساعد العاملات وتفكر بلدية لندنرا في انشاء مثل هذه الفنادق كما سبق لها ان انشأت وانشأ الافراد بيوتاً رخيصة

احصاء الجنسين

تبين من الاحصاءات الاخيرة ان عدد النساء لا يزيد كثيراً عن عدد الرجال في ألمانيا والزيادة ثمانمائة الف امرأة فقط وما قبل من قلة الزواج لم يصح لان ٩٠ في المئة من النساء يتزوجن ولكن العجيب ان بلد في العادة اولاد ذكور أكثر من الاناث وموت الممرضات يؤدي ابداً الى نقص الذكور من الاطفال

شرب الشفة

ما برحت الشعوب المتحضرة تبحث منذ الازمان الموزلة بالقدم في الطرق القريبة لجلب المياه الى المدن فقد كان سمورابي يوزع المياه على بابل من احواض جعلها وط هذه المدينة وعيون المياه في صور واحواضها في القدس كانت من ام ما عرفه القدماء في توزيع المياه للشفة وان مجرى الماء الذي أنشئ في جزيرة ساموس هو اليوم من اجل اعمال الصناعة في هذا الباب وكان الرومان يتفنون في جر المياه وما شوهدهم من آثارهم والمجاري التي اقاموها في كثير من انحاء مملكتهم تدل على براعة زائدة . ولعلنا

كان ابقراط ابو الطب يحذر معاصريه من اخطار المياه القذرة الملوثة وقابه على رأيه كثير من الاطباء وقد كانوا في اوربا خلال القرون الوسطى يحضرون القداء القذر في الشيايح العامة والآبار وكان معدل ما يلزم الرجل كل يوم في المدن من الماء ١١٤ لتراً في رومية في حين ان البايزي اليوم يصرف ٢٠٠ لتر والهندي ١٨٠ والفيتاني ١٠٠ لتر والماء الذي يستعمل في الصناعات غير محتاج الى التصفية والتطهير بالنفقات الباهظة ولذا ينصح علماء الصحة ان يجري الماء الى المواضع الكبرى في مجرىين مختلفين على الاقل احدهما لشرب الشفة يكون طاهراً نقياً والاخر للصناعات والسقيا والرش يكون ماؤه عادياً

الحرف والحياة

تبين من احصاء جرى في بلاد الانكليزان رجال الكنيسة اقل موتاً من جميع ابناء الحرف والمهن واكثر الناس موتاً اعملة الذين لم يتعلموا منهم نكّي الاصول وبعد الكهنة والقسس يمي ارباب الحدائق والمزارعون بطول اعمارهم وقلة زيارة الحمام لهم وبعد ذلك يكون دور الميكانيكيين والوقادين في الخطوط الحديدية . وتطول اعمار ارباب الصناعات النظيفة الذين يتناولون ويكثر فيها المعلمون . واهل الصناعات التي تستلزم قوة كثيرة ويعرض اصحابها للمخاطر مستخرجو الحطب من الغابات والبحرية فانهم يموتون اكثر من غيرهم ومثل ذلك يصيب ارباب الصناعات التي تؤدي الى السكر كباعة الخمر وتجارها

الهلام النباتي

الهلام او الجلوتين نوعان منه ما يستخرج من الحيوان ومنه ما يستخرج من النبات فالاول يكون باغلاء جلود الحيوانات والعظام والاورتار والفصاري في الماء الحار والثاني يستخرج من مواد متنوعة نباتية بطريقة مشابهة اثلثك وتصدر زوج اليوم هلاماً من نبات لا يستعمل غذاء بل يدخل في استعمالات اخرى فاذا صفي ويبيض يستعمل في قتل الجوخ وفي بعض استحضارات اخرى ويستخرجونه من الخث (نبات الماء) الذي يكثر على شواطئ نروج فاذا حل جزء من عشرين جزءاً من هذا الهلام يكون منه هلام جيد ويباع حبوباً صغيرة لونها اسمر تصفر وتبيض فاذا حلت بالماء تنتفع الحبات وكثير من انواع الخث الحلوة الطعم تحتوي على هلام يستعمله الفقراء في اوربا غذاء ويمسكون منه رء باهوه منتشر كثيراً في بلاد يابان ويصدرون منه خارج بلادهم

ويزرع الخث في ارضيل يابان واشتهرت جزيرة يزو بهلامها ويمزج الجلاتين الياباني في الحساء الصيني المعمول بالسنتون ويباع منه في يابان بما قيمته مليونان ونصف من الفرنكات

متوسط القرائح

كتب ما كس نوردو من علماء الاسرائيليين مقالة في المجلة الباريزية تحت هذا العنوان فقال ما يحصل : احسن ماتيه الفطرة لطفل منذ يوم ولادته ان تجعل له قريحة رائقة فهي اجمل الهبات بل أكد التعاويذ في نيل سعادة الحياة من الغناء والثروة . لا جرم ان القريحة تزين مشاهد العالم اكثر مما يزينها شرف المولد وجلالة المراتب فيها تتجمل العواطف العادية في تصور الحقيقة الى عواطف انس وهوى وبها تتسع الثقة في القوة العاملة في شخصية المرء .

ولك ان تحكم على قدر القرائح وتأثيراتها بما يعيب العطاء وارباب المكنانة في هذا العالم من الفرح والحب فيتوفرون عليها اذا احسنت بها اليهم الفطرة فقد كانت الملكة فيكتوريا صاحبة انكلترا تجد سبيلاً بين مشاغها الكثيرة من تولي امر ٣٥٠ مليوناً من البشر ان ترمم على الورق والمقوى الرسم الملون (Aquarelle) وكان ابن عمها ملك البرتغال يصور الاقشة والاقشة التي تخرج من منقاشه اذا عرضت في المعارض تعرف من بين غيرها ويدرئ الناقدون ان يداً تخلت عن الصولجان ساعات لتمسك المنقش . وترى الامبراطور غليوم يرسم ويصور وينظم بعض الاناشيد والاغاني في آونة الفراغ وخال والدته الدوق ارنست الثاني ساكس كوبورغ قد ألف قصة باناشيد امرضاها في دار التمثيل بقصره باسم مستعار وكان يجيد لغة بين مشاغله ان يمثل التمثيل المنحوت . وكان ماكسيميليان امبراطور المكسيك النقص الحظ شاعراً وقصائده الفناية تهمله بالغيرة وباحتية جهاده . واصدرت الارشيدوقة لويزدي توسقان مجلداً في الشعر يدل على انه كان في رأسها الاصب مكان للاوزان والقوافي الشعرية .

واذا تزلنا قليلاً في درجات ارباب العروش ونظرنا الى اهل الطبقة الاولى في المجتمع نجد خواة البدائع والفنون كثيراً عديداً فان الكونت بوست الذي بعزوا الى نفسه المشكلة النمساوية المجرية كان يكتب بالفرنسوية قصائد رفيعة نثبي^١ عن امراض عالية والدوقة ولية العهد دوزيس تعمل نصبا وهياكل حستة .

وللمقاتل الكبريات في باريز منذ بضع سنين ردهة سنوية يسقط الناظر في قائمتها على جميع اسماء الديلات ونساء الكبراء ولا يقبل فيها غير رسوم رسمتها اناملهن ويتبارى الاشراف مبتهجين امام ما صنعه ايدي ازواجهن البيضاء

ولجميع الاعمال الحرة ايضا مجتمعات تترى المحامين والقضاة والاطباء والمثليين والصحافيين يعرضون فيها ثمرات حبههم للصنائع النفيسة من نقش ورسم وحفر ومنها يستدل على مبلغ ولوعهم بالرياضات البدنية ولوهم بتشغيل عقولهم . لا جرم ان جميع غواة الشعر والموسيقى والفنون ينظرون انصراف اذهانهم الى هذه الصناعات الجليلة خارجا عن علمهم يتلهون بها فقط زيادة على ما أخذوا انفسهم به من الاعمال . اادل على ان القرية الصغيرة او النصف القرية تعد من البركات اذا نمت لذاتها فقط ولما فيها من النفع ولما لها من الوق . ولكن اذا اضاف امثال هذه الطبقة الى عملهم طمعا وطبعا جاء منهم اناس يفضون ويأسون لانهم لم ينجحوا فيما هم بديله فجاح من استمدوا لهذه الصناعات بالقطرة وبرزوا فيها فائز الناس عليهم واعجبوا بما ترسمه بدم الصناعات . القرية كائن يقوم بما يقوم به من العمل في المادة احسن من السواد الاعظم الذي يحاول الحصول على ذلك الاستعداد . والمادة الاصلية في القرية القدوة والتقليد . وبأني للقرية ان تعلم الى حد محدود وفي مكتبة كل رجل اعتياديا ان يعمل له قرية وما القرية الا بتعدها وهي صورة حية من آثار النظر فيها والقرية تنفذ في عهدنا بحيث يأتي من كل اثنين واحد ذو قرية ولكن الانقراض من ثمراتها انتفاعا ماديا غير مضنون بل يتعلم كما يعلم الناس ما يؤهلهم لاخذ الشهادة العالية في مبادئ العلوم فيثالي الشهادة المتعلمون ولكن لا يضمن لم رزقهم منها بل هي اداة لتمدينهم

ويجب ان لا يعتقد من يستطيع نظم بيت انه شاعر ولا من يمس القلم والريشة انه مصور او نقاش فان هذا الاعتقاد حمل كثيرين على اعتقاد الكفاية في انفسهم وعينوا على الضرر لانه لم يعطهم حقهم من النجاح ووهبوا بانه يستحيل عليهم ان يبرزوا مما لم يتقنوه اتقان النافعين له ولا يقدر قدر ذلك الا من يدخل المخازن وقاعات الصناعات فيرى ادياء هذه الصناعات يعرضون ما خطوا ورسموا وبش ما يريدون ان يشتهروا به ثمنا ولو قليلا ويحشرون انفسهم في عداد العالمين والناشرين . وليت ادلك الادعياء علم ما لا يعلمون التمسوا رزقهم من خدعة محال القهوة او صنع الاحذية اذا ارفعوا رؤوسهم في صناعاتهم بدون ان يوهوا انفسهم بان لم تخرجه حسنة وبدأ صناعاتا .

وترى الدعوى ايضا اكثر شيوعاً في الادب فان هشرين الفا من الناس يدعون الشعر والكتابة وقليل منهم من لم يكتب وينظم ويؤلف قصة او قصيداً وم متوسطون فيما يخطون ويبقى تسعة اعشارهم خاملين لا شهرة لهم الا في دائرتهم الضيقة وهم يقاسون من الالم يوم يحكم الناس على المجيدين منهم ويشهدون الكتيبين واعلانات دور التمثيل والجرائد والمجلات لا تذكر الا غيرهم من النابيين النابغين وهم قلائل يوانتهم الحظ ويخلل جمهوراً كبيراً ولا غرو فالمجيدون في الآداب كالمجيدون الخارقين للعادة سلك الصناعات النفيسة اندر من الغراب الاعمم والكبريت الاحمر .

وبعد فاطلب لكل من تريد له الخير ان تعرى نفسه كل التعرية من القرينة كلها فذلك خير له من ان تكون له قرينة تافهة يرافقها طمع فيه وهو طمع بفسر بالنابيين ولا يفيد الآخرين من الخاملين

الفيل في الكونغو

يقدر عدد الفيلة في افريقية من ثلثائة الى اربعمائة الف فيل يقتل منها كل سنة نحو خمسين الفا لاخذ العاج منها وقد اتخذت اساليب كثيرة لوقايتها مخافة ان ينقرض نسلها فخطرت بعض حكومات افريقية من الاوربيين صيدها بالنار او بشراك وان يقتل اناسا وصارها التي يكون نابها اقل من خمسة كيلوغرامات وعلى الفيلة في معظم اصقاع افريقية يحمل الناس اثقالهم فيحمل الواحد منها ما لا يحمله ثلاثون او اربعون زنجياً والفيل في افريقية كما هو في الهند .ورد ربح اصاحبه يساوي الواحد ٢٥٠ ليرة ودخله من ١٥ الى ٢٠ ليرة وهو يحرق الارض ويفتح الطرق وله غير ذلك من الفوائد

صناعات النساء

تزداد الصناعات التي ينصرف اليها النساء في بلاد الغرب اليوم بعد اليوم ويقبأن خاصة في الصناعات الاجتماعية . ولقد ابرزن في هذا الباب صفات فائقة وكانت جذوة هذا النور منبعثة من المانيا والنمسا . فقد عهدت بعض مدن النمسا مثل فينا وغراز وراغ ولبرغ ويرون الى النساء منظره العمل في الصناعات التي يشتغل بها العاملات من بنات جنسهن خاصة وانشأ مجلس ولاية بومراتيا في المانيا مهنة جديدة للنساء يعهد اليهن ان ينشرن بين سكان الحقول مبادئ تربية الاولاد (*Puériculture*) والاقتصاد الاهلي وحفظ الصحة والعمل البدوي وغير ذلك . وهيئت مدينة اونا برك في المانيا امرأة للعناية بالفقراء والنظر في احوالهن ورأت بلديا كمال في المانيا ان تعتمد

على النساء لمقاومة الكحول واتخاذ من أسيديا بتعاطيها فمئنت عشر نساء لمعونة المدمنين والتأثير فيهم فاسفر عملهن عن احسن النتائج . وعينت حكومة الدانمرك احدى الاوانس مفتشة على مطاعم المدارس في القرى .

ويزداد تعيين النساء في الشرطة بصفة مساعدات وقد انشأت فنلندا — وهي مرتقية جداً من حيث الاصلاحات الاجتماعية وان كانت مضطهدة من حيث احكامها — سنة ١٩٠٧ اثماني وظائف لمعونة رجال الشرطة تولاهن النساء وهن يقبضن رواتب كرواتب الرجال واهما يمهدهن اليهن اتقاذ النساء . والبنات مما يطرأ على اخلاقهن وارجاعهن الى حظيرة العمل الشريف ومعالجة الاتجار بالرقيق الابيض وان يعملن الجوزات والاولاد الذين لم يوزقن حظاً من التأديب في اماكن لائقة وقد ظهرت فوائد ذلك كله حتى ان فنلندا عازمت ان تنشئ وظائف مثل هذه في جميع بلادها وما زالت المدارس الزراعية للبنات تشكاث في معظم بلاد الغرب وبها ثمرات مهن جديدة لمن فان الجمعية الزراعية في جنوب اقليم سواب من المانيا قد انشأت مزرعة لتربية الطيور *Aviculture* على الاصول الحديثة عهدت بادارتها الى امرأة وتقام فيها دروس خاصة بالنساء فقط واحداثت نظارة التجارة في انكلترا عدة وظائف مديرات لمكاتب وسطى لاستخدام عملة للزراعة . وشعرت بعض البلاد الالمانية بان النساء يقتضي عليهن العوم والسباحة ولكن قلة الاساتذة من بنات جنهن متمعن عن هذه الرياضة الجسدية المهمة فانشأت جمعية هناك تعلم الفتيات اللاتي عقدن العزم على تعلم السباحة وبعد ان يفحصن ينلن شهادات مؤدنة بكفاهتهن . والنساء في المانيا شأن كبير في بيع الكتب فان عددهن فيها بلغ ١٢٠٠٠ اي اكثر من ربع من يشتغلون بهذه التجارة . وقد اخذ النساء في المانيا في العهد الاخير يحترفن بالتجارة وصنع الجعة والنقش والتجليد والحلاقة والخطاطة وعلى كثرة من كن منذ زمن يتعاطين الصناعتين الاخيرتين كان من المتعذر عليهن في المانيا ان يعملن بحسابهن اما الآن فهن في حل مما يردن .

وفي فينا نساء يصنعن الزجاج وينلن بصناعته شهادات تؤذن بكفاهتهن ومن النساء من يتعلمن صناعات الساعات . ومن النساء النبيلات في انكلترا من افتحصن او هام محيطهن وقمن لادارة المشروعات الاقتصادية وكثيرات منهن الآن مديرات لفنادق وكبرى . ولبعضهن محال لنص الذهب والفضة وعمل المزيات . وقد احدث النساء في اميركا حرفة جديدة وهي تنظيم الكهبرات فيعهد الى بعضهن ان يقمن بلوازم ليالي الانس

والفرح . وكثر عدد النساء المستخدمات في السكك الحديدية وادارات البريد حتى عمدت بروسيا مؤخراً ان تقبل باستخدام النساء في بعض الخطوط الحديدية على شرط ان تكون ساعات عملهن مساوية لعمل الرجال ولكنهن يقبضن نصف الاجور التي يتقاضونها . وفي هولاندة قامت مؤلفة للاناشيد الوطنية فاصبحت مديرة جوقة مشهورة وبزت الرجال في هذا الشأن . وهكذا يعمل الغريون رجالهم ونسائهم كل بحسب قوته وغنائه فتي بطرس الشريقون على آثارهم في النافع من هذه المدنية المدهشة

الحس في النبات

يظن بعضهم ان النبات لا احساس له كما للحياه وذلك لانهم يظنون اليه بالعين المجردة فيقع في نفوسهم انها احط في الاحساس من نباتات الجورانت اذا عمدت الى نبات الالوده *Scilla* الكنادي الذي يطلع في المياه العذبة ويتأق له ان بعيش بدون جذوع وتزعت منه ورقة بمقص وفحصتها بالمهر ووضعتها في صحفة فيها نقاط ماء لانتلث ان ترى فيها خلايا مستطيلة قليلاً فيها عدة اجسام مدورة خضرة وجيوب النكاور وفيل كل ذلك ساكن لا يتحرك حتى اذا مضت خمس دقائق او عشرا وخمس عشرة دقيقة ترى فيها تلك الجيوب تتحرك حركة قليلة اولاً ثم تزيد وتتراى لك الجيوب تسير على طول الصفحة يتبع بعضها بعضاً ثم تعود الى عملها الاول في دقيقتين ثم في دقيقة هكذا تدور في كل خلية ومنها ما يذهب ذات اليمين ومنها ذات الشمال ومنها ما يسير بسرعة ومنها يبطئ كل هذا مما يدل دلالة ظاهرة على وجود الحس في النباتات واعظم تلك الجوارح فيها النظر الذي به ترى الور ولا تميز بين المرئيات كما هو الحال في ديدان الارض وشمك البولان (الحمار) والمرجان وغيرها التي ليس لها حاسة النظر ولكنها تشعر بالاحتكاك الذي ينالها من اشعة الشمس اذا أصيب بها وما يبه للحجوانات لماذا نسلية عن النباتات . ومن السهل ان نبين تأثير النور في النبات وذلك بان نغرس نباتاً في مكان ليس له سوى نافذة واحدة من جهة واحدة فترى سوقها وهي تنمو لتجبه نحو النافذة مما يدل كل الدلالة على انها تحب الشمس وهذا الحس من السوق بالنور يوجد في الجذع ولكن هذا لا يجب النور ويهرب منه شأن من قويت فيهم حاسة النظر فانهم يستظلون من الشمس عندما تمحي جمرتها واوراق النبات تتعرض للريح في النهار وهي تنام في الليل فتغير حركتها من النبات ما يرى فيها ذلك محسوساً وكثيراً ما زهر العسل وعصيفرة *Chèvrefeuille Capucine* واخث او نبات الماء يسهل ان يدرس فيها تأثير النور

واللس هو من الحواس المشهودة في النبات وترى المستحبة *Sensitive* لا دنى لمس يترك ورقانها بعضها فوق بعض وبعلى اوراقها نحو الاسفل وقد عللوا ذلك بان هذا النبات متى مس بفادر الماء حواسها ليندب الى الساق فينبض هذا وهناك نبات آخر اسمه طراد الذباب *Dionée attrap - mouche* هو من النباتات التي تلتحق الاجسام المجاورة مثل الكرم والبطيخ فانه اذا لم يجد في جواره ما يعرش عليه يخرج مستقيماً . وفي الزهور ايضا اجناس كثيرة تحس باللس . والدوق يوجد في النبات ولا سيما في الخت او نبات الماء فانه محسوس فيه فذا وضع في الماء اجزاء ذات طبائع مختلفة لا يجلب الخث اليه وذلك بان يخرج في سطحها محنطراً ماعده . اثبت العلماء النظر واللس والدوق للنبات وربما لا يلبثون بعد البحث ان يثبتوا لها قريبا الشم والسمع فسيحان من خلق من خلق . اناسا يفكرون الليل والنهار في تحليل هذه الكائنات وزهدنا في كل نافع فاحنقنا كل علم .

الجنس الابيض

البحث في اجناس البشر من ام المباحث الحاضرة ويقولون ان الجنس الابيض يسعى ليكون حاكماً على بقية الاجناس وان يكونوا تحت سلطته ومنكم وهذا من الابحاث الاستعارية فكل جنس من الابيض يطالب استماره هؤلاء وهذا ما حداه الميسوجونستون ان يتجشم الصعوبات والاسفار الشاسعة ليوفى الى حل هذه المتكلة العظيمة . قال بعد توطئة لهذا البحث هل في وسع الجنس الابيض ان يسكن البلاد القطبية كلا هذا امر مستحيل اذ الاقليم هناك يبيض جسم الابيض حتى يقتله . والابيض قليل النسل بالنسبة الى هؤلاء ولكنه يبنى بتريتهم اولاده وكذلك يستحيل على الابيض ان يقوم بالاعمال المادية في البلاد الحارة

فوق الاوربي اهل هذه الاجناس باعثنائه بصحته والتوقي من الامراض ولكنه لا يمكنه ان يعيش في اقليمهم كما قدمت سابقاً . ان الاختلاط ببقية الاجناس مفيد جداً ونرى نتيجه الحسنة في سبيرييا من اختلاط الروسيين بالجنس الاصفر المغولي ولكي نستفهم روابط المودة بينهم يجب على الجنس الابيض ان يعاملهم معاملة حسنة بالمساواة والاحترام ولا ينظر اليهم نظراً الاحتقار ومن الخطأ ان ننظر الى جنس الاصفر والاسود والاحمر ونحكم عليهم بالنقص في جسد وعقلهم اذ ربما فاق الابيض هذه الامة الصينية واليابانية هي اليوم غير هابا لاس وكما انك الزنوج لا يطول امرهم وهم على هذه الحال من التأخر

ان هؤلاء يتأثرون ويحقون في صدورهم البغضاء عندما يقرأون في جرائدنا وكبريات
الجلات القاذرة التي نحملها للحط من اقدارهم ولا بد ان يأتي يوم قريب ونرى انفسنا
تحت حكومة هذه الاجناس وسلطتهم . بل زمنا زمن لمعرفة معنى الاخاء الحقيقي حتى نتلطف
مع هؤلاء . ونعاملهم معاملة حسنة اذ الانسانية تقضي علينا ان نعامل المخلوقات باحترام
ورفق . لاجل احترام هذا المبدأ يجب ان نبحث ونتدين بدين يكون عاماً للبشر خالياً
من الوضع والبدع الجنسية ويمكن ان تكون هذه الديانة المسيحية ولكن بعض اربابها
يتكالبون في الاستيلاء على مراكن والكوتفو وغيرهما من البلاد .

الفنادق في سويسرا

كان عدد الفنادق في سويسرا سنة ١٨٨٩ ١٠٠٠ فندق تحتوي على ثمانية وخمسين
الف سرير وفي تقويم سنة ١٨٩٩ بلغ مجموع الفنادق ١٩٠٠ و ١٠٥٠٠ سرير وهذه الفنادق
تشغل في عرصاتها ٣٤٠٠٠ الف عامل منهم ١٤٠٠٠ يدأبون في العمل طول السنة . رأس
مال هذه الفنادق ٨٠٠ مليون فرنك صرف منها ٥٠٠ لاجل تشييد البناء ومجموع
الواردات في كل سنة ١٩٠ مليوناً فاذا اعتبرنا هذا الرأس مال مأخوذاً بالفائدة تكون
الخسارة خمسة في المائة بالنسبة الى الواردات .

خاتمة السنة السادسة

يختم المقتبس اليوم عامه السادس لانشائه في القاهرة والثالث لصدوره في دمشق
ويحمد الله على ان جعل اعوامه الثلاثة في ربوع الشام لا تقل عن اعوامه الثلاثة
الاولى في ربوع مصر بتحقيق المسائل واشباع الموضوعات ونقل اوضاع الفريقين
والشرفيين المحدثين منهم والمتقدمين ومراعاة ما اخذ النفس به على قدر الامكان من عدم
التعرض للابحاث الدينية والسياسية لكون مقالاته ومباحثه ثابتة في الجملة لا يغيرها
تبدل النزعات المذهبية والاهواء الخوية او الشعوية او الاستعمارية

وهنا نعاهد القراء على بذل الطاقة في هذه الخدمة الشريفة مستعينين بالله وموآزرينها
الكرام الاعلام الذين جعلوا من هذه المجلة حديقة يانعة بثمار دروسهم وابحاثهم . وقد
زدنا هذه السنة القادمة في صفحات مجلد السنة ١٦٠ صفحة فبدخل المجلد في السنة المقبلة
في ٩٦٠ صفحة بدلاً من ٨٠٠ بحيث يصيب كل جزء ٨٠ صفحة . والله نسأل المعونة
والهداية والعفو عما طغى به القلم من الخطيئات والمفوقات

فهرس المجلد السادس .

من المقتبس

صفحة	صفحة
١٦٠ الاقوياء . طبعامهم	(١)
٤٩٩ أكبر سد	١٧٤ ابحاث واقترحات في التشريع
١٥٢ أكبر مرسة	المصري الحالي (كتاب)
٤٩٩ الاكتشافات المقبلة	٥٤٢ ابن زيدون وابن جهور
٣٠ الاكحول . قتلاء	١٣٥ آثار معربة
١٤٨ الامان . انتشارم	١٣٥ الآداب الانكليزية
٦١٠ المانيا . الانومويل	٦٤ اديسون . فلسفته
٦٤ المانيا . الفراء فيها	١٤٥ الآذان . طينها
١٣٧ المانيا كلياتها	٧٧٢ ارشاد الخلق (كتاب)
٤٢٨ اميركا . ادل كحول فيها	٥٦١ الاركيولوجيا
٦١٣ اميركا . دور المطالعة فيها	٢٣٠ و٦٠٦ الاسبرانتو . لغتها
٧٩١ اميركا . الاسرة فيها	٦٦٩ الاسهمار الالماني
٧٣٢ » . كلياتها	٤٩٨ الاستقلال المادي
١٥٣ الام . ثروتهم	٤٩٩ الامر السويدية
٤٩٦ الام العالمون فيها	٦٦٢ الاسفنج
٥٠٠ » . نوابهم	٦٨١ اسماء الاضداد . رسالة فيها
٢٢٤ أمة السواب	٢٣٦ الاسماك . حفظها
٤٩ الامة تحبو	٦١٠ اسنان من خشب
١٦٠ الانسان والمدنية	٢٣٤ الاشتراك والبلديات
٤٤٠ الاميركان . تجارم	٦٦٨ اصلاح اجتماعي
٤٢٧ » . عميانهم	٧٣٧ اصلاح . اعداؤه
٢٢٤ انكذترا . والسلام	٢٦١ الاطفال . حدائقهم ومدارسهم
٦٨٠ » . والشاي	٥٠١ افرقية الجديدة
٧٥٠ » . الصبر فيها	١٠١ الافيون

فهرس المجلد السادس

صفحة	صفحة
البرجان ٢٦٥	١٥٨ انكلترا . الفقر فيها
٢٢٠ يزوخ جديد	٢٣٦ » . مدارس الشعب فيها
٧٧ البساط المذفي	١٥١ » . اموالهم
٦١٣ بطرسبرج . المدرسة الافرنسية فيها	٢٣٢ الانكليزية الافرنسية
٦٣٠ البعثة العلمانية	٢٤٩ الاوائل
٥٠٥ البكتريا	٧٧ الاوريون . هجرتهم
١٤١ » تلقيح التربة بها	٢٩٨ اوغست كوت وفلسفته
٧٨٤ البلاط الصناعي	٢٤٨ الاولاد . رعبهم
١٤٢ بندقية بدون صوت	١٥٢ » الصنار . مطاعهم
١٣٦ بوليفيا . برباتها	٤٣٩ » كتبهم
٤٩٣ بين اوربا واميركا	٢٣٣ » والكسب
٣٨٥ » بلاد الاراميين والفينيقيين	٥٠٣ » مستقبلهم
٦٢٦ و ٦٨٧ و ٧٤٣ بين الفجاء والشماء	٧٦ . الاهوية . تبدلها
٤٣٨ بين القاهرة والرأس	٥٥٦ ايطاليا . تجدوها
ت	ب
٤٨٨ تاريخ آداب اللغة العربية (كتاب)	٥٠٠ بابل . الجراحة فيها
٧٣٥ » حرب فرنسا والمانيا .	٤٩٦ باريز . التمثيل فيها
٤٩٠ التاريخ الكبير (كتاب)	٦١٠ » جامعتها
٦١٥ تاريخ التمدن الاسلامي (كتاب)	٦١٢ . » . ميناء بحرية
٥٤٧ » اليعقوبي (كتاب)	٧٨٨ » ومستقبلها
٧٩٠ التجريد . كائونه	٤٢٨ البائسون . اغاثتهم
٢٣٢ التثاؤب	٦٠٦ البحر الميت . حوضه
٧٢٩ التربة السوداء	٦٠٨ بحيرة تشاد
٦٥ التصوير الشمسي . اصله	٧٢٨ بختنصر . قصره
٥٩٤ التعليم . احاليه الجديدة	٥٥٤ بدائع الصنائع (كتاب)
٥٩٨ » الاهلي	٤٨٥ البدنح . يبحث في نوع منه

صفحة	صفحة
٢٩٢ الجنسان . احصاؤهما	٣٧٩ التعلیم في مصر (كتاب)
٤٤١ الجو . جالته	٦١ التعلیم الدينيوي
ح	٥٥٠ تقويم البلدان (كتاب)
٣٧١ حاضر الاسلام ومستقبله (كتاب)	٤٤٠ التلفراف اللاسلكي
٥٠٠ حبوب السوجا	٦١١ التلفون في الابعاد الشاسعة
١٧٤ حديقة الجنان في تاريخ لبنان (كتاب)	٧٣١ التمثيل والمؤلفون
٦٠٧ الحرب . المناطيد فيها	١٦١ توارىخ المكتشف والمستعمر من
٧٣١ » العثمانية الايطالية	البلاد والجزر في العالم
٧٩٣ » الحرف والحياة	٦١٤ توجيه للنظر الى علم الاثر (كتاب)
٤٩٦ الحروب . صرعاها	ث
٦٧٠ الحروب . نتائجها	٦١٦ ثلاث مجلات
١٤٥ الحس . عضو جديد له	١٥٠ التلج . ازالته
١٥٨ الحسية في الاسلام	ج
١٤٤ الخلافة . آله جديدة لها	١٧٣ الجاذبية وتعليلها (كتاب)
١٥١ الحمام . اكبر مزرعة له في العالم	١٥٢ الجرذان
٦٦٦ الحمامات	٧٩١ » . اباءه
٦٥ و ٧٧٧ الحياة . طولها	١٤٦ الجغرافيا . تعليمها
(خ)	٤٩٦ الجلد الصناعي
٧٣٢ الخلاء . العودة اليه	٦٥٠ الجماعات . قانونهم
(د)	٤٩٤ الجمال . نهضته
٦١٢ الدائمبارك . الجماعات فيها	٦٥٠ الجماعات . قانونهم
١٧٥ دروس الصرف والنحو (كتاب)	٤٥٩ الجمعيات . ترجمة قانونها وشرح
٣٢١ دقائق عربية	المفمض منه
١٧٤ دليل السلام (كتاب)	٥٨ الجمعية الخلدونية
١٣٦ الدماغ . قراءته	٦١ » الخيرية الاسلامية بمصر
٦٠٧ الدور الحجري . القنون فيه	٧٩٩ الجنس الابيض

صفحة	صفحة
سكر جديد ٥٠٠	(ذ)
٦٧٩ السكك الحديدية الصينية	٥٠٤ الذهب . محبولة
٢٢٣ سلك بحري	١٧١ ذيل تلي طبقات الحناينة (كتاب)
٦٦٣ السمك الاحمر	(ر)
٦٨٠ السمك . فن تكثيره	١٤٤ الراد يوم . ثمه
٨٠٠ السنة السادسة . خاتمتها	١٣٦ » » المداواة به
٢ » » فانتحتها	١٤٢ الرأس . شعره
٧٢ » الهجرية . رأسها	٣٥٠ و ٤٥٠ و ٥٢٥ رسائل الانتقاد
٧٨٤ السنور	٤٩٠ رسائل مختلفة
٧٦ السوربون . طلبتهم	١٣٤ الرهبتات
١٤٩ » » التسرعندم	٧٣٣ روسيا : الجنسية فيها
٢٢٤ السويد والشرق	١٤٩ » الحركة التجارية فيها
٢٤١ سويسرا . التربية فيها	٦١٢ » المرض فيها
٨٠٠ » » الفنادق	٢٢٦ رومانيا . التعليم فيها
٤٢٨ » » والفرباء	(ز)
٥٠٣ » قوة الماء فيها	٦٦٥ الزخافات ذات العرف
١٧٣ سيرة الفاتح (كتاب)	٣٨١ زراعة القطن (رسالة)
٧٩١ السيمولوجيا . دروسها	٤٦٩ الزلزلة العظمى
٦٠٥ السينماتوغراف الناطق	٧٨٩ الزنوج
(ش)	١٥٠ الزهور . ساعة مبرها
٥٢١ الشرطي والورق	(س)
٧٩٢ الشفة . شربها	٤٤٤ السراسرة او الوزارة
٧٣٩ الشمس . لفحتها	٥٥٩ السجناء . نادهم
(ص)	٦٦٦ السرطان البحري
٣٨٢ الصاحبي (كتاب)	٥٥٩ السفر . الراحة فيه
٤٣٢ الصحافة الانكليزية	٥٦٠ السكر الآسيوي

صفحة	صفحة
٦٦٢ العصر الحجري	٢٤٤ الصحة . درس فيها
٥٤ العفة	٧٨٥١ الصحافيون والادباء
٦٦٨ عم العلم	٧٣١ الصناعة . عاهاها
٦٠٧ العمال اليليون	١٤٠ صور ثغفى وثكلم
٢٤٨ العمل اليدوي	١٤٤ الصيد . شيا كه
٥٠٣ العمى والحرف	٦٠٦ الصين اتباها
٤٢٩ العناصر . حكايتها	٤٩٨ » الجديدة
٢١٩ العين الكهربائية	٥٠٣ » . رقيها الصناهي
(غ)	٦٠٩ الصينيون . غائرهم
٧٨٣ الغابات . اشجارها	(ض)
٢٤ غابات سورية	٥٠١ الضعفاء . مدرستهم
٢٣٣ غابة تحت الارض	(ط)
٧٨ الغذاء . تدبيره	١٣٣ الطباعة
٤٩٤ الغرب . الزواج فيه	٤٧٠ » والصحافة التركية مختصر
٥٨ : الغرب . تطهيرها	تاريخها
(ف)	٤٣٩ طرابلس . سكنتها
٨٩ و ١٧٧ و ٢٧٥ الفتوى في الاسلام	٦٧٣ » وبرة
٣٢٩ الفروق	٥٩٠ الطفل . امه في مشهد الحريق
٤٣٨ فرنسا . موظفوها	٦٠٨ الطيور انتقالها
٢٣٣ الفرنسيين . لتهم	(ع)
١٧٣ فصل القضاء (كتاب)	١٧٦ العادات (كتاب)
٦٦٣ الفنادق . صناعتها	٥١٠ » اياتها
٧٧ الفنادق . مدرستها	٧٣٢ العالم المختصر . صحفه
١٠ و ١١٧ في ارض الجليل	٨٧ . عبر الاردن (كتاب)
٥٧٣ في خمسين قرناً	٦٤ . العرب . تهمهم
٧٢٧ في القطار	٣١٤ » . مشاهيرهم واهتمامات

صفحة	صفحة
١٣٣ » الرائب	(ق)
٥٥٩ » طهارته	٥٠٤ القدم . كبرها والرياضة
١٤٣ العلم الاحمر والعم الابيض	١٥٣ القراءة . الجهر بها
٦٥ اللغات . تعلمها	٧٩٤ القرائح . متوسطها
٢٣٥ لغة دولية مزدوجة	٢٦٣ قرطاجة والعرب
٦١٧ اللغة الانتقادية . كتبها	١٤١ قفل يفتح بصوت صاحبه
٢٣١ » الموقنة	(ك)
٥٠١ لندرا . مكتبتها	٢٢٨ كارنيجي والسلام
(م)	١١٥ » . معزله
٧٦ الملاء . شجرته	٣ كتاب البر
٥٦٧ ماذا يقال الطابور ام التابور	٢٠٩ » المدمش
٤٤٠ مالطة . حماها	٧٧٣ » القضاة (كتاب)
٦١٥ المحازات النبوية (كتاب)	٥٠٣ الكتب . تصويرها
٤٩٥ المجانين . ميقاتهم	٢٢٠ » . صرطها
٢٢٧ المحلات . احتكارها	٣٨٣ كتب مختلفة
٤٩٧ مجلة فريدة	١٥٠ » . وسائل ومجلات
١٧٢ مجموعة المحورات السياسية (كتاب)	٦١٥ الكلاب . الانتفاع بها بعد التربية
٦٦٧ المخاضرات والمسارعات	٢٢٣ » . لجها
٧٨٥ المدن العظمى	١٩٨ الكلمات الدخيلة
٧٨٤ المدفع الهائل	٦٦٤ التكتليات الروسية
٣٨٣ مدينة العرب (كتاب)	٥٩٣ » . الاميركية
٢٢٨ المرأة والرجل	٢٩٦ الكونفو . القبل فيها
٥٦٠ » . اصلاح زبها	٦٠٩ الكونفوشيوسية . مستقبلها
٥٣١ » . نفسها	(ل)
٧٦٦ المسالك والممالك (كتاب)	١٧٦ لباپ الخيار في سيرة المختار (كتاب)
٢٢٩ المسترليون . اصلهم	٢٢٠ اللبن . تعقيمه

صفحة	صفحة
٧٩٦ » • صناعاتهن	٦١١ » • جنازاتهم
٧٣٠ النشر • اديه	٤٩٣ المطاط
٤٩٥ النصرانية والوثنية	٥٠٤ المطالبات بمحقوقهن
٧٣٤ نظام القضاء والادارة (كتاب)	٤٢٧ مطبعة بدون حجر
٤٩٢ النظر • تربية	٧٣٥ مطبوعات مختلفة
٧٨٦ الجنس الاسبانية	٧٣٠ المطر الصناعي
٣٦ » الانكليزية	٧٣٣ المحمر • متنداهم
٤٨٨ نهج البلاغة (كتاب)	١٤٥ المغنطيسية • سفينة لرصدها
٧٨٧ النوم • اريادته	٥٥٨ المقعدون والصناعة
(و)	٤٩١ مكتبة الاسكندرية • حريقها
٣٨٢ الواجبات (كتاب)	٦٠٩ الملاحة • تاريخها
١٧٥ وجوب الحماية عن مضار الرقية (كتاب)	١٤١ المنازل • آلة لتطهير هوائها
٦٦٦ الوقت • الاقتصاد فيه	٢٣٣ المنازل • أجورها
٥٢٣ الولايات المتحدة • سكانها	٨٣ المنهج الاحمد (كتاب)
٤٢٨ » • » • عمراتها	١٥١ المواشي والمراعي
٦١٠ » • » • قوتها	٦٠٧ الموت جوعاً
٢٤٧ الولد • افته	٦٠٦ المؤتمر النسائي السادس
(هـ)	١٥٠ الموسيقى عن بعد
٦٦٥ الهجرة الابطالية	٦١٠ موسيقى المستشفيات
٦٦ » النبوية • اصباها	٧٨٩ المؤوفون • مدارسهم
٥٥٤ مرياً من الثلوج	(ن)
٧٩٣ الملام النبائي	١٤٤ النبات • تمجيل نموه
٢٢٨ الهد • سكانها	٧٩٨ » • الجنس فيه
١٤٣ الهواء • طبقاته العليا	٦١٢ نروج • التعليم فيها
٦٧٩ المينيون	٧٩٢ القضاء العالمات
٦١٠ الميجون العام	٦١٩ » • سجونهن

(ي)

صفحة

٤٩٤. يابان . ادبياتها

٥٩٥. اليابان . التعليم الادبي فيها

٢٢٦. يابان الحديثة

٧٨. يابان . المعارف فيها



